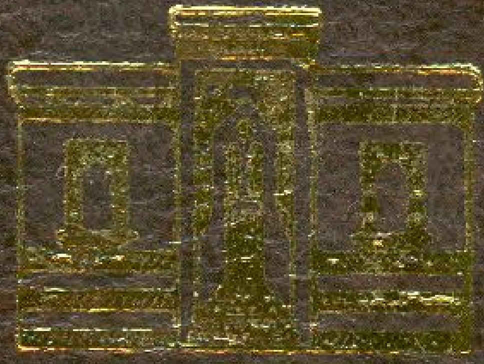


دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تاريخ مصر المعاصر

# الكافي

## في
## تاريخ مصر القديم والحديث

تأليف
ميخائيل بك شاروبيم

الجزء الثالث

تحقيق ودراسة
الدكتور / يواقيم رزق مرقص

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م

# الكافي

في

تاريخ مصر القديم والحديث

# الكافى

## فى
## تاريخ مصر القديم والحديث

تأليف
ميخائيل بك شاروبيم
رئيس النيابة العمومية بمحكمة المنصورة الأهلية سابقا
والمفتش بنظارة المالية الجليلة حالا عفى عنه

الجزء الثالث

تحقيق ودراسة
الدكتور / يواقيم رزق مرقص

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. محمد صابر عرب

شاروبيم، ميخائيل.
الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث/ لميخائيل شاروبيم؛ تحقيق ودراسة يواقيم رزق مرقص . ـ القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، الإدارة المركزية للمراكز العلمية، مركز تاريخ مصر المعاصر ، 2005.
مج ٣ ؛ 30 سم.
يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.
تدمك 1 - 0369 - 18 - 977

٩٦٢

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب ١٤٧٣٢/ ٢٠٠٥
I.S.B.N. 977 - 18 - 0369 - 1

**شاركت فى التحقيق**

السيدة : آمال الفيومى

السيدة : ليلى بليغ الشواربى

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

عندما نقدم الجزء الثالث من موسوعة «الكافى» فى تاريخ مصر القديم والحديث ، إنما نقدم عملا تاريخيا لأحد كتاب التاريخ الذين بذلوا جهداً مشكوراً فى هذا الصدد حتى أصبح ميخائيل بك شاروبيم فى عداد من أطلق عليهم «الحوليون الجدد» ، وهو نوع من المؤرخين يختلف فى كتابته عن «الحوليين القدامى»فى العصور الوسطى من أصحاب الحوليات الشهيرة ، وإن كان قد احتار معهم فى اختيار بدء عمله ، فقد كانوا يحتارون فى اختيار بداية كتاباتهم وتأريخهم إلى أن اهتدوا إلى البداية من آدم ، وهو هنا ايضا نجده يبدأ من تجمع الشعوب فى شرق آسيا ثم زحفها إلى الغرب فى أشكال عدة حتى أصبحوا أتراكاً ، بل وصل بهم إلى تأصيلهم فى نوح عليه السلام .

وميخائيل شاروبيم ـ وإن كان قد احتار حيرتهم فى البداية ـ فإنه اختلف عنهم فى البعد عن السجع الذى كان يقيد الكاتب ، والتزام أسلوب عصرى الى حد ما .

وكان ميخائيل شاروبيم ومن نحوا نحوه : كمحمود الفلكى وأحمد كمال وغيرهم يمثلون ثقافة عصرهم ـ القرن التاسع عشر ـ وهو عصر التنوير بكل أدواته وأفكاره[1] .

ومادمنا بعصر التنوير وإفرازاته الأدبية والعلمية ، فعلينا أن نذكر المناخ الذى عاشه هذا المؤلف ، فنقول إن ميخائيل شاروبيم أحد خريجى مدرسة الأقباط بحاره السقايين ، حيث كان سكنه وسكن عيون الأقباط أنذاك ، وهذه المدرسة

---

(١) يونان لبيب رزق (دكتور) : رقيب على أحداث مصر ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ، ص ٧ ، ٨ .

كانت إحدى المؤسسات العلمية للبابا كيرلس الرابع الذى لقب «بأبى الإصلاح» ، ثم انتقل إلى مدرسة الأقباط الكبرى الملحقة بالكاتدرائية المرقسية بكلوت بك[١] ، كانت هذه المدرسة تعنى باللغات القديمة كالقبطية واليونانية ، والحديثة كالانجليزية والفرنسية وغيرها ، فكان ضليعا فيها .

ومن عجب أنه وهو فى سن صغيرة عين فى قلم التحريرات الافرنجية بنظارة المالية ! ، ثم نراه يتنقل بسرعة - حتى يصل الى وظيفة قاضٍ بمحكمة المنصورة الأهلية عام ١٨٨٤ ، ثم رئيسا للنيابة بعد ذلك ، كما هو مدون على غلاف هذا الكتاب ، وينتهى فى عام ١٨٩٩ الى نظارة المالية ، ناظراً لإدارة الأملاك الميرى الحرة (الدومين) وتقاعد عام ١٩٠٣ حيث بدأ هوايته فى جمع التاريخ وكتابته[٢] .

ومن ناحية أخرى كان ميخائيل بك شاروبيم فى نفس الوقت أحد أعمدة الاصلاح القبطى ، فكان لفترة ما رئيسا «لجمعية التوفيق القبطية» ، كما شارك مع عيون الأقباط فى الصالونات الأدبية والتاريخية فى نهاية القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين مثل : برسوم بك روفيلة(القاضى) والذى أسس مدرستين فى الفيوم ويعقوب نخلة روفيلة الذى ألف(جمع) كتاب «تاريخ الأمة القبطية» ، كما جاهد شاروبيم لإنشاء المجلس الملّى القبطى مع بطرس غالى باشا ، وهنا ألف كتابه الموسوعى (الكافى) والذى نحن بصدد الجزء الثالث منه[٣] الى جانب أعمال تاريخية أخرى مثل تحقيق ونشر مخطوطة بعنوان «التليد فى مذهب أهل التوحيد» لحمزة بن على ، وهى رسالة فى مذهب الإسماعيلية .

---

(١) تفصيلا لهذا ، يرجع الى مقدمة الجزء الخامس من الكافى بقلم الدكتور عبد الوهاب بكر(محقق) وكذلك مقدمة كتاب رقيب على أحداث مصر . .

(٢) جاك كرايس چونيور : كتابة التاريخ فى مصر فى القرن التاسع عشر ، دراسة فى التحول الوطنى ، ترجمة د . عبد الوهاب بكر ، القاهرة ١٩٩٣ ص١٨٤ .

(٣) رسالة مارمينا ١٤ ، الاسكندرية ١٩٩٣ ص ص٥٤٧ ، ٥٥٣ .

والكتاب الذى نحن بصدده ـ الجزء الثالث من الكافى ـ يتكون من ثلاث مقالات– حسب تقسيمه –السابعة والثامنة والتاسعة باعتبار السوابق فى الجزئين الاول والثانى ، وقد قسم المقالة التاسعة إلى واحد وعشرين فصلا ، وبدأ بعد هذا لايعين الفصول بالأرقام وإنما بالعناوين ، وقسم كل فصل الى مطالب كان آخرها «ولاية محمد على باشا على جدة . . .» .

ونلاحظ ان المقالة السابعة التى بدأ بها هذا الجزء خصها بموضوع واحد بعنوان «من هم الترك ونسبهم وفيمن تفرع عنهم من الممالك والأمم . .» وهو موضوع صغير فى صفحات معدودات والثامنة معها مطلب وفصل .

ويدور الكتاب حول الاتراك ، من أين أتوا وإلام انتهوا وكيف أصبحوا العثمانيين ، وقد عنى بربط تاريخهم العام فى آسيا واوربا بوجودهم فى مصر ـ موضوع الكتاب ـ فهو يعرض لتاريخ العثمانيين هناك ، وفى نفس الوقت كيف وصلوا الى مصر ، وكيف عالجوا أمورهم فيها : سياسياً واقتصادياً وإدارياً ودينياً ، عرض للولاة الأتراك منذ دخولهم القاهرة ولقاء الشعب وقياداته بهم ، وسياسة كل منهم ، ورد فعلها على المصريين بشكل يكاد يكون مفصلاً حتى انتهاء ولايتهم .

وبذلك فإن المساحة التى تحرك فيها شاروبيم فى هذا الكتاب مساحة كبيرة منذ تحرك جماعات الترك الأولى من شرق ووسط آسيا فى العصور الوسطى حتى عام ١٨٠٥ ، ولاية محمد على على مصر ، مما استغرق منه جهدا كبيراً ، كان أثناءه حريصا على الإسناد ، وهو إسناد تراوح بين النقل بالنص بالأسلوب والهجاء القديم ، حتى كاد أسلوبه يكون أسلوب الكاتب الأصلى ، فلم يذهب بالأمر أبعد مما يلزم تجنبًا للمسئولية واحتماء وراء الكاتب الأصلى ، وبذلك يكون محايداً حياداً مطلقاً ، وبين أن يسند لنفسه عندما يقول «أقول» أو «قلت» .

وهو فى هذا ينسب الى كتّاب قد يذكر اسماءهم ولا يذكر اسماء كتبهم مما حيرنا معه ، ومنها ما ذكر اسم المرجع فقط فحاولنا البحث عنه وأثبتناه فى الهوامش كالمقريزى والجبرتى ، حين كان يكتب «يقول صاحب «عجائب الآثار»» أما الباقى فكان يقول« كتب كتاب الأخبار» أو «قال أصحاب التاريخ» أو «قال الراوى» دون إشارة لهذا الكاتب أو ذاك الراوى أو الأصل الذى نقل عنه الخبر .

وأحيانا نقل النصوص كاملة حتى «الزايرجات» (استعمال الأرقام فى الدلالة على الأخبار وقراءة المستقبل) كما استعمل الالفاظ القديمة التى لم تعد مستعملة ، وقد أثبتناها كما هى إعمالا للأمانة فى النقل .

ومن جانبنا فقد حرصنا على عرض جهده فى الكتابة دون تدخل كى يعيش معه القارئ فيما كتبه . مع ملاحظة أنه لم يستعمل علامات الوقف ، وأنه استعمل الأسلوب القديم مع الهجاء القديم فى الكتابة كما سيرى القارئ .

وإن كانت لنا ملاحظات علمية تاريخية على بعض ما كتب للتصحيح أو التوضيح أو الرأى فقد اثبتناها فى الهوامش والحواشى .

إلا أن الكتاب رغم الملاحظات جهد كبير إحتاج إلى نفس طويل من كاتب خدمته ظروف وجوده قريبا من أماكن البحث ، واتصاله بالصالونات الأدبية والتاريخية المختلفة ، والمناقشات بين من ذكرناهم فى كتابة تاريخ مصر .

وفى هذا اقدر تعاون السيدتين آمال الفيومى وليلى بليغ الشواربى حيث شاركت الأولى بتحقيق الصفحات من ١٢٠ ـ ١٤١ ، ٣٤٢ ـ ٣٧١ ، ٤٠٧ ـ ٤٣٢ أما السيدة ليلى الشواربى فالصفحات ١٤٢ ـ ١٥٩ ، ٤٣٤ ـ ٤٩٥ .

وإذ أقدم هذا الجهد من تأليف وتحقيق وتعليق أرجو أن يسد جانباً من تاريخ مصر العثمانية ، التى مازالت مكتبتنا العربية فى حاجة إلى دعم المؤرخين له .

والله المستعان

دكتور

يواقيم رزق مرقص

القاهرة فى ٢٠٠٤

## الجزء الثالث

## (المقالة السابعة)

(فيمن هم الترك وفى نسبهم وفيمن تفرع عنهم من الممالك والامم الى ظهور ملوك آل عثمان) .

اعلم أن الترك أمة من أقدم الأمم وأعظمها وقد اجتمعت كلمة أكثر المؤرخين من عرب وأعجام[1] على أنهم من ولد يافت بن نوح وأبوهم ترك هو الذى سماه هيرودتس المؤرخ باسم ترجيشاوس وجاء فى التوراة باسم توجرما[2] .

قال ابن الاثير والترك من ولد تيرش أو طيراش بن يافث وقيل أيضا أن ترك هذا انما هو من ولد طوج بن أفريدون ينتهى الى جومرت أو كيومرت ويرجع الى تيرش بن يافث ابن نوح قال . قال ابن خلدون وينسبهم العرب الى غامور[3] بن سويل بن يافث وهو غلط لان غامور مصحف من كومر أو جومر فأبدل العرب الكاف غينا فصارت غامور وجومر هذا من ولد توجرما وقال مؤرخو التتر المغول بل هم من ولد تتر ومغول وهما أخوان من نسل ترك ابن يافث وهم لايقصدون بذلك الا اعلاء شرف عائلتهم اهـ . وقد ذكر هيرودتس المؤرخ وبلنيوس[4] وبمبيونيوس[5]

---

(١) صحتها اعاجم وهم الذين ليست لهم أصول عربية .

(٢) توجرما : توجرمه وهو من أحفاد النبى نوح وابوه هو جومر بن يافت (سفر التكوين اصحاح ١٠ : ٣) .

(٣) غامور بن سويل ، وصحة اسمه كما ورد فى سفر التكوين جومر بن يافت بن نوح ، سفر التكوين ١٠ : ٢ .

(٤) المؤرخ بلنيوس ، هو بلينى الأكبر C.Plinius Secnondus (٢٣م - ٧٩م) وكان مقرباً من الامبراطور فسبسيان ، وقد عين قائدا لبعض وحدات الاسطول ، وكان عالما موسوعيا تناول فى مؤلفاته التى ضاعت ، العلوم العسكرية والتاريخ والتعليم واللغة ولم يبق منها سوى موسوعة التاريخ الطبيعى Naturalis Historiae التى تقع فى ٣٧ كتابا وتبحث فى علوم كالجغرافيا والأجناس والسلالات البشرية حيث تحتوى الموسوعة على ٢٠,٠٠٠ مادة (د . عبد اللطيف أحمد على «مصادر التاريخ الرومانى» ١٩٦٤ ص٢٨) .

(٥) بمبيونيوس ، بمبيوس تروجوس Pompeius Trogus عاش فى عصر اغسطس (٢٧ ق م - ١٤م) كتب تاريخ العالم فى ٤٤ كتابا بعنوان التاريخ الفيليبى Historiae Phlippicae بدءاً بتاريخ الشرق القديم وتاريخ الاغريق ثم تاريخ مقدونيا والممالك الهللينستية حتى سقوطها على أيدى الرومان ، ثم تاريخ بارثيا حتى سنة ٢٠م وروما الملكية وتاريخ غالة وأسبانيا حتى حملة أغسطس وانتصاره فيها ، ولعله=

ميلا اسم الترك قديما وذكروا أيضا فى مواضع أخر باسم توغريوس فصحّفه الكتّاب وأهل النقل إلى أمورغيوس ويقال ان بلنيوس سماهم أيضا ترسى وسماهم بمبيونيوس باسم برسى وكان البزانطيون [1] أى الروم المشارقة يسمونهم باسم فرس أو انغرد يعنى المجر قال بعض الكتاب مع أنه لم يكن بين الترك والفرس قرابة ولا بين الفرس والمجر . قال العلامة البستانى صاحب دائرة المعارف ما محصله وقد خرجت من جبال التابى قبائل تركية وتفرقت فى أنحاء آسية العليا التى هى الآن تركستان فسماها الصينيون باسم توكو كما سمى الفرس بلاد تركستان باسم توران فكان لفظ ترك أوتورانية اسما جنسيا للقبائل المتوحشة وصارت كلمة توران عند جماعة اليونان بلفظ تيران ومعناها طاغية أو عات ا هـ . وقد ورد فى بعض الروايات أن أغورخان بن قراخان هو الذى أسس بفتوحاته وشرائعه دولة الترك وشيد ركن تمدنها وأن أوغورخان هذا كان معاصراً للخليل ابراهيم عليه السلام وانه ترك عبادة الأصنام ولاذالى عبادة أصح منها ثم ركب على أخيه فقاتله قتالا دينيا ومازالت الحرب قائمة بينهما زهاء سبعين سنة وهو يقاتل أخاه حتى ظفر به وهزمه شر هزيمة فخضع له حينئذ سائر تركستان وهو القسم الممتدّ من ارتلاز وسيرام[2] الى بخارى وخلف أو غورخان هذا ستة بنين فلما مات اقتسموا المملكة بينهم وكان لكل واحد منهم أربعة أولاد فكانوا آباء أربع وعشرين قبيلة تركية فسكن منهم ثلاثة فى تركستان ولم يلبثوا أن اكتسحوا كل البلاد الواقعة بين جيحون وسيحون وتقدموا نحو جنا القلعة والطونة وعاثوا وأفسدوا فكانوا يلقبون بالمدمرين قال بعض الكتاب وقد سمى بعضهم هذه

---

= اعتمد فى كتابة هذا التاريخ على تيما جنيس الاسكندرى الذى عاصر اغسطس أو على طائفة من المؤرخين اليونان القدماء وقد ضاعت للأسف كتبه ولم تصلنا الا على شكل ملخص ضمن مؤلفات المؤرخ جوستينوس فى القرن الثالث الميلادى وفقرات عند كتاب اخرين (د . عبد اللطيف أحمد على : مصادر التاريخ الرومانى ١٩٦٤ ص٢٤) .

(١) هم البيزنطيون .

(٢) وهما يقعان شرقى بحر الخزر غربى بخارى كما يتضح من الخرائط .

الامة بالتتار[1] أيضا ولكن التتار فرع منهم وقال آخرون أن من الترك أهم فروع العائلة التورانية وآخرون يقولون أن اسمهم مرادف للتورانية وزعم بعضهم أنهم من الامة الايرانية مع أن المتأخرين تحققوا أن لااتصال لهم بهذه الأمة البتة وكان أوّل ظهورهم فى آسية الشمالية والوسطى بين رعاة الطونة والتتر الذين أكثروا من شن الغارة على الصينيين عدة قرون قبل الميلاد المسيحى وبعده وفى القرن السادس ظهرت طائفة منهم أيضا فى آسية وأصلها على مايقال من البلاد المسماة

---

(١) التتار : أو المغول ، قبائل اسيوية تم توحيدها تحت زعامة جنكيز خان فى اوائل القرن ١٣ للميلاد ، ومن ثم غدت قوة رهيبة لم تكتف بالسيطرة على اجزاء واسعة من الصين وإنما اخذت تتوسع غربا نحو شرق أوربا من جهة وغرب آسيا والشرق الادنى من جهة أخرى ، وكان أن اهتز العالم الاسلامى كله عندما اجتاحوا العراق ودمروا بغداد وقتلوا اخر الخلفاء العباسيين بها وهو الخليفة المستعصم سنه ١٢٥٨م .

وفى الوقت الذى اجتاح التتار العراق كان الخلاف شديدا بين دولة المماليك الوليدة فى مصر وملوك بنى ايوب الذين حكموا الشام ، والذين عز عليهم استئثار المماليك بحكم مصر ، وعندما أحس الايوبيون فى الشام بأن دورهم قد حل ، وان الخطوة التالية امام كتلة تتار فارس والعراق بزعامة هولاكو هى اجتياح الشام ، اسقط فى ايدى ملوك بنى ايوب فى الشام فأسرع بعضهم الى استرضاء التتار عن طريق اظهار الولاء لهم وتركوا رعاياهم يلقون مصيرهم على أيديهم فدخل هولاكو الشام ووصل حلب سنة ١٢٦٠م وقتل واهلك اهلها ثم سقطت دمشق فى يده ثم وصل جنوبا الى غزة ليأتى دور مصر فهبت مصر فى وجههم بزعامة قطز بعد أن قتل رسل هولاكو الأربعة الذين جاءوا ليهددوه كعادتهم . فهزم المصريون التتار عند غزة ثم عين جالوت فى جنوب فلسطين وكان التتار بقيادة كتبغا بعد أن انسحب هولاكو الى الخلف فى آسيا بعد وفاة جنكيز خان خاقان التتار الأعظم ، ثم تبعهم المماليك بعد ذلك فى انسحابهم الى ماوراء الفرات ، ولم يرض المماليك عقد صلح معهم أخذاً بثأر من قتل من المسلمين على ايديهم وظلوا كذلك إلى أن ضعفت روح التتار العسكرية ودخل معظمهم الاسلام فى القرن ١٤م وأخيراً عقد صلح بينهم وبين المماليك فى مصر عام ١٣٢٠م ، وهكذا انتهت الجولة الأولى مع التتار وأن كانت قد قامت أخرى فى القرن ١٤ على يد تيمورلنك الذى انطلق من سمرقند ليستولى على بلاد ماوراء النهر وخراسان وطبرستان ، حتى استولى على بغداد وضربها ١٣٩٣م وجاء دور مماليك مصر ، فنجد أنه بعد عودة تيمورلنك من الهند ليجتاح الشام ويخرب حلب سنة ١٤٠٠ ثم دمشق ، احس تيمورلنك بخطر العثمانيين الناشئين وانه أشد من خطر المماليك فعقد صلحا مع السلطان برقوق عام ١٤٠١م غادر بعده الشام ليهزم السلطان بايزيد العثمانى فى موقعه انقرة ١٤٠٢ ومات تيمورلنك بعدها فى سمرقند ١٤٠٥م ، أما الأتراك العثمانيون فهم قبيلة تركمانية من الغز عاشوا فى بداية القرن ١٣ فى خراسان واضطروا إلى تركها إلى الغرب حوالى عام ١٢٢٠ تحت ضغط المغول فوصلوا آسيا الصغرى .

● هيئة الاستعلامات : الموسوعة المصرية : «تاريخ وآثار مصر الاسلامية» القاهرة ١٩٧٧ ص ص٨٢٢ ، ٨٢٣) .

● سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) : أوربا العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦١ ، ص٦٧٦ .

الآن تركستان فوطئت بساط السلام آونة ثم عادت فجدّدت حروبها مع أهل الصين شرقا وأهل فارس جنوبا ولما كانوا كلهم أخلاطا مؤلفين من لفيف قبائل متباينة فى الاخلاق والعادات ميالة بالطبع الى الغزو والغارات جافية متوحشة لم تتفق لهم كلمة وانفصمت عروة اتحادهم فتفرقوا فى تلك الانحاء الواسعة واستوطنوها على ما هم عليه من الخشونة فكان ذلك داعيا لضعفهم ولما كانت سنة أربع وأربعين وسبعمائة للميلاد المسيحى استظهرت على مملكتهم أمة منهم يقال لهم الويغور قال بعض أهل التحقيق وهم أول قبيلة تركية استعملت لغة مكتتبة وكانوا أوّلا بوزيين[1] تمجسوا[2] على مذهب زرادشت[3] ثم أسلموا فى القرن التاسع والعاشر . هذا ما كان من أمرهم فى الشرق . أما ما كان من أمرهم فى الغرب فانهم فى أواسط القرن التاسع انحطوا وتضعضعوا وسادت عليهم طائفة

(١) البوذية : نظام فلسفى اخلاقى دينى ، اسسه بوذا (معناه المتنور) ٥٦٣ - ٤٨٣ ق . م ، وللبوذية صلة بالبراهمية ، ولكنها تعنى انكار الذات وضبط العواطف ، وهناك حقائق اعلنها بوذا وهى : الوجود ألم مبعثه الرغبة أو الشهوة ، ويزول الألم إذا توقفت الرغبة ، وللتخلص منها يجب اتباع طريق رسمته البوذية ويتكون من ثمانى نقاط ، تتوجه كلها إلى الصحة . والصواب فى العقيدة والفرعية والمسالمة والكلام والسلوك والحياة العامة وبذل المجهود والتأمل أو التعقل . وتهدف البوذية فى النهاية الى تخليص الانسان من الوجود المقيد والوصول الى الفناء (النرفانا) ، وقد نشأت فرق وحركات بوذية منها الزن الذى نما وقوى فى اليابان .

●للمزيد عن هذا الموضوع يرجع إلى عبد العزيز محمد التركى : قصة بوذا ، مؤسسة المطبوعات الحديث ، د . ت .

(٢) ورد فى المصباح المنير مادة «مجس» صار من المجوس ، وهى هنا بمعنى انهم اصبحوا على هذا المذهب .

●المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير ، تأليف أحمد بن محمد المقرى الفيومى ط ٦ ، ١٩٢٥ ص٧٧٥ .

(٣) الزرادشتية : ديانه ثنائية ايرانية قديمة ، تحوم الاساطير حول مؤسسها زراد شت (القرن ٧ ، ٦ ق .م) والفكرة الاساسية فى هذا المذهب هى استمرار الصراع بين مبدأين متناقضين ، مبدأ الخير الشخصى فى إله النور ومبدأ الشر الشخصى فى إله الظلمة ويسمى الاله الاول أهورا مزدا ويسمى الثانى اهرمن ، ويلخص هذا الصراع الفلسفة الزرادشتية للكون ، وتسلم الزرادشتية بالبعث والحساب والعقاب ، كما تؤمن بظهور مخلص يولد من عذراء ينصر اعوان الخير وبذلك يسود الى الأبد ، وتوجد الزرادشتية الآن فى الهند فى صورة فارسية محتفظة ببعض عناصر الثنائية مع الاتجاه الى مايدنو من فكرة التوحيد وكتابها القدسى هو الزند افيستا (موسوعة الشعب : ص ،ص ٢٤٠ ، ٥١٢ ، عبد العزيز محمد التركى : قصة بوذا . المرجع السابق : . د . ت) .

القرغيز(١) وهى طائفة منهم وقيل بل هى من التتر فلما ظهر جنكيزخان(٢) الذى كان على يديه انحطاط دولتهم فى آسية الوسطى أيضا واذلالها وصارت من هذا الحين سائر الدول القائمة بتلك الانحاء وفى جهة العراق وماوراءها أيضا من الممالك الاسلامية تترية بعد أن كانت تركية بيد السلاجقة(٣) وغيرهم ومازالوا على هذه الحال الى موت تيمورلنك(٤) فظهروا فى ممالكه واستولوا على أرمينية

(١) القرغيز (طائفة) : سكنوا سهول قرغيز بين تركستان وبلاد ماوراء نهر سيحون ، وكانوا من الاتراك الغز ، ودخلوا الاسلام متأخرين وقت أن كان العالم الاسلامى فى طريقه للتفكك نظرا لاشتداد الخلافات السياسية والمذهبية بين الدويلات التى انقسم إليها . د . سعيد عاشور : اوربا العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ، ص٤٤٠ ، ٤٤١ .

(٢) جنكيز خان : (١١٦٧ ـ ١٢٢٧) ، وهو فاتح مغولى إسمه الأصلى تيموجين ، خلف أباه يقوصاى رئيسا للتحالف المغولى ، اتخذ لقبه بعد إتمام فتح منغوليا وتأسيس عاصمة لها فيها فى قرقوم ، وقد فتح (١٢١٨ ـ ١٢٢٤) تركستان وبلاد ماوراء النهر وافغانستان ، وأغار على فارس والدول الواقعة جنوب روسيا ، ومات اثناء حربه ضد الشاه ، وقسمت مملكته بين أولاده الثلاثة ، وعرفت حروبه بالمذابح الرهيبة ، ولكنه كان حاكما بارعا ، وظلت امبراطوريته قائمة حتى عام ١٣٦٨ ، وتولاها تيمورلنك .
● (الموسوعة العربية الميسرة ، القاهرة ١٩٦٥ ص٦٥٠) .
● سعيد عاشور (دكتور) : المرجع السابق ، ص٦٤٠ .

(٣) السلاجقة فرع من الاتراك الغز الذين ظلوا على بساطتهم الأولى دون أن تفسدهم حياة الترف والمدنيه ، اعتنقوا الاسلام فى وقت متأخر ولكن كان حماسهم له مصدر قوة للعالم الاسلامى ، الذى كان قد اصابه التفكك والخلافات السياسية والمذهبية بين الدويلات التى انقسم اليها ، وتذكر المراجع أن جدهم الأول اسمه (تقاق) والدسلجوق الذى دخل خدمة خان التركستان حوالى سنة ١٠٠٠م ثم نزح سلجون بعد ذلك ومعه قومه من سهول قرغيز الى بلاد ماوراء نهر سيحون حيث استقروا قرب بخارى حيث اعتنق سلجوق الاسلام وتبعه قومه ، وبعد نمو قوتهم اغاروا على حدود ايران الشمالية والشرقية حيث استولوا على خراسان ، ثم غزوا ايران قرب منتصف القرن الحادى عشر ، ومن ثم بدأوا يتوجهون الى بلاد مابين النهرين ، وكان من اهم ملوكهم طغرل والب ارسلان وملكشاه .
● (د . سعيد عبد الفتاح عاشور : اوربا العصور الوسطى ط٢ ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ص ٤٤٠ ، ٤٤١ .
● اوليا جلبى : سياحتنامه مصر ، ترجمه محمد على عونى وتحقيق عبد الوهاب عزام (د) ، احمد السعيد سليمان القاهرة ٢٠٠٣ .

(٤) تيمورلنك : كان ينتمى الى بيت من اشراف التتار ، ولد فى مدينة سمرقند ، حيث كانت قاعدة لأعماله التوسعية فاستولى على بلاد ماوراء النهر وخراسان وطبرستان حتى استولى على تبريز عام ١٣٨٦ ومالبث أن وصل الى بغداد ١٣٩٣ وضربها وقتل معظم أهلها مما جعل الصدام بينه وبين المماليك ضرورة أيام السلطان برقوق ، وقد هزم تيمورلنك المماليك فى الشام واقتحم حلب ١٤٠٠م ولما خرج إليه المماليك مرة أخرى بقيادة فرج الصغير هزموا قرب دمشق فى اخر عام ١٤٠٠م ، فرضى فرج بالصلح معه عام ١٤٠١ .
كما هزم تيمورلنك السلطان بايزيد العثمانى فى موقعة انقرة عام ١٤٠٢ ، وتوفى تيمورلنك فى سمرقند عام ١٤٠٥م وتمزقت دولته من بعده .
●د . سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٦٥ ص ص١٥٨ ــ ١٦١ ، أوربا العصور الوسطى : مرجع سابق ص ص٦٦٠-٦٦١ .

ومابين النهرين ولبثوا هكذا الى أواسط القرن السادس عشر للميلاد حتى قام عليهم الصوفيه وطردوهم وظهرت فى تلك الايام الازبكية وهى أمة يقال انها بقايا الويغور كانت نازلة فى جنوبى تركستان الصينية تحت جبال تيان شان فاستولت على تركستان الشرقية وما جاورها من المدن والبلدان الى حدود الفرات ولم يمض عليها قرن أو بعض قرن حتى استظهرت عليها أمة أخرى تركية تعرف بالتركمان . قال أصحاب التاريخ وليس للترك بقية مهمة الآن إلا الازبكية والتركمان المقيمون الآن فى مواطنهم القديمة .

واعلم أن أشهر الدول التركية التى ملكت ببلاد الاسلام والروم مما وراء النهر وخراسان هم بنوساسان[(١)] وقد ملكوا زهاء مائة وسبعين سنة وكان انقراضهم فى سنة تسعين[(٢)] وثلاثمائة للهجرة وبنو سبكتكين[(٣)] وهم المعروفون بالدولة الغزنوية لاتخاذهم مدينة غزنة قاعدة لمملكتهم وقد ملكوا بلاد السامانية وكانت مدة ملكهم مائة واثنتين وسبعين سنة ثم انقرضوا فى سنة تسع[(٤)] وعشرين وأربعمائة للهجرة ثم نشأت الدولة السلجوقية فكانت مدة ملكهم مائة وأربعين سنة ابتداؤها من سنة تسع وثمانين[(٥)] وخمسمائة للهجرة وهى أعظم دولهم وأوسعها

---

(١) بنو ساسان : حكموا فارس قبل وأبان ظهور الدولة العربية الاسلامية وكان أكبر ملوكهم كسرى الأول انو شروان (٥٣١ ـ ٥٧٩) ، وكانوا من القوة بحيث كان الرومان يسترضونهم بالمال كما فعل جستنيان ، وقد بدأ جستنيان بحرب ضدهم (٥٢٧ ـ ٥٣٢) انتهى بصلح سريع بين الطرفين ، وظلوا أقوياء إلى أن انتصر العرب عليهم فى عام ٦٤١ فى معركة نهاوند مما فتح أمامهم الباب لاحتلال فارس كلها .
د . سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى المرجع السابق ص ، ص ٩٦ ، ٩٧ ، ١٢٨ .

(٢) ٣٩٠ هـ = ٩٩٩م

(٣) سبكتكين : نسبة الى محمود بن سبكتكين الغزنوى (٣٦١ ـ ٤٢١هـ) ولد وعاش ومات بغزنة ، اتسع ملكه من أقاصى الهند الى نيسابور ، وكان تركى الاصل ، فصيحا بليغا ، يجالس العلماء ويكرمهم ، أقام الدولة الغزنوية عام ٣٨٩ هـ وظلت حتى قضى عليها الخوارزميون عام ٦٠٩هـ ( ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص٨٤ ، القاهرة ١٩٣٨ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ القاهرة ١٣٠٣هـ جـ ٩ ص ١٣٩) .

(٤) ٤٢٩هـ = ١٠٣٧م / ١٠٣٨م .

(٥) ٥٨٩هـ = ١١٩٢م/١١٩٣م .

كلمة ثم تفرع منها عدة دول أخرى منها الدولة الخوارزمية[١] التى قام على رأسها خوارزم شاه وهذه قد ملكت ماوراء النهر بعد السلاجقة وكانت مدة ملكها مائة وثمانيا وثلاثين سنةوانتهاؤها سنة ثمان وعشرين وستمائة للهجرة وقد ملك حلب والشام فرع من هذه الدولة أيضا يعرف بدولة تتش بن الب ارسلان وكان أوّلهم أتسز بن أبق ملك حوالى سنة أربعمائة وثمان وستين ومازالوا الى أن انقرضوا على يدى تمرتاش بن ايلغازى سنة ست عشرة وخمسمائة ومنهم أيضابنو أرتق ملوك ماردين وديار بكر وأولهم أرتق بن أكسب ولكنهم لم يلبثوا أن انقرضوا على يدى هولاكو[٢] سنة سبعين[٣] وسبعمائة للهجرة ومنهم الاتابكية ملوك حلب والشام وأولهم قسيم الدولة آق سنقر مملوك السلطان ملكشاه تولى الملك فى صدر سنة اثنتين وثمانين[٤] وستمائة للهجرة ومنهم دولة بنى طغتكين بالشام وأولهم طغتكين أحد رجال تتش ابن ألب ارسلان ملك فى القرن الخامس ثم انقرض ملكهم بعد أواسط القرن السادس ومنهم فرع آخر ملك فى

---

(١) الدولة الخوارزمية : خوارزم منطقة حول نهر جيحون ، وأهلها من الترك لهم طباع البربر ، وقد قامت بها الدولة الخوارزمية عام ٤٩٠ هـ على يد أنوشتكين الذى تولى إقليم خوارزم من قبل السلاجقة ، ثم استقل به ، وتوسع فيه خلفاؤه من بعده وظلت حتى سقطت على يد المغول أيام السلطان جلال الدين عام ٦٢٨هـ .

● (د . عفاف صبرة : التاريخ السياسى للدولة الخوارزمية ، القاهرة ١٩٨٧ص ، ص ٣٥ ، ٢٦٨) .

(٢) هولاكوخان (١٢١٧ ــ ١٢٦٥) ، فاتح مغولى حفيد چنكيزخان ، تولى إخماد الثورة فى فارس ، وأعلن صغار أمراء الفرس ولاءهم له وقتل زعيمهم ركن الدين وسقطت بغداد فى يده سنه ١٢٥٨م بعد مفاوضات مع الخليفة العباسى المستعصم بالله ، فقتله وعدداً كبيراً من رجاله ، وواصل زحفه إلى الشام سنة ١٢٦٠م ففتح حلب وذبح عددا كبيرا من سكانها ، إلا أن الفضل يرجع إلى المماليك فى وقف زحف المغول لباقى بلاد الشرق ، فقد رفضوا الاستسلام لتهديدات هولاكو ، وزحف المماليك بقيادة السلطان قطز ، والحقوا بالمغول الهزيمة فى معركة عين جالوت ١٢٦٠م ، استسلم هولاكو بعد الهزيمة وانسحب شرقا وقسمت مملكته الى خمسة أقسام .

(الموسوعة العربية الميسره القاهرة ١٩٦٥ ص ١٩١٨) .

(٣) ٧٧٠ هـ = ١٣٦٨م ، وهذا التاريخ محل شك لان المماليك اوقفوا زحف هولاكو على الشام فى معركة عين جالوت ١٢٦٠م (سعيد عاشور ، اوربا العصور الوسطى ص ٦٤٢) .

(٤) ٦٨٢ هـ = ١٢٨٣م .

بلاد الروم وأولهم قطلمش تولى الملك فى أواسط القرن الخامس ثم انقرضوا بظهور الدولة العثمانية وذلك حوالى سنة تسع[١] وتسعين وستمائة للهجرة أى سنة تسع وتسعين ومائتين وألف ميلادية .

(١) ٦٩٩ هـ = ١٢٩٩م .

## (المقالة الثامنة)

(فى تأسيس الدولة العثمانية وفى ظهور ملوكها الى مجئ السلطان سليم الى ديار مصر، واستخلاصها من أيدى المماليك الشراكسة المعروفين بدولة المماليك الثانية)

قد علمت مما تقدم كيف اجتمعت كلمة بعض أصحاب التاريخ على أن ترك الذى هو جد الاتراك هو من ولد يافث بن نوح عليه السلام ثم هم يقولون أيضا بأن أوغز بن قراخان الذى هو من ولد ترك هذا كان ملكا جليل القدر عظيم الشوكة تسلط على بعض البلاد فى أيام الخليل ابراهيم عليه السلام وتصرف فيها فكانت تركستان التى هى توران داخلة تحت سلطانه قالوا وانقسمت مملكة أوغز هذا بعد موته الى خانيات[1] منها ثلاثة ويقال لها الاسهم الثلاثة فاختصت بالاوغز الشرقى الى حدود الصين ثم ثلاثة أخرى ويقال لها الحاطمة احداها خانية الجبال والثانية خانية البحر والثالثة خانية السماء أو خانية القبة الزرقاء ومن هذه الخانية نشأ سبط كابى الذى جاء منه آل عثمان فلما كانت سنة خمسمائة للهجرة أى سنة ست ومائة وألف للميلاد شبت نيران الحروب بين أسباط تلك الخانيات واشتدت وعلا لهيبها فأبادت لفيفهم أوكادت ومزقت من بقى منهم كل ممزق فسار أحد أولاد كابى المذكور الى ماهان[2] واستوطنها فاجتمع حوله بعض بقايا تلك الأسباط وخضعوا لكلمته ولبث ماشاء اللّه ثم مات عن عدة بنين منهم كابى ألب وكان عظيما مهيبا ثم مات كابى ألب المذكور عن ابن اسمه سليمان وكان سليمان هذا مغازيا حسن التدبير مهيبا

(١) الخانيات جمع خانية وهى إحدى الأقسام الادارية .

(٢) ماهان : منطقة فى شرق أسيا الصغرى تقع الى الشرق منها ارمينيا والموصل وجنوبها ماردين ومرج دابق وغربها اسيا الصغرى وشمالها طرابيزون على البحر الاسود .

● (أحمد بن محمد الحموى : فضائل سلاطين بنى عثمان ، تحقيق د . محسن محمد ، حسن سليم ، القاهرة ١٩٩٣ ، ص٩٥ .

مطاع الكلمة فلما كان حوالى سنة احدى وعشرين[١] وستمائة للهجرة أى حوالى الجيل الثالث عشر للميلاد قدم جنكيز خان سلطان المغل[٢] فى عسكر جراد ونزل على خراسان وضيق عليها حتى أخضعها فلم يطق سليمان شاه ابن كابى ألب المذكور الصبر على ذلك وكان مقيما بماهان كما تقدم فرحل عنها على رأس خمسين ألفا من قومه الى أرزنجان وخلاط من بلاد الارمن ولبث مهاجرا سبع سنين حتى طرق السلاجقة الغز[٣] خراسان وخوارزم وفتحوها فلما علم بذلك قفل بمن كان معه الى بلده فبينما هو يجتاز الفرات عند جعير إذ غرق فحزن عليه قومه وبنوا له قبرا يقال انه باق إلى يومنا هذا يعرف بترك مزارى وخلف سليمان شاه المذكور أربعة بنين وهم سغور زنكى وكونطغدى وارطغريل ومعناه المستقيم وكوندز فانقسموا مع من كان معهم من القوم بعد دفن سليمان شاه وافترقت كلمتهم فمنهم من شاء العود الى الوطن ومنهم من فضل الغربة والنزول على بعض الجهات الغربية وهؤلاء قد انضم اليهم الأمير أرطغريل والامير كوندز وكانوا زهاء أربعمائة عشيرة فيها أربعمائة وأربعة وأربعون فارسا مدججين بالسلاح فساروا فى طريقهم قاصدين الجهات الغربية وبينما هم على هذا الحال اذ رأوا فى طريقهم جيشين يقتتلان قتالا عنيفا وكان أحدهما قليل العدد والعدد وكان هذا الجيش الضعيف للسلطان علاء الدين السلجوقى من ولد ملكشاه بن قلج أرسلان والثانى من المغل الذين هم أعداء للترك فمال الامير ارطغريل بقومه الى معاونة جيش السلطان علاء الذين وانضم اليه فاشتد القتال بين الفريقين شدة بالغة ومازالوا يقاتلون حتى دارت الدائرة على المغل وتم النصر للسلاجقة

---

(١) ٦٢١ هـ = ١٢٢٤م .

(٢) يقصد المغول .

(٣) الغز يقصد بهم الاتراك أو السلطة التركية بصفة عامة وأصل هذه الكلمة أو غوز Ogus وتعنى فرعا من القبائل التركية التى هاجرت من أواسط آسيا واتجهت فى رحلاتها إلى آسيا الصغرى( الاناضول ـ ايران -العراق) وتعتبر القبائل التى انحدر منها العثمانيون فرعا من هذه القبيلة ، ولغويا تحولت الكلمة مع الاستعمال الدارج الى (غز) بضم الغين ، واصبحت تعنى اصطلاحيا ، الطبقة الحاكمة بصفة عامة (المماليك والاتراك)

● الدرة المصانه تحقيق كيريسيليوس وعبد الوهاب بكر (دكتور) ص٢٧٥ .

وجاء الخبر بذلك الى السلطان علاء الدين ففرح واستدعى إليه الأمير ارطغريل وأحسن لقاءه وأدناه من مجلسه وخلع عليه وعلى أخيه كوندز وأنزلهما وقومهما بمراعى نومانية وأرمينية أو بجبال قراجا طاغ عند أنقرة(١) وأخلص ارطغريل فى خدمة السلطان علاء الدين وبالغ فى طاعته وقاتل معه فى حروبه المتتابعة مع الروم والمغل وأبلى فى كل منها بلاء حسنا فأقطعه أيالة عظيمة(٢) واقعة بين بلاده وبلاد الروم يقال لها سلطانية فنزل فيها بجماعة ممن لاذوا به وأحسن السيرة فى أهلها فعلت كلمته فلما كان حوالى سنة سبعمائة للهجرة أى سنة سبع وتسعين ومائتين وألف ميلادية مات ارطغريل وقيل بل كانت وفاته حوالى سنة تسع وتسعين وسبعمائة للهجرة أى سنة ست وتسعين وثلثمائة وألف ميلادية بعد أن تغلب على قوطاهية(٣) وأخذها من الروم سنة ثمانين وستمائة هجرية أى سنة احدى وثمانين ومائتين وألف ميلادية وفى قول بعض المؤرخين من المتقدمين ومنهم المؤرخ جورجى فرانزس الرومى المولود بمدينة القسطنطينية أن أصل الدولة العثمانية آت عن ملوك الروم بالسلالة وملوك الفرس بالكلالة . قال بعد كلام فلما كانت سنة ثلاثين ومائة وألف ميلادية خرج الامبراطور يوحنا كونيوس(٤) امبراطور الروم ومعه ابن أخيه أوغسطس المدعو يوحنا أيضا لقتال

---

(١) انقرة مدينة قديمة ذكرها امرؤ القيس فى شعره وهى كما يقول ياقوت الحموى بالفتح ثم السكون وكسر القاف وفتح الراء ، وتقع فى قلب البلاد التركية ، ولذا فقد اتخذت عاصمة للبلاد بعد الحرب العالمية الأولى .

● محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، بيروت ١٩٨١ ، تحقيق د . حسان حقى ، ص١٢٩ .

(٢) الإيالة = الولاية

● محمد انيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ١٥١٤ - ١٩١٤ د . ت ص١٣٩ .

(٣) قوطاهية هى كوتاهيه احدى بلاد الاناضول - تركيا حاليا .

(٤) الامبراطور يوحنا كونيوس

هو الامبراطور حنا الثانى كومنين (١١١٨م - ١١٤٣م) ويعتبر من أمهر الاباطرة الذين اعتلوا عرش الامبراطورية ، وتميز بصفات كريمة لقب بسببها بلقب (الطيب) فكان بها محبوبا من رعاياه ، وكانت مدة حكمه بعيدة عن المتاعب والثورات ، دعم حكمه بدفع الخطر عنه من جيرانه فحارب العناصر السلافية والهنغارية على الحدود الغربية فى البلقان ، كما حارب الاتراك السلاجقة والأرمن فى أسيا الصغرى ، كما حاول اصلاح الاحوال المالية والاقتصادية فى دولته (د . سعيد عاشور : اوربا العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ص٦٦٤ ، ٦٦٥) .

الملوك السلجوقيين فقاتلهم أياما حتى تغلب على كثير من قلاعهم وحصونهم وأقام على هذا الحال حتى نفدت الذخيرة أو كادت وعز القوت فى تلك الاصقاع البـاردة ومـات أكـثـر دواب الحـمل والخيل من قلة العلف فخـاف الامـبـراطور شـر العاقبة اذا ظل على هذا الحال وجعل يدبر حيلة للخلاص ورسم بتوزيع مابقى من الخيل على أعظم فرسانه وأشدّهم بأساً وهم من طوائف الروم والايطاليان[١] وجعل يجول بين الصفوف وينتقى منهم من يتوسم فيه سمة الفتوّة والشجاعة فبينما هو على هذا الحال اذ رأى بين الصفوف فارسا من الطليان حسن الشكل أعجبه منظره فنظر الى ابن أخيه أو غسطس وقال له ادفع فرسك الى هذا الشاب ليمتطيه فاستعظم أو غسطس هذا الأمر فشدّد عليه الامبراطور فى ذلك فترجل أوغسطس عن فرسه وهو يتميز غيظا ودفعه الى الشاب وسار من ساعته مغضبا قاصدا ملك العجم[٢] فلما علم ملك العجم بقدومه وماوقع له مع عمه فرح به وأحسن لقاءه وقربه اليه ورفع منزلته فدان أوغسطس بدين الاسلام فزوّجه ملك العجم بابنته وأقطعهما بلادا كثيرة وأجزل عطاءهما وكان أوغسطس هذا شابا جميلا رقيق الشمائل عارفا بعلوم اليونان ولغة العرب مهذبا طلق الوجه كريما مقداما لين الجانب فلقبه الفرس بالشلبى[٣] وأحبه الناس كثيرا ومالوا اليه بقلوبهم فعلت كلمته وطارت شهرته وعمت مهابته سائر مدن آسية وولدت له زوجته ولدا فسماه سليمان وهذبه وعلمه العربية واليونانية وبالغ فى تهذيبه فترعرع وشب على مكارم الاخلاق وأحسن الطباع فأحبته الرعية ومالت اليه فلما مات أبوه تولى مكانه وسار فى قومه سيرة حسنه وكان ميالا الى الفتح والجهاد

---

(١) الايطاليان أو الطليان هم الايطاليون .

(٢) العجم : الفرس .

(٣) الشلبى : حسن المظهر ، وكان مصطلح (چلبى) بمعنى (السيد) أو الكاتب أو الشاعر= القارئ أو الحكيم واحيانا كان اسما للاشخاص .

● الدرة المصانة : تحقيق كريسيليوس ود . عبد الوهاب بكر ص٢٥١ .

فاستولى على الكثير من البلدان وضم الى مملكته كثيرا من مملكة الروم المجاورة لبلاده فاتسع نطاق مملكته وارتفعت كلمته وطار صيته فى الآفاق قال فكان أوغسطس هذا الذى هو يوحنا جدًا للامير ارطغريل خان الذى هو أبو الامير عثمان رأس ملوك آل عثمان . وأوهم بعض أهل التاريخ من المتأخرين ومنهم ادواردس ڤوكوك الذى ترجم تاريخ أبى الفرج الملطى الى اللاطينية[١] وجعله هدية لكرلوس الثانى ملك الانكليز عام ثمان وأربعين وستمائة وألف ميلادية أى عام ثمان وخمسين وألف هجرية فقال بعد كلام . ولم يتسن لاصحاب التاريخ الى الآن معرفة شئ حقيقى عن سليمان شاه جد آل عثمان ولا إلى من ينتهى نسبهم وحاصل مانقلوه من أخباره هو أنه لما تغلب چنكيزخان ملك التتر على أكثر البلاد ودان له أكثر مدن آسية خرج سليمان شاه المذكور حوالى سنة احدى[٢] عشرة وستمائة للهجرة فى نفر من قومه وسار الى تخت الدولة السلجوقية وكان معه أربعة بنين وهم سنقور زنكى وكدنطغدى وارطغريل وكوندز فبينما هم يعبرون الفرات اذغرق سليمان شاه المذكور فافترق بنوه واختلفت كلمتهم فذهب اثنان منهم وهم سنقورزنكى وكدنطغدى ببعض القوم الى الجهة الجنوبية من الفرات وسار ارطغريل بك وكوندز مع من بقى الى تخت السلطان علاء الدين السجوقى صاحب قونية ونزلوا فى جواره فأحلهم محلا رحبا وأقطعهم قرجيطاغ فما زالوا بها حتى مات ارطغريل حوالى سنة سبع وثمانين وستمائة هجرية أى سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف ميلادية . أ هـ .

وقال العلامة ابن خلدون بعد كلام طويل والظاهر أن ملوك بنى عثمان كانت الى هذا العصر من أعقاب على بك وعلى بك صهر محمد بك أحد أمراء التركمان من بنى جق أو أقاربه يعنى أعقاب أقاربه قال ويشهد بذلك

(١) اللاطينية : اللغة اللاتينية وهى لغة الايطاليين القدامى .

(٢) ٦١١هـ = ١٢١٤م .

اتصال هذه الامارة فيهم يعنى الامارة على التركمان[١] مدة هذه المائة سنة قال فلما اضمحل التتر من بلاد الروم واستقر بنوارتنا بسيواس وأعمالها غلب هؤلاء التركمان على ماوراء الدروب الى خليج القسطنطينية ونزل ملكهم مدينة برصا[٢] من تلك الناحية وكان يسمى ارخان بن عثمان جق فاتخذها داراً لملكهم ولم يفارق الخيام الى القصور وانما ينزل فى خيامه فى بسيطها وضواحيها الى أن قال . أ هـ .

قلت ومع اجتماع كلمة بعضهم على أن الترك انما هم من ولد يافث بن نوح عليه السلام واختلاف السواد الاعظم منهم فيمن هو جد آل عثمان الاول فقد عادوا بعد تأويل وتعليل الى القول بأن سليمان شاه هو رأس هذه العائلة العظيمة التى دوّخت بحروبها وغاراتها المتتابعة ثلاثة أرباع المعمور من الارض وقلبت تخت الممالك العظيمة وأبادت الكثير من الامم والشعوب الذين قاموا فى وجهها فاستولت على ممالك الدولة العباسية وعلى بعض مملكة الدولة الغزنوية لآل سبكتكين والدولة السلجوقية فى الروم وفى كرمان[٣] والشام ودولة المماليك

---

(١) التركمان : فى وسط آسيا ، تتاخم حدودهم الجنوبية افغانستان وايران وبحر قزوين والتركمان بعد الفتح دخلوا الاسلام ثم تكلموا التركية ، وكان القسم المسكون من تركمانستان يكونّ جزءا من مقاطعة مارجيانا الفارسية القديمة الذى دخل تحت نفوذ العرب فى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين ، ثم انتقل الى خوارزم ، ثم المغول فى القرن الثالث عشر والاوزبك فى القرن الخامس عشر ، ثم خانية خيوة .

● (دائرة معارف الشعب ، القاهرة ١٩٦٦ ص ٢٧٨) .

(٢) برصة = برصا = برسا ، وتقع على بحر مرمرة امام القسطنطينية ، فتحها أورخان عام ٨٢٧ هـ واتخذها عاصمة لولاية عثمنلى ، وتعتبر هذه المنطقة المهد الثانى للعثمانيين .

وقد اتخذها العثمانيون عاصمة لهم منذ ١٣٢٦م ودفن فيها عثمان مؤسس الاسرة التى نسبت إليه مما جعل لهذه المدينة مكانة خاصة لديهم . (أحمد بن محمد الحموى : فضائل سلاطين بنى عثمان ، تحقيق د . محسن محمد حسن سليم ، القاهرة ١٩٩٢ ص١٠٣ هامش ١٦٨ ، د . سعيد عاشور ، المرجع السابق ص٦٧٧) .

(٣) كرمان : كورة فى بلاد الفرس .

● د . جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق القاهرة ١٩٦٤ ص٧٦ .

فى مصر والشام ودولة الاتابكية[1] فى الموصل ثم الفرنجة فى بعض مدن الشام وقارة أوروبا وجزائر العرب وجزء عظيم من قارة افريقية وجزائر بحر الروم وغيرها مما هو باق بعضه فى حوزتها الى يومنا هذا وانه بموت سليمان شاه المذكور ظهرت كلمة ابنه ارطغريل واتسعت شهرته ودوّخ أكثر البلدان المجاورة لولايته الصغيرة التى أقطعه اياها علاء الدين ومازال على دأبه من الغزو والجهاد وتوسيع أرجاء مملكته كل أيام حياته حتى مات فى سنة ثمانين وستمائة هجرية أى سنة احدى وثمانين ومائتين وألف ميلادية فكانت مدة تصرفه فى هذه الامارة زهاء اثنتين وخمسين سنة بالتبعية لسلاطين قونية السلجوقيين .

وبموته قام بعده ولده الامير عثمان وكان يقال له عثمان جق كما رواه ابن خلدون فحذا حذو أبيه فى الغزو والجهاد ولبث يقاتل الروم ويهاجم بلادهم حتى استخلص من أيديهم بلادا كثيرة ووقعت هيبته فى قلوبهم وخافوه فأرسل اليه سلطان السلجوقيين منشورا ولواء أبيض وطبولا إعلانا بامارته وولايته على تلك الاصقاع ولقبه بالغازى فعلت من ذلك الحين كلمته وكبرت مهابته وأحسن السياسة والتدبير ومازال مثابرا على الغزو والجهاد وفتح البلدان وتدويخ[2] المدن حتى أحس بزوال الدولة السلجوقية ورأى من اختلال أحوالها وزوال هيبة القيصرية الرومية وضعضعة أمورها بسبب الخلاف الواقع فى أمر الدين بين جماعة المسيحيين مادفعه الى طلب الملك ومال به الى جانب الظهور والاستبداد بملك السلجوقيين فجعل حينئذ يمهد الاسباب ويأتى على كل أمر منها من أقرب الابواب حتى قدر اللّه بانقراض الدولة السلجوقية فى سنة تسع وتسعين وستمائة هجرية أى سنة تسع وتسعين ومائتين وألف ميلادية واندرست معالمها

---

(١) الاتابكية : الاصل فى كلمة اتابك انها من كلمتين : اتا ومعناها أب ، بك ومعناها أمير فتكون (أبو الأمراء) وهو أكبر الأمراء المقدمين ، وكان الاتابك يقود الجيوش أحيانا ويدير الحكم .

● محمد كمال السيد محمد : اسماء ومسميات من مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٨٦ ص ١٤٧ .

(٢) تدويخ : تهديد ومهاجمة وقتال .

من الاناطولى[١] ولم يبق أحد من سلاطينها واستقل كل من كان تحت حكمها من الامراء وتقاسموا البلاد فاختص الامير عثمان المذكور بجزء من مملكة بروسة وخطب له فى بعض أعمالها ولما استقرت به الامارة أحسن السياسة ورتب أمور البلاد على مافيه المصلحة ثم تجرد للغزو وفتح المدن والامصار وكان شهما جليل القدر عارفا بفنون الحروب والقتال ففتح الفتوحات العظيمة بنفسه وعلى يدى ولده أورخان بك وأخذ كثيرا من مدن القياصرة فكبرت مملكته واتسعت أرجاؤها وظهرت وعرفت من ذلك الحين بالدولة العثمانية ثم نقل تخت[٢]مملكته هذه الى مدينة بنى شهر وأقام بها على أحسن مايكون من الصولة والبأس حتى مات فى سنة ست وعشرين وسبعمائة هجرية أى سنة خمس وعشرين وثلثمائة وألف ميلادية وكان كريما عالى الهمة أبىّ النفس جوادا قيل ولذلك لم يترك بعد موته شيأ[٣] لا من الأموال ولامن النفائس التى جمعها فى غزواته وفتوحاته الكثيرة ولم يوجد عنده الا بعض الملبوس[٤] ومسبحة كانت أعز شئ لديه وكانت مدة ملكه خمسا وعشرين سنة وقيل بل سبعا وعشرين .

وقام بالامر بعده ولده أورخان الغازى تولى السلطنة فى السنة التى مات فيها أبوه سنة ست وعشرين وسبعمائة هجرية أى سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف ميلادية فأحسن التدبير ونظم الامور وعدل فى الرعية فاجتمعت القلوب على محبته وولى أخاه علاء الدين الوزارة فقام بها خير قيام وأخذ فى تنظيم الأمور

---

(١) الاناطولى = الاناضولى (محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ط١٩٨١ ، تحقيق د .حسان حقى ص٣٤) .

(٢) تخت : مقعد ، وتخت الملك (سرير الملك) منبر رخام بصدر ايوان السلطان الذى يجلس فيه كعرش له .
● (د . سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ١٩٦٥ ص٤٠٠ ، عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، القاهر ١٩٨٤ ص ٥٠٤ الجزء الأول) .

(٣) شيأ صحتها شيئا ، وسترد كثيرا فنكتفى بتصحيها هنا فقط . ونلفت النظر إلى أن المؤلف يستعمل الهجاء القديم .

(٤) الملبوس= الملابس .

وسن القوانين واعلاء شأن المملكة وكان الغازى أورخان المذكور محبا للغزو والفتح كأبيه ميالا لتوسيع نطاق المملكة ففتح مدينة بروسة وبالغ فى تحسينها بالمبانى الفاخرة والآثار العجيبة ثم نقل كرسى مملكته اليها ولم تقعده كثرة حروبه عن تنظيم عسكره وترتيبهم على أسلوب جديد بعد أن كانوا فى أيام أبيه أخلاطا من فرسان التركمان وغيرهم فانشأ وجاق الانكشارية[1] ورتبه وأحسن ترتيبه فكان له عوَنا على كثرة الفتوح والمغازى وهابه الملوك وبلغت شهرته مبلغا عظيما ولكن عاد أولئك الانكشارية بعد قليل فصاروا أعداء لمن توّلى السلطنة فكان السلطان لايأتى أمرا إلا بإشارتهم ولايعمل عملا إلا برضا كبارهم فتبدل خيرهم شرا ونفعهم ضرا وكثرتهم وبالا ومازالوا على هذا الحال من التصرف فى معظم الامور واختصاصهم بالرياسة والسياسة حتى أذلهم السلطان محمد الثانى ومزق شملهم وفرق كلمتهم وشردهم تشريدا . ولما دانت للسلطان أورخان الأمور عمد إلى غزو بلاد اليونان فجهز عليها جيشا عظيما للغاية وقاتلها ففتح مدنها وبلدانها وأحسن معاملة أهلها قالت الى محبته القلوب واجتمعت على طاعته الخواطر وسار فى غزواته يرافقه الاقبال حتى بلغ خليج القسطنطينية

---

(١) وجاق الانكشاريه : كان هذا الاوجاق مسئولا عن الحراسة ، وكان يحمل اسم المكان الذى يحرسه بالاضافة لاسمه مثل (جماعت مستحفظان قلعة مصر) عندما كان يحرس القلعة فى مصر وكان قائده (الاغا) مسئولا عن ادارة ماهو الان الشرطة ( مخطوطة الدرة المصانة - مصدر سابق ص٣٨ حاشية ٢٩) .

اما انكشارية فهى تعريب للمصطلح التركى yenisheri أى الجيش الجديد والعسكر الجديد وأنشىء هذا الجيش فى عهد السلطان أورخان ، وكانت الدولة العثمانية تترك فى كل ولاية فرقة من هذا الجيش أو اوجاقا ليكون القوة الضاربة لحاكم الولاية (الباشا) وكان اوجاق الانكشارية فى مصر يقيم فى القلعة داخل ثكنات معينة اطلق عليها باب الانكشارية .

وللعجب أن كلمة اوجاق اصلا كان تطلق على الموقد (وجاق) ثم اطلقت على الفرق العسكرية الست التى كانت فى مصر والتى أضاف اليها السلطان سليمان القانونى سابعا هو وجاق الجراكسة (متفرقة - جاويشان - مستحفظان - عزبان - جمليان - تفكجيا وجراكسه) ( عجائب الاثار فى التراجم والاخبار

● تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن جـ ١ القاهرة ١٩٩٧ ص ص ٤١ ، ٤٧ .

وبوغاز كاليبولى وكانت الامبراطورية الرومية فى هذا الحين آخذة فى الانحطاط الى حضيض الدمار لاسيما بعد أن ضعضعتها الحروب الداخلية التى سببتها فتنة يوحنا كاتا كوذين نائب الامبراطور يوحنا باليولوغوس[١] ووصيه . وتحرير الخبر بالايجاز أنه لما كثر عبث كاتا كوذين المذكور بأمور الدولة وأساء التصرف أبغضه الناس بغضا شديدا وهمّ الروم بخلعه فلما آنس منهم ذلك راسل آل عثمان واستمدّهم فأمدّوه وقويت عزيمة الترك على التوغل فى وسط أوروبا فغزوا وفتحوا عدة مدن منها وكثيرا من القلاع والحصون واستولوا عليها وتصرفوا فيها وسار الامير سليمان أكبر أولاد السلطان أورخان فاجتاز بوغاز شنق قلعة فى سنة ستين وسبعمائة هجرية أى نحو سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وألف ميلادية وفتح مدينة غاليبولى[٢] التى هى مفتاح القسطنطينية ثم اخترمته المنية فحزن عليه أبوه حزنا عظيما وأفرط فى البكاء والنحيب فمات غما فى السنة التى مات فيها ولده أى سنة اثنتين وستين[٣] وسبعمائة هجرية .

---

(١) الملك يوحنا باليولوغوس (١٣٤١-١٣٩١) خلاله الجو بعد خوض حروب أهلية تخلص فيها من منافسه ، وأصبح لا ينازعه أحد فى حكم الإمبراطورية البيزنطية ، وأسس الأسرة الباليولوغية ، على أن سنة ١٣٥٤ سنة لها أهميتها ، إذ استولت فيها جيوش السلطان أورخان العثمانى على غاليبولى وحصنتها لتكون أول مركز ثابت للعثمانيين فى أوربا ، وعندما توفى أورخان سنة ١٣٥٩ أخذ خليفته السلطان مراد الأول يستولى على المدن مدينة بعد أخرى حتى استوى على أدرنة سنة ١٣٦١ ، وأصبحت مركزاً للعثمانيين حتى استيلائهم على القسطنطينية فى القرن التالى .

● (د . سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، المرجع السابق ، ص٦٧٨) .

(٢) وقعت «جاليبولى» الميناء الواقع على الجانب الأوربى عند النهاية الشرقية للدردنيل فى قبضة العثمانيين عام ١٣٥٤ ، وقد أعطى الميناء اسمه لشبه الجزيرة التى تفصل بين الدردنيل وبحر إيجه . وقد أنشأ فيها السلطان مراد الأول ثكنات عسكرية لبحارته ، وظلت جاليبولى إلى عام ١٥١٦ مقراً لقيادة الأسطول ، فكان قبودان باشى يحكم صنجقية جاليبولى ولذلك أطلق عليه أيضاً بكلربكى غاليبولى ، وألحقت الدولة بها قضاء جلاطة وإزميد فى نيقوميديا فى الأناضول .

● (مخطوطة الدرة المصانة ، تحقيق عبد الوهاب بكر ، ص٢٠٢) .

●عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، ١٩٨٤ ، جـ٢ ، ص ص٨٧١ ، ٨٨٢) .

(٣) ٧٦٢هـ = ١٣٦٠م .

فقام بالامر بعده ولده السلطان مراد الأول[١] وكان شجاعا مهيبا مغازيا فلما استقرت به السلطنة عمد الى فتح أدرنه[٢] ففتحها وسار الى الصرب والبلغار فأخضعهما وكانت بلاد الاناطولى لم تزل مستقلة فى حكمها تابعة لبعض الامراء من الترك يتصرفون فى حكمها كما يشاؤن فحاربهم وأخضعهم وأدخلهم تحت طاعته وزوّج ابنه الامير بايزيد بابنة أمير كرميان تزلفا الى ولاة آسية الصغرى وتقرّبا منهم ليتسنى له بذلك ضم بلادهم الى أملاكه ففاز بذلك وضم الى بلاده مقاطعة كرميان وغيرها من مدن آسية الصغرى واستولى على مدينة كوتاهيا وكان أمير كرميان وهبها لابنته يوم زفافها ثم سار بعسكره بعد ذلك للحمل على مقاطعتى مقدونية وبلاد الارنؤد فأخضع كثيرا من مدنهما واستفحل أمره واتسعت كلمته وتهيب منه جميع الامراء المجاورين له فنهض أهل الصرب والفلاخ[٣]وأهل دلماطيا والمجر والبلغار وتحالفوا على قتاله وايقافه عند حده

---

(١) مراد الأول : هو مرادخان ولقب بخدا وندكار أى الله فيكون اسمه مراد الله ، ولد فى سنه ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م وكانت فاتحة أعماله احتلال انقرة وكانت مقر سلطنة القرمان لان سلطانها (علاء الدين) انتهز فرصة انتقال الملك من اورخان الى ابنه مراد وحرص الامراء على مناوأة العثمانيين ، ولكن مرادا انتصر عليه وابرم صلح بينها ليحافظ على باقى ملكه من مراد وزوج مراد ابنته ليمكن الوحدة بينهما .
أما فى أوربا فقد فتح مدينة أدرنة سنة ١٣٦١م ولأهمية موقعها ووجودها على ملتقى ثلاثة أنهر نقل اليها مراد تخت المملكة وظلت كذلك الى فتح القسطنطينية١٤٥٣ثم فتح عاصمة الروملى الشرقية (فيلبه) وبذلك احيطت القسطنطينية بالعثمانيين مما اشاع الرعب فى الممالك المسيحية هناك .
كما قام بحروب كثيرة حتى وصل بلاد الارناؤود (البانيا) كما حارب الصرب وماجاورها ومات مراد فى ١٥ شعبان ٧٩١هـ / ٨ أكتوبر ١٣٨٩م ، محمد فريد : تاريخ الدولة٠ العلية العثمانية ص ـ ص ١٢٩ ـ ١٣٦) .

(٢) ادرنة : اسمها بالروميه ادريانا بوليس نسبة للامبراطور الرومانى ادريان الذى كان قد أجرى فيها تحسينات أوجبت إطلاق اسمه عليها وقد توفى هذا الامبراطور سنة ١٣٨م . وهى فى منطقة تراقيا بالبلقان .

● محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع نفسه ص ١٢٩

(٣) الفلاخ : كان الاتراك يسمونها الافلاق ، وهى إمارة من إمارات الدانوب ظهرت للوجود فى القرن ١٣ وأصبحت منذ سنة ١٣٩٦م تابعة للدولة العثمانية واستقلت فيما بعد سنة ١٨٥٣م واتحدت مع مولدافيا سنة ١٨٥٨م وكونتا معا دولة رومانيا الحالية . (محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ص١٣١) .

وخرجوا فى جيش جرار فركب عليهم وقاتلهم جميعا وهزمهم وشتت شملهم وأبلى فيهم بلاء حسنا وبينما هو يغدو ويروح فى ساحة القتال ويكر بجواده اذ وثب عليه جندى من البلغار كان بين جثث القتلى وطعنه بخنجر فى أحشائه فمات لحينه فتقهقرت عساكره وانكفوا عن القتال . قال بعض أصحاب التاريخ وهذا القرن هو الدور الاول للدولة العثمانية فانها فى مدة المائة سنة هذه قد عظم أمرها وتمكنت وثبتت أركانها وظهرت فى مظهر الدول الكبار بعد أن كانت امارة صغيرة ولم يتم لها هذا الا بمحافظة سلاطينها على وصية الغازى عثمان قالوا وذلك أنه لما حضرته الوفاة دعا اليه ولده أورخان وأوصاه بوصايا ثلاث فقال له يابنى تمسك فى كل أمورك بالشريعة الغراء وشاور فى المهمات أهل الرأى والدهاء . وأعط كل ذى حق حقه من التكريم والانعام لاسيما العلماء الاعلام الذين هم دعائم الدين مصداقاً لقول صاحب الشريعة خير الناس من ينفع الناس . وتنبه لما هو أعظم من ذلك وهو التعظيم لاوامر اللّه والرأفة بعباد اللّه واطلب خير النتائج من اعلاء كلمة اللّه والغزو لوجه اللّه فانك خليفتى من بعدى أ . هـ

قالوا فكانت هذه الوصية سنة مرعية بين سلاطين آل عثمان يتلقاها الخلف عن السلف والملك للّه يؤتيه من يشاء .

ولما مات السلطان مراد الأول قام بالامر بعده ولده السلطان بايزيد[1] الاول فى السنة التى مات فيها والده وكان بطلا مقداما عارفا بفنون الحرب والقتال وضروب السياسة ميالا الى الغزو والجهاد فلما استقرت به السلطنة عمد الى

---

(١) بايزيد الاول ييلدروم ابن مراد خداوندكار ابن أورخان تولى من ١٣٨٩الى ١٤٠٣ ، فقتل أخاه الأصغر يوم تولى العرش لكى لايفسد عليه امره ، مما أحدث تفرقاً بين الملوك إلى أن جاء الى العرش محمد الاول چلبى بن بايزيد ١٤٠٣ - ١٤٢١م حيث قتل اخوته الاربعة ليظفر بالعرش .

●محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية تحقيق د . احسان حقى ، مرجع سابق ، ص٧٧٧ ، ص١٣٧ .

اخضاع مابقى من الممالك الصغيرة التى كانت الى هذا الحين مستقلة فى الاناطولى فدوّخها وأخضعها لسلطانه ثم سار فى عسكر جرار الى ايالات مقدونية والبلغار والروم ايلى(1)ففتحها وأدخلها تحت طاعته فكبر أمره وعظمت هيبته ودانت له الامور فلما أنس من الايام النصر تهيأ لفتح القسطنطينية واخضاع ممالك الفرنجة فزحف بجيش كبير الى نواحى أوروبا واستولى على مدينة سالونيك وشن الغارة على بلاد المجر وانتصر على جيوش الفرنجة فى موقعة هائلة ثم سار الى القسطنطينية فحاصرها وكان امبراطورها يومئذ مانوئيل(2)

---

(١) روم إيلى مصطلح يطلق على الجناح الاوربى من الدولة العثمانية كمقدونيا وياشيل كوى وادرنة .. الخ وجاليبولى وكوسوفا .
● ميخائيل شاروبيم : الكافى جـ ٥ مجلدا قسم١ ، تحقيق .د . عبد الوهاب بكر ، القاهرة ١٩٩٨ ص٣٥٤

(٢) هو مانويل باليولوجوس الثانى (١٣٩١ - ١٤٢٥) وكان ثانى أبناء الامبراطور يوحنا الخامس ، وقدخلفه على العرش فى فبراير ١٣٩١ ، وكان قبل ذلك واليا على تسالونيكى وتوجه منها على رأس حملة لنجدة أبيه وانقاذه من حبسه فى البندقية ، وفى عام ١٣٧٣ توج امبراطورا مشاركا وذلك بعد ثورة أخيه الأكبر (اندرونيكوس الرابع) الذى لم يلبث ان ألقى به وبأبيه فى السجن ، ثم قام اندرونيكوس بأخذ الثأر سنة ١٣٧٦م غير أنه استطاع الفرار بعد ذلك بثلاث سنوات ، وحينذاك بذل جهده فى مساعدة أبيه للعوده الى العرش ، ولقد غادر مانويل الثانى باليولوجوس القسطنطينية عام ١٣٨٣ وعاد الى تسالونيكى لينادى به إمبراطورا شرعيا ، وظل زهاء خمس سنوات يعمل جهده ليجعل من تسالونيكى مركز مقاومة ضد الترك العثمانيين وذلك فى تحد عميق لرغبات أبيه فى القيام بهذا العمل ، وعانت تسالونيكى الحصار حتى إذا كان ابريل ١٣٨٧ غادرها الى غير عودة بعد ان لاحظ اللامبالاه من أهلها ، مما أدخل اليأس الى قلبه ليواجه مصيره بنفسه ، مما أدى بأهلها الى الاستسلام وأصبح هو فصلا للسلطان العثمانى .

وفى عام ١٣٩٤ حاصر السلطان بايزيد القسطنيطنية قام عمانوئيل بالدفاع عنها ثم سافر الى الغرب عام ١٣٩٩م فى طلب المعونة من أهله لاسيما شارل السادس ملك فرنسا ثم زار انجلترا فى عام ١٤٠٠ . وحدث أثناء تغيبه عن البلاد أن تغلب التتار على السلطان بايزيد فى ١٤٠٢م ووقع فى اسرهم وسادت الفوضى البلاد العثمانية ، فعاد مانويل فى السنة التالية ليجد أن التتار قد رحلوا.ولم يعد الحصار مضروباً كما كان من قبل ووجد أن تسالونيكى وغيرها عادت الى امبراطوريته وذلك على يد سليمان أكبر ابناء بايزيد بسبب النزاع الذى كان قد دب بين سليمان واخوته حول تركه ابيهم ، وظلوا كذلك الى أن تمكن محمد الأول أن ينفرد بالحكم عام ١٤١٣ ، وقد وقف عمانونيل إلى جانبه وأحسن من الأجر له بأن تركه العثمانيون ثمانى سنوات وعاد الكرة مرة اخرى فى عهد مراد الثانى ومات مانويل فى ١٤٢٥م .

● أ . دونالد نيكول : معجم التراجم البيزنطية ، ترجمة وتعليق حسن حبشى (دكتور) الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٣ ص ص١٤٦ - ١٤٨ .
● سعيد عاشور (دكتور) : اوربا العصور الوسطى : مرجع سابق ، ص٦٨٠ .

فخاف وهاله كثرة عساكر السلطان بايزيد فأرسل الى من جاوره من الملوك يطلب منهم المدد على قتال الترك فخاف السلطان بايزيد من اتحادهم وخشى عاقبة أمرهم فعقد مع الروم صلحاً لعشر سنين وأن يعطوا له فى كل سنة ثلاثين ألف ريال وأن يجعل فى القسطنطينية قاضيا من المسلمين ويبنى فيها مسجدا ثم رحل عن القسطنطينية ولبث قليلا حتى تبين من الفرص أنفعها فعاد الى حصارها وشدد فى الحصار ولم يراع ميثاقا ولاعهدا وبينما هو يراسل الرمى على أسوارها وحصونها اذ جاءته الاخبار بركوب تيمورلنك بعسكره الى بلاده وفتح الكثير منها وضمها الى سلطنة التتار فاضطرب السلطان بايزيد من ذلك واستعظمه جدا ورحل عن القسطنطينة ليدفع تيمورلنك عن بلاده فالتقى الفريقان عند مدينة أنقره واقتتلا قتالا عنيفا يوما كاملا وقد مات فى ذلك اليوم خلق كثير جدا حتى خاضت الخيول فى الدماء ثم انكشفت المعمعة عن نصرة تيمورلنك وهزيمة السلطان بايزيد وسقوطه فى قبضة تيمورلنك فسجنه فى قفص من الحديد ومازال فى سجنه هذا الى أن مات سنة خمس وثمانمائة هجرية أى نحو سنة أحدى وأربعمائة وألف ميلادية . قال بعض كتاب الاخبار وكان قد تغلب على السلطان بايزيد فى آخر أيامه هوى النفس فتهافت على مالا يليق من الاسراف والتبذير والاسترسال فى اللهو والخلاعة وغير ذلك من دواعى التأخر فاغتنم تيمورلنك هذه الفرصة وسار على مملكة بايزيد فى سبعمائة ألف مقاتل فقابله السلطان بايزيد وقاتله فوقع فى يده أسيرا وفرح ملوك أوروبا بسقوط السلطان بايزيد فى قبضة تيمورلنك فرحا عظيما وأرسلوا الى تيمورلنك رسائل التهانى فكان ممن أرسل ذلك شارلس الثالث ملك الفرنسيس فرد عليه تيمورلنك ردًا حسنا جدا وأوصاه خيرا بمن يقدم الى بلاد الفرنسيس من تجار الفرس كما أنه ضمن لتجار الفرنسيس الذين يقدمون على بلاد فارس كمال الراحة والرفاهية .

## (مطلب)

## (ماجرى بعد موت السلطان بايزيد من الاختلال)

ولما مات السلطان بايزيد كاد يختل نظام الملك اذ قامت الفتنة بين أولاده واستبدّ كل واحد منهم بقسم من مملكة أبيه فتجزأت المملكة الى عدّة امارات صغيرة وجرى عليها ماجرى لدولة آل سلجوق وخرجت عن الطاعة فى خلال هذه الفتنة ولايات البلغار والصرب والفلاخ واستمر النزاع بين أولاد السلطان بايزيد زهاء احدى عشرة سنة وكان أحد أولاد بايزيد المدعوّ عيسى قد استبدّ بحكم البلاد الواقعة على مقربة من أنقرة وسينوب والبحر الأسود فوثب عليه أخوه محمد وقتله بعد حروب يطول شرحها واستولى على جميع تلك الاصقاع وسار بلا منازع من اخوته الى آسية الصغرى واستخلص[1] أخاه موسى وكان فى أسر تيمورلنك وسيره فى جيش عظيم الى قارة أوروبا لقتال أخيه سليمان فلم يقو عليه بل انهزم أمامه وعاد إلى آسية مدحورا ثم أصلح حال جيوشه وعاد بهم مرة ثانية لقتال أخيه سليمان المذكور فالتقى الجمعان واقتتلا قتالا شديدا فقتل سليمان خارج أسوار مدينة أدرنة وتم الظفر للسلطان محمد[2] . وكان آل عثمان لما اشتدّ الخصام بين أولاد السلطان بايزيد وعمت الفتنة واستفحل أمرها اختاروا الامير سليمان هذا سلطانا عليهم فى مملكة أبيه التى بقارة أوروبا فبايعوه بالسلطنة وولوه أمورهم ولكنه كان ضعيف الرأى سيئ التصرف منهمكا فى الملاذ

---

(١) استخلص : خلص من الأسر.

(٢) هو السلطان محمد جلبى الغازى بالملك ولد سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م ويعتبر بعض المؤرخين السلطان محمد جلبي خامس سلاطين آل عثمان ، ولم يعتبروا أخوته لكونهم لم يلبثوا فى الملك مدداً طويلة واعتبروهم ملوكاً ولم يدخلوهم فى حصر السلاطين وكانت مدة حكمه حروباً داخلية لإرجاع الإمارات التى استقلت فى فترة الفوضى بعد موت بايزيد وحافظ على محالفة إمبراطور الروم ، واستعمل الحزم والحكمة مع من خالف الدولة كأمير قرمان وأرسل الصرة السنوية إلى أمير مكة . وقد مات فى سنة ١٤٢١ .

● (محمد فريد : المرجع السابق ، ص ص١٤٩ ، ١٥٢) .

مولعا بالملاهى والفجور خمل الفكر فلم تطل سلطنته حيث مات فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة هجرية أى نحو سنة عشرة وأربعمائة وألف ميلادية . ولما تم الظفر لموسى المذكور سار بمن معه من العساكر وركب على بلاد الصرب وعاقب أهلها على خروجهم وتمردهم وقاتل سمسون ملك المجر حيث أنجد أهل الصرب عليه وكاد يهزمه فظهر من هذا الحين نبله وعلت كلمته واتسعت شهرته فداخله الطمع وطمحت نفسه الى الاستقلال بالملك والخروج عن طاعة أخيه السلطان محمد وأخذ جميع بلاد أبيه التى بقارة أوروبا وسار بعسكره لحصار القسطنطينية فحاصرها وضيق عليها ليفتحها ويجعلها تخت[1] ملكه فأحس السلطان محمد بما وراء ذلك وخشى العاقبة وأتت اليه رسل قيصر الروم تشكو من فعال أخيه موسى وتستنجده فسار الى القسطنطينية فى جيش عظيم جدا وقاتل أخاه فكانت الحرب بينهما سجالا ثم تقوى السلطان محمد بعسكره فزحزح الامير موسى عن القسطنطينية وتحالف السلطان محمد مع قيصر الروم وأمير الصرب على اذلال الامير موسى وتمزيق شمل من معه من الجنود فأعملوا الفتنة وبثوا الدسائس بين عسكر الامير موسى حتى نفرت منه قلوب الجند وخانه كبار القوّاد ثم ركب عليه السلطان محمد بعسكره وانتصر عليه نصرة عظيمة وفرّ موسى هاربا فتبعه فارس من فرسان أخيه محمد وقتله واحتز رأسه وأتى به الى أخيه وذلك سنة ست عشرة وثمانمائة هجرية أى نحو سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وألف ميلادية وفى رواية أنه قتل بين يدى أخيه صبرا .

---

(١) عاصمة ملكه .

## (فصل)

## (فى استقلال السلطان محمد الغازى بالملك)

ولما مات الأمير موسى انفرد محمد بالسلطنة على مابقى من ملك آل عثمان وبايعه الناس كافة فكان هو الخامس من ملوك آل عثمان على المتفق عليه عند أصحاب التاريخ وقد عرف عندهم بالسلطان محمد جلبى الغازى وكان ملكا جليل القدر واسع المعرفة حليما فصفت له الايام ودانت له الامور وجاءت اليه رسل ملوك الفرنجة برسائل التهانى والتبريك فأكرمهم وأحسن وفادتهم وأخذ يمهد الامور ويدبر أحوال المملكة فعقد الصلح مع الاجانب وقوّى معهم روابط المودّة والاتحاد وحافظ على محالفة مانوئيل قيصر الروم الذى لولاه لخيف على ملك آل عثمان من الدمار وردّ اليه جميع ماأخذه أسلافه من القلاع والحصون الرومية فمالت اليه الخواطر واجتمعت على محبته القلوب وعلت كلمته وكان عادلا ذا شفقه على الرعية موفقا فى غزواته ونقل كرسى مملكته الى مدينة أدرنة وأنشأ السفن البحرية وجعل لها جنودا يقاتلون على ظهور تلك السفن وأعاد رونق السلطنة الى ما كان عليه بعد أن كاد يتولاها الدمار بأسباب غارات تيمورلنك . وظهر فى أيامه رجل اسمه بدر الدين من كبار علماء زمانه وكان متوليا القضاء فى عسكر الأمير موسى أخى السلطان محمد فلما انهزم عسكر الامير موسى وتمزق شملهم حكم على بدر الدين القاضى المذكور بملازمة مدينة ازنيك فلبث بها حينا ثم هرب منها واختفى خبره أياما ثم ظهر يدعو الى مذهبه وهو المساواة بين الناس على اختلاف طبقاتهم فى الاموال والمتاع وعدم التفريق فى ذلك بين الغنى والفقير والمسلم والمسيحى فتبعه خلق عظيم من المسلمين والمسيحيين وكان يقول ان الناس جميعا اخوة لاب واحد وأم واحدة فذاع خبره وكثرت أحزابه ولبى دعوته القاصى والدانى وخيف على بهجة الدولة العثمانية من الزوال بسبب دعوته فسير اليه السلطان محمد جيشا عظيما

ومقدّمه ابن أمير البلغار الذى كان أسلم وتولى العمالة على مدينة سمسون [١] فخرج عليه أحد زعماء مذهب[٢] بدر الدين المذكور فى جيش كبير وقاتله وهزم عسكره شر هزيمة وقبض على ابن أمير البلغار وقتله فلما جاء الخبر بذلك الى السلطان محمد اضطرب واستعظم هذا الامر جدا وجمع جيشا عظيما وجعل رئيسه الوزير الاول بايزيد فسار بايزيد لقتال ذلك الزعيم فلاقاه على مقربة من ازمير[٣]وكان بدر الدين قد سار الى بلاد مقدونية فاقتتلت عساكر الوزير مع عساكر بدر الدين واشتد القتال بين الفريقين وانكشف عن هزيمة عسكر بدر الدين وسقوط مقدمهم المدعو مصطفى فى قبضة الوزير فأمر بقتله فقتلوه بين يديه وقتلوا عددا كثيرا ممن كانوا معه وسيروا من يقبض على بدر الدين فى بلاد مقدونية فتحرز بدر الدين وكانت بينهم وبينه وقائع كثيرة وحروب يطول شرحها ثم قبض عليه وقتل شنقا فى سنة عشرين وثمانمائة هجرية أى سنة سبع عشرة وأربعمائة وألف ميلادية بعد استصدار فتوى فى شأن ذلك قال عمر

---

(١) سمسون أو صامسون ، مدينة تركية فى شمال شرق الأناضول على البحر الأسود .

● محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، مرجع سابق ، ص١٤٠ .

(٢ ظهر فى أيام السلطان محمد جلبى شخص يسمى بدر الدين وكان من العلماء المشهورين فى ذلك الوقت ، وكان معيناً فى وظيفة قاضى عسكر فى جيش موسى أخ السلطان محمد ، وبعد هزيمة موسى الزم بالإقامة فى مدينة ازنيك ، ثم هرب منها وبدأ فى نشر مذهبه المؤسس على المساواة فى الأموال والأمتعة ، وكان هذا المذهب يشبه آراء الاشتراكيين ، فتبعه خلق كثير من المسلمين والمسيحيين وغيرهم لأنه كان يعتبر جميع الأديان على السواء ولا يفرق بينها ، واستعان فى نشر مذهبه بشخص اسمه بير قليجه مصطفى (قليجة بمعنى صاحب العلم) وآخر يقال أن أصله يهودى واسمه (طورلاق كمال) ، واشتهر هذا المذهب وانتشر حتى خافته الدولة العثمانية فأرسل إليه السلطان محمد القائد سيسمان ابن أمير البلغار الذى دخل الإسلام وعين حاكماً لسمسون مع جيش كبير فظهر عليه قليجة مصطفى وهزمه وقتله .

● محمد فريد : المرجع السابق ، ص١٥٠ .

(٣) أزمير : مدينة فى تركيا على خليج أزمير شرق بحر إيجة ، كانت مستعمرة إغريقية أعاد انتيجنوس الأول بناءها فى القرن الرابع قبل الميلاد ، وصارت أكبر وأغنى مدن آسيا الصغرى تحت حكم الرومان والبيزنطيين ، ثم كانت مركزاً مسيحياً منذ بداية المسيحية ، وإحدى مدن الكنائس السبع (الأسقفيات السبع) فى آسيا الصغرى ، خر بها تيمورلنك عام ١٤٠٢ واستولى عليها العثمانيون عام ١٤٢٤ .

● (دائرة معارف الشعب ، القاهرة ١٩٦ ، ص٦٩) .

فى تاريخه ونص الفتوى من أتاكم وأمركم جميعا على رجل يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه . فسكنت بقتله الفتنة وزالت أسبابها واطمأنت قلوب الناس وبقى السلطان محمد عزيزا مهيبا محبوبا مطاعا الى أن أدركته الوفاة سنة أربع وعشرين وثمانمائة هجرية أى سنة احدى وعشرين وأربعمائة وألف ميلادية . قال بعض كتاب الاخبار والسلطان محمد هذا أول من أرسل الهدية الى أمير مكة قدرا من الذهب فى كل عام للنفقة على فقراء مكة والمدينة وهى التى يطلق عليها اسم الصرة الآن ولكنها لم تكن تبلغ ما بلغته الآن وقال آخر أن السلطان سليم الأول هو أول من أرسل الصرة المذكورة سنة ثلاث وعشرين[1] وتسعمائة هجرية بعد فتح الديار المصرية وازالة دولة الچراكسة الثانية والقول الأول هو الذى عليه المعوّل .

وبموت السلطان محمد چلبى قام بالامر بعده (ولده السلطان مراد الثانى) بويع له بالملك سنة أربع وعشرين وثمانمائة هجرية أى نحو سنة احدى وعشرين وأربعمائة وألف ميلادية وعمره يومئذ ثمان عشرة سنة فلما استقرت به السلطنة قام بتدبيرها أحسن قيام ووسع نطاقها وأبرم صلحا مع أمير القرمان وقرر اتفاقا مع ملك المجر على هدنة خمس سنوات وتفرغ لتدويخ من عصى وخرج عن الطاعة من ولايات آسية فلم يتم له ذلك حتى جاءته رسل مانوئيل قيصر الروم فى طلب العهد منه على أنه لايحارب القيصرية الرومية بوجه مّا وأن يسير الى القسطنطينية اثنين من أولاد السلطان محمد الغازى رهينة على وفاء العهد فان أبى ذلك أطلق القيصر سراح الامير مصطفى بن السلطان بايزيد وكان الأمير مصطفى المذكور قد اختفى خبره ولم يوقف له على أثر بعد واقعة أنقرة التى أسر فيها أبوه السلطان بايزيد الاول ثم ظهر فى أيام السلطان محمد الغازى عقب واقعة بدر الدين الخارجى وطالب أخاه السلطان محمد بالملك وأعانه على ذلك

(١) ٩٢٣هـ= ١٥١٧م .

أمير الفلاخ تعظيما للفتنة واضراما لنارها فأغار الأمير مصطفى المذكور على اقليم تساليا[١] من أملاك اليونان فطاردته جنود أخيه السلطان محمد ففر الى سلانيك وكانت قد عادت الى مملكة الروم مع غيرها من بعض الايالات التى أرجعها السلطان محمد الى قيصر الروم ونزل على عاملها[٢] مستجيرا فأجاره وطلبه السلطان محمد فلم يجبه قيصر الى ذلك ووعد أنه يبقيه عنده ولايفك سراحه مادام السلطان على قيد الحياة فقبل السلطان منه ذلك ورتب لأخيه شيأ فى كل سنة فلبث فى جوار قيصر حتى سير قيصر رسله الى السلطان مراد فى طلب ذلك العهد فامتنع السلطان مراد عن إجابة قيصر الى ماطلب فسير قيصر الامير مصطفى المذكور ومعه عشر مراكب حربية فأتى بها وحاصر مدينة جاليبولى وضيق عليها فاستسلمت وامتنعت عليه قلعتها فأحاطها بطائفة من العسكر ليمنع عنها المدد وساربمن بقى معه يريد أدرنه فسير اليه السلطان مراد جيشا عظيما ومقدمه وزيره بايزيد فلما التقى الجمعان برز الامير مصطفى أمام صفوف ابن أخيه السلطان مراد ونادى على العسكر وخطب فيهم وقال انه هو أولى بالملك وأحق بالسلطنة من ابن أخيه واستنهض العسكر الى نصرته فلبت الجيوش دعوته وقاموا لنصرته وقبض جماعة منهم على بايزيد وزير السلطان وقتله ثم سار الأمير مصطفى للقاء السلطان وكان السلطان متحصنا مع عسكره عند نهر صغير فلم يقترب الأمير مصطفى من ذلك المكان حتى وقعت الفتنة بين عسكره وخانه بعض قواده وتركه أغلب العسكر فكرّ راجعا الى چاليپولى ولم يدخلها حتى قبض عليه بعض أتباع السلطان وأتوا به اليه فأمر به فقتلوه شنقا ولما سكنت الفتنة بموت الامير مصطفى عمد السلطان مراد الى الانتقام من

---

(١) إقليم تساليا : أحد أقاليم مقدونيا ، أنشأ فيها الرومان استحكاماتهم ضد الإغارات الشرقية والبلغارية ، وقد أغار عليها البلغار فى نهاية القرن العاشر الميلادى وحطموها ، وفى عام ١٠٨١ تمكن النورمان من احتلالها من البيزنطيين .

● د . سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، المرجع السابق ، ص ص ٦٧ ، ١٠٢ ، ٤٣٤ ، ٤٤٥ .

(٢) عاملها : حاكمها .

قيصر الروم فسار الى حصار القسطنطينية بجيش جرار وحاصرها وضيق عليها أياما ثم عاد عنها مدحورا لقيام الفتنة وخروج بعض الايالات عن طاعته ومازال يراقب الفرص حتى مات مانوئيل قيصر وخلفه على سرير الملك يوحنا باليولوغوس فراسل يوحنا المذكور فى دفع مبلغ من المال فى كل عام جزية وأن يسلم اليه جميع البلاد التابعة للقسطنطينية ويستثنى من ذلك القسطنطينية وضواحيها أو أنه يتأهب لقتاله فقبل يوحنا هذه الشروط وسلم الى السلطان مراد جميع القلاع والحصون التى كانت الى هذا الحين فى حيازة الروم على سواحل البحر الاسود وسواحل الروم ايلى ومملكتى مقدونية وتساليا ثم ركب بعد ذلك بعسكره واستخلص أيضا جميع المدن والبلدان التى هى داخل برزخ كورنثوس ومازال يتقدم فى غزواته حتى توغل فى بلاد المورة وضم أكثرها الى أملاكه . ولما شاع بين ملوك أوربا خبر فتوحات آل عثمان ومثابرة ملوكهم على الغزو والجهاد خافوا من سقوط القسطنطينية فى قبضة الترك ومن زحفهم على بقية الممالك المسيحية فنهض عند ذلك أوجينيوس[1] البابا وشرع فى عقد محالفة بين ممالك الفرنجة على مقاومة الترك ومنعهم وقام لادسلاس ملك بولونيا والمجر وأخذ على نفسه مقاومة الترك وجيش لذلك جيشا عظيما ومقدمه يوحنا هودياس القائد الشهير وانضم الى هذا الجيش جمهور من الحربيين والمتطوّعة من الفرنسيس والجرمانيين وساروا للقاء الترك فالتقى الفريقان واقتتلا قتالا عنيفا ظفر فيه يوحنا فى معركتين عظيمتين واستظهر على الترك فخشى السلطان مراد شر العاقبة وعمد الى المصالحة فتقررت القاعدة على أن ينسحب السلطان مراد بمن بقى من جيوشه فانسحب راجعا الى كرسى مملكته فلما سكنت الفتن وزالت أسباب القلاقل خلع السلطان نفسه عن الملك وتنازل عنه لولده محمد فبايعه الناس وطيروا الخبر بذلك الى الآفاق ولقبوه بالفتاح واعتكف السلطان مراد

---

(١) البابا أوجينيوس الرابع تولى الكرسى من سنة ١٤٣١م إلى ١٤٤٧م .

● سعيد عاشور (دكتور) : أوربا العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص٦٨٩ .

عن الناس واعتزلهم والتزم العبادة والتهجد فلما علم لادسلاس صاحب بلونيا والمجر بخبره خالف العهد ونبذ الهدنة ظاهرياً وتقدم بعساكره لقتال الترك وحبب الى ملك القرمان شن الغارة عليهم أيضا ليقعوا بين نارين فتقدم عند ذلك كبار الدولة الى السلطان مراد فى رجوعه الى منصب السلطنة لرد العدوّ عن البلاد فعاد الى المنصب وجيش جيشا عظيما وسار به لقتال الاعداء فالتقى الفريقان عند مدينة وارنه[1] واقتتلا قتال عنيفا وثبتت جيوش المسيحيين أمام عسكر الترك واشتد القتال شدة بالغة وجرى الدم بين الصفوف مجرى الماء . قال بعض كتاب الاخبار وكانت العساكر المسيحية قليلة فى هذه الواقعة لانفصال المحاربين من الفرنسيس والالمان عنهم بعد نصرتهم الاولى وكان لادسلاس[2] فى حومة القتال ينادى على العساكر ويحرضهم ويستنهض هممهم ويكربين المواكب وصفوف الترك كأنه الأسد الضارى حتى أصابه سهم فسقط ميتا وذاع خبر موته بين جنوده ففترت هممهم وتفرق شملهم فهمّ مقدمهم هودياس[3] بجمع شتاتهم والرجوع بهم الى ساحة القتال فلم يفلح وقد أعمل فيهم الترك القتل بحد السيف فكانت قتلاهم زهاء عشرة آلاف فى هذه الواقعة الهائلة على ماروله

(١) وارنة Varna مدينة بلغارية على شاطئ البحر الأسود .

● محمد فريد : المرجع السابق ، ص١٥٧ .

(٢) لادسلاس كان ملكاً للمجر ، وقتل فى موقعة حربية فى مدينة وارنة على شاطئ البحر الأسود فى عهد السلطان مراد الثانى .

● محمد فريد : المرجع نفسه ، ص١٥٧ .

(٣) ولد هذا القائد سنة ١٤٠٠م وعينه لادسلاس ملك بولونيا والمجر حاكماً على إقليم ترنسلفانيا ، اشتهر بمحاربة العثمانيين ومات سنة ١٤٥٦م إثر جراح أصابته أثناء دفاعه عن مدينة بلجراد عند محاصرة السلطان محمد الفاتح لها .

وهناك رأى يقول هونيادى أسرة مجرية من أشهر أفرادها هذا القائد جان هونيادى (هودياس) الذى يقول عنه التاريخ الفرنسى أنه ولد سنة ١٣٨٧ ومات ١٤٥٦ ، وبعد موت لادسلاس انتخب ابنه ماتياس كورفن هونيادى ملكاً للمجر .

● محمد فريد : المرجع نفسه ، ص١٥٦ .

بعض أصحاب التاريخ وعاد السلطان مراد بعد هذه الواقعة وراية النصر تخفق على رأسه وتنازل عن السلطنة ثانية لولده وعكف على العبادة فلم ترض بذلك جماعة الانكشارية وأبوا إلا عودة الى المنصب فعاد اليه كارها ثم لم يلبث أن جيش جيشا عظيما وسار به الى بلاد الارنؤد[1] ليضمها الى مملكته وكان من تولى الحكم على شئ من تلك البلاد بالتوريث أمير اسمه يوحنا كاتريو فلما علم بقدوم السلطان مراد بجيوشه وتحقق أن لا قبل له على رده راسله فى أمر الصلح وعاهده على دفع الجزية فأجابه السلطان الى ذلك وعاهده وأبقاه على مابيده من البلاد وأخذ أولاده الأربعة رهينة عنده فاختلط ثلاثة منهم بمماليك السلطان حتى صاروا لايمتازون عنهم فى شئ والتزم رابعهم وهو أصغرهم واسمه جورج بخدمة باب السلطان وما زال حتى تقدم وارتقى المناصب العالية لشجاعته وبأسه وذكائه ثم أسلم بعد ذلك وتجرد للغزو والجهاد وعرف باسم اسكندر بك فكانت له مواقع هائلة وحروب عظيمة فى خدمة الترك قال بعض كتاب الاخبار ثم عاد بعد ذلك فندم على مافرط منه من قتال المسيحيين وارتد الى دينه وتعصب وصار من أكبر أعداء المسلمين وأشد المبغضين لآل عثمان فحرض الاهالى على الخروج وشق عصا الطاعة فكان من وراء ذلك من الحوادث والخطوب مالا محل لذكره هنا وركب أيضا السلطان مراد على قسطنطين صاحب المورة وباقى الاقاليم المتاخمة لتلك البلاد فدوّخهم وأخضعهم لملكه ورتب عليهم الجزية وجرت بسبب ذلك حروب هائلة كثيرة بينه وبين الارنؤد والمجر ومازال يغزو ويفتح البلاد حتى أصابته سكتة فمات فى سنة خمسة وخمسين وثمانمائة هجرية أى نحو سنة أحدى وخمسين وأربعمائة وألف ميلادية ودفن بمدينة بورسه .

---

(١) بلاد الارنؤد : بلاد الألبان وكان منهم الجنود الارناءوطية (الارناءود) .

●(الجبرتى : مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص٢٨٩) .

فقام بالامر بعده ولده(السلطان محمد[1] الثانى) بايعه أهل الدولة فى اليوم الذى مات فيه أبوه فكان سابع سلاطين آل عثمان قال أصحاب التاريخ وهو من أعظمهم همة وأعلاهم قدرا وكان بطلا مقداما شجاعا قوى الجنان موصوفا بالمغازى والحروب وكان أبوه السلطان مراد قد أوصاه قبل موته أن لا يغمد له سيفا ولا يبطل له جهادا حتى يفتح مدينة القسطنطينية فجيش جيشا عظيما وأخذ يتأهب لحصارها وكان نظام القيصرية الرومية فى هذا الحين على شفا جرف[2]هار بسبب المنافسات الدينية ولذلك أصبحت القيصرية فى غاية الضعف فزالت هيبتها وانحطت عظمتها فلم يبق للقيصر من السلطنة الا مجرد الرسوم والعادات البسيطة . قال بعض كتاب الاخبار وبلغ من خلل أحوال الامبراطورية الرومية وانحطاط قدرها أنه لما وردت الاخبار الى القسطنطينية بأن السلطان محمد الثانى ابتنى قلعة بوغازكسن وكان قد ابتناها لغرض سد خليج القسطنطينية على سفن الامبراطورية والتضييق عليها خاف الروم واضطربت أحوالهم وعقدوا للمذاكرة فى ذلك مجلسا كبيرا فى كنيسة أياصوفية[3] فلما

---

(١) ولد السلطان محمد الثانى (الفاتح) فى ٢٦ رجب ٨٣٣هـ/٢٠ أبريل١٤٢٩م ، وهو سابع السلاطين العثمانيين ، ولما تولى الملك بعد أبيه لم يكن بآسيا الصغرى خارجاً عن سلطانه إلا جزء من بلاد القرمان ومدينة سينوب على البحر الأسود ، ومملكة طرابزون الرومية (على البحر الأسود تبعد ١٤٠ك من ارضروم) .

وكانت مملكة الروم الشرقية قاصرة على القسطنطينية وضواحيها ، وكانت المورة مقسمة إلى إمارات صغيرة تحكمها البنادقة وبعض أعيان الروم ، بعد الحروب الصليبية ، وكانت بلاد الارنؤود (البانيا والبوسنة) مستقلة والصرب تابعة للدولة العثمانية .

وبعد أن تولى محمد السلطنة أمر بدفن أبيه فى بورصة ، وأمر بقتل أخيه الرضيع (أحمد) كالعادة التى كانت متبعة ، وأرجع الأميرة مارا الصربية إلى والدها والتى كان السلطان قد تزوجها كعلامة سلام ضمن معاهدة بينهما ، وبدأ يستعد لفتح القسطنطينية كما سنرى فى سرد مؤلف الكافى .

● (محمد فريد : المرجع السابق ، ص ص١٦٠ ، ١٦١) .

(٢) شفا جرف هار : قارب الانهيار .

(٣) كنيسة أيا صوفيا : (القديسة صوفيا) وتعد من أروع آثار الفن البيزنطى ، وقد أمر بتشييدها الإمبراطور قسطنطين الثانى ، وافتتحت سنة ٣٤٧م بعد أن استغرق بناؤها ١٧ عاماً ، وإن كان السنوسى فى كتابه : الرحلة الحجازية ، جـ٢ ، ص٦٥ يقول بأن من بناها هو قسطنطين الكبير عام ٣٢٠م ، وقد أعاد الإمبراطور جستنيان الأول (٥٢٧- ٥٦٥م) بناءها من جديد على الصورة الأخيرة لها ، وقد استخدم فى إعادة=

اجتمعوا أخذوا يتزاحمون ويتقدم بعضهم على بعض فى الجلوس ولم يراعوا درجات بعضهم فأدى بهم ذلك الى السباب والملاكمة وانفرط عقد اجتماعهم ولم يعملوا عملا يذكر أ هـ

وكان الامبراطور على القسطنطينية يومئذ قسطنطين[1] دراغايس بن ايمانوئيل فأرسل الى السلطان محمد رسلا يستعطفونه ويستميلونه الى تقرير قاعدة للصلح فطردهم السلطان ولم يسمع كلامهم وأخذ فى التأهب والاستعداد ورسم ببناء الحصون والقلاع على شاطئ بوغاز القسطنطينية فزاد خوف قسطنطين وهاله الامر جدا وأرسل الى السلطان سفراء آخرين يقول على أيديهم ان ماوراء بناء هذه

---

= البناء الكثير من المواد القديمة التى كانت فى الأبنية الأثرية من معابد مختلفة (كمعابد افروديت وأبولو وأرتميس والشمس) ومساحتها ٧٠٠ متراً وارتفاع القبة فيها ٥٦,١٣ متراً ومحيطها ٣١ متراً وفيها ١٠٨ عموداً ، ٤ منها فى الطابق الأرضى ، ٦٨ فى العلوى الذى كان مخصصاً للنساء ، وأجمل ما فى هذه الكنيسة هى الفيسفساء الزجاجية Glass Mosaic التى تزين جدرانها ، والتى تصور مشاهد دينية من الكتاب المقدس ، وقد حولها السلطان محمد الفاتح إلى مسجد بعد فتح القسطنطينية عام ٨٥٧هـ/١٤٥٣م فطليت هذه الصور بالجص ثم رفع عنها بعد تحويلها إلى متحف فى عصر الجمهورية التركية .

●(أحمد بن محمد الحموى : فضائل سلاطين المماليك ت . د . محسن محمد حسن ، ص١٠٥ ، محمد عبد العزيز مرزوق (دكتور) : الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى ، القاهرة ١٩٨٧ ، ص٣٢) .

(١) هو قسطنطين الحادى عشر باليولوجوس (١٤٤٩-١٤٥٣) وهو آخر إمبراطور بيزنطى اعتلى عرش القسطنطينية ، وكان الابن الرابع لعمانويل الثانى ، وقد زكاه للعرش أخوه حنا الثامن الذى مات فى أكتوبر ١٤٤٨م دون وريث لكن نازعه على العرش اثنان من إخوته ، غير أن أمهم هيلانه حسمت الأمر فولت فى يناير ١٤٤٩ قسطنطين هذا وكان يحكم المورة (البليبونيز) فتولى الأمر وهو فى ميسترا .

وحدث فى فبراير من السنة ذاتها آن مات السلطان العثمانى مراد الثانى وخلفه ابنه محمد الثانى ، الذى كان ما يزال شاباً إلا أنه كان ذا همة كبيرة ، وسرعان ما ظهر للعيان عزمه على فتح القسطنطينية فشرع فى حصارها، فلم يدخر الامبراطور قسطنطين وسعاً فى الدفاع عنها ، وسعى حثيثاً إلى استنفار اتحاد الكنائس فى الغرب ولكنه فشل .

ولما حاصر السلطان محمد القسطنطينية طلب من قسطنطين التسليم فرفض ودارت الأحداث كما هو وارد هنا . . .

● أ . دونالد نيكول : معجم التراجم البيزنطية ، مرجع سابق ، ص ص ١٤٠ ، ١٤١ .

القلاع الا القتال واضرام نار الحرب فان لم تراع ما كان بين بلادى وبلادك من العهود والمواثيق وتقرر بيننا قاعدة للصلح فذاك اليك وقد فوّضت أمرى الى اللّه فان هداك سبحانه وعطف قلبك كان ذلك غاية المراد وان كان قد قضى لك بفتح القسطنطينية فلا مفر مما قدره وقضاه والا فلا أسلم فيها وفىّ لسان ينطق فلما وصلت رسله وقالوا للسلطان مقالته لم يلتفت لقولهم وشدد فى بناء الحصون والقلاع وبالغ فى التأهب والاستعداد فكتب قسطنطين الى دول الفرنجة بطلب منهم المعونة والاسعاف ويستحثهم على نصرته وأقسم أنه ينجز لهم ماوعدهم به أسلافه من ضم الكنيسة الشرقية الى الكنيسة الغربية فسر البابا بذلك سرورا عظيما وسير اليه نجده عظيمة من طوائف الفرنجة فاغضبت فعال قسطنطين جماعة الروم لكراهتهم ضم كنيستهم[1] الشرقية الى الكنيسة الرومانية لما بين الفريقين من العداوة القديمة والشحناء المستمرة ونقموا على امبراطورهم وتفرقوا عنه وخذلوه وفضلوا سقوط المدينة فى أيدى المسلمين على خلاصها وضم الكنيستين الى بعضهما وقال الدوق نوتاراس كبير وزراء القسطنطينية يومئذ جهاراً أحب الىّ أن أرى فى هذه المدينة يريد القسطنطينية تاج السلطان محمد من أن أرى فيها اكليل البابا ثم تخلى أكثرهم عن حماية أسوار المدينة وتفرقوا عنها فلم يبق منهم الا نحو عشرة آلاف بين روم وفرنجة وبينما هم على هذا الحال من فتور الهمة واختلاف الكلمة وتفرق الرعية عن راعيها اذ أقبل السلطان محمد فى مائتين وستين ألفا من المقاتلين وذلك فى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة وألف ميلادية أى سنة سبع وخمسين وثمانمائة هجرية ومعه عمارة حربية مؤلفة من ثلاثمائة سفينة كبيرة فنزل بجيوشه على أسوار المدينة وحاصرها

---

(١) كانت كنيسة روما منذ القرن الخامس ، بعد مجمع خلقيدونيا سنة ٤٥١م تنظر بعين الحقد للكنائس الشرقية وهى القسطنطينية والإسكندرية وأورشليم وأنطاكيا ، وكانت تخطط لأن تكون هى الأم وهؤلاء أتباعها وسعت إلى هذا بمختلف الوسائل حتى غير المشروعة بالختل أو القوة ولكن هذه الكنائس لم ترض بهذا وظل هذا لعديد من القرون . (المحقق) .

من جميع الجهات وأرسل إلى قيصر يطلب اليه أن يسلم البلد تحت شروط كلها شدة واهانة فأبى قسطنطين وصمم على القتال جهد الاستطاعة فغضب السلطان محمد لذلك وأمر فشددوا فى الحصار وجاءت الاخبار الى قسطنطين بعزم السلطان محمد على الهجوم على الاسوار وأخذ المدينة عنوة فى يوم كذا فهاله الامر جدا وجمع اليه خواصه وكبار قومه ومن كان عليهم معتمده من الروم وشكى اليهم حاله وبالغ فى الشكوى وبكى وانتحب وعظم البلوى فبكوا جميعا لبكائه وأقسموا على الذب والدفاع واقتحام نار الوغى حتى يقضى اللّه أمرا كان مفعولا ثم قاموا وتعانقوا وقبل بعضهم بعضا قبلة الوداع وطلعوا على الاسوار وتحصنوا فيها وكذلك فعل قسطنطين وكان ممن لبى دعوة قسطنطين وقام لنصرته على المسلمين أهالى چنوه فسيروا لنجدته عمارة[1] بحرية ومقدمها الامير جوستنيانى فأتى بها يريد الدخول الى مياه القسطنطينية فعارضته السفن التركية فاقتتلوا قتالا عنيفا وانتصر جوستنيانى نصرة عظيمة فدخل المينا غانما فاستعظم السلطان هذا الامر جدا وصمم على ادخال مراكبه الى المينا أيضا ومحاصرة المدينة برا وبحرا قال بعض الكُتاب وفكر كثيرا فى هذا الأمر فخطر على باله أن ينقل المراكب على البر حتى تجتاز السلاسل الحديد الموضوعة على مضيق البوغاز فمهّد لذلك طريقا على البرطولة فرسخان وقيل أكثر وغطاه بالخشب وصب عليه الزيت والدهن ونقل عليه فى ليلة واحدة أكثر من سبعين سفينة . قلت ولعل فى ذلك مبالغة . ولما حل الاجل المعهود هجم عساكر المسلمين على الأسوار هجمة الاسود وكانوا زهاء مائة وخمسين ألفا من الأبطال المشهود لهم فلقيهم الروم بقلوب مطمئنة واشتبك القتال وحمى الوطيس فخرت الابطال من فوق الاسوار وكان قسطنطين قائما مابين النارين ينادى على الروم بالتجلد والثبات واعمال السيف فى أعناق الأعداء وهو يقاتل قتال الابطال

(١) عمارة بحرية : أسطول بحرى «ومقدمها» أى قائدها .

والمسلمون يندفعون على الاسوار من كل فج عميق فلما أيس[١] قسطنطين من الظفر وأيقن بالغلبة وسقوط المدينة فى أيدى المسلمين نزع عنه أسلحته المذهبة وألقى بنفسه بين صفوف المسلمين فقطعوه بحد السيف ولم يعلموا من هو فلما شاع بين من بقى على الاسوار من الروم خبر موت قسطنطين انفشلوا فظفر بهم المسلمون وتغلبوا على الاسوار وأخذوها ثم اقتحموا المدينة وأعملوا فى أهلها السيف ودخلوا كنيسة القديسة صوفية وقد كان فيها بطرق[٢] القسطنطينية يصلى وحوله خلق عظيم ـ وقتلوا من فيها بحد السيف ولم يبقوا على أحد ونهبوا وأسروا وأحرقوا وخربوا ما فى المدينة من الابنية العظيمة والآثار الفاخرة وأحرقوا جميع مكاتبها فكان عدد ما أكلته نار الحريق منها مائة ألف مجلد وعشرين ألفا .

ورأى السلطان محمد من أبنية القسطنطينية[٣] ومراسمها ومنتزهاتها ماحبب اليه نقل كرسى مملكته اليها فنزح الروم عنها فرارا من الترك وكادت تخلو من

(١) أيس : يئس .

(٢) بطرق : بطريك .

كان البطريك هناك آنذاك هو جريجورى الثالث ماميه Mammé بطريك القسطنطينية من ١٤٤٥-١٤٥١، وكان من المتحمسين لفكرة اتحاد الكنيستين الشرقية والغربية ، ولما عجز عن إقناع الاكليروس بهذه الفكرة غادر القسطنطينية فى أغسطس١٤٥٠ إلى روما حتى مات هناك فى ١٤٥٩ وظل الكرسى البطريركى شاغراً حتى تعين جيناديوس Genadios بطريركاً سنة ١٤٥٤ من قبل محمد الفاتح فى وجود جريجورى هذا .

● أ . دونالد نيكول : معجم التراجم البيزنطية ، ترجمة د . حسن حبشى ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص٣٣ .

(٣) القسطنطينية : شيدها عام ٣٣٠م قسطنطين الإمبراطور الرومانى كى تكون عاصمة للإمبراطورية الرومانية بدلاً من بيزنطة القديمة على ضفاف البسفور ، وهذا المكان عبارة عن شبه جزيرة تحيط بها من الجنوب مياه بحر مرمرة ومن جهة الشرق مياه مضيق البسفور ، ومن الشمال مياه القرن الذهبى الذى هيأ مرفأ طبيعياً عظيماً للمدينة الجديدة ، ومن ثم كان موقعاً استراتيجياً سيطر على المضايق التى تربط البحر الأسود بالبحر المتوسط من جهة ، كما أنه يصعب مهاجمتها والاستيلاء عليها من جهة أخرى ، إلى جانب أنها كانت مركزاً تجارياً ممتازاً عندما وقعت على ملتقى الطرق التجارية العظيمة التى تربط البحر الأسود ببحر إيجة وشمال أوربا وغربها بآسيا .

كما اعتنى بها قسطنطين فكانت روما الثانية إذ شيد فيها قصراً إمبراطورياً وسوقاً ومحاكم ودارا للسناتو وحمامات وملعباً كبيراً .

● دكتور سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ص٢٠ ، ٢١ .

السكان فرسم لكل من عاداليها من الروم أن يبقى على دينه وعاداته ولا يتعرض له أحد بسوء فلم يأت الا القليل بل كثر النازحون منها لاسيما بعد اقامة الأذان والصلاة فى كنيسة أياصوفية وتبديل حالها فهال السلطان هذا الامر واستعظمه وأتى اليها بكثير من أهل القرى والضواحى ثم أقام للروم[١] بطركا ليجتمعوا حوله وسلم له عصا البطريكية وخاتمها كما كانت تفعل القياصرة فى سالف الازمان وقسم ما فى المدينة من الكنائس بين النصارى والمسلمين وجعل لكل فريق منهم حدا لايتعداه وفرض على النصارى قدرا من المال يقومون به الى الخزينة السلطانية فى كل عام قال بعض كتّاب الاخبار وبقى الحال على ذلك زهاء ستين سنة حتى جاء السلطان سليم الاول فنسخه وسيرهم على ما أراد .

ولما استقامت للسلطان محمد الأمور بعد فتح القسطنطينية عمد الى فتح جزيرة رودس[٢] فسير الى أهلها يتهددهم ويطلب منهم الجزية وكان عظيمهم

---

(١) هو جيناديوس سكولاريوس Scolarios بطرك القسطنطينية من ١٤٥٤ حتى ١٤٥٦ وكان اسمه أولاً «چورج كورتيسيوس» Kourtesios ، وكان مولده حوالى ١٤٠٥م ، وتعلم فى ميسترا ببلاد المورة .
وفى أثناء قيامه بالكتابة للإمبراطور يوحنا الثامن حضر مجمع فرارا بفلورنسا ، وكان ضليعاً فى العلوم الفلسفية واللاهوتية الغربية ، وأمضى وثيقة اتحاد الكنائس الصادرة فى سنة١٤٣٩م ، لكنه ما كاد يعود إلى القسطنطينية حتى رجع عن هذا الرأى وأصبح بعد «مارك يوجنيكوس Eugenikos» حامل لواء المعارضين لهذا الاتحاد والمتكلم باسمهم ، ثم حلق شعر رأسه وتبتل وسلك مسلك الرهبان وغير اسمه إلى جيناديوس .
ولما تم فتح القسطنطينية على يد الأتراك عام ١٤٥٣م اختاره السلطان محمد الثانى ليشغل الكرسى البطريركى ، فكان بذلك أول بطريرك للقسطنطينية أيام الحكم العثمانى وكانت وفاته بعد سنة ١٤٧٢ .
● أ . دونالد نيكول : معجم التراجم ، مرجع سابق ، ص ص٣٥ ، ٣٦ .

(٢) جزيرة رودس احدى جزر البحر المتوسط بالقرب من شاطئ آسيا الصغرى ، تتميز بطيب جوها وكثرة فاكهتها وأزهارها ، واشتق اسمها من كلمة رودون اليونانية ومعناها (وردة) ، وكانت منتجعاً لسلاطين العثمانيين وأمراء الآستانة ، أما رهبان القديس يوحنا الأورشليمى المشار إليهم هنا إنما هم فرسان يقومون بأعمال القرصنة فى البحر المتوسط خصوصاً على سفن المسلمين بعد الحروب الصليبية ، وحملوا اسم رهبان القديس يوحنا إذ أن فى هذه الجزيرة دير لهم يحمل هذا الاسم ، وأن هؤلاء الفرسان اتخذوا هذه الجزيرة موطناً لهم بعد انسحاب الصليبيين من عكا سنة ١٢٩١م يهاجمون منها السفن ويستولون عليها ويقودوها إلى إحدى موانيهم فيها وكان سكان شمال إفريقيا يتصدون لهم معتبرين هذا جهاداً فى سبيل الله حسبما كان الآخرون يعتقدون كذلك ومن المؤرخين من كانوا يعتبرون الإثنين قراصنة .=

يومئذ يوحنا دولستيك فأرسل اليه يوحنا يقول كف عنا فو الله ان فرسان رودس لم يأخذوها الا بسيوفهم ومعونة الله سبحانه وتعالى ولم تطأ أرجلهم أرضها بعناية أحد من ملوك الارض فلن نسلم لك فيها وفينا رمق . وعرض للسلطان محمد بعد ذلك ماشغله عنها فوجه عنايته الى فتح الصرب فسار اليها فى جيش عظيم وتوغل فى جوفها فقام عند ذلك البابا كالستوس الثالث يستنهض جميع ملوك المسيحية على قتال المسلمين ويحضهم على استخلاص البلاد من أيديهم ويحثهم على الجهاد فى سبيل الله وجاءت الاخبار بذلك الى السلطان محمد فسار فى مائة ألف وخمسين ألفا من الجند المدربة وحاصر مدينة بلغراد وضيق عليها برا وبحرا حتى كادت تسقط فى يديه وطارت الاخبار بذلك الى الأفاق فأخذت حمية الدين أحد رهبان القديس[1] فرنسيس فطاف يحث النصارى ويحضهم على الجهاد واستخلاص بلغراد من أيدى المسلمين وأكثر من التطواف والحض والمناداة فاجتمع حوله زهاء أربعين ألفا من الجنود النمساوية فسار بهم الى القائد هونيادس الشهير قائد الجيوش المجرية وجعله المقدم عليهم فسار بهم هونيادس وقاتل السلطان محمد قتالا عنيفا للغاية فانتصر عليه وأتلف سفنه الحربية وأغرق أكثرها فلبث السلطان محمد يهاجم المدينة أربعين يوما فلم ينل

مطلب
قيام البابا
كالستوس الثالث
وحثه المسيحيين
على قتال السلطان
محمد .

---

= أما القديس يوحنا الأورشليمى الذى ظلم اسمه بينهم فقد كان أسقفاً لأورشليم سنة ٣٨٨م .

وقد توصل هؤلاء الفرسان القراصنة فى القرن السادس عشر إلى الاستيلاء على طرابلس فى شمال إفريقيا لتكون جيباً صليبيا لهم ، ولكنهم لقوا مقاومة عنيفة من المسلمين هناك واستنجدوا بالعثمانيين أيام سليمان القانونى فأرسل أسطولاً كبيراً هزم هؤلاء الفرسان ودخل المدينة عام ١٥٥١ وعين مراد أغا والياً عليها من قبل العثمانيين .

انسحب الفرسان بعد ذلك إلى جزيرة مالطة عام ١٥٦٥ وظلت معقلاً لهم لأكثر من قرنين إلى أن أطاح نابليون بحكمهم فيها عندما استولى على الجزيرة فى يونيو ١٧٩٨ أيام مرور الحملة الفرنسية إلى مصر .

● محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ت . د . إحسان حقى ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص١٧٦ .

● عبد العزيز الشناوى (دكتور) الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، جـ١ ، ٤٠٧ ، ٩٢٢ ، ٩٢٧ ، قاموس أباء الكنيسة وقديسيها للقمص تادرس يعقوب ٢٠٠١ ، ص٢٤١ .

(١) هو الراهب فرنسيس الاسيسى مؤسس ، جماعة الرهبان الفرنسيسكان الموجودين للآن .

منها ورجع بمن بقى من عسكره وقد مات منهم خلق عظيم وأصابت هونيادس قائد العساكر المسيحية بعد نصرته جراحات بليغة فاعتل ومات بها بعد انسحاب السلطان محمد بعسكره فلما علم السلطان بموته فرح وسير وزيره محمد باشا الى فتحها فحاصرها ولبث يقاتل عليها سنة ونصف سنة حتى تم له النصر وسقطت فى يده فخسرت بذلك استقلالها وأصبح حكمها حكم بقية المدن التى وقعت فى قبضة العثمانيين .

مطلب زحف السلطان محمد على ولاية أثينا وما كان من وراء ذلك .

ولما كانت سنة احدى وستين وثمانمائة هجرية أى نحو سنة ست وخمسين وأربعمائة وألف ميلادية زحف السلطان محمد على ولاية أثينا وفتحها بعد حروب هائلة وضمها الى أملاكه واتفق فى هذه الاثناء أن وقع الخلاف ما بين الملوك توما والملك ديمتريوس باليولوغوس أخى قيصر الروم بشأن مملكة المورة التى كانا يحكمانها بالاشتراك معا ويدفعان عنها الخراج للسلطان محمد واشتد بينهما الخصام واستفحل أمره فقامت الحرب[1] بينهما على ساق فظفر توما بدمتريوس وهزمه فاستنجد دمتريوس بالسلطان محمد وطلب منه المدد وزوّجه بابنته ليستميله اليه فلبى لذلك دعوته وأنجده على توما وسير اليه جيشا ضخما فهرب توما بعد انهزامه شر هزيمة وخلا الجولدمتريوس فجعل يتصرف فى الأمور ولكن لم تكد تستقر به الراحة بعد تلك الحروب الهائلة حتى داخل السلطان الطمع ومالت نفسه الى ضم مملكة دمتريوس الى بلاده فركب على دمتريوس

(١) حرب محمد الثانى فى بلاد اليونان : بعد وفاة مراد الثانى تولى العرش محمد الفاتح (لأنه فتح الإمبراطورية الشرقية للإسلام بعد أن استعصت على المسلمين فى عهد الأمويين) ، وكانت الدولة البيزنطية قد وصلت إلى حالة كبيرة من الإعياء ، ولم يكن نفوذ الأباطرة قويًا بسبب الصراعات بينهم كما هو وارد هنا .

● (محمد أنيس(دكتور) : الدولة العثمانية والشرق العربى : القاهرة ، د . ت . ص ص ٥٤ ، ٥٥ .

بخيله ورجله[١] وقضى عليه ونفاه الى احدى الديارات[٢] واستولى على بلاد المورة الا بعض الحصون التى كان سلمها توما الى البابا وأهل البندقية قبل فراره من وجه دمتريوس . ولم تأت سنة سبع وستين وثمانمائة هجرية أى سنة أحدى وستين وأربعمائه والف ميلادية الا وقد زالت آثار السلطنة المشرقية العظيمة ولم يبق منها سوى مملكة طرابزون[٣]فعمد السلطان محمد فى تلك السنة الى أخذها وضمها الى مملكته وجيش جيشا وسار به اليها وقاتلها حتى أخضعها لحكمه ودخلت فى عداد ممالكه ثم سار منها فأخذ ولاية سنوب[٤] وجاء بصاحبها داود كوموين أسيرا الى القسطنطينية ومثل به شر تمثيل ثم أمر فقتلوه صبرا وكان قد اتهمه بمكاتبة ملك فارس والتألب معه وقتل كذلك أولاده بين يديه وكانوا ثمانية وعاد الى القسطنطينية ظافرا غانما . ثم جيش بعد قليل جيشا عظيما وسار به لقتال أمير الفلاخ وكان سبب ذلك تعدى أهالى الفلاخ على جماعة من التجار العثمانية النازلين هناك فلما علم صاحب الفلاخ بحضوره أرسل اليه رسلا فى طلب الصلح وقيامه بدفع جزية فى كل سنة قدرها عشرة آلاف دوكاوان[٥] يصادق على جميع الشروط التى تقررت فى معاهدة سنة

---

(١) الخيل والرجل : الجيش المقاتل .

(٢) الديارات : الأديرة .

(٣) طرابيزون : مدينة قديمة بآسيا الصغرى على البحر الأسود تبعد ١٤٠ كيلومتراً عن مدينة ارضروم ، ويظن أنها معاصرة لمدينة طروادة ، واسمها مشتق من لفظ (ترابيزوس) اللاتينية ومعناها الشكل المعين ، ولما انقسمت المملكة الرومانية إلى شرقية وغربية ظلت هذه تابعة للملكة الشرقية حتى سنة ١٢٠٤م حيث فتحها الإفرنج الذين أتوا فى الحروب الصليبية ، ثم سكنها أحد أعضاء عائلة (الكومين) ، وتأسست بها مملكة طرابزون التى ظلت مستقلة ، ولو أنها كانت تابعة إسماً لمملكة الروم بالقسطنطينية ، إلى أن فتحها العثمانيون عام ١٤٦١م ، وقتلوا داود آخر ملوكها وأولاده .

● محمد فريد : المرجع نفسه ، ص١٦٠ .

(٤) ولاية سينوب : سينوب مدينة حصينة شمالى الأناضول على البحر الأسود بها ميناء واسع اتخذتها الدولة العثمانية ملجأ لسفنها الحربية ، وترجع شهرتها إلى ما ارتكبته روسيا فيها من تدمير الأسطول (الدوناتمة) العثمانية سنة ١٨٥٣ قبل حرب القرم الشهيرة .

● محمد فريد : الدولة العلية ، ص١٦٠ .

(٥) دوكاوان : عملة إيطالية كانت متداولة فى البندقية .

● بول كولز : العثمانيون فى أوربا ، المرجع السابق ، ص١٤١ .

ست وتسعين وسبعمائة هجرية أى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وألف ميلادية مابين السلطان بايزيد وأمير الفلاخ يومئذ فقبل السلطان محمد الثانى بذلك وانسحب بجميع جيوشه وكان هذا القول من أمير الفلاخ خدعه ليتمكن من عقد محالفة مع ملك المجر على قتال الترك فلما تم له ما أراد وعلم السلطان بالخبر سير اليه رسولين يسألانه فى ذلك فقبض عليهما وقتلهما ثم لم يلبث أن زحف فى جيش عظيم وأغار على بلاد بلغاريا التى هى من أملاك آل عثمان فعاش فيها وأفسد وخرب وأحرق وعاد بخمس وعشرين ألف أسير فسير اليه السلطان رسلا فى طلب فك الاسرى والرجوع الى الطاعة وعدم مخالفة العهد فلما مثلوا بين يديه قيل انه أمرهم بخلع عمائهم عن رؤسهم اجلالاً له وتعظيما فأبوا ذلك فأمر بأن تسمر عمائمهم على رؤسهم بمسامير من حديد ففعلوا بهم ذلك وهم بين يديه وجاءت الاخبار الى السلطان بما وقع لرسله فكاد يتميز غيظا ونادى فى جنده بالتأهب ثم خرج فى مائة ألف لقتال أمير الفلاخ ومازال حتى اخترق جوف بلاده ووصل الى مدينة بخارست عاصمة مملكته بعد أن هزمه شر هزيمة ومزق شمل عسكره فهرب صاحب الفلاخ ونزل على ملك المجر مستجيرا فنادى السلطان محمد بخلعه من منصب الامارة وأقام أخاه راوول مكانه وكان راوول هذا قد تربى فى حضانة السلطان محمد وللسلطان به ثقة فصارت بذلك بلاد الفلاخ تابعة لأملاك السلطنة العثمانية .

مطلب
تدويخ بلاد البوسنة وأخذها عنوة .

وركب فى سنة سبع وستين وثمانمائة هجرية أى سنة اثنتين وستين واربعمائة وألف ميلادية على البوسنة لامتناع أميرها عن دفع الجزية فحاربه وانتصر عليه وقتله هو وولده بعد قتال عنيف للغاية فدانت له بقتله جميع بلاد البشناق(1) وكبر الامر على صاحب المجر فهم باستخلاص البوسنا من أيدى العثمانيين وخرج فى عسكر عظيم فركب عليه السلطان فى جيش جرار وهزمه

---

(1) بلاد البشناق : وتشمل البوسنة والهرسك .

● الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ١ ، ص٤٨٧ ، هامش٣ .

وفرق شمل عساكره فعاد خائبا وشدد السلطان على أهل البوسنا فسلبهم جميع ما كان لهم من الامتيازات والحقوق وأدخل فى الصفوف الانكشارية زهاء ثلاثين ألفا من شبان البوسنا وشدد على كبار أهلها وأشرافهم فتدين أكثرهم بالدين الاسلامى وصارت البلاد ولاية كبقية الولايات الداخلة فى حكم آل عثمان . ولما كانت سنة ثمان وستين وثمانمائة هجرية أى سنة ثلاث وستين وأربعمائة وألف ميلادية ابتداء الخلاف بين العثمانيين وأهل البنادقة وكان سبب هذا الخلاف أن عظيماً من العثمانيين هرب إلى ناحية كورون التابعة للبنادقة فطلب فلم يسلموا فيه وامتنعوا وقالوا أنه تنصر واعتنق الدين المسيحى فلم يحل اعتباره عبداً رقيقاً وكان فى نفس السلطان أن يشن الغارة على جميع أعمال البندقية ويضمها إلى أملاكه فاتخذ ذلك حجة للقتال وجيش جيشاً عظيماً وسار به فى سنة خمس وسبعين وثمانمائة هجرية ونزل على جزيرة اغريبوز المعروفة أيضاً بارجوس يريد قتالها فقاتله أهلها قتالاً عنيفاً وأرسلوا يستنجدون حكومتهم فسيرت لنجدتهم عمارة عظيمة فوصلت إلى بلاد المورة وأنزلت إلى البر من بها من الجنود والمقاتلة فتقوت بهم عزائم سكانها وثاروا معهم على من كان عندهم من عسكر السلطان فأجلوهم عن البلاد ثم رمموا ما كان تهدم من أسوار برزخ كورنشيه[1] وحاصروا مدينة كورنشية واستخلصوا مدينة اغريبوز فاستعظم السلطان هذا الأمر وأكبره جداً وزحف فى زهاء ثمانين ألفاً فخاف أهل البندقية وسقطوا فى أيديهم وتركوا البرزخ المذكور ورجعوا القهقرى فوصل السلطان بعسكره ودخل البلاد بعد قتال خفيف واسترجع كل ما أخذوه وأرجع الأمور إلى سابق مجراها .

واشتد بغض أمم أوربا للعثمانيين وكرهوا جوارهم فقام البابابيوس[2] الثانى يدعو المسيحيين الى قتال المسلمين ويستحثهم على نصرة الدين ومحور آثار

---

(١) كورنثية : كورينثوس وهى ميناء على الخليج الكورنثى فى اليونان .

(٢) البابا بيوس الثانى : تولى الكرسى من عام ١٤٥٨ إلى ١٤٦٤م .

● سعيد عاشور (دكتور) : أوربا العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص٦٨٩ .

العثمانيين من قارة أوربا وأكثر أتباعه من النداء والتحريض فهاجت الخواطر وامتلأت القلوب بغضا فقام صاحب البانيا بعسكر جرار وشن الغارة على المملكة العثمانية وقاتل العثمانيين قتال الابطال فخرب وأحرق وأهلك الحرث والنسل وأراق الدماء الكثيرة ومازال يقاتل حتى أدركته المنية فمات سنة ثمان وستين[1] وثمانمائة هجرية حتف أنفه وقد كان من أشد خصوم العثمانيين وألد أعداء سلاطين آل عثمان فحاربهم خمسا وعشرين سنه لايغمد له فيها سيف ولاينثنى له عزم ولم يقو السلطان محمد على قمعه وادخاله تحت الطاعة . وسير السلطان بعد ذلك بقليل عمارة حربية لفتح مينا آق كرمان[2] ففتحها وأقلعت السفن تريد مصاب نهر الدانوب لاعادة الكرة على بلاد البغدان[3] وأخذها فلاقته العساكر البغدانية وفى مقدمها الامير اصطفن الرابع صاحب البغدان عند نهر الدانوب فاجتاز السلطان النهر فلم تقف أمامه عساكر اصطفن وتقهقروا خديعة ومكرا ولم يقاتلوا السلطان فتبعهم السلطان بعساكره وساق خلفهم بخيله ورجله حتى دخلوا فى غابة كثيفة للغاية لاتعرف مفاوزها[4] فلم يمهلهم اصطفن المذكور حتى انقض عليهم بعسكره وقهرهم وأعمل فيهم القتل بحد السيف ففر السلطان ونجا وتمزق شمل من بقى من عسكره وانتصر اصطفن فى هذه الموقعة نصرة عظيمة وكان ذلك فى سنة احدى وثمانين وثمانمائة هجرية أى سنة ست

مطلب فيما أصاب عسكر السلطان فى بلاد البغدان وفى هزيمتهم .

---

(١) سنة ٨٦٨هـ = ١٤٦٣م .

(٢) ميناء آق كرمان : ميناء فى رأس خليج صغير مقابل شبه جزيرة القرم يصب فيه نهر دنيستر Dniestr واسم هذا الميناء اليوم ديستروفسكى Dhestrovsky .

● (محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق ، ص١٧٤) .

(٣) البغدان : هى المنطقة الشرقية من رومانيا المتاخمة لحدود الاتحاد السوفيتى (روسيا الآن) والكائنة بين نهرى بروت Prut وسيرت Siret ، وكانت هذه المنطقة تصغر أو تكبر حسب إرادة الفاتح .

● (محمد فريد : تاريخ الدولة العلية - المرجع السابق ، ص١٧٣) .

(٤) مفاوزها : طرقها .

وسبعين وأربعمائة وألف ميلادية ففرح المسيحيون بنصرة اصطفن فرحا عظيما وسير اليه البابا رسولا يهنئه بالنصر ويقول له أن البابا قد سماه من هذا اليوم بطل النصرانية وحامى حمى الديانة المسيحية .

مطلب حصار سفن السلطان لرودس والرجوع عنها .

وجهز فى سنة خمس وثمانين وثمانمائة هجرّية أى سنة ثمانين وأربعمائة وألف ميلادية عمارة أخرى عظيمة وعليها مائة ألف مقاتل وشىء كثير من الذخيرة ومعدات الحرب وسيرها مع ميشطس باشا أحد العائلة الباليولوغية[1] الامبراطورية الرومية وكان قد اعتنق الدين الاسلامى بعد فتح القسطنطينية فسار بها الى جزيرة رودس وحاصرها وضيق عليها وأقام تحت أسوارها تسعين يوما فلم ينل منها فجاءه الامر بالارتحال عنها فارتحل ولم يقدر اللّه لسلطان محمد قتالها بعد ذلك . قال أصحاب التاريخ ولما وصلت عمارة السلطان محمد الى جزيرة رودس كان صاحبها قد تمكن من ابرام صلح مع سلطان مصر وباى تونس بعد أن وقعت الحرب بينهما وبينه أياما كثيرة ليتفرغ بذلك الى دفع غارات العثمانيين عن الجزيرة التى هى مقر رهبنة القديس يوحنا الاورشليمى فحاصرتها عمارة[2] السلطان محمد حصارا تاما ومنعت عنها المدد وضيقت عليها من كل جانب ووالت الرمى عليها بالمكاحل[3] فكان أهلها يصلحون فى الليل ماتخربه المدافع من أسوارها فى النهار فطال حصارها تسعين يوما وفى كل يوم يهجم العثمانيون على الاسوار فلم تتنل منها وقد قتل منهم خلق كثير للغاية فلم يبق الا القليل وجاء مرسوم السلطان برفع الحصار والارتحال عنها فارتحلوا ومازال السلطان

---

(١) العائلة الباليولوكية (الباليولوغية) أسرة بيزنطية خرج منها عدد من الأباطرة ما بعد سنة ١٢٦١ .
وفى ١٤٨٠م فتحت تركيا جزر اليونان الواقعة بينها وبين إيطاليا وبعدها سار القائد البحرى العثمانى إلى جزيرة رودس التى كانت فى حراسة رهبان يوحنا الأورشليمى وكانت محصنة ودارت الحرب بينهما على النحو الوارد هنا .
● محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، مرجع سابق ص ، ص ١٢٥ ، ١٧٥ ، ١٧٦ .
(٢) عمارة : أساطيل .
(٣) المكاحل : نوع من السلاح كالمدافع .

محمد على قدم الغزو والجهاد لا ينكف عن القتال وتدويخ البلاد حتى أدركته المنية وهو سائر بعسكر جرار لقتال ملك فارس مات فى مدينة ازنكميد فى سنة ست وثمانين وثمانمائة هجرية أى سنة احدى وثمانين وأربعمائة وألف ميلادية فى سلخ ربيع الاول وله من العمر ثلاث وخمسون سنة فكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة قال أصحاب التاريخ وله الفعال المأثورة فى داخل بلاده فهو الذى دعا الحكومة العثمانية بالباب العالى وقسم هيئتها الى أربعة أقسام وهى الوزير وقاضى[1] عسكر والدفتردار[2] والنيشانجى[3] أى كاتب سر السلطان ورتب

مطلب
وفاة السلطان محمد
وولاية ابنه بايزيد .

---

(١) قاضى عسكر : كان رئيس القضاة ، وكان مقره العاصمة ويشرف على أعمال القضاة فى سائر أنحاء الدولة ويرشح من يقع عليه الإختيار ليكون قاضياً ، ويراجع أعمال القضاة ، وكان له أربعة نواب مخولون بالنظر فى القضايا يمثلون المذاهب الأربعة ، كما كانت تساعده أجهزة مثل : المطلبجى والتطبيقى والمكتوبجى ، وكان بعضهم يحتفظ بسجلات عن القضاة وسجلات عن الأحكام الصادرة منهم ، واخر يحتفظ بصور أختام القضاة للتحقق من صحة البصمات على المذكرات والتقارير ، بدا هذا النظام سنة ١٥٢١م ، وكان أهم شخصية بعد الباشا ، وكان يأتى من استانبول حتى عصر إسماعيل .

● د . عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، القاهرة ١٩٧٨ ، جـ١ ، ص٤٢٤ ، الأمير أحمد الدمرداش كتخدا عزبان : مخطوطة الدرة المصانة فى أخبار الكنانة ، تحقيق دانيال كريسيليوس ، د . عبد الوهاب بكر ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص٥٩ .

(٢) الدفتردار : كان الرقيب العام والمسئول عن الشئون المالية وإمساك الدفاتر ، فكان هو المسئول عن الشئون المالية فى مصر ، الرزنامة التى كانت تحت إدارة الرزنامجى والتى كانت منوطة بجمع الضرائب (المال الميرى) وإنفاق الإيرادات تحت إشراف الدفتردار ، كما كان يتبعه كتبة وكتخدا ومهردار ، كما كان يسمى هذا المنصب الدفتردارية ، وكان الدفتردار عضو فى الديوان ـ كما كان يعتبر قائمقاما عند عزل الباشا أو وفاته حتى يعين الباشا الجديد .

● (الأمير أحمد الدمرداش : المرجع السابق ، ص٦٣ .

● عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للجبرتى ، جـ١ ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص٤١) .

(٣) النيشانجى : اشتقت من «نشان» الفارسية بمعنى شارة ، وكان النشانجى يضع ختم الطغراء على الوثائق والمراسيم وسائر الأوراق الرسمية والطغراء هى شارة السلطان العثمانى ، وهى نقش متداخل معقد يحمل اسم السلطان .

وكان يذكر النشانجى مقروناً بكلمة الباشى فيقال النشانجى باشى ، وكان له مقعد فى الديوان مما يدل على أهميته .

وكان من اختصاصاته المهمة أيضاً حق اختيار الوثائق التى يختمها وتصحيحها والتأكد من مسايرتها للقوانين المعمول بها ، وإجراء التعديلات على هذه الوثائق فكان يعتبر المفتى للقوانين ، كما كان من اختصاصاته ترتيب مجموعات القوانين المعروفة باسم «القانون نامات» وإعدادها للنشر .

● (عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية ، مرجع سابق ، جـ١ ، ص ص٣٧٧-٣٧٩) .

وظائف الجند على أسلوب جديد فجعل لطائفة الانكشارية كبيرا سماه الاغا[١] وسلمه حراسة القسطنطينية وضبط أحوالها الداخلية وآخر لاصحاب المكاحل[٢] وآخر لما تحتاجه الجيوش من الذخيرة والمؤنة ومعدات الحرب واهتم بترتيب وظائف القضاء وسن القوانين النظامية المناسبة للزمان والمكان . وأعقب[٣] ولدين وهما بايزيد وجم فبايع الناس بايزيد بالسلطنة فى اليوم الذى مات فيه أبوه وهو الرابع من ربيع الاول سنة ست وثمانين وثمانمائة هجرية أى سنة احدى وثمانين وأربعمائة وألف ميلادية وطيروا الخبر بذلك الى الآفاق فأخذت له البيعة العامة فى خلال سنة ست وثمانين هجرية وكان سلطانا جليل القدر عالما شاعرا لبيبا مواظبا على العلم حسن السيرة . قال أصحاب التاريخ لما مات السلطان أبو الفتح محمد وكان أكبر أولاده بايزيد وولى عهده من بعده مقيما بامسيا يحكمها من قبل أبيه أخفى الوزير قرمانى محمد باشا خبر موت السلطان حتى يأتى ابنه بايزيد المذكور ولكنه لما كان بينه وبين أصغر أولاد السلطان مودة ومحبة أكيدة وكان يفضله على بقية اخوته سير اليه سرا من يعلمه بخبر موت أبيه ويستقدمه على عجل ليسلمه مقاليد السلطنة قبل أخيه بايزيد فشاع خبر ذلك بين الناس وعلم به جماعة الانكشارية فثاروا على الوزير وقتلوه وعاشوا يومئذ فى المدينة وأفسدوا وقتلوا ونهبوا وولوا الامير كركود ابن السلطان بايزيد

---

(١) الأغا : وجمعها أغالر أو أغايان وهو لقب كان يمنح لكبار الموظفين فى الحكومة العثمانية منهم القادة العسكريون ، كقواد الأوجاقات ، ومنهم من كانوا (طواشى) يصرح لهم بدخول غرف السيدات .

● مخطوطة الدرة المصانة : المرجع السابق ، ص٢٩ ، ٦٣ .

والكلمة أصلها تركية بمعنى الكبير وقيل إنها من الفارسية «أقا» وجرى العرف على إضافة تاء إليها إذا وقعت مضافاً .

● أحمد السعيد سليمان : تأصيل ماورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص١٧ .

(٢) أصحاب المكاحل : الذين يستعملون المدافع التى يرمى بها النفط .

● د . سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص٤٥٣ .

(٣) اعقب : أنجب .

السلطنة مكان أبيه حتى يأتى أبوه فلما كان الثالث عشر من ربيع الاول وصل الرسول الى بايزيد وأعلمه بخبر موت أبيه فركب فى اليوم الثانى فى أربعة آلاف وسار مجدا فدخل مدينة القسطنطينية بعد مسيرة مائة فرسخ وستين فرسخا فى تسعة أيام فخرج أمراء الدولة وكبارها وأعيانها للقائه ودخل المدينة فى أبهة وجلالة عظيمة للغاية وأخذ فى مباشرة الامور . أما الأمير جم فانه لما وصل اليه الخبر بموت أبيه ركب من فوره فى جماعة من أصحابه وسار قاصدا مدينة بروسة فمانعه من دخولها من كان بها من المرابطين فقاتلهم بمن معه وانتصر عليهم نصرة عظيمة ودخلها عنوة وأقام بها ولم يستقر به المقام حتى جاءه أخوه السلطان بايزيد فى جيش عظيم وقاتله وقهره وساق خلفه بخيله ورجله حتى أوصله الى تخوم ديار مصر فلما رجع ظافرا منصورا سأله الانكشارية أن يبيح لهم بروسة لينتقموا منها فلم يوافقهم على ذلك ولكنه خاف عاقبة أمرهم فأقطع كل رجل منهم قرشين .[1]

وأقام جم بمصر ماشاء ثم عاد الى لب واتحد مع الامير قاسم بك آخر سلالة أمراء القرمان على قتال أخيه بايزيد فلم ينالا شيأ فراس أخاه فى طلب الصلح بشرط أن يقطعه بعض الولايات ليقيم بها فلم يقبل بايزيد منه ذلك فخاف جم العاقبة وسار الى جزيرة رودس وطلب الى رئيس رهبنة القديس يوحنا الاورشليمى أن يساعده على أخيه بايزيد فقبله عنده وأنزله منزلاً رحبا فجاءت وفود السلطان بايزيد الى رئيس الرهبنة وكلموه فى أمر جم المذكور وأنه ان بقى عندهم بالجزيرة تحت الحفظ تعهد لهم السلطان بعدم مس استقلال جزيرتهم مدة حياته وأن يحمل لهم فى كل سنة مبلغا من المال قدره خمسة وأربعون ألف دوكا فقبل الرئيس ذلك ووفى بالوعد فلم يمكن جما من الخروج ولم يسمح له بالذهاب الى ملك المجر ولا امبراطور الالمان وقد كان كل منهما يطلبه ليتخذه واسطة لتذليل السلطان بايزيد واذهاب هيبته وسيره الى مدينة نيس ليبقى بها

(١ بمعنى استرضاهم وكسب رضاهم بالمال .

محجورا عليه لايفارقها ثم نقله الى شمبرى[(١)] وجعل بعد ذلك ينتقل من بلد الى آخر من بلدان فرنسا زهاء سبع سنوات فلما كانت سنة خمس وتسعين وثمانمائة هجرية بعثه رئيس رهبنة القديس يوحنا الى البابا توسان[(٢)] الثامن ليبقى عنده فراسل البابا السلطان بايزيد فى أمره وطلب اليه أن يبعث بالمال الذى كان يحمل فى كل سنة الى رئيس رهبنة القديس يوحنا فأجابه السلطان الى ماطلب وظل الامر على ذلك حتى مات البابا توسان وقام بعده البابا اسكندر بورجا[(٣)]واشتغل السلطان بايزيد بما جاءه من أخبار اغارات شارل الثامن ملك الفرنسيس على بلاد ايطاليا وعقده النية على فتح القسطنطينية وقد اشتدت رغبة شارل فى ذلك فبعث البعوث الى بلاد مقدونية واليونان لاضرام نار الفتنة والخروج على السلطان بايزيد فلما علم ملك نابولى وجمهورية البنادقة بما ينويه شارل خافوا من تعاظم شأن دولة الفرنسيس واستفحال أمرها وأرسلوا الى السلطان بايزيد يحذرونه شر العاقبة ويحثونه على الاخذ بأسباب التأنى

---

(١) مدينة شمبرى Chambery بالقرب من مدينة نيس Nis وكانت تمارس النشاط الإقتصادى والتجارى حيث تقع جنوب بحيرة اكس لى بان Ai x Les Bains ، وهى مركز مقاطعة سافوا Savoie وتبعد مسافة ٥٥٣ ك م من باريس للجنوب الشرقى .

● محمد فريد : المرجع السابق ، ص١٨١ ، حاشية(٢) .

● بول كولز : العثمانيون فى أوربا ، المرجع السابق ، ص١١١ .

(٢) البابا توسان الثامن : الذى تولى البابوية فى الفترة من ١٤٨٤-١٤٩٢ هو البابا انوسنت السابع (ولعله هو المقصود هنا) وكان ضعيفاً سهل الانقياد لأسرة مديتشى الثانية وباع وظائف الكنيسة (السيمونية) ووصل الفساد بذلك فى الكنيسة إلى مدى بعيد (الدكتور القس چون لوريمر : تاريخ الكنيسة جـ٤ ، ترجمة عزرا مرجان ، القاهرة ١٩٩٠ ، ص٣٦) .

(٣) اسكندر بورجا (البابا) ولد سنة ١٤٣١ بأسبانيا من أسرة بورجيا الشهيرة بالقسوة والعنف حصل على انتخابه للبابوية بإسم اسكندر السادس بطرق غير مشروعة ١٤٩٢-١٥٠٣ ، وتورط فى السياسات الإيطالية ، وكان يعمل على تولى أفراد عائلته أرقى المناصب بدون وجه حق .

● الدكتور القس چون لوريمر : تاريخ الكنيسة ، المرجع نفسه ، ص٣٦ .

وخلف هذا الرجل عدة أولاد أشهرهم سيزار بورچيا والإبنة لوكريس التى ألف فيكتور هوجو رواية محزنة باسمها شرح فيها الفظائع التى ارتكبتها هى وأبوها ، رغم ما هو معروف من أنه كان راهباً .

ويقال أن اسكندر بورچيا سمّ نفسه بسمّ كان قد أعده لأحد أعدائه عام ١٥٠٣ .

● محمد فريد : المرجع السابق ، ص١٨١ ، هامش(٣) .

والحزامة وأن يسير الى بلاد ايطاليا طائفة من عسكره ليصد بها جيوش ملك الفرنسيس فأحس شارل بذلك وأكبره فسار الى مدينة رومة وحاصرها وضيق عليها من كل جانب وطلب من البابا اسكندر أن يسلمه جما أخا السلطان بايزيد فلم ير بداً من تسليمه فسار جم مع جيوش الفرنسيس حيث ساروا حتى أدركته المنية فى مدينة نابولى فدفنوه فى بلدة من بلاد ايطاليا ثم نقل الى مقابر أجداده بمدينة بروسه .

مطلب تاقت نفس السلطان بايزيد إلى فتح الديار المصرية .

وتاقت نفس السلطان بايزيد الى فتح الديار المصرية وضمها الى أملاكه فسار فى جيش عظيم لقتال سلطانها فالتقيا جهة القرمان واقتتلا قتالاً شديدا فلم يفلح السلطان بايزيد وراسلهما باى تونس بالكف عن القتال بدعوى انه لايصح قيام الحرب بين ملكين مسلمين فتقررت بين الفريقين قاعدة للصلح وعاد السلطان بايزيد بعسكره وعادت كذلك العساكر المصرية وبينما هو يغزو ويحارب ويفتح المدن والامصار والتوفيق ملازمه اذ قامت الفتنة داخل بلاده بخروج اثنين من أولاده عن طاعته واضرامهم نار الحرب قال بعض كتاب الاخبار وقد كان له ثمانية أولاد ذكور مات منهم خمسة فى حداثتهم وعاش ثلاثة وهم كركود وأحمد وسليم وكان كركود مولعا بالعلوم والآداب ميالاً لمخالطة العلماء والأدباء فكانت العساكر لاتميل اليه لهذا السبب وكان الثانى عاقلا رزينا محبوبا من الامراء والاعيان موقرا عند كبير الوزراء مكرما وكان الثالث ميالا للغزوات والحروب فكانت طوائف الجنود والانكشارية تحبه وتجتمع عند كلمته ولذلك ولى السلطان بايزيد كلا منهم منصبا يليق بحاله فولى الامير كركود احدى الولايات البعيدة وولى الامير أحمد ولاية اماسيا وولى الامير سليما ولاية طرابزون فلم يقبل الامير سليم هذا المنصب واستصغره وسار من طرابزون الى كافا[1]وسير منها رسلا الى أبيه يطلب اعطاءه احدى الولايات الكبرى من

(١) فى شبه جزيرة القرم .

● محمد فريد ، المرجع السابق ، ص١٧٣ .

مملكته التى فى أوروبا فاستعظم السلطان ذلك وأكبره ولم يجبه الى ماطلب وردّ الرسل كما حضروا فكبر الامر على الأمير سليم وركب فى جيش من التتار وسار لقتال أبيه فأرسل أبوه كذلك جيشا لارهابه فلم يرعو واشتد فى التأهب والاستعداد لاضرام نار الوغى فخشى السلطان شر العاقبة وأجابه الى ماطلب وعقد له الولاية على مدينتى ودين وسمندرية[1] فداخل نفس الامير كركود من ذلك ماداخلها وأغار على ولاية صاروخان[2] وجعلها له مقرا حتى لايكون بعيدا عن تخت مملكة أبيه عند الحاجة .

مطلب خروج الأمير سليم على أبيه السلطان بايزيد فى طلب الملك .

ولم يستقر بالامير سليم المقام فى سمندرية حتى تاقت نفسه الى ارتقاء منصب السلطنة والانفراد بالملك فسار من سمندرية فى جيش الى أدرنه واستقر بها ونادى بسلطنته عليها وطير الاخبار بذلك الى الآفاق فلما وصل الخبر الى السلطان بايزيد هاله جدا وأغضبه فسير جيشا لاخضاع الامير سليم وارجاعه الى الطاعة فقاتله فانتصرت عساكر السلطان بايزيد وفر الامير سليم الى بلاد القرم واختفى وتفرق من كان معه من العساكر والاحزاب ولما تم للسلطان بايزيد النصر على ابنه سليم سير جيشا آخر لقتال ولده كركود بصاروخان فخرج كركود لقتال عسكر أبيه فالتقى الجمعان واقتتلا فانهزم أصحاب كركود شر هزيمة واختفى كركود حتى كان من أمره ماسيذكر فى محله . ولم يكد يتم الظفر للسلطان حتى قامت طوائف الانكشارية على قدم وساق وسألوه العفو عن ولده الامير سليم وارجاعه الى ولاية سمندرية فطاولهم[3] فأكثروا من الالحاح وشددوا وارهبوا وهددوا

---

(١) سمندرية : ومعناها القديس اندريا ، هى مدينة تقع على نهر الطونة تبعد ٤٥ ك م .عن بلغراد عاصمة الصرب .

● محمد فريد : الدولة العلية ، مرجع سابق ، ص١٥٥ .

(٢) صاروخان تقع شمال أزمير على بحر ايجه .

● محمد فريد : المرجع نفسه ، ص١٣٩ .

(٣) طاولهم : ماطلهم .

ومازالوا حتى أجابهم السلطان الى ماطلبوا وسير الى الامير سليم فرمان الرضا والولاية على سمندرية كما كان فظهر الامير سليم عند ذلك من مخبئه وسار فى نفر يريد سمندرية فخرج للقائه جماعة من الانكشارية وساروا فى ركابه وعرجوا به الى القسطنطينية ودخلوها فى كبكبة وضجة زائدة ومازالوا على ماهم عليه من الجلبة والصياح حتى صاروا تحت قصر السلطان بايزيد وسيروا اليه جماعة يطلبون اليه خلع نفسه والتنازل لولده الامير سليم عن الملك وأكثروا من النداء والصياح وشددوا فى الطلب فاجتمع الناس وكثر الزحام وعلت الضوضاء وعم الخوف سائر من فى المدينة وأشتد الهرج فخاف السلطان بايزيد شر العاقبة وأجابهم الى ماطلبوا وخلع نفسه فى اليوم الثامن من صفر سنة ثمان عشرة وتسعمائة هجرية أى سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وألف ميلادية وله من العمر يومئذ سبع وستون سنة .

وفى رواية انه لما قامت الفتنة فى داخلية البلاد بخروج اثنين من أولاده عن طاعته أمر بقتلهما فقتلا فكثرت لذلك القلاقل وعلت كلمة الانكشارية فعاهدوا الامير سليماً بالملك وكلموه فى أمر السلطنة فاجتاز بوغاز القسطنطينية لاستخلاص الملك من أبيه فحاربه أبوه وهزمه فهرب الى بلاد القرم وأقام بها ثم قصد القسطنطينية ثانية فى جيش وجرى بينه وبين أبيه وقائع كثيرة فلما اشتد الحال بالسلطان بايزيد خلع نفسه من السلطنة وعهد بها الى ابنه سليم المذكور وسار الى أدرنه فدس له ابنه من سقاه السم خوفا من رجوعه الى دست السلطنة فلما مات بايعوا بعده السلطان سليم البيعة العامة واستقرت به السلطنة فقبض على أخويه أحمد وكركود وقتلهما ومثل بهما ليخلو له الجو ثم سار لقتال ملك فارس ثم كان ما كان من انتشاب الحرب بينه وبين السلطان قانصوه الغورى[١]

---

(١) قانصوه الغورى١٥٠١-١٥١٦ : هو قانصوة بن عبد الله الظاهرى الغورى ، جركسى الأصل ، كان قوياً صلباً ، أعاد تنظيم البلاد ، وأنعش الخزانة العامة بالتعسف فى فرض الضرائب وجمعها ، أنفق الكثير=

صاحب مصر وتغلغله بعساكره فى داخل البلاد حتى وطئت خيله القاهرة وتصرفه فى الامور بعد أن بدد شمل عساكر الملك الاشرف طومان باى[1] وظنه موت الاشرف مع من قتل من الامراء والاجناد والمماليك فى الواقعة التى حصلت عند الريدانية[2] كما مر بك بيان هذا كله فى محله .

= على شراء المماليك وشيد مسجداً ومدرسة فى الحى الذى عرف باسمه (الغورية) ، كما عنى بطريق الحج بإقامة الاستراحات والآبار ، حصن الإسكندرية ورشيد وأصلح القلعة ، اشتهر بالأبهة فى طعامه وشرابه ومجالس الأدباء التى عقدها وأمها الشعراء والأدباء ، تأثرت البلاد فى عهده باكتشاف رأس الرجاء الصالح ، شيد اسطولاً كبيراً للرد على الغرب الذى لم يسمع لندائه بعدم التعرض للمسلمين هناك وفى عهده بدأت دولة المماليك فى الضعف حتى دخلها العثمانيون ولاقاهم هو بجيشه ١٥١٦ وخانه خاير بك ومات الغورى أثناء هذه الحرب .

● د . سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ص١٧٧-١٨٥ ، أحمد بن محمد الحموى ، مرجع سابق ، ص١٢٤ .

(١) طومان باى : كان نائب السلطنة فى عهد قنصوة الغورى ، واختير خلفاً له بعد تمنعه أول الأمر ، وكان العثمانيون قد استولوا على الشام ١٥١٦ بعد معركة مرج دابق ، فخرجت الحملة من مصر فى ديسمبر ١٥١٦ وعلى رأسها چان بردى الغزالى وهو شريك خاير بك فى الخيانة واصطنع معركة بينه وبينهم قرب بيسان وهزم فيها ، وهنا تلقى طومان باى رسالة احتقار وتهديد من سليم الأول وطالبه فيها بالدخول فى طاعته فرفض ، والتقى به العثمانيون فى زحفهم على مصر عند الريدانية قرب العباسية بظاهر القاهرة ودارت معركة فى أوائل عام١٥١٧ وظل يقاتل حتى أحس بأنه وحده فى المعركة فاضطر إلى الفرار بعد الهزيمة ودخل العثمانيون القاهرة .

وظل يتنقل بين البلاد فراراً من العثمانيين حتى احتمى بالشيخ حسن بن مرعى فى سخا وكان أحد مشايخ العربان هناك ، إلا أن هذا الرجل خانه أيضاً وسلمه إلى خصمه سليم الأول الذى أعدمه على باب زويله .

● د . سعيد عاشور : العصر المماليكى ، المرجع السابق ، ص ص١٨٦-١٩١ .

(٢) الريدانية : من القرى القديمة ، وفى الخطط التوفيقية وردت محرفة باسم الرودانية ، وتنسب إلى من يدعى ريدان ، وهى فى المنطقة الصحراوية شرقى القاهرة ، دارت فيها معركة بين السلاطين المماليك بزعامة طومان باى والسلطان سليم العثمانى فى ٢٣ يناير ١٥١٧م وانتصر فيها العثمانيون .

● (محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، الجزء الأول ، ص٢١٤) .

● (هيئة الاستعلامات : تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص ، ص٩٣٤ ، ٩٣٥ .

# (المقالة التاسعة وفيها فصول)

## (الفصل الأول)

### (فيما جرى بعد دخول السلطان[1] سليم القاهرة وفى سلطته على ديار مصر ولبسه شعار الخلافة)

لما استقر بالسلطان سليم المقام بالقاهرة بعد انتصاره على السلطان الملك الأشرف طومان باى ومن معه من كبار الامراء والمماليك وتبديد شملهم وإعمال السيف فيمن بقى منهم ظن موت السلطان الملك الاشرف وأن قد دانت له البلاد فعمد الى ترتيب الامور وتقرير قواعدها ورسم فى يوم الثلاثاء رابع المحرم افتتاح سنة ثلاث[2] وعشرين وتسعمائة هجرية بتقليد بعض أصحابه المناصب العالية وأمر ونهى وقضى يومه هذا فى أنس وصفاء وهو لايعتقد الاهلاك الاشرف فما أذن لوقت العشاء من ليلة الاربعاء حتى أطبقت عساكر الاشرف على السلطان سليم من كل جانب والاشرف ينادى فيهم بالحمل وإعمال السيف وأن لايبقوا أحدا فاندفعت عساكر الاشرف على عساكر السلطان اندفاع الوحوش الضوارى وأعملوا فيهم السيف وقتلوا منهم خلقا كثيرا وأحرقوا بعض خيامهم وبحثوا عن السلطان سليم فلم يقفوا له على أثر من شدة الظلام وهرع

---

(١) سليم الأول الغازى الملقب «ياوز» أى القاطع ، وكان أحد ثمانية أخوة لبايزيد الثانى ، توفى منهم خمسة صغاراً وبقى ثلاثة كركود وأحمد وسليم ، كان أولهم مشتغلاً بالعلوم والآداب ومجالسة العلماء ولذلك مقته الجيش لعدم ميله للحرب وكان الثانى محبوباً من الأمراء والأعيان أما سليم فكان محباً للحرب فأحبته الانكشارية .

وخوفاً من وقوع الشقاق بينهم وزع أبوهم الملك عليهم فكان نصيب سليم طرابزون وولى سليمان بن سليم على بلاد القرم ، ولكن كان سليم طماعاً فسار إلى الروملى وعين والياً على سمندريه وودين فى بلاد البلغار سنة ١٥١١م ثم أعلن نفسه حاكماً على أدرنة ولكن والده منعه منها بالحرب ولكن الانكشارية ضغطوا على الأب للعفو عن ابنه سليم بل والتنازل له عن العرش فكان له ذلك فى سنة ١٥١٢ وتوفى الأب فى نفس العام ويقال أن سليماً دس له السم حتى لا يرجع فى قراره .

● (محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، مرجع سابق ، ص ، ص١٨٦ ، ١٨٧) .

(٢) ٩٢٣هـ = ١٥١٧م .

العامة وعياق[١] بولاق من النوتية وغيرهم وأحاطوا بخيام عسكر السلطان وصاروا يرجمون بالمقالع[٢] وفيها الحجارة وكثر الصياح وعلت الاصوات واشتدت الجلبة واستمروا على هذا الحال الليل كله حتى مطلع الفجر فتمزق عساكر السلطان سليم كل ممزق وتفرقوا فى الشوارع والحارات يريدون النجاة وذهب فريق منهم الى ناحية النصرية[٣] فلاقاهم الامير عيلان الدوادار[٤] الكبير عند الميدان وقاتلهم قتالا عنيفا ومازال حتى استرد منهم الطريق من رأس الجزيرة الوسطى الى قنطرة باب البحر والى قنطرة[٥] قديدار واستمر القتال بين الفريقين من مطلع الفجر الى مابعد الغروب واشتدت عزائم الچراكسة وقويت قلوبهم فافحشوا فى قتل العثمانيين وأخرجوه من جميع الاماكن التى كانوا مختفين بها وجعلوا يحتزون رؤسهم كما فعلوا هم بهم عند الريدانية وكانوا يأتون بالرؤس بين يدى السلطان

(١) العياق : وهم من لم يكن لهم عمل سوى التسكع فى الطرقات ، والاعتداء على المارة واصطناع الأسباب للشجار معهم مستعملين العصى والمقالع وهى قطعة حجر تنطلق من حبل يمسك من طرفين ويلف ثم يترك طرفه فيندفع الحجر ليصيب من أمامه ، وكانوا إذا تجمعوا للشجار تغلق الحوانيت ويمتنع المرور فى الشوارع وتتعطل حركة البيع والشراء .

أما النوتيه فهم الذين كانوا يعملون على السفن فى النيل .

● محاسن محمد الوقاد (دكتوره) : الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية ، ١٢٥٠-١٥١٧ ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص١٧٠ .

(٢) المقالع أو المقاليع جمع مقلاع ، وهى جديلة من الحبال الرفيعة لها طرفان طرف به خية تحكم فى إصبع اليد والأخرى حرة وتوضع قطعة الحجر فى الجديلة ويطوح بها فى الهواء عدة مرات ثم تترك الجهة الحرة من الحبل تجاه الهدف فيندفع الحجر بشدة تجاهه ، فيكسر ويحطم حتى ولو كانت جمجمة رجل .

(٣) ناحية الناصرية : شارع يبدأ من آخر سويقة الباتعين وينتهى بشارع الكومى .

(٤) الدوادار : حامل محبرة الرئيس أو الوالى ، وكان من المناصب المهمة لقربه من الرؤساء ، والوظيفة إسمها الدوادارية وصاحبها يمسك دواة السلطان أو الأمير ، كما كان يقوم بإبلاغ الرسائل عنه وتقديم القصص والشكاوى إليه .

● سعيد عاشور (دكتور) : العصر المماليكى ، ص٤١٦ .

(٥) قنطرة قديدار : تقع على الخليج الناصرى ، يتوصل إليها من باب اللوق ، ويمشى فوقها إلى بر الخليج الناصرى .

● (تقى الدين المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص١٤٨) .

الملك الأشرف وهو يستحث المماليك على القتال والأخذ بالثار وأصبحوا يوم الاربعاء الخامس من المحرم والقتال قائم على ساق بين الفريقين والمناداة من السلطان الملك الاشرف متواصلة بالقبض على كل من يجدونه من عساكر السلطان سليم فجد الناس كافة فى طلبهم والقبض على من يجدونه منهم فكان يوما شره مستطير . ورتب السلطان سليم من بقى من عسكره ونادى فيهم بالقتال فقويت قلوبهم وصدموا المماليك عند بولاق وجزيرة[1] الفيل صدمة قوية للغاية فاجلوهم عنهما وأخذوهما وهجموا على زاوية الشيخ عماد الدين بالنصرية وقبضوا على من كان بها من المماليك الشراكسة وأحرقوا البيوت التى حول الزاوية وقتلوا جماعة كثيرة من العامة والنساء والاطفال والشيوخ وأجلوا من بقى من المماليك عن النصرية فتوجهوا الى قناطر السباع ونزل الاشرف طومان باى الى جامع شيخون[2] بالصليبة وأخذ يجمع من تفرق من عسكره ثم رسم بحفر خندق فى رأس الصليبة وآخر عند قناطر السباع[3] وآخر عند راس الرميلة[4] وآخر

---

(١) جزيرة الفيل : كانت بداية تكوين منطقة شبرا حيث كان النيل يسيح حتى منطقة بركة الرطلى والفجالة حالياً ، وكانت قد غرقت فيها مركب كبير كان يسمى الفيل ، وترسب الطمى حولها حتى أصبحت جزيرة اتصلت بعد ذلك بأراضى فى شمالها فتكونت جزيرة بدران وشبرا .

●محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق٢ ، جـ٤ ، ص٤ ، المقريزى : الخطط ، ط الشعب . جـ٢ ، ص٦٢٣ .

(٢) جامع شيخون : بشارع الصليبة ، تجمع فيه الصوفية ، وكان قريباً من الرميلة تحت قلعة الجبل ، أنشأه الأمير سيف الدين شيخو الناصرى رأس نوبة الأمراء فى سنة ٧٥٦هـ ، كما أنشأ هذا الأمير خانقاة عرفت باسمه .

●(مصطفى بن الحاج إبراهيم : تاريخ وقايع مصر القاهرة المحروسة ، القاهرة ٢٠٠٢ ، ص١١٥ ، تحقيق د . صلاح أحمد هريدى) .

(٣) قنطرة السباع : يحددها المقريزى تقريباً فى مسجد السيدة زينب الآن ــ أنشأها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ولما كان رنكه السبع فقد أنشأ حولها تماثيل للسباع ولكن الناصر محمد بن قلاوون هدمها كما كان مبدأه فى محو ذكرى من سبقوه (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى المقريزى ، جـ٢ ، ط١٢٧٠هـ ، ص٥٥٣) .

(٤) الرميلة : هو الميدان الهام فى ذلك الوقت تحت الركن الشمالى الغربى من القلعة ، وكان يفتح عليه (باب العزب) تجاه جامع السلطان حسن ، كما كان يتصل به قرة ميدان عبر بوابة هدمت .

●مخطوطة الدرة المصانة : تحقيق كريسيليوس و د . عبد الوهاب بكر : مرجع سابق ، ص٥٠ ، هامش٧٤ .

عند جامع ابن طولون(١) وآخر عند جزيرة البقر ورسم باحراق خان(٢) الخليلى فمنعه بعض الامراء من ذلك ثم قسم عساكره الى أربع طوائف طائفة تقاتل عند قناطر السباع وطائفة عند الرميلة وطائفة عند جامع ابن طولون وطائفة عند رأس الصليبة ولكن قد كان الخوف استولى على قلوب عساكره ففترت هممهم وكبر خوفهم لمثابرة عسكر السلطان سليم على القتال وكان القتلى من الفريقين مطروحين فى الطرق من بولاق الى قنطرة السباع والى الرميلة والى تحت قلعة الجبل وبقى الحال على هذا الوصف الى يوم السبت ثامن المحرم فلم يشعر السلطان الملك الأشرف الا وقد اختفى من بقى من أصحابه ولم يبق معه فى ساحة القتال الا بعض العبيد الرماة والمماليك السلطانية وقليل من الامراء.

فلما رأى أنه مأخوذ لامحالة ترك القتال وهرب الى بركة(٣) الحبش وشاع الخبر بفراره فانقض عسكر السلطان سليم على الصليبة وأحرقوا جميع البيوت التى حولها من درب ابن عبد العزيز وقتلوا كثيرا من العامة وأفحشوا فى القتل والنهب والاحراق وعاثوا فى البيوت والمساجد والاضرحة سعيا وراء المماليك فمن وجدوه منهم ضربوا عنقه فى الحال وفعلوا بالجامع الازهر مالا يحسن وكذلك فعلوا

---

(١) جامع ابن طولون : بنى بمكان فى جبل يشكر (فى منطقة السيدة زينب حالياً) بدأ بناءه الأمير أبو العباس أحمد بن طولون سنة ٢٦٣هـ ، وقد بناه بعد أن ضاق به الجامع القديم الملاصق للشرطة آنذاك ، وقد صممه وأشرف على بنائه سعيد بن كاتب الفرغانى النصرانى بعد أن أعتقه من سجنه ـ وهو قليل الأعمدة وسلم مئذنته من خارجها وهو أول سلم يلحق بمئذنة ، وقد أجاز أحمد بن طولون سعيداً هذا وخلع عليه .

● (تقى الدين المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ط . بولاق ، جـ٣ ، ص ص١٤٢ ، ١٤٣) .

(٢) خان الخليلى يقع بخط الزراكشة العتيق ، كان موضعه تربة القصر التى فيها قبور الخلفاء الفاطميين المعروفة بتربة الزعفران الآن بقرب المشهد الحسينى .

أنشأه الأمير جهاركس الخليلى أمير أخور الملك الظاهر برقوق ، وأخرج منها عظام الأموات فى المزابل على الحمير وألقاها بكيمان البرقية ليبنى هذا الخان ، وقتل هذا الأمير سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م .

(٣) بركة الحبش : وتقع بالقرب من دير الطين ـ منطقة الزهراء بخط حلوان الآن .

● (الجبرتى : مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس . تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص٤) .

بجامع(١) الحاكم وجامع ابن طولون وغيرهما من الجوامع فكانت الكلاب من كثرة الرمم تنهش فيها نهشا وتمزقها تمزيقا وكان المنظر مدهشا مريعا جدا والناس فى شاغل عن دفن تلك الجثث لانتشار عسكر السلطان سليم فى الحارات وقتلهم كل من يجدونه فى طريقهم .

ورسم السلطان سليم بالمناداة فى العسكر بالكف عن القتل واراقة الدماء فانكفوا وعاد السلطان الى خيمته فى الجزيرة الوسطى واشتغل الناس بدفن الموتى فكانوا لايكادون يميزون بعضهم عن بعض وانتشر البكاء والعويل فى مصر والقاهرة وقامت المآتم ببعض البيوتات الكبيرة فكان الخطب عظيما والمصاب شديدا . وأخذ السلطان سليم بمشورة أمير المؤمنين الخليفة المتوكل على اللّه العباسى وعمل بقوله فظهرت كلمة(٢) الخليفة يومئذ وعظمت شوكته ووقف فى دهليزه الامراء من المقدمين وأمراء الطبلخانات(٣) والعشروات فرارا من

---

(١) جامع الحاكم بدأ فى إنشائه الخليفة العزيز بالله بن المعز سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م وأدى به صلاة الجمعة فى رمضان ٣٨١هـ / نوفمبر ٩٩١م ، ولكن بناءه لم يتم فى عهده ، فشرع ولده الحاكم فى سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م فى إتمام بنائه وأكمله سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م

● عجائب الآثار ، جـ٢ ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص٢٩٣ . وعن وصف زخارف هذا الجامع يرجع إلى :

● أوليا چلبى : مرجع سابق ، ص ص٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٢) إحياء الخلافة العباسية فى مصر : كان على سلاطين المماليك أن يبحثوا لسلطتهم الوليدة عن سند شرعى يدعمون به حكمهم ، حيث من البداية أعلن السلطان المعز أيبك بتبعيته للخلافة العباسية لتسنده هذه التبعية فى صراعه ضد بنى أيوب ، ثم كان إحياء الخلافة العباسية فى القاهرة عام٦٥٩هـ/ ١٢٦١م بمثابة الحل الذى وجده الظاهر بيبرس للخروج من أزمته ، فقد بويع فى هذه السنة الأمير أحمد بن الخليفة الناصر لدين الله خليفة فى القاهرة ، وأصدر الخليفة تقليداً للسلطان بيبرس بحكم البلاد الإسلامية ، وبذلك حصل بيبرس على تفويض شرعى من الخليفة العباسى بالحكم .

● د . قاسم عبده قاسم : عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص٩ .

(٣) أمراء الطبلخانة والعشراوات : أمير الطبلخانة مرتبة حربية من مراتب أرباب السيوف فى مصر المملوكية صاحبها يلى أمير مائة مقدم ألف فى الدرجة ، وسمى كذلك لأحقيته فى دق الطبول على أبوابه كما يفعل السلاطين وأمراء المئتين ويطلق على أمير طبلخانة أيضاً أمير أربعين ، بمعنى أن يكون فى خدمته أربعين مملوكاً ، وقد يزيد هذا العدد إلى سبعين أو ثمانين (سعيد عاشور : العصر المماليكى ، مرجع سابق ، ص٣٩٢) .

عسكر السلطان سليم وكذلك المخدرات[١] من النساء وأصحاب البيوتات العالية ونزلت عنده خونده ابنة الامير آق بردى زوجة السلطان الملك الاشرف طومان باى وقد فرض عليها السلطان سليم مبلغا من المال غرامة فلم تقدر على وفائه واستغاثت بالخليفة على استرضاء السلطان فاخذ يتطلف به حتى تجاوز عن شئ منه وألزمت بايفاء الباقى وما زال الحال فى شدّة والناس فى خوف ماعليه من مزيد حتى يوم الثلاثاء حادى عشر المحرم نادى منادى السلطان سليم بالامان لجميع من بقى من الامراء المقدّمين وأمراء الطبلخانات وأمراء العشراوات والمباشرين وأصحاب الوظائف الديوانية فخرجوا من مخبئهم وأتوا الى معسكر السلطان فأمنهم ورسم لهم بالذهاب الى مدرسة[٢] الغورى فلما اجتمعوا بها جاءت طائفة من العساكر العثمانية واحاطت بالمدرسة فتخوف الامراء من ذلك وظنوا الغدر بهم ثم رسم لهم بعد أيام بالصعود الى قلعة الجبل فصعدوا اليها والجند تحرسهم فاقاموا بها تحت طلب السلطان فلما كان يوم الخميس عشرى المحرم صعد السلطان الى القلعة فى موكب حافل للغاية وأمامه الجنائب والطبول والزمور وطوائف الجند من المماليك الذين كانوا مع خيربيك والغزالى والعساكر العثمانية ومرّ من الصليبة فانطلق العامة بالدعاء له .

ولما استقر به المقام رتب من قومه كشافا[٣] على الغربية والشرقية ونظر فى بعض المهمات من الامور وقيد بعض المأمورين بمساحة الشرقية وكشف مافيها

(١) المخدرات من النساء وأصحاب البيوتات العالية : أى نساء الطبقة الرفيعة اللاتى لا يظهرن إلا فى المناسبات .

(٢) مدرسة الغورى : توجد فى جامع الغورى وبها إيوانان كبيران (وآخران صغيران) ، ولها منارة عظيمة ، كما أنشأ فى قبالتهاخانقاه ومكتباً وسبيلاً ومدفناً عليه قبة ، ووقف على ذلك أوقافاً عظيمة .
● (على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص١١٢) .

(٣) الكاشف : كلمة مأخوذة من الفعل كشف فى اللغة العربية ، لأن من وظيفة الكشاف كشف أحوال المديريات ، وهذا اللقب لم يكن معروفاً فى الدولة العثمانية ، وكان الكاشف أقل مرتبة من السنجق ، وكانت الكشوفية عبارة عن وحدة إدارية مالية على رأسها أحد البكوات المماليك برتبة كاشف له حق الإشراف على مجموعة من المقاطعات التى تقع داخل حدود الكشوفية ، ولم تلبث حدود الكشوفيات على وضع ثابت فكثيراً ما تحولت بعض المقاطعات إلى كشوفيات مثل : المنصورة وأسيوط والجيزة والفيوم ، وأحياناً كان يفصل جزء من منطقة ليكون وحدة إدارية مستقلة مثل فارسكور التى فصلت عن البحيرة عام ١٥٧٠م بقصد إخراجها من حوزة القبائل العربية التى سيطرت عليها .
● (مصطفى بن الحاج إبراهيم : مرجع سابق ، ص٣٢) .

من اقطاعات المماليك الشراكسة وغير ذلك من الرزق[1] والاوقاف وكذلك فعل بالغربية والمحلة وجميع الجهات القبلية واحتجب عن الناس بالقلعة ولم يجلس على الدكة السلطانية النظر فى الظلامات كما كانت تفعل ملوك مصر وسلاطينها قبله . وبينما هو على هذا الحال اذ جاءت الاخبار من الاقاليم القبلية بظهور السلطان الملك الأشرف طومان باى ومعه جموع كثيرة من المماليك والغلمان السود والعربان والعامة والكثير من الخيل والدواب والاسلحة وانه عازم على المجئ الى القاهرة ليقاتل السلطان سليما ويجليه عن البلاد وشاع هذا الخبر بين الناس وتأكد بوصول مكاتبة من الاشرف الى السلطان سليم يقول له فيها .

وبعد فان شئت أن أجعل الخطبة[2] باسمك وكذلك السكة وأكون نائبا عنك بمصر وأحمل اليك فى كل سنة الخراج حسبما يقع الاتفاق عليه بيننا

---

(١) الرزق : جمع رزقة وهى أرض كان ينعم بها السلطان على بعض الناس يتصرفون فيها كيفما شاءوا ، وكانت معفاة من الضرائب ولذا سميت أرض رزقة بلا مال ، وكانت إدارة الرزنامة تعطى المنعم عليه بها «تقسيطاً» أى سند ملكية يخوله ملكيتها بشكل مطلق حتى توريثها ، وكان أكثرها موقوفاً على مكة والمدينة والمساجد والأضرحة وأعمال البر والإحسان من : تكايا وأسبلة ومكاتب ، وأحواض لسقى الدواب ومقارىء للقرآن الكريم وبعض طلبة العلم ، وكانت هذه الأرض لا تدفع إلا مالاً رمزياً (مال حماية) نظير حماية رجال الإدارة لها ، وقد تحايل بعض الملتزمين برصد جزء من أراضى التزامهم على أعمال البر وجعلوا الجزء الأكبر وقفاً على ورثتهم ورقيقهم ولذلك خصصت الرزنامة دفاتر معينة لهذا النوع من الأراضى أسمتها «دفاتر الرزق والأحباسية» .

أما نظام المقاطعات فهو وحدة زمام أراضى عدة قرى متقاربة تكون وحدة إدارية ومالية فى أمان عامل مسئول ومن ثم كانت تسمى أيضاً «أمانة» أما الوقف فشمل الأملاك المحبوسة أصلاً على المساجد وأعمال البر والخير ، وقد انتشر الوقف فى العصر العثمانى ، لأنه كان الوسيلة التى يأمن بها الملاك على أملاكهم من ظلم المماليك ، فعمدوا إلى الوقف يحبسونه ويجعلون لأبنائهم أو الأوصياء حق الانتفاع بعد وفاتهم ، فيجد الموقوف عليهم من ريعها غلة ثابتة لا تمتد إليها يد المماليك أو الطامعين .

●(عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ، القاهرة١٩٥٥ ، جـ١ ، ص ص٣٣ ، ٣٤ ، د . عبد الرحيم عبد الرحمن : الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ص٨٧-٨٩) .

(٢) الخطبة : أى خطبة الجمعة ، أى الدعاء له فيها اعترافاً بفضله .

فارحل عن مصر إلى الصالحية أنت وعسكرك وصن دماء المسلمين بيننا ولاتحمل وزر اراقة دماء الشيوخ والنساء والاطفال بغير سابق ذنب والا فاخرج للقائى بعسكرك فى الجيزة والله سبحانه يعطى النصر لمن يشاء فلما وقف السلطان سليم على مافى المكاتبة جمع اليه أمير المؤمنين الخليفة المتوكل على الله والقضاة الاربعة وجماعة من وزرائه وكتب بحضرتهم صورة يمين الى الملك الأشرف وكتبه بخطه ووقع عليها ثم تكلموا فى الامر طويلا فوقع الاتفاق بينهم على تسيير الخليفة والقضاة الاربعة الى الاشرف بذلك اليمين وخلع السلطان سليم على القضاة وأمرهم بالتأهب للسفر فنزلوا من عنده على ذلك اما الخليفة فانه امتنع عن السفر فرسم السلطان بتسيير دواداره بدلا عنه فسافروا ولما صاروا على مقربة من البهنسا خرج عليهم جماعة من الشراكسة وقبضوا عليهم وسلبوا ما كان معهم من متاع وسلاح وهدايا وخيول وجمال وغير ذلك وقتلوهم فلم ينج منهم سوى القضاة الاربعة ودوادار السلطان ورجعوا الى القاهرة وهم فى أسوإ حال فلما علم السلطان سليم بما جرى لهم أمر فنقلوا معسكره من الجزيرة الوسطى الى بركة الحبش ونزل فى يوم السبت حادى عشر صفر من قلعة الجبل ومعه الجم الغفير من العساكر والمباشرين والغلمان ورماة البنادق وقد أشيع خبر انحدار عسكر الاشرف طومان باى من البهنسا الى ترسة بالجيزة فرسم السلطان بعمل سقائل على النيل بناحية طرا ومصر القديمة وبولاق لعبور العساكر عند الاقتضاء وأخذ فى التأهب والاستعداد وقد ظهرت عليه وعلى جميع قومه علامات الاضطراب وخاف الناس كثيرا لاسيما وهم لم يتناسوا ماحل بهم باسباب الوقائع التى وقعت بالصليبة والناصرية وغيرهما .

ولما كان يوم الاربعاء ثانى شهر ربيع الثانى أمر السلطان سليم فجئ بجميع الامراء الذين كانوا بقلعة الجبل وقد كانوا ظهروا بأمان من السلطان كما تقدم القول فانزلوهم مكبلين بالحديد والجند من حولهم الى بركة الحبش فلما مثلوا بين يدى السلطان أخبرهم بما فعله الملك الأشرف بالقضاء والدوادار

وامتناعه من الصلح بعد أن طلبه وأكثر من تأنيبهم وتوبيخهم ثم أمر بضرب أعناقهم جميعا فضربوا أعناقهم بين يديه وكانت عدتهم أربعة وخمسين أميرا مابين مقدمى ألوف وأمراء طبلخانات وعشروات وغير ذلك وألقوا جثثهم للكلاب فكانت نساؤهم تسعى فى أخذها بدفع شئ من المال الى الموكلين بالعمل ثم قام السلطان سليم من ساعته الى بركة الحبش وعبر النيل بعسكره الى الجيزة فجاءته الاخبار بوصول عسكر الاشرف الى المناوات[1] فأقام بالجيزة الى يوم الخميس عاشر ربيع الثانى فظهرت طلائع عسكر الاشرف ولاقتها عساكر السلطان عند المناوات وقيل بل عند وردان فالتحم القتال بين الفريقين واشتد وحمى الوطيس والتقت السنابك بالسنابك والرماح بالرماح والصفاح بالصفاح فاستظهر المماليك على عساكر السلطان وقتلوا منهم خلقا كثيرا وساقوهم حتى ألقى أكثرهم بأنفسهم الى النيل فماتوا غرقا وكاد يتم النصر للاشرف طومان باى وعسكره وجموعه فجاءت فى وسط هذه الشدة لعساكر السلطان نجدة من أصحاب البنادق ورموا بالبنادق على المماليك واصلوا الرمى بشدة حتى ردوهم ومازالوا بهم حتى فرقوا جمعهم ومزقوا شملهم وعادت الهزيمة عليهم فولوا الادبار وولى الاشرف مهزوما يريد قرية من أعلى تروجة اسمها البوطة[2] فلما تم للسلطان سليم النصر عاد الى القاهرة ودخلت عساكره ومعهم العدد الكبير من رؤس القتلى وهم فى كبكبة عظيمة ثم نودى بالزينة فزينت البلد ثلاثة أيام والناس مع ذلك فى شاغل بما سيكون من وراء ذلك لعلمهم بما هو عليه الاشرف من البسالة والجلد على الحروب . أما الاشرف فانه نزل بقرية البوطة فأقام بها ثلاثة أيام وهو متحرز فى نفر من أصحابه ثم حضر اليه الشيخ حسن بن مرعى وشكر

---

(١) المناوات : : إحدى قرى الجيزة وتشتهر بزراعة البلح وهى قرية قديمة اسمها الأصلى «منية اندونة» ثم عرفت باسم «منية قادوس» وفى تاريخ ١٢٢٨هـ/١٨١٣م عرفت باسم منية اندونة ومن سنة ١٨١٩ عرفت باسمها الحالى «المنوات» جمع منية وهى إحدى قرى مركز الصف محافظة الجيزة .

● محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق٢ ، ج٣ ، ص٨ .

(٢) احدى قرى الجيزة .

إبن أخيه مشايخ عربان البحيرة وكان بين المذكور وبين الاشرف صداقة قديمة فدعاه حسن للضيافة وألح عليه فى ذلك فركن اليه الاشرف ونزل عنده فلما استقربه المقام طلب مصحفا ووضعه بين يدى حسن واستحلفه عليه هو وابن أخيه انهما لايخونانه ولايغدرانه ولا يدلان عليه ولايخبران بخبره أحدا ولايسعيان ضده عند السلطان سليم فحلفا على ذلك ثلاثا فطاب قلب الملك الأشرف وسكن جاشه وبات ليلته وأصبح وقد أحاط العربان بالمكان الذى هو فيه وأحدقوا به من كل جانب فخاف من كان معه من الغلمان والمماليك وتفرقوا عنه وأرسل ابن مرعى المذكور الى السلطان سليم يعلمه بالقبض على الاشرف ففرح السلطان بذلك فرحا عظيما وسير طائفة من عسكره فقبضوا عليه وقيدوه بالحديد وأتوا به بين يدى السلطان وهو فى زى العربان فقام له السلطان إجلالاً وعاتبه ثم أشار الى بعض الواقفين من أصحابه فخرجوا بالاشرف من حضرته وأدخلوه فى خيمة أعدت له وأقاموا حولها الحرس من الغلمان الرماة والانكشارية فلبث الى يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الآخر نحو سبعة عشر يوما والاخبار عنه بين الناس كل يوم فى شان . فلما كان يوم الاثنين المذكور أركبوه على اكديش[1] بعد أن عبروا به النيل من أنبابه الى بولاق وهو مكبل بالحديد فى زى العربان الهوارة[2] وامامه زهاء الاربعمائة من العثمانيين وساروا من سوق مرجوش ومروا به من

---

(١) الاكديش : الأكديشن جمعها ، أكاديشن وهو الخليط الذى لا ينتسب إلى أصل واحد ، أو الحصان غير الأصيل (البغل) ويستخدم فى حمل الأثقال .

● د . سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام مرجع سابق ، ص٣٩١ .

(٢) جاء الهوارة من تونس وتوطنوا فيما بين جرجا وفرشوط ، وكان نفوذ شيوخهم فيما بين أسيوط وإسنا فى صعيد مصر ، وقد شكل ملتزمو الهوارة من منطقتهم إقليماً مستقلاً بذاته رغم تبعيتها اسمياً للحكام المماليك فى جرجا ، وقد أقام مشايخ هوارة تحالفاً مع البكوات المماليك فى القاهرة لدرجة أنهم كانوا يحصلون على رواتب وتعيينات من الأوجاقات العثمانية ، وكان الهوارة ينقسمون قسمين هوارة قبلى وكانوا أقوياء يسيطرون على الوجه القبلى ، وهوارة بحرى وكانوا أقل قوة ونفوذاً وكانوا شمالى جرجا ، وكانوا يحقدون على هوارة قبلى لدرجة أنهم حاربوهم مع الحكومه .

●مخطوطة الدرة المصانة لأحمد الدمرداش ، تحقيق دانيال كريسليوس وعبد الوهاب بكر(دكتور) ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص١٥٧ .

القاهرة فتسابق الناس لرؤيته وهم فى دعاء له وصياح وجلبة عظيمة وكان يحييهم بلطفه المعهود وهو لايدرى أين هو ذاهب فلما جاؤا به عند باب زويلة وقفوا له وأنزلوه عن الاكديش وارخوا حبالا قد نصبوها له على السبيل الذى هناك ووقفت حوله العساكر بالسيوف فلما رأى مافعلوه قال أو أنتم قاتليّ اليوم قالوا بلى فتبسم والتفت الى من حوله من جمهور الناس وقال وهو ثابت الجنان راسخ القلب اقرؤا لى الفاتحة ياأخوانى ثلاثا واعفوا عما فرط منى فضج الناس وارتفعت أصواتهم بالبكاء والنحيب وعلت الضوضاء وارتفعت أصوات النساء من أعالى البيوت والتفت الاشرف الى الجلاد وقال له تقدم وافعل ماشئت فاللّه ولى الامر فتقدّم الجلاد ووضع الحبل فى عنق الاشرف وجذبه فانقطع الحبل وسقط الاشرف فضج الناس وصاحوا وولولوا فرفعوه ثانيا فانقطع الحبل فاشتد صياح الناس وعلت أصواتهم بالبكاء ففارقته روحه فبكاه الناس بكاء مرّا وكان عند ذلك مكشوف الرأس وعليه ثياب من الجوخ الاحمر وفوقها ملوطة[1] وفى رجليه سراويل من جوخ أزرق ثم تركوا جثته معلقة ثلاثة أيام حتى فسدت وانتنت فانزلوها وساروا بها الى مدرسة عمه السلطان الغورى فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه فى الحوش الذى خلف المدرسة رحمه اللّه برحمته الواسعة . قال أهل التاريخ وقد كان شابا حسن الوجه لايتجاوز الرابع والاربعين من العمر بطلا مقداما حازما تولى النيابة فى الغيبة لما خرج عمه السلطان الغورى الى قتال السلطان سليم بحلب فاحسن التدبير وأمن السبيل ودفع المظالم وأبطل الاحداثات والبدع وكان محبا للرعية شفوقا كثير البر والاحسان وقورا . قال بعض كتاب الاخبار ولما جهز لقتال السلطان سليم حبب اليه بعض الأمراء أن يجبى الاموال من الرزق والاقطاعات معجلا لنفقة الحرب فقال لا ولا أجعلها نقطة سوداء فى صحيفة أعمالى وكانت

(١) ملوطة : وجمعها ملاليط وهى قباء واسع الكمين طويلهما يلبس فوق الفرّجية ، وكانت تصنع أحياناً من الحرير الخالص أو الكتان الرقيق ، وكانت لباساً قومياً فى عصر المماليك .
● د . سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص٤٥٤ .

مدة سلطنته ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما اذ كانت ولايته فى الرابع عشر من رمضان وهروبه فى التاسع والعشرين من ذى الحجة وهى كلها حروب وكروب وخطوب . روى أنه لما كثر ظلم مماليك الغورى وزاد عبثهم بأمور الرعية وكثر فسادهم فى الأرض أبغضهم الناس جدا وضجوا الى اللّه يطلبون الخلاص واتفق أن رجلا من خيار الناس رأى جنديا من عسكر الغورى أخذ متاعا من دلال[1] ولم يرضه فى قيمته فتتبعه الدلال يطالبه بحقه وهو ممتنع فقال الدلال بينى وبينك شرع اللّه فضربه الجندى بدبوس[2] شج رأسه وسقط مغشيا عليه فرفع الرجل يديه الى السماء وقال الهى أنت أعلم بما تفعل هذه الفئة فاحكم فأنت خير الحاكمين ثم نام فى تلك الليلة وهو حزين مما رأى فرأى فى منامه أن ملائكة نزلت من السماء وبايديهم مكانس وهم يكنسون الشراكسة كنسا فاستيقظ مدهوشا واذا بقارئ يقرأ قوله تعالى ﴿فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ فعلم الرجل أن اللّه يأخذهم أخذا وبيلا فلم يمض إلا القليل من الايام حتى قدم السلطان سليم وبدّد شملهم وأباد سلطانهم ومزقهم أيدى سبا فزالت بموت الاشرف طومان باى دولة الشراكسة المعروفة فى عرف أصحاب التاريخ بالدولة الثانية فكانت مدّة تصرفهم مائة سنة واحدى وعشرين سنة وجملة سلاطينهم اثنان وعشرون سلطانا أولهم برقوق وآخرهم الاشرف طومان باى .

ولما دانت الامور للسلطان سليم بموت الاشرف أخذ يرتب أمور البلاد على مايشاء فجعل ادارة البلاد ثلاث طبقات وجعل فى كل طبقة منها رئيسا وجميعهم طوع أمر وزير الديوان الكبير ورتب هذا الديوان من الوالى المنتدب من

---

(١) دلال : تاجر متجول يبيع الأقمشة والملابس .

(٢) نوع من السلاح اليدوى لقطعة من حديد أو حجر صلد ويد من خشب .

قبل السلطنة على البلاد ومن بكوات سبع وچاقات عسكرية وخص الوالى المذكور بتبليغ الاوامر السلطانية الى الديوان وحماية البلاد وتوصيل الخراج الى الخزينة السلطانية وفصل الخصومات بين أرباب الديوان وبعضهم وايقاف كل عند حده وخص أرباب الديوان بنقض أوامر الوالى عند الحاجة وخلعه من المنصب عند الضرورة والتصديق على مايصدر منه من المراسيم الديوانية المتعلقة بأمور البلاد وقسم البلاد القبلية والبحرية الى أربع وعشرين مديرية وولى جماعة من المماليك عليها فكان عليهم جمع الخراج وجباية الاموال ورد العربان عند خروجهم عن الطاعة وقيد هؤلاء الحكام ولم يطلق لهم العمل الا بمشورة أرباب الديوان العالى ولقب أحدهم المقيم بالقاهرة بشيخ البلد

ثم قسم الخراج الذى يتحصل فى كل سنة الى ثلاثة أقسام الاول لمرتبات الجند من المشاة والفرسان والثانى لحاجات الحرمين والثالث للخزينة السلطانية وأقام من المرابطين لحراسة البلاد عشرين ألفا من المشاة واثنى عشر ألفا من الفرسان وجعل مقدمهم خير الدين أغا الانكشارى ورسم له بملازمة قلعة الجبل وعدم [1]البراح منها . قال بعض كتاب الاخبار ولم يلتفت الى تحسين أحوال الرعية ولانظر فى رفع تلك المضار السائدة على أهل البلاد ولاخفف عنهم شيأ مما أتت به الحروب المتوالية والخطوب المتراكمة فكان هذا كله أكبر الاسباب التى آلت بهذا النظام الى الزوال وبشوكة السلطنة العثمانية الى الضعف والذبول على توالى الايام .

ثم انتقل بخيامه من الجزيرة الوسطى الى الروضة وابتنى له كشكا فوق قاعات المقياس وهو مشرف على النيل والروضة والمقياس فكان يجلس فيه محتجبا الا عن بعض خواصه وكبار دولته ثم نزل من ذلك الكشك وسكن فى

---

(١) عدم البراح منها : عدم تركها .

دار الاشرف طومان باى التى خلف حمام العراقى[١] المطل على بركة الفيل[٢] وكان سبب ذلك أن بعض الانكشارية تآمروا على قتلة فأحس بذلك ونزل من الروضة وسكن فى الدار المذكورة وأمر فقبضوا عليهم وكانوا كثيرين واعملوا فيهم القتل والتفريق والشنق على أبواب القاهرة كباب زويلة وباب النصر وباب الفتوح حتى أفناهم .

وجاءت الاخبار الى السلطان سليم يتأهب ملك فارس لقتاله ورد ما أخذ من أملاكه فأهمه[٣] هذا الامر جدا وأخذ يتأهب للخروج من مصر الى الشام فعرض جميع الخزائن وحواصل الحكومة وأخرج مافيها من سلاح ومتاع وكراع وغير ذلك ونقل جميع التحف والنفائس التى بالديوان الكبير بقلعة الجبل وكذلك التى كانت فى قاعة البيسارية والدهيشة وغيرهما وجمع جميع الكتب التى كانت فى خزائن المدارس على اختلافها وخاف أن يترك أمير المؤمنين المتوكل على الله فى منصب الخلافة فتطمع نفسه فى السلطنة فقبض عليه ليحمله معه الى القسطنطينية وقيل بل أمره بالشخوص اليها فخرج يوم الثلاثاء

---

(١) حمام العراقى : كانت منطقة بركة الفيل من مناطق الاستمتاع فى القاهرة لسعة مساحة البركة ، والعمران من حولها ، ويسرف المقريزى فى وصف جمالها حيث صارت مساكنها من أجمل مساكن مصر كلها ، ومنها الحمامات وبالتالى كان حمام العراقى منها وكذلك حمام السكران الذى سيرد ذكره إذ أن الحمامات كانت أجمل الأماكن التى يقضى فيها الناس أجمل أوقاتهم سواء النساء أم الرجال .

● (الجبرتى : مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس ، تحقيق دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص٤١) .

(٢) بركة الفيل : كانت فى أول الأمر تقع تجاه باب زويلة فيما بين القاهرة الفاطمية ومصر القديمة ، أنشأها جوهر الصقلى ، وعمرت بعد عام ٦٠٠هـ/١٢٠٣م ، وكانت البركة تطلق فى أول الأمر على أرض زراعية يغمرها ماء النيل وقت الفيضان ، ثم تأخذ من الخليج المصرى ، وتزرع بعد الفيضان بمحاصيل الشتاء ، ثم تحولت أراضيها الزراعية إلى مبان ، وكانت هذه البركة على شكل بيضاوى مفرطح ، ويرجع السبب فى تسميتها بهذا الاسم إلى أن الأمير خمارويه جعل منها جزءاً كدار لفيلة كان يقتنيها فى جهتها الشرقية ، ومن ثم قصدها الناس للنزهة ومشاهدة الفيلة فكانت بركة الفيل .

● (مصطفى بن الحاج إبراهيم : تاريخ وقايع القاهرة المحروسة ، المرجع السابق ، ص١٠٣ ، حاشية (٥)

(٣) بعث فيه الهم .

عاشر جمادى الاولى وخرج معه ابنا عمه خليل وهما أبو بكر وأحمد وخرج معه أيضا الناصرى محمد العلائى على بن خاص بيك صهر الخليفة وكذلك الشرفى يونس ابن الاتابكى سودون وقبل خروج الخليفة نزع السلطان سليم منه الخلافة قهرا ولبس شعارها فى محفل حافل فخرجت فى هذا اليوم الخلافة من بنى العباس الى آل عثمان وزالت عنهم كما زال الملك من ديار مصر بزوال دولة الغورى فسبحان من بيده تصاريف الامور وهو المعز المذل يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء انه على كل شئ قدير .

وتأهب السلطان للرحيل عن مصر فسير امامه الى القسطنطينية من أولاد الملوك والسلاطين الذين كانوا بديار مصر وكبار الامراء والقضاة ونواب القضاة والشهود والعدول والمباشرين والكتاب من القبطة[1] وهم المعلم بانوب كاتب الخزينة السلطانية والمعلم يوحنا الصغير والمعلم أبو المكارم وغيرهم وكثير من الاعيان وكبار التجار وأرباب الصنائع من مثل المهندسين والبنائين والنجارين والحدادين والمرخمين[2] وصغار الفعلة فساروا بهم فى يوم الجمعة سابع عشر رجب الفرد الى الاسكندرية ثم الى القسطنطينية وأنزلوا معهم شيئا كثيرا من الرخام والعمد مما أنزلوه من قلعة الجبل والقاعات الكبرى وأخذوه من بيوت الامراء والاعيان من القاهرة ومصر القديمة وكانت شيأ كثيرا جدا . قال بعض كتاب الاخبار كان عدد من خرج من الامراء وأولاد الملوك والقضاة وغيرهم زهاء ألف وثمانمائة وقيل بل أكثر من ذلك جدا فكانت شدة عظيمة للغاية . ولما كان يوم الخميس ثالث عشرى شعبان سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة خرج السلطان سليم يريد الرحيل الى القسطنطينية فسار من بيت الاشرف ومرّ من

مطلب
خروج السلطان
سليم من مصر إلى
مقر سلطنته
بالقسطنطينية .

(١) القبطة : الأقباط .
(٢) الذين يعملون فى صناعة الرخام .

الصليبة الى الرميلة وهو فى موكب وجلالة وامامه العساكر والاجناد من المشاة والفرسان وطوائف الأمراء وكبار الجند وعدة جنائب حربية والامير خير[1] بيك نائب مصر وجان بردى الغزالى وكان السلطان راكبا على بغلة قيل انها كانت للسلطان الغورى كان يركبها فى الاسفار وحوله جماعة الوزراء وبينهم يونس باشا والدفتردار فسار بموكبه على السور ومر بتربة[2] الاشرف قايتباى ووقف أمام القبر لحظة لطيفة ثم مرّ من بين المقابر الى تربة العادل التى بالفضاء واستمر على ذلك حتى نزل بالمخيم الذى نصبوه له ببركة الحج ولم تعلم العامة بخروجه فى ذلك اليوم فلم تقف للقائه والدعاء اليه كعادتهم فى مثل هذه المواكب . ثم سار

---

(١) خايربك (خيربك) هو الحاكم المملوكى الذى شهد عهده ١٥١٧-١٥٢٢ فترة أشرفت فيها مصر على مفترق الطرق ، بين مصر المملوكية ومصر العثمانية ، وقد شارك فى إنجاح الفتح العثمانى لمصر ٩٢٣هـ/١٥١٧م أيام السلطان سليم الأول .

ولد خاير بك فى عام ٨٦٨هـ/١٤٦٣م فى قرية (صمصوم) بالقرب من بلاد الكرج فهو جركسى الجنس أباظا وكان أبوه يدعى مالباى ، وكان له أربعة إخوة هم كسباى وخضر بك وجان بلاد وقانصوه المحمدى ، وقد قدمهم أبوهم إلى الملك الأشرف قايتباى المحمودى ، وبذلك لم يدخل خاير تحت الرق ، فضموا إلى مماليك قايتباى وارتقى منهم خاير إلى أرفع المناصب ، وقد توفى إخوته بالطاعون ليعيش هو وأصبح من مماليك الطباق بقلعة الجبل ، ثم دخل فى عداد المماليك السلطانية ، ثم ترقى ليكون ضمن المماليك الجمداريه (الذى يشرف على لباس السلطان) ثم خاصكيا (من حاشية بروتوكول السلطان الذين يدخلون عليه دون استئذان) ثم أمير عشرة فطلبخانة ، وأولاه السلطان محمد بن قايتباى عنايته فأظهر مواهبه .

وقد أوفده محمد قاصداً (رسولاً) إلى الخوندكار (السلطان) بايزيد الثانى سلطان الدولة العثمانية عام ٩٠٣هـ/١٤٩٧م ، ثم تولى أمير مائة فمقدم ألف فى عهد الأشرف جان بلاط ، وصاحب حملة الشام ضد «قصروه» نائب الشام ، ولما تولى طومان باى قبض على خاير بك وسجنه فى قلعة الشام ، ولكنه أفرج عنه وأعاده مقدم ألف ، ولما تولى السلطان الأشرف الغورى ١٥١٦م جعله صاحب الحجاب ، واستمر فى هذا المنصب حتى توفى أخوه قانصوه المحمدى نائب الشام فعين خايربك نائباً لحلب فكانت هذه بداية عهده بالعثمانيين الذى أخلص لهم كثيراً فنال رضاهم كما نرى .

●(دكتورة ليلى عبد اللطيف : مصر على مفرق الطرق ، خاير بك المملوكى ١٥١٧-١٥٢٢ ، القاهرة ١٩٨٧ ، ص ص١٠-١٤) .

(٢) تربة الأشرف قايتباى أى قبره .

من بركة الحج الى الخانقاه السر[1] ياقوسية قال بعض كتاب الاخبار ولما وضع رجله بالركاب يريد المسير تقدم اليه خير بيك[2] بمفاتيح البلد فردها عليه وقال له وليتك اياها الى أن تموت بها فشاوره على أن أبناء الشراكسة يريدون الدخول فى خدمة الاجناد فأجابه الى ذلك فشاوره أيضا فى ابقاء اوقاف الشراكسة وهى نحو عشرة قراريط من أرض مصر فأجابه بابقائها على ما كانت عليه فأستاء وزيره وقال فنى مالنا وعسكرنا ونسلمهم بلادهم وندخلهم فى عسكرنا ونبقى أوقافهم يستعينون بها علينا . قال فغضب السلطان وقال أين الجلاد فضرب عنق الوزير ووضع رجله الثانية فى الركاب وسار . قلت ويقال ان لقتل الوزير المذكور سببا آخر . ولما نزل السلطان الخانقاه لاطفوه وسألوه عن سبب قتل الوزير فقال عاهدناهم على انهم ان ملّكونا بلادهم أبقيناها لهم وجعلناهم عليها فهل يجمل بنا أن نخون العهد واذا أدخلنا أبناءهم فى جندنا فهم مسلمون أولاد مسلمين واما أرضهم فأصلها ملك الفاتحين ومنهم من أوقف ومنهم من قامت ذريته من بعده فهل يجوز لنا أن ننازع الملاك فى أملاكهم وانما أزلت الوزير كراهة ان يغير علىّ اعتقادى بتكرار كلامه .

---

(١) أنشئت خانقاه سرياقوس بمعرفة الملك الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٢٣هـ كخانقاه صوفية للعبادة والتصوف فى صحراء سرياقوس ، وفيما يلى هذه الخانقاه بنى قلاوون مسجداً وحماماً وقصوراً وبيوتاً جميلة ، واكتمل هذا العمل عام ٧٢٥هـ ، ومع الوقت أصبحت المنطقة معروفة باسم خانقاه سرياقوس ، وقد ظلت الخانقاه جزءاً من سرياقوس حتى عام٩٣٣هـ (١٥٢٦-١٥٢٧م) عندما أصبحت قرية مستقلة ، وتحول اسمها إلى الخانكة ، وهى تقع إلى الشمال من بركة الحاج .
● محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، مجلد٢ ، جـ١ ، ص ص٣٢ ، ٣٣ .

(٢) ترك السلطان سليم «خايربك» الحاكم المملوكى السابق لحلب كحاكم لمصر بعد ذهابه إلى استانبول فى ١٠سبتمبر ١٥١٧م ، وسعى خاير بك الذى كان قد هجر رفقاءه المماليك لينضم إلى قوات سليم فى حملته على الشام عام١٥١٦م - إلى توحيد القوات العثمانية التى بقيت فى مصر مع بقايا القوات المملوكية المهزومة الذين عرضوا ولاءهم للنظام الجديد ، فاستخدم المماليك كقوات احتياطية وملحقة بالقوات العثمانية التى تركت تحت تصرفه كحامية وجهاز إدارى ، واستمر إلحاق الموظفين والقوات المملوكية فى عهد الحاكم الثانى أحمد باشا فى الشام ، أما فى مصر فقد ترك له سليم أربعة وحدات عسكرية تحت تصرفه (أى خايربك) الذى أضاف إليها وحدات أخرى من المماليك المهزومين الموالين للعثمانيين .
● دانيال كريسيليوس : المرجع السابق ، ص٤٦ ، ٥١ .

وسار من الخانقاه يريد بلبيس فلما صار على مقربة منها أصابه مرض حال بينه وبين ركوب دابته فأرسل الى الامير خير بك يطلب منه أن يعجل بارسال محفة فأرسلها اليه فركبها وسار الى الشام لقتال ملك فارس فأقام هناك أشهرا وقد اشتدت به علته فسار الى القسطنطينية فكانت مدة اقامته بمصر ثمانية أشهر الا أياما وكان من يوم قتاله للسلطان الملك الاشرف قانصوه الغورى فى مرج دابق الى قيامه من القاهرة سنة واحدة وشهر واحد وقد تملك فى هذه المدة من الفرات الى مصر والعراقين وما حولهما . قال بعض كتّاب الاخبار وكان دخول السلطان سليم بجيوشه الى مصر من أكبر الضربات على البلاد وأهلها فقد هلك بسببه العدد العديد من الرجال والنساء والاطفال حتى الدواب وتخرب الكثير من المساكن والشوارع والحارات وكسدت التجارة وتعطلت الصناعة حتى بطل منها خمسون صنعة من أعظم الصنائع وأشرفها وزالت منها الخلافة كما زالت السلطنة وأصبحت ايالة تابعة لدار السلطنة العثمانية

ولما ارتحل السلطان بعسكره الى القسطنطينية اشتد به المرض وظهرت فى ظهره قرحة عظيمة عجز الاطباء عن علاجها فكانت توضع الدجاجة[1] فى قرحته هذه فتذوب وشوهدت معاليق أكباده من خلف ومازال يشتد به المرض حتى مات سنة ست وعشرين وتسعمائة فكانت مدة سلطنته تسع سنين فتولى الملك بعده ولده السلطان سليمان .

(١) مبالغة فى وصف مرضه .

# (الفصل الثانى)

## (فى سلطنة السلطان سليمان[1] ابن السلطان سليم)

ثم قام بالامر بعده ولده السلطان سليمان بويع له بالملك يوم موت أبيه سنة ست وعشرين وتسعمائة هجرية أى سنة تسع عشرة وخمسمائة وألف ميلادية وعمره يومئذ ست وعشرون سنة فكان عاشر ملوك آل عثمان وكان يوم مات أبوه مقيما باقليم صارخان فأخفى الوزراء خبر موت السلطان سليم حتى يحضر خوفا من قيام الانكشارية واضرام نار الفتنة فلما جاءه الخبر بموت أبيه سار الى القسطنطينية فدخلها فى سادس عشر شوّال وكانت طوائف الانكشارية فى انتظار قدومه فلما رأوه صاحوا بأصوات التهليل وطالبوه بالعطايا حسب العادة فطيب خواطرهم ووعدهم بالاحسان وفى غد ذلك اليوم أغدق عليهم من إنعامه وطير الخبر بخلافته الى الآفاق وراسل جميع العمال والولاة وأمراء مكة والمدينة فى أمر الحكم بين الناس بالعدل فكان يستهل رسائله بآية. ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ .

وعلم السلطان سليمان بما كان من اخلاص خيربك فى خدمة أبيه السلطان سليم فأعجبه ذلك ونظر الى مصر نظرة الراغب فى فلاحها فأخذ فى

---

(١) ولد سليمان القانونى (المشرع) فى غرة شعبان سنة ٩٠٠هـ/ ٢٧إبريل١٤٩٥م ، وهو عاشر سلاطين آل عثمان ، وتولى السلطنة من ١٥٢٠م/١٥٦٦م ، وهو ما أجمعت عليه المراجع بخلاف ما ذهب المؤلف إليه هنا من أنه تولى سنة١٥١٩ (عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية ، مرجع سابق ، جـ١ ، ص٢٠ ، د . محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص٤٢ ، محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، مرجع سابق ، ص١٩٨ ، ص٧٧٧) ويسترسل محمد فريد فيكتب عنه أنه عاشر ملوك آل عثمان ولو أن بعض المؤرخين يعدوه حادى عشرهم باعتبار سليمان الذى نازع أخاه محمد جليس الملك سلطاناً وذلك خطأ لأنه لم يحكم بشكل شرعى ، وهنا يجمع بقية المؤرخين على تسميته السلطان سليمان الأول وعاشر ملوك العثمانيين .

ويتفق المؤلف مع محمد فريد فى أن سليمان دخل القسطنطينية بعد موت أبيه سليم الأول فى ١٦ شوال ٩٢٦هـ/ ٢٩سبتمبر١٥٢٠ .

● محمد فريد : المرجع السابق ، ص١٩٨ وما بعدها .

مطلب
نظر السلطان إلى ترتيب الدواوين والمجالس وتنظيم الأحكام الشرعية وتقرير قاعدة لذلك بديار مصر .

تقرير أمورها على أحسن القواعد ورتب فيها ديوانين[1]. ينظران فى مصالح الرعية ويفصلان في الخصومات فكان إذا انعقد هذان الديوانان جلس الوالى خلف ستار المنبر ليسمع ماتدور عليه رحى الحديث بعد أن يرسم الكتخدا[2] والدفتردار بذلك فاذا تمت مباحثات المجلس رفع الكتخدا والدفتردار ما استقر عليه الرأى الى الوالى فيرسم بتنفيذه بلا نقض ولا ابرام فيقضيه الكتخدا مع الدفتردار . ويختص الديوان الكبير من هذين الديوانين برؤية أهم الامور التى لا علاقة لها بدار السلطنة العثمانية فكان لذلك يتألف من أغوات الوجاقات الست الدفترداريين والرزنامجيين[3] والنواب فى جميع وجاقات العساكر وأمير

(١) كان حكام ولاية مصر ينتخبون من بين أعضاء الديوان السلطاني ذاته ، وخاصة عندما كانت الأحوال تقتضى إحلال حاكم جديد لإعادة فرض النظام على الجهاز البيروقراطى وإعادة النظام إلى الوحدات العسكرية المرابطة في الولاية .

وكان الحاكم يباشر مهامه ويصدر أوامره من خلال «الديوان» فى مصر أو مجلس الحكم ، وقد نص قانون نامة مصر الصادرة فى عام ١٥٢٥م على إنشاء ديوانين للإدارة فى مصر (الديوان) ، (ديوان ناظر الأموال) حيث اختص الأخير بالمسائل المالية ، أما الديوان فكان يتألف من كبار الموظفين المدنيين والإداريين والعسكريين فى مصر .

● دانيال كريسيليوس : جذور مصر الحديثة ترجمة د . عبد الوهاب بكر ، ١٩٨٥ ، ص ص٤٧ ، ٧٨ .

(٢) الكتخدا : بفتح الكاف وسكون التاء وضم الخاء ، فهى كتخدا بالتركية وفى الفارسية كدخدا والكلمة الفارسية من مقطعين (كد) بمعنى البيت و (خدا) بمعنى الرب أو المالك فتكون كتخدا = رب البيت يطلقها الفرس على السيد الموقر والملك ، ويطلقها الترك على الموظف المسئول والوكيل المعتمد والأمين ، فكان يقال : وزرا كتخدا لرى = مدير مكاتب الوزراء وأمنائهم وكان يقال خزينة كتخدا سى = أمين الخزانة (مصطفى بن الحاج إبراهيم : تاريخ وقائع مصر القاهرة المحروسة ت د . صلاح هريدى ، ص٣٠) .

(٣) الرزنامجى : فارسية الأصل روز بمعنى يوم ونامه بمعنى الكاتب فتكون (كاتب اليوم) أى يعمل فى دفتر اليومية ، وديوان الرزنامة فى مصر = ديوان مالى يجبى الضرائب ويتولى الإنفاق على بعض الجهات الخيرية كتشغيل الكسوة الشريفة ونفقات قلاع الحجاز ومرتبات مجاورى الحرمين وبعض أعيان استانبول وطلبة الأزهر والعتقاء والقضاة ، وقد الحق هذا الديوان بدواوين المالية ونظارة المالية فيما بعد١٣٦٥هـ/ ١٨٤٨م ، وتحول بعض هذا الإلحاق إلى ما يشبه المصرف يودع الأهالى لديه أموالهم ، لقاء راتب سنوى .

وقد سماه العثمانيون متأخراً باسم كاتب يومية (يومية كاتبى) وكان من كبار الأفندية وهو بمنزلة نصف بك أو نصف سنجق ، وكان يرأس ديوان الروزنامة (جى) فى اخر الكلمة وتدل النسب إلى المهنة أو الحرفة (أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ص١١٧) .

الحاج[1] وقاضى القضاة والمشايخ والعلماء والاشراف وأصحاب الفتوى الأربعة والائمة الاربعة . وكان لايجتمع الا فى المهمات من الامور ولا يصح اجتماعه الابناء على طلب الوالى وكانت تأتى اليه المراسيم السلطانية على يد الوالى .

وأما الديوان الثانى فكان ينعقد كل يوم فى بيت الوالى من الكتخدا والدفتردار والاغا وكبار وجاق المتفرقة ونائب من كل وجاق فينظر فى الاعمال وما تحتاج اليه البلاد من الامور النافعة . ورسم السلطان بأن يكون مقر الوالى بقلعة الجبل وان لاتزيد ولايته عن سنة واحدة ثم تعطى لغيره ممن يقع الاختيار عليه ورسم أيضا بإبطال بعض المكوس والمغارم وأزال بعض العوائد والرسوم وهيأ الحصون ومهد المسالك وزاد فى نظام الجند فأنشأ وجاقا سابعا ممن بقى من المماليك الشراكسة ورتب لكل وجاق ديوانا ينظر فى شؤنه ويتألف هذا الديوان من كبار الوجاق وافراد من ضباطه وكان لكل منهم لباس مخصوص وعلامة مخصوصة تدل على مرتبته ووظيفته وكان عدد جند هذه الوجاقات كلها عشرين ألفا وربما زادوا أو نقصوا وكان لوجاق الانكشارية الافضلية على سائر الوجاقات وكبيره مقدم على جميع كبارهم وله الكلمة النافذة عليهم فى كل حال وهم يبجلونه ولايخالفون له أمرا .

---

(١) أمير الحاج : كان هو (السنجق بك) الذى يتولى قيادة قافلة الحج السنوية إلى الحجاز والعودة منها بأمان ، وكانت هذه القافلة إحدى أكبر قافلتين لنقل الحجاج من القاهرة وكذلك نقل المؤن إلى الحرمين الشريفين فى موسم الحج ، وكانت الثانية وجهتها دمشق ، وكان أمير الحج مسئولاً عن حماية الحجاج ، وتسليم المؤن والأموال التى كانت ترسلها مصر للعرب حول الحرمين بشكل تقليدى ، فكان عليه ردع وقمع الهجمات البدوية على القافلة أو دفع الفدية للقبائل البدوية لضمان حسن مسلكهم مع الحجاج خلال مرور القافلة فى مناطقهم ، وكانت رحلة الحج هكذا تتكلف الكثير من الأموال وكان أمير الحج يحصل عليها فى شكل مخصصات كبيرة من الخزانة المصرية ، وبذلك كانت قيادة قافلة الحاج من أهم الوظائف التى قامت بها الحكومة فى مصر ولذلك كانت ترتب على أسس سنوية لواحد من الأمراء المماليك المتنفذين ، كما كان من واجباته أيضاً تسليم الكسوة الشريفة فى مكة لتغطية الكعبة المشرفة .

● (الدرة المصانة تحقيق كريسيليوس ود . عبد الوهاب بكر ، ص٣٢) .

مطلب تقرير الأمير خير بك على عمالة مصر وما جرى له .

ولما أتم نظام الامور على ما أراد أقرخيربك على عمالة البلاد واجاز له التصرف فى الامور بما فيه المصلحة وان يعدل فى الرعية ولايحدث شيأ من المغارم والمكوس فجعل خير بك يتصرف تصرف الملوك والسلاطين وبدت منه دلائل الجفاء والشدة . قال بعض كتّاب الاخبار ثم لم يلبث ان طغى وظلم وأخذ الناس بالشبهات وأساء الى طوائف الجند فأبغضوه وتربصوا به الشر فلما أحس منهم بذلك أخذ فى تدبير الحيلة وجمع اليه من بقى من طوائف المماليك الشراكسة وقربهم اليه وأدنى كبارهم منه وأباح لهم ركوب الخيل وحمل السلاح وقد كان ذلك محرما عليهم منذ دخول السلطان سليم القاهرة بعسكره ورسم فنادوا بذلك فى القاهرة ومصر القديمة وسوق السلاح وقلعة الجبل فشق هذا الامر على طوائف الجند وأحسوا بما وراء ذلك من الخيبة أن هم ظلوا متقاعسين فقاموا قومة رجل واحد وسيروا طائفة منهم فوقفوا لخيربك فى حوش الديوان وكلموه فى ذلك وأغلظوا عليه فى القول ومنعوه من الدخول الى بيته وسبوه وهمّ بعضهم بقتله فأفلت منهم وانزوى فى بيته فعاثوا فى قلعة الجبل وأزعجوا من فيها وتطاولت أيديهم الى النهب وثاروا على خير الدين نائب القلعة وهموا بقتله فأغلق دونهم الابواب واختفى منهم فى ذلك اليوم فنزلوا الى المدينة وتفرقوا وهم حاقدون على خيربك ناقمون عليه واشتدوا على الرعية فصاروا يشوشون على جميع الخلق بلافرق ولاتمييز حتى على السوقة والباعة وكانوا يأخذون ما فى البيوت من الابواب والشبابيك وخشب الاسقف للوقود وكان اذا احتاج أحدهم الى وقود لحريق ذهب الى أقرب البيوت لبيته وأخذ منه مايحتاجه ليومه أو ليومه وغده على مرآى من صاحب البيت حتى أخذوا جميع ما فى الاماكن التى فى زقاق الكحل والسطاحى والتى فى الجسر وحكر الشامى والازبكية من الاخشاب وكانوا يبيعون مافضل منهم بأبخس الأثمان . قال بعض كتّاب الاخبار فضج الناس وعجوا واجتمع أصحاب البيوت وتبعهم العامة وساروا الى بيت قاضى القضاة العثمانى وشكوا اليه من فعال أولئك الجند وصاحوا واستغاثوا وقالوا مايحل ذلك

يامولانا فشق الامر على القاضى وركب من ساعته وسار الى بيت الاميرقايتباى الدويدار وأخذه وسار الى خيربك بمقره وأعلماه بالخبر وأغلظ القاضى فى القول وهدد خيربك أن لم ينشط الى العمل فيجمع خيربك كبار الجند واختيارية(١) الوجاقات وكلمهم فى ذلك فطيبوا خاطره وهوّنوا عليه الامر وطلبوا منه أن يمنع فتح الحوانيت ليلا فأمر فنادوا بذلك فكانت السوقة تقفل الحوانيت قبل غروب الشمس .

واتفق فى هذه الاثناء ان جاء رسول من دار السلطنة فى طلب بعض الامراء المصريين وعدد من العساكر الشاهانية يعنى الانكشارية والاصبهانية(٢) نجدة ففرح خير بك بذلك ونادى فى العسكر بالتأهب للرحيل فغضبوا وظنوها خدعة من خيربك وأبوا الرحيل وزادوا فى الافساد والاضرار بخلق اللّه فكانوا كما أكثروا فيهم المنادة . زادوا تمردا وطغيانا ثم خرج منهم جماعة الى الشرقية وآخرون الى الغربية فعاثوا وأفسدوا وأحرقوا الحرث والنسل وانضم منهم جماعة أيضا الى بعض العربان وقطعوا السبل على المارة واختفى منهم جماعة بالقاهرة ومصر

---

(١) الاختيارية هم رؤساء أوجاقات الحامية العثمانية فى مصر ، وهم أيضاً المسئولون من رجالها ، وأقدمهم «الباش اختيار» ، وهم كذلك من أرباب الديوان العمومى ، يحضرون فى كل ديوان (اجتماع) لتحصيل الأموال الأميرية .

● (المجلة التاريخية : «ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة بالقاهرة ، تحقيق د . عبد القادر طليمات ، العدد ١٤ عام ١٩٦٧ ، ص٣٥٩) .

(٢) وهم أوجاق الفرسان وهو أوجاق الجنولليان أو كوكليان وتفنكجيان أى جنود المدفعية والجراكسة ، وكانوا يعينون من قبل الحكام وعليهم حفظ الجسور السلطانية ، أما كبار الأوجاقات مثل باش جاويش والأغا والجوربجية والأنفار وأصحاب الخدم فكانوا فى القاهرة ، حفاظاً عليها ، ولهم عوائد على طرف الميرى من داخل موجبات العساكر .

ومن حيث وصفهم : فإن أفراسهم تتصف بالجمال مرصعة واللالئ فى سرجها ، أما الفرسان فكانوا يلبسون الحرير الملون ، ورغم أن الأسلحة النارية والمدفعية كانت قد عرفت من قبل ، إلا أن السباهية ظلوا يعتمدون على القوس والنشاب حتى نهاية القرن الحادى عشر الهجرى .

●(أحمد بن محمد الحموى : فضائل سلاطين بنى عثمان : مرجع سابق ، ص٥٨ ، مصطفى بن الحاج إبراهيم ، تحقيق صلاح هريدى ، مرجع سابق ، ص٤٢ .

القديمة فشدد خيربك فى التفتيش عليهم وقبض على جماعة منهم وسجنهم فى قلعة الجبل ورسم لرسول دار السلطنة بالتأهب للسفر معهم بلا ابطاء فلما كانت الليلة التى قبضوا فى نهارها عليهم اجتمع جميع الذين كانوا فى القلعة منهم بالحوش وكسروا باب القلعة ونزلوا منها ليلا الى مصر القديمة وركبوا بعض السفن التى وجدوها هناك وساروا الى الصعيد متفرقين فخشى خيربك شر العاقبة ورسم للأمير قايتباى[1] الدويدار بالخروج خلفهم بخيله ورجله وأن يقتل كل من لقيه منهم فى الطريق بغير معاودة فقام قايتباى ومعه الامير جانم الحمزاوى والامير على العثمانى وعبروا النيل الى الجيزة فلبثوا بها يومهم حتى تكامل خروج عسكرهم ثم ساروا الى ناحية الميمون بالقرب من جزيرة عدى فالتقوا هناك مع الانكشارية فقاتلوهم قتالا عنيفا وانتصر الاميرقايتباى عليهم نصرة عظيمة وحرق مراكبهم وقتل منهم خلقا كثيرا بالمكاحل والبنادق وقبضوا على من بقى منهم وحزوا رؤس[2] كبارهم وأصحاب الكلمة فيهم وعادوا الى القاهرة ففرح خير بك بذلك ورسم لوالى القاهرة برفع تلك الرؤس[3] على أبواب المدينة فلم يمكنه كبار الانكشارية من ذلك وكادت الفتنة تقوم بالقاهرة . وخاف من بقى من الانكشارية والاصبهانية وانكمشوا وأطاعوا وخرج منهم طائفة كبيرة مع رسول دار السلطنة الى الريدانية ثم رحلوا عنها بعد أيام الى الشام مع بعض الامراء المصريين الذين جاءهم الطلب فكانت هذه الوقعة أول فتن الانكشارية بعد أن تسلموا حراسة البلاد والذب عنها . ولما ظهرت الفتنة على النحو المذكور

---

(١) كان الأمير قايتباى الدوادار من أكبر أعوان خاير بك طوال مدة حكمه فى مصر ، ويعنى لفظ الدوادار حامل دواة السلطان أو الأمير ، كما كان يقوم بإبلاغ الرسائل عنه ، وتقديم القصص والشكاوى إليه .
ولم يكن الأمير قايتباى يقوم بعمل الدوادار فقط لخاير بك ، بل كان ساعده الأيمن فى كل تحركاته وأعماله .
● (د . ليلى عبد اللطيف : مصر على مفترق الطرق ١٥١٧-١٥٢٢ ، القاهرة١٩٨٧ ، ص٥٢) .

(٢) صحتها رؤوس . هكذا استعمل المؤلف الهجاء القديم فى الكتابة . ولأمانة النقل تركناه كما هو .

(٣) الرؤوس .

ضعفت شوكة خير بك وكادت هيبته تزول وطمع العربان[1] فى البلاد وخرج حسن بن مرعى شيخ عربان البحيرة فى طائفة كبيرة من قومه وانضم الى جماعة من عربان الشرقيةوغيرهم وعاثوا فى بلاد البحيرة وأفسدوا ونهبوا وقتلوا وسلبوا وقطعوا السبل على المارة وسار بهم ابن مرعى المذكور يريد القاهرة ووردت الاخبار بذلك الى خيربك فاضطرب ونزل من قلعة الجبل الى الميدان وعرض جميع المماليك الشراكسة والعساكر العثمانية واختار منهم جماعة وسيرهم مع الامير قايتباى الدويدار والاميرخورشيد كبير العثمانيين وكانت الامور قد ضاقت جدا على أهالى الشرقية والغربية واتسع نطاق الفتنة واستفحل أمر الفساد وفعل أولئك الناس بالقرى مالايطاق من الجور وظهر عبد الدائم بن بقر واخوته وهو من زعماء عربان الشرقية فعاث أيضا وأفسد وخرب بلادا كثيرا من الشرقية والغربية وعمت الفتنة البر والبحر فكبرخوف الامير خير بك وشدد على قايتباى الدويدار وخورشد بالقيام الى البحيرة أولا وقطع شأفة ابن مرعى وأصحابه فحثوا السير فلما أحس ابن مرعى بقدومهم وعلم أن لاقبل له على قتالهم أرسل أخاه شكرا الى الامير خير بك يطلب له الامان فكتب اليه خيربك يؤمنه وبعث اليه صورة يمين ليحلفه على يدى القاضى فخر الدين بن عوض وأرسل اليه كذلك قفطان حرير مخمل وخلع على أخيه شكر خلعة أخرى وكتب الى الامير قايتباى أن يتربص بعساكره فتربصوا فى المكان الذى أدركهم فيه الخبر وجاء حسن بن مرعى

---

(١) بانتقال السلطة الفعلية إلى أيدى المماليك وبتغلب نفوذهم على نفوذ البكوات العثمانيين، لعب العربان دوراً كبيراً فى الفتن السياسية والصراعات العسكرية وظهر هذا بين فريقى الفقارية والقاسمية، ثم تأييد الهوارة للبيوت المملوكية.

ولما دخل مشايخ العربان منذ القرن ١٨ مجال الالتزام وأصبحوا من الملتزمين، أصبحت لهم سلطات مطلقة فى أماكنهم فظلموا الفلاحين وحرموهم حقوقهم فى الرى والزراعة، كما كانت إغارات الرحل منهم على القرى فى أوقات الحصاد للنهب والسلب وقطع الطرق وإيذاء المارة والاستيلاء على ممتلكاتهم.

وكان عربان الشرقية والبحيرة أكبر صورة سلبية لهؤلاء العربان كما وصفهم ابن إياس، وتحالفوا على التمرد ضد السلطة، وقد خرج الأمير قايتباى بنفسه وبصحبته عدد كبير من الجند الجراكسة والعثمانيين لقتالهم عندما أصبحوا خطراً يتهدد الأمن العام لمصر كلها (د. إيمان محمد عبد المنعم: العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن ١٩، القاهرة، ١٩٩٧، ص ص٢٤-٢٦).

صحبة القاضى فخر الدين بن عوض وصعد الى قلعة الجبل فأكرم خيربك لقاءه وخلع عليه خلعة سنية ثم أنزله فى موكب حافل وعادت الامور فى البحيرة والغربية الى سابق مجراها واطمأنت قلوب الرعية وتحول قايتباى بمن معه من العساكر نحو الشرقية فلما علم بقدومه عبد الدائم بن بقر زعيم العصاة بها أرسل الى خير بك يطلب الامان فأجابه الى ذلك وأرسل يستقدمه فحضر الى القاهرة ومعه جماعة من العربان وحضر معه أبوه أحمد بن بقر فلما مثل بين يدى خير بك أكرم لقاءه ولقاء أبيه وهم أن يخلع عليهما ويقرر عبد الدائم المذكور على شياخة عربان الشرقية فقال أبوه أن أنت فعلت ذلك أيها الامير جلبت على أهل الشرقية وبالا ومكنت ولدى هذا من رقاب الابرياء وزدت نار الفتنة اضراما فعجب خير بك بكلامه وأمر فى الحال فقبضوا على عبد الدائم وكبلوه بالحديد وقبضوا على جميع من جاؤا معه من أصحابه وسلموهم الى خير الدين بك نائب القلعة ففرح الناس بذلك فرحا لايوصف لاسيما أهل الشرقية والغربية واطمأنت قلوب الخلق وزالت عنهم المخاوف ثم بعد أيام قلائل أخرجوا من أولئك العربان عدة أشخاص وأماتوهم شنقا بعضهم على قنطرة الحاجب وبعضهم على رأس الحسينية وبعضهم عند باب النصر وقتلوا آخرين بغير ذلك أيضا . وأما حسن بن مرعى شيخ عربان الغربية فانه بعد أن خلع عليه خلعة الرضا وأعاده الى الغربية معززا لم يلبث بها الا قليلا حتى دس خيربك الى اينال السيفى طراباى كاشف الغربية بأن يقتله مع أخيه شكر فأخذ اينال المذكور يكاتب ابن مرعى ويتودد اليه ويظهر له غاية الاخلاص والمودة حتى أمن جانبه ومال اليه ثم أدب له مأدبة عظيمة فى بلدة قريبة من دمنهور ودعاه اليها مع أخيه شكر فأجابا دعوته وأتيا اليه فأحسن لقاءهما وبالغ فى الترحيب بهما حتى حضر الطعام فأكلوا جميعا ثم انتقلوا الى مجلس الشراب فشربوا فبينما هم كذلك إذ خرج على حسن وأخيه جماعة من المماليك الشراكسة من مكان كانوا مختفين به وعاجلوهما بضرب السيوف واحتزوا رأسيهما فأرسل بهما

اينال الكاشف الى خير بك ففرح ورسم لوالى القاهرة برفعهما على باب النصر فرفعهما وتزاحم الناس لمشاهدتهما . قال بعض كتاب الاخبار وحسن ابن مرعى هذا هو الذى غدر بالسلطان الملك الاشرف طومان باى وقبض عليه وسلمه الى السلطان سليم واتفق انه لما سار حسن المذكور الى مأدبة الكاشف اينال السيفى كان راكبا على فرس السلطان الملك الأشرف التى كان أخذها يوم سلمه الى جند السلطان سليم بعد أن أقسم انه لايخونه ولايدس عليه فلما احتز المماليك رأسه ورأس أخيه شكر ربطوهما فى عنق ذلك الفرس ودخلوا بهما القاهرة على هذه الصورة فعد ذلك من النوادر العجيبة فى بابها .

وفرح خير بك بموت ابن مرعى وعده من أكبر أسباب الظفر وبث العيون والارصاد حول جماعة العربان فى البحيرة والغربية والشرقية وشدد فى ذلك فانكمشوا وخافوا وتمكن كاشف المنوفية من قتل شيخ العرب على الاسمر بن أبى الشوارب فاختفى من بقى من كبار العربان وأصحاب الكلمة فيهم وسلكت بعض الطرق التى قطعها العربان واطمأنت قلوب الناس ولكن لم تطل هذه الايام حتى عاد عربان السوالم الى الخروج بالشرقية وكاد يستفحل أمرهم وعاد الناس الى التخوف فاعمل اياس كاشف الشرقية الحيلة للقبض على مشايخهم ومازال يتقرب منهم ويتودد اليهم حتى استدعاهم إلى مأدبة أعدها لهم فركنوا اليه واطمأنت من قبله قلوبهم وأتوا اليه فأكرم لقاءهم وأحسن وفادتهم ولم يقضوا معه يومهم حتى قبض عليهم وقتلهم وسلخ جلودهم وحشاها بالتبن وأرسل يعلم الامير خير بك بالخبر فسير اليه خيربك طائفة من الانكشارية والاصبهانية والچراكسة فأحاطوا بمنازل عربان السوالم وقتلوا من وجدوه بها من الشيوخ والنساء والاطفال وغنموا مافيها من الخيل والابل والاغنام والاماء والعبيد والملبوس والمفروش وقبضوا على الشيخ نجم شيخ عربان العائد لاتهامه بامداد عرب السوالم وأتو برؤس[1] من قتلوا مع جلود المشايخ الى القاهرة فتفرق من بقى وطلع

(١) برؤوس .

جماعة الى الجبال . ونزل جماعة الى الصالحية فأحرقوها وأحرقوا ماجاورها من القرى والكفور وقتلوا ونهبوا أخذا بالثار واشتدت الفتنة وعمت جميع انحاء الشرقية فولى خيربك اخا نجم شيخ عربان العائد شيخا بدل أخيه نجم وجهز لقتال السوالم طائفة من الانكشارية والاصبهانية وأخرى من المماليك الشراكسة وطائفة من الرماة بالبنادق وبعض المكاحل وكان لما قبضوا على نجم شيخ عربان العائد قام أيضا اصحابه وعاثوا فى بلاد الشرقية وقطعوا الطرق على أبناء السبيل وانحدروا حتى أتوا على رأس المطرية فكانوا يقبضون على المارة ويسلبون مايجدونه معه فلما وصلت العساكر الى الشرقية هرب من بقى من السوالم وأطاع من كبارهم من لم يهرب وسلموا بأنفسهم الى اياس كاشف الشرقية فنزل بهم الى القاهرة ودخل بهم على الامير خير بك فأكرم لقاءهم وخلع عليهم خلع الرضا وأقرهم على المشيخة بشرط الطاعة وحسن الولاء والاخلاص فى خدمة الدولة فأطاعوا .

مطلب خروج الغزالى والى الشام عن طاعة السلطان وعزمه على الزحف على مصر وضمها إلى الشام .

ورسم خير بك بشنق شيخ العرب أبو الشوارب فشنق ومعه آخرون من كبار العربان ثم عاد فعفا عن نجم شيخ العائد وأفرج عنه وولاه المشيخة ثانية وأطلق آخرين من كبار السوالم وكان الحامل له على ذلك ماورد اليه من الاخبار بخروج جان بردى الغزالى والى الشام عن طاعة السلطان واستقلاله بملك الشام واتخاذه لنفسه شعار السلطنة وانه قد خضع له جميع الولاة والعمال وقبلوا الارض بين يديه وزينت له جميع المدن والبلدان أياما ثلاثة فلقب نفسه بالملك الاشرف أبى الفتوح وكتب الى جميع الولاة يستحثهم على تجنيد الجند وأعداد آلات الحرب لقتال خير بك بمصر وأخذ البلاد منه وضمها الى الشام كما كانت على عهد من سلف من الملوك والسلاطين . وكان الحامل له على قتال خير بك أنه لما هم بالخروج وشق عصا طاعة السلطان راسل خيربك فى ذلك وحبب اليه الخروج وألح عليه فى الطلب وهون عليه الامر فخدعه خير بك وسير كتب الغزالى الى السلطان وعلم الغزالى بخبر ذلك فأكبره وأعظمه جدا وتجرد لقتال

خير بك فخاف خير بك من هذه الاخبار وخشى سوء العاقبة فاطلق لذلك من أطلقهم من مشايخ وكبار العربان الذين كانوا فى السجون وعاهدهم وأمدهم بالاسلحة والكراع[1] ورسم لهم بقتال جان بردى الغزالى فى طريقه قبل أن يصل الى الديار المصرية فخرج منهم جماعة وساروا الى الشام لمنع الغزالى ولمومه وكان الغزالى قد جمع اليه جموعا كثيرة من الاكراد وعربان جبل حوران ونابلس وعربان بنى عطا وبنى عطية وغيرهم من طوائف العربان وخرج من دمشق فى جيش عظيم للغاية وجموع كثيرة جدا يريد الديار المصرية فاهتم الامير خير بك لذلك وعرض العساكر والجناد وجمع طوائف الانكشارية والاصبهانية والكمالية[2] المماليك الشراكسة وغيرهم ممن شاء الدخول فى خدمة الدولة وجماعة كثيرة من المغاربة والروم أصحاب الحرف والصنائع وأكثر من جمع السلاح وانشاء المركبات والعجلات لجر المكاحل ونادى فى هذه الجموع والاجناد بالتأهب والاستعداد .

وبينما كان خير بك يجند الجنود ويكثر من جمع السلاح كانت رسل الغزالى تأتى الى مصر بالرسائل الى بعض الامراء من الروم وبعض التجار والجواسيس تنقل من أخبار خير بك الى الغزالى كل ماوصلوا الى معرفته فأحس خيربك بذلك وشدد ومنع من دخول الاغراب الى القاهرة الا بعد البحث والتنقيب عن أحوالهم وقبض على بعض الروم من تجار خان الخليلى وأمر

(١) الكراع : ذخيرة الحرب من الأطعمة والمؤن والأسلحة .
● سعيد عاشور : العصر المملوكى : ص٤٤٣ .

(٢) كان كل وجاق ـ فى هذه الفترة ـ ينتظم أفراده فى بلكات ـ بما يعرف الآن بالسرايا والفصائل ، يحمل كل منها رقماً منسوباً إلى الوجاق ، وكان كل فرد داخل البلك يحمل رقم بلكه منسوباً كذلك إلى الوجاق الخاص به ، وكان البلك داخله طوايف بأرقام وأسماء ، فكان بلك (٩٠) خاص بطايفة الكمولية أو الكمّالية ، وكانت هناك طائفة الجراكسة والأصبهانية . . . الخ ، وظل هذا النظام إلى آخر القرن السادس عشر حيث ضعف بعد ذلك .
● (أحمد شلبى : أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن (دكتور) ، ط١٩٩٤ ، ص٤) .

بقتلهم فقتلوا تحت قلعة الجبل بتهمة نقل الاخبار وكان من أمره أنه اذا نقل اليه أن أحد الناس مهما كانت درجته ذكر الغزالى فى مجلس أو تكلم عن زحفه على ديار مصر أو عن استقلاله بملك الشام أمر بصلبه على أحد أبواب القاهرة ثم أمر بالقاء جثته للكلاب فتنهشها فخاف الناس جدا وانكمشوا وقل خروجهم الى الاسواق وجلوسهم على الحوانيت . وجاءت الاخبار بوصول طلائع لموم الغزالى الى اقطيا[1] فجرد خيربك لقتالهم طائفة من الاصبهانية وأخرى من الكمالية فساروا من الريدانية الى بلبيس ومنها الى الصالحية فافسدوا فى طريقهم وعاشوا ونهبوا الكثير من الضياع وعلى الخصوص ما كان منها حول بلبيس والصالحية وأخذوا مافيها من الشعير والسمن والطيور وأذاقوا أهل البلاد مرارة الجور وانقطع الوارد من الديار الشامية وسدت المسالك فى وجوه أصحاب التجارة فانكفوا وانقطعت العلائق مع أهل الشام وكتب خيربك بتحرير الخبر الى دار السلطنة فاهتم السلطان بأمر الغزالى وجند لقتاله الجنود وسيرها على قدم السرعة ومقدمها الوزير فرحات باشا فلاقته العساكر السلطانية عند حلب الشهباء وكان الغزالى محاصرا لها فقاتلته قتالا عنيفا أياما كثيرة ثم انتصرت عليه ومزقت شمل جنوده ففر وسار يريد الشام وقد كسر جسر[2] الرستين فتبعته العساكر السلطانية وقاتلته خارج دمشق قتالا شديدا أياما مات فيه خلق كثير قيل عشرة آلاف وقيل أكثر من ذلك وضيق عليه العساكر السلطانية وسدّوا عليه المسالك حتى قبضوا عليه وقتلوه ذبحا كذبح الشاة وأخذوا رأسه مع رؤس كثير من كبار قومه وأرسلوها الى دار السلطنة . قال بعض الكتاب وكان الغزالى هذا من مماليك الاشرف قايتباى اشتراه وأعتقه وأخرج له خيلا وقماشا وصار من

مطلب قتل الغزالى وارسال رأسه إلى دار السلطنة .

---

(١) قطية أو قطيا ، وهى قرية اندرست تقع على الطريق بين مصر والشام بين القنطرة والعريش بالقرب من محطة الرمانة .

● محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق١ ، ص٣٥ .

(٢) الجسر : الكوبرى .

جملة المماليك السلطانية ثم استخدمه الامير تغرى بردى الاستادار[١] شادا على ضيعة له بالشرقية يقال لها منية غزال فنسب اليها وقيل له جان بردى الغزالى مضافا لاسم تلك الضيعة ثم أن الاشرف قايتباى قرره جمدارا وجعله فى كشف الشرقية ثم صار أمير عشرة فى آخر دولة الناصر محمد بن قايتباى ثم تولى محتسبا[٢] للقاهرة فى دولة السلطان الغورى ثم ولاه فى حجوبية الحجاب بمدينة حلب فخرج اليها من يومه ثم نقله السلطان الملك الغورى الى نيابة صفد وذلك سنة سبع عشرة[٣] وتسعمائة ثم الى نيابة حماة فلبث بها حتى كان ما كان بين الغورى والسلطان سليم فانضم الغزالى بعسكره الى جيوش السلطان سليم فولاه السلطان سليم الشام وجعل له التحدّث على الشام وحماة وحمص وصيدا وبيروت وبيت المقدس ورملة والكرك وغير ذلك من الاعمال الشامية فلما استقربه هذا المنصب تاقت نفسه الى الاستقلال بملك الشام فصار يجند الجنود ويكثر من المعدات وآلات الحرب وضم اليه الكثير من عربان حوران ونابلس والكرك وغيرهم واستمال كثيرا من المماليك الچراكسة ممن كانوا فى خدمة الدولة فى مصر فساروا اليه ولحقوا بعسكره ولحق به أيضا كثير من الاكراد والتركمان ومازال حتى بلغت جنوده اثنى عشر ألف مقاتل وبينهم كثير من الرماة بالبنادق فزحف بهم يريد فتح المدن والامصار وألبس نفسه شعار السلطنة

---

(١) استدار : فارسية وتعنى الشخص الذى يشرف على كل من بالقصر من خدم المطبخ والشرابخانة والغلمان ، وهو الذى يسلمهم رواتبهم وكل ما يحتاجون إليه لعملهم أو لأنفسهم ، وهو الذى يشرف على الواردات الخاصة بالسلطان .

●أحمد السعيد سليمان (د) : تأصيل ماورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ص١٣-١٥ .

(٢) المحتسب : هو المسئول عن الإشراف على الأسواق وطوائف الحرف ، ليراقب جودة المصنوعات ويراقب الأسعار ويفتش على الموازين والمكاييل ، حتى لا تقع جرائم غش .

●(عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للجبرتى ، جـ١ ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص٦٦) .

(٣) سنة ٩١٧هـ = ١٥١١م .

وتلقب بالملك الأشرف أبى الفتوح وضرب السكة باسمه وخطب له على المنابر فى دمشق وغيرها من المدن قيل خطب له بدمشق جمعتين . وكان طائشا عديم الرأى غير بصير بعواقب الامور كثير الاخذ بالشبهات كبير البطش وكانت مدّة ولايته على نيابة الشام ثلاث سنين وسبعة أشهر الا أياما ولقد صدق من قال :

والنفس لاتنتهى عن نيل مرتبة حتى تروم الذى من دونه العطب

ولما جاءت الاخبار بزوال ملك الغزالى وسقوطه فى قبضة العساكر السلطانية وقتله فرح الامير خيربك فرحا عظيما اذ لم يكن عنده من الجنود ومعدات القتال مايقوى معه على مبارزة جموع الغزالى وجيوشه المنظمة لاسيما وقد كانت الفتنة ضاربة بين كبار جند خير بك ورؤساء عسكره وكان كلما أخرج طائفة وسير بها لقتال الخوارج عاثت فى البلاد وأهلكت الحرث والنسل وفعلت مالاتفعله جنود العدو اذا احتلت البلاد عنوة وكان يخاف جدا من طوائف المماليك الشراكسة حيث تحقق له أن بعض كبارهم مالوا عنه وانضموا الى دعوة الغزالى وانهم يراقبون الفرص ويتأهبون للخروج عند أول سبب . وعادت المواصلات التجارية مابين مصر والشام بعد موت الغزالى وجاءت قوافل التجارة باصناف البضائع على اختلافها وزالت وحشة الناس وسكنت خواطرهم بعد الخوف وزاد اطمئنانهم بوصول الاخبار من دار السلطنة بان السلطان سليمان أجاز لمن كان أحضرهم أبوه من الامراء المصريين والقضاة ونواب القضاة والشهود والعدول والمعتبرين والتجار وأرباب الحرف والصنائع من المصريين يوم خروجه من مصر بعد فتحها أن يعودوا الى أوطانهم فلم تكن الا أيام بعد ذلك حتى حضر منهم من لم تخترمه[1] المنية قال بعض كتاب الاخبار وقد ذاقوا الذل ألوانا وأصبح الاعيان والمباشرون منهم لايملكون شروى نقير حيث نفدت أموالهم .

---

(١) أي لم يمت .

وجاءت أيضا خاتون[١] سلطانة عمة السلطان سليمان ومعها ولدها الامير مصطفى تريد الحج الى بيت الله الحرام وكان حضورها فى كبكبة زائدة وخدم وحشم وكثير من الخصيان فقوبلت بغاية الاحتفاء والاحتفال وسار الامير خير بك وجميع الامراء وكبار المماليك فى ركابها حتى نزلت فى بيت مطل على بركة الفيل ورتبت لها ولخدمها المأكل والمشارب ووقف على بابها بعض الحجاب وزارها نساء الامراء وقدمن لها التحف والهدايا النفيسة فلما خرج المحمل خرجت مرافقة له فى هودج وامامه الخدم والحشم وبالغ أمير الحجاج فى تنظيم الركب وسير امامه المركبات وعليها المكاحل والمدافع النحاس وأنفقت السلطانة فى الحرمين أموالا عظيمة وشيأ كثيرا من الاقمشة والغلال وتصدّقت على الفقراء ونزلاء التكايا[٢] وكثر فى هذا الحين افساد الانكشارية والاصبهانية بأسباب عدم صرف جماكيهم[٣] وتأخير مرتباتهم فنزعوا الى الثورة وتعرضوا لخيربك فى طريقه وتحت القلعة وخاطبوه ببذئ القول وفحش الكلام وأقسموا أنهم ينهبون المدينة إن هو أصر على ايقاف صرف جماكيهم ومرتباتهم ووقف جماعة منهم على أبواب الامراء يهددونهم أن لم يكلموا خيربك فى ذلك

---

(١) خاتون : لقب لقبت به الملكات والأميرات ثم أصبح يستعمل للمرأة بصفة عامة أما زوجات السلاطين فكن يلقبن بلقب (خوند) ، وأحياناً كان يخاطب به السلطان نفسه .

● . سعيد عاشور : العصر المماليكى : مرجع سابق ، ص٤١٠ ، والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص١٢٩ .

(٢) التكية كانت قبل المماليك تسمى خانقاه ، كمكان للتعليم الدينى وإقامة الصلاة فى عزلة عن المجتمع منذ أيام صلاح الدين ، وكان يتردد عليها من كان ينقطع للدراسة والبعض كانوا يزاولون الأعمال العادية ويتعيشون منها ويخصصون جزءاً من وقتهم للدراسة ، غير أن العثمانيين غيروا من أهداف تلك المنشآت ، فأدخلوا عليها نظماً لم تكن فيها وسموها (التكايا) ، وسموا أهلها (الدراويش) حيث كانو يؤدون طقوساً دينية لا تمت للإسلام بصلة ، وينعمون فى خيرات الأوقاف التى حبست عليهم .

● (د . فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص٢٥٠) .

(٣) الجامكية : كلمة فارسية تعنى المرتب ، استخدمت فى سجلات الروزنامة ، كما كانت هناك جامكية التقاعد ، هو ما كان يعطى للعاملين فى الإدارة بعد انتهاء مدة عملهم .

● د . ليلى عبد اللطيف : الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص٤٤٣ .

مطلب
كم كان خراج مصر فى دولة السلطان سليمان وما بعده إلى هذا الحين .

فكلموه وحذروه شر العاقبة فصرف لهم بعض المال على قدر الحاجة واعتذر بقلة ذات اليد وعجز المباشرين عن جباية الاموال وتعذر البيع والشراء وكساد الحال وبوار الكثير من المزارع وتشرد أصحابها بسبب فعال العساكر وعبثهم بالبلاد ثم شدد على المباشرين وطالبهم بالمال فانبثوا فى البلاد وطلبوا قسط الخراج معجلا قبل وفاء النيل وزرع الاراضى وضيقوا على أهل البلاد وبالغوا فى التشديد وقد كان متحصل خراج مصر فى هذه الدولة أى دولة السلطان سليمان على ما قاله بعض الكتاب ألف ألف دينار وثلمائة ألف ديناراً ذهبا ومن الغلال ستمائة ألف اردب منها ثلثمائة ألف قمحاً وثلثمائة ألف شعيرا وفولا وغير ذلك فى كل سنة ﴿قلت﴾[1] وكان خراج مصر على عهد المقوقس عظيم القبطة على مارواه تقى الدين[2] فى خططه مائة ألف ألف دينار وثمانين ألف ألف دينار وكانت مساحة أرضها على عهد الفراعنة مائة ألف ألف فدان وثمانين ألف ألف فدان تزرع غير البور وبلغ خراج مصر على عهد عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى السرح فى صدر الاسلام اثنى عشر ألف ألف دينار وفى أيام أحمد بن طولون أربعة آلاف ألف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار غير ما يتحصل من المكوس والغلال . وجبى خراجها فى الدولة الاخشيدية فكان ألفى ألف ألف دينار وجبى خراجها فى أيام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى فكان اثنى عشر ألف ألف دينار ﴿قلت﴾ وهو اليوم عشرة آلاف ألف ألف وخمسمائة ألف وبضع مئات ذهبا أى جنيها . وكانت جوامك ومرتبات العساكر فى ذاك الحين درجات بعضها فوق بعض فكانت جمكية الاصبهانية منهم ستين دينار وخمسين وأربعين وثلاثين وعشرين فى كل شهر والانكشارية مابين خمسة عشر واثنى عشر دينارا فى كل شهر والصوباشية ثلاثين دينارا فى كل شهر والكمالية مابين اثنى عشر وعشرة

(١) يقصد بها حاشية فيها رأيه (أى المؤلف) .

(٢) هو تقى الدين المقريزى وكتابه «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» ، وقد ورد هذا الخبر فى الجزء الأول منه ، ط . بولاق ١٢٧٠هـ ، ص١٣٧ . ويبدو أن المبالغة كبيرة فى تقدير المساحة المنزرعة

دنانير فى كل شهر والمماليك الشراكسة سبعة دنانير فى كل شهر هذا عدا مرتبات الامراء وكبار الجند وعظمائهم وكانت هذه الجوامك والمرتبات لاتصرف الا من خراج الشرقية والغربية والبحيرة والاقاليم القبلية فقط دون الاموال الخارجية من الثغور كثغر الاسكندرية ودمياط ورشيد والبرلس وعبدة وغيرها فانها كانت تحمل الى خزائن السلطان مباشرة فلايأخذ الوالى منها شيئا حتى ولا للجهاد والغزو وكانت أيضا بعض المغارم والمكوس تحمل كذلك الى خزينة السلطان فلا يأخذ الوالى منها شيأ وسرى ذلك الى ما كان مقررا على الرزق والاقطاعات والارزاق الاحباسية والاوقاف وترك[1] الاموات من طوائف الترك والمماليك الشراكسة ثم تعدى ذلك أيضا الى ما كان مقررا لنواب القضاء والشهود على عقود[2] الانكحة فقيدوا به قاضيا مخصوصا اسمه القسام فضرب على عقد البكر ستين نصفا والثيب[3] ثلاثين نصفا كانت تحمل الى الخزينة السلطانية .

مطلب إبطال السلطان سليمان لقضاة المذاهب الأربعة

ولما كانت سنة ثمان وعشرين[4] وتسعمائة رسم السلطان سليمان بابطال قضاة المذاهب الاربعة من التصرف فى القضاء بديار مصر وتسليم جميع الاحكام الشرعية لقاض واحد من قضاة الروم وان تبطل وظائف سائر النواب والشهود وأن لايبقى سوى أربعة من النواب لكل مذهب نائب لاغير ولكل نائب

---

(١) يقصد التركات ، وكان من حق السلطان مصادرة وبيع ممتلكات المواطنين الذين يتوفون بدون ورثة ، وكان هذا الحق يدار كمورد على شكل التزام يسمى (مقاطعة بيت المال) ويسمى مديره أو ملتزمه (أمين بيت المال) ، وكان هذا النظام أحياناً ينصرف على من ليسوا فى خدمة الحكومة ، وكانت هذه الممتلكات يتم التصرف فيها وفقاً لقيمتها ، أى أنها إذا كانت صغيرة تكون تحت تصرف الدفتردار وإذا كانت كبيرة فترسل قيمتها إلى السلطان .

● (دانيال كريسيليوس : جذور مصر الحديثة ت د . عبد الوهاب بكر ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص٣١٥) .

(٢) عقود الأنكحة : عقود الزواج .

(٣) الثيب : من سبق لها الزواج .

(٤) ٩٢٨هـ = ١٥٢١م/١٥٢٢ .

منهم اثنان من الشهود وأن لايبقى سوى أربعة من النواب لكل مذهب نائب لاغير ولكل نائب منهم اثنان من الشهود لاغير وأنهم يكونون جميعا بالمدرسة الصالحية[1] فلا يصح بعد ذلك لاحد أن يوقف وقفا أو يعقد عقدا أو يكتب وصية أو عتقا أو اجارة[2] أو حجة أو غير ذلك من الأمور الشرعية حتى تعرض على قاضى العسكر المذكور ونودى فى القاهرة ومصر القديمة بذلك فاضطربت أحوال الناس كافة وانكمش جميع القضاة والنواب والشهود وصاروا يتوقعون حضور قاضى العسكر المذكور فى كل يوم فلما كان يوم الاثنين عاشر رجب من السنة أى سنة ثمان وعشرين وتسعمائة قدم الى القاهرة القاضى المذكور واسمه سيدى جلبى فاوكبوا له موكبا حافلا وساروا به حتى أنزلوه فى بيت الامير جانم مضيفه الكائن خلف المدرسة[3] الغورية فلما استقر به المقام قدم عليه قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل وقاضى القضاة المالكى محيى الدين الدميرى وقاضى القضاة شهاب الدين الفتوحى الحنبلى وكان قاضى قضاة الحنفى مريضا فى هذا الحين فلم يحضر قال بعض كتاب الاخبار فلما دخلوا عليه لم يجلهم ولم يقم لقدومهم وكان شيخا مسنا أبيض اللحية طويل القامة على عينه سحابة فصيح اللسان يحسن العربية جيدا فكلمهم ساعة ثم انصرفوا فلما كان اليوم الثانى نزل الامير خيربك من قلعة الجبل الى الميدان وجلس

---

(١) عن المدرسة الصالحية والأزهر وموقفه يرجع إلى ميكل ونتر : المجتمع المصرى تحت الحكم العثمانى ، ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم ، القاهرة٢٠٠١ ، ص ، ص١٨٤ ، ١٩٣ وما بعدها .

(٢) العتق هو صك يفيد تحرير العبيد .

الإجارة : عقد الإيجار .

الحجة : عقد البيع .

(٣) مدرسة الغورى وكانت فى جامع الغورى وكانت تحوى إيوانين كبيرين وآخرين صغيرين ولها منارة عظيمة ، كما نشأ فى قبالتها خانقاه ومكتباً وسبيل ومدفن عليه قبة ، وأوقف عليها وقف كبير للإنفاق عليها .

● على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص١١٢ .

بالمصطبة وجلس معه الامراء العثمانيون والامير قايتباى الداودار ثم حضر القاضى المشار اليه وبين يديه المرسوم السلطانى فقرئ المرسوم بحضرة من ذكروا وهو يتضمن تسليم زمام جميع الاحكام الشرعية فى المذاهب الاربعة اليه وأن يكون القائم على جميع الامور الشرعية على اختلافها ثم كان منه بعد ذلك أن رتب جميع الامور التى تتعلق بالاحكام والقضاة فاقام قاضيا للحنفية من الروم[1] يحكم بالنيابة عنه وجعل مقره بالمدرسة الصالحية وأقام آخر للحكم على مذهب الامام الشافعى بالنيابة عنه وأقام لكل قاض من الروم نائبا من قضاة مصر فجعل القاضى شهاب الدين بن شيرين الحنفى نائبا عن القاضى صلاح الدين العثمانى وجعل القاضى شمس الدين محمد الحليبى الشافعى نائبا عن القاضى فتح اللّه العثمانى وجعل القاضى أبا الفتح الوفائى أحد نواب المالكية يحكم بين الناس على قاعدة مذهبه والمرجع فى جميع الاحكام الى قاضى العسكر المشار اليه ثم رسم بأن لايبقى مع كل نائب من هؤلاء الاربعة سوى شاهدين اثنين وأبطل سائر النواب والشهود ورسم للرسل والوكلاء الذين بالمدرسة الصالحية بأنهم اذا وقفوا امامه يأخذون بأيديهم العصى فاجتمع منهم بالمدرسة زهاء الستين ثم أقام أيضا شخصا من الروم للتحدث على التركات سماه (القسام) فضرب على كل تركة الخمس لبيت المال مع وجود الورثة من الذكور والاناث وشدد فى طلب ذلك ونودى فى القاهرة ومصر القديمة بذلك وبأن لايعقد أحد من الشهود قاطبة عقدا ولايكتب وصية ولا اجارة ولامبايعة ولا شيأ من الامور الشرعية الا فى المدرسة الصالحية وشدد فى السير على مقتضى الشريعة والعمل بموجب السنة وعامل الغنى والفقير والجليل والحقير على السواء فهابه الناس كافة وخافه الامراء والكبراء حتى اذا كان لاحد من العامة فى ذمة أحدهم شئ بادر الى ارضائه وتلطف فى معاملته خوفا من الشكوى . ورسم

(١) الديار الرومية : أى الدولة العثمانية ، والروم يقصد بهم الأتراك .

● عجائب الآثار ، المرجع السابق ، ص١١١ .

فنادوا فى القاهرة ومصر القديمة بأن لاتخرج امرأة الى الاسواق الا العجائز منهن ومن خالفت تضرب وتربط من شعرها بذنب اكديش ويطاف بها فى القاهرة ومصر فخاف النساء خوفا عظيما وانكمشن ولم يخرجن . واتفق انه صعد الى قلعة الجبل يوما فوجد بعض النسوة يتحدثن مع جماعة من العسكر الاصبهانية فى وسط السوق فعز عليه هذا الامر وكلم الامير خيربك فى ذلك فرسم الامير خيربك بأن لاتخرج امرأة من بيتها ولاتركب على حمار مكارى[1] وكل مكارى أركب امرأة شنق من يومه فخاف المكارية وبارت حرفتهم فباعوا حميرهم قاطبة واشتروا بدلها أكاديش وشدوها فصارت النساء يركبن عليها وتحتهن الطنافس والمكارى يقود لجام الاكديش كما يفعل المكارية بالقسطنطينية . ورسم القاضى أيضا بمسح أطيان الاقاليم القبيلية وترتيب سائر الرزق الاحباسية على قاعدة نظمها هو لذلك وقيد بهذا العمل القاضى فخر الدين ابن عوض فسارالى الصعيد ومعه جماعات المساحين والقياسين وطوائف الكتاب والمباشرين فجعل يدخل كل مايجده من أطيان الرزق الاحباسية فى المساحة العمومية وحبس غلاتها ومنع أصحابها من أخذ شئ منها فاضطربت أحوال أصحابها ووقفوا الى الامير خيربك فى طريقه يشكون له مما يفعله القاضى فخر الدين بن عوض وأبرز اليه بعضهم مكاتيبهم بتلك الرزق وبعضهم أبرز مربعاتهم فأخذها منهم وصرفهم خائبين ورسم بادخال رزقهم فى أطيان[2] الذخيرة قال بعض أهل التاريخ

(١) من كان يؤجر حماره للركوب ويجرى خلف الراكب .

(٢) أطيان الذخيرة : مساحات من الأراضى الزراعية كان يخصص ريعها للصرف على تسليح الجيش ، وقد ظلت حتى عهد محمد على ، وكان لها فى عصر المماليك «ديوان الذخيرة» يجمع المتحصل من مال وغلال فى شون خاصة وهو ديوان مورث عن الأيوبيين ، وكان مختصاً بتسليح المماليك السلطانية بالإضافة إلى الهدايا الحربية التى يقدمها السلطان لأمرائه ، ومدير هذا الديوان هو «استادار الذخيرة» بالإضافة إلى ناظر يعاونه عدد من المباشرين .

● أحمد أحمد الحتة : تاريخ الزراعة المصرية فى عهد محمد على باشا ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص٣٤ .

● مجدى عبد الرشيد بحر : القرية المصرية فى عصر سلاطين المماليك ، ١٢٥٠-١٥١٧ ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص٩٣ .

ولم يكن ليتعرض لهذه الرزق قط أحد من سلاطين مصر ولا أخرج منها شيأ عن أصحابها منذ أنشأها الامام الليث بن[1] سعد فانه هو الذى دوّن الاحباس وأنشأ لها فى أيامه ديوانا يختص بها دون ديوان الجيش واستمر ذلك باقيا بعد الامام الليث حتى قام القاضى فخر الدين بن عوض المذكور فنقضه وهو على جهات البر والاحسان .

قلت ومن هذا الحين زالت ولاية الاحكام الشرعية أيضا عن قضاة مصر الاربعة كزوال الخلافة والسلطنة عنها وآلت الى قضاة الروم يتناوبها الواحد بعد الواحد فيولى ويعزل من القضاة والنواب والشهود من يشاء وقد تبدلت هيئتها وزالت رسومها القديمة وخرجت من طور الى آخر وضاقت حدودها إلا على من أجازهم قاضى العسكر المشار اليه بتولى الاحكام وبطل من هذا الحين أيضا جلوس الشهود على الحوانيت للفصل فى الخصومات لاسيما ما كان منها بين المتزوّجين وزوجاتهم ومن كان منهم له حانوت لذلك أغلقه وزالت عن أولئك القضاة والشهود والنواب بهجتهم ورونق وظيفتهم وصارت المدرسة الصالحية دار الشريعة ومقر المتحدثين عليها دون بقية الجهات ولبث القاضى المشار اليه على هذا الحال من الشدة وعدم التهاون حتى بصغائر الامور مدة والناس فى قلق واضطراب عظيمين يضجون ويعجون الى اللّه تعالى بزوال منصبه واذهاب سلطته . فلما كان السادس والعشرون من شعبان خرج القاضى المشار اليه يريد الحج من طريق القلزم فركب وركب معه الى تربة العادل مودعا الامير خير بك وبقية الامراء من العثمانيين والشراكسة وكبار الجند وقدموا له بعض التقادم والهدايا النفيسة فسار الى مدينة بلبيس ثم الى السويس ومنها الى مدينة جدة ففرح

مطلب خروج قاضى القضاة للحج

---

(١) الإمام الليث بن سعد : هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى (٩٤-١٧٥هـ) ، ولد فى قلقشندة وعاش بالفسطاط ومات بها ، كان إمام المصريين فى عصره ، إذ برع فى الحديث والفقه ، كما اتصف بالجود وحبه للدراسة والعلم ، قال عنه الإمام الشافعى (الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به) ترك الكثير من المؤلفات .

● (أحمد بن محمد الحموى : فضائل سلاطين بنى عثمان : المرجع السابق ، ص٧٠) .

الناس بخروجه وكانت النساء أشد فرحا وأكبر سرورا فغنت بعض المغنيات منهن بهذه الكلمات

قوموا بنا نقحب[1] ونسكر قد خرج عنا قاضى العسكر

فكانت عند العامة من أطرب المغانى وأحسنها توقيعا وأكثرها استعادة واستحسانا وأعمها تداولا على ألسنة الكبار والصغار . ومرض الامير خيربك فى هذه الاثناء مرضا شديدا فانقطع عن الخروج ولازم الفراش أياما واشتد به المرض شدة بالغة فأعتق جميع جواريه وعبيده ومماليكه وأمر بأن يتصدق من ماله على العلماء والفقهاء وأولاد المكاتب وأصحاب المزارات والمنقطعين من ذوى البيوتات ففرقوا شيئا كثيراً من المال ومن القمح نحو عشرة آلاف إردب وأكثرت نساؤه وجواريه من التصدق والاحسان لعل اللّه تعالى يشفيه وأمر بأن يخرجوا مراسيم للقاضى فخر الدين بن عوض بالافراج عن الرزق الاحباسية لاصحابها ويردها اليهم وقد كان ماضبط منها وأدخل الى الديوان السلطانى ألف رزقة وثمانمائة رزقة فأفرج عنها لاصحابها وأعاد لهم أيضا مكاتيب الرزق الحبشية التى كان أخرجها عنهم يوسف بن الجاكية ثم رسم باطلاق المحابيس من الرجال والنساء وكانوا كثيرين فلم يغن عنه هذا شيأ واشتدت به علته فاستقدم اليه الامير سنان بك العثمانى ودفع اليه الخاتم الذى سلمه اليه السلطان سليم يوم ولاه عمالة الديار المصرية وأعلمه بأن فى خزائنه من المال ستمائة ألف دينار ذهبا عينا خلاف ما هو فى بيت المال . فلما كان يوم الاحد رابع عشر ذى القعدة سنة ثمان وعشرين[2] وتسعمائة مات خيربك المذكور

مطلب موت الأمير خير بك .

(١) أى نرتكب المساخر والفجور .

(٢) ١٥٢٢م وكان خير بك أول من تولى مصر من الباشاوات ، وكان من أمراء السلطان الغورى ، ولما جاء السلطان سليم وعده أن ملك ليعطيه مصر بغير خراج وحدث ذلك وظل والياً عليها خمسة أعوام وثلاثة أشهر من ٩٢٣-٩٢٨هـ ودفن بمدفنه بباب الوزير .

وتولى بعده مصطفى باشا الشهير بابلق بخمسة وأربعين يوماً وظل ما بين ١٣ذى الحجة ٩٢٨هـ - ٤شوال٩٢٩هـ/ ٢نوفمبر١٥٢٢- ١٦أغسطس ١٥٢٣ .

● أحمد شلبى : أوضح الإشارات ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ١٩٩٤ ، ص٥١ .

فاجتمع جميع الامراء وبينهم الامير سنان بك وتولوا غسله ودفنه فى موكب حافل للغاية واستقر الامير سنان بالقلعة يريد التصرف فى الامور حتى يأتيه مرسوم السلطان فعارضه فى ذلك خير الدين نائب القلعة ومنعه من التصرف حتى يأتى مرسوم السلطان فأبرز الامير سنان مرسوما سلطانيا يتضمن جواز تصرفه اذا مات خيربك حتى يأتى الفرمان بما يستقر عليه الرأى وقيل كل الخلاف على التصرف بين الامير سنان المذكور بين الامير خضر أحد كبار أمراء العثمانيين فلما أبرز الامير سنان المرسوم السلطانى لم يبق بينهما من موجب للخلاف واستقر الامير سنان بالقلعة وأخذ من يومه يتصرف فعرض مافى بيت المال من الاموال فوجد لخير بك بينها ستمائة ألف دينار ذهبا عينا وكثيرا من الذخائر والتحف والنفائس والاقمشة البعيدة النوال مما لايكاد يدخل تحت الحصر .

وكان الامير خير بك هذا من مماليك الاشرف قايتباى وهو شركسى الجنس أباظيا وكان اسم أبيه ملباى الشركسى ولهذا كان يدعى خيربك ملباى الى الاشرف قايتباى وكان له أخوان أحدهما اسمه خضر ولم يعش طويلا ومات والثانى اسمه جان بلاط وكان مقدم[1] ألف وله شهرة مات فى دولة الملك الناصر محمد بن قايتباى وكان موته بالطاعون وأقام خيربك المذكور بالطباق وصار فى عداد مماليك[2] الطباق السلطانية فأخرج له السلطان خيلا وقماشا

(١) مقدم ألف : وهى أعلى مراتب الأمراء فى عصر المماليك ، وهذه المرتبة خاصة بأرباب السيوف ، ويكون فى خدمة صاحبها مائة مملوك ، وهو فى نفس الوقت مقدم على ألف جندى من أجناد الحلقة فى وقت الحرب .

● (د . سعيد عاشور : العصر المماليكى ، مرجع سابق ، ص٣٩٣) .

(٢) مماليك الطباق : الطباق جمع طبقة ، وهى ثكنات المماليك بقلعة الجبل ، وكانت كل طبقة تضم المماليك المجلوبين من بلد واحد .

● د . سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص٤٣١ .

وأدخله فى عداد الجمدارية[١] ثم الخاصكية وصار داودار سكين ثم صار فى سنة احدى وتسعمائة أمير[٢] عشرة فى دولة الملك الناصر محمد بن الاشرف قايتباى وبعث به رسولا الى دار السلطنة العثمانية فى مهمة فى سنة ثلاث وتسعمائة ثم صار مقدم ألف فى دولة الاشرف جان بلاط وخرج مع من خرج من العساكر والاجناد الى الديار الشامية فلما وصلها حجر عليه فى دمشق فلما حضر العادل الى مصر أرسل بالافراج عنه واستقدمه فلما حضر أنعم عليه بتقدمة ألف وأقره على ما كان عليه فلما تولى السلطنة الملك الاشرف الغورى جعله حاجب[٣] الحجاب فلبث بها حتى تولى نيابة حلب فى سنة عشر وتسعمائة ومازال بها حتى زحف السلطان سليم على الديار الشامية يريد ملك مصر فجرى منه ماجرى من الانضمام بجيوشة الى جيوش السلطان سليم كما فعل الغزالى وكان من أمر تولّيته على نيابة مصر ماتقدم بيانه فاستمر على النيابة الى أن مات فى يوم الأحد رابع عشر ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة فكانت مدة نيابته

---

(١) الجمدارية : مفردها جمدار وهو الموظف الذى يقوم بإلباس السلطان أو الأمير ثيابه .

● (د . سعيد عاشور : العصر المماليكى : مرجع سابق ، ص٤٠٥)

الخاصكية : جماعة من حاشية السلطان يأتون فى ترتيب البروتوكول المملوكى بعد الأمراء المقدمين ، كان عددهم فى أول الأمر ٥٤ ثم زادوا على ٤٠٠ ، وقد تمتع الخاصكية بمكانة كبيرة ، فكانوا يدخلون على السلطان فى أوقات فراغه وفى خلواته بغير إذن ، وخصص لهم السلاطين الأرزاق الواسعة والعطايا الجزيلة ، وامتازوا بحسن المظهر والملبس والركوب .

● (المرجع نفسه ، ص ص٤١٠ ، ٤١١) .

(٢) أمير عشرة : مرتبة عسكرية حربية ، يكون فى خدمة صاحبها عشرة مماليك ، ويكون صغار الولاة من طبقة أمراء العشرات .

● (د . سعيد عاشور ، المرجع نفسه ، ص٣٩٣) .

(٣) الحاجب : هو الشخص الذى يشير السلطان ، ويتلقى الشكاوى والعرائض من الناس ويتولى عرضها على السلطان ، وحاجب الحجاب .

هو الرئيس لجملة من الحجاب عندما زاد عددهم ، وحاجب الحجاب ووظيفته (الحجوبيه الكبرى) وهى النظر فى مخاصمات الجند واختلافهم فى أمر الإقطاعات وغيرها .

● عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للجبرتى ، ت . د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ١ ، ص٣٠ ، وسعيد عاشور ، العصر المماليكى ، ص٤٠٧ .

خمس سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما بما فى ذلك مدة انقطاعه عن المحاكمات . وكان جبارا عنيدا سفاكاً للدماء كثير الاخذ بالشبهات طاغية قتل فى أيامه ما لايحصى من الخلائق ظلما فلما جاء الخبر بموته الى السلطان[1] سليمن وهو على حصار[2] رودس ولى الامير الوزير مصطفى باشا وكان صدر الوزراء العثمانيين وزوج أخت السلطان سليمان فحضر الى الاسكندرية وجاءت الاخبار بوصوله اليها فنادوا بذلك فى القاهرة ومصر القديمة .

مطلب ولاية الوزير مصطفى باشا .

فلما كان يوم الأربعاء ثالث عشرى ذى الحجة وصل الى ساحل بولاق فنزل للقائه الامير سنان وخير الدين نائب القلعة والامير خضر وجميع الامراء وكبار الجند وجميع الانكشارية والاصبهانية والكمالية والشراكسة وقابلوه ثم أركبوه على فرس وعليه الخلعة السلطانية وسارت أمامه العساكر والاجناد قاطبة والاعيان والمقدمون فدخل من باب البحر[3] وسار الى باب القنطرة فمر من سوق مرجوش[4] ثم من القاهرة وكان الامير سنان على يمينه والامير جانم الحمزاوى على يساره والامير خير الدين والامير خضر امامه فارتفعت له الاصوات من

---

(١) السلطان سليمن : هو السلطان سليمان خان تولى السلطة ، ٩٢٧/٩٧٤هـ = ١٥٢٠-١٥٦٦م) .

(٢) حصار رودس : تم فى سنة ١٥٢٢ لتحقيق أمن الممرات البحرية الموصلة بين موانى الشرق واسطنبول لتجارة التوابل ، وكانت هذه الفتوح هى القاعدة التى اعتمدت عليها الحكومة العثمانية فى بذل جهودها فى العشرينات والثلاثينات من القرن السادس عشر لجعل اسطنبول مركزا هاماً لتجارة التوابل تحت إشراف حكومى ثم تنقل إلى أوربا عبر نهر الدانوب .
● بول كولز : العثمانيون فى أوربا ، المرجع السابق ، ص١٠٦ .

(٣) باب البحر : أنشأه الحاكم بأمر الله أبى على منصور ، وهدم فى أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى ، وهو الآن شارع تابع لقسم الأزبكية .
● خطط المقريزى ، جـ٣ ، ص١٧٣ .
باب القنطرة : نسبة إلى القنطرة التى بناها جوهر القائد فوق الخليج الذى بظاهر القاهرة ليمشى عليها إلى المقسى .
● خطط المقريزى ، جـ٢ ، ص٨١ .

(٤) سوق مرجوش : وهو سوق أمير الجيوش ، أحد أسواق القاهرة العامرة فى العصر العثمانى ، وتنطقه العامة باسم سوق مرجوش ، وكان فى شارع أمير الجيوش .
● (كتاب الدرة المصانة ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص١٨) .

العامة بالدعاء وكان أبيض اللون عربى الوجه أشقر الشاربين حليق اللحية معتدل القامة عليه حشمة ووقار ومازال فى موكبه حتى مرّ من الرميلة ودخل من الميدان وصعد الى قلعة الجبل . قال بعض كتاب الاخبار تولى مصطفى باشا نيابة مصر وهو فى ركاب السلطان سليمن على حصار رودس يوم السبت خامس ذى الحجة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة ودخل مدينة الاسكندرية فى التاسع عشر من ذى الحجة فكانت مدة ولايته منذ تقررت برودس أربعة عشر يوما وكانت مدة حضوره من الاسكندرية الى ساحل بولاق أربعة أيام فدخل فى يوم الاربعاء ثالث عشرى ذى الحجة فتكون مدة ولايته من حين ولى برودس الى أن دخل الديار المصرية ثلاثة وعشرين يوما أ . هـ ولما استقر به المقام بالقلعة تحول عنها الامير سنان ونزل الى داره بدرب ابن البابا فكانت مدة نيابته بالقاهرة ثمانية وثلاثين يوما وفى ثانى يوم نزل مصطفى باشا الى الميدان واجتمع جميع الامراء والاكابر والاعيان والقضاة والعلماء وقرئ عليهم المرسوم السلطانى القاضى بولايته ثم أخذ يتصرف وجلس للناس عامة فترادفت عليه القصص بحوائج الناس وأخذ فى تدبير الامور فأبطل نظام القلعة القديم الذى كان على عهد من سبق من الملوك وأبطل البوابين والركابه والبوابية[1] والسوّاس والفراشين وغلمان السلطان قاطبة والمقرئين والمؤذنين وغير معالم ذلك النظام ورسومه وتصرف فى الحواصل[2] السلطانية والاشوان وبيت المال كما يحب ويختار وجمع اليه أعيان المباشرين وكلمهم فى أمر الخراج فشرعوا فى تحصيله ورتبوا له ولمماليكه خاصة . وحاشيته وبطانته ثمانية آلاف دينار ذهبا فى كل شهر

مطلب إبطال نظام قلعة الجبل القديم .

---

(١) البوابية والركابه والسؤاس : أى الخدم بأنواعهم من حراس الأبواب والحرس الراكبين الخيول والسؤاس أو السياس الذين يقومون على خدمة الخيول .

(٢) الحواصل السلطانية والأشوان .

الحواصل السلطانية هى اسم على ثمانية بيوت هى : الشرابخانة والطشت خانة والفراشين خانة والسلاح خانة والركاب خانة ، والحوائج خانة والمطبخ والطبلخانة ، وكان لكل منها موظفون يقومون بالعمل فيها والأشوان جمع شونة وهى مكان تخزين الغلال .

● د . سعيد عاشور : العصر المماليكى ، مرجع سابق ، ص٤١٠ .

يقومون بدفعها نقرة فكان اذا تأخر المباشرون فى شئ من هذا المال المقرر فى أجله ضيق عليهم وشدد وبالغ فى الوعيد فتنبث أعوانهم فى البلاد يضيقون على أهلها ويشددون فى الطلب ويأخذون كل ماوصلت اليه أيديهم من الماشية والغلال ويبيعونها بأبخس الاثمان قياما بأداء تلك النفقة فى آجالها فاشتد بسبب ذكر الكرب على الفلاحين وأصحاب الزروعات وعم الخطب ونزح الكثير من أهالى الاقاليم القبلية الى الاقاليم البحرية وأهالى الاقاليم البحرية الى القلبية وأهملت الارض فراراً من المطالب المتتابعة فبارت وقل الوارد من الغلال الى مصر وبولاق فارتفعت الاسعار وشكى الناس من هذا الحال وضجوا وابتهلوا الى اللّه فلم تطل مدة ولايته وجاء الخبر بعزله وولاية أحمد باشا ففرح الناس بذلك فرحا عظيما وانكف المباشرون عن التضييق على أهالى البلاد فى جباية الاموال فكانت ولايته سنة واحد وعشرة أشهر ويومان .

مطلب
ولاية أحمد باشا

ولما جاء الخبر بوصول أحمد باشا المذكور الى بولاق نزل الامراء وكبار الدولة والعلماء والقضاة وأصحاب[1] العكاكيز للقائه فركب فى أبهة وكبكبة عظيمة وصعد الى قلعة الجبل وأمر فقرئ فرمان التولية فى محفل حافل . قيل وكان السبب فى توليته هو أنه لما جلس السلطان سليمن على تخت السلطنة العثمانية صادف وزير أبيه وهو محمد باشا الصديقى فأقره على الصدارة وكان محمد باشا هذا كبير السن بطئ الحركة فى قيامه وقعوده وتصرفه فرأى عجزه عن

---

(١) أصحاب العكاكيز : وهم رجال الطرق الصوفية الذين كانوا يحملون العصى (العكاكيز) فى أيديهم ، وكانوا يجلسون فى مجالس القضاء الشرعى أو العلماء من رجال الأزهر .

● (عجائب الآثار : المرجع السابق ،جـ١ ، ص٣١٤) .

●(ميخائيل شاروبيم : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ، جـ٥ ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص٧٦) ، تحقيق عبد الوهاب بكر (دكتور) .

وقد تولى أحمد باشا المعروف بخاين من ١٨ شوال - ربيع أول ٩٣١هـ أغسطس ١٥٢٤ - ديسمبر ١٥٢٤م

● أوضح الإشارات ، المرجع السابق ، ص٥٣ .

القيام باعباء هذه الرئاسة فأنزل نفسه وولى مكانه ابراهيم باشا المعروف بأودة[١] باشا وكان أقدم من ابراهيم باشا فى الخدمة آخر هو أحمد باشا وكان يؤمل أن الصدارة لاتفوته الى غيره من بقية الامراء فزاحم ابراهيم باشا المذكور وجلس بقوة قربه من السلطان فشكاه ابراهيم باشا الى السلطان فدبر فى ازالته وولاه مصر ليستجلب خاطره فلما تولاها وأخذ يتصرف فى أمورها جعل ابراهيم باشا الصدر يتعقبه للعداوة السابقة ويرميه بما يوجب قتله ومازال بالسلطان حتى أبرز الامر لجماعة المرابطين[٢] بمصر أن يجتمعوا عنده ويقتلوه فى محله ثم يولوا أحدهم مكانه حتى يرد عليهم الامر بولاية خلافه وأرسلت الاحكام بذلك الى الامراء بمصر . قال بعض أصحاب الأخبار فوقع الامر فى يد أحمد باشا المذكور قبل أن يصل الى الامراء فخاف وجعل يضرب اخماسا فى أسداس حتى سولت له نفسه العصيان والخروج عن طاعة السلطان وان يقاتل بجيش يجمعه من مصر فأبدى الخروج وادعى السلطنة وضرب السكة باسمه على الدنانير والدراهم وتحصن بقلعة الجبل وقبض على الامير وهب جانم الحمزاوى والأمير محمود بك وسجنهما يريد قتلهما ولبث الحال هكذا أياما اختل فيها نظام القاهرة وظهرت الغوغاء وانقطعت السبل وأغلقت الحوانيب نهار وعاث أهل الفساد فسرقوا ونهبوا وفعلوا ما لاخير فيه .

---

(١) أودة باشا : مقطعان «أوده» بمعنى الغرفة و«باش» تعنى رئيس وكانت تنطق كذلك أوطه باشا ، وكانت تعطى للشخص المسئول عن ضبط أمور الانكشارية .

● عجائب الآثار ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ١ ، ص٥٥ .

(٢) الرباط : نعنى بهذا المصطلح العسكرى ، مرابطة جزء من القوات الإسلامية العربية فى الثغور والسواحل بصفة دائمة ، فقد تطلبت المحافظة على وضع مصر كجزء من دولة الإسلام توزيع قوات الجيش الإسلامى العربى بين الفسطاط والإسكندرية وسائر الثغور والسواحل المصرية مثل رشيد والبرلس ودمياط وغيرها .

وكانوا فى أول الأمر يجمعون بين حياة الجهاد والحياة الدينية ، ولما ضعف خطر المسيحية على الإسلام فى المشرق أخذ الرباط يفقد طابعه الحربى لتغلب عليه الصفة الدينية ولم يلبث انتشار التصوف أن خلق مبرراً لبقاء الربط فتحولت إلى دور للتصوف وأصبح الرباط يطلق على المكان الذى ينزل فيه المتصوفة ، كما كان ملجأ فى بعض الأحيان للفقراء .

●(عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية ، مرجع سابق ، جـ١ ، ص٣٣٢ . ، سعيدعاشور (دكتور) : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، ص ص١٦٨ ، ١٦٩) .

واتفق ان دخل أحمد باشا المذكور الحمام يوما للغسل فعلم الحمزاوى والامير محمود بك بذلك فكسر الابواب وخرجا ورفعا صنجقا[١] سلطانياً وناديا من أطاع اللّه ورسوله والسلطان فليقف تحت الصنجق فوقف تحت الصنجق خلق كثير وجم غفير فساروا وسار امامهم الحمزاوى ومحمود بك الى الحمام فكبسا[٢] الحمام على أحمد باشا وكان قد حلق نصف رأسه وأعجله على حلق النصف الثانى هجوم أصحاب الحمزاوى فهرب الى سطح الحمام وتسلق من مكان الى مكان فنهبوا جميع ماعنده من سلاح ومتاع واقتفوا آثره فأدركوه بمنية جناح بالغربية فقتلوه وذلك فى آخريات سنة ثلاثين وتسعمائة[٣] واحتزوا رأسه وجئ به فعلقوه على باب زويله ثم بعثوا به الى دار السلطنة فكانت مدة تصرفه بمصر سنة واحدة لاغير لم يأت فيها عملا يذكر فيشكر .

مطلب ولاية قسام جزل باشا وخلعه وولاية إبراهيم باشا .

وقد تولى بعده قسام جزل باشا فدخل القاهرة فى السنة المذكورة وصعد إلى قلعة الجبل فى موكب حافل وامامه أرباب الوظائف وطوائف الجند من المشاة والفرسان وعليه خلعة التشريف السلطانية فلم يكد يستقر به المنصب حتى جاء الامر بخلعه وولاية ابراهيم باشا فنزل من القلعة فى المحرم افتتاح

---

(١) صنجق : تكتب بالسين أو بالصاد ، كانت أول الأمر اسم للرمح ثم أطلقت على الراية أو العلم ، ثم على القسم الإدارى ، ثم أصبحت تطلق على حاكم القسم الإدارى الكبير ، على أن يكون بدرجة بك ، وأصبحت السنجقية رتبة عسكرية عالية يتقلدها كبار الأمراء المماليك .

وفى العصر العثمانى كانت ترد كلمة سنجق لأحد معنيين أولهما مجرد رتبة أو وظيفة ، فإذا كان يحمل الرتبة ولا يشغل منصباً فيطلق عليه صنجق بطال ، وكان الباشا العثمانى فى القاهرة يمنح رتبة الصنجقية فى حفل يقام فى القلعة لذلك يطلق عليه المصطبة والقفطان .

أما المعنى الثانى لاستخدام الصنجق فهو أحد أعضاء «هيئة صناجق مصر» أو «جماعت أمراء محافظين مصر المحروسة» ، وكان عددهم يصل إلى ٢٤ صنجقاً ، ويسمى كل منهم صنجق طبلخانه لأنه تدق له الطبول كل مطلع شمس وغروبها ، تقديراً لمكانته ، وقد احتفظ السلطان لنفسه بتعيين صناجق الثغور المهمه : الإسكندرية ودمياط والسويس .

● (عجائب الآثار للجبرتى ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، مرجع سابق ، جـ١ ، ص٤١ ، عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية ، مرجع سابق ، جـ١ ، ص١٣٦ .

(٢) كبس : بمعنى هاجم وفتش .

(٣) ٩٣٠هـ = ١٥٢٣م/١٥٢٤م .

سنة إحدى[1] وثلاثين وتسعمائة ولم يلبث إلا أياما حتى جاء إبراهيم باشا الوالى المذكور ودخل القاهرة فى كبكبة عظيمة وصعد إلى قلعة الجبل ثم نزل فى ثانى يوم وجلس على المصطبة بالميدان وبين يديه جميع الامراء والقضاة والعلماء والمباشرين وأصحاب الوظائف فتلى فرمان التولية ورفعت إليه القصص[2] فى ذلك اليوم فنظر فى مصالح الخلق وكان عاقلا ذكيا محبا للخير .

واهتم السلطان سليمن فى أيامه بترتيب أمور الديار المصرية فأجاز لطوائف المماليك الشراكسة الذين أقرهم والده على خدمة الدولة أن يتولوا رتبة الباشوية عند الحاجة وضم إليهم اثنى عشر أميرا فكان من يصح انتخابهم الى هذه المرتبة العظيمة الكيخيا[3] وقباطين[4] ثغور السويس ودمياط والاسكندرية وأمير الخزينة السلطانية والدفتردار وأمير الحج وصناجق الشرقية والغربية وجرجا والبحيرة . وكان لدار السلطنة اهتمام عظيم وعناية كبرى بالثغور الثلاثة المذكورة لانها أبواب البلاد فكان الجند المرابطون فيها يقدمون من دار السلطنة مع القباطين فيقيمون سنة ثم يستبدلون بآخرين وهكذا فى كل سنة فكان مرابطو الثغور المذكورون غير محسوبين فى عداد العسكر المصرى وكأنهم أجانب عنه .

---

(١) ٩٣١هـ = ١٥٢٤م/١٥٢٥م .

ورد فى أوضح الإشارات ، ص٥٣ باسم جوزلجه قاسم باشا ، تولى من غرة جمادى آخر ٩٣١هـ/ ٢٦مارس١٥٢٥ لمدة قصيرة وتولى بعده إبراهيم باشا الشهير بالاسكندرلى من ٩٣١هـ - غرة شعبان٩٣١هـ أى أوائل ١٥٢٥م - ٢٤مايو ١٥٢٥م .

(٢) القصص : الشكاوى .

(٣) الكيخيا ـ الكاخيا : كان يعتبر نائباً عاماً عن الصدر الأعظم فى المسائل الداخلية ، والحربية ، وتحت إمرته عدد من الموظفين كانوا بمثابة حلقة اتصال بين الصدر الأعظم والموظفين القولار ـ أى عبيد السلطان ـ سواء فى خدمة القصور أو فى الجيش ، وكان كاخيا بك الصدر الأعظم فى الأصل أحد الخدم المخصوصين للصدر الأعظم ، ولم تكن له اتصالات بالإدارة المركزية ، ولكن لما تزايدت أهمية الصدر الأعظم اكتسب كاخيا بك أهمية ونفوذاً ، وأصبح لا يشغل هذا المنصب إلا كبار رجالات الدولة وكان يطلق عليه عدة أسماء منها : وزير كاخيا بكى تمييزاً له عن ضابط انكشارى يحمل لقب كاخيا ، وكان يطلق عليه أيضاً أغا أفندمز ، أى أفندينا الأغا ، فكان يجمع بين لقبى رجال القلم ورجال السيف ، وكان للكاخيا بك سكرتيران : (كاخيا كاتبى) أى كاتب الكاخيا والآخر قره قولاق أى الأذن السوداء ومهمته كانت القيام على المراسلات بين الصدر الأعظم والكاخيا .

● (عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية ، مرجع سابق ، جـ١ ، ص٣٨٣) .

(٤) قباطين الثغور : رئيس قباطنة السفن الحربية ، وهى من أصل إيطالى وحرفت إلى قبطان .

● عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ص٨٧١ .

مطلب
ولاية سليمان باشا الخادم وفيما رسم به السلطان من مساحة أطيان سائر البلاد وجعلها ملكاً للسلطان

ولم تطل مدة إبراهيم باشا فقد جاء الامر بعزله فرحل عن مصر فى شعبان سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة[1]فكانت مدة تصرفه سبعة أشهر وتولى بعده سليمن باشا الخادم فدخل القاهرة فى تاسع شعبان من السنة وجعل يتصرف فى الامور فرسم فى أيامه السلطان سليمن بمساحة جميع قرى مصر وضبط أراضيها على يدى الاميركيوان وربط خراجها على من كان يستغلها فطاف المساحون البلاد ومسحوها وقسموها إلى أحواض سموها بالقراريط وأحكموا عملهم فزاد الخراج زيادة عظيمة وجباه الولاة فكان بعد ذلك شيأ كثيرا . ورسم بأنه هو صاحب جميع أرض مصر ومالكها يعطيها لمن يشاء ويمنعها ممن يشاء فكان يقطعها لطائفة من الاهالى يعرفون بالملتزمين فكانوا يتصرفون فى الارض تصرف الملاك ما بين هبة واسقاط وايقاف وغير ذلك وكان أصحاب الارض الذين هم ملاكها من أهل البلاد يحرثونها ويفلحونها لأولئك الملتزمين ولايأخذون من غلاتها الا بقدر الحاجة ولايتصرفون فيها مع توريثها لاعقابهم من بعدهم وكان لايحل لأحدهم ترك مابيده من الارض أو التخلى عن تعهدها بالحرث والزرع بل كان يجبر على ذلك ويضرب ويقوم بدفع ما عليها من الخراج الى أولئك الملتزمين فاذا مات الفلاح ولم يعقب نسلاً أعطيت ارضه للملتزم وهو يعهد بحراستها لمن يشاء وإذا مات الملتزم ولم يعقب وارثاً انحل التزامه وعاد إلى ملك السلطان وكان اذا تأخر الفلاح والملتزم فى دفع الخراج أخذت منهما الارض وسلمت لغيرهما ليقوم بما عليها فى آجاله وبعد أن أتمّ مساحة جميع الاطيان سموها من هذا الحين أطيانا سلطانية ورزقا وأوقافا واقطاعات وغير ذلك وكتب بها دفاتر محررة ووضعت بديوان مصر المحروسة وتسمى دفاتر ترابيع سنة ثلاث وثلاثين[2] وتسعمائة ولم تلبث أن أحرقت ثم جددت وقيل بل أهملت ولم تتجدد .

(١) ٩٣١هـ = ١٥٢٥م .
(٢) ٩٣٣هـ = ١٥٢٧م .

وكان سليمن باشا المذكور ميالا للخير يحب انشاء المبانى العظيمة والآثار الفاخرة فعمر جامعا بقلعة الجبل وآخر ببولاق القاهرة وبجواره وكايل وأسواق وربوع[1] وغير ذلك ثم ورد عليه مرسوم السلطان سليمان بالتوجه الى اليمن فكانت مدة تصرفه بديار مصر تسع سنين وأحد عشر شهرا وستة أيام فتولى بعده خسرو باشا ودخل فى القاهرة فى عشرى رمضان سنة احدى وأربعين وتسعمائة[2] وصعد الى قلعة الجبل فى الموكب المعتاد ولم يقع فى أيامه من الحوادث شئ يذكر وعمر صهريجا بين القصرين بالقاهرة وتصرف الى سادس جمادى الآخرة سنة ثلاث[3] وأربعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنة وثمانية أشهر وستة أيام وعزل ثم عاد سليمن باشا الخادم الى ولاية البلاد عند عوده من اليمن[4] فى حادى عشر رجب سنة ثلاث وأربعين فتصرف الى حادى عشر[5] المحرم سنة خمس وأربعين وكانت ولايته الثانية سنة واحدة وخمسة أشهر وواحدا وعشرين يوما . وكان حسن التدبير عظيم السياسة واسع الرأى مطاعا محبوبا ثم عزل وتولى

مطلب ولاية خسرو باشا وخلعه ورجوع سليمان باشا إلى الولاية ثانية .

---

(١) جمع ربع .

(٢) ٩٤١هـ = ١٥٣٤م تولى خسرو باشا من ٢١ شعبان ٩٤١هـ - ٦ جماد ثانى ٢٥/٩٤٣ فبراير١٥٣٥- ٢٠نوفمبر١٥٣٦ (أوضح الإشارات ص٥٦) .

(٣) ٩٤٣ = ١٥٣٦م .

(٤) أرسل العثمانيون حملة وفشلت إلى اليمن ، فأعدوا حملة أخرى سنة ٩٣٧هـ/ ١٥٣١/٣٠م حيث أرسل السلطان إلى سليمان باشا الخادم والى مصر آنذاك أمراً ببناء أسطول من ٨٠ سفينة حيث أرسل إليه لوازم بنائها كما أعد لها ٢٠ ألف جندى من مصر والشام ، وغادر الخادم السويس فى يونيو١٥٣٨ ، إلا أن سليمان الخادم لم يكن يليق بقيادة مثل هذه الحملة الكبيرة لأنه كان قد تجاوز الثمانين من العمر كما كان بديناً للغاية وأنه كان ضعيف الرأى وقد اختير لأنه كان من مماليك السلطان سليم المقربين إليه ، وإنه كان من خصيان حريمه ، وقد تولى حكم مصر فى يوليو١٥٢٥م بعد عزله من ولاية دمشق ثم غادرها إلى العراق ثم تولاها مرة أخرى فى ديسمبر/ يناير١٥٣٧م واستمر بها حتى خرج على رأس حملة اليمن١٥٣٨م ووصلت اليمن فى ٣ أغسطس١٥٣٨ والتمس أسلوب الغدر والقتل بين زعماء اليمن ، وقد قاتل هناك قتالاً مميتاً وأخضع معظم مدن اليمن وعاد بعد ذلك فى نفس العام إلى مصر بعد أن أدى فريضة الحج وأرسل رؤوس القتلى من اليمنيين والبرتغاليين إلى استانبول .

● (د . سيد مصطفى سالم : الفتح العثمانى الأول لليمن ، القاهرة١٩٧٤ ، ص ص١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٦- ١٥٢) .

(٥) ١١ محرم ٩٤٥هـ = ٩ يونيو ١٥٣٨م .

مطلب
ولاية داود باشا

بعده داود باشا فدخل القاهرة فى سابع المحرم سنة خمس وأربعين[١] وتسعمائة وجلس للناس على المصطبة بالميدان فرفعت اليه القصص فنظر فى مصالح الخلق وجعل يتصرف مع الكياسة والعدل وكان كريما مهيبا محبا للعلوم والعلماء كلفا بالمطالعة واقتناء كتب العرب وقد جمع منها شيأ كثيرا واستنسخ كل ماظفر به منها وسعدت فى ولايته البلاد واطمأنت الرعية وساد الأمن وسلكت السبل وبنى فى ولايته مدرسة عظيمة بسويقة[٢] صفية اللالة بالقاهرة ووقف لها أوقافا وهى باقية الى الآن وتصرف إلى ثالث عشر ربيع[٣] الاول سنة خمس وخمسين وتسعمائة فكانت مدة ولايته احدى عشرة سنة وشهرا واحدا وعشرين يوماً وتوفى بالقاهرة ودفن بالقرافة وكانت أيامه كلها بركة واسعادا وتولى بعده مصطفى باشا صفصفان فوصل القاهرة فى الخامس من ربيع الاول سنة ست وخمسين وتسعمائة[٤] وصعد الى قلعة الجبل فى الموكب المعتاد ولم يقع فى أيامه شئ يذكر فتصرف الى شهر رجب من السنة المذكورة وعزل فكانت ولايته أربعة شهور ونصف شهر وتولى بعده على باشا فى خامس شعبان سنة ست وخمسين وتسعمائة وتصرف الى غاية المحرم سنة احدى وستين وتسعمائة[٥]

مطلب
ولاية مصطفى باشا صفصان وخلعه وولاية على باشا .

---

(١) ٧ محرم ٩٤٥هـ = ٥ يونيو ١٥٣٨م وكان سليمان باشا تولى قبله الولاية الثانية من رجب ٩٤٣هـ - محرم٩٤٥/ ١٥٣٦-١٥٣٨م .
● أوضح الإشارات ، ص٥٨ .

(٢) سويقة صفية اللالا : كثرت الأسواق فى عصر المماليك نتيجة لرواج التجارة ، وقد حملت أسماء كثيرة منها اسم السلعة أو اسم التاجر مثل سويقة معتوقة وسويقة ابن العجمية وهذه السويقة تبدأ من شارع الحنفى بجوار درب الهياتم وينتهى بشارع الدرب الجديد ، واللالا أصلاً كلمة فارسية تعنى المعلم الأول .
● على مبارك : المرجع السابق ، جـ٣ ، ص٣٤١ .
● قاسم عبده : عصر سلاطين المماليك ، ص٦٣ .

(٣) ١٣ ربيع أول ٩٥٥هـ = ٢٢ أبريل ١٥٤٨م وإن كان فى أوضح الإشارات ٩٥٦هـ .

(٤) ٥ ربيع أول ٩٥٦هـ = ٣ أبريل ١٥٤٩م .

(٥) غاية محرم ٩٦١هـ = ١٥٥٣م .
ورد فى أوضح الإشارات ، ص٥٩ أنه تولى بعد داود باشا على باشا الوزير من ١٥ شوال٩٥٦هـ - ٢٥ محرم٩٦١هـ/ ١نوفمبر ١٥٤٩م - ٣١ ديسمبر ١٥٥٣م .

وعزل فكانت مدته أربع سنين وخمسة أشهر وستة وعشرين يوما وكان على باشا هذا وقورا معززا محبوبا من الرعية شفوقا عليها بعيدا عن العسف والظلم ميالا الى انشاء العمائر العظيمة والآثار النافعة فشاد منها فى رشيد والقاهرة وفوه وحذا حذوه الامراء والكبراء ففعلّوا كذلك بمصر والقاهرة وغيرهما من المدن . ولما انصرف عن ولاية مصر عاد الى دار السلطنة فجعل يتقلب فى الوظائف العالية والمناصب الرفيعة حتى بلغ مسند(١) الصدارة فدبر الامور وسار سيرة حسنة للغاية فأحبه الناس ومالت اليه القلوب وتولى بعده على مصر محمد باشا المعروف بدوفتركين(٢)زاده ودخل القاهرة فى أوائل صفر سنة احدى وستين وتسعمائة فلما جاء الخبر بوصوله الى بولاق نزل الامراء والعلماء والقضاة للقائه فصعد الى قلعة الجبل فى الموكب المعتاد ثم تحجب عن الناس وزاد فى التحجب وكان فظاً غليظاً جباراً عنيدا فأساء التصرف وعبث بالامور وأكثر من المغارم ومصادرة الناس فى أموالهم فكثرت الوشاة على أبوابه وأخذ بالشبهات فكرهه الناس كافة

مطلب ولاية محمد باشا المعروف بدوفتركين زاده

---

١) «الصدر الأعظم» لقب عثمانى يعنى لقب رئيس الوزراء الآن ، وفى أول عهد الدول العثمانية كان صاحب هذا المنصب يسمى Pervane أو بيرفانجى ، وفى عهد السلطان محمد الفاتح ١٤٥١-١٤٨١ - سمى رئيس الوزراء فى القانون الأساسى للدولة (قانوننامة) (وكيلى مطلق) ،أبطل استخدام لقب البيرفان ، ثم تعد الاسم إلى (أولو وزير Vlu Vazir) أو (وزيرى أعظم Veziri A'zam) ثم أصبح الإسم بعد ذلك ـ الصدر الأعظم .

وكان يتحلى الصدر الأعظم بخمسة أطواخ (مفردها طوخ أو طوغ)تمييزاً له عن الوزراء الذين كان لهم ثلاثة أطواخ فقط ـ والطوخ هو ذيل البقر الوحشى المسمى ياك Yak- وكانت الأطواخ تعلق فى بيرق صاحب المنصب للدلالة على أهميته .

وكانت منزلته تلى السلطان ، كما كان يحمل خاتمه رمزاً لقوته ، ولا يظهر للجماهير إلا وسط حاشية كبيرة ، وكان يعاونه أربعة أو ستة وزراء .

- فضائل سلاطين بنى عثمان ، المرجع السابق ، ص٥٤ .
- عبد العزيز الشناوى (دكتور) الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، الجزء الأول ، ص ص٣٥٧-٣٧٠ .
- دانيال كريسيليوس : جذور مصر الحديثة ، مرجع سابق ، ص٧٧ .

(٢) ورد فى أوضح الإشارات ، ص(٦٠) أن محمد باشا الشهير بدوقة لى تولى بعد على باشا الوزير وذلك فى الفترة من غرة صفر ٩٦١هـ لمدة سنتين وتسعة عشر يوماً وعزل فى ١١ ربيع آخر ٩٦٣هـ (٦ يناير١٥٥٤- ٢٣ فبراير ١٥٥٦م) .

واتصف باللهو واللعب وحب الأغانى والرقص فعزله السلطان .

مطلب
ولاية اسكندر
باشا .

وأبغضه الامراء وأعرضوا عنه ثم خلع فكانت مدة تصرفه سنة واحدة وشهرين وتسعة عشر يوما وتولى بعده اسكندر باشا فدخل القاهرة فى جمادى[1] الاولى سنة ثلاث وستين وتسعمائة فتصرف الى غاية رجب سنة ست وستين فكانت ولايته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثمانية أيام وكان شهما حازما حسن التدبير والسياسة وقورا مهيبا عمر فى ولايته المدرسة التى بباب الخلق المطلة على الخليج الناصرى وهى من أفخر المبانى وأتقنها وعمر تكية تجاهها وسبيلا بجوار المدرسة فعمل له بعض الشعراء تاريخا نصه رحم اللّه من دنا وشرب سنة ٩٦٦ .

مطلب
ولاية على باشا
الخادم وخلعه
وولاية شاهين
باشا

ووقف على ذلك أوقافا جليلة ولما خلع تولى بعده على باشا الخادم فدخل القاهرة فى سابع عشر شعبان سنة ست وستين وتسعمائة فتصرف الى سادس عشر صفر سنة ثمان[2] وستين فكانت مدة تصرفه سنتين وستة أشهر ولم يقع فى أيامه من الحوادث شئ يذكر . وتولى بعده شاهين باشا فدخل القاهرة فى ثانى ربيع الأوّل سنة ثمان وستين وأخذ يتصرف فى الامور فكان رجلا جليل القدر حسن السياسة والتدبير ومازال حتى عزل فى غاية جمادى الآخرة سنة احدى وسبعين وتسعمائة فكانت مدة ولايته ثلاث سنين وثلاثة أشهر . وتولى بعده على باشا الصوفى[3] فدخل القاهرة فى أول رجب سنة احدى وسبعين وتسعمائة ولاقاه الامراء والعلماء والقضاة وأصحاب الوظائف وصعدوا به الى قلعة الجبل فلم يجلس للناس كعادة الامراء والولاة وتحجب ثم لم يلبث أن تجبر وظلم وكان قبل حضوره الى مصر واليا على بغداد وكان له فيها أحوال غريبة وأحكام جائرة فأبغضه الناس وشكوا منه وضجوا وعجوا فعزل عنها وأتى به الى مصر وكثر عسفه فكثر الفساد فى البلاد وارتفع الامن وعاث اللصوص فنهبوا وسلبوا بغير ممانع وأحاط قطاع الطرق بضواحى مصر والقاهرة فانكمش الناس

مطلب
ولاية على باشا
الصوفى

---

(١) جمادى الأولى ٩٦٣هـ = مارس ١٥٥٥م .

(٢) ٩٦٨هـ = ١٥٦٠م .

(٣) ٩٧١هـ = ١٦ فبراير ١٥٦٤ ورد فى أوضح الإشارات ، ص٦٢ أنه كان معروفاً باسم كيلون .

وانكفوا عن الخروج خارج السور وضجوا وشكوا الى على باشا المذكور فلم يلتفت لشكواهم وكأنه كان يقاسم أهل الفساد فيما يسرقونه فبلغت الجراء بالغوغاء والحرافيش مبلغها وقامت طائفة من الفداوية فأوقدوا النار فى المدينة طمعا فى النهب فسرى الحريق الى الجامع الابيض واشتدت النيران وعلا اللهيب وكثر النهب والسلب وخرجت النساء والاطفال والشيوخ من الديار هائمين على وجوههم فرارا من فعال الفداوية وما زالت النار تعمل فى جميع ماوصلت اليه حتى كادت تدمر جميع المساكن والوكائل وغيرها وكلم الامراء على باشا المذكور فى أمر اللصوص وفيما آلت اليه حالة المدينة من الخراب فلم يلتفت لقولهم فرأوا أن يقيموا سورا من قنطرة الحاجب[١] الى الجامع الابيض ليمنعوا البلد من تطاول أيدى اللصوص اليها فأقاموه ووكلوا به من يحرسه فاطمأنت القلوب وسكنت الخواطر قليلا ومازال على باشا المذكور يتصرف بالجور والظلم حتى خلع وتولى بعده محمد على[٢] باشا المعروف بالمقتول فقدم من دار السلطنة فى كبكبة عظيمة فكان كلما مرّ ببلد من الاسكندرية الى القاهرة قدمت له التحف والهدايا ومدت له الموائد وبالغ الناس فى تعظيمه واجلاله فرحا بخلاصهم من ظلم الصوفى وجوره . فلما دخل القاهرة لاقاه جميع الامراء والعلماء والقضاة والمباشرين وأصحاب الوظائف العالية والامير محمد بن عمر

مطلب فى سبب إقامة السور من قنطرة الحاجب إلى الجامع الأبيض .

مطلب ولاية محمد على باشا المعروف بالمقتول .

(١) قنطرة الحاجب : كانت تقع على الخليج الناصرى ، يتوصل إليها من أرض الطبالة ، أنشأها الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب سنة٧٢٦هـ/ ٨ديسمبر١٣٢٥م - ٢٦ نوفمبر ١٣٢٦م ، ويصب الخليج الناصرى فى الخليج الكبير تحت هذه القنطرة .
● الجبرتى ، جـ٣ ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن (دكتور) ، مرجع سابق ، ص٥٥ ، حاشية (٥) .

(٢) ورد فى أوضح الإشارات ص٦٣ باسم محمود باشا المقتول ، قدم إلى مصر غرة شوال ٩٧٣ وقتل فى ٢٠ جمادى آخر ٩٧٤هـ/ ١٠مايو ١٥٦٥ - ٢يناير ١٥٦٧م .
وكان محباً للمال ، ظالماً مستبداً وقتل يوم الأربعاء ٢٠ جمادى آخر وهو فى موكب عظيم لقطع جسر أبى المنجا (الذى أنشأه الظاهر بيبرس على بحر أبى المنجا سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦/١٢٦٧م غرب ميت نما مركز قليوب) وعند منطقة قصر البدوية فى الغيط بطريق بولاق أطلق عليه النار وأصيب فى كتفه الأيسر ومات ودفن فى جامعه بالرميله الذى كان أنشأه قبل موته بسنة ومعروف بجامع المحمودية على اسمه بجوار زاوية الشيخ حسن الرومى .

متولى الاقاليم القبلية يومئذ وقدم له عدة هدايا نفيسة للغاية وخمسين ألف دينار[1] نقرة فأجله محمد على باشا المذكور وأدناه من مجلسه وقد طمع فيه فلما استأذنه بالانصراف وخرج من مجلسه أمر فقبض عليه جماعة من أعوان الباشا وقتلوه خنقا فاندهش الناس من ذلك جدا وأخذتهم الطيرة وسأل عن قاضى القضاة يومئذ الشيخ يوسف العبادى فقيل له إنه لم يحضر فرسم باحضاره فاحضروه فلما مثل بين يديه أمر بخنقه وهو يستغيث وليس من يغيثه ثم تحجب عن الناس أياما ثم ظهر وبث العيون والجواسيس بين الامراء وأرباب الدولة فزاد عسفه وأخذه للناس بالشبهات وأكثر من القتل واراقة الدماء وبالغ فى اذلال الرعية والتنكيل بالامراء وكان لايسير فى المدينة الاومعه الشوباصى وهو كبير الجلادين فاذا مر بأحد وأراد قتله أشار بيده الى الشوباصى المذكور فينزع حالا رأسه عن جسده ويهدر دمه على الفور فانكمش الناس وزاد خوفهم وضجوا الى اللّه وابتهلوا بالدعاء وزاد سخطهم عليه وتواردت قصص الامراء بمصر على دار السلطنة مستغيثين من عسف محمد على باشا المذكور وظلمه للرعية فلم يلتفت السلطان اليهم لاشتغاله يومئذ بفتح جزيرة مالطا التى كانت الى هذا الحين مقر رهبنة القديس يوحنا الاورشليمى وإعداد سفن الحرب ومراكب النقل اللازمة لذلك لأنه لما اتسعت أملاك السلطنة العثمانية وبسطت يدها على الكثير من سواحل البحر الابيض المتوسط وكانت جزيرة مالطا واقعة بين اقليم تونس وجنوبى ايطاليا وكان لمن يملكها اليد الطولى على البحر المذكور عمد السلطان سليمن الى فتحها وسير الى ذلك مائتى سفينة حربية فحاصروها حصارا تاما وضيقوا عليها تضييقا شديدا وواصلوا الرمى عليها بالمكاحل وداموا على هذا الحال أربعة أشهر مات فى خلالها الامير طرغول أمير تلك العمارة

(١) دينار نقرة : الفضة النقرة هى سبيكة من الفضة والنحاس الأحمر بنسبة ثلثين من الفضة وثلث من النحاس الأحمر ، ومنها كانت تضرب الدنانير والدراهم النقرة .
● د . سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص٤٣٧ .

العظيمة وكانت الفرنجة تسميه دراجوت ومع كل ذلك لم ينالوا منها وجاء الشتاء وكثرت الزوابع وارتفعت أمواج البحر فارتفع عنها الحصار وعادت العمارة الى القسطنطينية فعاد الامراء بمصر الى الاستغاثة بالسلطان من شر محمد على باشا الوالى وأكثروا من رفع الظلامات وترادف القصص فلم ينالوا منه شيئاً لخروجه فى جيش عظيم فى سنة ثلاث وسبعين[1] وتسعمائة لصد هجمات النمسا عن بلاد المجر اذ كانت له السيادة عليها الى هذا الحين وبينما هو فى الطريق بلغه أن صاحب سكدوار إحدى مدائن بلاد المجر التى يقال لها أيضاً زيجت قد ظفر ببعض الجيوش العثمانية التى كانت تقاتل فى تلك الاصقاع فسار الى قتاله وحاصر المدينة المذكورة وشدد عليها حتى أخذ جميع معاقلها الامامية فاخلى عساكرها المدينة وتحصنوا بقلعتها فلم تفتر للسلطان همة فى قتالهم واشتد فى القتال وقد نهكه التعب فمرض وثقل عليه المرض فلما كان العشرون من صفر سنة أربع وسبعين[2] وتسعمائة اشتد عليه مرضه ومات فاخفى وزيره خبر موته تحاشيا من وقوع الفشل فى العسكر وسير الى ولده الامير سليم بكوتاهية يعلمه بخبر موت أبيه ويحثه على الحضور الى القسطنطينية ليتولى منصب السلطنة ولم ينكف الوزير عن القتال مع من تحصنوا بقلعة سكدوار ووالى الهجوم عليها ومازال بها حتى احتلتها العساكر العثمانية عنوة فهرب من كان بها من الاعداء فلم يستقر بها مقام العساكر العثمانية حتى انخسفت بهم أرض القلعة وسقط جميع بنائها عليهم جميعا فماتوا تحت الردم وذلك أن العدوّ كان قد دبر هذه المكيدة بان عمل عدّة الغام تحت بناء القلعة فلما دخلتها العساكر واستقروا بها أشعل العدوّ تلك الالغام فانخسفت أرض القلعة وتهدم جميع بنائها وهلك جميع من دخلها ولما تم النصر للعساكر السلطانية على هذه الكيفية طير الوزير خبره الى الآفاق وسير الرسائل بخاتم السلطان كى لايعلم أحد بخبر موته

---

(١)٩٧٣هـ = ١٥٦٥م .
(٢) ٩٧٤هـ = ١٥٦٦م .

ثم عاد الى القسطنطينية مع من بقى من العساكر ومعهم جثة السلطان فوجد أن الامير سليم قد حضر وقبض على زمام الامور وأخذ يتصرف فى أعمال المملكة . قال أصحاب التاريخ ولم تكن ولاية العهد قد أتت اليه بالارشدية أو الاستحقاق بل بدسيسة أمه روكسلان احدى حظيات السلطان وقتل السلطان لولده الارشد الامير مصطفى وابنه الثانى الأمير بايزيد مع أولاد بايزيد الخمسة . وتحرير الخبر . أنه كان للسلطان سليمن حظية مجهولة النسب تسمى روكسلان وكان يحبها حبا شديدا فولدت له من الذكور الامير سليما وابنتين وكانت تتمنى أن يكون الملك لابنها بعد موته ولكنها كانت تخفى ذلك عن السلطان وتراقب من الفرص أنفعها فلما مات اياس باشا صدر الدولة سعت روكسلان المذكورة لدى السلطان فى تولية رستم باشا منصب الصدارة وكان بينها وبين رستم المذكور كلام فى أمر مبايعة ولدها بالملك بعد أبيه فولاه السلطان الصدارة وأدناه منه كثيرا وزوّجه بابنته من روكسلان هذه فزاد تعلق روكسلان به وعمد هو الى ارضائها بتمهيد الطريق لتولى ابنها الملك بعد أبيه فلما انتشبت الحرب بين الدولة ومملكة فارس سير السلطان الامير مصطفى أكبر أولاده على رأس جيش الى ساحة القتال وكان محبوبا عند طوائف الانكشارية لحسن سياسته ومعرفته بفنون الحرب والقتال وبسالته وإقدامه فأبلى فى الفرس بلاء حسنا وظهرت شجاعته فازداد حب طوائف الانكشارية له ومالت قلوبهم جميعا اليه فانتهز رستم باشا هذه الفرصة وكتب الى السلطان يخوّفه من ولده ويقول إنه عامل على الخروج وشق عصا الطاعة مع طوائف الانكشارية وعزل السلطان وتوليه هو منصب السلطنة كما فعل السلطان سليم الاول بأبيه بايزيد فأكبر السلطان هذا الخبر واستعظمه وكاد لايصدقه وأهمه للغاية فأنست منه روكسلان الحيرة والاضطراب فسألته عن سبب ذلك فأخبرها بخبر ولده مصطفى وما قاله رستم باشا فاظهرت غاية الخوف والانزعاج وأخذت تقبح له فعال الامير وترميه بالخيانة والغدر وتحذره من عاقبة التهاون بهذه المكيدة ومازالت به حتى التهب قلبه غيظا وقام

فى طائفة من عسكره يريد بلاد فارس وطير الخبر بانه انما قام ليتولى قيادة هذه الغزوة فلما اقترب من المعسكر خرج ولده مصطفى وجميع الامراء وكبار الجند للقائه وساروا فى ركابه حتى أنزلوه فى سرادقه وفرح ولده مصطفى بقدومه فرحا عظيما فلما كان الثانى عشر[١] من شوّال سنة ٩٦٠ هجرية استدعى السلطان ولده مصطفى الى سرادقه ليكلمه فى أمر القتال مع الفرس فدخل عليه وهو فى لباسه المعتاد فلم يكد يصل الى أبيه حتى قبض عليه جماعة من الخدم وقتلوه خنقا وهو يصيح ويستغيث بأبيه حتى مات وأبوه ينظر اليه ثم نقلوا جثته الى مدينة بروسة فدفنت فى تربة أجداده . قالوا ولم تكتف روكسلان بقتل الأمير مصطفى بل أرسلت أيضاً الى مدينة بروسة بعض خواصها فقتلوا ابنه الرضيع وشاع هذا الامر بين الناس فاستعظموه وانحرفت خواطرهم[٢] عن السلطان وبكى الأمير مصطفى أهل العلم والادب ورثاه الشعراء ولم يخشوا بأس أبيه فقال بعضهم فى ذلك .

يادهر ويحك ما أبقيت لى جلدا وأنت والد سوء تأكل الولدا

وثار طوائف الانكشارية على السلطان وطلبوا قتل رستم باشا المذكور وهاجوا وماجوا حتى كادت الفتنة تعم فرسم السلطان بخلعه وولى مكانه أحمد باشا تسكينا للفتنة واسترضاء لطوائف الانكشارية وكان للأمير مصطفى أخ اسمه الامير جهانكير فحزن على أخيه حزنا عظيما جدا وبكاه بكاء شديدا للغاية حتى مات كمداً عليه بعد قليل من الأيام وقيل بل قتل نفسه امام أبيه بعد أن وبخه وأنبه على قتل أخيه فلم يبق بعد موته من أولاد السلطان سوى الامير بايزيد والامير سليم بن روكسلان . وكان للأمير بايزيد مرب اسمه لاله مصطفى فولاه السلطان النظر على بيت الامير سليم بعد روكسلان أمه فأحبه الامير سليم وقربه منه وأعلمه بما كان يخشاه من مزاحمة بايزيد له فى الملك

---

(١) ١٢ شوال ٩٦٠هـ = ٢١ سبتمبر ١٥٥٣م .
(٢) انحرفت خواطرهم = حنقوا عليه .

بعد أبيه وطلب منه أن يعمل على هلاك بايزيد وأولاده ليخلو له الجوّ فهون عليه لاله مصطفى الامر ومناه بالفوز وجعل يستعمل الحيلة فكتب الى بايزيد يوما يقول ان أخاك سليما منهمك فى اللذات غافل عن واجب السلطنة وماهو مفروض على أبناء الملوك فضلا عما هو عليه من الطيش وعدم الاهلية لمنصب الخلافة ومع ذلك فان أباك أبى إلا مبايعته بولاية العهد من بعده فهل لك فى هذا الامر رغبة . وتعددت بينهما الرسائل وركن الامير بايزيد الى لاله مصطفى وأتمن جانبه فكاشفه بما فى نفسه ولم يخف عنه أمرا ثم كتب الامير بايزيد الى أخيه سليم يوما يعيب فعال أبيه ويرميه بالجفاء وغلظة الطبع ويسمه بالقسوة وفقدان الحنو الأبوى فأشار لاله مصطفى على الامير سليم باعطاء تلك المكاتبة لابيه فلما اطلع السلطان على مابها مما يمس كرامته غضب غضبا شديدا وزاده غضبه وشاية لاله مصطفى بالامير بايزيد فسير الى بايزيد يقول له اذا أتاك كتابى هذا تحول من فورك عن قونية[1] الى اماسية وكان واليا على قونية فخاف بايزيد من ذلك وظن أن أباه انما يضمر له الشر فامتنع من الذهاب الى اماسية وجيش له جيشا عظيما وتحصن فى قونيه فسير إليه أبوه جيشاً ومقدمه الوزير محمد باشا الملقب صقللى فالتقى الجيشان عند قونية واقتتلا قتالاعنيفا مدة ثلاثة أيام كانت فيها الحرب سجالا ثم انكشف القتال عن هزيمة بايزيد وفراره الى مدينة اماسية فلحقته عساكر أبيه فرحل عنها الى بلاد فارس ولجأ هو وأولاده الى طهماسب ملك فارس فقبله وأكرم مثواه ولكنه سيرالى السلطان سليمن خفية يعلمه بخبره فارسل السلطان سليمن رسلا فى طلبه فسلمه اليهم طهماسب مع أولاده ولم يرع ذمتهم فأمر بهم السلطان فقتلوا جميعا فى مدينة قزوين[2] احدى

---

(١) قونية : مدينة هامة فى آسيا الصغرى كانت عاصمة قرمان .

● (محمد أنيس (دكتور) : الدولة العثمانية والشرق العربى ، القاهرة ، د . ت . ص٣٦) .

(٢) قزوين : ضبطها ياقوت الحموى بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر الواو ، وهى فى وسط بلاد إيران إلى الشمال ، وتقع تحت بحر الخزر ، وقد سمى هذا البحر ببحر قزوين أيضاً ، ومنه أخذ الأوربيون هذا الاسم وسموا البحر Caspian .

● محمد فريد : مرجع سابق ، ص٢٤٨ حاشية «٢» .

مدائن فارس ونقلت جثتهم الى مدينة سيواس[١] وخنقوا[٢] طفلا كان لبايزيد بمدينة بورسة ودفنوه مع أبيه واخوته بسيواس . قال أصحاب التاريخ فكانت هذه الامور الشنعاء نقطة سوداء فى تاريخ حياة السلطان سليمن وكادت تذهب بجميع حسناتة وشهرة غزواته وكثرة فتوحاته ادراج الرياح مع أنه كان ملكا جليل القدر واسع الكلمة عارفا بفنون الحرب وأساليب السياسة محبا للخيرات وافر الصدقات . قال بعضهم ومن آثاره الحميدة السحابة[٣] الكبرى بطريق الحج ولها أوقاف كثيرة يشترى من ريعها فى كل عام جمال لحمل الفقراء والمنقطعين والعواجز والماء والزاد وغير ذلك ومقرر بها من المغاربة أربعون نفرا ومن المطاوعة أربعون نفرا (يريد بهم العسكر) ذهابا وايابا مات فكانت خلافته نحوا من تسع وأربعين سنة[٤] وله من العمر أربع وسبعون سنة قضاها كلها فى الغزو والفتوحات .

ومات فى أيامه مرقس بطرك[٥] المتأصلين بعد أن أقام أربع عشرة سنة وفى أيام سليمان المذكور اشتد الولاة على قبطة مصر وضيقوا عليهم وعملوا على

---

(١) سيواس : مدينة تقع شمال الأناضول .
● عبد العزيز الشناوى (دكتور) : الدولة العثمانية : دولة إسلامية مفترى عليها ، جـ١ ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص٢٥٩ ، حاشية(١) .
(٢) نلاحظ تكرار عملية قتل من يتولى العرش العثمانى لإخوته من بعده ، فلعلها أصبحت عادة لديهم لتأمين العرش للجالس عليه .
● محمد فريد : مرجع سابق ، ص٢٧٦ .
(٣) هى مظلة كبيرة تقى الحجيج وهج الشمس طوال الرحلة وتقدم لهم الطعام والشراب مجاناً .
● حسام محمد عبد المعطى ، العلاقات المصرية الحجازية فى القرن الثامن عشر ، ط١٩٩٩ (سلسلة تاريخ المصريين ١٤٩) ، ص٣٠٦ ، حاشية ١١٥ .
(٤) مدة خلافته من ١٥٢٠ إلى ١٥٦٦ .
(٥) يقصد الأقباط الأرثوذكس ، تبين أن البطاركة المشار إليهم هنا وهم :
● مرقس الرابع البطريرك ٨٤ ، ويوحنا العاشر البطريرك ٨٥ ، وغبريال الرابع البطريرك ٨٦ ، بمواصفاتهم الواردة هنا تولوا من ١٣٤٩م إلى ١٣٧٨ أى فى فترة سابقة على هذه الفترة ، وكذلك من أتوا بعدهم هنا إلى البطريرك غبريال الخامس(٨٨) المتوفى فى ١٤٢٨م كلهم فى فترة سابقة على فترة سليمان الذى تولى من ١٥٢٠-١٥٦٦ .
أما البطاركة الذين حضروا هذه الفترة فكانوا : يوحنا الثالث عشر (٩٤) من ١٤٨٤ - ١٥٢٤م ثم غبريال السابع(٩٥) من ١٥٢٦ إلى ١٥٧٠م .
● منسى يوحنا : تاريخ الكنيسة القبطية ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ص٥٢١-٥٢٢ ، جدول وتاريخ البطاركة .
● مرجع سابق : ص ص ٩٣ ، ٩٤ .

تبعيدهم عن أوطانهم فبعدوا منهم خلقا من العظماء والوجهاء وخيار الناس ثم صادروا من بقى وأفحشوا فى تخريب بيوتهم وتبديد أرزاقهم فكانت شدّة عظيمة للغاية وبعد موت مرقس المذكور أقيم يوحنا وهو خامس ثمانيهم وأصله من الشام فأقام ست سنين ومات فأقام المتأصلون بعده غبريال وهو سادس ثمانيهم وكان راهبا من دير[1] المحرق فأقام ثمان سنين ومات فأقيم بعده متاووس وهو سابع ثمانيهم وكان راهبا بدير المحرق فأقام ثلاثين سنة ومات وكان عالما تقيا عاقلا محبا للخير معينا للفقراء كثير التصدق ولم تكن أيامه أقل شدة من أيام سلفه فقد ذاقت فيها النصرانية من البلايا والمحن اشكالا وبموته أقام المتأصلون غبريال وهو ثامن ثمانيهم وكان راهبا بدير القلامون[2] ووقع فى أيامه من الحوادث ماسيذكر فى محله وبموت السلطان سليمن كما تقدم القول تولى السلطنة بعده ولده السلطان سليم الثانى .

---

(١) دير المحرق : يقع على سفح جبل قسقام بين الحوض الزراعى فى الصحراء الغربية عند مدينة القوصية (أسيوط) وتوصل إليه بلدة نزالى جنوب ، جنوبى محافظة أسيوط ، أما التسمية بالمحرق فنسبة إلى قرية المحرقة التى كانت لا تصلها المياه فكانت أرضها تحاريق ، وقد تأسس فى القرن الرابع الميلادى زمن الأنبا باخوميوس .

● القمس صموئيل تاوضرس السريانى : أديرة مصر العامرة ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ص٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٢) دير القلامون ويقع بالقرب من مغاغة محافظة المنيا فى جبل القلمون بالصحراء الغربية امتداد برية وادى النطرون ، والقلمون كلمة يونانية معناها الغاب أو البوص الذى تصنع منه أقلام الكتابة آنذاك ، وقد أطلقها القدماء على قرية بالواحات الداخلة كانت فى الماضى مليئة بالكروم ونبات البوص وكانت بها كثير من الكنائس .

● القمص صموئيل تاوضروس السريانى ؛ المرجع نفسه ، ص ص٢٢٣ ، ٢٢٤ .

# الفصل الثالث

## (فى سلطنة السلطان سليم الثانى[1])

ثم قام بالأمر بعد السلطان سليمان ولده السلطان سليم الثانى بويع بالملك تاسع ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وتسعمائة هجرية أى سنة ست وستين وخمسمائة وألف ميلادية وعمره ست وأربعون سنة ولم يمض الا ثلاثة أيام على بيعته حتى سار فى جيش عظيم الى نجدة العساكر الذين كانوا يقاتلون بناحية سكدوار[2] فلما وصل الى ناحية سردم لاقاه الوزير محمد باشا وكان هو القائد الجيوش تلك الغزوة فأعلمه بما يعانيه العسكر من البرد وسقوط الثلج وكان الوقت وقت شتاء وأعلمه بمنعة قلعة سكدوار ووجوب عودهم الى الاوطان حتى ينقضى الشتاء وأشار عليه أن يتربص ناحية سردم حتى يأتى اليه بجميع الجند والامراء المحاصرين للقلعة فلبث السلطان سليم أياما حتى اجتمع العسكر وساروا فى ركابه الى دار السلطنة . ووردت الاخبار الى مصر بسلطنة السلطان سليم فزينت المدينة ثلاثة أيام وأطلقت البشائر وفرح الناس بولايته وتقوت آمالهم بالخلاص من مظالم محمد على باشا واستعباده لهم فرفع الامراء وكبار الرعية والعلماء والمباشرون عندئذ ظلامتهم الى دار السلطنة واستغاثوا وضجوا فورد مرسوم السلطان الى محمد باشا المذكور باجراء العدل فى الرعية والرفق بالناس والنهى عن الجور وكان قد تزايد جوره وأخذه للناس بالشبهات

---

(١) تولى من ١٥٦٦ إلى ١٥٧٤م .

● محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، مرجع سابق ، ص٢٥٣ .

(٢) سكدوار : مدينة ببلاد المجر تسمى (زيجت) وذكرت فى تاريخ القرمانى باسم سكدوار فى جنوب المجر على الحدود اليوغوسلافية .

● محمد فريد : المرجع السابق ، ص٢٥٠ ، عبد العزيز الشناوى(د) : المرجع السابق ، جـ١ ، ص٦٢٠ ، حاشية(١) .

فافحش فى القتل والسلب وتتبع العورات فلم يرعو ولم تأخذه آخذة من الخوف فعادوا الى الشكوى وعظموا للسلطان البلوى ولبثوا ينتظرون ما سيكون بعد ذلك . واتفق فى هذه الغضون موت الامير ابراهيم بك الدفتردار الذى كان متوليا امارة الحج فاستولى محمد باشا المذكور على خزائنه ومماليكه وجواريه وكل ماله وجملة ذلك مائة ألف.دينار ذهبا فضمها الى خزانة السلطان التى يبعث بها فى كل عام من مصر وأرسل معها أيضا شيأ كثيرا من الهدايا والتحف التى لامثيل لها هدية منه للسلطان ورجاله الدولة استجلابا لخواطرهم فلم يكن بعد ذلك من يسمع للمصريين شكوى ودامت الحال على ذلك مدة . فلما كان يوم الاربعاء غاية جمادى الاولى سنة خمس[١] وسبعين وتسعمائة خرج محمد باشا المذكور فى كبكبة وحوله طائفة من أعوانه ومر من جهة الناصرية[٢] يريد مصر القديمة فلما صار على مقربة من حائط هناك أطلقت عليه بندقة[٣] من خلف الحائط فأصاب رصاصها صدره فسقط عن فرسه فهاج لذلك أعوانه وبحثوا عن القاتل فلم يعثروا له على أثر واتفق فى هذه الاثناء ان مر رجلان من الفلاحين بالقرب من موضع الحادثة فقبضوا عليهما واتهموهما بالفعل وقتلوهما ظلما وقيل انه قتل فى يوم الاحد تاسع عشرى شهرى[٤] جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنة واحدة وتسعة أشهر وعشرين يوما وفرح الناس بموته فرحا ماعليه من مزيد فقال فيه بعض الشعراء :

---

(١) توافق ٥ سبتمبر ١٥٦٧م .

(٢) شارع يمتد من آخر سويقة السباعيين وينتهى بشارع الكومى وسكة القصر العالى وطوله خمسمائة وثمانون متراً .

● الجبرتى ، مظهر التقديس ، مرجع سابق ، ص٣٨ ، حاشية ١٠ .

(٣) يقصد سلاح البندقية .

(٤) ٢٢ ديسمبر ١٥٦٧م .

موت محمود حياة فيه للعالم رحمه
قتله بالنار نور وهو فى التاريخ ظلمه

سنة ٩٧٥ هجرية

وقال بعضهم أيضا :

أتى محمود باشا يوم نحس فساقته منيته غصيبه
تجاه الناصرية خلف حيط بغيط جاءه منه مصيبه
ببندقة رماه كف رام فحررها فجاءته مصيبه

مطلب
ولاية سنان باشا

فلما وصل خير موته الى دار السلطنة أرسل للولاية بعده سنان[1] باشا فدخل القاهرة فى ثالث عشرى[2] شعبان سنة خمس وسبعين وتسعمائة وكان قبل مجيئه واليا على حلب فلم تستقر به الولاية على مصر حتى ورد عليه مرسوم السلطان بالقيام الى فتح اليمن واسترجاعها من الزيديين[3] وكانوا قد

(١) هو قائد الحملة العسكرية التى ذهبت إلى اليمن عام ١٥٦٩م لإعادة السيطرة العثمانية عليها ويعرف باسم الفتح العثمانى الثانى لليمن وذلك إبان حكم السلطان سليم الثانى ، وهو أيضاً كبير المهندسين المعماريين فى الفترة ١٥٦٨-١٥٧٤م . وقد تولى على مصر مرتين الأولى عام ٩٧٥هـ ، ٢٤ شعبان - ١٣ جمادى الثانية ٩٧٦هـ/٢٣ فبراير ١٥٦٧ - ٣ ديسمبر ١٥٦٨م ، والثانية ١٥٧١-١٥٧٣ ، وقد بنى سنان باشا مدرسة وجامع بثغر بولاق قرب شاطئ النيل وعرفت باسم «مدرسة السنانية» .
● عبد العزيز الشناوى ، المرجع نفسه ، جـ١ ، ص ص٦٢٠ ، ٦٢١ .
● الجبرتى ، المرجع السابق ، جـ١ ، ط٩٨ ، ص٢٧٦ ، حاشية ١ .

(٢) توافق ١٢ فبراير ١٥٦٧م .

(٣) بدأت الإمامة الزيدية فى اليمن منذ ٢٨٤هـ - ٨٩٨م على يد الإمام الهادى فى صعدة وهم ينتسبون للإمام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وهو من المذاهب الشيعية ولكن أقربها للسنة وقد انتشر هذا المذهب فى شمال اليمن ، وهو يمثلون القوة السياسية الرئيسية التى واجهت العثمانيين فى اليمن عام ١٥٣٨م ، وقد امتد نفوذهم حتى عدن جنوباً ، وكانت العلاقات الزيدية فى بدايتها سلمية ولكنها لم تخل من المناوشات ، وتحولت للصدام الحربى الصريح بعد وصول أويس باشا لليمن ، ولكن ضعف الجبهة الزيدية وتفككها ساعد على تحقيق هدف العثمانيين فى اليمن .
●سيد مصطفى سالم ، الفتح العثمانى الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥ ، ط٥ ، ١٩٩٩ ، ص ص٣٨ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ١٣١ ، ١٤٢ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٩٦ .

خرجوا ثانية وشقوا عصا الطاعة فسار من القاهرة فى الرابع من شوال سنة ست[1] وسبعين فكانت مدة تصرفه فى مصر نحوا من تسعة أشهر وسار معه من الامراء المصريين حمزة بك ومماى بك وغيرهما من الصناجق قيل وكان استصحابه لهؤلاء الصناجق لامر نسبوه اليه وهو قتل محمد باشا الوالى السابق . وأقام سنان باشا المذكور يقاتل اليمانيين سنتين وأربعة أشهر حتى يسر الله له الفتح واستنقاذ اليمن من أيدى الزيديين وطير الاخبار بذلك الى مصر والقسطنطينية ففرح السلطان بذلك فرحا عظيما وتزاحم على أبوابه الشعراء بقصائد التهانى وألف العلامة قطب الدين محمد بن أحمد المكى تاريخه لهذا الفتح سماه البرق اليمانى فى الفتح العثمانى قيل وهو غاية فى البلاغة وبه قصيدة لا بأس بايراد بعض أبيات منها هنا وهى :

لك الحمد يا مولاى فى السر والجهر ... على عزة الإسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح البلاد إذا سعت ... لها الهمم العليا إلى أشرف الذكر
جنود زهت من كوكبان خيامها ... وآخرها بالنيل من شاطىء المصر

(ومنها)

فهل يطمع الزيدى فى ملك تبع ... ويأخذها من آل عثمان بالمكر
أبى الله والإسلام والسيف والقنا ... وسر إمام المسلمين أبى بكر

وهى طويلة للغاية

فلما سار سنان باشا الى فتح اليمن أتى للولاية بعده اسكندر باشا الفقيه الشركسى فدخل القاهرة فى رابع[2] جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وجعل

(١) يوافق ١٩ مارس ١٥٦٨م .
(٢) يوافق ٢٥ نوفمبر ١٥٦٨م .

مطلب
ولاية اسكندر باشا
الفقيه الشركسى
بدلاً من سنان
باشا .

يتصرف الى غاية المحرم افتتاح[1] سنة تسع وسبعين فكانت مدته سنتين وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما وكان عادلا تقيا محبا للرعية أبطل بعض المغارم والمكوس ورفعها عن الفقراء والعواجز وأهل العلم وأمنت فى أيامه السبل واطمأنت قلوب الرعية فكانت أيامه كلها بركة ورخاء على البلاد وأهلها ولم يقع فيها شئ من الاحن والبلايا ومازال يتصرف فى الامور ويعدل فى الرعية حتى مات . وعاد سنان باشا من فتح اليمن بعد موت اسكندر باشا بأيام قلائل ولم يرجع معه أحد من الامراء والصناجق الذين كانوا قد ساروا فى ركابه الى هذه الغزوة وكأنهم قد ماتوا جميعا فلما دخل القاهرة جاءه الامر بولايته على مصر ثانية فتولاها من أول شهر صفر[2] سنة تسع وتسعين فزاد البلاد اطمئنانا وأمن السبل وأتى على اصلاح الامور من أبوابها فحفر خليج الاسكندرية وأحسن مجراه وأنشأ عدة مساجد وتكايا وربط وجوامع بديار مصر فى الثغور والبنادر ولم يكن الى ذلك الحين أحد من الولاة أمثاله فعل مافعله سنان باشا من البر والخيرات وكان كثير العناية بمصالح الرعية شفوقا عليهم يسأل العمال عن الصغيرة والكبيرة وقد بلغه أن الأمير منصور بن بغداد أمير ولاية المنوفية حدث متلاعب أهمل أمور الولاية وهو منهمك فى اللذات واتباع الشهوات وأن جماعة من السفهاء قد استولوا على عقله وهم المتصرفون فى ولايته وقد زاده اهمالاً وجراءة معرفته بالوزير الاعظم ميلوش باشا وتقربه منه وكان قد عهد له بأن لاقدرة لأحد على

(١) يوافق السبت ٢٦ مايو ١٥٧١م .

(٢) تولى قجاستان باشا فى ٢٤ شوال ٩٧٥هـ وهو أول نواب السلطان سليم بن السلطان سليمان وعزل فى ٩٧٦هـ أى من ٢٣ أبريل ١٥٦٧م – ١٥٦٨م ليتوجه إلى اليمن .

وتولى بعده اسكندر باشا جركس من ١٤ جماد آخر ٩٧٦هـ – ٢٠ محرم ٩٧٩/ ٤ ديسمبر ١٥٦٨ – ١٤ يونية ١٥٧١م . واتصف بالظلم وكرهه رجال الأزهر الشريف .

● أوضح الإشارات ، ص ص٦٤–٦٥ .

خلعه من ولاية المنوفية فسار[1] سنان باشا فى القعدة من السنة أى سنة تسع وسبعين وقبض على الامير منصور المذكور وخلعه وولى مكانه الامير علام بن بغداد واستمر الامير منصور مسجونا فى البرج بقلعة الجبل من سنة تسع وسبعين الى سنة ثمان وثمانين[2] وتسعمائة عند ماقدم حسن باشا وأطلق سبيله وأرجعه الى ولاية المنوفية فكانت مدة حبسه نحوا من عشر سنين .

مطلب ولاية حسين باشا

ومازال سنان باشا يتصرف فى الامور مع الرفق واللين بالرعية حتى جاءه أمر السلطان سليم بالحضور الى دار السلطنة فرحل عن مصر والقلوب راضية عنه فكانت مدته الثانية سنتين اثنتين وتولى بعده حسين باشا فدخل القاهرة فى سادس عشرى المحرم افتتاح[3] سنة إحدى وثمانين وتسعمائة وجعل يتصرف فى الامور ثم خلع فى سنة اثنتين وثمانين فكانت ولايته سنة واحدة وعشرة أشهر وخمسة عشر يوما وكان عاقلا رزينا شفوقا بالرعية ميالا الى الخير والاحسان ووقع فى أيامه غلاء عظيم وانقطع الوارد من المأكول والمشروب ثم وقع قحط عظيم جدا فأكل الناس بذر الكتان والحشيش اليابس واشتد الجوع بالناس اشتدادا عظيما وأعقبه الموات فجاءه حتى أن الرجل أو المرأة أو الخادم اذا خرج من بيته لقضاء حاجته أدركته المنية فى الطريق فيموت سريعا بلا ألم ولا وجع وبقى الحال على هذا الوصف أياما كثيرة فهاجر الناس الى ضواحى القاهرة ومصر ونزحوا الى بعض القرى والبلدان فرارا من الموت ولكنه لم يلبث ان عم جميع القرى والمدن وكثر واشتد شدة بالغة ثم أخذ يزول . وماتم زواله حتى كثرت

---

(١) قدم إلى مصر من تركيا بعد رجوعه من سفره إلى اليمن فى رابع عشر جمادى الآخرة سنة ٩٧٩ واستمر والياً بها إلى أن عزل فى جمادى الآخرة ٩٨٠ (١٥٧١-١٥٧٢) ومن آثاره جامعه فى بولاق .
وهذه هى ولايته الثانية لمصر وكانت الأولى١٥٦٧-١٥٦٨ باسم سنان قجا .
●أوضح الإشارات ، ص ص٦٤ ، ٦٥ (يرجع للهامش السابق بالنسبة للخلاف بين التواريخ بين ما ورد هنا وبين الصفحة السابقة) .

(٢) ١٥٨٠م .

(٣) ١٩مايو ١٥٧٣م .

اللصوص وظهر قطاع الطرق فعاثوا فى البلاد وسلبوا ونهبوا وأفسدوا وقطعوا الطرق على أبناء السبيل وكانوا لاينفكون ليلا ولانهارا وعجز حسين باشا المذكور عن ردعهم فتمادوا وكثر شرهم وعم الخوف جميع البلاد فكانت شدة عظيمة وازدادت الاحوال اضطرابا والامور خللاً وفسادا بتطاول أيدى الجند أيضا الى أموال الناس وعبثهم بمصالح الدولة وعدم وقوفهم عند طاعة كبارهم وايذائهم للسوقة والباعة وأصحاب البيوت حتى ضج الناس وترقبوا مرور حسين باشا فى الطريق وصاحوا فى وجهه وقبحوا عجزه وأقسموا انهم انما هم رافعون ظلامتهم الى السلطان وكان السلطان فى هذا الحين فى شاغل ليس عن مصر فقط بل عن جميع الايالات التابعة الى مملكة أبيه بما تولى عليه من الخمول وضعضعة النفوذ .

قال أصحاب التاريخ وذلك لانه لم يكن متصفا بما يؤهله للقيام بحفظ فتوحات أبيه ولاهو متصفا بالحزامة واصالة الرأى فارتبكت لذلك أحوال المملكة وانفشلت أمورها وطمع فيها الاعداء ومالت بعض الولايات إلى الخروج فشدد بعض الدول الكبرى فى طلب كثير من الامتيازات كدولة الفرنسيس فقد نالت فى أيامه حقوقا مهمة غير الذى نالته منها فى أيام أبيه وكان صدر(١) الدولة يومئذ صقللى محمد باشا وهو رجل موصوف بالتدبير عالى الهمة كبير السياسة خبير بفنون الحرب صادق الخدمة فبذل العناية فى بقاء مركز الدولة غير محقر ولامهان وأجهد النفس فى حفظ مابيدها من الثغور والعمالات وفتح مايمكن فتحه من المدائن والثغور فسير لفتح جزيرة قبرص عمارة عظيمة من سفن الحرب تحمل زهاء مائة ألف مقاتل ومقدمها لاله(٢) مصطفى باشا فحاصرت الجزيرة

---

(١) هو صوقللو باشا الصدر الأعظم وهو الذى تولى مفاوضات الصلح مع البندقية ـ حسب رغبة الأخيرة ـ بعد معركة ليبانت البحرية ، وكان متشدداً فيها برغم خسارة الدولة العثمانية لأسطولها ، وعمد لتكوين أسطول جديد أعاد التوازن الدولى البحرى فى حوض المتوسط .
● الشناوى ، نفس المرجع ، جـ١ ، ص ص٦٧٧-٦٧٩ .

(٢) مقدم : ويعنى بها قائد الأسطول البحرى العثمانى فى الجهة الحربية لحصار جزيرة قبرص ، وكانت للالة مصطفى باشا اليد الطولى فى عصيان وقتل بايزيد أخ السلطان سليم .
● الشناوى ، نفسه ، جـ١ ، حاشية١ ، ص٦٧٤ .
● محمد فريد : المرجع السابق ، ص٢٥٥ .

الى ان دخل الشتاء فانصرفت عنها ثم عادت لحصارها حتى تم فتحها وأقلعت بعد ذلك هذه العمارة الى جزيرة كريد لفتحها فلم تنل منها فأخذت من البندقية بعض المدن الواقعة على بحر الادرياتيك فاكبر البنادقة هذا الامر جدا وعمدوا الى محالفة دولة أسبانيا فلما تمت لهما المحالفة تعاهدا مع بابا رومة على قتال الترك ومنازلة عمارتهم ومحو آثارهم من البحار فأعدوا لذلك عمارة عظيمة من مائة وأربعين من سفن البنادقة وسبعين من سفن الاسبانيول واثنتى عشرة سفينة للبابا وتسع من سفن رهبنة القديس يوحنا الاورشليمى[١] بمالطه وكان مقدم هذه العمارة الامير دون جوان وهو ابن للامبراطور شرلكان[٢] من احدى عشيقاته وكانت سفن الترك ثلثمائة سفينة فلما التقى الفريقان عند ليبنة[٣] اقتتلوا قتالا عنيفا للغاية نحوا من ثلاث ساعات ثم انكشف الأمر عن هزيمة السفن التركية وانتصار سفن الاحزاب[٤] فاستولوا على مائة وثلاثين سفينة

---

(١) هم مجموعة من فرسان القديس يوحنا الذين طردوا من الشام مع فلول الصليبيين عام ١٢٩١م ، ونقلوا نشاطهم إلى جزيرة رودس والتى أصبحت تحت السيطرة العثمانية ومنها إلى جزيرة مالطة وكانت سفنهم تجوب البحر المتوسط وتستولى على السفن الإسلامية وتجارتها ويأسرون ركابها حتى الموت وذلك بتشجيع إمبراطور أسبانيا شارل الخامس الذى ولاهم حكم طرابلس عام ١٥٣٥م .
● الشناوى ، نفسه ، جـ٢ ، ص٩٢٩ .

(٢) وهو الإمبراطور شارل الخامس إمبراطور أسبانيا ولد سنة ١٥٠٠م ، وورث الملك عن والدته جان ابنة فرديناند وايزابلا اللذان أخرجا المسلمين من الأندلس ، كما انتخب أميراً لألمانيا بعد جده مكسيمليان .
● الشناوى ، نفسه ، جـ١ ، ص٦٧٤ .
● محمد فريد : الموجع السابق ، ص٢٠٤ .

(٣) يطلق اسم ليبانت على المضيق الذى يصل خليج باتراس بخليج كورنث وليبانتة ــ حالياً ــ ميناء بحرى يونانى ، وقد وقعت عندها المعركة البحرية لدول التحالف الإيطالى الأسبانى وانهزم عندها الأسطول العثمانى فى ٧ أكتوبر ١٥٧١م بعد ثلاث ساعات فقط من قيام المعركة ، وتعد من أفدح الكوارث فى تاريخ البحرية العثمانية .
● الشناوى ، المرجع السابق ، جـ١ ، ص٦٢٢ ، ص٦٧٧ .
● محمد فريد : المرجع السابق ، ص١٨٥ .

(٤) على عهد السلطان سليم الثانى ــ السكير والمنحرف خلقياً ــ تكون حلف صليبى أوربى ضد الدولة العثمانية وقوام هذا الحلف : أسبانيا ، جمهورية البندقية ، والبابويه فى روما ، تسكانيا ، جنوا ، وغيرها من كيانات وإمارات شبه الجزيرة الإيطالية ، وكذلك فرسان القديس يوحنا بجزيرة مالطا . ورغبتهم هى إزالة النفوذ العثمانى فى المتوسط .
وكان البابا بيوس الخامس هو المخطط والمحرك لهذا التحالف . وإثارة القلاقل فى الولايات العثمانية الأوربية .
● الشناوى ، نفسه ، جـ١ ، ص ص٦٢٢ ، ٦٨٣ .

عثمانية وأحرقوا واغرقوا أربعا وتسعين وغنموا زهاء ثلثمائة من المدافع وأسروا نحو ثلاثين ألفا من المقاتلين فكانت هذه الواقعة من اتعس الوقائع وأشدها خطرا على مقام الدولة العثمانية فى عرض البحار . وجاءت الاخبار الى دار السلطنة بما حل بالعمارة فهاج المسلمون وماجوا وهموا بقتل رسل البابا الذين هم رعاة المذهب الكاثوليكى فلم ينالوا منهم لاهتمام صقللى محمد باشا بمنع القلاقل وعدم تطاول أيدى الرعية الى الايذاء . قال بعض كتّاب الأخبار ولم تكن هذه الكسرة المشؤمة لتقعد همة صقللى محمد باشا عن لم شعث العمارة العثمانية واعادة ما كان لها من الرونق والبهجة حيث أنشألها عدة سفن وجهزها وبالغ فى تجهيزها واتقن نظامها وسيرها فى عرض البحار طلبا للثار فلم يقع بينها وبين سفن الاحزاب شئ من القتال لانفصام عرى الاتحاد ما بين البنادقة والاسبانيول وعقد معاهدة مابين العثمانيين والبنادقة[1] على شروط يرضاها الفريقان فلما كان فى خلال الحوادث الاخيرة مرض السلطان سليم[2] واشتدّ به مرضه أياما ثم مات فى سابع رمضان سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة هجرية أى سنة أربع وسبعين وخمسمائة وألف ميلادية فكانت سلطنته نحوا من تسع سنين فولى السلطنة بعده ولده السلطان مراد خان .

---

(١) بعد بناء الأسطول الجديد واستعادة التوازن الدولى فى حوض المتوسط استطاعت الدولة العثمانية عقد معاهدة ــ جائرة ــ مع جمهورية البندقية ، فقد نصت المعاهدة أن تدفع البندقية على مدى ثلاثة أعوام ثلاثمائة ألف بندقى وزيادة الجزية إلى ألف وخمسمائة بندقى وتتنازل عن جزيرة قبرص وسوبوتو . وتمت هذه المعاهدة فى ١٥٧٣م .

● الشناوى ، المرجع نفسه ، جـ١ ، ص٦٧٩ .

(٢) السلطان سليم الثانى (١٥٦٦ - ١٥٧٤م) تولى بعد وفاة والده السلطان سليمان المشرع وهو الإبن الثانى للسلطان من زوجته الروسية روكسلان التى قامت بسلسلة من المؤامرات لتولية إبنها سليم بدلاً من شقيقه ولى العهد الأمير مصطفى . والسلطان سليم من أسوأ السلاطين سواء فى حياته الخاصة حتى أن الجماهير أطلقت عليه «سليم السكير» ، أو ما جلبه على الدولة من كوارث ذات تأثير على مستقبل الدولة العثمانية .

● الشناوى ، نفسه ، جـ١ ، ص ص٦١٩ ، ٦٢٣ .

# (الفصل الرابع)

## (فى سلطنة السلطان مراد ابن السلطان سليم)

ثم قام بالأمر بعد السلطان سليم ولده السلطان مراد بويع له بالملك عاشر رمضان سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة هجرية أى سنة أربع وسبعين وخمسمائة وألف ميلادية وله من العمر يومئذ ثلاثون سنة وكان شهما مقداما عالى الكلمة واسع المعرفة خبيرا بالأمور محبا للفتح والغزوات فغزا عدة غزوات وسار بجيش ضخم لاخضاع المجر[1] وردها الى طاعة الدولة بعد أن كادت تخرج عنها فقاتلها وأذلها اذلالا كبيرا وأعادها الى ما كانت عليه وفتح عدّة مدائن وحصون ودوّخ كثيرا من البلدان فاتسعت كلمته وكبرت هيبته وعاهده كثير من الملوك وتقربوا اليه

مطلب ولاية مسيح باشا

وكان حسين باشا والى الديار المصرية قد عزل من منصب الولاية قبل أن يتولى السلطان مراد السلطنة بقليل فأقام بدله مسيح[2] باشا وكان من خزنة دار السلطان سليم فدخل القاهرة فى أوائل سنة اثنتين وثمانين وكان ذا مهابة وعفه يكره أهل الفساد واللصوص وقطاع الطرق وكانوا فى ولاية حسين باشا قد كثروا فى الأرض وعاثوا وأفسدوا فيها كما تقدم فعمل على قطع شأفتهم وصار يتجسس أخبارهم ومواطنهم ويبعث بالحكام فيقبضون عليهم ويأتون بهم عشرات عشرات فيقتل منهم ويشنع فى قتلهم فخافوا وانكفوا وارتجع أهل التهم وسكن الحال واستتب الامن واطمأنت قلوب الرعية واشتدت يقظة الحكام وهابوه وانكفت

---

(١) المجر أو هنغاريا : جمهورية فى أوربا بسهل الدانوب عاصمتها بودابست ، وكانت هنجاريا الوسطى إيالة ـ ولاية ـ تركية . وتقلب أمراء هنجاريا بين الولاء لتركيا وأسرة الهابسبرج ، ولكنها إتحدث مع النمسا .

● الموسوعة العربية الميسرة ، إشراف محمد شفيق غربال ، ط٦٥ ، ص١٩١٠ .

(٢) تولى أوائل عام ٩٨٢هـ - ١٥٧٤م إلى ٩٨٨هـ - ١٥٨٠م ويعتبر من الولاة السفاكين للدماء ، ويقال أنه قتل خلال مدة حكمه نحو عشرة آلاف نفس غالبيتهم من أهل الفساد الذى كثر أيام الوالى السابق ، ومن آثاره مسجده بباب القرافة [أحمد شلبى : أوضح الإشارات ، مرجع سابق ، ص٦٦] .

أيدى الولاة والكشاف جميعا عن التجرئ على مالايصلح عمله من أخذ الرشاوى والبراطيل وأخذ الاموال من أصحابها بالسوط والنبوت وبالغ مسيح باشا فى القتل والتمثيل لاقل سبب قيل فكان عدد من قتل فى أيامه زهاء عشرة آلاف وقد علق شناكل من الحديد بالرميلة[١]وبولاق والشون بمصر القديمة لقتل المفسدين وأصحاب الكبائر فكان لذلك وقع فى قلوب الرعية وخافه جميع الناس ومالت اليه القلوب وأحبته الرعية وتصرف فى الولاية التصرف العام الى ثانى عشرى جمادى الاولى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة[٢] ثم جاءه الامر بالانصراف عنها فقام الى القسطنطينية على الاثر فكانت مدة تصرفه خمس سنين وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما وكان قد بنى له مدرسة ومدفنا بالقرافة وأوقف عليها أوقافا عظيمة وكان يؤمل أن يدفن فى مصر . وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى أرضٍ تموت . فحزن الناس لعزله فلما عزل مسيح باشا تولى بعده حسن باشا الخادم فدخل القاهرة فى سادس عشرى جمادى الاولى[٣] من السنة وكان قبل ولايته هذه خازندار[٤]السلطان مراد فلم يستقر به المنصب حتى ظهرت عليه علامات الغلظة وجعل يتصرف مع العسف والكبرياء فكان ظلوما غشوما عتلا زنيما محبا للمال ومصادرة الناس ميالا للرشاوى والبراطيل فصادر كثيرا من أهل الوهاجة وذوى البيوتات فأصبحهم بعد الغنى والاثراء فقراء لايمتلكون شروى نقير واشتد بالرعية شدة بالغة وأخذهم بالشبهات فقتل وشرد

مطلب
ولاية حسن باشا الخادم

(١) ميدان مفتوح تحت الركن الشمالى الغربى من القلعة ويوجد به وكالة ضخمة للحبوب والغلال والدواب يتزود منها الحجيج بكل احتياجاتهم .

● حسام عبد المعطى ، العلاقات المصرية الحجازية فى القرن الثامن عشر ، سلسلة (تاريخ المصريين ، ١٤٩) ، ص٢٤٢ ، حاشية ٤٧ .

(٢) يوافق ٢٦ يونيو ١٥٨٠م .

(٣) يقصد من عام ٩٨٨هـ ، ويوافق ١٥٨٠م .

(٤) وتعنى أمين الخزانة العامة للدولة العثمانية .

● ليلى عبد اللطيف أحمد ، الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى ، ط٧٨ ، ص٧٨ .

وألزم اليهود فى أيامه بلبس الطراطير الحمر والزم النصارى بلبس القلنسوة السوداء وكان قليل الرأى ضعيف التدبير سفاكا للدماء ولكنه جبان صغير القلب متحجبا الاعلى بعض خواصه فابغضه الناس كافة وضجوا من فعاله ورفعوا القصص الى دار السلطنة واستغاثوا فجاءه الامر بالعزل فى ثالث عشر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين[١] وتسعمائة فكانت مدّة تصرفه سنتين واحدى عشر شهرا وثمانية عشر يوما كلها بلايا واحن وقد عمر ببولاق وكالة تجاه الترسخانة[٢] وصهريجا مقابلها يعلوه مكتب للايتام وكان قصده أن يزيل الترسخانة ويبنى مكانها جامعا فلم يتمكن من ذلك لعزله وتولى بعده الوزير ابراهيم باشا فدخل القاهرة فى رابع عشرى ربيع الآخر من[٣]السنة وسار من وسط المدينة فى موكب لم يعهد لاحد من قبله وفرح الناس به فرحا لايوصف قيل وكان معه مرسوم من السلطان بتحقيق ما ارتكب فعله حسن باشا والقبض عليه وتعويقه حتى يتم ذلك فأحس حسن باشا بذلك وسار من القاهرة خفية قبل وصول ابراهيم باشا اليها وطلع من باب المقابر ليلا فى نفر من أتباعه وبطانته فلما وصل الى دار السلطنة قبضوا عليه ثم أبعدوه عن خدمة الدولة وبالغوا فى اذلاله ومازال حتى صادفته العناية والعناية صدف فارتقى مسند الصدارة[٤] العظمى وعلت كلمته

مطلب
ولاية الوزير إبراهيم باشا

---

(١) توافق ١٥٨٣م .

(٢) مكان خاص على الشاطئ تبنى فيه السفن ــ حربية وغيرها ــ وتودع فيه جميع أدوات البناء والترميم والأحواض التى تتسع للأحجام المتعددة من سفن كبيرة وصغيرة بحرية أو نيلية ، ويخصص جزء من الترسانة لتعليم عسكر البحرية .

● ليلى عبد اللطيف أحمد ، مرجع سابق ، ص٤٤٢ ، «كشافات المصطلحات والوظائف فى مصر العثمانية» .

(٣) ويعنى عام ٩٩١هـ حيث تولى إبراهيم باشا ــ فاتح قلعة قنجة ــ حتى عام ١٥٨٥م .

● أوضح الإشارات ، ص٦٧ .

(٤) هو رئيس الوزراء والأمراء وصاحب الصلاحية المطلقة فى إدارة شؤون الدولة وهو صاحب المكان الثانى بعد السلطان مباشرة وهو مطلق السيطرة والصلاحية على فروع الإدارة وجميع شؤن الدولة وإدارة الولايات ، وكذلك هو رئيس الديوان السلطانى والمهيمن على شئون الجيش ويقود المعارك الحربية وقت الضرورة ، وفى هذه الحاله له حق حمل البيرق النبوى .

● الشناوى ، نفس المرجع ، جـ١ ، ص٣٦١ و ٣٦٩ .

واتسعت صولته ثم عزل وقتل شر قتلة وأما ابراهيم باشا فانه أخذ يتصرف فى الامور وأقام بجامع السلطان فرج(١)بن برقوق ديوانا لسماع القصص التى كانت ترفع من الناس على حسن باشا فلبث الديوان ينظر فى تلك القصص من العاشر من رجب من السنة الى غاية رمضان من السنة فأبان التفتيش عن شئ كثير من مظالم تكاد لاتحصر ولاتعد وان منها مائة ألف اردب وأربعمائة واثنان وخمسون اردب قمحاً بيعت من الشون وأخذ ثمنها حسن باشا المذكور وغير ذلك من الاختلاسات الاخرى قيل فلما رفع أمر هذا كله الى السلطان مراد وكان حسن باشا المذكور قد ارتقى منصب الصدارة العظمى أمر باعدامه خنقا وجاءت الاخبار بذلك الى مصر ففرح الناس بموته لما قاسوه فى أيامه من البلايا والاحن .

وسار ابراهيم باشا من القاهرة الى داخلية البلاد ليستطلع أحوال الاهالى ووصل الى بئر الزمرد(٢)فاحاط بها علما وظفر منها بالزمرد النفيس وسار الى دمياط والى المحلة الكبرى(٣)وكان بها كنيسة عظيمة للغاية وهى من أفخر العمائر القديمة وبها جماعة من قسوس المتأصلين أى أهل البلاد فلم يشأ أن تكون لهم واستعظمها عليهم فأمر بهدمها وبنى مكانها مدرسة وسماها الوزيرية فعدت له هذه نقطة سوداء فى تاريخ حياته ثم سار الى كثير من المدن والبنادر ثم رجع الى القاهرة وأنزل نفسه عن الولاية فى سنة اثنتين وتسعين فكانت ولايته سنة واحدة وتسعة عشر يوما وسافر الى دار السلطنة فى شهر شوّال من

---

(١) كان يعرف باسم المدرسة البرقوقية ، أنشأها الملك الظاهر برقوق عام ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م ، ثم عرف بجامع البرقوقية ولا يزال حتى الآن . عجائب الآثار ، ج٣ت ، د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص٥٤٢ .

(٢) ورد في «أوضح الإشارات» ، ص٦٧ ، ٦٨ أنه سافر إلى الصعيد ووصل إلى معدن الزمرد واستخرج منه كثيراً ولما رجع صعد إلى جبل الجيوشى وفتح كنزاً بمعرفة منجم ماهر ، وأراد دخول الكنز فرأى فى عين المنجم الغدر فخشى أن يغلق الكنز عليه فخرج مسرعاً وبيده دينارين فقط . . . . ثم اختفى المنجم .

(٣) مدينة مصرية قديمة ، اسمها الأصلى Dichonseya والقبطى Dakala وهى مدينة صناعية ، وقاعدة مركز المحلة الكبرى ، محافظة الغربية .

● رمزى ، محمد المرجع السابق ، ق٢ ، جـ٢ ، ص ص١٦-١٨ .

مطلب
ولاية سنان باشا
الدفتردار

السنة فتولى بعده سنان باشا الدفتردار ودخل القاهرة فى ثالث عشر شوال[١] من السنة وابراهيم باشا بها فلما استقر به المنصب طغى وتجبر وظلم الرعية وصادر الناس فى أموالهم وأراق الدماء لاقل الاسباب وأضعفها واشتد شدّة بالغة فضج الناس ورفعوا أمره الى دار السلطنة فاتاه الامر بالعزل وقد تصرف الى ثالث عشرى[٢] ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وتسعمائة فكانت مدّة تصرفه سنتين وستة أشهر وعشرة أيام ولبث بالقاهرة الى أن قدم أويس باشا واليا ونزل بناحية شبرا قريبا من بولاق فأرسل الى أويس باشا المذكور هدية عظيمة للغاية ومعها حصان أشهب مسرج بسرج مرصع وعدة تليق به وكان يؤمل أن أويس باشا حال طلوعه من المركب الى الوطاق[٣] المنصوب له يركب الحصان المذكور فعدل عنه وركب أكديشا أشهب[٤]كان أحضره معه ثم أن سنان باشا قدم ناحية شبرا وقابل أويس باشا عند غروب الشمس فشاهد علامات الغيظ على وجهه فهاله ذلك وداخله الخوف فلما رجع من عنده الى القاهرة اختفى[٥] ولم ير بعد ذلك الا فى الديار الرومية[٦] .

(١) تولى سنان باشا الدفتردار من ١٣ شوال ٩٩٣-١٤ ربيع آخر٩٩٤ أى من ٨ أكتوبر ١٥٨٥-٤ أبريل ١٥٨٦ [أوضح الإشارات ، مرجع سابق ، ص٦٨] .

(٢) توافق ٢٤ مارس ١٥٨٦م .

● التوفيقات الإلهامية ، المرجع السابق ، ص٤٩٨ .

(٣) وتعنى فى العربية الخيمة والمعسكر المكون من عدة خيام . كذلك تعنى الخيمة الكبيرة المزخرفة التى تعد للعظماء من الناس .

● أحمد السعيد سليمان ، تأصيل تاريخ ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ، ص١٩٨ .

(٤) معناها فرسا هجينا تسمى «السيسى» بين الحمار والحصان .

● عجائب الآثار ، نفس المراجع ، جـ٣ ، طـ٩٨ ، ص٤١١ ، حاشية ١ .

● أحمد سليمان السعيد ، المرجع السابق ، ص ص٢٣ ، ٢٤ .

(٥) بمعنى إختفى ولم يُر بعد ذلك .

(٦) يقصد بلاد الأتراك .

مطلب
ولاية أويس باشا

وتصرف أويس باشا فى أمور البلاد من ثالث عشرى جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وكان قبل ذلك قد ولى القضاء ثم صار دفتردار الروم ايلى ثم جاء الى ولاية مصر فكان جبارا عنيدا شديد البطش سفاكا للدماء كثير الاخذ بالشبهات ثم تطاولت يده أيضا الى العبث بأمور العساكر والاجناد والتصرف فى مرتباتهم وجماكيهم بما يناسب هواه فخرجوا عليه وأحاط جماعة منهم بديوانه ودخل عليه جماعة وأوسعوه ضربا ونهبوا داره فأخذوا جميع ما كان بها من مال ومتاع وقاموا على عثمان أغا اغاة الجاويشية وذبحوه ذبح الشاة وأحرقوا دار القاضى وقتلوا اثنين من قضاة مصر ثم عمدوا الى حوانيت القاهرة ومصر فنهبوا مافيها وعاثوا وأفسدوا وفعلوا مالا خير فيه وذلك فى شوّال من سنة ثمان(١) وتسعين فخاف الناس خوفا شديدا وانكمشوا فى البيوت وتحصنوا بها وقد تطاولت أيدى العامة والغوغاء الى النهب والسلب أيضا فكانت فتنة عظيمة للغاية لم تقدر الامراء ولاكبار الجند على تسكينها وبذل الباشا الجهد فى ملاطفة أصحاب الفتنة وكبار العصابة وبعث الى القضاة يعلمهم بأن لايخالفوا للثائرين أمرا عسى أن ينكفوا عن فعالهم فزاد تمردهم وطغيانهم وقبضوا على أولاد الباشا وأخذوهم رهنا على مايطلبون وكان أولاد البلد(٢) الى هذا الحين يدخلون فى خدمة الدولة ويلبسون لباس العسكر لهم مالهم وعليهم ماعليهم فلما وقعت هذه الفتنة حرموا من ذلك وحظر عليهم الدخول فى مصاف العسكر ايجابا لطلب أهل الثورة(٣) وحدثت عقب ذلك مصادرات كثيرة من وجوه شتى . قال

---

(١) توافق عام ١٥٩٠م وإن كان أوضح الإشارات يورد أنه تولى من ٩٩٤-٩٩٩ أى ١٥٨٦-١٥٩١م ، ص٦٩ .

(٢) يقصد المصريين أصحاب البلاد وكان يعبر عنهم أيضاً بالفلاحين أو أبناء العرب ، ومهمتهم خدمة السادة من العثمانيين الأتراك المحتلين وأخلاط المماليك إلا أن السادة من الأتراك أطلقوا على أمراء المماليك - المصرلية - أى المصريين كما دعاهم الجبرتى فى كتابه .

● ليلى عبد اللطيف ، المرجع السابق ، ص٧ .

(٣) يقصد العسكر والجنود .

بعض كتاب الأخبار فكان لاويس[1] باشا المذكور يد فى هذه الحركة لامر خفى وطالت أيام الفتنة فقلت الاقوات وعز وجودها وضج الفقراء واجتمعوا تحت قلعة الجبل وسبوا أويس باشا ورجموا الناس بالاحجار .

ولما كان يوم الاحد رابع صفر سنة تسع[2] وتسعين حصلت زلزلة بالقاهرة ومصر بعد ظهر اليوم المذكور فمكثت درجة وسدس درجة وسقط بسببها عدة منارات وبيوت وربوع وفاض الماء من حيضات الحمامات ومطاهر الجوامع وهدمت عقبة أيلة فنهب العرب جميع ما كان بها من ذخيرة للحجاج والمرابطين قيل ولم يسبق وقوع مثل هذا الزلزال الا من عهد بعيد للغاية ووقعت بعدها بثلاثة أشهر أى فى يوم الاربعاء عاشر جمادى الاولى من السنة زلزلة أخرى ولكنها لم تلبث الا يسيرا جدا فزاد تشاؤم الناس وكرههم الى أويس باشا وعجوا[3] الى الله تعالى وتضرعوا اليه وكثر الدعاء بالجوامع وغيرها فلما كان سادس شهر رجب سنة تسع وتسعين أصابته سكتة قلبية فجأة فات بها ودفن بالقرافة ففرح الناس بموته فرحا لايوصف وكانت مدة تصرفه[4] أربع سنين وشهرا واحدا وثمانية أيام فنظم بعضهم تاريخا فى موته فقال :

أهلك الله أويسا أنه جار فى الحكم ولم يخش الوعيد
مذ أتى مصر تعدى حدّه وبه الظلم تبدى فى مزيد

(١) هو «عويس باشا» والى مصر فى عهد السلطان مراد الثالث (١٥٨٦م-١٥٩١م) ويُنطق أويس باشا بالتركية ، أراد أن يجند الوطنيين المصريين فى سلك الجيش مما أثار الحامية التركية الإسباهية واستنكف جنودها أن يتشبه المصريون بهم فى الزى ، فتطاولوا على الباشا وخربوا الأسواق مما اضطره للنزول على رغبتهم وتقديم إستقالته من منصبه .
● ليلى عبد اللطيف ، المرجع السابق ، ص٦٧ ، ٣١٨ .
● أحمد شلبى ، أوضح الإشارات . د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص ص٦٩ .

(٢) ٩٩٩هـ توافق ٣ ديسمبر ١٥٩٠م .
● التوفيقات ، نفس المرجع ، ص٥٠٠ .

(٣) يقصد لجؤا وصرخوا لله بالشكوى .

(٤) يقصد مدة حكمه .

هلك الحرث وكم من فتنة قد أثيرت منه فيما لا يفيد
مذ دهاه الموت ما أفلته لا ولا كان له عنه محيد
خاب سعياً بوفاة أرخوا ها وخاب كل جبار عنيد

سنة ٩٩٩

مطلب ولاية أحمد حافظ باشا الخادم

فلما مات تولى بعده أحمد حافظ باشا الخادم فدخل مصر فى سابع عشرى رمضان سنة تسع وتسعين[١] وتسعمائة وأخذ يتصرف فى الامور فكان نعم الرجل ذا رأى وتدبير محبا للعلم والفقراء حسن السياسة فأمنت فى أيامه السبل وانتظمت أحوال الرعية وامتنع أهل الفساد وانكف الولاة والعمال عن العبث بأمور الرعية وكان يجلس للناس فترفع اليه القصص بحاجات الخلق وعمر فى أيامه وكالة كبرى وأخرى صغرى وسوقا وربوعا وبيوتا ببولاق من القاهرة بجوار شون الحطب وعمل مصلى بالوكالة الكبرى مطلة على النيل وعمر كذلك برشيد عمائر أخرى عظيمة وعمل سحابة بطريق الحاج وبها النفع للحجاج فلما كان التاسع من[٢] شعبان سنة ثلاث وألف هجرية جاءه الامر بالعزل والقيام الى دار السلطنة فكانت مدة تصرفه ثلاث سنين وعشرة أشهر واثنين وعشرين يوما ولما بلغ دار السلطنة حمدت مساعيه بديار مصر فولى الصدارة العظمى ثم أنزل نفسه عنها واستأذن فى الحج فأذن له وجاء الى مصر بحرا فتلقاه الكبراء والامراء أحسن ملتقى وأهدوا اليه الهدايا النفيسة فحج ورجع الى الديار الرومية فمات بها

مطلب ولاية قيودر باشا

وتولى بعده على ديار مصر قيودر باشا فدخل القاهرة فى ثالث عشر رمضان سنة ثلاث[٣] وألف وكان أمياً ذا ذكاء محبا للهو واللذات قليل الحيلة ضعيف

(١) توافق ١٥٩١م ، ١٦ يوليو .
(٢) تقابل ١٥٩٥م ، ١٩ إبريل .
(٣) تقابل ٢٢ مايو ١٥٩٥م .

الرأى لاهم له غير اللعب واللهو ويروى عن لهوه حكايات كثيرة أضربنا عن ايرادها هنا صفحاً .

وكان لما تولى السلطان مراد السلطنة أمر فانشئوا بالمدينة تكية ورباطا بظاهر المدينة وقرر بها أرباب وظائف ومتجاورين ورتب بالتكية طعاما وحبوبا للحرمين ووقف على ذلك قرى من قرى مصر المحروسة باقليم البحيرة ناحية نكلا وناحية الظاهرية وبالمنوفية ناحية سبك الاحد وناحية شبرا زنكى[1] وبالقليوبية ناحية طنان وناحية كفر زريق وناحية طوخ الملق وناحية سد طنان وناحية سنهرا وبالدقهلية ناحية سندوب وناحية منية سمنود وناحية أبو الحسن وبالجيزة ناحية كوم براو ناحية نهيا وناحية العتامنة وناحية ديشنا وبالوجه القبلى البهنساوية وناحية بلينا وناحية الذيل وناحية نهيا بلفيه وناحية دنديل وناحية العتامنة وناحية الضوابط وناحية اهناس الخضراء فكان يجهز الى بندر السويس من متحصل النواحى المذكورة فى كل عام من الحب ألفى اردب ومائتى إردب تحمل فى مراكب فى وقف الدشائش الدارية الى الينبع برسم التكية المذكورة ومجارى الحرمين هذا عدا ما كان يجهز من النقد من متحصل النواحى المذكورة فى كل عام صحبة أمير الحج المصرى وقدره سبعة عشر كيسا توزع على أربابها من مجاورى الحرمين . ولعل هذا كله باق الى الآن . فتطلع قيودر باشا الى هذه الاوقاف وطمعت نفسه فى أخذ بعضها فلم يقدر ثم خشى العاقبة وانعطف الى غيرها من موارد الاموال فشكاه الدفتردار الى دار السلطنة وبالغ فى فساد الاحوال وعدم صلاحيته للولاية . قال أصحاب التاريخ ولم تكن هذه الاوقاف والخيرات والتكايا لتكفر عن ذنوب السلطان مراد وما اقترفه من جريمة قتل أخوته الخمسة بعد توليته منصب السلطنة فانه بعد أن تمت له البيعة واستقر به المنصب أمر

---

(١) هى قرية قديمة إسمها الأصلى شبرا مقمص من أعمال المنوفية كما وردت فى تاريخ ١٢٢٨هـ برسمها الحالى .

● القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى ١٩٤٥ ، محمد رمزى ، جـ٢ ، ق٢ مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة ، ط ١٩٥٨ ، ص٢١٩ .

فقتلوا اخوته المذكورين صبرا ليأمن على ملكه من النزاع ولم يخش الخزى والعار فكانت هذه الفعلة الشنعاء نقطة سوداء فى صفحات أيامه مع مايضاف الى ذلك من تحجبه[١]عن الناس وعدم اكتراثه بالامور وتركه الغزو والخروج فى مقدمة الجند كما كانت تفعل أجداده حتى طمع العدو فى البلاد وتغلبت دولة النمسا على كثير من القلاع والحصون العثمانية وانتصرت فى عدة وقائع عظيمة مات فيها كثير من رجال الدولة ومقدمى العساكر وخرجت بعض الايالات عن الطاعة فقاتلت حتى انتصرت ونالت الاستقلال واسترجعت ما أخذ من مدنها وبلدانها عنوة واستخفت طوائف الانكشارية[٢] بقدر الدولة فتمردوا وأهانوا كبارهم ومقدميهم وثاروا على بعض العمال وكبار الدولة فقتلوهم جهارا ولم يقو السلطان على منعهم حتى كاد يبلغ الخلل حده وكانوا سببا فى دوام الحروب ومعاداة الممالك المجاورة لدولة القسطنطينية لاجتماعهم على الخلاف وعبثهم بأمور الدولة وتقويض أركان الامن فيها بما يفعلونه من القتل والنهب واذلال كبارهم عند أقل سبب وقد كان مما أهاجهم وخرج بهم عن حد الطاعة انه لما كثر فسادهم وكبرشرهم بما فشا فيهم من الادمان على السكر والافراط فيه أمر السلطان بمنعهم من ذلك وبالغ فى عقاب من يقبض عليه سكران فقاموا عند ذلك قومة رجل واحد وحاصروا السلطان فى قصره وضيقوا عليه وصمموا على قتله جهارا ولبثوا على هذا الحال أياما كثر فيها النهب والسلب والعربدة وتطاولت

---

(١) يقصد الإمتناع عن مقابلة الناس ومعرفة أمورهم وحوائجهم .

(٢) هم طائف عسكرية من المشاه يشكلون تنظيماً خاصاً بهم وهم الفرقة المميزه فى الجند تدريبا وامتيازاً ونفوذاً وتولوا أعلى الرتب العسكرية وأخطر المناصب القيادية العسكرية والمدنية . ولكنهم ينزعون لحركات العصيان لتحقيق مطالبهم أو للتدخل السياسى حتى أنهم كانوا يعزلون و يقتلون وأصبحوا يشكلون مركز قوة خطير .

وكانوا يتولون حفظ الأمن داخل البلاد ، وكان يطلق عليهم أيضاً أوجاق المستحفظان ورئيسهم يتولى منصب محافظ العاصمة ويسمى أغا الإنكشارية .

● الشناوى ، نفس المرجع ، ط ، ص٤٧٢ .

● عبد السميع سالم الهراوى ، لغة الإدارة العامة فى القرن التاسع عشر ، ١٦١٤-١٦١٨ ، ص٦٥ .

أيدى الناس لسلب أموال بعضهم ولم تسكن هذه الفتنة الا بعد أن أباح لهم[1] السلطان السكر وتعاطى الخمر والرجوع الى ما كانوا عليه من العربدة والفساد .

وظلت الاحوال فى مصر ودار السلطنة فى قلق واضطراب بعضه بسبب الحروب المتواصلة بين السلطنة والممالك المجاورة وبعضه بسبب كثرة العزل والتولية فى ولاة مصر وتحزب الاحزاب وظهور كلمة الجند فيها وعدم وقوف كبارهم عند حد الى أن مات السلطان مراد فى السابع عشر من جمادى الآخرة وقيل سابع عشر رمضان سنة ثلاث وألف هجرية فكانت سلطنته عشرين سنة وتسعة أشهر وستة أيام فخلفه ابنه السلطان محمد

ومات فى أيام السلطان مراد غبريال[2]بطرك المتأصلين بعد أن أقام تسع عشرة سنة وكانت الامور فى أيامه على طرفى نقيض ماصفت يوما الا وتكدرت أياما فاقيم بعده يوحنا وهو تاسع ثمانيهم ولم يكن لرهبانيته دير وكان حازما

(١) مراد الثالث ابن سليم الثانى ١٥٧٤-١٥٩٥م .
ولد بالقسطنطينية فى ٤ يوليو ١٥٤٦م - وكانت فاتحة أعماله أن أصدر أمراً بعدم شرب الخمر الذى شاع أيام السلطان السابق وأفرط فيه الجنود خصوصاً الانكشارية وثاروا عليه واضطروه لإباحته ـ أمر بقتل إخوته الخمسة ليأمن شرهم على كرسيه ـ وكانت هذه عادة بينهم آنذاك ـ قامت حروب فى عهده بينه وبين النمسا أعقبتها هدنة لثمان سنوات ، كانت علاقته بفرنسا حسنة وكذلك مع البندقية .

قامت بينه وبين العجم حرب انتصر فيها عليهم ، كما تمردت عليه الفلاخ (الأفلاق) والبغدان وترنسلفانيا وتحالفوا مع رودلف الثانى ملك النمسا وإمبراطور ألمانيا فأرسل إليهم جيشاً بقيادة سنان باشا الصدر الأعظم سنة ١٥٩٥م فانتصر فيها ميخائيل أمير الفلاخ وانسحبت القوات العثمانية خلف نهر الدانوب .

● محمد فريد : المرجع السابق ، ص ص٢٥٩-٢٦٥ .

(٢) تولى البابا غبريال الخامس البطريرك الثامن والثمانين من ١٤٠٩-١٤٢٨ ثم يوحنا الحادى عشر البطريرك التاسع والثمانين من ١٤٢٨-١٤٥٣ والبطريرك متاؤس الثانى البطريرك التسعون من ١٤٥٣-١٤٦٦ .

بينما السلطان مراد تولى ما بين ١٥٧٤-١٥٩٥ ويكون من تولى البطريركية فى عهده هم : يوحنا الرابع عشر البطريرك ٩٦ الذى تولى فى عام ١٥٧٤ إلى عام ١٥٨٩ وظل الكرسى خالياً من بعده حتى عام ١٥٩٠ وتولى غبريال الثامن البطريرك ٩٧ وتوفى عام ١٦٠١ .

●منسى يوحنا : المرجع السابق ، ص ص٥٢١-٥٢٤٠ ، لجنة التاريخ القبطى ؛ الحلقة الرابعة : كتاب تاريخ وجداول بطاركة الإسكندرية القبطى وضع كامل صالح نخلة ، القاهرة ١٩٤٣ ، ص ص٩٢-٩٤ .

مهيبا محبوبا محبا للخير ميالا للفقراء آوى اليه كثيرا من ذوى الحاجة فدلهم يد المعاونة وبذل لهم المعروف وأقام أربعا وعشرين سنة ومات فخلفه متاوس وهو المتمم للتسعين وكان قبل ذلك راهبا فى دير المحرق ووقع من الحوادث فى أيامه ماسيذكر فى محله .

# الفصل الخامس

## (فى سلطنة السلطان محمد[1] ابن السلطان مراد)

ثم قام بالامر بعد السلطان مراد ولده السلطان محمد بويع له بالملك فى يوم الجمعة سابع عشرى جمادى الآخر سنة ثلاث وألف هجرية أى سنة أربع وتسعين وخمسمائة وألف ميلادية ولم يستقر به مقام السلطنة حتى قام على اخوته فقتلهم ليأمن على ملكه من المنازع وكأن هذه الفعلة الشنعاء قد صارت سنة عند ملوك آل عثمان يعمل بها الخلف عن السلف ثم تحجب بعد ذلك عن الناس وانعكف على الملاذ وترك أمور المملكة لجماعة الوزراء فعاثوا وأفسدوا وتصرف كل منهم على هواه وعمل على مافيه مصلحته فباعوا[2] الوظائف والقاب الشرف بابخس الاثمان وسلموا مقاليد الدولة للاغرار والسفلة فبلغ الخلل حده وزالت حرمة الدولة وكبر طمع العدو فيها فخرجت عليها الخوارج وقامت الحروب من كل جانب واشتدت الخطوب وظهر الامير ميخائيل[3] صاحب الفلاخ

---

(١) محمد الثالث ابن مراد ١٥٩٥-١٦٠٣ ، ولد عام ١٥٦٦ ، اتجه إلى الحروب الخارجية وترك الداخل فى أيدى الوزراء مثل سنان باشا فأفسدوا فى الأرض وباعوا المناصب وتلقوا الرشاوى وقللوا قيمة العملة ، فعلا الضجيج بين الرعية فضلاً عن هزيمة الجيوش فى الخارج وثارت الثورات فى الداخل بفعل فساد الانكشارية .

فهناك فرق فى سنة التولية بين المؤلف ومحمد فريد ويرجع هذا إلى عدم دقة مضاهاة التاريخ الهجرى بالميلادى .

● محمد فريد : المرجع السابق ، ص ص٢٦٧-٢٦٩ .

(٢) بدأ اختلال أمور الدولة باختلال نظام الانكشارية وأخذ الكثيرون منهم يعملون بمهن مختلفة ، بعد أن يبيعوا تذاكرعلوفاتهم (المرتبات) إلى الراغبين من الناس . وكان من الطبيعى أن يتأثر جميع أجهزة الدولة بذلك ، وأصبحت خصال العفة والمعرفة والمقدره لا تعتبر من مؤهلات التوظف والترقية ، وانتقلت معظم المراكز الرئيسية من عاصمة الدولة إلى أيدى المرتشين وتحولت بعض الدوائر والوزارات إلى أسواق سوداء تباع وتشترى فيها الوظائف .

● ساطع الحصرى (البلاد العربية والدولة العثمانية) ، ١٩٦٠ ، ص٤٧ ، ص١٠٢ .

(٣) كان ميخائيل أميراً على الفلاخ وكانت عاصمته آنذاك بوخارست وهو الذى تصدى للصدر الأعظم سنان باشا فى سنة ١٥٩٥م عندما دخل بوخارست ليستردها للعثمانيين بعد خروجها عليهم وتحالف مع رودلف الثانى ملك النمسا . فانتصر ميخائيل عليه ومن ثم لقب بالشجاع ودخل وراءه مدينة=

على عساكرها فى عدّة مواقع عظيمة وضم الى مملكته اقليم البغدان جزءاً كبيرا من نسلفانيا وساعدته على غير ذلك أيضا عساكر الفساد فعم الخلل جميع انحاء المملكة وقامت الفتنة وتطاير شررها الى جوف الاناطولى وظهر رجل اسمه قره يازجى[١] كان من مقدمى المتطوعة الذين نفاهم السلطان الى آسية لجبنهم فى الحروب وادعى أن صاحب الشريعة الاسلامية أتاه فى منامه وأمره بالغزو والجهاد فى آل عثمان ووعده بالنصر والغلبة عليه وأخذ جميع ولايات آسية منهم وبث الدعاة بذلك فى الآفاق فتبعه خلق عظيم من أولئك اللموم فنزل بهم على بلاد[٢] القرمان وقاتل عامل الدولة عليها حتى ظفر به وأخذ مدينة عين تاب[٣] عنوة فكبرت عند ذلك لمومه وظهرت كلمته واشتهر أمره فسير السلطان لقتاله جيشا من الانكشارية فحصاروا مدينة عين تاب وضيقوا عليها وشددوا فلما

---

=ترجوفتس جنوب شرقى المجر على حدود بلغاريا جنوبى بوخارست وقتل حاميتها ورئيسها فأخذ العثمانيون فى التقهقر وراء الدانوب وتبعهم ميخائيل وانتصر عليهم ثانية فى مدينة جورجيوا ودحر العثمانيين فى عدة مواقع هناك .

● محمد فريد ، المرجع السابق ، ص٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(١) هو أحد رؤساء فرق الانكشارية التى فرت أثناء الحروب التركية مع النمسا والمجر فى ابتداء القرن ١٧ ، وكانت هذه الفرقة مستأجرة ويسمونها بالتركية (علوفة چى) أى (المرتزقة) ثم سميت فرارى نظراً لفرارها وقد ادعى قره يازچى هذا أن النبى ﷺ جاءه فى المنام ووعده بالنصر على آل عثمان وفتح ولايات آسيا فتبعه كثير من هذه الفئة وشق عصا الطاعة وتغلب على والى القرمان ودخل مدينة عين تاب جنوبى الأناضول عنوه فأرسلت إليه الجيوش وحاصرته فيها فاستسلم بشرط تعيينه والياً على اماسيا فقبل شرطه ورفع عنه الحصار ولكنه عاد وأعلن العصيان واتحد مع أخيه دلى حسن (أى حسن المجنون) والى بغداد فأرسل صقللى حسن باشا على رأس جيش جرار انتصر عليهما ولجأ قره يازجى إلى جبال البحر الأسود حيث توفى متأثراً بجراحه وترك المعارك لأخيه حيث ثار له وقتل الصقللى وهزم ولاة ديار بكر وحلب ودمشق وتقدم حتى كوتاهية .

● محمد فريد : المرجع السابق ، ص ص٢٦٨ ، ٢٦٩) .

(٢) بلاد القرمان يحدها من الشمال أنقرة ومن الغرب اسكى شهر ومن الجنوب البحر الأبيض المتوسط ومن الشرق ذو القدرية .

● ساطع الحصرى (البلاد العربية والدولة العثمانية) ، ص٢١ .

(٣) وتسمى اليوم غازى عينتاب وهى جنوب الأناضول قرب الحدود السورية .

● محمد فريد – مرجع سابق ، ص٢٦٨ .

أحس قره يازجى بالغلبة وأنه مأخوذ لامحاله عمد الى استعمال الحيلة فعرض على مقدم الانكشارية الطاعة للسلطان بشرط أن يوليه أماسيا[1] فأجابه الى ذلك ورفع عن المدينة الحصار فلم يكن باسرع من أن عاد قره يازجى المذكور الى العصيان وكان له أخ اسمه والى حسن قدولاه السلطان على بغداد فسير اليه قره يازجى رسلا تستفزه الى شق عصا الطاعة والقيام لنجدته فأجابه الى ذلك وسير اليه جماعة كثيرة من أصحابه فاشتدت عزيمة قره يازجى واستفحل أمر الفتنة وظهرت كلمة قره يازجى وأخيه دلى حسن واتسعت شهرتهما وكادت تعم دعوتهما فكبر الامر على السلطان واستعظمه وسير لقتالهما عسكرا عظيما ومقدمهم صقللى حسن باشا فقاتلوا أوّلا قره يازجى حتى ظهروا عليه وجرحوه فترفع الى الجبال ومات بجراحته ثم انحازوا لقتال والى حسن صاحب بغداد فقاتلهم قتالا عنيفا وانتصر عليهم فى عدة مواقع وقتل صقللى حسن باشا على أسوار (توقات) ومزق شمل عساكره ثم سار ونزل على دمشق بخيله ورجله فهزم واليها شرهزيمة وهزم ولاة حلب وديار بكر ونزل على مدينة كوتاهية فحاصرها وضيق عليها من كل جانب فاشتد عند ذلك الخلل وتعاظم وهمت أكثر ايالات الدولة الى الخروج وتأهبت الى شق عصا الطاعة الا مصر فأنها كانت فى شاغل عن هذا كله بما قد انتابها من كثرة التولية والعزل فى ولاتها وعدم وقوف الجند والامراء فيها عند حد وعسف واليها قيودر باشا وعبثه بجميع الامور وتطاول يده الى أموال الناس بلا استثناء ومازال الحال على ذلك إلى سابع عشر[2] رجب سنة أربع وألف ثم جاء قيودر باشا المذكور الامر بالعزل فكانت مدة ولايته عشرة أشهر وعشرة أيام فتولى بعده الشريف محمد باشا ودخل القاهرة فى ثالث شوال

---

(١) شمال آسيا الصغرى .

●عراقى يوسف محمد «الوجود العثمانى فى مصر فى القرنين السادس عشر والسابع عشر» ، دراسة وثائقية . ج١ ، ط١ ، سنة ١٤١٦هـ ، سنة ١٩٩٦م . ص٣٣ .

(٢) يوافق ١٧ مارس سنة ١٥٩٦م .

سنة أربع[١] بعد الالف وكان مهيبا ذا بصيرة وخبرة بالامور واسع الاطلاع بادارة البلاد فلما استقرت به الولاية وجلس للناس رفعت اليه القصص ضد كوسى حسن الشاغرت وأحمد المسلمانى وكان الاول على الاموال والثانى على الشون السلطانى وكانا قد اختلسا منهما شيأ كثيرا فعين عليهما من ضبط حسابهما فثبت عليهما ماقيل فأمر بشنقهما على باب زويلة[٢] وتركت أجسادهما معلقة ثلاثة أيام فهابه الناس وخافوه خوفا ما عليه من مزيد فخامره لذلك الغرور حتى بلغ به الى الاخذ بالشبهات والبطش بمن يتوسم فيه سمة الانكار وأراد أن يبطش ببعض كبار الناس فاشيع عنه ذلك فتحذروا منه وأبغضه الناس والامراء كافة فلما كان فى بعض الايام أراد التوجه الى الربيع فمنعه بعض أصحابه وأنذروه بسوء العاقبة أن هو ذهب فى يومه فنبذ كلامهم فلما خرج قام عليه جماعة من العسكر وتعرضوا له عند انصرافه وهو بباب[٣] الوزير بموكبه الخاص وعساكره وطائفة من السامانية[٤] وهم معدون بالبنادق فلما عاين من معه كثرة العساكر تفرقوا عنه فى الازقة وتركوه فى نفر قليل من أتباعه فدعاه العسكر

---

(١) يوافق ١ يونيو سنة ١٥٩٦م .

(٢) أحد أبواب القاهرة القديمة ، وقد بناه أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ٤٨٥هـ نسبة إلى قبيلة زويلة التى جاءت من القيروان مع جوهر . وقد كانت مئذنتا هذا الباب عظيمتين جداً وقد هدم أعلاهما الملك المؤيد لما بنى الجامع داخل باب زويلة .

● ابن زنبل الشيخ أحمد الرمال (٩٦٠هـ) تحقيق عبد المنعم عامر «واقعة السلطان الغورى مع سليم العثمانى» ، ص٤٤ .

(٣) أحد أبواب القرافة وقد سمى به الشارع الذى يبدأ من نهاية شارع التبانة من عند جامع إبراهيم أغا إلى قبلى جامع الأمير سيف الدين . وكان طريقه مقطوعاً فى الصخر وعلى جانبيه حجرات صخرية وضعت فيها الأسود والحيوانات الأخرى ، سمى كذلك لأنه كان يقع قرب قصر الباشا ، وكان الصناجق يذهبون منه إلى الديوان العالى .

● أ . د ./ ليلى عبد اللطيف (الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى) ، ١٩٧٨ ، ص٧٠ .

(٤) طائفة من طوائف العسكر يقال لها السامانية كانوا يعملون خلف المدافع . وهم من المغاربه والغز والنوبية .

● عبد الرحيم عبد الرحمن (الدرة المصانة فى أخبار الكنانة) ، ص٤٨ ، ص٧٨ .

للمحاكمة أمام قاضي القضاة بمدرسة السلطان[١] حسن فأظهر لهم الانقياد والطاعة وسار معهم الى أن وصل الى الرميلة فاركض فرسه نحو باب السلسلة[٢] ودخل القلعة وأغلق الابواب بينه وبين العسكر فهاج العسكر وأثاروا الفتنة وقتلوا كل من كان يكثر التردد على محمد باشا من الامراء والعلماء وأصحاب الوظائف وأخذوا الناس بالشبهات فعم الخوف وكبر اضطراب الناس وبقى محمد باشا بقلعة الجبل مكفوف التصرف قاصر الكلمة محجورا عليه الى أن جاءه الامر بالعزل في خامس عشرى ذى الحجة[٣] سنة ست بعد الالف وكان جبارا عنيدا سفاكا للدماء وقع فى أيامه قحط شديد للغاية استمر مدّة وأعقب القحط وباء عظيم فكثر الموات فى الناس بالقاهرة ومصر وضواحيها وزاد زيادة بالغة ثم عم القرى وانتقل أيضا الى بقية البلدان فكانوا يدفنون الاموات فى الليل والنهار وكثرت الجثث فى البيوت وفى الطرق والحارات واشتد الوهم بالناس وفر محمد الشريف باشا من القاهرة هربا من الموت واستخلف على البلاد بيرى بيك أحد كبار الأمراء فلم تستقر به الولاية حتى أدركه الموت فولى الامراء بدله عثمان بيك فأقام الى أن كانت الفتنة وعزل محمد الشريف باشا وأتى خضر باشا واليا فكانت مدة تصرف محمد الشريف باشا سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوما وخرج من مصر فى موكب عظيم وعلى رأسه عمامة خضراء وركب معه خاصة العسكر وعامته فلما وصل الى الديار الرومية أرسله السلطان لقتال ملك فارس فأسر وبقى ببلاد فارس الى أن مات .

---

(١) مدرسة السلطان حسن المطلة على الرميلة تحت قلعة الجبل ، أقيمت هذه المدرسة مكان دار يلبغا اليحياوى بعد هدمها . وبجوار المدرسة (إصطبل قوصون) ، وهو بجوار حدرة البقر وباب السلسلة .
الإمام تقى الدين أحمد بن على بن القادر بن محمد المقريزى ، الخطط المقريزية ، جـ٣ ، ص١١٥ ، ص١١٦ .

(٢) وهو الباب المعروف بباب العزب أو باب السلسة ، أحد أبواب القلعة .
● أ. د/ ليلى عبد اللطيف أحمد (المجتمع المصرى فى العصر العثمانى ، ط١ ، سنة ١٩٧٨ ، ص٨٣ .

(٣) يوافق ١٩ يولية سنة ١٥٩٨م .

مطلب ولاية خضر باشا

ودخل خضر باشا القاهرة فى عشرى ذى الحجة سنة ست[1] بعد الالف فتصرف ثلاث سنوات وخمسة أيام فلم يقع فى أيامه من الحوادث شئ يذكر الا ما كان من سكون الفتنة ورجوع الجند والعسكر الى الطاعة وزوال الخوف من قلوب الرعية ثم عزل فى خامس عشر المحرم افتتاح سنة عشر وألف . وتولى بعده على باشا فدخل القاهرة[2] فى تاسع صفر سنة عشر وألف وكان لما قدم الى الاسكندرية لبث بها أياما فتراكمت عليه القصص وتساقطت بين يديه بالشكوى من الكشاف وبعض رجال الدولة وأكثرها من برويز كاشف المنوفية وكان برويز هذا عتلا زنيما ظالما محبا للمال كثير المصادرة للناس سفاكا للدماء لادين له ولاذمة ولاحرمة ولا أدب فلما أتى الكشاف للقاء على باشا المذكور وبينهم برويز هذا أمر به على باشا فقبضوا عليه وقتلوه بين يديه . وقيل أن لقتل برويز المذكور سببا غير ذلك وهو أن شيخى افندى الذى كان متوليا قضاء المنوفية وانصرف عنها قد اجتمع بعلى باشا فى جزيرة رودس فسأله على باشا عن مصر وأحوالها ومافيها من الامور الخارقة فحدثه بما علمه من أحوال البلاد وأهلها وبالغ فى الوقيعة ببرويز كاشف المنوفية المذكور وأخذ يعدد فظائعه فلما وصل على باشا الى كفر الخضراء[3] رفعت اليه القصص ضد محمد بن نجا حاكم النحراوية فقبض عليه وقتله بفناء الكفر فهابه الحكام وخافه الكشاف ودخل القاهرة فى هيبة وجلالة وقبض على برويز وقتله فلقبوه من يومئذ بالنمر . ولما استقرت به الولاية أرسل قوسا وأمر أن يعلق على باب زويلة بالمرمى ولصق به ورقة ذكر انه مكتوب فيها كل من أدنى هذا القوسّ يعطى ماهو مقيد

مطلب ولاية على باشا

---

(١) يوافق ١٤ يولية سنة ١٥٩٨م ، وقد سبقه محمد باشا الشريف من ٢ شوال ١٠٠٤هـ - ١٠٠٦هـ/ ١٥٩٦-١٥٩٨م (أوضح الإشارات ، ص٧٢) .

(٢) ٩ أغسطس سنة ١٦٠١م .

(٣) هى من القرى القديمة وردت فى التحفة من كفور البتنون من أعمال المنوفية .

● محمد رمزى :القاموس الجغرافى للبلاد العربية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥، جـ٢ ، مديريات الغربية والمنوفية ، والبحيره ، سنة ١٩٤٥ ، ص١٨٦ .

بالورقة فلم يجسر أحد أن يمس القوس تأدبا واستمر وهو معلق أياما ثم رفع ثم اشتد بعد ذلك على العسكر وضيق عليهم وصار يؤاخذهم على الصغائر والكبائر فابغضوه وجعلوا يراقبون فرصة للانتقام منه فاتفق انه سار الى طندتا[١] لزيارة السيد البدوى فعارضه بعض العسكر ومنعوه من الخروج من القاهرة الا اذا أعطاهم ما كانوا طلبوه منه فأجابهم الى سؤالهم صاغرا وعاد الى القاهرة وقد كاد يتميز غيظا فمرض واشتد به مرضه فارسل الى دار السلطنة يطلب الاذن بالعود الى القسطنطينية فأذن له فسافر فى سادس[٢] ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وألف فكانت مدة تصرفه سنتين وستة أشهر وعشرين يوما فلما وصل الى دار السلطنة قلد منصب الصدارة العظمى ثم وجه لقتال المجر فلم يلبث الا قليلا وعاوده المرض فمات هناك وكانت أيامه بمصر كلها خير وبركة وظهر فى أيامه التبغ بديار مصر وكثر استعماله ولم يكن الى ذاك الحين شيأ يذكر وظهر الطاعون فمات به خلق كثير جدا وعم القرى والمدن والبنادر ومكث أياما وفتك فتكا ذريعا ثم ارتفع . وجاءت الاخبار فى هذه الاثناء بموت السلطان محمد مات فى رجب سنة اثنتى عشرة وألف[٣] هجرية فكانت مدة سلطنته تسع سنين وخمسة عشر يوما وتولى بعده ابنه السلطان أحمد .

(١) طنطا .

(٢) ١٣ سبتمبر سنة ١٦٠٣م .

(٣) رجب سنة اثنتى عشرة وألف هجرية ـ ٥ ديسمبر سنة ١٦٠٣م .

# الفصل السادس

## (فى سلطنة السلطان أحمد ابن السلطان محمد خان)

ثم قام بالامر بعد السلطان محمد ابنه السلطان أحمد بويع له بالملك فى ثالث رجب سنة اثنتى عشرة وألف هجرية أى سنة ثلاث وستمائة وألف ميلادية وله من العمر ثمانى عشرة سنة فاستوزر الامير قويجى مراد باشا وكان شيخا كبيرا صادق الخدمة تولى الوزارة وأركان الدولة متزعزعة فى جميع جهات آسية والفتنة قائمة ونار الحرب مستعرة على حدود فارس شرقاً والنمسا غربا والسبب فى ذلك انه لما تولى عباس شاه على ملك فارس بعد موت محمد[١] مرزا فى سنة أربع وتسعين وتسعمائة هجرية نهض الى استرجاع ما أخذه ملوك آل عثمان من ملك فارس فأعد المعدات وجيش الجيوش ورمم القلاع والحصون وسار فى عسكر من خراسان الى مشهد[٢]وكانت قد استولت عليها قبائل الازبك فاستخلصها منهم وانتصر عليهم عند هرات أيضا نصرة عظيمة فلما تقوت عزيمته بما ناله من الظفر عمد الى قتال آل عثمان فنال منهم واسترجع جميع ما أخذوه من مملكة فارس عنوة ولم تقو الدولة على رده يومئذ لاختلال الاحوال وسريان الفساد فى جميع ولايات الدولة الشرقية وخروج الخوارج بعضهم يستفز

---

(١) كان شاه العجم وخراسان وفى عهده استولى العثمانيون على أجزاء من بلاده ، وقام بحروب لاستردادها إلى أن مات سنة ١٥٨٥م وخلفه الشاه عباس الذى استطاع بحروبه أن يسترد معظمها .
● محمد فريد : المرجع السابق ، ص٢٧١ .

(٢) مشهد أصلها طوس قال عنها ياقوت الحموى أنها مدينة بخراسان (إيران اليوم) بينها وبين نيسابوز نحو عشرة فراسخ ، وتشتمل على بلدتين يقال لأحداهما الطابران وللأخرى نوقان ، ولهما أكثر من ألف قرية فتحت أيام عثمان بن عفان ، وفيها قبر على بن موسى الرضا وقبر هارون الرشيد وقال مسعد بن المهلهل : طوس أربع مدن اثنتان كبيرتان واثنتان صغيرتان وتسمى اليوم مشهد .
● محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، مرجع سابق ، ص٤٣ ، حاشية٤ .

بعضا فلما بطلت الحرب مع عباس شاه[١] سار قويجى مراد باشا الصدر فى مقدمة جيش عظيم الى اطفاء نار الفتنة وقمع أولئك الخوارج فى جميع الولايات الشرقية فقاتلهم وانتصر عليهم ومزق شمل لمومهم وقبض على كبارهم وأعمل فيهم القتل بحد السيف ومازال بهم حتى زالت الفتنة وعادت الامور الى سابق مجراها ورجع بمن بقى من جيوشه الى القسطنطينية ظافرا غانما فلقب يومئذ بسيف الدولة ثم مات بعد ذلك فكان موته خسارة عظيمة على الدولة لصدق خدمته وأمانته وسعيه فى اعلاء منار الدولة وارجاع رونقها القديم فتولى بعده الوزارة نصوح باشا واتفق بعد ولاية نصوح باشا هذا ان عادت سفن رهبنة مالطة وسفن الحرب الاسبانيولية الى مهاجمة مراكب الدولة وسد المسالك عليها فى عرض البحر الابيض وأعانتها على ذلك المراكب الايطالية أيضا فرسم نصوح باشا لجميع مراكب الدولة بالاجتماع فى البحر الابيض والمحافظة على المواصلة مابين القسطنطينية والايالات المغربية فاجتمعت وكان مجئ بعضها من البحر الاسود فلما اخلا البحر الاسود منها قامت طائفة من القوزاق وزحفت على ثغر سينوب فنهبوا وعاثوا وأفسدوا وفعلوا مالا خير فيه وجاء الخبر بما وقع الى دار السلطنة فأكبره السلطان واتهم الصدر الاعظم بالخيانة وسوء القصد وكان للصدر خصوم وأعداء لاتغفل عن الوشاية به فزينوا للسلطان قتله وحببوا

---

(١) لقب هذا الشاه بالكبير ، وخلف محمد مرزا فى الملك سنة ١٥٨٥م ، ونودى به ملكاً فى خراسان ، ثم سار إلى مدينة مشهد التى كانت قد احتلتها قبائل الأزبك فاستخلصها منهم وانتصر عليهم بقرب مدينة هرات سنة ١٥٩٧ ثم حارب الترك واسترد منهم الولايات التى سبق أن أخذوها من مملكة الفرس واحتل مدائن بغداد والموصل وديار بكر ثم اتحد مع شركة الهند الإنكليزية وطرد البرتغاليين من ثغر هرمز وتوفى سنة ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٨ بعد حكم دام ٤٣ سنة .

● محمد فريد : المرجع السابق ، ص٢٧١ ، حاشية (١) .

اليه التخلص منه فأمر به فقتلوه خنقا فى قصره . وكانت مصر الى مابعد خلع واليها على باشا وقيامه الى دار السلطنة بأيام كثيرة بلاوال والاحوال فيها فى اضطراب والامراء والجند على طرفى نقيض حتى جاء مرسوم السلطان الى أمير الحاج بالتصرف فى ولاية البلاد فتصرف من عاشر ربيع الآخر فكان لابأس به أصلح بعض الأمور ورفع بعض المغارم وأبطل كثيرا من المظالم وأعاد الجند الى حد الطاعة وأزال الشحناء من بين كبارهم ولكن لم تطل مدته اذا اخترمته المنية فى يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان[1] سنة اثنتى عشرة وألف من الهجرة فكانت مدة تصرفه نحوا من خمسة أشهر ودفن بالقرافة فاتفق الامراء وكبار الدولة على تولية عثمان بك أمير اللواء فولوه المنصب فى سابع عشر شعبان المذكور الى أن يقدم من دار السلطنة من يتصرف وكان الامير عثمان هذا مشهورا بالعفة والاستقامة وله جلالة وهيبة ورأى وخبرة بالامور فتصرف مدة ثلاثة أشهر وثلاثة وعشرين يوما . ثم جاء الخبر بولاية ابراهيم باشا المعروف بالمقتول فدخل القاهرة فى يوم السبت ثانى عشرى ذى الحجة سنة اثنتى عشرة[2] وألف فلما استقر به المنصب وتصرف فى الامور منع الكثير من طلبات العسكر وجعل يتبع عثراتهم ويتجسس أخبارهم ولاسيما مجالس هزلهم فأشار عليه أصحاب المعرفة بأن يقلع عن هذا فلم يقبل وكان مستقلا برأيه فخوراً مختالا لاينقاد الى نصح ولايهتدى لقول مشير . واتفق أن أتت له الاخبار يوما بأن جماعة من العسكر بالغيط الذى بقناطر السباع يتعاطون الخمر ويفعلون مالاخير فيه فقام وغير لباسه وسار اليهم ومعه ثلاثة رجال من خواصه فلما علم العسكر بحضوره فروا هاربين وزاد بغضهم له ونووا قتله فلما كان فى تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثلاث[3] عشرة خرج ابراهيم باشا فى نفر من الجند والاتباع وأصحاب الوظائف والصناجق لقطع جسر

مطلب
ولاية إبراهيم باشا
المعروف بالمقتول

---

(١) يوافق ١٩ يناير سنة ١٦٠٤م .
(٢) يوافق ١٢ سبتمبر سنة ١٦٠٤م .
(٣) ١٦٠٤م .

أبى المنجى بين شبرا وقليوب فأشار عليه بعض أصحابه أن لايخرج وان الذى يخرج عادة لقطع هذا الجسر هو زعيم مصر فان كان مايمنعه أرسل بعض أتباعه لقطعة فقال وما علىّ لو ذهبت بنفسى قالوا ان خواطر الجند منحرفة وقلوبهم متغيرة عليك بسبب فعلك بهم فقال لا بد من الذهاب وخرج بغير احجام وقد أدركته صلاة الجمعة ببولاق القاهرة فصلى بها وهيئت له سفينة عظيمة وزينت بالستائر والرايات والفرش والطنافس الثمينة فركبها وصحبته الامير محمد بن خسرو أمير اللواء بمصر المحروسة وبعض أكابر خدمة الديوان ومازال الى أن وصل الى الجسر فقطعه من يوم السبت مستهل جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة بعد الالف وكان ابراهيم باشا قد هيأ طعاما بالغيط الذى أنشأه محمود باشا تجاه قناطر أبى المنجى فدخل الغيط ومن معه وصحبته الامير محمد بن خسرو وعزمى زاده قاضى القضاة يومئذ وحصل لهم الصفو والمباسطة قبل الطعام فلما حضر الطعام رأى الامير محمد بن خسرو طائفة من العسكر مقبلين بسلاحهم يريدون الفتك بهم فاسرع اليهم وعارضهم وسألهم عما يطلبونه فسألوا من ابراهيم باشا شيأ كان يمكن قضاؤه فى الحال فلما رأى ابراهيم باشا ماهم عليه من التهديد والجفاء والتحزب لم يجبهم الى ماطلبوه وأغلظ عليهم القول فتقدموا نحوه فمانعهم الامير محمد وزجرهم وصاح فى وجوههم فطعنه أحدهم بخنجره فسقط يختبط[1] فى دمه فعلا صدره آخر واحتز رأسه وهجم آخرون على ابراهيم باشا واحتزوا رأسه وهو على مائدة الطعام فامتلأت أوانى الطعام من دمه ورفعوا رؤسهما على جريدتين من نخيل الغيط وعادوا الى القاهرة وهم فى ضجة وجلبة وطافوا بهما الشوارع وساروا من وسط المدينة الى باب زويلة وعلقوهما هناك فخاف الناس وأغلقت جميع الحوانيت فى ذلك اليوم وسدت أبواب الدور من خلف وأيقن الناس بوقوع الفتنة واضطرام نارها وأغلقت أبواب المدينة كباب الحسينية وباب النصر وباب البحر وتعطلت جميع الاعمال فكان يوما عبوسا وفى قول أن قتل

(١) صحتها يتخبط .

ابراهيم باشا المذكور كان فى قلعة الدولاب وهو راجع مع من كانوا معه الى القاهرة لما بلغه خبر حضور العسكر لقتله . وكان قد أشار عليه بعض الصناجق بالهروب بحرا وعدم العود الى القاهرة فلم يلتفت لقولهم ولا أخذ بمشورتهم فلحق به العسكر وقتلوه واحتزوا رأسه وطافوا به فى الشوارع وعبثوا وأفسدوا فى ذلك اليوم وفعلوا مالاخير فيه فكانت مدة تصرف ابراهيم باشا المذكور فى الولاية أربعة أشهر وثمانية أيام لاغير وقد نظم بعضهم تاريخاً فى موته فقال :

إنّ إبراهيم باشا قد سعى فى الخير سعياً
قتله قد أرخوه وأرى التاريخ بغيا
سنة١٠١٣ (١)

مطلب ولاية جرجى محمد باشا الخادم

ولما قتلوه على الصورة المتقدمة أقاموا قاضى عزمى زاده واليا بعده فى ثالث جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة بعد الالف وقد كانوا أرادوا أن يولوا الامير عثمان بك فامتنع ولم يقبل . فلما وصل خبر قتل ابراهيم باشا الى دار السلطنة غضب السلطان ورسم بولاية جرجى محمد باشا الخادم وأمره بقتل الثائرين وقطع دابر جميع من كان له يد فى هذه الثورة فدخل القاهرة فى سابع رجب سنة ثلاث عشرة بعد الألف وأتى الى الصناجق أيضا مرسوم السلطان وأن يأتوا بأهل الفساد وأصحاب الثورة خاف الامراء وامتنعوا من الصعود الى القلعة واجتمعوا بقراميدان(٢) تحت القلعة وتشاوروا طويلا وكان بعض أكابر الدولة يترددون مابين الباشا والصناجق حتى استقرت القاعدة بينهم على تسليم زعماء الثورة والعفو

---

(١) يوافق ١٦٠٤م وتولى جرجى محمد باشا الوزير من ٢٥ رجب ١٠١٣هـ - أواخر صفر ١٠١٦هـ/ ١٨ ديسمبر ١٦٠٤م - أوائل يولية ١٦٠٥م (أوضح الإشارات ، ص٧٧) .

(٢) وهو الميدان الممتد أسفل سور القلعة فى الناحية الشمالية الغربية ومكانه الحالى ، منطقة المنشية ، وميدان صلاح الدين بقسم الخليفة .

● الأمير أحمد الدمرداش (كتاب الدره المصانه) ، تحقيق أ . د/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٨٩ ، ص٨ .

عن الصناجق فسلموهم فأمر الباشا برمى أعناقهم بين يديه فرميت فى الحال وتشتت من بقى من أصحاب الثورة فى البلاد فرارا من وجهه فجد فى طلبهم من الكشاف فمنهم من جئ به حيا فقتل ومنهم من قتله العربان قال بعض كتّاب الاخبار فكان ماقتله منهم نيفا ومائتين فى مدّة تصرفه وكانت مدّة يسيرة اذ جاءه الامر بالعودة الى الديار الرومية فسار فى يوم الاحد ثانى عشر ربيع الأوّل سنة أربع عشرة فكانت مدته سبعة أشهر وسبعة عشر يوما وتقلبت به الاحوال الى أن ولى مسند الصدارة العظمى وكان حازما شهما قوى الجاش حسن التدبير صائب الرأى ذا خبرة بالأمور واسع الكلمة مهيبا . وتولى بعده حسن باشا الدفتردار وقد كان واليا على اليمن ثم صرف عنها وقدم منها صحبة الحج الى القاهرة فتردد عليه الناس وزراه الامراء والعلماء والأكابر فشاهدوا منه رجلا عاقلا أديبا محتشما وأقام بالقاهرة أياما كان يبحث فيها عن أحوال البلاد وسير الكشاف ومعاملة أرباب الحل والعقد لاهالى البلاد فوردت الاخبار الى القاهرة فى يوم الاثنين ثالث[1] ربيع الاوّل سنة أربع عشرة وألف بولاية حسن باشا المذكور على الديار المصرية وقد كان اذا أتى لزيارة الكبراء والامراء والعظماء توجع لهم مما يشاهده من ضنك الأهالى وفاقة الناس واشتداد الكروب ويقول اذا آتانى اللّه سبحانه ولاية مصر بذلك فى اصلاح الأحوال مهجتى فلما جاءته الولاية واستقر بها لم يمنع ولم ينفع واختلت أموره وقصرت كلمته وعمت البلوى وانقفل فى وجه أصحاب الظلامات باب الشكوى فعاث العسكر فى أيامه وعادوا الى التمرد والافساد فلم يقدر على ردهم فاشتدت الفتنة وظهر أهل الفساد وارتفع الامن وسدت الطرق فى وجوه أبناء السبيل وقل الوارد من المأكول الى القاهرة ومصر القديمة فغلت الاسعار وتعذر على الفقراء الحصول على قوت اليوم ولبث الحال على هذا الوصف حتى صرف عن الولاية فى يوم الاربعاء رابع صفر سنة ست[1] عشرة وألف فكانت مدته سنة واحدة ونصفا وستة وعشرين يوما . ثم

مطلب
ولاية حسن باشا
الدفتردار

(١) يوافق ٢٩ يوليه سنة ١٦٠٥م ، وورد فى أوضح الإشارات باسم حسن باشا الوزير (ص٧٧) .

تولى بعده الوزير محمد باشا فدخل القاهرة يوم الخميس خامس عشر صفر الخير سنة ست عشرة وألف وكان حازما عاقلا ذا فكرة وتدبير ساكن القلب هادئ اللب كثير الصبر والجلد فلما استقرت به الولاية التفت الى أمور البلاد وحاجات الخلق وبالغ فى ترتيب الاحوال وتأمين السبل وابعاد أهل البغى والفساد وأخذ الكل بالشبهات فانحرفت لذلك خواطر الامراء عنه وابغضه الجند وكثرت عليه الشكاوى من جور الكشاف وأخذهم أموال الناس فلما كان غاية جمادى الاولى من السنة المذكورة استقدم اليه ابن درغت كاشف المنوفية وبرويز مجر كاشف الغربية وكوسى كاشف البحيرة وعوقهم[2] عنده بقلعة الجبل الى غروب اليوم ثم أمر برمى أعناقهم وولى مكانهم آخرين وأخذ عليهم العهود والمواثيق أن لايظلموا الرعية ولايتعدوا الحدود وكان ممن عين لكشافة الغربية الحلوجى فاتفق انه بعد توليته ذهب الى بولاق القاهرة لقضاء مصلحته فالتقى بطائفة من العسكر وقد علموا بولايته على اقليم الغربية فسألوا منه حاجة فلم يجبهم اليها وأغلظ معهم فى القول ونهرهم فاطلق عليه بعضهم طبنجة محشوة بالبارود فانزعج وألقى بنفسه الى النيل فاثقلته ثيابه فمات غريقا وبلغ الخبر محمد باشا فجمع اليه الأمراء وأكابر العسكر بالميدان تحت قلعة الجبل ونشروا البيرق[3] السلطانى ونادى منادى من كان مطيعا للّه ورسوله محمد ﷺ وولى الامر فليدخل تحت لواء السلطنة الشريفة العثمانية فاجتمع عالم كثير من الامراء وأكابر العسكر ومكثوا بالميدان ثلاثة أيام ثم طلع الامراء الى قلعة الجبل فكلمهم الباشا طويلا فى أمر هؤلاء الخوارج وقد كانوا بعد موت الحلوجى اجتمعوا خارج سور القاهرة وانضم اليهم طوائف أخرى من العساكر والاجناد وقسموا بينهم بلاد مصر وأقاموا عليهم سلطانا منهم واختص كل فريق بجهة من جهات مصر العليا والسفلى وتفرقوا على ذلك فعاثوا وأفسدوا الحرث والنسل وسدوا الطرق وقطعوا السبل ومنعوا

مطلب
ولاية الوزير محمد
باشا

---

(١) يوافق ٣١ مايو سنة ١٦٠٧م .
(٢) أخَّرهم .
(٣) العلم .

ورود الاقوات الى القاهرة فاستقرت القاعدة ما بين محمد باشا والامراء فى ذلك اليوم على الخروج بطائفة من الجند لقتالهم فخرجوا واقتتلوا معهم قتالا شديدا وظفروا بهم ومزقوا شملهم وقبضوا على زعمائهم وأصحاب الكلمة منهم وقدّموهم الى محمد باشا فأمر بقتلهم بين يديه وتتبع الجند من بقى منهم فى المدن والقرى وابادوهم الا من طال عمره وخمدت نار الثورة ثم لم تكد تطمئن خواطر الخلق حتى ظهر جماعة من لموم الاشقياء فى أوائل القعدة سنة سبع عشرة وألف واجتمعوا من الاقاليم القبلية والبحرية وتألفوا حزبا واحدا وحلفوا لمن بقى من متشردى اولئك العسكر بعد الواقعة الأولى على الأخذ بثارهم وقطع دابر الامراء وأكابر الدولة ونصبوا خيامهم بالمرج والزيات وتحالفوا على الهجوم والقتال فلما علم محمد باشا بخروجهم أرسل لهم جماعة من الاختيارية الموصوفين بالعقل والتجربة فوعظوهم وحذروهم عاقبة هذا الامر فلم ينتهوا فعادوا وأخبروا الباشا بما كان فجمع الباشا طوائف العربان ومشايخها من الاقاليم وجميع العساكر والاجناد وجيش منهم جيشا عظيما مدججا بالسلاح وآلات الحرب وعدّة من المدافع وجعل مقدّمه الامير مصطفى بك سردار العساكر فسار مصطفى بك بهذا الجيش لقتال الخوارج فلما وصل الى بركة الحاج تراءى الجمعان فاقتتلا قتالا شديدا وظفر بهم مصطفى بك وضيق عليهم المسالك فطلبوا الامان واختلط الجيشان فقبضوا على أشرارهم ومقدميهم وهرب من خلص منهم فتبعتهم العربان وقتلتهم وعاد مصطفى بك الى القاهرة بمن معه من الخوارج وهم مشاة حفاة حاسرو الرؤس مكبلون بالحديد ورؤس القتلى مرفوعة على الرماح ودخلوا جميعا من باب[1] النصر والناس ينظرون اليهم ومروا بالقصبة الى أن وصلوا الى

(١) كان للقاهرة عدة أبواب : كباب زويلة والفتوح والنصر (موجود للآن) والبرقية والجديد والمحروق وباب القنطرة والفرج وسعادة والخوخة .

● المقريزى : الخطط ، ط . الشعب ، جـ٢ ، ص٧٧ .

القلعة فلما تمثلوا بين يدى محمد باشا أمر بجماعة منهم فقتلوا فى ساعة وصولهم والباقى منهم قتل فى ليلة وصوله وألقوا جثثهم فى النيل ثم أخذوا يتبعون أثر من بقى منهم فكانوا اذا عثروا بأحد نفوه الى اليمن ومازالوا حتى لم يبق منهم أحد وصفت الحال وسكنت خواطر الخلق واطمأنت قلوب سكان مصر والقاهرة . ووجه الباشا عنايته الى ترتيب(١) خراج البلاد وابطال الكلف والمغارم وتخفيف الضرائب وابطال طريقة جباية الاموال التى كانت جارية من عهد دولة المماليك الشراكسة ورسم بجبايتها على ما جاء فى حكم السلطان سليمان الموقع فى سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة وكان شفوقا بالرعية محبا للضعفاء آخذا بناصر المظلوم نافذ الكلمة لايرد له أمر ومازال محفوظا الى أن اختار العود الى دار السلطنة وتنزيل نفسه عن ولاية مصر فخرج فى يوم السبت ثانى جمادى الآخرة سنه عشرين وألف فى جلالة وموكب عظيم ماتخلف عنه أحد من العسكر والاجناد والامراء فكانت مدة تصرفه أربع سنوات وأربعة أشهر واثنى عشر يوما وعمر فى ولايته جملة مبان وعدة عمارات بثغر رشيد وأخذ الجزر المقابلة لرشيد وأطيانا بالمنوفية والجيزة وعمل سحابة بطريق الحاج فلما بلغ دار السلطنة ولى مسند الصدارة ثم أرسل بجيش جرار لقتال ملك فارس فلم يقارن أعماله توفيق ولم ينجح له تدبير وعاد مهزوما فولاه السلطان ولاية حلب فأقام بها قليلا ومات .

مطلب
ولاية حاجى باشا
وخلعه وولاية
محمد باشا
المعروف بالصوفى

فتولى بعده على مصر حاجى باشا بأمر سلطانى أحضره اليه محمد باشا قبل سفره الى الديار الرومية وسلمه اياه بمدينة بلبيس فى يوم السبت ثالث

---

(١) كان تحصيل هذه الضرائب منوطاً بالملتزمين الذين يرسو عليهم مزاد الجباية فى قرية أو أكثر ، لمدة سنة أو تزيد ، وأحياناً مدى الحياة ، بل تطور فتوارثوه خلفاً عن سلف ، وكانوا يسددون للحكومة ضرائب سنة معجلة ، وكانوا يتولون مهام وظيفتهم بمقتضى صك يحرره شيخ البلد ، زعيم المماليك يسمى «تقسيطا» يشفعه بأمر منه إلى أهالى البلاد ، لاعتماد الملتزمين وأداء الخراج لهم .

● عبد السميع سالم الهراوى (لغة الإدارة العامة فى مصر فى القرن ١٩) ، سنة ١٩٦٥ ، ص٩٨ .

رجب[١] سنة عشرين وألف ودخل القاهرة وتصرف لغاية يوم الخميس العشرين من شعبان من السنة المذكورة فكانت مدته شهرا واحدا وسبعة عشر يوما وتولى بعده محمد باشا المعروف بالصوفى ودخل القاهرة فى ثانى عشرى[٢] شعبان وجعل يتصرف فى الامور فكان ظاهره اللين والرفق بالرعية وتأمين السبل وقطع شأفة أهل الفتن والفساد فلما كان فى شهر ربيع الآخر[٣] سنة اثنتين وعشرين وألف قدمت الى مصر طائفة من عسكر الدولة يبلغون زهاء أربعة آلاف غير الاتباع وكان السبب فى قدومهم أنهم ثاروا على الدولة وخرجوا عن طاعة كبارهم وكادت فتنهم تعم فدبر الصدر الاعظم فى ابعادهم الى مصر وأشاع بينهم أنه يريد بقاءهم بها رباطا مستديما فلما وصلوا الى القاهرة أتى الى محمد باشا مرسوم سلطانى بتجهيزهم الى بلاد اليمن وامدادهم بما يلزم من المؤن والعلائف ودواب الحمل قدر الاستطاعة فلما تحققوا انها مكيدة عصوا وتمردوا فأعجلهم محمد باشا بالخروج بعد أن صرف لهم جوامك السفر وسير معهم فندق بك أحد الامراء ليسير بهم الى مدينة السويس فبرز فندق برطاقه يوم ثالث عشرى ربيع الآخر من السنة المذكورة فمر الوطاق بباب زويلة ثم الى باب النصر وكان به أولئك العسكر فقاموا عليه ورموا بالخيام من فوق ظهور الجمال ومنعوهم من الخروج وهاجوا وماجوا ونادوا بالويل والثبور على السلطان ورجال دولته فوصل الخبر الى محمد باشا فجمع من وجد بمصر اذ ذاك من العسكر ورسم الى فندق بك بالخروج الى الريدانية بالعسكر واجهار النداء بأن جميع العسكر الذين قدموا من دار السلطنة يخرجون صحبة السردار المعين ومن خالف قبض عليه وجوزى فامتنعوا جميعا

---

(١) السبت ثانى جمادى الآخرة عشرين وألف - يوافق ١٢ أغسطس سنة ١٦١١م .
ورد فى أوضح الإشارات ، ص ص٧٧-٨٠ أن حسن باشا الوزير تولى من غرة ربيع أول ١٠١٤ - آخر صفر ١٠١٦هـ/ ١٧ يوليه ١٦٠٥- ٢٨مايو ١٦٠٧م .
ثم تبعه محمد باشا المعروف بقول قرآن من ٧ صفر ١٠١٦ - غرة جماد أول ١٠٢٠هـ/ ٤ يونية ١٦٠٧- ١٢ يولية ١٦١١م . ثم تبعه محمد باشا الصوفى من ١٦١١- ١٦١٥م .
(٢) السبت ثالث رجب سنة عشرين وألف - ١١ سبتمبر سنة ١٦١١م .
(٣) شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وألف - ٥ مايو سنة ١٦١٣م .

وأغلقوا بابى النصر والفتوح ورموا خلف البابين بالاحجار وتحفظوا من كل جانب ومنعوا كبارهم من الخروج الى الريدانية والطلوع الى الديوان ونصبوا حواجز بالشوارع الموصلة اليهم وتحصنوا بكثير من المتاريس وصعد جماعة منهم الى أعالى الخانات والربوع والبيوت والجوامع والمنارات وهم ينتظرون من يقدم عليهم فلما بلغ محمد باشا خبر هذا التحصين وأن لا طاقة لفندق بك ومن معه على اخضاع أولئك الخوارج جميع الصناجق والكشاف ومقدمى الخفر بميدان الرميلة وتشاوروا فى الامر فاستقرت القاعدة بينهم على أن يسيروا اليهم فساروا فلما عاين الخوارج ذلك الجمع اذعنوا للطاعة وأجابوا ورفعوا الحصار وأزالوا المتاريس وفتحوا الابواب وطلبوا الامان ودواب الحمل فأحضروا لهم مايزيد عن ثمانين جملا فلما وصلت اليهم الجمال عادوا الى العصيان وضربوا الجمال بالسيوف فنفرت وتشردت وقفلوا الابواب ثانية وعادوا الى أقوى مما كانوا عليه من التحصين وشاع الخبر بأنهم قتلوا كبارهم ولم يبقوا على أحد فأمر محمد باشا السردار بالخروج فخرج ومعه جمع كبير من الامراء والاجناد واثنى عشر من كبار الامراء وطائفة من حارة الفوالة[1] وساروا الى الخوارج بستة مدافع كبار محشوة بالفلوس الجدد والمسامير ونودى للرعايا الملاصقين لاماكنهم وبيوتهم بغلق الحوانيب والبيوت فلما وصلوا اليهم وجدوهم متيقظين متحفظين بعلو الاسطحة والمآذن فلما تراءى الجمعان التحم القتال فكان كل ما ألقى العسكر من الرصاص والنشاب والاحجار لايصل الى الخوارج لعلوهم على العسكر وكل ما القاه على العساكر نال منهم فقتل من العساكر سبعة فهال مقدم عسكر الوالى هذا الامر وخشى استفحال أمر هذه الفتنة وقد اشتد رمى الخوارج وتتابع على العسكر فجعل مقدم عسكر الوالى يتدبر فى الوصول اليهم من وكالة البطيخ ومازال حتى اتصل اليهم بجماعة من العسكر واتصل الامير قاسم والامير عبدى

---

(١) حارة داخل شارع البكرى الذى يبدأ من آخر شارع العتبة الخضراء وآخره شارع مشتهر.

● عبد الرحمن الجبرتى «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار»، تحقيق أ. د عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ١٩٩٨، جـ٣، ص٣٥.

من خلفهم وتقدم الامير يوسف الغاص بأصحابه فرفع الحواجز والمتاريس ونقبوا عليهم أماكنهم ودخلوا عليهم فلما اشتد الحال عليهم ولم يجدوا لهم قوة على القتال وعلموا أنهم مأخوذون لامحالة طلبوا الامان وأجابوا بالامتثال فى السفر الى حيث شاء الباشا فأخرجوا جميعا ولم يتخلف منهم أحد وسيروا بهم الى السويس وزالت الفتنة وسكن الحال واطمأنت خواطر الناس وعادت جميع الامور الى سابق مجراها . وسار محمد باشا فى الرعية سيرة حسنة وكان شفوقا عليهم ميالا لخيرهم فرفع كثيرا من المغارم القديمة وأبطل بعض المكوس الفادحة وكان يجلس بنفسه للنظر فى مصالح الخلق ويوقع على مايرفع اليه من القصص فزالت فى أيامه القلاقل والفتن ودرت الارزاق وحصل رخاء عظيم حتى بيع الاردب القمح بخمسة وعشرين نصفا[١] فلوسا نحاسا والفول كل اردب بخمسة عشر نصفا والعدس والبسل كل اردب بثمانية عشر نصفا وكثر وارد المأكولات وتنازلت أثمان غير ماذكر ففرح الناس فرحا عظيما ومالوا اليه بقلوبهم وأحبوه محبة عظيمة . فلما كان فى يوم الاربعاء عاشر ربيع الاوّل سنة[٢] سبع وعشرين وألف ورد مرسوم سلطانى بصرف محمد باشا عن ولايته فكانت مدتها ثلاث سنوات وستة أشهر وثمانية وعشرين يوما فحزن الناس عليه كثيرا . وتولى بعده أحمد[٣] باشا الدفتردار ودخل القاهرة فى يوم الخميس حادى عشر ربيع الاوّل

مطلب
ولاية أحمد باشا
الدفتردار

---

(١) نصف فلوس نحاس : مفردها الفلس ، وهى عملة صغيرة ، وكانت فى مصر على نوعين : أحدهما المطبوع بالسكة وثانيهما غير المطبوع ، وكان النصف الثانى عبارة عن قطع مكسرة من النحاس الأحمر أو النحاس الأصفر ، ويعبر عنها بالعتق .

● د . سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص٤٣٨ .

(٢) ١٠ ربيع أول سنة ١٠٢٧هـ = ٦مارس ١٦١٨م .

(٣) ورد فى أوضح الإشارات . . الملقب بالتاريخ العينى أن أحمد باشا (الوزير كما كان لقبه) قدم إلى مصر فى عاشر من ربيع الثانى سنة ١٠٢٤ واستمر والياً بها حتى عزل فى عشر صفر سنة ١٠٢٧هـ فكانت مدة ولايته سنتين ونصف واثنى عشر يوماً ، وكان قد دخل إلى مصر فى موكب عظيم ولما مر بسوق البسطية قرب باب زويلة سقط عليه حجر من ربع هناك فكسر الريشتين اللتين على طلخانه (تاجه) وضبط الفاعل الذى اعترف بأن الحجر سقط عن غير قصد منه ، وكان عهده عهد غلاء فى الأسعار .

● أوضح الإشارات ، ط١٩٩٤ ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص ، ص٨١ ، ٨٢ .

سنة سبع وعشرين وألف فى موكب عظيم مشى فيه جميع العساكر والاجناد وهو على فرس وعلى رأسه عمامة بريشتين قيل ان قيمة كل ريشة منهما ألف دينار فلما وصل بموكبه الى الجواخين[1] سقط على فرسه حجر من طاقة ببيت بالربع الذى يعلو حوانيت الجواخين فألقى أحدى الريشتين على الارض ومزق جانبا من القماش فقبض فى الحال على ما ألقى الحجر فتطير أحمد باشا من ذلك وأمر برمى عنق الرجل فرموا عنقه وكان الرجل يوصف بخبال العقل ومازال فى موكبه حتى صعد الى قلعة الجبل واحتجب أياما لايراه أحد ثم جلس للناس وتصرف فى الامور فكان حاكما سياسيا صاحب تدبير سهلا فى أموره قريبا من الناس ليس عنده تحجب ولا غلظة محبا لخير الرعية ميالا لاسعاد البلاد فكان يأتى الى أحسن الامور من أبوابها حتى اجتمعت القلوب على محبته واتحدت على طاعته وهابه الحكام وخافه الولاة والكشاف وساروا بسيرته الا القليل وعمت الراحة أفراد الرعية وراجت أسباب الزراعة وكثرت غلات البلاد كثرة عظيمة .

فلما كان شهر شوّال وردت الاخبار الى أحمد باشا بموت السلطان[2] أحمد مات فى اليوم العاشر من القعدة سنة سبع وعشرين وألف حتف أنفه وهو آخر السلالة المتصلة من عمود هذا النسب وكان عادلا محبا للخير أرسل الى حرم

---

(١) الجواخين : تجار الجوخ (الصوف) ويقع سوقهم فى الجزء الجنوبى من القاهرة ، ويباع فيها الجوخ لعمل المقاعد والستائر وثياب السروج ، والثياب الجوخ للطبقة الشعبية فى القاهرة ومن يأتى من بلاد المغرب وأهل الأسكندرية ، أما طبقة المماليك فكانوا يرتدونه احتماء من المطر ، فلما ساءت الأحوال الإقتصادية وشمل ذلك معظم أهل القاهرة وساد استخدام الجوخ فى صنع الملابس بين مختلف الطبقات .

● محاسن محمد الوقاد (دكتورة) : الطبقات الشعبية ، مرجع سابق ، ص٦٢ .

(٢) أحمد خان الأول : ولد فى ١٢ جمادى الثانيه ٩٩٨هـ/١٨ أبريل ١٥٩٠م ، تولى الحكم وهو فى الرابعة عشر من عمره وحجز أخاه مصطفى بين الخدم ولم يقتله كالعادة ، اندلعت فى عهده حرب مع الفرس بقيادة الشاه عباس ، وسعت ولايات الشرق للاستقلال ، كما ساءت العلاقات مع الغرب (النمسا والمجر) وانتهت بمعاهدات صلح .

وبعد حياة من الحروب والمصالحات ، توفى فى ٢٣ ذى القعدة ٢٢/١٠٢٦ نوفمبر ١٦١٧م وعمره ٢٨ سنة حكم منها حوالى ١٤ سنة . ونلاحظ اختلافاً فى التواريخ ثم يعود المؤلف فيتداركه بعد هذا .

● محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، مرجع سابق ، ص ص٢٧١-٢٧٥ .

صاحب الشريعة الاسلامية حجرا من الماس قيمته يومئذ اثنا عشر ألف دينار وأكثر ورسم بأن يوضع فى الحجرة وهو موجود الى الآن وأرسل أيضا جملة هدايا وتحف وميزابا[1] من الفضة مموها بالذهب فوضع موضع الميزاب العتيق قيل وله خيرات أخرى كثيرة وكانت مدة سلطنته أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام فتولى بعده السلطان مصطفى[2] ابن السلطان محمد وهو أخو السلطان أحمد المشار اليه .

ومات فى سلطنته متاوس[3] بطرك المتأصلين بعد أن أقام ثلاث عشرة سنة وكانت أيامه كلها هادئة مطمئنة فأقيم بعده غبريال[4] وهو حادى تسعيهم فأقام

---

(١) ميزاباً من الفضة : الميزاب هو الأنبوبة أو القناة .

(٢) ولد هذا السلطان سنة ١٠٠١هـ وقضى عمره داخل محلات الحريم ، ولم يكن له عمل مطلقاً ، فلم يكن يعلم من أمور الدولة شيئاً ، كما كانت عادة بعض ملوك بنى عثمان ، وهى أن كل سلطان يتولى يأمر بقتل إخوته أو يحجزهم فى السراى كى لا يخرج منهم من ينازعه الملك ، وهى عادة مستقبحة جداً لما فيها من قتل أقرب الناس بلا ذنب .

وكانت مدة ولايته من ١٦١٧ إلى ٢٦ فبراير ١٦١٨ .

● (محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، مرجع سابق ، ص٢٧٦) .

(٣) متاؤس بطرك المتأصلين : هو متاؤس الثانى ، وكان راهباً من دير المحرق بصعيد مصر ، وأقيم بطريركاً يوم ١٣ توت ١١٦٩ شهداء ١٤٥٣م ، واستمر فى البطريركية ١٣ سنة وتوفى فى ١٣ توت ١١٨٣ شهداء ١٤٦٦م .

وبهذا يكون المؤلف قد خالف الحقيقة ، فالبطاركة الذين كانوا فى عهد السلطان أحمد الأول (١٦٠٣-١٦١٧) هم : مرقس الخامس البطريرك ٩٨ الذى تولى البطريركية من ١٦٠٢-١٦١٣ وكانت مدة رئاسته ١١ سنة ثم البطريرك يوحنا ١٥ وهو البطريرك رقم٩٩ حيث ظل من سنة ١٦١٣ إلى سنة ١٦٢٣ فظل بذلك عشر سنين وتولى بعده متأوس الثالث رقم ١٠٠ من سنة ١٦٢٣ إلى ١٦٤٢م .

وبذلك فإن البطاركة متاؤس الثانى وغبريال وميخائيل ويوحنا الذين أوردهم المؤلف هنا ليسوا هم .

● (منسى يوحنا : كتاب تاريخ الكنيسة القبطية ، ص ، ص٥١٩ ، ٥٢٦-٥٢٨) ، لجنة التاريخ القبطى ، تاريخ الأمة القبطية الحلقة الرابعة ، مرجع سابق ، ص ص٩٢-٩٤ .

(٤) البابا غبريال (٩١) : اختير بطريركاً بعد وفاة البابا متاؤس الثانى باسم غبريال السادس ، وهو من الغربية ، ونصب بطريركاً يوم ١٥ أمشير سنة ١١٨٢ للشهداء/١٤٦٦م .

واستمر فى الكرسى البطريركى ثمان سنوات وعشرة شهور وبعض أيام ، حيث توفى فى ١٩ كيهك سنة ١١٩١ش/١٤٧٥م ، وخلا الكرسى بعده لمدة سنتين ونحو شهرين .

● (منسى يوحنا : المرجع السابق ، ص٥١٩) .

ثمان سنوات ومات فأقيم بعده ميخائيل[١] وهو ثانى تسعيهم وكان تقيا فاضلا متواضعا فلم تطل مدته غير سنة واحدة ومات فأقيم بعده يوحنا[٢] وهو ثالث تسعيهم وأصله من بلدة نقادة من صعيد مصر وكان فى أيامه من الحوادث ما سيذكر فى محله .

(١) ميخائيل البابا (٩٢) : خلف البطريرك غبريال السادس ، باسم ميخائيل الرابع ، وهو من سمالوط/المنيا ، وقيل من سنباط ، نصب بطريركاً يوم ١٣ أمشير ١١٩٣ش/١٤٧٧م ، وظل بطريركاً سنة واحدة وثلاثة أيام ، حيث توفى فى ١٦ أمشير ١١٩٤ش/١٤٧٨م وخلا الكرسى بعهد لمدة سنتين وشهرين وسبعة أيام .

● (منسى يوحنا : المرجع السابق ، ص٥١٩) .

(٢) البابا يوحنا (٩٣) : باسم يوحنا ١٢ ، نصب بطريركاً بعد البابا ميخائيل الرابع ، نصب بطريركاً فى ٢٣ برمودة ١١٩٦ش/١٤٨٠م ، وكان من نقادة وظل بطريركاً ثلاث سنوات وأربعة أشهر وعدة أيام وتوفى فى ٧ توت سنة ١٢٠٠ش/١٤٨٤م وخلا الكرسى بعده لفترة خمسة أشهر . وبهذا فهم ليسوا بطاركة هذه الفترة .

● (منسى يوحنا : المرجع السابق ، ص٥١٩) .

# الفصل السابع

## (فى سلطنة السلطان مصطفى ابن السلطان محمد خان)

ثم قام بالامر بعد السلطان أحمد أخوه السلطان مصطفى ابن السلطان محمد وهو أول من ارتقى على سرير السلطنة من اخوة ملوك بنى عثمان بويع له بالملك ثالث عشرى ذى القعدة سنة سبع وعشرين وألف هجرية أى سنة سبع عشرة وستمائة وألف ميلادية وكان فى مدة سلطنة أخيه أحمد مقيما فى محل داخل السراى السلطانى ممنوع التصرف والاجتماع بالناس لايمكن من الخروج من مكانه وعنده بعض صبيان يخدمونه قيل وهو موصوف بالصلاح والتقوى لا التفات له الى السلطنة ولا الى تصرف فى أمر من الامور وكان كلما اجتمع بأخيه السلطان أحمد يقول له لاحاجة لى بسلطنة مطلقا وكان يقال ان السلطان أحمد كلما خطر بفكره شئ من قبل أخيه السلطان مصطفى كان مصطفى يقول له ارجع يا أحمد عما تقصده قيل فكان ذلك سببا للكف عنه فلما تولى السلطنة ظهر عجزه اذ كان ضعيف الرأى منبوذ الكلمة لاهيبة له ولاوقار مغلوبا على أمره والكلمة لوزيره الاعظم واتفق عقب توليته بأيام أن هرب أحد أشراف بولونيا وكان معتقلا فى دار السلطنة بعد الحرب التى أخذ فيها أسيرا وكان هروبه بمساعدة سفير دولة الفرنسيس فى دار السلطنة فأكبر الصدر الاعظم هذا الامر وأعظمه وأمر فقبضوا على السفير وكاتبه وترجمانه وألقوهم جميعا فى السجن ووصل الخبر بذلك الى عاصمة الفرنسيس فهاجوا وماجوا وكادت الحرب تقوم على ساقها وبالغت دولة الفرنسيس فى التهديد والتوعيد والتأهب والاستعداد وكثر الاخذ والرد بين الفريقين أياما ثم كان من أمر ذلك ماسيذكر فى سلطنة السلطان عثمان خان الثانى .

واستمر أحمد باشا الدفتردار يتصرف فى ولاية مصر لاراد لكلمته ولامانع لامره وقد خافه الجند وهابه العسكر فاعتنى بأمرهم واهتم بصرف مرتباتهم

وجماكيهم وعلوفاتهم[١] فساروا سيرة حسنة وانكفوا عن الايذاء والشر[٢] وأمسوا وهم طوع أمره ثم ورد الى الباشا المشار اليه مرسوم السلطان بأن يجيش نحو ألف من العسكر المصرى نجدة لعسكر السلطان القائم الى اليمن لقتال الخوارج من الزيديين وقيل لقتال ملك فارس فأرسلهم صحبة الامير صالح بك أمير الحاج وزودهم بالمال والسلاح والعلوفة فساروا ومروا بالاقاليم المصرية ولم يقع منهم شئ ولا لحق بالاهالى من مرورهم ضرر وقد كان قبل ذلك إذا مر عشرة منهم بقرية أو مدينة عاثوا فيها وأقلقوا راحة أهلها وأهلكوا الحرث والنسل وفعلوا مالا خير فيه فلما فرق فيهم المال نال الرجل منهم عشرين دينارا وبينما هو يتصرف فى الامور على ماألفه من العدل وإغاثة الملهوف اذ جاءه الخبر بخلع السلطان مصطفى وتولية السلطان عثمان[٣] . وتحرير الخبر . أنه لما كان السلطان مصطفى

---

(١) العلوفة : كلمة عربية ووهى المواد الغذائية اللازمة للإنسان والحيوان ، وكانت تحسب على أساس الأجر اليومى ، وكان الانكشارية يعطوها مرة كل ثلاثة أشهر هجرية .

● (أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ص١٥٢) .

(٢) معاملة الجند للأهالى سنة ١٠٢٧هـ ، انتهز العسكر شخصية الوالى الطيبة وثاروا الصغير على الكبير ، وولوا المناصب بمعرفتهم ، وعزلوا من أرادوا وتدخلوا فى عمل الملتزمين ، واستعملوا القهر والظلم حتى عم الفساد ، وقتل الكثيرون ، حتى وصلت أخبارهم للسلطان الأكبر فعزل الوالى مصطفى باشا كفكلى ، وكانت مدة ولايته تسعة أشهر ونصف .

●أحمد شلبى بن عبد الغنى : أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص٨٣ .

(٣) حدث فى عهد السلطان عثمان خان الثانى ابن السلطان أحمد الأول أن أمر بتقليل اختصاصات المفتى ونزع سلطاته التى كانت سبباً فى عزله ، لكن بعد أن أتم ذلك أرسل جيشاً لمحاربة بولونيا التى قاومته بجيش تحت قيادة أمير ولنا والتقى الجيشان عند شوك زم ولشدة القتال توقف الانكشارية عن القتال وطلب البولونيون الصلح الذى تم فى ٦ أكتوبر ١٦٢٠ ، إلا أن السلطان حنق على الانكشارية لموقفهم المتخاذل وإلزامهم له لقبول الصلح لأنه كان يريد أن يجهز عليهم ، وهنا جمع جيشاً آخر وحاول تدريبه ليضرب على الانكشارية ، ولكن الانكشارية انقضت عليه وقبضوا عليه ونقلوه إلى قلعة السبع قلل (يدى قلة) حيث كان فى انتظاره داوود باشا وعمر باشا الكيخيا وقلندر أوغلى وغيرهم وقتلوه ولم يكن سنه تتجاوز الثامنه عشرة من عمره ومدة حكمه أربع سنين وأربعة أشهر وبقتله أصبح الحكم ألعوبة فى أيدى الانكشارية ، ينصبون من يشاؤون ويعزلون من يشاؤون ، وبانتشار الفوضى فى البلاد اشهر والى طرابلس الشام استقلاله وطرد الانكشارية من ولايته وقلده والى ارضروم (أباظة باشا) بدعوى أنه يريد=

ممن تربى فى حجر الانزواء وكانت أحواله مخالفة للمألوف من حال الزمان وكان مغلوبا على أمره كما تقدم القول لم تطل مدة تصرفه سوى ثلاثة أشهر وعشرة أيام ثم قام عليه كبار الدولة وأصحاب الكلمة وبينهم شيخ الاسلام وقظلار[1] أغاسى السراى السلطانية وبعض الحريم فخلعوه ليلة الاربعاء ثالث ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وألف هجرية ثم أودع فى جب داخل السراى . قال بعض الكتاب وسد عليه بابه ماعدا روزنة[2] لطيفة ينزل منها الطعام والشراب وولوا بدله السلطان عثمان ابن السلطان محمد خان الثانى .

=الانتقام لمقتل السلطان شهيد الانكشارية وسار إلى سيواس وأنقره ففتحها وهزم انكشاريتها ، وتبعه والى سيواس وسنجق قره شهر ثم سار إلى مدينة بورصة فحاصر قلعتها واستمرت الفوضى والحروب ١٨ شهراً شبع فيها الانكشارية نهباً وقتلاً وعينوا كما نكس على باشا صدراً أعظماً فأشار عليهم بعزل السلطان مصطفى ثانية لضعف عزيمته فعزلوه فى ١٥ ذى القعدة ١٠٣٢هـ وولوا السلطان مراد الرابع وبقى فى العزل إلى أن توفى فى غضون ١٠٤٩هـ (١٦٣٩م)

● (محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، المرجع السابق ، ص ص٢٧٨ ، ٢٧٩) .

(١) أى أغا البنات ، وهو خصى أسود يشرف هو ومن تحته من الأغوات السود على جناح الحريم فى بيت الحاكم الذى كان يسمى بالتركية دار سعادت أغا سى وهو أكبر موظفى القصر الهيمايونى ، وكان أغوات البنات هدايا يقدمهم ولاة مصر للسلاطين ، وقد عظم نفوذهم فى بداية القرن السابع عشر إلى منتصف القرن ١٨ وظل هذا المنصب إلى إلغاء السلطة العثمانية .

● ميخائيل شاروبيم ، الكافى ، جـ٥ ، ق٣ ، ص ص٢١٠ ، ٢١١ حاشية ٢٢ ، تحقيق عبد الوهاب بكر (دكتور) ٢٠٠٣) .

(٢) روزنة : فتحة صغيرة فى السقف .

## (الفصل الثامن)

## (فى سلطنة السلطان عثمان ابن السلطان محمد خان الثانى)

ثم قام بالامر بعد السلطان مصطفى السلطان عثمان ابن السلطان محمد خان الثانى بويع بالملك يوم الاربعاء ثالث ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وألف هجرية أى سنة تسع عشرة وستمائة وألف ميلادية[١] وله من العمر أحدى عشرة سنة لاغير . قال بعض أصحاب التاريخ فكان مع صغر سنه واسع الفكر هماما ذاهيبة فأول عمل بدأ به هو أنه أمر فأطلقوا سفير الفرنسيس وكاتبه وترجمانه من الحبس وسير الى ملك الفرنسيس وهو يومئذ الملك لويز الثالث عشر رسولا يستعطفه ويستميله الى الصفح فأجابه الى ذلك وعادت الامور بين البلادين[٢] الى سابق مجراها فعمد السلطان بعد ذلك اصلاح مافسد من أحوال الدولة ودفع ما استولى على جميع أمورها من الخلل فلم يتمكن لخروج العساكر عن الطاعة وتطرق الفساد الى جميع المصالح وأخذ الاوغاد والاغرار بزمام جميع الامور وتصدرهم فى الوظائف العالية والمراتب السامية ومع ذلك فان هذه الشوائن[٣] لم تقعده عن الغزو وفتح المدن والبلدان فتأهب لقتال مملكة بولونيا وجعلها حدا بين أملاكه وأملاك الروس وجيش لذلك الجيوش وأعد المعدات وخاف ان يترك أخاه الامير محمدا فى دار السلطنة فينازعه فى الملك فأمر بقتله[٤] صبرا وكان الى هذا الحين لايبرم أمرا فى دار السلطنة إلا بإشارة مفتيها ولايتم للسلطان ورجال الدولة عمل إلا برأيه فكان يعزل ويولى من يشاء من الولاة والحكام

---

(١) ورد هنا أن السلطان عثمان بن السلطان محمد خان الثانى تولى فى فبراير١٦١٩م ، بينما ورد فى محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية أنه تولى فى فبراير ١٦١٨ وأنه ابن أحمد الأول وليس كما هو وارد هنا وظل فى الحكم إلى سنة ١٦٢٢ ، (ص٢٧٦ ، ٢٧٨) .

(٢) البلادين صحتها البلدين .

(٣) الشوائن : الأمور الشائنة .

(٤) القتل صبراً : ورد فى المصباح المنير «كل ذى روح يوثق حتى يقتل فقد قتل صبراً» وهكذا تظهر علامة قتله .

● المصباح المنير ، ط١٩٢٥ ، ص٤٥٢ .

ويمضى الاحكام بلا معارض ولامنازع فخاف السلطان منه وخشى من تركه فى دار السلطنة على هذا الحال من نفوذ الكلمة وبسط اليد لاسيما وقد كان الانكشارية لايقفون عند حد وقد تفشى الخلل والفساد بين كبارهم وصغارهم فنزع منه ذلك النفوذ وأبعد عنه تلك الهيبة وأوقفه عند حد الافتاء لاغير ليأمن شره وسير فى طلب أحمد باشا الدفتردار والى ديار مصر فجاءه المرسوم السلطانى بالانصراف عن الولاية فانصرف عنها فى يوم الخميس[1] ثالث عشر صفر سنة تسع وعشرين وألف هجرية فكانت مدة تصرفه سنتين وأحد عشر شهرا وثلاثة أيام كلها اسعاد وبركة وخير ورفاهية على البلاد وأهلها .

مطلب ولاية مصطفى باشا السلحدار

وولى بعده مصطفى باشا السلحدار[2] فدخل القاهرة فى ثالث عشر صفر من السنة ثم سار السلطان بجيوشه لغزو[3] مملكة بولونيا فالتقى الجمعان واقتتلا قتالا عنيفا للغاية ولما كانت طوائف الانكشارية مضطربة الاحوال ناقمة على

---

(١) ورد فى أوضح الإشارات أن الولاة فى هذه الحقبة على النحو الآتى :
١- كفكلى مصطفى باشا من ١٠٢٧-١٠٢٨ (١٦١٨-١٦١٩م) .
٢- جعفر باشا الوزير من ١٠٢٨-١٠٢٨هـ/١٦١٩م .
٣- مصطفى باشا ١٠٢٨-١٠٢٩هـ/١٦١٩-١٦٢٠م .
٤- قرا حسين باشا ١٠٢٩-١٠٣١/١٦٢٠-١٦٢٢ .
ص ص٨٣-٨٤ .

(٢) هو المسئول عن تسليح الجيش ومخازن الأسلحة .

(٣) تدخلت بولونيا فى شئون إمارة البغدان لمساعدة (جراسيانى) الذى عزل بناء على مساعى أمير ترنسلفانيا وأضيفت إمارته إلى اسكندر شربان أمير الفلاخ وصارت الإمارتان تابعتين له ، فاتخذ السلطان العثمانى هذا سبباً لإعلان الحرب على بولونيا لفتحها وجعلها فاصلاً بين أملاك دولته وبين روسيا .
وسار الجيش العثمانى والتقى بأعدائه عند شوك زم حيث ضرب العثمانيون حصونهم دون جدوى ، فطلبت الانكشارية الكف عن الحرب ، وطلب البولونيون الصلح لفقد قائدهم ، وتبودلت المفاوضات بينهما ، وتم الصلح فى ٦ أكتوبر سنة ١٦٢٠ ، فحنق السلطان على الانكشارية لطلبهم الراحة والخلود للكسل حيث لم يحقق هدفه بضم أراض إلى أملاكه .
أراد السلطان أن يعيد الكرة وجيش جنوداً جديدة ودربها وشرع فعلاً فى الهجوم إلا أن الانكشارية تذمروا وتمردوا عليه واتفقوا على عزله ، وتم لهم ذلك فى ٢٠ مايو ١٦٢٢ ، وأعادوا مكانه السلطان مصطفى الأول .
● محمد فريد : مرجع سابق ، ص ص٢٧٧ ، ٢٧٨ .

السلطان تقاعست عن الحرب وأظهرت الملل وطلبت مخابرة البولونيين فى تقرير قاعدة للصلح والكف عن القتال فمانع السلطان فى ذلك وأبى الا القتال حتى يتم له النصر فلم يفلح وأبى الانكشارية الا عقد الصلح وألحوا فى الطلب وبالغوا فى التهديد فتقرر الصلح بين الفريقين وعاد الانكشارية الى دار السلطنة الى أن كان من أمرهم ماسيتّلى عليك فى موضعه . ولما عاد السلطان الى القسطنطينية خلع مصطفى باشا عن ولاية الديار المصرية أخريات سنة تسع وعشرين فكانت مدة تصرفه سنة الا شهرا لم يأت فيها من الاعمال شئ يذكر فانه كان ضعيف الرأى خامل الفكر كثير التحجب والانزواء . وولى بعده جعفر باشا وكان جعفر باشا هذا لما قدم من اليمن أقام بالقاهرة أياما والناس يترددّون عليه فكان ذا علم وفضل ومشاركة فى غالب العلوم العالية وابحاث جيدة فلما رأى اقبال الناس عليه وميل قلوبهم اليه طمع فى الولاية فأرسل الى دار السلطنة التماسا بذلك ولبث ينتظر الجواب وكان لما علم مصطفى باشا بذلك خشى الفتنة وساءه مافعله جعفر باشا فأرسل اليه بعض كبار الامراء يحثه على الرحيل عن مصر ويعلمه شر عاقبة البقاء فامتنع أوّلا ثم عاد فأذعن وسافر برا فى نفر من أتباعه وحاشيته ولكنه لم يلبث ان عاد بمرسوم الولاية فخرج لاستقباله الامراء والعلماء وأكابر الدولة وكبار العسكر ودخل القاهرة فى موكب لم يعهد له مثيل وفرح العامة والخاصة بقدومه وكان دخوله القاهرة فى أواسط صفر سنة ثمان وعشرين وألف كما تقدم القول فلم يستقر به المقام حتى فشا الطاعون بمصر والقاهرة ثم عم جميع القرى والمدن وكثر الموات فى الناس واشتد اشتدادا عظيما فقفلت الاسواق بمصر والقاهرة قال بعض كتاب الاخبار الا أسواق الأكفان فلم تقفل ليلا ولا نهارا ومنع جعفر باشا عامل[1] الاموات من التعرض للأموات فكان الناس يدفنون موتاهم بغير اذن فى الليل والنهار واستمر الحال على هذه الشدة

مطلب
ولاية جعفر باشا

(١) عامل الأموات هو المسئول عن عملية دفن الموتى ، وكان يسمى الجبّان أى الذى يعمل فى الجبانة (المقابر) .

نحو الشهرين مات فيهما خلق كثير لايكاد يدخل تحت حصر ثم ارتفع الموات وزال فسكنت القلوب واطمأنت الخواطر وكره الناس جعفر باشا وتطيروا من ولايته وحسبوها شؤما على البلاد . فلما كان شهر رمضان[١] سنة ثمان وعشرين وألف جاءه مرسوم السلطان بالعزل فسافر بحرا الى الديار الرومية فكانت مدة تصرفه ستة أشهر وأياما قال بعض كتاب الأخبار فلم يقم بالديار الرومية الا أشهر قلائل ومات فعاد ولده الى مصر وعاش بها فقيرا وليس له من يسأل عنه .

مطلب
ولاية مصطفى باشا

وتولى بعده مصطفى باشا فدخل القاهرة فى عاشر رمضان سنة ثمان وعشرين وألف فلم تستقر به الولاية حتى جار وظلم وضرب المغارم والمكوس[٢] وأكثر من جمع الأموال بجميع وسائل العسف والقهر وشدد على أصحاب الأموال وضيق وهدد وبالغ فى الارهاب فكثر الوشاة وأصحاب السعاية على بابه ينقلون له أخبار الناس فضاقت أحوال أصحاب الأموال واختلت جميع الأمور فكان من وشى به اليه وبذل ماطلبه منه سلم ومن تقاعس ولم يبذل حقر وأخذ منه أكثر مما طلب منه قال بعض كتاب الأخبار وتتبع أثر مصطفى بك البقجلى زعيم ثورة[٣] الجند التى حصلت على عهد مصطفى باشا وقبض عليه وقتله بيده فظن الناس قيام الفتنة بسببه وتمنوا ذلك فلم يحصل فكبر خوفهم منه ورفعوا ظلامتهم

---

(١) رمضان ١٠٢٨هـ = سبتمبر ١٦١٩م .

(٢) المكوس : هى كل ما تحصل من الأموال لديوان السلطان أو لأصحاب الإقطاعات أو لموظفى الدولة خارجاً عن الخراج الشرعى .

● د سعيد عاشور : العصر المماليكى ، مرجع سابق ، ص٤٥٣ .

(٣) أدى ضعف الدولة العثمانية فى نهايات القرن ١٦ إلى امتداد ما أصابها إلى باقى ولاياتها ومن بينها مصر ، وقد بدأت ثورات العسكر فى مصر فى نهايات القرن١٦ ، فقد كان الفرسان السباهية من القوات العثمانية يتمركزون فى الأقاليم ، وكانت مهمتهم مساعدة رجال الإدارة الإقليمية (الكشاف) فى جمع الضرائب والمحافظة على النظام فى الكشوفيات .

وفى النصف الثانى من القرن ١٦ انخفضت قيمة العملة الفضية فى الدولة العثمانية نتيجة لحاجة الدولة إلى المال لدفع رواتب الجند والموظفين الذين تضخمت أعدادهم ، وزاد من تفاقم الأمر تدفق الفضة من أمريكا ، فانهارت قيمة النقد العثمانى .

وفى مصر خفضت السلطة المحلية قيمة البارة (نصف الفضة) بمقدار النصف ، فانخفضت تبعاً لذلك القيمة الشرائية لرواتب العسكر والموظفين . =

الى دار السلطنة وضجوا وطلبوا خلعه فجاء مرسوم السلطان بخلعه فى ثالث رمضان سنة تسع وعشرين وألف فكانت مدة تصرفه سنة الا ثلاثة أيام .

مطلب ولاية حسين باشا

وتولى بعده حسين باشا فى ثالث عشرى الشهر المذكور ووصل الى القاهرة وأدرك مصطفى باشا المعزول قبل سفره فمنعه من السفر وأنزله من قلعة الجبل الى بيت مراد باشا بالسبع[1] قاعات بالقاهرة وجعل على بابه الحرس وتركه على هذا الحال أياما ثم طلبه فلم يجده وكان قد تخلص بتدبير أحد كبار الدولة وسار الى الديار الرومية فتبعه كثير ممن صادرهم وأخذ أموالهم فادعوا عليه ونالوا منه وأخذوا جميع ما كان اغتاله منهم وسار حسين باشا الوالى الجديد سيرة حسنة للغاية فأبطل بعض المغارم والمكوس المستحدثة على أيام مصطفى باشا ورتب أمور الدولة وأحكم نظام ما اختل منها أيام أسلافه ووقع فى أيامه غلاء عام حتى بيع إردب القمح بالكيل المصرى[2] بمائتى نصف فضة[3] والشعير

=فبالنسبة للموظفين فقد لجأوا إلى تقبل الرشا لمقابلة ذلك النقص فى رواتبهم ، ولم يكن أمام العسكر سوى أن يستخدموا وظائفهم فى الحصول على المال ، وعلى ذلك فقد قام العسكر العثمانيون باستغلال نفوذهم فى الريف المصرى للحصول على المال ، ففرضوا ما سمى فى ذلك الوقت (الطلبة) على الأهالى ، وهو نوع من الإتاوة يقررها الحاكم فى الإقليم لهم نظير خدماتهم وكانت تضاف إلى الضرائب التى يدفعها الأهالى للحكومة مما أثقل كاهل الأهالى .

وكان من نتيجة ذلك أن تزايدت جرأة الجند إلى حد مهاجمة القاهرة فى عهد الوالى شريف محمد ١٥٩٦/١٥٩٨م وقتل أتباعه ، وتزايدت مظالمهم ، وظلوا على عنادهم وثوراتهم ضد الولاة حتى جاء إلى مصر الوالى محمد باشا ١٦٠٧-١٦١١م وتمكن من القضاء على ثورتهم فى معركة الخانقاه السرياقوسية . ثم ثاروا من جديد فى أيام مصطفى بك وقتلوه سنة ١٦١٩/١٦٢٠ .

● دانيال كريسيليوس : المرجع السابق ، ص ص٨١ ، ٨٢ ، أوضح الإشارات لأحمد شلبى ، ص٨٤ .

(١) السبع قاعات بالقاهرة : وهو خلف باب الانكشارية بالقلعة بالقاهرة ، وهو باب الشرك أو باب سر القلعة وقد سماه ابن إياس باب السبع قاعات أو السبع حدرات ، وقد بناها محمد بن قلاوون لإسكان عبيده عند أقصى جنوب منطقة القلعه غرب مسجد محمد على الآن ويوصل إلى قرة ميدان .

● (تاريخ وقايع مصر القاهرة المحروسة ، مرجع سابق ، ص١٣٣) .

● مخطوطة الدرة المصانة ، تحقيق كريسليوس ، ود . عبد الوهاب بكر ، مرجع سابق ، ص ص١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) الكيل المصرى : ووحداته الكيلة والويبة والقدح والأردب ، ١٢ كيلة .

(٣) الفضة : عملة سكت فى العصر العثمانى وكان نصفها يعرف بالبارة وكان القرش ٤٠ نصف فضة .

● عجائب الآثار للجبرتى ، جـ٣ ، ص١٦ .

بمائة وعشرين نصفا والفول بمائة وستين نصفا وكذلك بقية الغلال فكانت شدة عظيمة للغاية . ثم زاد النيل زيادة فوق الحد وعم جميع الارض وثبت على الزيادة فوق جميع الاراضى لغاية شهر هاتور القبطى حتى كاد الناس ييأسون من زرع الأرض ثم هبط فتمكنوا من الزرع ولكنه لم يأت الا بما قل من المحصول وضربت على الناس فى أيامه أيضا ضريبة جديدة هى ضريبة النطرون[1] وقد فرضت على جميع المدن والثغور فتألم الناس منها وراجعوه فى رفعها فلم يرض فانحرفت الخواطر عنه وابتعدت القلوب ونقموا عليه وظهر الخلل فى جميع أمور الدولة واستخف الناس بحرمته وزالت عنهم هيبته فعاد أهل الفساد فى جميع المدن والقرى للعبث وكاد يستفحل أمرهم فلما كان عاشر ربيع الآخر سنة احدى[2] وثلاثين وألف جاء مرسوم السلطان بعزله فكانت مدة تصرفه سنة وسبعة أشهر وعشرة أيام .

مطلب ولاية محمد باشا البستنجى

وتولى بعده محمد باشا البستنجى فى حادى عشرى ربيع الآخر ولكنه لم يقدم الى مصر لقيام الفتنة فى دار السلطنة وخروج طوائف الانكشارية عن طاعة السلطان عثمان وخلعهم اياه ثم سجنه ثم قتله فناب عنه فى الولاية على مصر حسن افندى الدفتردار . قال أصحاب التاريخ لما ظهر عصيان الانكشارية أيام قتال البولونيين امام مدينة شوك زم[3] واكراههم السلطان عثمان على عقد الصلح مع البولونيين والكف عن القتال والحاحهم فى ذلك عاد السلطان إلى القسطنطينية

---

(١) ضريبة النطرون : وهى مبالغ فرضت على استخراج النطرون من الصحراء غربى الدلتا (منطقة وادى النطرون) وتجارته ، ولم تكن موجودة من قبل .

(٢) ١٠ ربيع آخر ١٠٣١هـ = ٢٢ فبراير ١٦٢٢م .

وقد ورد فى أوضح الإشارات ص٨٥ أن محمد باشا البستنجى قدم إلى مصر فى ٤ جماد آخر ١٠٣١هـ/ ١٦ أبريل ١٦٢٢م - يوليه ١٦٢٢م .

ثم تولى إبراهيم باشا السلحدار ١٠٣١ - ١٠٣٢هـ .

(٣) مدينة شوك زم : مدينة بها قلعة بالقرب من ويلنا ، وقد تغير اسم هاتين البلدتينن كما تغيرت أكثر الأسماء بالتداول والزمن .

● (محمد فريد : تاريخ الدولة العلية - المرجع السابق ، ص٢٧٨) .

وقلبه يلتهب غيظا وأقسم أن يستأصل الانكشارية ويمحو آثارهم عن وجه الأرض فرسم من هذا الحين بجمع عسكر جديد فى بعض عمالات[1] آسية وجعل يعدّ لهم المعدات ويبالغ فى إنتقائهم وتنظيمهم فأحس الانكشارية بذلك وعلموا ماوراء التقاعد والسكوت فقاموا على قدم واتحدوا على خلع السلطان فخلعوا بيعته فى التاسع من رجب سنة احدى وثلاثين وألف هجرية ودخلوا عليه فى قصره وهو بين نسائه وجواريه وقبضوا عليه وأخذوه قهرا الى محلتهم وسبوه باقبح السب والشتم ثم نقلوه الى قلعة يدى قلة فلبث بها يوما وبعض يوم ثم دخل عليه جماعة من كبار الدولة وأصحاب الفتنة فقتلوه ونادوا بولاية السلطان مصطفى الأول ثانية بدله وطيروا الخبر بذلك الى الآفاق فكانت سلطنة السلطان عثمان أربع سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وكان جليل القدر واسع المعرفة كبير السياسة عظيمها شديدا فى الحروب عظيم التدبير ومع هذا كله فانه لم يفلح مع جماعة الانكشارية ولم يقدر على ابادتهم كما كان يتمنى .

ومات فى سلطنة السلطان عثمان يوحنا بطرك [2] المتأصلين فكانت أيامه كلها شدة وعناء وضيق وفناء ومصائب واحن ومحن ذاق فيها القبطة من جور العمال وظلم الحكام وعسفهم أشكالا وكانت مدة تصرفه ثلاث سنوات فاقيم بعده يوحنا وهو رابع تسعيهم وأصله من بلدة صدفة يعرف بابن المصرى وكان تقيا ورعا كثير الصدقة مهيبا محبوبا ووقع فى أيامه من الحوادث ما سيذكر فى محله .

---

(١) عمالات : ولايات .

(٢) يوحنا البطريرك (٩٣) هو يوحنا الثانى عشر تولى الكرسى البطريركى ما بين عامى ١٤٨٠-١٤٨٤ وكانت أيامه فعلاً ضنك شديد وبلغت ثلاث سنوات وأربعة أشهر وتولى بعده البطريرك يوحنا الثالث عشر وترتيبه فى البطاركة ٩٤ وهو فعلاً من بلدة صدفا مديرية أسيوط وكان يعرف أولاً بابن المصرى وتولى البطريركية فى الفترة من ١٤٨٤ إلى ١٥٢٤م .
وبذا لا يكون كلاهما هما بطريركا هذه الفترة بينما بطريركيها فهما يوحنا الخامس عشر ، تولى من ١٦١٣ إلى ١٦٢٣ وهو البطريرك التاسع والتسعون ثم البطريرك متاؤس الثالث البطريرك المائة من ١٦٢٣ إلى ١٦٤٢ .

● (منسى يوحنا : المرجع السابق ، ص ص٥٢٧ ، ٥٢٨) .

# (الفصل التاسع)

## (فى سلطنة السلطان مصطفى[١] الثانية)

ثم قام بالامر بعد قتل السلطان عثمان السلطان مصطفى ارجعوه الى تخت الملك ثانى يوم قتل السلطان عثمان فى ثامن رجب سنة احدى وثلاثين وألف[٢] هجرية أى سنة ثمان وأربعين وستمائة وألف ميلادية ولم تستقر به السلطنة حتى قامت الفتنة واشتد لهيبها فانه لما تم لطوائف الانكشارية ما أرادوه من خلع السلطان عثمان وقتله كبر استخفافهم بالامور واستصغارهم لكبار الدولة ورجال السلطنة فعاثوا فى القسطنطينية وأفسدوا وصاروا يعزلون ويولون من يشاؤن[٣] من الوزراء وكبار الدولة ويبيعون الوظائف جهارا ويقبضون على من يتوسمون فيه سمة الانكار حتى اختلت جميع الامور وفسد نظام الدولة وزالت هيبة السلطنة وظهر الاوغاد وأسافل الناس وقبضوا على زمام الأمور واشتد الكرب وسرت نار الفتنة الى جميع العمالات التابعة لدار السلطنة فنهض والى طرابلس الشام ووالى ارضروم[٤] إلى شق عصا الطاعة وركب والى ارضروم فى عسكر عظيم للغاية ونادى بالثارات عثمان ونزل على مدينة سيواس وانقره وفتحهما واعمل السيف فيمن كان فيهما من طوائف الانكشارية وضبط أموالهم وأرزاقهم ثم سار الى مدينة بروسة وقد تبعه والى سيواس[٥] ووالى سنجق قره شهر فحاصروها وأقاموا على

---

(١) بعد مقتل السلطان عثمان خان الثانى فى ٨ رجب ١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م ولى الانكشارية السلطان مصطفى مرة أخرى الحكم ١٦٢٢/١٠٣١م وليس ١٦٤٨م كما ورد فى هذا الكتاب ، وقد عزل السلطان مصطفى هذا فى ١١ سبتمبر ١٦٢٣ ليتولى مكانه السلطان مراد الرابع ، وبقى السلطان مصطفى فى العزل إلى أن توفى فى غضون سنة ١٠٤٩هـ ، ١٦٣٩م .

● (محمد فريد : تاريخ الدولة العلية – المرجع السابق ، ص٢٧٩) .

(٢) ١٠٣١هـ = ١٦٢٢م وليس ١٦٤٨م كما هو هنا .

(٣) يشاءون .

(٤) أرضروم : إحدى بلاد العراق ، وكانت تابعة لولاية بغداد حتى القرن ١٩ حيث تقع إلى الشرق من تركيا .

● (عبد العزيز سليمان نوار (دكتور) : تاريخ العراق الحديث – القاهرة ١٩٦٨ ، ص١٠٥) .

(٥) سيواس وقره شهر : مدينتان فى وسط الأناطول بين أنقرة وقيصرى .

● (محمد فريد : تاريخ الدولة العلية – المرجع السابق ، ص٢٧٩) .

حصارها ثلاثة أشهر حتى دخلوها عنوة ووردت الاخبار بذلك الى القسطنطينية فلم يلتفت اليها لاشتغال طوائف الانكشارية بالنهب والسلب والقتل واراقة الدماء ظلما وظل الحال على ذلك من الخلل والارتباك سنة ونصف سنة والناس فى ضيق ماعليه من مزيد ثم اجتمع رجال الدولة واتحدت كلمتهم على تولية على باشا كما ضم منصب الصدارة وتفويض الأمور اليه لعله يتمكن بخبرته من ارجاع الامور الى سابق مجراها فتولى المنصب وجعل يتصرف فى الامور ويدبر الاحوال جهد الاستطاعة ويعمل على اعادة الامن الى داخلية البلاد ويدفع غارات الانكشارية عن أهلها بالتى هى أحسن حتى كان من أمره بعد ذلك ماسيذكر فى محله . ولم تثبت نيابة حسن افندى الدفتردار فى ولاية مصر عن محمد باشا البستانجى فقد صرف محمد باشا المذكور عن الولاية قبل أن يقدم الى مصر فكانت مدّة تصرف حسن افندى الدفتردار أربعة أشهر وسبعة أيام .

مطلب
ولاية إبراهيم باشا السلحدار

ثم تولاها ابراهيم باشا السلحدار ودخل الى رشيد فى يوم الجمعة ثانى عشرى شعبان سنة احدى وثلاثين[1] وألف ووصل الى القاهرة فى أوائل رمضان من السنة وكان ذا فكر ومهابة واسع الدراية صاحب تدبير ولكنه كان محبا للمال والكسب بكل ماتصل اليه قدرته واتفق انه وقع فى أيامه غلاء زائد جدا فجاء الناس من الاقطار الحجازية والديار الشامية ومن غزة وغيرها الى مصر ليمتاروا[2] فمن كان ذا مال امتار مايحتاج اليه ورجع الى أهله ومن لا مال معه وله قدرة على الكسب أو الخدمة صار يقتات من خدمته أو كسبه ومن لامال له ولا قدرة له على الكسب ولا الخدمة صار يستعطى حتى امتلأت مصر وقراها منهم فكان مابيع فى مصر والمدن والكفور والثغور والقرى من القمح والفول والعدس والشعير وبقية الحبوب شيأ كثيرا جدا لايكاد يدخل تحت حصر . ولما طالت أيام ابراهيم باشا تغيرت أحواله وتزايد جوره وجور اتباعه وكثرت على الناس طلباته وطلبات

(١) ١٦٢٢م .
(٢) يمتارون بمعنى يجلبون الطعام والميرة .

اتباعه فكانت له تجارة واسعة فى بن القهوة يأتيه من اليمن فى كل عام فكان يلزم به التجار ومشايخ الاسواق فحصل لهم بسبب ذلك خسارة عظيمة فشكوا اليه فلم يلتفت لشكواهم فرفعوا ظلامتهم الى بعض كبار الدولة فتحرك عليه جماعة منهم ومنعوه من ذلك فانحط قدره وقصرت كلمته وبقى مقهورا مدحورا الى أن صرف عن الولاية فى يوم الاربعاء سابع رمضان سنة اثنتين[1] وثلاثين وألف هجرية فكانت مدّة تصرفه سنة واحدة وتسعة عشر يوما

مطلب
ولاية مصطفى باشا

وتولى بعده مصطفى باشا فدخل القاهرة فى الثانى والعشرون من رمضان فلما صعد الى قلعة الجبل أتى اليه كتبة الديوان يشكون من ابراهيم باشا المعزول وقالوا أنه أخذ من مال الخزينة السلطانية أموالا جزيلة فسير مصطفى باشا فى اثره جماعة من العسكر فالتقوا به فتهددهم فرجعوا وأخبروا بما كان فسير اليه مصطفى باشا الامير صالح بك فادركه وقد نزل البحر عند الاسكندرية فسأله أن يتربص فقال انى سائر الى دار السلطنة فاذا كان على للخزينة شئ دفعته هناك فألح عليه صالح بك فلم يلتفت لكلامه وأقلعت به المركب فأطلقوا عليه المدافع من طابية منارة الاسكندرية فلم ينله منها ضرر ونجا بما كان معه من الاموال والمتاع وكان شيأ كثيرا* فلما وصل الى القسطنطينية لم يصبه من جانب السلطنة شئ لاشتداد الفتنة يومئذ وارتباك الاحوال وتعذر ارجاع الامور الى سابق مجراها وانكماش على باشا الصدر الاعظم ورفضه البقاء فى منصب الصدارة أن بقى السلطان مصطفى فى منصب السلطنة مع ماهو فيه من وهن العزيمة وضعف العقل وعدم الوقوف عند حدّ فلما رأى رجال الدولة أن لاخلاص من هذه الفتن الابخلع السلطان قاموا عليه وخلعوه فى يوم السبت الثالث والعشرين من ذى القعدة وقيل فى الخامس والعشرين منه سنة اثنتين وثلاثين وألف هجرية وولوا بدله ابن أخيه السلطان مراد ابن السلطان أحمد فكانت سلطنة السلطان مصطفى سنة واحدة لاغير .

---

(١) ٧ رمضان ١٠٣٢هـ = ٥ يوليو ١٦٢٣م .

# (الفصل العاشر)

## (فى سلطنة السلطان مراد الرابع ابن السلطان[1] أحمد)

ثم قام بالامر بعد خلع السلطان مصطفى ولد أخيه السلطان مراد بويع له بالملك يوم الأحد فى الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين وألف هجرية أى سنة ثلاث وعشرين وستمائة وألف ميلادية فكان مغلوبا على أمره لا كلمة له الحداثة سنه اذ كان لايناهز الثانية عشرة من العمر وكانت كلمة الانكشارية فوق كل كلمة ويدهم فوق كل يد . قال أصحاب التاريخ ولما كان كل من يتولى الحل والعقد فى تلك الايام من أهل هذا الاختلال والغش كان الخروج من هذه الدائرة الفاسدة واصلاح الامور من المحال وشاع الخبر بذلك عند ملوك الدول المجاورة وكثر تحدّثهم به وكان ممن سره هذا الخلل وافرحه وهن أركان الدولة العثمانية عباس شاه[2] ملك فارس لما كان بين الدولتين من البغضاء والشحناء فاغتنم هذه الفرصة وعمد الى أخذ بعض بلاد الدولة العثمانية وارجاع ما أخذ من بلاده وسار فى جيش عظيم الى بغداد فحاصرها وكان بها

---

(١) هو ابن السلطان أحمد الأول ابن السلطان محمد الثالث ، ولد فى ٢٨ جمادى الأولى ١٠١٨هـ (٢٩ أغسطس ١٦٠٩م) وولاه الانكشارية بعد عزل عمه السلطان مصطفى الأول ابن السلطان محمد الثالث ، وقد كان حديث السن مما جعله ضعيفاً أمامهم فى أعمالهم الاستبدادية ، واستمروا كذلك خلال العشر سنوات الأولى من حكمه فى غى وطغيان ثم سيرته هنا حيث كانت ولايته من ١٦٢٣-١٦٤٠م . ويلاحظ رجوع المؤلف إلى التواريخ الصحيحة

● (محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق ، ص٢٨٠) .

(٢) انتهز الشاه عباس ملك الفرس هذا الخلل السياسى والإدارى فى الدولة العثمانية وأراد أن يوسع أملاكه ويسترد ما أخذه منه العثمانيون ، هذا بالإضافة إلى الفوضى التى كانت فى بغداد نفسها ، وذلك أن رئيس الشرطة فيها (بكير أغا) ثار على الوالى وقتله واستبد بالحكم فيها ، وراسل الشاه فى فارس عارضاً عليه تسليم المدينة ، فسار إليها الشاه بجنوده لاحتلالها ، وفى نفس الوقت عرض بكير أغا على القائد العثمانى الذى أتى لتعزيز بغداد وكان حافظ باشا ، عرض عليه أن يرد المدينة للعثمانيين لو أقرته الدولة على ولايتها فقبل ذلك واحتلتها الجنود العثمانية قبل وصول الشاه ، فلما وصلها حاصرها ثلاثة أشهر ثم فتحها بخيانة ابن بكير أغا الذى سلمها له بشرط تعيينه حاكماً عليها من قبلهم ولكن الشاه أمر بقتله فقتل ، أما الصدر الأعظم فكان مظلوماً .

● (محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، المرجع السابق ، ص٢٨٠) .

عسكر السلطان فأقام على حصارها حتى احتلها عنوّة وأعمل السيف فى أعناق من بها من العسكر السلطانى وقتل جميع كبار الدولة وعظماء الجند ووردت الاخبار بذلك الى القسطنطينية فهال السلطان هذا الامر وأزعجه جدا وكان للصدر الاعظم كثير من الاعداء والخصوم من بطانة السلطان وقرنائه فوشوا به عند السلطان وقالوا أن سقوط دار السلام[1] فى يد العدوّ انما كان بخيانة الصدر الاعظم فغضب السلطان وأمر بقتله فقبضوا عليه وقتلوه وولى مكانه شركس محمد باشا فلم تطل مدته ومات وتولى الصدارة بعده حافظ باشا .

وورد مرسوم السلطان الى مصطفى باشا والى مصر بتثبيته فى مقام الولاية والايعاز اليه بالرفق بالرعية والقيام بما يلزم للحرمين وخروج الحاج فى أوقاته فقرئ بحضرة العلماء والامراء والمشايخ وأخذ مصطفى باشا يتصرف فى الامور ولكنه لم يلبث ان جاءه الامر بالعزل والعود الى الديار الرومية فلما شاع خبر عزله اجتمع طوائف العسكر على عادتهم وساروا الى عيسى بك نائب الغيبة وطلبوا أن يعطيهم العطايا التى كانوا يأخذونها عند تولية الولاة فلم يعطهم ومنعهم من الإتيان الى ديوانه فألحوا فى الطلب وكرروا النداء فلم يلتفت اليهم فاجتمعوا وساروا من وسط المدينة وهم يضجون وينادون لانريد أحدا يتولى أمور البلاد غير مصطفى باشا وكان مصطفى باشا بعد أن جاءه الامر بالعزل لبث ينتظر الخلف ومازال الجند يطوفون وينادون الى أن وصلوا الى قره ميدان فتحالفوا على أن يكونوا جميعا يدا واحدة وقلبا واحدا ووصل الخبر بذلك الى مصطفى باشا ففرح

---

(١) دار السلام هى مدينة بغداد ، أسسها الخليفة أبو جعفر المنصور ثانى الخلفاء العباسيين ، وشرع فى تخطيطها سنة ١٤٥هـ وأتم بناءها سنة ١٤٩هـ ، وهى قائمة على ضفتى نهر دجلة ، تبعد عن مصب نهر شط العرب المكون من نهرى دجلة والفرات والخليج الفارسى بنحو خمسمائة ميل ، وقد سمى الجانب الشرقى منها بالرصافة والجانب الغربى بالكرخ ، ثم نمت وارتقت فى عهد العباسيين خصوصاً عهد هارون الرشيد والمأمون الذى أنشأ فيها مرصداً فلكياً ، وبلغ عدد سكانها سنة ٢١٦هـ نحو المليونين .

● (محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، المرجع السابق ، ص١١٤ .

فرحا لايوصف وتقوت عزيمته وكتب الى دار السلطنة يلتمس البقاء على ولاية مصر وكذلك كتب العلماء والمشايخ والقضاة فلم تكد تصل رسل مصطفى باشا الى دار السلطنة حتى وصل الخبر بوصول على باشا الوالى الجديد الى ثغر الاسكندرية فسيروا اليه فى الحال من يعلمه بأن الجند وأهل البلاد كافة لاتقبله فبعث هو كتّابا الى العسكر وكافة الامراء والاجناد وأعيان البلاد يمتدحهم ويثنى عليهم ويقول أما بعد فانى لم آت الى مصر الا طائعا لأمر السلطان الذى يجب على وعلى كل مسلم صحيح الدين طاعته فلما قرئت الكتب على أهل الحل والعقد سيروا اليه ثانية يقولون انا لانقبلك فقبض عند ذلك على الرسل وقيدهم فى سجن قلعة الاسكندرية وكان العسكر المرابطون فيها اخوانا لاولئك الرسل ففكوا فى الحال قيودهم وهجموا جميعا على وطاق[1] على باشا المذكور بسيوفهم وقبضوا عليه وأنزلوه فى مركب وأخر جوه من ميناء الاسكندرية وكانت الريح معاكسة فأعادت المركب الى المينا قهراً فأطلق عليه الامير مصطفى أمير جند قلعة[2] المنارة عدة طلقات ثقبت المركب عدة ثقوب ولم تغرقها فخرج القارب من فوره قاصدا الديار الرومية وعاد الرسل الى القاهرة فأخبروا بما جرى ففرح مصطفى باشا بذلك .

ولما كان العشرون من ربيع الآخر سنة ثلاث[3] وثلاثين قدم الى القاهرة من الاسكندرية طائر[4] البطاق يحمل الخبر بقرب وصول قابوجى (أى رسول) من دار السلطنة ومعه مرسوم سلطانى فبعد أيام قلائل وصل القابوجى المذكور ودخل القاهرة فى موكب حافل للغاية وصعد الى قلعة الجبل وجمع الامراء والعلماء وجميع الصناجق وتلا عليهم الفرمان بتثبيت ولاية مصطفى باشا على مصر

(١) الوطاق : هى الخيمة الكبيرة التى تعد للعظماء .
● د . سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص٤٦٢ .
(٢) قلعة المنارة : لعلها ميناء الأسكندرية وسماها كذلك نسبة إلى منار أو فنار الأسكندرية .
(٣) ٢٠ ربيع الآخر ١٠٣٣هـ = ١٠ فبراير ١٦٢٤م .
(٤) حامل الرسائل .

اجابة لطلبهم ثم ألبس مصطفى باشا خلعة سنية وقلده سيفا عظيما ففرح الجند بذلك فرحا لايوصف حيث فازوا بمقصودهم واستقر المنصب بمصطفى باشا فتصرف وعلت كلمته ومالت اليه القلوب وأحبته وزاد النيل فى أيامه زيادة عظيمة فارتفع الى أربع وعشرين ذراعا وثبت على ذلك أياما فخاف الناس من وقوفه الا أنه هبط بعد ذلك سريعا وانكشفت الاراضى ففرح الناس وأخذوا فى الحرث والبذر . وبينما هم على هذا الحال والقلوب مطمئنة والفتن ساكنة اذ ظهر الطاعون بالقاهرة ومصر فى أوائل ربيع الاول سنة خمس وثلاثين وامتد امتدادا سريعا فى جميع المدن والبنادر والقرى وعم البلاد شرقا وغربا فمات به خلق كثيرة . قال بعض الكتاب كان عدد من مات فى هذا الطاعون نيفا وثلثمائة وألف بين الخامسة عشرة والعشرين من العمر واشتد اشتدادا عظيما لم يسبق له مثيل ثم أخذ فى التناقض فى شعبان من تلك السنة وارتفع فى أوائل رمضان فتطاولت يد مصطفى باشا الى أخذ تركات ومقتنيات جميع من ماتوا فى هذا الوباء وادعى لنفسه[1] حق التوريث فشكا الوراث من ذلك فلم يسمع منهم فرفعوا أمرهم الى دار السلطنة وأكثروا من الشكوى فجاء الامر بعزله وتولية بيرم باشا بدله فدخل القاهرة فى جمادى الاولى سنة[2] سبع وثلاثين وألف فكانت مدّة تصرف مصطفى باشا المذكور فى المدة الاولى والثانية نحو ثلاث سنين وبضع أشهر .

مطلب
ولاية بيرم باشا

ولما استقر بيرم باشا المقام منع مصطفى باشا من السفر وحجزه فى بيت بالقاهرة ووكل به من يحرسه ويحاسبه على مافى ذمته من أموال الخزينة وتركات الاموات وألزمه بارجاع جميع ما أخذه فباع كل متاعه وجميع مقتنياته ودفع ما عليه ورحل الى الديار الرومية ولبث بها الى أواخر سنة سبع وثلاثين ثم أمر السلطان بقتله فقتل .

---

(١) حق الوالى فى الاستيلاء على إرث من لا وريث له : وكان هذا جائزاً فى عصر المماليك .
● سعيد عاشور (دكتور) العصر المماليكى فى مصر والشام المرجع السابق ، ص٣٤٨ .
(٢) جمادى الأولى ١٠٣٧هـ = يناير ١٦٢٨م .
بينما ورد فى «أوضح الإشارات» أن بيرم باشا قدم إلى مصر فى ٩ شعبان ١٠٣٥هـ وعزل فى ١٠٣٨هـ (٦ مايو ١٦٢٦م - ٨ سبتمبر ١٦٢٨) ، ص٨٧ .

وتصرف بيرم باشا فكان يرى فى الجند شدة العناد الذى يكاد يذهب بنفوذه ويحط بمرتبته اذ كان تحرشهم لعزل وتولية الولاه والخروج عند أقل سبب وتداخلهم فى أمور الدولة مجلبة للبوار واذهاب رونق النظام الذى أسسه السلطان سليم الفاتح لكل طائفة من الطوائف الحاكمة بديار مصر وقد زاد الجند جراءة وتداخلا تهاون رجال السلطنة واجابتهم الى كل مايطلبون وعدم الالتفات الى مانيجم عن ذلك من الخلل والفساد فبذل بيرم باشا جهده فى ترتيب الامور ومنع هذه المضار واعادة نفوذ الدولة الى ما كان عليه قبلا فلم يفلح ولم يتم له الامر الا بقدر الحاجة فاطمأنت مع ذلك قلوب الرعية وسكنت الخواطر المضطربة بسبب الفتن المتوالية والاحن المتراكم بعضها فوق بعض وراجت أسباب المعاملات وتحسنت التجارة ولكنه أكثر من المكوس والضرائب على أغلب البضائع ولاسيما الصابون فلما كان شهر شعبان[1] سنة ثمان وثلاثين استدعى بيرم باشا المذكور الى دار السلطنة فسار اليها فكانت مدة تصرفه سنة ونحو ثلاثة أشهر . وتولى بعده محمد باشا الوزير فدخل القاهرة فى أواخر شعبان المذكور وصعد الى قلعة الجبل فى موكب حافل وتصرف وجلس للناس على العادة فكان رجلاً حازماً مهيباً واسع الرأى نافذ الكلمة متحجبا عن الناس لاينزل المدينة ولايتجول فى الشوارع ولايزور المتنزهات قيل ولم يظهر فى طرق القاهرة فى مدة تصرفه الا ست مرات وكانت الاحوال فى أيامه هادئة والقلوب مطمئنة وظهرت فى أيامه الفتنة فى بلاد اليمن وخرج أهلها عن الطاعة فعرض على السلطان اخضاعها وتمهيد سبلها وارجاعها الى طاعة الدولة فأجابه السلطان الى ذلك وعهد اليه بالامر فنظم جيشا من العسكر المصرى وبالغ فى تنظيمه وعقد لواءه الى قانصوه بيك أمير الحاج يومئذ فأعجب السلطان ذلك وولى قانصوه بيك المذكور ولاية اليمن واعطاه رتبة الباشاوية فجعل قانصوه المذكور يرتب أمور جيشه ويكثر من معدات الحرب فاجتمع تحت لوائه ثلاثون ألفا وبينهم زهاء

مطلب
ولاية محمد باشا
الوزير

(١) شعبان ١٠٣٨هـ = مارس ١٦٢٩م .

الالف من العساكر العثمانية وقد حضروا من دار السلطنة لهذه الغزوة وأخرج قانصوه خزائنه فكانت كثيرة للغاية وبعد أن رتب أمور جيشه على ماأراد انقطع فى داره أياما لغير سبب معلوم ولا أمر ظاهر فأركنت العساكر الى البغى والفساد وعاثت فى الاسواق وأخذت من الباعة سلعها بغير ثمن فكان اذا مانع البائع عن ماله ضربوه وربما قتلوه وتعرضوا للنساء والصبيان فى الطرق والحارات فانكف الناس عن الخروج وأغلق أصحاب الحوانيت حوانيتهم واحتاج الناس الى الخبز فلم يتيسر الحصول عليه لغلق الحوانيت والافران فضج الناس الى محمد باشا فجمع اليه كبار العسكر العثمانى وكلمهم فى أمر ذلك فكفلوا له الراحة ورد العسكر المصرى عن فعاله وألزموا قانصوه بالخروج والسفر الى اليمن فخرج صاغرا قيل وكان امتناعه لاسباب يطول شرحها وسار بالعسكر وقاتل اليمانيين حتى أخضعهم وأرجعهم الى الطاعة وكان خروجه فى المحرم افتتاح سنة تسع[1] وثلاثين ولبث هناك يتصرف فى الولاية فلما كان شهر شعبان من السنة جاء الخبر الى محمد باشا والى مصر بأن قد نزل فى الشهر المذكور بمكة سيل عظيم فأغرق معظم أرضها وهدم جميع بنيان البيت الحرام ولم يبق منه الا الجدار الايمن فأبلغ محمد باشا هذا الخبر الى دار السلطنة فعهد اليه السلطان أمر ترميمه فقام بذلك وتوسع فى النفقة فكان ما أنفق عليه مائة ألف قرش رومى .

وفى سنة أربعين وألف قصر النيل فى الزيادة وجاء شهر توت ولم يبلغ الستة عشر ذراعا فخاف الناس من حصول القحط فاعتنى محمد باشا بأمر رى الاراضى وتقسيم المياه بقدر الاستطاعة فأمنت البلاد من الجوع وأعطت الاراضى بعض المحصول فاطمأنت القلوب ومالت الى محمد باشا خواطر الرعية وأحبوه وتعلقت آمالهم به ولكنه لم يلبث ان جاء اليه الامر بالقيام الى دار السلطنة فى السنة المذكورة واعتزال المنصب فاعتزله وقام الى الديار الرومية فى ربيع الآخر من السنة فكانت مدة تصرفه سنة وثمانية أشهر .

---

(١) المحرم ١٠٣٩هـ = أغسطس ١٦٢٩م .

مطلب
ولاية الوزير موسى باشا

وتولى بعده الوزير موسى باشا فلما وصل محمد باشا الى القسطينطية قوبل بأحسن قبول وولاه السلطان مسند الصدارة العظمى ودخل الوزير موسى باشا القاهرة سلخ ربيع الآخر سنة أربعين وألف فى موكب حافل وكان الناس قد خرجوا لملاقاته عند شبرا[1] وصعد الى قلعة الجبل فى كبكبة فلما استقر به المنصب أطاع هوى النفس فتطاولت يده الى أخذ أموال الناس وقبول الرشاوى والبراطيل فأداه ذلك الى الجور والظلم والعسف بالناس وترصد أحوال الاغنياء من أهل البلاد وبالغ فى التجسس عليهم وتعقب زلات الاكابر منهم وتفنن فى أفانين السلب والنهب جهد الاستطاعة واتفق أن أرسل السلطان يعهد اليه تجريد حملة من الجند المصرى وتسييرها لقتال ملك فارس فجمع جيشا كبيرا وجعل مقدمه الامير قيطاس ثم فرض على البلاد النفقة لهذه الحملة وبث أصحاب الجباية فطافوا البلاد شرقا وغربا وجمعوا من ذلك مالاً جزيلاً فلما جاؤا اليه بالمال أخذه لنفسه ولم ينفق منه شيأ فى لوازم الحملة فطالبه قيطاس بيك فقال لاقدرة للبلاد على القيام بنفقة العسكر لاسيما وأن الحرب التى أعدت لها هذه الحملة لاتفيد مصر بشئ ما فراجعه قيطاس بيك وألح عليه فى الطلب وبالغ فى الشدة وكذلك فعل أشياع قيطاس بيك وكان الباشا يكره قيطاس المذكور ويتمنى هلاكه فلما عظم الخلاف بينهما استدعى الباشا قيطاس يوم عيد الاضحى العاشر من الحجة من السنة الى قلعة الجبل فصعد اليه فى نفر قليل من غلمانه

---

(١) شبرا : أحد أقسام محافظة القاهرة ، وحى من أحيائها ويقال أنه فى أواخر الدولة الفاطمية غرق فى النيل بالقرب من ثغر المقس مركب اسمه «الفيل» (منطقة ميدان باب الحديد الآن» وترك فى مكانه فتراكم الطمى فوقه وانحسر عنه النيل فصار جزيرة سميت أرض الطبالة (الفجالة الآن) وارتفعت أرضها وسميت جزيرة الفيل واتسعت حتى أخذت شكلها النهائى سنة ٥٧٠هـ فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، وجعلت الجزيرة تتسع حتى وصلت إلى منطقة شبرا الحالية التى يخترقها شارع شبرا الآن وشملت جزيرة بدران ومنية السيرج والشرابية . .

● محمد رمزى : المرجع السابق ، ق٢ ، جـ١ ، ص٤ ، هيئة الاستعلامات : تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص٩٧٣) .

فلما دخل قبض عليه جماعة من أعوان الباشا وقتلوه بالسيوف وأنزلوا جثته فى نعش الى بيته بالمدينة وكان ممن تأهب من الامراء المصريين للخروج مع قيطاس بيك لقتال ملك فارس الامير كنعان بيك والامير على بيك فلما جاءهما الخبر بموت قيطاس قاما واجتمعا بكبار الجند وأعلماهم بخبر قيطاس فاجتمع الجند فى الحال بالرميلة تحت قلعة الجبل وحاصروها من كل جانب واجتمع العلماء والمشايخ والقضاة والصناجق وكبار الدولة بجامع السلطان حسن وتناجوا فى الامر واتفقت كلمتهم على خلع موسى باشا المذكور وتولية من يحل محله حتى يأتى أمر السلطان فخلعوه وولوا حسن بيك مكانه وكتبوا الى دار السلطنة بالواقعة وطلبوا صرف موسى باشا وتولية من يصلح فلم يكن بأسرع من أن ورد الخبر بعزله وتولية خليل باشا .

مطلب ولاية خليل باشا

فلما كان شهر ربيع الأول سنة احدى وأربعين[١] وألف وصل خليل باشا المذكور الى القاهرة وخرج موسى باشا وهو فى أسوأ حال من الخزى والعار فكانت مدة تصرفه نحو سنة الا بضعة أيام وجعل خليل باشا يتصرف فى الأمور فكان جليل القدر عادلاً حازما فسكنت فى أيامه الفتن وزالت عن البلاد الرزايا والاحن وأخصبت الأرض وكثرت محصولاتها فهبطت الاسعار وكثر وارد الغلال والمأكولات وفرح الناس بذلك . وخرج فى أيامه الشريف نامى شريف مكة بجماعة من اللصوص فعاثوا فى الأرض ونهبوا مكة فلما جاء الخبر بذلك الى خليل باشا جيش له جيشا عظيما وجعل مقدمه الامير قاسم بيك فسار وقاتل الشريف ومن معه فاستظهر عليه وظفر بزعماء الفتنة وأعمل فيهم السيف ثم عاد ظافرا منصورا فدخل القاهرة فى صفر سنة اثنتين وأربعين فخلع عليه خليل باشا خلعه سنية واتسعت من هذا الحين كلمة خليل باشا وظهر نبله وكبرت هيبته

---

(١) ربيع أول ١٠٤١هـ = سبتمبر ١٦٣١م .

وأحبته الرعية حكى ابن[1] أبى سرور انه جئ الى خليل باشا المذكور يوما بثلاثة من اللصوص قبض عليهم وهم يسرقون فرسم بمحاكمتهم فقال رجل من ديوانه ليس فى الأمر مايدعو الى المحاكمة وقد قبض عليهم وهم يسرقون

---

(١) محمد بن أبى السرور البكرى (١٠٠٥-١٠٦٠هـ/ ١٥٩٦-١٦٥٠م) .

هو محمد بن أبى السرور شمس الدين البكرى الصديقى المصرى ، المعروف بابن أبى السرور البكرى سليل الأسرة البكرية المعروفة ، ولد فى القاهرة وتوفى بها ، ويبدو من كتاباته أنه كان عميداً للسادة البكرية ، كما أنه كان من أولياء الحكم العثمانى ، وكان وثيق الصلة بولاتهم ، فكانت معظم كتاباته حول تاريخ الفتح العثمانى ، وسير الولاة والقضاة العثمانيين منذ الفتح حتى عصره ، وقد ترك لنا فى هذا الميدان زاداً تاريخياً هاماً يلقى الأضواء على كثير من الأحوال والأحداث فى العصر العثمانى والحكام العثمانيين (البكلربكية) حسبما كان يسميهم فى القرنين العاشر والحادى عشر الهجريين .

ويتكون تراثه من عدة مؤلفات تاريخية منها ما لم يزل مخطوطاً إلى اليوم ، وكلها تدور حول العهد العثمانى إلا واحد يدور حول التاريخ العام وتاريخ الدولة الإسلامية ومن بينها مصر منذ الفتح الإسلامى ، وهذه المؤلفات :

١- كتاب «عيون الأخبار ونزهة الأبصار» وهو مجلد ضخم يقع فى ٤٠٠ صفحة ، تفصيله فى تسعة عشر مقصداً أو فصلاً تناول فيها : شرح التاريخ ومدة الزمان واختلاف أعمار بنى آدم ، وما كان قبل آدم من المخلوقات ، ثم آدم ومن بعده من البشر إلى حنظلة بن صفوان ثم ملوك فارس والساسانيين وملوك اليونان والروم ، ثم سيرة النبى والخلفاء وبنى أمية وبنى العباس والأندلس والديلم وبنى بويه والفواطم حتى دولة الجراكسة .

٢- «النزهة الزهية فى ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية»

وهو تاريخ موجز لمصر منذ قبل الطوفان ثم الجاهلية وملوك مصر القديمة ويذكر عن المسعودى من دخلها من الأنبياء وخلافة عمر ثم الدولة : الطولونية والفاطمية والأيوبية والچراكسة ثم آل عثمان «بمصر المحمية» حتى ولاية خليل باشا سنة ١٠٤١هـ (١٦٤١م) بالإضافة إلى شرح لمعالم وخصوصيات مصر الجميلة نقلاً عن المقريزى .

٣- كتاب «الروضة المأنوسة فى أخبار مصر المحروسة» وهو كتاب صغير يتناول فيه فضائل مصر فى الكتاب الكريم وفى سنة النبى الكريم ، ثم ذكر ولاتها من البكلربكية والوزراء وأخيراً من وليها من قضاة العسكر .

٤- كتاب «المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية» ويتناول فيه تاريخ الدولة العثمانية والولاة العثمانيين على مصر والسلاطين العثمانيين ، وهو مخطوط برقم ١٩٢٦ تاريخ بدار الكتب بالقاهرة .

٥- «اللطائف الربانية على المنح الرحمانية»

وبدأه من جلوس السلطان عثمان بن السلطان أحمد ١٠٢٧هـ/ ١٦١٨م حتى سلطنة السلطان مصطفى فى ١٠٣١هـ وما وقع خلالها من أحداث .

٦- وكتاب «كشف الكربة فى رفع الطلبة» ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم .

●محمد عبد الله عنان : مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصرى ، ص ص١٦٩-١٧٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة ١٩٩٩ ، أوضح الإشارات ٦٥٧ .

فلاشئ بعد ذلك الا الحكم عليهم بالقصاص فلما سمع خليل باشا مقالته نظر الى أحد أعوانه وقال اذهب الساعة واهدم بناء بيت هذا وأشار الى المتكلم فقال ولماذا أيها الأمير قال اذا كان هدم بيتك المبنى من حطام الدنيا قد دعاك الى معارضتى فكيف يكون حالنا عند ذلك البانى العظيم اذا هدمنا مابناه ظلما قال ناقل الحكاية وأطلق اللصوص فتابوا من ذلك الوقت خوفا من الباشا . وفى أخريات سنة اثنتين وأربعين وألف أنزل خليل باشا المذكور نفسه عن منصب الولاية وكتب الى دار السلطنة بذلك فأرسل السلطان يستقدمه فسافر فكانت مدة تصرفه سنة وثمانية أشهر كلها خير وبركة على البلاد وأهلها .

مطلب ولاية أحمد باشا الجورجى

وتولى بعده أحمد باشا الجورجى فدخل القاهرة فى موكب حافل وكان قبل ولايته على ديار مصر أميرا[١] خور للسلطان مراد فتصرف وجعل يدبر الأمور على النحو الذى نحاه خليل باشا فكان حازما كاملا واسع المعرفة باساليب السياسة فلما كان شهر[٢] صفر من سنة ثلاث وأربعين جاءه مرسوم سلطانى بتجريد ألف مقاتل من العسكر المصرى ليسيروا مع العسكر المنصور الى قتال طائفة الدروز[٣]

---

(١) الأمير الخور : من الفارسية (أخور) بمد الألف بمعنى المعلف أو المذود ، ثم أطلقت على الاصطبل ، وقد عرف صاحب هذه الوظيفة عند سلاچقة الروم باسمين : أمير خور وكندا اصطبل .
وأمير الخور عند المماليك هو الناظر فى أمور الاصطبلات والمناخات السلطانية ورئيس العاملين بها ، وأهم هؤلاء العاملين هو المسئول عن الأعلاف والمسمى بالسلاخور ، وكان يعاون الأمير الخور موظف إدارى من المتعجمين أى من غير الجند بمسك السجلات ، وعدد من أمراء الأخور أدنى من أمير الاخور الكبير درجة ، ولكل واحد منهم النظر فى أمر نوع من أنواع الحيوان ، فأمير اخور للمهارى وآخر للإبل وثالث للبقر وكان أمير اخور للسواقى والبياطرة والأوچاقية والغلمان والسواس والسقائين وللبريد لأنه كان يحمل على الدواب .
● تاريخ وقايع مصر القاهرة المحروسة ، المرجع السابق ، ص١٩٧ .

(٢) صفر ١٠٤٣هـ = أغسطس ١٦٣٤م .

(٣) الدروز : أو الدرزية وهم طائفة دينية يعيش بعضهم الآن فى جبل حوران محافظة السويداء بسوريا والبعض الآخر فى لبنان ، ينسبون إلى محمد بن إسماعيل انوشتكين البخارى الدرزى ، وهو أحد دعاة ثلاثة عاشوا فى مصز فى عهد الحاكم بأمر الله ونادوا بتأليهه ، وقد أجزل العطاء لمحمد هذا ، فألف هذا الأخير الكتب فى ذلك واستعان بنفوذ الحاكم فى نشر دعوته بين رجال البلاط والموظفين ، وقد قربه الحاكم إليه وبلغ أعلى المراتب .=

بلبنان وأن يسير معهم أربعة آلاف قنطار من البارود وخمسة آلاف من البقسماط فجيش ذلك الجيش ولم يتم تنظيمه حتى جاءه مرسوم آخر بتجريد ألفين آخرين وثلاثة آلاف قنطار من البارود وتسييرهم لغزو ملك فارس فهاله هذا الامر وكتب الى دار السلطنة يقول أن البلاد فى فاقة ولاقدرة لأهلها على القيام بهذه المطالب الجسيمة فبعث اليه السلطان باثنى عشر ألف قنطار من النحاس ليضر بها سكة ويبعث بدلهاالى خزينة السلطان ثلثمائة ألف محبوب[1] ذهبا نفقة لتلك الحروب فجمع لذلك العمال وأعد المعامل ولكنه لم يفلح اذ مات أكثر العمال وعجز من بقى عن القيام بهذا العمل فجمع اليه أهل الديوان وأصحاب الشورى من الأمراء والقضاة والعلماء وشاورهم فى الأمر وقال أنه يرى وجوب صرف هذا المال من ماله رحمة بأهل البلاد وأن يجعل ذلك النحاس سبائك صغيرة ويبعث بها الى السودان فتباع فيها وقد رأى أحد القضاة غير ذلك وأن تجبر أهالى القاهرة على أخذ النحاس ودفع مطالب السلطان ثم تقررت القاعدة بينهم على عمل تفريدة[2] على أهالى القاهرة فأقاموا لذلك عمالا وقيدوهم بالعمل فجعلوا يوزعون النحاس ويجمعون عوضه الذهب وبدؤا بذلك من السادس عشر من ذى الحجة سنة ثلاث[3] وأربعين الى أواخر شعبان من سنة أربع وأربعين فعمت هذه البلوى الغنى

=ورغم أن دعوة الدرزى لاقت أنصاراً من بعض الناس الذين استهدفوا التقرب إلى الخليفة ، إلا أنها أثارت سخط السنيين والمعتدلين الشيعيين ولكن الدرزى لم يأبه بهذا واستمر ينشر دعوته ، وجعل يقرأ كتابه الذى ألفه فى الأزهر وحدث أن قام الدرزى فى سنة ٤٠٨هـ ومعه خمسمائة من أتباعه بالحج إلى قصر الحاكم فهاجمهم الساخطون ، فقتل من الدروز حوالى أربعين رجلاً وهرب الباقون ، وفى اليوم التالى هاجم الناس مقر حمزة وكادوا يقتلونه لولا تدخل الحاكم وأوقف القتال ، ويقال أحياناً أن الدرزى قتل فى هذا الهجوم ويقال أن قتله بعض الغلمان الأتراك ورأى ثالث يقول أنه هرب إلى الشام وأقام هناك فى وادى التيم غربى دمشق حيث نشر دعوته هناك .

● (الموسوعة المصرية : تاريخ وآثار مصر الإسلامية : إشراف هيئة الاستعلامات ، ص٩٠٨) .

(١) المحبوب : من عملات العصر العثمانى وهو الدينار وكان يساوى مائة وخمسين نصف فضة .

● عجائب الآثار ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، ص٥٦٣ .

(٢) تفريدة : نوع من وسائل جمع الضرائب أو فرض الإتاوات الطارئة التى لم تكن مفروضة من قبل وإنما أوحت بها الظروف .

(٣) ١٦ ذى الحجة ١٠٤٣هـ = ١٣ يونية ١٦٣٤م .

والفقير والتاجر والصانع بلا فرق ولا تمييز فكانت من أشد الضربات ويلا وأثقلها حملا فضجوا وعجوا الى الله وقلت النقود ثم امتنعت وارتفعت أسعار المأكولات وغلت غلاء فاحشا جدًا وأعقب ذلك تقصير النيل فى وفاء أذرعه المعتادة وتشريق[١] الكثير من الاراضى فاستغاث الناس وانكشف حال الميسورين وضاقت الدنيا برحبها فى وجوه الفقراء والمحتاجين وظهرت بعض اصابات بالطاعون بأسباب الجوع ولكنه لم ينتشر ولم تشتد وطأته . فلما أتم الجباة جمع أموال هذه التفريدة طمعت نفس أحمد باشا فأخذها لنفسه ولم يرسل منها شيأ لخزينة السلطان فلم يمض عليه بعد ذلك الا القليل حتى أتاه الطلب من الباب العالى فرحل عن القاهرة فى سلخ القعدة من سنة أربع وأربعين وألف فكانت مدة تصرفه نحو سنتين الا أياما فلما وصل القسطنطينية قام بعض أهالى القاهرة وشكوا أمره الى الباب العالى وطالبوه بما أخذه من المال فى ضريبة النحاس فعين السلطان جماعة لتحقيق ذلك ثم أمر بقتله فقتل .

مطلب ولاية الوزير حسين باشا

وتولى بعده الوزير حسين باشا فدخل القاهرة فى الثانى من الحجة سنة أربع[٢]وأربعين وألف ومعه طائفة من العسكر من دروز لبنان وهم اخلاط من الاشقياء وقطاع الطرق فلما استقرت به الولاية واستقر بهم المقام جار وجاروا وظلم وظلموا وساموا أهل البلاد الخسف وأكثروا من قتل الباعة وهدر دماء السوقة لأقل سبب وتعرضوا للسابلة[٣]وقطعوا الطرق وتطاولت أيديهم الى نهب أموال الناس بغير ممانع واشتدت مظالم حسين باشا أيضا الى حد لم يسبق له مثيل فكان اذا مات الرجل أرسل اتباعه وأعوانه فيحملون اليه ماله ويحجرون على عقاره فيأخذه لنفسه أيضا ويحرم ورثته وعم فعله هذا جميع المدن والبنادر وكان

---

(١) تشريق : عطش الأرض الزراعية .

(٢) ٢ ذى الحجة ١٠٤٤هـ = ١٩ مايو ١٦٣٦م .

● ورد فى أوضح الإشارات أنه دخل القاهرة ١٠٤٥هـ (ص٩٣) .

(٣) السابلة : عابرو الطريق .

يكثر التطواف فى الشوارع والحارات راكبا ويقتل فى كل مرة طافها الرجل والرجلين أو أكثر بلا موجب ولا سبب وربما قتل كل ماصادفه من الدواب فى طريقه . قال بعض الكتاب فكان من قتله فى مدة تصرفه زهاء ألفى رجل وكان كثير الأخذ بالشبهات فكثر فى أيامه الوشاة وتزاحم أهل السعاية على بابه فكان اذا وقع بين رجل وآخر مخاصمة وذهب أحدهما ووشى الى الباشا المذكور بأن خصمه من ذوى الاموال قبض عليه الباشا والقاه فى السجن فلا يخرج منه إلا بالبذل الكثير وما زال على هذا الحال من القتل والسلب حتى جاءه الامر بالعزل من منصب الولاية فى سلخ القعدة سنة ست وأربعين فكانت مدّة تصرفه سنة ونحو احد عشر شهرا .

مطلب ولاية الوزير محمد باشا ابن أحمد باشا

وتولى بعده الوزير محمد باشا ابن أحمد باشا فدخل القاهرة فى آخر القعدة من السنة المذكورة وصعد الى قلعة الجبل فى موكب حافل من العسكر المنصور وتصرف فكان شهما مهيبا صاحب فكر وتدبير ثم لم يلبث أن تبدلت حاله وتغيرت أخلاقه وركب متن الجور فأفسد وظلم وتتبع خطوات السلف فى مصادرة الناس ومد اليد الى تركات الامراء والاغنياء والمستورين من أهل البلاد فأثرى وكثر ماله ومنع الصدّقات والمرتبات الخيرية عن الارامل واليتامى وأخذها لنفسه فضج الناس واستغاثوا وعجوا الى اللّه تعالى وتضرعوا اليه بزوال ولايته فكان كلما طالت أيامه زاد عسفه وكثر فساده وسام الناس الخسف . وجاءه الامر من الباب العالى فى شوال من سنة سبع[1] وأربعين بتجريد حملة للغزو مع العسكر المنصور ببغداد لخروج أهلها ففرح الناس بذلك وظنوا خروجه مع الحملة حسب مرسوم السلطان فلم يخرج وسلم قيادتها الى قانصوه بك أمير الحاج فسارت فى المحرم من السنة اى سنة ثمان واربعين وعاد من بقى منها فى صفر سنة تسع وأربعين ومحمد باشا الوالى على ماهو عليه من الجور والعسف فضج الناس ورفعوا ظلامتهم الى دار السلطنة فلم يلتفت لشكواهم لقيام الفتنة فى دار السلطنة

(١) شوال ١٠٤٧هـ = فبراير ١٦٣٨م .

وخروج طوائف الانكشارية عن طاعة السلطان وقتلهم حافظ باشا الصدر الاعظم فى السراى السلطانية وإصرار كبارهم على ارجاع خسرو باشا الصدر المعزول وعدم مراعاة حرمة المراسيم السلطانية . قال بعض كتاب الاخبار لما كانت سنة تسع وثلاثين[1] وألف هجرية أو نحوها مات شاه عباس ملك فارس وتولى الملك بعده ابنه شاه مرزا وكان صبيا لم يبلغ أشدّه فلما جاءت الاخبار بولايته الى دار السلطنة تقوت عزيمة كبار العسكر المنصور وفرح خسرو باشا الصدر الاعظم بذلك وسار فى جيش عظيم الى بلاد فارس لرد ما أخذ من بلاد الدولة ونزل على همذان ودخلها ثم سار منها قاصدا بغداد فلاقته فى الطريق عساكر فارس فقاتلهم وانتصر عليهم وساق خلفهم حتى نزل على بغداد وحاصرها من كل جانب وشدد فى حصارها ووالى الرمى عليها بالمكاحل بالليل والنهار فلم ينل منها وطالت أيام الحصار ودخل الشتاء فتذمر الانكشارية وطلبوا رفع الحصار والعودة الى القسطنطينية فمناهم بالأمانى الكثيرة فلم يقبلوا وأبوا الا الرحيل فسار بهم عن بغداد الى الموصل ولبث معهم حتى انقضى الشتاء وعزم على الرجوع الى حصار بغداد فلم تطعه العساكر فألح عليهم فأبوا الا الرجوع الى القسطنطينية فسار بهم إلى حلب خوفا من أن يداهمه العدوّ وهو بالموصل ولا قبل له على رده ووصلت الاخبار بما جرى الى السلطان فاستعظم هذا الامر جدا ورسم بخلع خسرو باشا من منصب الصدارة وسير اليه الفرمان بذلك وأعاد حافظ باشا ثانية الى منصبه فكبر الامر على خسرو باشا ودس الى طوائف الانكشارية من يعلمهم أن خلعه من منصبه انما كان للذب[2] عنهم والعمل برأيهم فهاجوا عند ذلك وساروا الى دار السلطنة وأشعلوا نار الفتنة ودخلت طائفة منهم الى السراى السلطانية وقبضوا على حافظ باشا الصدر وقتلوه فى الثامن والعشرين من رجب سنة احدى وأربعين وألف ولم يراعوا للسلطان حرمة ولاحفظوا له عهدا ولا ذمة فكبر الأمر جدّا على السلطان وسير الى خسرو باشا جماعة فقتلوه وولى

(١) ١٠٣٩هـ = ١٦٢٩م .
(٢) الذب : الدفاع .

الصدارة محمد باشا بيرم وتجرد السلطان من هذا الحين الى اخضاع الانكشارية وإذلال كبارهم فاعمل فيهم القتل لأقل سبب ورسم بمنع الناس كافة من شرب القهوة والدخان فكان يخرج فى كل ليلة متنكرا ويمشى فى أسواق القسطنطينية بدعوى تأديب المولعين بشرب القهوة والدخان ومعه جماعة من أعوانه وهو انما يخرج لاتلاف الاشرار وقطع شأفة أهل الفساد من الانكشارية وغيرهم فخافوا وانكمشوا وامتلأت قلوبهم رعبا منه وخشيه الكبير والصغير فمهدت الطرق وزال البأس عن الناس وأمنوا على أموالهم واعراضهم ولبثوا على الطاعة والانكماش الى سنة احدى[1] وأربعين وألف هجرية فهبوا الى الحركة وتجردوا إلى الثورة ومقدّمهم يومئذ رجل اسمه رجب باشا فعاجلهم السلطان وقبض على رجب باشا المذكور وأمر به فذبحوه وألقوا جثته من شباك السراى السلطانية بين جمهور الانكشارية فكبر عند ذلك خوفهم وتفرق جمعهم وعادوا الى السكينة وملازمة الحدود وزالت من هذه الحين سطوتهم وانحطت شهرتهم وتفرقت كلمتهم وكفى اللّه الناس شرهم . ولما دانت للسلطان الأمور وزالت عن مقر سلطنته المخاوف بقطع شأفة أهل الفساد سار فى جيش عظيم لغزو بلاد فارس فحارب ملكهم واسترجع كثيرا من القلاع والحصون التى أخذها ملك فارس على عهد الفتن المتتابعة ونال أيضا من بلاد فارس ففتح بغداد واريوان فسير اليه ملك فارس من يخابره فى الصلح وطال الكلام فى أمر ذلك ثم تقررت القاعدة بين الفريقين على بقاء دار السلام فى حوزة السلطان ورد اريوان الى مملكة فارس وتم الصلح على ذلك وعاد السلطان ظافرا منصورا . ثم مرض بعيد ذلك وطال مرضه فلما كان تاسع عشر[2] شوّال سنة تسع واربعين وألف هجرية مات من غير عقب ولم يتجاوز التاسعة والعشرين من العمر فبكاه أهل الفضل من الناس وتولى السلطنة بعده اخوه السلطان ابراهيم الاول فكانت سلطنة المتوفى ست عشرة سنة واحد عشر شهر وخمسة أيام رحمه اللّه تعالى .

---

(١) ١٠٤١ = ١٦٣١ تقريباً .

(٢) ١٩ شوال ١٠٤٩هـ = ١٢ فبراير ١٦٤٠م .

# (الفصل الحادى عشر)

## (فى سلطنة السلطان ابراهيم(١) خان الاول)

ثم قام بالامر بعد السلطان مراد أخوه السلطان أبراهيم الاول ابن السلطان أحمد بويع بالملك فى عاشر شوّال سنة تسع وأربعين والف هجرية أى سنة أربعين وستمائة وألف ميلادية قال بعض الكتاب ووافق تاريخ توليته استعنت باللّه(٢) .

٩٨١ ٦٨ سنة١٠٤٩

ولما كان مشابها فى أحواله واطواره لعمه السلطان مصطفى تولى أمور السلطنة الاغرار وقرناء السوء فاختلت أحوال المملكة وعادت الى ما كانت عليه من الفساد وهبت طوائف الانكشارية من رقدة الخمول والانكماش الى الظهور فعاثوا على عادتهم وطلبوا المطالب الطويلة العريضة فمناهم وأجزل عطاءهم وفتح امامهم أبواب الحرب ليشغلهم عن العبث بأمور الدولة ومصالح السلطنة فسير طائفة منهم لاسترجاع مدينة(٣) ازاق من بلاد القرم التى أخذها القوزاقيون(٤) فقاتلوا وأبلوا بلاء حسنا حتى استردوها ثم سير طائفة أخرى لغزو جزيرة كريد(٥) احدى الجزر التابعة يومئذ الى جمهورية البندقانية وسير لذلك أيضا سفنا حربية ومقدمها يوسف باشا ففتحوا الجزيرة المذكورة بعد قتال خفيف فسيرت جمهورية البنادقة سفن حربها الى بتراس وكورون وموررون من ثغور كريد فأحرقتها تشفيا

(١) هو ابن السلطان أحمد الأول ، ولد فى ١٢ شوال سنة ١٠٢٤ (٤ نوفمبر ١٦١٥م) .
● (محمد فريد : المرجع السابق ، ص٢٨٦) .

(٢) لعل هذه الأرقام تعنى بحساب الزايرجات عبارة «استعنت بالله» .

(٣) مدينة آزاق : هى مدينة آزوف AZOV وتقع فى الشمال الشرقى من بحر ازوف ، ويطلق اسم بحر ازوف على الخليج الكبير الواقع شمال البحر الأسود بسببها .
● (محمد فريد : تاريخ الدولة العلية - المرجع السابق ، ص٢٨٦) .

(٤) القوزاقيون : هم فى الأصل طلقاء من الفلاحين الأقنان وفقراء المدن الذين هربوا إلى أطراف الدولة الروسية ، وفى القرن السابع عشر قامت بعض فصائلهم بحراسة الحدود الجنوبية لروسيا ، ثم كانوا فرساناً فى الجيش الروسى اعتمد عليهم القياصرة .
● (يبيفانوف فيلوسوف : تاريخ الاتحاد السوفيتى ، دار التقدم ، موسكو د . ت ، ص١٢٧) .

(٥) جزيرة كريد : جزيرة كريت .

وانتقاما نظير فتح جزيرة كريد فكبر هذا الامر على السلطان وهم بقتل جميع النصارى الذين فى بلاد الدولة فمنعه من ذلك على ماقيل اسعد زاده ابو سعيد مفتى دار السلطنة وهوّن عليه الامر فأطاعه وبذل السلطان جهد الاستطاعة فى اصلاح ما اختل من أحوال المملكة الداخلية . وقد وصل الى مسامعه خبر مايلاقيه أهل مصر من جور محمد باشا واليها وظلمه فأمر بعزله وورد الخبر بذلك الى القاهرة ففرح الناس به فرحا لايوصف وتأهب محمد باشا للرحيل الى الديار الرومية وأخذ فى جمع أمواله ومتاعه فكان شيأ كثيرا للغاية وتباطأ فى السفر والخروج من مصر أياما كانت على أهل البلاد كانها أعوام ثم نزل من قلعة الجبل وأقام فى بيت أحد الامراء اياما أخرى جاءه الامر فيها ثانيا من دار السلطنة ببقائه فى منصب الولاية فلما شاع الخبر بذلك حزن الناس حزنا ما عليه من مزيد فصعد الى قلعة الجبل وعاد الى التصرف فى الأمور فضاعف الجور وبالغ فى الظلم واشتد على الرعيةوأكثر من مصادرة الناس على اختلافهم وفتك وقتل وأراق الدماء ظلما ومازال على هذا الحال من الجور والعسف حتى قدّر اللّه سبحانه وتعالى بخلعه فجاءه الامر بذلك فى سلخ جمادى الآخرة سنة خمسين[1] وألف فكانت مدة ولايته ثلاث سنين ونحو ستة أشهر .

مطلب ولاية مصطفى باشا البستانجى

وتولى بعده مصطفى باشا البستانجى فدخل القاهرة فى غرة الحجة سنة[2] خمسين فى موكب حافل وتصرف فكان عاقلا أبىّ النفس قنوعا لايتطلع الى ما بأيدى الرعية وكان له ديوانىّ اسمه أحمد افندى وهو جاف خشن الطباع ظلوم فجور مختال وكان بيده مقاليد الامور فاستّبد وجار وظلم وأعاد أيام أحمد باشا من الاخذ بالشبهات ومصادرة الاغنياء والعظماء وأخذ أموال الصدقات والخيرات فشكا الناس أمره الى مصطفى باشا المشار اليه فلم يفلحوا لتحجبه عن الناس وترك الامور الى ديوانيه المذكور يتصرف فيها كما يشاء فاضطربت لذلك

(١) ١٠٥٠هـ = ١٦٤٠ تقريباً .

(٢) ورد فى أوضح الإشارات ، ص٩٥ أن مصطفى باشا البستنجى ، تولى من ١٠ جماد آخر ١٠٥٠هـ - ١٧ رجب ١٠٥٢هـ/ ٢٧ سبتمبر ١٦٤٠م - ١١ أكتوبر ١٦٤٢م .

الاحوال غاية الاضطراب واختل النظام وفشا الخصام وظهر أهل الفساد واللصوص وقطاع الطرق وكثرت السرقات فى حارات القاهرة وبيوت مصر القديمة وما جاورها من القرى وقصر النيل فى الزيادة فغلت الاسعار وقل وارد الحبوب واشتد البلاء على الناس فكانوا بين قرمين عنيدين الغلاء واللصوص وكان إذا أتى الى والى القاهرة بلص أو بجماعة منهم أطلق سبيلهم وكذلك كانت تفعل كشاف البلاد والاقاليم فلما اشتد الحال بالناس اجتمعوا زمرا تحت قلعة الجبل وصاحوا على الباشا وشكوا من أفعال والى القاهرة وكشاف الاقاليم وضجوا ونادوا مايحل من الله ياباشا اتق الله فى خلقه فاضطرب الباشا وخشى العاقبة وخلع فى الحال والى القاهرة وولى بدله كنعان بك ورسم بالقبض على كل من تقع عليه شبهة فقبض على كثير حتى ملؤا السجون فاطمأنت القلوب وسكنت الخواطر وظنوا بقاء الحال على ذلك . فلما كان شهر شوال سنة أحدى وخمسين ثار جند وجاق الچاويشية على كبارهم واشتدوا على أميرهم على بك وقالوا بأنه لم يفرق عليهم شيأ من أموال العطايا وان الكتاب هم الذين يأخذون هذه العطايا وطلبوا من الباشا خلعه فسايرهم وطاولهم فلم يرتجعوا وشددوا فى طلب عزله فعزله وأقام مكانه عابدين بك فلما رأى جماعة العسكر ما كان من فوز اخوانهم الچاويشية ثاروا هم كذلك وشكوا من فراغ مخازن ذخرتهم وطالبوا بمعاشاتهم المتأخرة واتهموا أحمد افندى ديوانى الباشا السابق الكلام عنه ببيع ما فى تلك المخازن وأخذ أثمانها فعين لتحقيق ذلك قاضى قضاة المحروسة فبحث عما فى الاشوان والحواصل فلم ير فيها شيأ وثبت أن الكاتب المذكور باع ما كان فيها وأخذ الثمن لنفسه فخلعه الباشا تسكينا للفتنة واسترضاء لخواطر الجند فاستنجد الكاتب المذكور بجماعة الچاويشية فأنجدوه وأرجعوه الى منصبه قهرا فزاد عسفه وتضاعف جوره وظلمه وبالغ فى ايذائه ومازال والناس فى شدة وضيق حتى صرف مصطفى باشا عن الولاية فى جمادى الآخرة[1] سنة اثنتين وخمسين .

---

(١) جمادى الآخرة ١٠٥٢هـ = ١٦٤٢م .

مطلب ولاية مقصود باشا

وتولى بعده مقصود باشا فدخل القاهرة فى رجب من السنة فكانت مدة تصرف مصطفى باشا المذكور سنة وثمانية أشهر ولما استقرت بمقصود باشا الولاية جعل ينتظر فيما وقع من مصطفى باشا وعوّقه عن السفر من مصر وقبض على كاتبه أحمد أفندى وعلى الكيخيا وجلدهما جلدا مبرحا وأخذ منهما مائتى كيس نقرة من أموال الخزينة السلطانية وقد كانا أخذاها لانفسهما غيلة ثم بعث مصطفى باشا المذكور الى دار السلطنة تحرسه طائفة من الجند فلما وصل اليها أخذ منه مائة كيس للخزينة السلطانية ثم أخلى سبيله ولبث حينا متحجبا عن الناس ثم أدخل فى خدمة الدولة ومازال حتى بلغ مسند الصدارة العظمى ودبر مقصود باشا أمور البلاد أحسن تدبير فأبطل كثيرا من المكوس والمغارم وأزال بعض الضرائب وأعاد حقوق الوراثة لأهلها وضرب على الورثة ضريبة يدفعونها للخزينة السلطانية فقط ثم جعل يتعقب اللصوص وقطاع الطرق فقبض على كل من نالته شبهة منهم وسجن وغرّق وقتل فخافوا واختفى خبرهم وارتاحت الافكار من شرورهم . وبينما كانت القلوب هادئة والخواطر مطمئنة اذ ظهر الطاعون واشتد وعم القاهرة ومصر القديمة وضواحيهما ثم تفشى فى جميع المدن والقرى وعم وكثر الموات وكان ظهوره أوّلا من ناحية بولاق القاهرة فى أوائل شعبان من سنة اثنتين وخمسين وألف ومازال على هذا الحال من الاشتداد والانتشار من ابتداء ذى القعدة من السنة الى غاية صفر[1] سنة ثلاث وخمسين وألف ثم بدأ بالتناقص الى آخر شهر ربيع الاوّل ولم يسمع بمثل هذا الطاعون فى الفتك والشدّة فكانت تنقل الجثث عشرات عشرات والجنازات تسعى خلف بعضها حتى أبطلت الصلاة على الاموات لكثرتهم وفتك بالقرى كذلك فتكا ذريعا جداً . حكى أن

(١) غاية صفر ١٠٥٣هـ = ٢٠ مايو ١٦٤٣م .
ورد فى أوضح الإشارات أن مقصود باشا تولى من ٨ شعبان ١٠٥٢هـ - ١٣ صفر ١٠٥٣هـ/ ١ نوفمبر ١٦٤٢م - ٣ مايو ١٦٤٣ (ص٩٦) .

مائتين وثلاثين قرية أصبحت خرابا ليس فيها ديار ولانفاخ نار وكانوا يجدون الأموات فى الطرق وعلى جوانب الجدران والكلاب تحوم حولها ومازال على شدته حتى ارتفع وزال .

وبعد انتهاء الطاعون بقليل من الزمان ظهرت فى العشرين من القعدة فتنة بمدينة الاسكندرية والسبب فى ذلك ان ستمائة من الروم المسيحيين كانوا مقيدين بسجن الاسكندرية وقاسوا من العذاب أمرّه فأتت بعد حين لخلاصهم سفينة وجاءت اليهم أخبار قدومها فقاموا وكسروا أبواب السجن فى اليوم المذكور والمسلمون فى صلاة الجمعة وطافوا فى شوارع المدينة وجعلوا ينهبون البيوت والحوانيت ومخازن الارزاق وعاثوا وأفسدوا فلم يبقوا ولم يذروا ثم نزلوا بتلك السفينة وأقلعوا من فورهم ونجوا بما كسبوا ولم يظفروا بأحد منهم . وضيق مقصود باشا على الصناجق وطالبهم بثلث الأموال المرتبة على الاقطاعات التى بأيديهم لصرف علائف الجند ورواتب العسكر المنصور فأغضب ذلك جماعة الصناجق ولم يقبلوا فرأوا منه قرما عنيدا فاجتمعوا فى بيت الأمير رضوان أبى شنب فى يوم الجمعة ثانى عشر رمضان سنة أربع وخمسين وتحالفوا على خلعه أن هو شدد فى الطلب فطولبوا فرفضوا وطلبوا عزل كبار مشورة الباشا فأجابهم الى ذلك وطالبهم فأبوا وكتبوا الى الباب العالى يشكون من تصرف مقصود باشا فورد اليه مرسوم السلطان بالاستعلام عن السبب الموجب لتلك الشكوى فأجاب بما دفع عنه الريبة وأفحم أصحاب الخصومة وقد علم أن زعماء هذه الفتنة الأمير على بك والأمير ماماى بك وشعبان الدفتردار فعزم على الفتك بهم ورتب لذلك كمينا وأقام لهم رصدا ليقتلهم فى الديوان اذا نزلوا اليه فى يوم الاثنين الثالث والعشرين[1] من ذى الحجة سنة أربع وخمسين فلم ينزل الى الديوان فى ذلك اليوم الا الدفتردار فقط فأمسك عن قتله وأبقى العمل الى يوم آخر فلما كان يوم

(١) ٢٣ ذى الحجة ١٠٥٤ هـ = ٢٠ فبراير ١٦٤٤م .

الثلاثاء الرابع والعشرين من ذى الحجة من السنة المذكورة جاءه الامر السلطانى بالخلع واعتزال المنصب وتولية شعبان بك الدفتردار النيابة حتى يأتى الوالى الجديد قيل فشق هذا الامر على مقصود باشا واستعظمه جدا وسلم الامر الى الدفتردار صاغرا ثم جاء الخبر من الباب العالى بتولية أيوب باشا فلبثوا ينتظرونه وهم فى خوف حتى انصرف مقصود باشا عن الولاية فكانت مدة تصرفه سنة ونحو سبعة أشهر .

مطلب ولاية أيوب باشا

وقدم أيوب باشا الى مصر ودخل القاهرة فى موكب حافل قيل ولم يقبل هذا المنصب الا بعد اقدام واحجام لما يعلمه من اختلال الامور واستفحال أمر الجند واتساع سلطتهم وصعد القلعة فى العاشر من صفر سنة خمس[1] وخمسين وألف وأخذ فى تدبير الامور وترتيبها على الوجه الاتم فأحكم نظامها وقطع دابر اللصوص واقتفى أثر من فر منهم وأعمل فيهم القتل والشنق والتغريق وأخذ على الصغائر فخافه أهل الفساد وانكمش أصحاب الغايات واستتب الامن وزال الخوف وسادت الراحة واطمأنت قلوب الناس ولازم كل حده ففرحت بأيامه الرعية ولبث يتصرف سنتين ثم كتب يستأذن السلطان فى الانصراف عن منصبه فأذن له فسافر فى سلخ رجب سنة سبع[2] وخمسين وألف فكانت مدّة تصرفه سنتين ونحو ستة أشهر وخرج فى موكب حافل جدا والناس فى حزن عليه .

مطلب ولاية الوزير محمد باشا بن حيدر

فتولى بعده الوزير محمد باشا ابن حيدر فلما وصل أيوب باشا الى دار السلطنة رقى الى مسند الصدارة العظمى فأحسن التصرف والتزم الحزامة وحسن التدبير ثم نزل وترك المنصب وعكف على العبادة وتنازل عن جميع أمواله ومقتنياته إلى خزينة السلطان وتزيا بزى الدراويش وانفرد فى جامع من جوامع

(١) ١٠ صفر ١٠٥٥هـ = ٧ أبريل ١٦٤٥م .
● ورد فى أوضح الإشارات ، ص٩٧ أنه تولى من ٨ ربيع أول ١٠٥٤هـ - غرة ربيع أول ١٠٥٦هـ / ١٥ مايو ١٦٤٤م / ١٧ أبريل ١٦٤٦م .
(٢) رجب ١٠٥٧ = أغسطس ١٦٤٧هـ .
● ورد فى أوضح الإشارات ، ص٩٨ أن محمد باشا الشهير بحيدر زادة قدم مصر ١٠٥٦هـ وعزل ١٠٥٧هـ/ ١٦٤٦- ١٦٤٧م .

الروم ايلى . وتصرف ابن حيدر المذكور فى ولاية مصر فأساء التصرف وعكس التدبير وأفسد مانظمه مقصود باشا فكانت أيامه كلها خروج وطغيان واشتد حوله الجند واستفحل أمرهم فكانوا يثورون عند أقل حادثة أو لاصغر سبب وقامت منهم طائفة الانكشارية فى العاشر من رجب سنة سبع وخمسين وألف بمصر القديمة فعاثوا وأفسدوا وفعلوا مالا خير فيه فركب عليهم والى القاهرة وتهددهم ان هم بقوا على هذا الحال فضجوا فى وجهه وساروا الى ماتحت قلعة الجبل ونادوا بقتل الوالى المذكور وكان الوالى من وجاق الجاويشية فجاءهم الخبر بعزم الباشا على قتل الوالى انتصارا للعامة فركبوا جميعا ونادوا على الباشا بالويل والثبور فخشى الباشا العاقبة فدعا اليه قانصوه بك وشاوره فى الامر وكان قانصوه ناقما على الأمير رضوان بك والأمير علىّ بك فأشار اليه أن يكتب الى دار السلطنة بما جرى ويسند حدوث جميع هذه الفتن الى الأميرين المذكورين ويقول انهما قد أخذا أيضا مال الخزينة واختلسا المناصب بغير استحقاق وكان قصد قانصوه بذلك رجوعه هو وما ماى الى منصب امارة الحاج وولاية[1] جرجا فجنح الباشا الى مشورته وطلب بعض الاعيان للتوقيع على محضر بذلك فاتصل الخبر برضوان بك فبادر هو بالكتابة يشكو الباشا الى الباب وبالغ فى الشكوى وعظم البلوى فورد الجواب من الباب بتفويض رضوان بك وعلى بك فى تحقيق جميع ما أسند فعله الى الباشا وقانصوه بك وورد الى الباشا فرمان بذلك فى الحادى والعشرين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وألف وفى السابع والعشرين منه استدعاهما الباشا الى الديوان الخاص بقلعة الجبل فصعدا اليه وعقدا مجلسا

---

(١) ولاية جرجا : جرجا من البلاد القديمة اسمها الأصلى دجرجا ، وردت به فى حرف الدال فى معجم البلدان ، كما وردت به فى حرف الجيم جرجا ، وكانت مدينة جرجا قاعدة لمديرية جرجا فى بدء تكوينها لأول مرة فى العهد العثمانى باسم كشوفية جرجا إلى سنة ١٨٥٩ ، ومنها نقل ديوان مديرية جرجا والمصالح الأميرية الأخرى إلى مدينة سوهاج لتوسطها بين بلاد المديرية ، وقد شملت هذه الولاية فى العهد العثمانى الصعيد من المنيا حتى أسوان .

- (دانيال كريسيليوس : المرجع السابق ، ص٨٩) .
- (محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، جـ٤ ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص١١٣) .

وتجادلا مع من حضر من الامراء والعلماء ثم تقرر قتل قانصوه بك وماماى بك ومن كان على دعوتهما فقتلا وقتل معهما عدة من الامراء ثم قام بعد ذلك على بك الى مقر وظيفته بجرجا وسكنت الفتنة وزالت بعض القلاقل وتسابق بعض الامراء الى أخذ منصب قانصوه بك وكان ممن تقدم الى ذلك وبذل الجهد فى الحصول عليه مصطفى كتخدا الملقب بالششيز فلم يفلح وخاب سعيا فتجرد للعصيان وشق عصا الطاعة وكادت تستفحل فتنته لولا ماعاناه رضوان بك من ايقاف تيارها بحسن تدبيره . واستدعى الباشا الامير رضوان بك الى وليمة كان أعدها عنده بقلعة الجبل فخاف رضوان بك على نفسه وأبى الحضور فغضب الباشا ورسم بتجريده من امارة الحاج وكأنه كان ينوى له ذلك فقام رضوان بك من القاهرة فى نحو مائتى رجل وكثير من الامراء والكشاف ولحق بالامير على بك بجرجا فجهز الباشا ألفين من الجنود ونحو خمسمائة من الانكشارية وأمرهم فاجتمعوا بالرميلة تحت قلعة الجبل وتأهبوا للسفر ثم عدلوا واتفقوا على نبذ طاعة الباشا أن هو أصر على قتال رضوان بك وعلى بك فخاف الباشا وتحير فى أمره ولبثت العساكر أياما بغير حركة فورد فى هذه الاثناء فرمان السلطان بابقاء رضوان بك وعلى بك فى منصبيهما فخاب الباشا سعيا وأرسل يستقدمهما الى القاهرة فقدما فى التاسع عشر من رمضان من السنة أى سنة سبع وخمسين وسعى فى مصالحتهم مع مصطفى كتخدا وأعقب رجوع رضوان بك وعلى بك الى القاهرة الاشاعة بخلع الباشا وتولية آخر اسمه مصطفى باشا فلهج الناس بهذا الخبر وعم واتصل بالباشا فأخذ يتأهب للسفر وجمع أمواله وأمتعته ولم يبق الا أن ينزل من قلعة الجبل فلما كان السادس والعشرون من رمضان المذكور ورد فرمان السلطان بتثبيته فى منصب الولاية فعاد وتصرف فى الامور على ما كان عليه . وفى غاية شهر رجب سنة ثمان[(١)] وخمسين وألف وردت الاخبار الى القاهرة بخلع السلطان ابراهيم ابن السلطان أحمد وتولية ابنه السلطان محمد بدله فسار المنادى بذلك فى شوارع القاهرة ومصر القديمة وطيروا الخبر بذلك الى الآفاق .

---

(١) غاية رجب ١٠٥٨هـ = ٢٣ أغسطس ١٦٤٨م .

قال أصحاب التاريخ ولما كثر عبث طوائف الانكشارية وزاد تمردهم وعمت شرورهم كبر أمرهم على السلطان ابراهيم وعمد الى الفتك بكبارهم وأصحاب الكلمة فيهم وأخذ يدبر الحيلة فى ذلك فأسر الى بعض خواصه أن يقتلوهم اذا حضروا وليمة زفاف احدى بناته على ابن الصدر الاعظم فتأهبوا لذلك واستعدوا فأحس كبار الانكشارية بما فى عزم السلطان فخافوا عاقبة السكوت وتجردوا لخلعه وساروا الى مسجد أورطه جامع ونادوا بخلع بيعته فوافقهم على ذلك بعض العلماء والمفتى عبد الرحيم وشاع الخبر بذلك فهاج الانكشارية وطوائف السباه ونادوا جميعا بخلعه وولاية ابنه محمد بدله وهو لم يبلغ يومئذ إلا السابعة فخلعوه فى ثامن عشرى رجب سنة ثلاث وخمسين وألف هجرية وحجروا عليه فى مقره فاضطربت عند ذلك الأحوال واختل النظام وزاد عسف الانكشارية وبقى الحال على ذلك عشرة أيام فعادت طوائف السباه وطلبت ارجاع السلطان ابراهيم إلى منصب السلطنة وألحت فى ذلك وتجردت لارجاعه فخشى زعماء الثورة عاقبة ذلك وعمدوا الى قتل السلطان ابراهيم فساروا الى مقره ومعهم الجلاد ودخلوا عليه وقتلوه خنقا فمات شهيدا وكانت مدة تصرفه نحو ثمان سنين وتسعة أشهر .

ومات فى أيامه يوحنا بطرك المتأصلين بعد أن أقام أربعين سنة وفى أيام يوحنا المشار اليه كان من حوادث الطاعون والغلاء وتوالى الاحن ومصادرة الناس فى أموالهم وتطاول أيدى العساكر والاجناد وانتشار أصحاب السعاية والوشاة والاخذ بالشبهات وغير ذلك من فرض الفرض والمغارم والمكوس مامر بيانه فى محله فأقيم بعده غبريال(١) وهو خامس تسعيهم واسمه روفائيل من رهبان السريان ومولده فى منشاة المحرق وكان من الحوادث فى أيامه ماسيذكر فى محله .

---

(١) غبريال (البابا ٩٥) : وهو غبريال السابع ، وكان اسمه أولاً روفائيل وترهب في دير السريان ، وأقيم بطريركاً فى ٤ بابه ١٢٤٢ش/ ١٥٢٦م فى عهد السلطان سليمان ، وكان بطريركاً لمدة ٤٣ سنة حيث توفى فى ٢٩ بابه ١٢٨٥ش/ ١٥٧٠م ، وبذلك لا يكون هذا هو بطريرك الفترة وإنما هو نهاية متاؤس ١٠٠(١٦٢٣-١٦٤٢) ثم مرقس السادس البطريرك ١٠١ والذى تولى ما بين عامى ١٦٤٦ ، ١٦٥٦م .

● جدول وتاريخ البطاركة ، مرجع سابق ، ص٩٤ ، منسى يوحنا ، مرجع سابق ، ص٥٢٨ .

# (الفصل الثانى عشر)

## (فى سلطنة السلطان محمد الرابع ابن السلطان ابراهيم[1] )

ثم قام بالامر بعد خلع السلطان ابراهيم وقتله ابنه السلطان محمد الرابع بويع بالملك فى العشرين من رجب سنة ثمان وخمسين وألف هجرية أى سنة ثمان وأربعين وستمائة وألف ميلادية وكان عمره يومئذ سبع سنين فكانت سلطنته بالاسم فقط والتصرف للوزراء وكبار الانكشارية فصارت لذلك أحوال المملكة فى انحلال وأمورها فى اختلال ونظامها فى زوال لعدم وقوف طوائف العسكر عند حد وتداخلهم فى جميع أمور الدولة وعزلهم للولاة والحكام عند أقل سبب وتطاول أيديهم الى أموال الناس وأراقة الدماء ظلما فكان اذا عمد صدر من الصدور الى اصلاح الامور وإرجاع الاحوال الى سابق مجراها قاموا عليه وخلعوه وربما قتلوه وطافوا بجثته فى الشوارع والطرقات فلم يجسر قط أحد على فعل مالا يرضونه وقد أخلدوا الى الترف وكرهوا الحروب فكانوا اذا ساروا الى غزوة تثاقلوا وركبوا متن هواهم ولم يسمعوا لكبارهم كلمة فيستخف بهم العدوّ ويتم له النصر عليهم . قال أصحاب التاريخ وقد سرى هذا الداء أيضا الى الجنود البحرية فتولى عليهم الخمول ولازمهم الفشل فآنست جمهورية البندقية منهم ذلك وسيرت

---

(١) محمد خان الرابع ولد فى ٢٩ رمضان ١٠٥١هـ/ أو يناير ١٦٤٢م وتولى الحكم فى ١٦٤٨ ولصغر سنه سادت المملكة فوضى عظيمة ، وعاثت الجنود فساداً بين الناس وثارت الولايات على الدولة ، وتغلبت أساطيل البندقية على أساطيل العثمانيين عند مدخل الدردنيل واحتلت تنيدوس ولمنوس وهى قلاع مهمة فى هاتين الجزيرتين ومنعت مراكب الفحم والطعام من الوصول إلى القسطنطينية ، وظل الحال هكذا حتى تولى الوزير محمد باشا كوبريلى الصدارة فى ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م فقمع الانكشارية المتمردين والذين كانوا السبب فى هذا وقتل منهم الكثيرين حتى أنه قتل بطريرك الاروام عندما علم أنه له يد فى الفوضى ، وعاد ليحارب البنادقة فى الدردنيل وانتصر عليهم واسترد ما احتلوه ، كما كانت هناك حروب حول العثمانيين فى بولونيا وغيرها كما هو ثابت هنا .

وظل محمد خان فى الحكم حتى عام ١٦٨٧ حيث عزله القائمقام قره مصطفى باتحاده مع العلماء بعد أن حكم أربعين سنة وخمسة أشهر وبقى فى العزل إلى أن توفى فى ١٧ ديسمبر ١٦٩٢ فى عمر بلغ ٥٣ سنة .

● (محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، مرجع سابق ، ص ص ٢٨٩-٣٠٤)

مراكبها لقتالهم عند مدخل الدردانيل فانتصرت عليهم نصرة عظيمة واحتلت مدينة تيننـدوس وجزيرة لمنوس وغيرهما وقطعت الطريق على السفن الحاملة للغلال والمؤنة فلم تتمكن من الوصول الى القسطنطينية فارتفعت لذلك الاسعار ووقع الغلاء وعز وجود الخبز واشتد الحال بالفقراء وطالت أيام هذه الشدة الى سنة ست وستين وألف[1] هجرية وقد تولى الصدارة محمد باشا الكوبريلى وفوض اليه تدبير جميع الامور وكان شيخا قوى العزم ثابت الجاش حسن التدبير عظيم السياسة خبير بأحوال المملكة فأخذ بزمام جميع الامور وأتى أوجه الاصلاح من أبوابها واشتد على طوائف الانكشارية شدة عظيمة للغاية فقتل منهم وغرق وشرد وسام كبارهم الخسف فثاروا فاشتد عليهم وضيق فخافوا وانكمشوا ولازموا الطاعة وسير سفن الحرب لاسترجاع ما أخذته مراكب جمهورية البندقية من الجزائر والثغور العثمانية وفتح طريق القسطنطينية فلاقتها سفن البندقية واقتتلوا فكانت الحرب بينهم سجالا ثم انتصرت سفن الدولة واستردت ما أخذ من الجزائر والثغور وما زال يقاوم أعداء الدولة فى الداخل والخارج ويأتى على أوجه الاصلاح من أبوابها حتى مرض واشتد به مرضه فسأله السلطان عمن يتولى المنصب بعده فقال ولدى وعليه فى اتمام مالم أتمه معتمدى . ومات فى سنة اثنتين وسبعين[2]وألف هجرية فتولى الصدارة بعده ولده أحمد باشا فكان كأبيه فى الحزم واصالة الرأى وحسن السياسة والتدبير فخافه طوائف الانكشارية وتجرد لمحاربة أعداء الدولة ففاز وظفر ونهى وأمر وغلب وقهر وفتح القلاع والحصون ودوخ المدن والامصار وأتم الاصلاحات التى كان بدأ بها أبوه فأعاد للدولة مجدها القديم .

(١)١٠٦٦هـ=١٦٥٦م .
(٢) ١٠٧٢هـ = ١٦٦٢م .

وكان لما تولى السلطان محمد الملك وبلغ مسامعه خبر الخلاف الواقع مابين محمد باشا والى الديار المصرية ورضوان بيك وعلى بيك مقدمى الامراء المصريين رسم بخلع محمد باشا المذكور فجاءه الفرمان بالعزل فى أواخر رمضان سنة ثمان وخمسين[1]وألف . وتولى مكانه الوزير أحمد باشا فسافر محمد باشا المعزول فى العشر الاولى من شوال فكانت مدة تصرفه سنة ونحو ثلاثة أشهر ودخل أحمد باشا القاهرة فى غاية شوال وصعد الى قلعة الجبل وتصرف فكان سيئ التدبير ضعيف الرأى مشؤم[2] الطالع على البلاد فأنه منذ قبض على زمام الاحكام ظهرت الفتن وبدأت القلاقل ودرج أهل الفساد وقصر النيل عن زيادته المعتادة فلم يبلغ فى سنة ستين وألف زيادة عن الستة عشر ذراعا فشرقت الاراضى فى الاقاليم القبلية جميعها وبعض أراضى الاقاليم البحرية وغلت الاسعار وعزت الاقوات وانقطع واردها الا القليل جدا وتجرد أحمد باشا من ذلك الوقت الى تجديد المغارم وفرض الفرض واحداث المكوس وتتبع أهل اليسار وعادى جميع الامراء وخص بالمكيدة رضوان بيك أمير الحاج وكاتب دار السلطنة فى شأنه وطلب عزله من منصب امارة الحاج وتولية على بيك بدله ليوقع النفرة[3] بينهما فلم يفلح اذ كان رضوان بيك وعلى بيك على غاية المودة والاخاء . فلما كان يوم السبت السادس من صفر سنة احدى وستين وألف جاء فرمان السلطان الى أحمد باشا المذكور بالعزل وولاية الوزير عبد الرحمن باشا فدخل عبد الرحمن باشا القاهرة فى سلخ صفر وصعد الى قلعة الجبل وقبض من ساعته على أحمد باشا وسجنه فى بيت وحاسبه على مافى ذمته من أموال الخزينة فكانت شيأ كثيرا ولم يفرج عنه إلا بعد أن دفعها وسافر الى الديار الرومية فكانت ولايته نحو سنتين .

مطلب
ولاية الوزير أحمد باشا

مطلب
عزل أحمد باشا وولاية الوزير عبد الرحمن باشا

(١) ١٠٥٨ = ١٦٤٨م .
(٢) صحتها مشئوم .
(٣) النفرة = النفور .

وتصرف عبد الرحمن باشا المذكور فاساء السلوك وحذا حذو السلف فأكثر من جمع الاموال السحت وزاد فى التعرض لاموال الناس وأكثر من الفرض والعوائد والمغارم وتطاولت يده الى مال الخزينة السلطانية ولم يقف عند حد فجار وظلم ومازال الى غرة شوال سنة اثنتين وستين[1] وألف فخلع من منصبه .

مطلب ولاية الوزير محمد باشا

وأتى مكانه الوزير محمد باشا ولم يدخل القاهرة فى موكبه الا فى ثامن المحرم افتتاح سنة ثلاث وستين وألف وصعد الى قلعة الجبل وقبض على عبد الرحمن باشا الوالى المعزول وسجنه ثم حاسبه على ما كان فى ذمته من مال الخزينة السلطانية ولم يفرج عنه من السجن الا بعد أن أدى ما عليه صاغرا .

وتصرف محمد باشا[2] المذكور فكان حازما عاقلا مدبرا واسع الكلمة مهيبا فخافه الجند وخشوا بأسه فتجرد الى اصلاح ما أفسدوه ورتب أمور البلاد على أحسن ترتيب فأمن الطرق وقطع دابر اللصوص وأهل الفساد فسكنت فى أيامه القلاقل واطمأنت قلوب الرعية ودرت الارزاق وكثرت الاقوات وزال الغلاء وانقطعت أسبابه ومازالت أيامه زاهية زاهرة حتى جاءه فرمان السلطان بالخلع سلخ المحرم سنة ست وستين[3] وألف هجرية فأسف الناس على فراقه أسفا ما عليه من مزيد وخرج جميع الامراء والكبراء والعلماء والاعيان فى ركابه مودعين .

---

(١) ١٠٦٢هـ = ١٦٥٢م ورد الولاة فى أوضح الإشارات ، ص ص٩٩-١٠١ على النحو الآتى :
١- محمد باشا الشريف من ١٠٥٨-١٠٥٩ (١٦٤٨ - ١٦٤٩م) .
٢- أحمد باشا ارنوط من ١٠٥٩-١٠٦١هـ/ ١٦٤٩ - ١٦٥١م .
٣- عبد الرحمن باشا الخادم ١٠٦١-١٠٦٢هـ/ ١٦٥١- ١٦٥٢م .
٤- محمد باشا أبو النور من ١٠٦٣- ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٢- ١٦٥٦م .

(٢) ، (٣) بمضاهاة ترتيب الولاه بما ورد فى أوضح الإشارات لأحمد شلبى تبين أن محمد باشا (أبو النور) تولى ما بين ١٠٦٣هـ إلى ١٠٦٦هـ (١٦٥٢-١٦٥٦م) ثم خلفه فى الولاية مصطفى باشا الوزير من ١٠٦٦ إلى ١٠٦٧ (١٦٥٦ - ١٦٥٧م) ثم خلفه غازى باشا من ١٠٦٧هـ إلى ١٠٧٠هـ (١٦٥٧-١٦٦٠م) وليس لبضعة شهور كما هو وارد هنا ، ثم تولى بعده مصطفى باشا الوزير من ١٠٧٠ إلى ١٠٧١هـ (١٦٦٠-١٦٦١م) ثم إبراهيم باشا الشيطان من ١٠٧١-١٠٧٤هـ (١٦٦١- ١٦٦٤م)وأخيراً تولى عمر باشا قاتل العرب من ١٠٧٤- ١٠٧٧هـ (١٦٦٤- ١٦٦٧م) ونلاحظ تردد المؤلف فى قوله (فإن صح ذلك . . .) .

● أوضح الإشارات ، مرجع سابق من ص إلى ص (١٠١-١٠٧) .

مطلب
ولاية غازى باشا وعزله وولاية عمر باشا

وتولى بعده غازى باشا فأقام بضعة أشهر وجاءه الامر بالعزل فسار الى الديار الرومية وتولى بعده عمر باشا فى أواخر سنة سبع وستين[١] وألف هجرية فطالت أيامه . ولما كانت سنة احدى[٢]وسبعين وألف قامت الفتنة بين العساكر المصرية على اختلاف طبقاتها واشتدت نارها وعلا لهيبها فى القاهرة ومصر القديمة ثم امتدت الى الاقاليم القبلية وعظم أمرها فتطاولت أيدى الجند والغوغاء معا الى السلب والنهب وهتك الحرمات وظهر العربان فتخطفت كل من خرج من مصر فرارا من الفتنة فكانت شدة عظيمة للغاية مات فيها الجم الغفير من الناس وجرى الدم فى الشوارع والحارات ومات الكثير من الامراء الفقارية وغيرهم وطالت أيام الفتنة ثم انحسمت أسبابها ولبث عمر باشا الوالى المذكور يتصرف الى سنة سبع وسبعين وألف هجرية[٣] . قلت فان صح ذلك كانت ولايته زهاء عشر سنين وهذا بعيد فى جانب ماتعوده رجال السلطنة من كثرة العزل والتولية فى ولاة مصر لاسيما وقد كانت أيام عمر باشا المذكور مفعمة بالفتن والكوارث والمحن وخروج الجند بعضهم على بعض فكان لابد لتسكين الفتنة ومنع حدوث مثل هذه القلاقل من تغيير وتبديل فى الولاة . ثم عزل عمر باشا المذكور وتولى بعده أحمد باشا وقيل ابراهيم باشا وذلك فى أواخر سنة سبع وسبعين فأقام سنة وعزل فى أواخر سنة ثمان وسبعين وألف هجرية وفى رواية انه أقام يتصرف الى سنة خمس[٤]وثمانين وألف هجرية فكانت مدة تصرفه زهاء تسع سنين . وتولى بعده حسين باشا وجاء الخبر بوصوله الى بولاق

مطلب
ولاية أحمد باشا أو إبراهيم باشا وعزله وولاية حسين باشا

(١) أواخر ١٠٦٧هـ = ١٦٥٦م/١٦٥٧م .
(٢) ١٠٧١هـ = ١٦٦١م .
(٣) ١٠٧٧هـ = ١٦٦٦م/١٦٦٧ .
(٤) ١٠٨٥هـ = ١٦٧٤م: وهو إبراهيم باشا البوستنجى ١٠٧٧هـ إلى ١٠٧٨هـ (١٦٦٨م - ١٦٦٩م) وتولى بعده الوزير على باشا قراقاش ١٠٧٩هـ - ١٠٨٠هـ (١٦٦٠-١٦٧٠م) ثم إبراهيم باشا الوزير من ١٠٨١-١٠٨٣هـ (١٦٧٠- ١٦٧٢م) ثم يأتى حسين باشا جنبلاط هذا من ١٠٨٤هـ إلى ١٠٨٦هـ (١٦٧٤-١٦٧٦م) . ويتضح عدم تأكد المؤلف من صحة الترتيب من قوله (فإن صح ذلك) .
● أوضح الإشارات من ص-ص ١١٠-١١٨ .

مصر فخرج الناس للقائه وركب في موكب حافل للغاية وصعد الى قلعة الجبل ومعه كثير من الخدم والحشم فأخذ يتصرف مع الحكمة والعقل وكان محبا للرعية غير متحجب كان يجلس للناس فترفع له القصص فيأمر وينهى مع الرفق واللين وجاءه فرمان السلطان بطلب ثلثمائة كيس قروش كلاب على حساب القرش الكلب ثلاثون نصف فضة . قال بعض الكتاب وكانت قيمة القرش[١] الكلب الى ذلك الوقت أربعين نصف فضة وكانت قيمة الريال اثنين وأربعين والشريف[٢] البندقى خمسة وتسعين نصف فضة والشريف[٣] المحمدى خمسة وثمانين . ولبث حسن باشا يتصرف حتى جاءه الامر بالعزل فى المحرم افتتاح سنة سبع وثمانين وألف هجرية وتولية حسن باشا الجانبلاط فكانت مدة تصرف حسين باشا سنة سبع وثمانين وألف هجرية وتولية حسن باشا الجانبلاط فكانت مدة تصرف حسين باشا سنة وبضعة أشهر ودخل حسن باشا الجانبلاط القاهرة فى منتصف المحرم فخرج للقائه العلماء والمشايخ والامراء وكبار الجند وأصحاب العكاكيز فصعد الى قلعة الجبل فى الموكب المعتاد وأطلقت لقدومه

مطلب
ولاية حسن باشا جنبلاط

(١) القرش الكلب : عملة هولندية الأصل ، وقد ضرب القرش فى عهد المعلم رزق أيام محمد على على غرار ما كان موجوداً من قبل ، وكان هناك الريال الكلب = اثنين وأربعين نصف فضة .

(٢) الشريف البندقى : الشريف عملة عثمانية من الذهب الخالص .

نصف الفضة أصغر عملة نقدية تركية ، تساوى ١/٤٠ من القرش ، وأطلق عليها اسم «بارة» وترد كثيراً فى سجلات المحكمة الشرعية بالإسمين «نصف فضة وبارة» أما الريال الحجر فكان نوعاً من العملة التى انتشرت فى مصر ، وتذكره وثائق المحكمة الشرعية أحياناً باسم الريال الحجر أو أبو طاقة أو بطاقة ، والكلب أو الريال أبو كلب أو القرش أبو كلب فكلها عملة هولندية وقد كانت قيمة الريال أبو كلب أقل من قيمة الريال الحجر ، وكانت كلها تقدر بقيمة العملة التركية - النصفة الفضة الديوانى - كما هو وارد فى سجلات محكمة القسمة العسكرية .

أما الشريفى ، فكان نوعان الشريفى الجديد ، وهو نوع من العملة التركية أعلى قيمة من الريال الحجر أو الريال الكلب ، وأن يختلف من فترة لأخرى .

والشريف البندقى نقد ذهب أجنبى انتشر فى مصر ، وسمى كذلك نسبة إلى مدينة البندقية التى بدأت تضربه سنة ١٢٥٢م ، وأقبلت كل بلاد المشرق على التعامل به ، وأصبح نموذجاً لعلو القيمة والنقاوة .

● (أوضح الإشارات ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ط١٩٩٤ ، ص٥٧) .

(٣) الشريف المحمدى ، أو المحمودى= أربعون نصف فضة .

● عجائب الآثار ، جـ٣ ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص٥٦٣ .

البشائر فأخذ يتصرف فى الامور فكان مشؤم الطالع وقع فى أيامه غلاء عظيم وانقطع الوارد من المأكول وعز وارتفعت الاسعار جدا فبيع الاردب القمح بمائة وثمانين نصف فضة والاردب الشعير بمائة وثلاثين وكذلك الفول والتبن كل حمل[1] بمائة وخمسين نصفا فضة واشتد الحال على الفقراء حتى أكلوا الميتة وجذور الاشجار وطافوا فى الشوارع يتخطفون الخبز من الافران ويرجمون بيوت الامراء بالاحجار ويصيحون ويضجون . قال بعض أصحاب التاريخ ومع هذا فقد كان النيل فى غاية الكمال وأقام حسن باشا يتصرف الى أن جاءه الامر بالعزل فى المحرم سنة احدى وتسعين وألف هجرية[2] وتولية عثمان باشا فكانت مدة تصرفه أربع سنين . ودخل عثمان باشا القاهرة وصعد الى قلعة الجبل وأخذ يتصرف فى الامور فكان عادلا كاملا حسن السيرة قنوعا غير محب لاخذ ما بأيدى الناس وزاد النيل فى أيامه زيادة عظيمة فعم جميع الاراضى القبلية والبحرية ورواها وأخصبها فأثمرت وأنتجت غلاتها فنزلت الاسعار وكثر الوارد وامتلأت العرصات[3] بالقمح والفول والشعير والعدس والارز وكثر الخبر بالافران والدكاكين وشبع الفقراء ووجه عنايته إلى ضبط المقاييس والمكاييل وتحرير عيار النقود على اختلافها فلم يتم ذلك حتى جاء الامر من دار السلطنة بأن يكون وزن الالف نصف فضة مائتين وثلاثين درهما وكل مائة درهم فضة يدخله خمسة وعشرون درهما من النحاس ونودى بذلك فى القاهرة ومصر القديمة فتكدر الناس من ذلك جدا وخصوصا السوقة وأصحاب التجارة وراجعوا الباشا فى ذلك فرفع الامر الى دار السلطنة وبالغ فى شكوى الناس من ذلك فلم يلتفت اليه وجاءه الامر بالتعجيل ففعل .

مطلب
ولاية عثمان باشا

---

(١) حمل التبن : معيار حجمى لبيع التبن وهو ما كان يحمله الجمل .

(٢) ١٠٩١هـ = ١٦٨٠م .

(٣) العرصات : جمع عرصة وهى السوق التى كانت تعرض فيها الغلال للبيع ، وكان بالقاهرة أكثر من عرصة للغلال .

● (الجبرتى : مظهر التقديس ، المرجع السابق ، ص٢٧١) .

وكانت الى هذا الحين لم تبطل الحرب[١] القائمة مابين الدولة وخصومها ولم يتم جميع الاصلاحات التى بدأ بها كوبريلى[٢] أحمد باشا بعد توليته الصدارة العظمى انجازا لمقاصد أبيه اذ عاجلته المنية فمات حتف أنفه فى سنة سبع[٣] وثمانين وألف هجرية فولى الصدارة بعده زوج أخته قره مصطفى قال بعض الكتاب فلم يكن كفؤا لهذا المنصب الجليل ولاهو موصوف بحسن السياسة والتدبير فلما استقر به المنصب تغلب عليه هواه فركب متن الشطط وباع المناصب العالية وعاقد الدول على مايأباه شرف دولته وعزة جانبها وخلط وخبط فأبعد عن الدولة قلوب معاهديها وأزال بسوء تدبيره ما أسسه كوبريلى الكبير وابنه من بعده فظهر الخلل وتطرف الى جميع مصالح الدولة وتقدمت الاوغاد وعلت كلمة الاغرار واشتد خصوم الدولة عليها فسار قره مصطفى الصدر المذكور فى جيش[٤] عظيم يريد محاصرة ويانه عاصمة النمسا فنزل عليها وحاصرها وضيق عليها وأقام على حصارها زهاء شهرين واستولى على جميع قلاعها الامامية ورمى عليها بالقنابل وراسل الرمى ليلا ونهارا حتى هدم بعض أسوارها ولما يأخذها فسير بابا رومه رسله الى ملك بولونيا وملك ساكس وباڤييرا يستنهضهم الى نجدة النمساويين وقتال المسلمين وخلاص البلاد من أيديهم

---

(١) الحرب بين العثمانيين والقوزاق والروس استمرت حتى سنة ١٦٨١م حيث تم الصلح بينهم على أساس بقاء الحالة على ما كانت عليه قبل الحرب وسميت هذه المعاهدة (رادزين Radzyn) ، وهى بلدة بولونية تقع على الجنوب الغربى من العاصمة وارسو .
● (محمد فريد : تاريخ الدولة العلية - المرجع السابق ، ص٣٠٠) .

(٢) كوپرو بمعنى الجسر فكوبريلى صانع الجسور أو الكبارى ، وقد كان لاسرة كوبرولى أو كوبريلى شأن كبير فى التاريخ العثمانى .
● (محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، مرجع سابق ، ص٢٩٠) .

(٣) ١٠٨٧هـ = ١٦٧٦م .

(٤) كانت الدولة العثمانية فى عهد السلطان محمد الرابع فى حروب مع كل من : اليونان والبندقية والنمسا وغيرها من بلاد أوربا ، فضلاً عن حالة التوجس من الفرس .
وويانة هنا هى ڤينا عاصمة النمسا .

فقاموا جميعا للقتال وهاجموا عساكر المسلمين وقاتلوهم قتالا عنيفا للغاية فظفروا بهم وانتصروا عليهم نصرة عظيمة وفشلت جنود قره مصطفى باشا وتمزقت فاستولت الاحزاب على جميع مدافعهم وماتركوه من مؤنة ودواب وآلات الحرب وكانت شيأ كثيرا للغاية ثم جمع قره مصطفى باشا مابقى من جنوده على نهر داب وقفل راجعا بهم الى مدينة بور فتتبعه ملك بولونيا فى عسكره وصار يتخطف من خلفه ووصل الخبر بذلك الى دار السلطنة فكبر الامر على السلطان وسير على الفور أحد حاشيته الى قره مصطفى باشا فقتله وبعث رأسه الى القسطنطينية وولى مكانه ابراهيم باشا وكبر الامر على دولة النمسا وتعلقت آمال ملكها بالنصر بعد استخلاص ويانه من هجمات العساكر العثمانية فتحالف مع مملكة بولونيا وجمهورية البندقية ورهبنة القديس يوحنا وبابا رومية ودولة الروس على قتال المسلمين وأخذ جميع مابأيديهم من البلاد فى قارتى آسية وأوربا ودعوا هذه المحالفة بالمحالفة المقدسة ثم فتحوا الحرب على الدولة من كل صوب وحدب فسارت سفن جمهورية البنادقة تتهدد سواحل اليونان وبلاد الموره ومعها سفن حرب البابا وسفن رهبنة القديس يوحنا فتغلبوا على مدن اليونان وأخذوا كورنيشة[1]وأثينه وزحف جيوش الملك سوبسكى على بلاد البغدان وأغارت عساكر النمسا على بلاد المجر فاحتلت مدينة بست وحاصرت مدينة بور وضيقت عليها فلم تنل منها فهاجموا بعض القلاع والحصون وأخذوها عنوة وفاز الاحزاب وانتصروا عدة نصرات متتابعة فكبر ذلك على السلطان وظنه خيانة من الصدر الاعظم فسير اليه الامر بالعزل والابعاد الى جزيرة رودس وعين مكانه سليمان باشا السردار[2] فلم يغن عزله شيأ ولم يفلح لسليمان باشا السردار عمل وافتتح النمساويون مدينة بور ودخلوها واعملوا فيمن بها من العساكر

(١) كورنيثة = كورينثة = كورينثوس .

(٢) السردار : القائد .

العثمانية القتل وقتلوا عاملها المدعو عبدى باشا فكان سقوط هذه المدينة فى أيدى الاعداء خسارة عظيمة على الدولة العثمانية وفشلت بغد[1] ذلك عساكر سليمان باشا وتولى عليها الجبن والضعف وفازت عساكر الاحزاب وتقدمها النصر فى جميع حروبها والسلطان فى شاغل عن جميع أمور السلطنة بالصيد والقنص ومنادمة قرناء السوء فى القسطنطينية وضواحيها

ولما وردت الاخبار الى دار السلطنة بتوالى هزيمة العساكر العثمانية وفوز الاحزاب ودخول الشتاء رسم السلطان بأن يكون الروم ايلى مشتى العساكر فى ذلك العام أيضا وقد كانوا أشتوا فيها عدة سنين فهاج العسكر عند ذلك وماجوا وأبوا الا العود الى دار السلطنة فلما صاروا على مقربة منها كتبوا محضرا بما عليه السلطان من سوء الاخلاق وعدم صلاحيته لمنصب الخلافة وطلبوا خلع بيعته فوافقهم على ذلك العلماء والمشايخ وأهل الدولة وخلعوه فى غرة المحرم افتتاح سنة تسع وتسعين وألف هجرية وأجلسوا بدلا منه أخاه السلطان[2] سليمان الثانى وبقى السلطان محمد محجورا عليه حتى مات سنة خمس ومائة وألف هجرية .

(١) بغد : صحتها بعد .

(٢) عزل السلطان محمد بعد حدوث الفوضى السياسية والإدارية فى السلطنة باتفاق العلماء ، والقائمقام قره مصطفى ، وأن محمد فريد يختلف فى التواريخ بعض الشيئ ، فيقول أن العزل تقرر يوم ٢ محرم سنة ١٠٩٩هـ ، ٨نوفمبر ١٦٨٧م بعد أن حكم أربعين سنة وخمسة أشهر ، إلى أن مات فى ٨ ربيع آخر ١١٠٤هـ (١٧ ديسمبر ١٦٩٢) بالغاً من العمر ٥٣ سنة ودفن فى تربة والدته ترخان سلطان وتولى بعد عزله أخوه سليمان الثانى .

● (محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، مرجع سابق ، ص٣٠٤) .

# (الفصل الثالث عشر)

## (فى سلطنة السلطان سليمان[1] خان الثانى )

ثم قام بالامر بعد خلع السلطان محمد أخوه السلطان سليمان خان الثانى بويع له بالملك فى الثانى من المحرم افتتاح سنة تسع وتسعين وألف هجرية أى سنة سبع وثمانين وستمائة وألف ميلادية وطيروا الخبر بذلك الى الآفاق فلما تمت له البيعة دخل جميع العساكر الذين كانوا فى حومة القتال الى دار السلطنة بسلاحهم وكراعهم ودوابهم وضربت كتائب السباهيين خيامهم فى المكان المعروف بميدان السلطان أحمد وضرب الانكشاريون خيامهم فى المكان المعروف بأت ميدان وما عتموا حتى قبضوا بعد ذلك على أزمة الاحكام وأمروا ونهوا وصاروا يعزلون ويولون ويقصون ويدنون من شاؤا ويقتلون ويصادرون الوزراء والامراء والحكام على السواء وتطاولت أيديهم أيضا الى أموال الرعية واشتدوا على الناس شدة بالغة وعاثوا وأفسدوا وهتكوا الحرمات ودخل جماعة منهم يوما الى الباب العالى وقبضوا على الصدر الاعظم سيواس باشا وقتلوه شر قتلة فعم الخلل وظهر أهل الفساد فتبعوا العسكر فى النهب والسلب وعاثوا وعربدوا واتفق ان جماعة منهم دخلوا الى بيت شريف من الاشراف ينهبون فمانعهم[2] الشريف فلم يقدر فخرج وهو يصيح ويضج ثم رفع منديلا على رأس عصا وصار ينادى من كان مؤمنا بالله ورسوله فليأت تحت الصنجق فلما سمع الناس نداءه أتوا اليه من كل صوب وحدب وأحاطوا به وهم يضجون ويعجون الى الله وذاع الخبر

---

(١) سليمان خان الثانى السلطان العشرون ولد فى ١٥ محرم ١٠٥٢هـ/ ١٥ إبريل ١٦٤٢م وهو ابن السلطان إبراهيم الأول .

وتولى من ١٦٨٧م إلى ١٦٩١م حيث توفى بغير وريث عن عمر يناهز الخمسين سنة بعد أن حكم حوالى ثلاث سنوات وثمانية أشهر ، ودفن فى تربة جده السلطان سليمان الأولى وتولى بعده أخوه أحمد خان الثانى .

● (محمد فريد : المرجع السابق ، ص ص٣٠٥ ، ٣٠٦) .

(٢) مانعهم = منعهم .

فى جميع أطراف القسطنطينية بخروج البيرق النبوى أى بيرق صاحب الشريعة فهرع الناس أفواجا أفواجا الى السراى السلطانية وهم لايشكون فى أن منديل ذلك الشريف هو البيرق النبوى فتعجب الامراء وكبار الدولة من هذا الامر الغريب وظنوا أن اجتماع هذه الجموع الكثيرة على هذه الصورة انما هو بارادة سماوية ومشيئة الهية فأسرعوا فى اخراج البيرق النبوى للحال ووقع السيف فى أعناق أهل الشقاوة والفساد وكثر القتل والتفريق وعمت الثورة واستفحل الخطب واشتد الويل والكرب وأغلقت الاسواق وتترس الناس فى البيوت والدروب فكانت فتنة كبرى .

وبينما كانت القسطنطينية تتأجج بنار الفتنة والدماء تسيل فى طرقاتها كانت عساكر الاحزاب تقاتل بلاد الدولة وتحتل الثغور وتأخذ القلاع والحصون فاستولى البندقيون على ايالة المورة ووصل النمساويون الى بلغراد ثم استولوا على قلاع ودين وفتح الاسلام ونيس والافلاق وغيرها ووردت الاخبار بذلك إلى دار السلطنة فاجتمع كبار الدولة وأهل الحل والعقد فيها وتشاورا[1] فى الأمر واعترفوا بعجزهم وعدم قدرتهم على اطفاء نار هذه الفتنة وبعد اقدام واحجام اتفقت كلمتهم على تسليم كوبريلى مصطفى باشا خاتم الصدارة العظمى فاستقدموه فى الحال وسلموه الخاتم فقبض على زمام الأمور بهمة عالية وأبطل كثيرا من البدع والمظالم المستحدثة وأزال جميع الامانات والالتزامات وأبطل رسوم وعادات الوزراء فى الاعياد والمواسم وبالغ فى ارجاع الجند الى حدود الطاعة وملازمة النظام وصرف لهم جميع جماكيهم وعلوفاتهم المتأخرة وبث حول كبارهم العيون والارصاد فخافوه وأخلدوا الى السكينة وقطع دابر أصحاب الشقاوة وأهل الفساد وأمن الطرق فأحبه الناس ومالت اليه قلوب الجند فأذعنوا لأمره واجتمعوا عند كلمته وأنطلقت ألسنة الناس كافة بالدعاء له فلما تم ما أراده من تنظيم أمور المملكة الداخلية تجرد للغزو وأخذ الثار من الاعداء وأثار الحرب على النمسا وجمهورية البندقية وبقية الاحزاب وسير لقتالهم عسكرا جرارا فكانت بينهم

---

(١) وردت هكذا فى الأصل .

سجالا . وبينما كانت نار الحرب تشتعل بين العساكر السلطانية وجيوش الاحزاب تحرك كذلك بطرس(١) الاكبر قيصر الروس ونكث العهد وزحف بجيش عظيم يريد اما التخلص من الجزية المفروضة على مملكته لبكوات القريم(٢) واما الحرب والقتال فكبر هذا الأمر على الصدر الاعظم ورسم لجيوش التتار بقتال الروس فقاتلوهم قتالا عنيفا وهزموهم شر هزيمة وغنموا ما كان معهم من المدافع وآلات الحرب والخيام والدواب وكانت شيأ كثيرا وعادت التتار ظافرة وتفرغ الصدر الاعظم حينئذ لقتال الأحزاب وشدد فى ذلك فهزمت العساكر السلطانية عساكر جمهورية البندقية وانتصرت عليها نصرا عظيما وركب هو بعسكره أيضا على دولة النمسا فافتتح قلعة نيس وجميع القلاع والبقاع المتصلة الى قلعة بلغراد وقلعة سمندرة واسترجعت أيضا السفن العثمانية قلعة ودين وسير طائفة من العسكر الى أطراف أردل ففتحوها وانتصروا على من كان بها من الاعداء .

---

(١) بطرس الأكبر : ولد عام ١٦٧٢ ، وهو أصغر أولاد الكسس من زوجته الثانية ، تولى الملك سنة ١٦٨٢ تحت الوصاية فنازعه أخوه الأكبر إيوان وأخته صوفيا ، وفى سنة ١٦٨٩م استقل بالملك بعد استقالة أخيه فحجز أخته فى أحد الأديرة ، ومنذ ذلك الحين بدأ الإصلاح وظهرت مواهبه ، فاهتم ببناء الأسطول وإدخال النظم الحديثة فى الجيش ، وقد تمكن من إبعاد الوصية عن الحكم وجعل نفسه حاكم روسيا الأوحد خاصة بعد وفاة شقيقه ايفان سنة ١٦٩٦ فسافر إلى ممالك أوربا سنة ١٦٩٧ لدراسة نظمها والأخذ بالمفيد منها وعاد إلى موسكو بعد سنة ، وأبطل جيش الأسترلتز المشابه للانكشارية وأسس مدينة سان بطرسبرج ونقل إليها العاصمة من موسكو .

وكان هدفه امتلاك منافذ على بحر البلطيق الذى كانت تسيطر عليه السويد انذاك ، والبحر الأسود الذى كانت سواحله ملكاً لتركيا ، وذلك ليتيح لروسيا أن تصبح دولة تجارية وبحرية كبرى ، فحارب الترك واستولى على آزوف ١٦٩٦م ، كما قمع فتنة كانت تحرض عليها الوصية السابقة وبدأ برنامجاً واسعاً للإصلاح الداخلى ونقل العاصمة إلى بطرس برج ١٧١٣ ، وكان صارماً جداً فى حكمه مما أثار عليه العناصر المحافظة ورجال الدين ، خصوصاً عندما ألغى بطريركية موسكو وأحل محلها سنودسا (مجلساً كنسيا) تحت رئاسته شخصياً ، عذب من عارضوه بلا رحمة ، ثم انغمس فى الملذات واتخذ سنة ١٧٢١ لقب إمبراطور وأعلن زوجته كاترين إمبراطورة عام ١٧٢٤ .

حارب شارل الثانى ملك السويد وحارب الفرس وأخذ منها عدة ولايات وتوفى فى ٨ فبراير ١٧٢٥ فخلفته زوجته كاترين الأولى .

●(محمد فريد : المرجع السابق ، ص٣٠٨ ، الموسوعة العربية الميسرة ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص٣٧٧ ، ٣٧٨) .

(٢) القريم : القرم .

ولم تكن هذه الحروب المتتابعة لتشغل رجال السلطنة عن التولية والعزل فى ولاة مصر فانه بعد أن لبث عثمان باشا يتصرف جاءه الأمر بالعزل فى أوائل سنة تسع وتسعين وألف[1] هجرية . وتولية حسن باشا السلحدار فكانت مدة تصرفه نحو ثمان سنين وبضعة أشهر . ووصل حسن باشا الى الاسكندرية فخرج للقائه الامراء وكبار الجند والعلماء والوجهاء فدخل القاهرة فى موكب حافل للغاية وصعد إلى قلعة الجبل وأخذ يتصرف فى الامور فلما كانت سنة ألف[2] ومائة هجرية وقع الغلاء بمصر وامتنع الوارد من الغلال إلى القاهرة فبيع الاردب القمح بمائة وعشرين نصفا فضة والاردب الشعير بثمانين والفول بخمسة وتسعين نصفا . قال بعض الكتاب وأجرة طحين ويبة القمح أربعة أنصاف فضة فضج الفقراء وطافوا بالازقة والحارات يتساءلون وصاروا يتخطفون مايجدونه من الخبز فى الافران وفى الدكاكين واهتم حسن باشا بأمر الغلاء ففتح الاشوان[3] السلطانية وأطعم حتى زال الغلاء وكثر الوارد من الغلال واطمأنت قلوب الناس ولبث حسن باشا يتصرف الى ربيع الثانى سنة إحدى ومائة وألف هجرية فجاءه الأمر بالعزل وتولية أحمد باشا فنزل من قلعة الجبل . ودخل أحمد باشا القاهرة فى آخر ربيع الثانى المذكور فكانت مدة تصرف حسن باشا ثلاث سنين غير كوامل وتصرف أحمد باشا تصرفا حسنا إلا أنه لم تطل مدته .

مطلب
ولاية حسن باشا
السلحدار

(١) ١٠٩٩هـ = ١٦٨٧م .

بمضاهاة نهاية ولاية عثمان باشا الذى بدأها عام ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م بما ورد فى كتاب أوضح الإشارات أنه عزل فى ١٢ رمضان ١٠٩٤/٤ سبتمبر١٦٨٣ بينما هنا يذكر (الكافى) أنه عزل فى سنة ١٠٩٩هـ ليتولى بعده حسن باشا السلحدار ، بينما فى أوضح الإشارات تولى بعده حمزة باشا من ٩ شوال ١٠٩٤هـ - ٢٠ذى القعدة ١٠٩٨هـ أى ١ أكتوبر ١٦٨٣ إلى ٢٧ سبتمبر ١٦٨٧ ، ثم تولى حسن باشا السلحدار فى ١٢ ربيع ثانى ١٠٩٩ إلى ٥ الحجة ١١٠٠هـ .

● (أوضح الإشارات ، مرجع سابق ، ص ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٧) .

(٢) ١١٠٠هـ= ١٦٨٩م .

(٣) الاشوان : الشون جمع شونة وهى المخازن التى تحوى الغلال والحبوب . والويبة = كيلتان .

وكان السلطان سليمان قد رحل عن القسطنطينية إلى أدرنه وأقام بها يستطلع أخبار الحرب ويستنشق نسمات النصر بعد ذلك الخذلان المتتابع فبينما هو على هذا الحال جاءته الاخبار بظفر جنوده وقهرهم للأعداء ففرح بذلك فرحا لايوصف وسار من أدرنه إلى دار السلطنة فضربت لقدومه البشائر وعاد بعد أيام أيضا الصدر الاعظم بجميع عساكره ورايات النصر تخفق على رؤسهم كان ذلك فى وقت الشتاء فتفرغ من الحرب الى امضاء الاحكام وتنظيم أمور الدولة واعادة ماخسرته من العز والجاه وبقى كذلك الى دخول الربيع فخرج بجيوشه يريد بلغراد للغزو والجهاد وخرج السلطان إلى أدرنه تشجيعا للمقاتلين فلم يلبث بها الا أياما حتى مرض واشتد به مرضه فمات فى العشرين[1] من رمضان سنة اثنتين ومائة وألف فكانت سلطنته ثلاث سنين وتسعة أشهر وتولى الملك بعده أخوه السلطان أحمد خان الثانى ابن ابراهيم خان .

(١) يختلف هذا المؤلف مع محمد فريد فى كتابه تاريخ الدولة العلية فى تاريخ وفاة سليمان الثانى حيث يورد محمد فريد أنه مات فى ٢٦ رمضان ١١٠٢هـ/٢٣ يونيه ١٦٩١م .
● (محمد فريد ، المرجع السابق ، ص٣٠٦) .

# (الفصل الرابع عشر)

## (فى سلطنة السلطان أحمد الثانى[1] ابن ابراهيم)

ثم قام بالامر بعد السلطان سليمان أخوه السلطان أحمد الثانى ابن السلطان ابراهيم بويع له بالملك يوم موت أخيه سنة اثنتين ومائة وألف هجرية أى نحو سنة أحدى وتسعين وستمائة وألف ميلادية فلما استقرت به السلطنة أخذ يتصرف فى الامور ولم تكن الحرب القائمة بين جيوش مصطفى كوبريلى صدر الدولة وبين جيوش النمسا قد انقضت الى ذلك الوقت فاهتم السلطان أحمد بأمرها وسير مصطفى باشا المشار اليه الى بلاد النمسا لاخضاعها واسترداد مابقى تحت يدها من المدن والبلدان فسار مصطفى باشا ومازال يحارب حتى مات فى ساحة الحرب وانهزم جيشه شر هزيمة ومات منه زهاء العشرين ألفا وتشرد من بقى منه فاضطرب السلطان من ذلك وصمم على الاخذ بالثأر فجعل يعد المعدات ويجيش الجيوش ويراقب الفرص ويتبين انتفاعها فبينما هو على هذا الحال اذ قام الحريق بالقسطنطينية واشتد بها شدّة بالغة جدا فاحترق نحو ربع المدينة ومات كثير من الشيوخ والاطفال وعم الخطب فتعوق تسيير الحملة على بلاد النمسا ولم تخرج الا فى سنة خمس ومائة وألف وكانت جيوش النمسا فى هذا الحين تشدد الحصار على مدينة بلغراد فلما جاء الخبر بمقدم العساكر العثمانية خاف قائد جيوش النمسا وفك الحصار عن بلغراد ورجع عنها فنزلت العساكر العثمانية حول بلغراد ولبثت هناك من غير قتال ولم يقع الاتفاق بين قائد الجيوش العثمانية وقائد جيوش الفرنجة على شئ من أسباب الصلح أو المهادنة ولم تزل الحال كذلك الى أن مات السلطان أحمد سنة ست ومائة وألف

---

(١) أحمد خان الثانى : ولد فى ٦ ذى الحجة ١٠٥٢هـ/٢٥ فبراير ١٦٤٣م ، ومات فى ٢٢ جمادى الثانية سنة ١١٠٦هـ/ ٧ فبراير ١٦٩٥م وعمره ٥٤ سنة قمرية تقريباً بعد أن حكم ٤ سنوات ، ٨ أشهر ودفن فى تربة جده سليمان الأول مع أخيه سليمان الثانى .

● (محمد فريد : المرجع نفسه ، ص٣٠٧) .

هجرية[١] فكانت سلطنته ثلاث سنين وبضعة أشهر وقيل أربع سنين ومات فى أيامه أحمد باشا والى مصر فدفن بالقرافة . وجاء فرمان السلطان بتولية على باشا قلج بدله فدخل القاهرة فى ربيع الثانى سنة اثنتين ومائة[٢] وألف هجرية فكانت مدة تصرف أحمد باشا سنة وبضعة أشهر وتصرف على باشا قلج فكان غير موفق فى جميع أعماله ميالا للايذاء غير قنوع وقصر فى أيامه النيل عن زيادته المعتادة فرسم للشيخ يوسف السادات بأن يبيت فى قاعة المقياس ويتلو حزبه[٣] فى كل ليلة حتى يحصل الوفاء وأقام بطرك[٤] المتأصلين كذلك الصلاة ودعاء الله سبحانه وتعالى قيل فزاد النيل ووفى فى السابع والعشرين من مسرى القبطى وعم الاراضى ثم انحدر عنها فاخصبت وانتجت غلاتها ولبث يتصرف حتى تولى السلطنة السلطان مصطفى الثانى ابن السلطان محمد الرابع وكان من أمره ما سيذكر فى محله .

مطلب
ولاية على باشا
قلج

---

(١) ١١٠٦هـ = ١٦٩٤م .

(٢) ١١٠٢هـ = ١٦٩٠م .

إلا أنه بالرجوع إلى كتاب الدرة المصانة وكتاب أوضح الإشارات تبين أنه تولى سنة ١١٠٣هـ .

● (الدرة المصانة ، تحقيق الدكتور عبد الوهاب بكر والأخرى تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص٤٩ ، ص١٠ ، وأوضح الإشارات ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص١٣٢) .

(٣) الحزب : الورد وهو ما يعتاده الشخص من صلاة وقراءة دينية وغير ذلك من العبادات الإسلامية .

● المصباح المنير ، ط٦ ، القاهرة ، ١٩٢٥ ، ص١٨٣ .

(٤) كان هذا البطريرك هو يوحنا ١٦ البطريرك ١٠٣ ، سيم بطريركاً فى عهد السلطان محمد الرابع سنة ١٦٧٦م ، وكان يدعى أولاً إبراهيم بن المغربى ، وهو من طوخ دلكة منوفية ، وترهب بدير انطونيوس ، وكان نشيطاً فزار الوجهين البحرى والقبلى متفقداً أحوال الأقباط وكان يصاحبه أحد كبار المسيحيين وكان جرجس الطوخى ، هذا الرجل ساعده بماله فى ترميم كثير من الأديرة والكنائس .

وكان هذا البطريرك محسناً للفقراء والغرباء والمحتاجين ، قضى فى البطريركية ٤٢ سنة وثلاثة أشهر حيث توفى فى عام ١٧١٨م فى عهد السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣-١٧٣٠) وليس فى عهد السلطان عبد الحميد كما ذهب المؤلف فى ص٣ من ملحق الكتاب حيث أن السلطان عبد الحميد بن السلطان أحمد حكم ١٧٧٤-١٧٨٩م .

● (منسى يوحنا : المرجع السابق ، ص٥٢٩) .

# (الفصل الخامس عشر)

## (فى سلطنة السلطان مصطفى الثانى ابن السلطان محمد الرابع)

ثم قام بالامر بعد السلطان أحمد ابن أخيه السلطان مصطفى الثانى ابن السلطان محمد الرابع بويع بالملك سنة ست ومائة وألف هجرية اى سنة خمس وتسعين وستمائة وألف ميلادية وكان متأدبا حسن السيرة محبا للعلوم والمعارف رزينا كريم الاخلاق فلما استقرت به السلطنة جيش على جزيرة ساقس ففتحها ثم سار الى قتال النمسا اذ الحرب لم تكن خمدت نارها بين الفريقين فلما التقى الجمعان واقتتلا انهزمت جيوش السلطان شر هزيمة فقفل راجعا بمن بقى معه ثم سار بجيش آخر لقتال الروس فلاقته جيوشهم وقاتلته قتالا عنيفا فانتصرت عليه نصرة عظيمة وأخذت منه مدينة ازوف ولما رأى السلطان من توالى نصرة أعدائه وموت عساكره سلم خاتم الصدارة الى حسين باشا عموجه زاده من عائلة كوبريلى ففرح الناس بذلك وعدوا هذا الفعل من تدابير السلطان الحسنة وكانوا يودون لو أن الصلح يقع مع الدولة المحاربة على يد حسين باشا الصدر المذكور فتحقن الدماء وتزول ويلات الحروب وكان الصدر الاعظم يرى وجوب التمسك بقول القائل اذا أردت الصلح والصلاح كن مستعدا للحرب والكفاح فسار من فوره بالعسكر السلطانى الى نواحى بلغراد يريد القتال فتداخلت عند ذلك دولتا الانجليز والفلمنك(١) فى تقرير قاعدة للصلح فأذعن الصدر بذلك خوفا من ملل الجنود من توالى الحروب عليهم فى اربع جهات مختلفة ونفاد الاموال فضلا عما طرأ على البلاد من الخراب فتم أمر الصلح مع الاحزاب ولكن لم يرق هذا العمل الخطير فى عين فيض اللّه افندى شيخ الاسلام وحسد الصدر الاعظم على هذا الفوز فدس فى حقه الى السلطان وأكثر من

---

(١) الفلمنك هم سكان هولندا حالياً .

أوليا چلبى : سياحتنامة مصر ، تحقيق عبد الوهاب عزام ، د . أحمد السعيد سليمان ، ٢٠٠٣ ، ص١٢١ .

النميمة والوشاية به وأثار عليه الخواطر ورماه بالمروق ووسمه بالخيانه فلم يطق الصدر هذا الحال واعتزل المنصب وكتب الى السلطان بذلك فجاءه جواب السلطان بالقبول . قال أصحاب التاريخ وقد ختمت بهذا الوزير سياسة محمد باشا الكوبريلى ولم تلبث الاحوال أن تغيرت وظهر الاغرار[١] وقبضوا على زمام الاحكام وكان للسلطان ميل تام الى فيض اللّه افندى شيخ الاسلام لانه شيخه ومر بيه فاركن اليه واعتمد فى كل الامور عليه فتاقت نفس فيض اللّه الى الانفراد بالامر ففعل مالم يفعله أحد قبله من سلفائه[٢] وأمضى مالا يليق بشأن العلماء فولى أولاده ومن ينسب اليه المناصب العالية وارقاهم المراتب السامية وقبض على أزمة جميع الامور فنهى وأمر وفاز واشتهر وغلب وقهر وحصر المنافع فيه وفى أولاده واتباعه وأقبلت عليه الدنيا بحذافيرها فلم تبق كلمة فوق كلمته ولا يد فوق يده . وتولى السلطان مصطفى والوالى على مصر على باشا قلج فأتى اليه فرمان الرضا فلبث يدبر الامر وكان على باشا هذا سئ الطالع قليل الرأى عديم التدبير متحجبا عن الناس الا عن بعض خواصه وكانت أيامه كلها شدائد وقع فيها غلاء شديد جدا فقل ورود الغلال يوما عن يوم حتى انقطع وعزت الاقوات وضاقت أمور الفقراء واشتد بهم الجوع شدّة بالغة فأكلوا الجيف وجذور الاشجار ثم اجتمع منهم السواد الاعظم رجالا ونساء وصبيانا وصعد الى قلعة الجبل وذلك فى منتصف المحرم من سنة سبع ووقفوا بحوش الديوان وصاحوا من الجوع واستغاثوا ونادوا على الباشا فلم يجبهم أحد فرجموا بالاحجار وأكثروا من العربدة فركب الوالى وطردهم فنزلوا الى الرميلة ونهبوا مابها من حواصل الغلال وكذلك وكالة القمح وحواصل كتخدا الباشا وكانت ملأى بالشعير والفول وأصناف الحبوب الاخرى فلم يقدر أحد على ردهم واشتد الغلاء حتى بيع

(١) الاغرار : *الفاسدون* .
(٢) سلفائه : اسلافه .

الاردب القمح بستمائة نصف[1] فضة والشعير بثلثمائة والفول باربعمائة وخمسين والارز بثمانمائة نصف فضة أما العدس فكان لاوجود له بالكلية وحصلت شدة عظيمة بمصر والاقاليم كافة وجاء أهالى القرى والارياف الى القاهرة ومصر القديمة فامتلأت منهم الازقة والحارات واشتد الكرب وعم الخطب ومات الكثير من الناس جوعا وخلت أكثر القرى من أهلها وخطف الاهالى الخبز من الاسواق ومن الافران والذى على رؤس الخبازين مع ندرته فكان يذهب الرجلان والثلاثة مع طبق الخبز يحرسونه من الخطف وبأيديهم العصى حتى يخبزوه ويعودوا به واستمر الامر على ذلك الى أن عزل على باشا المذكور فى ثامن عشرى من المحرم افتتاح سنة سبع[2] ومائة والف هجرية . وخلفه فى الولاية مسلم باشا اسمعيل وهو من ولاة الشام فلما جاء الخبر بعزله فرح الناس فرحا لايوصف واستبشروا بالفرج بعد الضيق وقام ابراهيم بك أبو شنب فى نيابة الغيبة حتى يقدم مسلم باشا اسمعيل المذكور الى مصر . ونزل على باشا المخلوع الى بيت أحمد كتخدا العزب المطل على بركة الفيل واستقر به فكانت مدّة تصرفه اربع سنين وثلاثة أشهر وأياما وحضر اسمعيل باشا الوالى الجديد من البر وصعد الى قلعة الجبل بالموكب فى يوم الخميس السابع والعشرين لصفر من السنة فلما استقر به المنصب ورأى مافيه الناس من الجوع والكرب والموات رسم بتوزيعهم على بيوت الامراء والأعيان كل انسان على قدر حاله وقدرته وأخذ لنفسه جانبا ولأعيان دولته جانبا وعين لهم مايكفيهم من خبز وطعام فى الصباح والمساء الى أن انقضى الغلاء ثم أعقب ذلك وباء عظيم للغاية فرسم

مطلب
ولاية مسلم باشا
اسمعيل

---

(١) نصف فضة هى التسمية العربية لوحدة النقد العثمانى (بارة) وهى عملة فضية ، مضاعفاتها الخمس بارات (الخمساوية) والعشر بارات (نلك) والخمس عشر بارة (نصف صلدى) ، فالنصف فضة كانت تساوى ١/٤٠ من القرش .

● (دانيال كريسيليوس : المرجع السابق ، ص٧٢) .

(٢) ١١٠٧هـ = ١٦٩٥م/ ١٦٩٦م .

الباشا لاصحاب بيت المال بأن يكفنوا جميع الفقراء والغرباء كافة فكانوا يحملون الموتى من الطرقات عشرات عشرات ويذهبون بهم الى مغسل السلطان عند سبيل[١] المؤمن ومازالوا على هذا الحال الى أن انقضى الوباء أيضا فكان عدد الموتى لايكاد يحصر وكان انقضاء الوباء فى آخر شوّال من السنة فعمل الباشا أفراحا وختن ولدا له اسمه ابراهيم[٢]وختن معه ألفين وثلثمائة وستة وثلاثين غلاما من أولاد الفقراء ورسم لكل غلام بكسوة كاملة ودينار . وكان من ملتزمى دار الضرب على عهد على باشا الوالى المنفصل يهودى اسمه ياسف وكان طاغية داهية وقد طلب الى دار السلطنة وسئل عن أحوال مصر ومايتعلق بها فأملى على أمور والتزم بتحصيل أموال الخزينة زيادة عن القاعدة المقررة فى كل عام وحسن احداث بعض احداثات فأجازت له الدولة ذلك وأعطت له مرسوما فما حضر مصر تلقته طائفة اليهود من بولاق وأصعدوه الى الديوان فى كبكبة فقرئت الاوامر التى حضر بها ووافقه الباشا على اجرائها والعمل بها وأشهر النداء بذلك فى شوارع مصر والقاهرة فاغتم الناس وتوجه التجار وأعيان البلد الى الامراء وراجعوهم فى ذلك فركب الامراء والصناجق وطلعوا الى القلعة وكلموا الباشا فلم يقبل منهم فغضبوا وسألوه أن يسلمهم اليهودى فامتنع فاغلظوا عليه وصمموا على أخذه فأمرهم بوضعه فى العرقانة[٣] وان لايشوشوا عليه حتى ينظروا فى أمره ففعلوا به ذلك فقام الجند على الباشا وطلبوا أن يسلمهم اليهودى ليقتلوه فامتنع فمضوا الى السجن وأخرجوه وقتلوه عند بابه وجروه من رجله وألقوه فى

---

(١) سبيل المؤمن : سبيل المؤمنين وهو سبيل ومصلى ومغسل يسمى المغسل السلطانى ، وكان هذا السبيل يقع فى منطقة السيدة عائشة فى الطريق بين القبة الخاصة بالإمام الشافعى وجامع السلطان حسن .

● عجائب الآثار ، جـ١ ، ت . د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، مرجع سابق ، ص٥٠ .

(٢) الختان : كانت له احتفالاته العائلية إذا كان رب الأسرة متوسط الحال ، أما إذا كان الختان خاصاً بابن السلطان ، نادى المنادى بذلك حتى يحضر الأمراء ويحضر الناس أولادهم ليختنوهم بعد ابن السلطان مجاناً .

● د . سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، ص١٢٥ .

(٣) العرقانة : السجن الرسمى الكبير بالقلعة ، ولم يكن هذا السجن داخل باب الانكشارية .

●كتاب الدرة المصانة ، تحقيق الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص١٣ .

الرميلة فقام العامة وجمعوا حطباً وأحرقوه بمرأى من الناس كافة وذلك فى يوم الجمعة بعد الصلاة ثم سكنت الفتنة وكأنها لم تكن . ومن هذا الحين انحرف الجند على الوالى ونقموا عليه وصاروا ينكرون عليه كل فعل ولو لم يستحق الانكار حتى قاموا عليه فى الثانى والعشرين من ربيع الاول من السنة وعزلوه فكانت ولايته سنتين اثنتين . وقام مصطفى بك بالامر الى أن حضر الوالى الجديد واسمه حسين باشا وكان واليا على صيدا من أعمال الشام فلما حضر الى القاهرة طلع الى قلعة الجبل فى موكب حافل فى منتصف رجب سنة تسع[1] ومائة وألف فلما استقرت به الولاية أخذ ينظر فى أمور البلاد ومصالح الخلق فكان يرى نفسه مغلوبا على أمره لا كلمة له بين الجند والامراء والصناجق فعمل على تعزيز جانبه واعلاء كلمته فلم يتمكن لقصر أيامه . واتفق فى ولايته ان خرج المغاربة من أهل تونس وفاس المقيمين بالقاهرة فى رابع عشر شوال من السنة ليحملوا كسوة الكعبة التى تحمل فى كل عام للبيت الحرام وكانت عادتهم فى ذلك اليوم انهم يمرون بالكسوة فى وسط القاهرة مع غاية الاحتفاء والاحتفال ويضربون كل من رأوه يشرب الدخان فى اثناء مرورهم فرأوا رجلا من اتباع مصطفى كتخدا القازدغلى يدخن فكسروا أنبوبته وضربوه وشجوا رأسه وكان فى مقدمتهم اناس منهم متسلحون فزاد التشاجر واشتد الامر فقام عليهم أهل السوق وأوقعوا الضرب فى بعضهم بعضا وكادت الفتنة تعم القاهرة ومصر وخاف الناس العاقبة وحضر أودة باشا البوابة فقبض على جماعة منهم وقيدهم بالحديد وصعد بهم الى حيث الباشا فأمر بهم فحبسوا حتى سافر الحاج من مصر ومات منهم جماعة فى السجن ثم أفرج عنهم بعد ذلك وورد عقب هذا الحادث بقليل الخبر بعزل حسين وولاية قره محمد باشا فحضر مصر فى منتصف ربيع الآخر

مطلب
ولاية حسين باشا

---

(١) منتصف رجب سنة تسع ومائة وألف هـ = ٢٧ يناير ١٦٩٨م .
وقد ورد فى الدرة المصانة ، ت . كريسيليوس ويكر ، ص٩٤ باسم مرادى حسين باشا من ١١٠٩ - ١١١١هـ/ ١٦٩٨-١٦٩٩م .

مطلب
قرة محمد باشا

سنة احدى عشرة[١] ومائة وألف فكانت ولاية حسين باشا سنة وسبعة أشهر وأياما ولم يكن لقره محمد من حظ الولاية على البلاد الا ما كان لسلفه فانه كان مغلوبا على أمره وكانت الكلمة للامراء والصناجق ولم يبق له الاصغائر الامور فوجه عنايته اليها وماهى الا ازالة بعض السقائف[٢] والدكاكين لتوسعة الطرق والاسواق وقطع الارض وتمهيدها ورسم بترميم جامع الاربعين الذى بجوار باب قره ميدان وأنشأ فى الميدان المذكور جامعا بخطبة وتكية لفقراء الخلوتية من[٣] الروم وأسكنهم بها وأنشأ تجاهها مطبخا ودار ضيافة للفقراء وفى علوها مكتبا[٤] للاطفال ورتب لهم مايكفيهم وأنشأ فيما بينها وبين البستان المعروف

---

(١) ١١١١هـ = ١٦٩٩م .

(٢) السقائف : مفردها سقيفة وهى مكان يسقف بسعف النخيل أو الخشب يكون بمثابة سوق .

(٣) ظهرت الخلوتية أول مرة فى مصر قرب نهاية حكم المماليك ، كانت صوفية تركية غير سنية ، وفى القرن الثامن عشر ، أصبحت نصيراً للسنة تتمتع بمكانة رفيعة لا تضارع بين علماء الأزهر ، فمنذ نشأتها فى مصر طورت الخلوتية منهجاً وطريقاً تطلبا تعليماً صارماً على يد معلم ، وكان تقدم السالك على الدرب الصوفى يتطلب تعلم «الأسماء الحسنى» بطريقة تدريجية ، حيث كل اسم تال يرمز إلى مرحلة روحية أرفع ، وكان نظام المتحمس أو الناذر نفسه للطريقة يشمل الاعتزال فى خلوة ومن هنا جاء اسم هذه الطريقة ، وكانت الكلاسيكيات الصوفية التى كتبها الكاتب المتصوف العظيم محيى الدين بن عربى فى القرن الثالث عشر والشاعر عمر بن الفارض ، جزءاً من الأدب السرى الذى تقتصر دراسته على أعضاء الطريقة ، ولقد جاء أبرز الخلوتيين فى مصر فى أواخر الحقبة المملوكية وأوائل الحقبة العثمانية من وسط يتحدث باللغة التركية وكانوا من مريدى عمر روشينى من تبريز .

واشتهر عن الخلوتية أنهم كانوا يمارسون السيمياء وغير ذلك من العلوم الروحية ، بل كانوا يشتبه فى أنهم يزيفون العملات ، وبذلك أساء الخلوتيون استخدام مبدأ الاعتزال فى خلواتهم من أجل الصلاة والصوم والتأمل بغرض ممارسة الكيمياء وتزييف النقود ، وكانت هناك ارتباطات بين الخلوتية والعادات التركية والفارسية .

● ميكل وينتر : المجتمع المصرى فى مصر فى العصر العثمانى ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم ، القاهرة ٢٠٠١ ، ص ص٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٤) مكتب الأطفال : كان المرحلة الأولى من مراحل التعليم ، وكان الهدف منه أولاً هو تعليم الأيتام من أبناء المسلمين ، ولذلك أقبل على إقامته الخيرون وحبسوا الأوقاف عليه للثواب ، وكان «المؤدب» هو المعلم فيها ، وأطلق عليه بعد ذلك «الفقيه» واشترط فيه «أن يكون خيّرا ديّنا أميناً على أطفال المسلمين ، متين الخلق عفاً متزوجاً عارفاً بصناعته ، صالحاً للتعليم» ، وساعده فى عمله «العريف» وهو أشبه بالمعيد ، وكانت ترتب لهم المرتبات (الجامكيات) فى كل شهر وجراية فى كل يوم وهى لكل منهما فى كل شهر ثلاثون درهماً وفى كل يوم من الخبز ثلاثة أرطال وكسوة فى الشتاء وكسوة فى الصيف ، ورتب للأيتام لكل منهم فى كل يوم رطلان خبز وكسوة فى الشتاء وكسوة فى الصيف» .=

ببستان[1] الغورى حماما فسيحا مفروشا بالرخام الملون وجدد بستان الغورى وغرس فيه الاشجار ورمم قاعة الغورى التى بالبستان وعمر بجوار المنزل سكن امير اخور وبنى مسطبة عظيمة برسم الباس القفاطين وتسليم المحمل لأمير الحاج وأرباب المناصب . وهى موجودة الى يومنا هذا . وعمر مسطبة يرمى عليها بالنشاب وأنشأ الحمام العظيم بقرة ميدان ونقل اليه من قلعة الجبل حوض رخام ضمن قطعة واحدة وعملوا به فسقية فى وسط المسلخ وعمر بالقرافة مقام سيدى عيسى بن عبد القادر[2] الجيلانى وجعل به فقراء مجاورين ورتب لهم مايكفيهم وأنشأ صهريجا بداخل القلعة بجوار نوبة الجاويشية ورتب فيها خمسة عشر نفرا يقرؤن القرآن كل يوم بعد الشمس .

أما فيض اللّه افندى شيخ اسلام دار السلطنة فانه لما اتسعت كلمته وبسط يده على جميع الامور وصار السلطان طوع يده أبغضه الناس وكثرت خصومه وناواه جميع أعيان الدولة وأركانها وظهرت الفتنة وعظمت واستفحل أمرها فقامت الجنود على السلطان فخلعوه وقبضوا على شيخ الاسلام وقطعوا عنقه بحد السيف وسجنوا السلطان مصطفى ووكلوا به طائفة منهم تحرسه وذلك سنة خمس عشرة

---

=وكانت مناهجهم تعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن والأحاديث وآداب الدين فضلاً عن مبادئ الحساب واللغة العربية ، وكان الأطفال يكتبون على الواح ثم ينتقلون إلى الكتابة بالمداد ، ويصرف الطفل عن التعليم بالمكتب إذا بلغ الحلم .

● د . سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص ص٣٣٥ ، ٣٣٦ .

(١) بستان الغورى : كان بالقرب من ميدان الرميلة أسفل أسوار القلعة وهذا النص كله من «رسم بترميم جامع الأربعين إلى نهاية الفقرة مأخوذ عن الجبرتى «عجائب الآثار ، جـ١ ، ص٥٦» وجامع الأربعين هنا جامع محمد باشا والى مصر ، ٢ جمادى أول ١٠٦٣- ٨ شعبان ١٠٦٦هـ/ ١٨ أبريل ١٦٥٢- أول يونية ١٦٥٦ وجعل فيه مدرسة لقراءة الأحاديث الشريفة .

● (عجائب الآثار ، جـ١ ، ص٥٦ ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، حاشية ٦ ، ٧) .

(٢) عبد القادر الچيلانى (٤٧١-٥٦١هـ/ ١٠٧٨-١١٦٦م) هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن چنكى دوست الحسنى ، أبو محمد ، محيى الدين الچيلانى أو الكيلانى أو الچيلى ، مؤسس الطريقة القادرية الصوفية ، وكان من كبار المتصوفة الزاهدين ، ولد فى چيلان وراء طبرستان ، وانتقل فى شبابه إلى بغداد سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م حيث اتصل بشيوخ العلم والتصوف ، وبرع فى الوعظ وتفقه فى علم الحديث ، واشتهر بالأدب والتدريس والإفتاء ، ومن مؤلفاته : الغنية لطالب طريق الحق - الفتح الربانى - الفيوضات الربانية .

● عجائب الآثار ، المرجع نفسه ، ص٥٧ .

ومائة وألف هجرية فكانت مملكته تسع سنين وقيل ثمان سنين ومازال مسجونا حتى مات فى نحو سنة تسع عشرة وخلفه أخوه السلطان أحمد ابن السلطان محمد .

ومات فى أيام السلطان مصطفى متاؤس بطرك[1] المتأصلين بعد أن أقام أربع عشرة سنة وكان اسمه جرجس من رهبان دير البراموس ونقل فى أيامه دار البطركية من حارة زويلة الى حارة الروم بالقاهرة وسكن بها وكان تقيا عالما فأقيم بعده يوحنا[2] وهو الثالث بعد المائة واسمه ابراهيم من رهبان دير انطونيوس وكان من الحوادث فى أيامه ما سيذكر فى محله .

(١) المتأصلون : هم الارثوذكس وسموا كذلك بعد مجمع خلكيدون سنه ٤٥١ الذى عقد لبحث طبيعة المسيح ، وهم الذين كانوا يعتقدون بوحدة طبيعة المسيح على عكس الكاثوليك ، ومنهم الأقباط فى مصر .

● متسى يوحنا ، مرجع سابق ، ص٢٨٥ .

الأنبا متاؤس (١٠٢) ، وهو متاؤس الرابع وكان يدعى أولاً جرجس من بلدة مير بالمنيا وترهب فى دير البرموس ، ونصب بطريركاً فى آخر هاتور ١٦٦١,١٢٧٧م فى عهد السلطان محمد ، وكان آخر من كانت البطريركية فى عهده فى حارة زويلة ثم انتقلت إلى حارة الروم ، وتوفى فى ١٦ مسرى ١٣٩١ش/١٦٧٥م ، وكان موته فى عهد السلطان محمد الرابع بن إبراهيم الأول ١٦٤٨-١٦٨٧م وليس فى عهد السلطان مصطفى الثانى ابن محمد الرابع ١٦٩٥-١٧٠٣ ، فهذا خطأ من المؤلف حتى عندما تداركه فى الاستلفاتات فى نهاية الكتاب ، ويكون بطريرك الفترة هو يوحنا ١٦(١٠٣) .

● منسى يوحنا : المرجع السابق ، ص٥٢٩ .

(٢) يوحنا البطريرك (١٠٣) ، وهو يوحنا السادس عشر ، نصب بطريركاً فى ١٢ برمهات سنة ١٣٩٢ش/١٦٧٦م فى عهد السلطان محمد ، وكان يدعى أولاً إبراهيم بن المغربى وكان من طوخ دلكة وترهب بدير الأنبا انطونيوس ، وبعد أن قضى بطريركاً ٤٢ سنة وثلاثة أشهر توفى يوم ١٠ بؤونة سنة ١٤٣٤ش/١٧١٨م .

● (منسى يوحنا : المرجع السابق ، ص٥٢٩) .

# (الفصل السادس عشر)
# (فى سلطنة السلطان أحمد[1] ابن السلطان محمد)

ثم قام بالامر بعد السلطان مصطفى أخوه السلطان أحمد ابن السلطان محمد بويع له بالملك بعد خلع أخيه سنة خمس عشرة ومائة وألف هجرية أى سنة اثنتين وسبعمائة وألف ميلادية فلما استقر به الملك اشتد على العسكر وضيق عليهم وكان شديد البطش عظيم البأس سفاكا للدماء فهابه العسكر وخافته الرعية فأصلح بعض الامور التى فسدت على عهد السلف وأعاد للدولة بعض القوة والنظام وظهرت فى أيامه وقعات الروس مع الاسوجيين[2] وزحف

(١) هو السلطان الغازى أحمد خان الثالث ابن السلطان محمد الرابع ، ولد فى ٣ رمضان ١٠٨٣هـ/ ٢٣ديسمبر ١٦٨٣ ، وعند تعيينه وزع أموالاً طائلة على الانكشارية ، وسمح لهم بقتل فيض الله افندى لمقاومته لهم فى أعمالهم ثم استدار على رؤوس الانكشارية فقتلهم ، كما عزل الصدر الأعظم نشانجى أحمد باشا فى ١٥ نوفمبر ١٧٠٣ وكان قد انتخبته الانكشارية وقت ثورتهم ، وعين بدله زوج اخته حسن باشا ، إلا أنه عاد فعزله فى ٢٨ سبتمبر ١٧٠٤ بعد أن قدم إصلاحات كثيرة للدولة ، وكان ذلك بسبب دسائس الدساسين والمفسدين فكانت هذه الثورات الداخلية وعدم الاستقرار من أسباب نجاح خطة الروس بقيادة بطرس الأكبر فى اضعاف جيرانه كالسويد وبولونيا والدولة العثمانية ذاتها وكانت الحروب بين أحمد خان وبينه .

وقد قامت الحرب بين روسيا والدولة العثمانية على عهد الوزير بلطه جى باشا وقاد الجيوش بنفسه حيث حاصر القيصر وجنوده وكان يمكن القضاء عليهم ومحو دولة الروس لولا سعى القيصر لإبرام معاهدة سلام بينهما فوقعت معاهدة فلكزن بينهما فى عام ١٧١١ وهى المشار إليها هنا .

● محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، المرجع السابق ، ص - ص٣٠٩-٣١٢ .

(٢) حرب الروس (القرم) : كانت مشكلة روسيا أيام بطرس الأكبر هو الحصول على طريق إلى بحر البلطيق ، وقد اشتركت روسيا فى الحرب ضد السويد فى التحالف مع الدنمرك وأغسطس الثانى دوق سكسونيا الذى كان قد انتخب لفترة وجيزة قبل ذلك ملكاً لبولونيا ، وقد حملت بداية الحرب فى عام ١٧٠٠ خيبات أمل للحلفاء ، فالملك السويدى كارلوس الثانى عشر هزم الدنمرك بمساعدة الأسطول الإنجليزى الهولندى وأجبرها على عقد صلح ، ونزلت القوات السويدية فى حوض البلطيق وأجبرت أغسطس الثانى على فك الحصار عن قلعة ريجا والانسحاب وفى هذا الوقت عقد بطرس الأكبر صلحاً مع تركيا ليتوجه نحو نارفا القلعة السويديه فى حوض البلطيق ، وهاجم كارلوس الثانى عشر الروس بجسارة وهزمهم فى معركة نارفا ١٧٠٠ بسبب ضعف الجيش الروسى .

إلا أن النزاع الروسى لم ينته مع الأتراك الذين كانوا يطالبون بمدنهم التى كانت تحت ربقة الروس واستمرت الحرب بين تركيا وروسيا وكارلوس السويدى حتى ١٧٠٢ ثم ١٧١١ .

● يبيفانوف فيلوسوف : تاريخ الاتحاد السوفيتى ، ص ، ص٢٠٢ ، ٢٠٤ .

بطرس الاكبر قيصر الروس بعسكر عظيم للغاية على قلعة ازاق فى بلاد القريم وحاصرها وضيق عليها حتى فتحها وطمحت آماله الى ضم بلاد اسوج الى مملكته فسار لقتالها وكان ملكها كرلوس الثانى عشر جليل القدر واسع المعرفة بأساليب السياسة وتدبير الممالك وكان يعرف عند أهل الاسلام باسم تيمور باش وقد أنذر الدولة العثمانية بالخطر الذى يلحق بها اذا تركت بطرس قيصر الروس وشأنه يغزو ويدوخ الممالك المجاورة له فلم تلتفت يومئذ لقوله فلما نال بطرس الغلبة وكاد يأخذ ملك أسوج أسيرا هرب ملك أسوج الى دار السلطنة العثمانية فنال بطرس من بلاد أسوج وضم جانبا عظيما منها الى مملكته من ناحية بحر البلطيق وتجاوزت العساكر الروسية بعض الحدود العثمانية فرسم السلطان الى بلطجى محمد باشا الصدر الاعظم بالمسير لقتال بطرس ورد غارات عسكره فسار فى جيش عظيم وعبر الطونة وقطع ايالة بسارابيا وكانت عساكر الروس قد عبرت قبل ذلك نهر بروت فنزلوا على ساحل الطونة فلم يلتفت اليهم وظل سائرا بجيوشه حتى بلغ ممر فالجى وقصد عبور نهر بروت من هذا الممر فلما تحقق ذلك القيصر ظن الظنون البعيدة وسير فريقا من عساكره لمنعهم من العبور فلم يقدروا وتمكنت العساكر العثمانية من العبور وقاتلوا الروس فهزموهم وساقوا خلفهم حتى ألحقوهم بمعسكرهم بعد الزوال ولم يطلبوا الراحة من التعب بل فاجؤا العدوّ وهجموا عليه هجمة رجل واحد فانهزم وتقهقر فعارضه نهر بروت من جهة وسد عليه أيضا خان القريم الطريق من الجهة الثانية فنظر القيصر واذا به قد وقع بين منتطح عنزين فسير رسله الى الوزير فى طلب الأمان وتقرير قاعدة للصلح فأجابه الوزير إلى ذلك وتقررت بين الفريقين القاعدة وتم الصلح على ما سيذكر وكتب به أيضا عقد مؤقت وهو :

الباعث لتحرير هذا الكتاب الصحيح النصاب هو انه بتوفيق اللّه الملك العلام انتهت حرب عساكرنا المنصورة مع قيصر الروس وعسكره فى طرف نهر

بروت[1] وبعد حصارهم والتضييق عليهم فبلطفه تعالى الكريم وفضله العميم طلب القيصر المرقوم اجراء المصالحة وعند ذلك عقدت وربطت قيود وشروط الصلح والصلاح على الوجه الآتى بيانه وهو أن قلعة ازاق مع أراضيها وسائر ملحقاتها يجرى تسليمها كالأول للدولة العلية . والقلعة الجديدة الكائنة فى أعالى طغيان وقمانكه وصمصار المختصة بالقيصر تهدم بالكلية والمدافع والجبخانة الموجودة ضمن قمانكة يجرى تسليمها بتمامها للدولة العلية . وفيما يأتى من الزمن لاينشأ فى المحل المذكور قلعة ولا تحصل مداخلة بعد الآن من طرف القيصر المرقوم مع اللهويين والتابعين لهم وهم راياش والبورتغال ولا الى القزاق[2] التابعين لحضرة صاحب السعادة دولتكراى خان القريم بل يرفع القيصر يده عن جميع تلك المواضع بحيث تعود كما كانت قبل الآن وبعد اليوم لايحق للقيصر أن يقيم سفيرا فى استانبول من طرفه . وأما التجار الروسيون الذين يأتون برا للمالك المحروسة لأجل التجارة فانهم مأذونون فى الاقامة بها . والاسرى من المسلمين الذين أسروا من قبل ومن بعد يلزم ويجب على القيصر أن يسلمهم للدولة العلية مهما كان عددهم . وملك أسوج حيث انه التجأ ووقع تحت جناح عناية الدولة العلية فبعد الآن يتوجه الى مملكته بالأمن والسلامة ولايحصل له التعرض والممانعة من طرفهم قطعيا واذا وجد بينهم عدم توفيق ورضا اتحاد فعليهم أن يجريا المصالحة . وأنا أرجو من كمال افضال مولانا وسلطاننا صاحب الشوكة والعناية والعظمة ومن فيض مكارمه الملوكية غض النظر من طرف الدولة

---

(١) فى عام ١٧١١ أعلنت تركيا الحرب على روسيا ، وحاصرت قوات الجيش التركى وتتر القرم المتفوقة الروس فى المعسكر المحصن على نهر بروت وصدت هجمات فرق الانكشارية التركية والخيالة التترية ، ولما كان الجيش الروسى يعانى نقصاً فى المواد الغذائية وعلف الخيول اضطر بطرس الأكبر إلى عقد صلح مع تركيا وتنازل لها عن ازوف .

وهذا النهر يفصل بين ولايتى البغدان والافلاق وهى المنطقة الشرقية من رومانيا المتاخمة لروسيا .

● (يبيفانوف فيلوسوف) : تاريخ الاتحاد السوفيتى ، ص٢٠٧ .

(٢) القزاق : فرسان الروس المعروفون بالقوازق .

وهناك مدينة قزانلق توجد وسط بلغاريا إلى الشمال الشرقى من صوفيا .

● (محمد فريد : المرجع السابق ، ص٦٤٠) .

العلية عن الحركات الخارجة عن الادب التى سبق وقوعها فى جانب رعايا الدولة وسائر المنسوبين إلى الممالك المحروسة وأن لايصير عليهم فيما يأتى من الزمان تعد كما تقرر ذلك فى الشروط والعهود .

وبحسب الوكالة المطلقة حرر هذا الصك وأعطى لطرف القيصر الى أن يعقد العهد والميثاق أن شاء اللّه تعالى فى دار السعادة[1] بالوجه المشروح وتعطى صورته له . وبعد أن يأخذ القيصر صك العهد فلا تكون حينئذ ممانعة ومداخلة فى أمر ذهاب عساكره الى بلاده فى الطرقات المستقيمة لا من طرف العساكر المنصورة ولا من فرد من أفراد طوائف التتار وجماعتهم . وأما أمين أسرار القيصر قدوة أعيان الملة المسيحية قبارون قانجلبر بترد شافروف والجنرال ميخائيل أولدبورس حفيد شرمت . ختمت عواقبهما بالخير . حيث انهما كانا حضرا من طرف القيصر للمعسكر المنصور ليكونا رهنا فمن بعد تسليم المواد المذكورة واعطاء صك العهد من طرف القيصر واتمام خدمتهما يعطى لهما الاذن والرخصة من طرف الدولة العلية بذهابهما الى بلادهما بلا تأخير ولبيان ذلك حرر هذا فى اليوم السادس من جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف .

بيور لدى صحراء التوقيع خدش كجدى

قال بعض كتاب الاخبار وكان الوزير المحكى عنه صاحب حيل ودهاء دقيق الفكر فى أعماله وحركاته ولم ينل مسند الصدارة العظمى الا بما أجراه من الدسائس الكثيرة والحيل الغريبة فلما علم السلطان أحمد بحقيقة حاله وانه من الطغاة أعرض عنه ثم عزله من منصب الصدارة وبقى معزولا حتى قامت الحرب بين الروس واسوج وكان من أمرها ماتقدم بيانه فاقتضت المصلحة إعادته الى مقام الصدارة ثانية فأحسن فيها العمل وفاز بالظفر والغلبة على ذلك الرجل العظيم وهو بطرس الاكبر ولكن لم تطل أيامه حيث وشى به خصومه ورموه

---

(١) دار السعادة هى القسطنطينية وتكتب (در سعادت) فى العثمانية القديمة ، والمقصود بها مقر السلطنة العثمانية وعاصمتها .

● (ميخائيل شاروبيم ؛ الكافى ، جـ٥ ، مجلد١ ، قسم١ ، تحقيق د . عبد الوهاب بكر ، ص٢٢٥) .

بالخيانة وقالوا انه انما عقد هذا الصلح بالرشاوى والبراطيل وقد كان فى وسعه أن يقطع شأفة جميع الجيوش الروسية بعد أن تحقق له ان بطرس الاكبر لم يسلم بهذه الشروط مع مافيها من الفضيحة والعار عليه وعلى بلاده الا بعد أن أكلت جيوشه جميع دواب الحمل حتى جذور الاشجار وبعد ان سدت عليهم جميع المسالك ومازالوا يحسنون للسلطان الانتقام منه الى أن أمر بعزله ونفيه قبل أن يصل الى دار السلطنة بعد نصرته فى تلك الحرب الهائلة . قال بعض الكتاب وهو وان كان بريئا من هذه التهمة فقد ارتكب فى صدارته الاولى من المعاصى والذنوب ضد الكثير من خيار الناس ما لايكاد يعد فظهر به الآن سرقولهم . ان الجزاء من جنس العمل .

مطلب
ولاية رامى محمد باشا

وكان الوالى على ديار مصر عند تولى السلطان أحمد للسلطنة قره محمد باشا فأقره فى منصبه وأتاه فرمان الرضا فلبث يتصرف بعد ذلك أشهرا ثم خلعه . وولى مكانه رامى محمد باشا وكان قد تولى مسند الصدارة على عهد السلطان مصطفى وعزل منها وتولى على جزيرة قبرس ثم حضر منها واليا على مصر فصعد الى قلعة الجبل يوم الاثنين سادس[1] شعبان سنة ست عشرة ومائة وألف هجرية وجعل يتصرف فى الامر فكان مشئوم الطالع قليل الحظ توقف النيل عن الزيادة فى سنته فضج الناس وعجوا وابتهلوا الى اللّه بالدعاء وطلب الاستسقاء واجتمعوا على المقطم وغيره فاستجاب اللّه لهم فى حادى عشر توت وزاد النيل فكان من النوادر الغربية وقد أرخه بعضهم بهذين البيتين :

النيل فى مصر وافى ... فى توت حادى وعاشر
والناس قد أرخوه ... للّه جبر الخواطر

فروى بعض البلاد وهبط سريعا فشرقت[2] البلاد الاخر وحصل الغلاء وبلغ سعر الاردب القمح مائتين وأربعين نصف فضة والفول كذلك والعدس مائتى

(١) ٦ شعبان ١١١٦هـ = ٤ ديسمبر ١٧٠٤م ، ورد فى الدرة المصانة باسم محمد باشا رامى .
(٢) شرقت الأرض : أصبحت عاطشة إلى الماء .

نصف فضة والشعير مائة نصف فضة والارز أربعمائة نصف فضة وبيع اللحم الضأن كل رطل بثلاثة أنصاف فضة والجاموسى والبقرى بنصفى فضة والسمن القنطار بستمائة نصف فضة والزيت بثلمائة وخمسين والدجاجة بثمانية أنصاف . قال الراوى فكثر الشحاذون فى الازقة وعزت الاقوات وعم الكرب واشتد الخطب على الفقراء وخشى الناس العاقبة بظهور الوباء فلم يقع شئ من ذلك . وجاء الخبر بعزل رامى محمد باشا فى رجب سنة ثمان[١] عشرة ومائة وألف هجرية وشاع القول بولاية على باشا فنزل محمد باشا من قلعة الجبل فى موكب عظيم وسكن فى بيت أحمد كتخدا العزب المطل على بركة الفيل بالقرب من حمام[٢] السكران حتى قدم على باشا الوالى الجديد من طريق البحر وذهب الناس لملاقاته فأرسى بساحل بولاق يوم الاثنين تاسع شعبان من السنة وهو فى نحو ألف ومائة رجل خلاف الاتباع فلبث ببولاق الى ثانى عشرى رمضان وركب فى موكبه وصعد الى قلعة الجبل فأطلقوا المدافع لقدومه وزينت القاهرة ومصر ثلاثة أيام ولم يكد يستقر به المنصب حتى قامت الفتنة على ساق بين وجاق[٣] العزب والمتفرقة . وتحرير[٤] الخبر أن شخصا من وجاق العزب اسمه محمد افندى من صغار الكتاب كان بعد عزله من منصبه تولى خليفة أى ثانى كاتب فى ديوان[٥] المقابلة وحصل له تهمة عزل بسببها من هذا الديوان أيضا فجعل يسعى ويجد حتى نال وظيفة سردار[٦] على طائفة العزب النازلين بالاسكندرية ثم

مطلب ولاية على باشا

(١) ١١١٨هـ = ١٧٠٦م

(٢) حمام السكران : كان ضمن الأماكن الجميلة التى تطل على بركة الفيل كما ذكره المقريزى .

● (الجبرتى : مظهر التقديس : المرجع السابق ، تحقيق ، د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص٤١) .

(٣) وجاق العزب والمتفرقة : وهو اوجاق طائفة عزبان .

وكانوا بجوار القلعة وسمى باب العزب بالقلعة باسمهم .

● (تاريخ وقايع مصر القاهرة المحروسة ، المرجع السابق ، ص١٣٣) .

(٤) تحرير الخبر : تفصيل الحادث .

(٥) ديوان المقابلة : المحل الذى كانت تحفظ فيه دفاتر جمكية العساكر وساليانات الأمراء والمشايخ والأيتام إسماً باسم ، وأفندى المقابلة هو المسئول عن هذه الأمور ، أما المقابلجى فهو رئيس المقابلة كما كان يسمى خليفة المقابلة .

● محمد شفيق غربال : المرجع السابق ، ص٣١ .

(٦) سردار : كلمة فارسية من مقطعين (سر) وتعنى الرأس ، (دار) وتعنى صاحب ، والمعنى العام (القائد) .

● أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ص ص١٢٧ ، ١٢٨ .

كتخدا القبطان واتفق بعد ذلك أن سافر فى إحدى المراكب فشاع الخبر بموته غرقا فحلوا اسمه وماله من المعلقات فى بابه ولكنه لم يلبث ان عاد إلى مصر وصعد الى الديوان وصحح اسمه الذى فى سجلات العزب وجراياته ومتعلقاته وبقى له بعض تعلقات لم يقدر على خلاصها ولم يساعده أهل بابه على ذلك وأهملوا أمره فأعظم هذا الامر وأكبره وذهب من فوره الى بلك[1] المتفرقة وطلب الانضمام اليهم وسألهم أن يخرجوه من العزب فأجابوه الى ذلك فجعل يركب معهم كل يوم للديوان ويمر على باب[2] العزب . وبينما هو ذات يوم سائر الى الديوان اذ وقف له جماعة من العزب وقبضوا عليه وأنزلوه وحبسوه فى بابهم فبلغ الخبر جماعة المتفرقة وهم فى الديوان فحضر أمين بيت المال الى باب العزب وكان يومئذ نائبا عن باشجاويش لتمرضه فعاتبه جماعة المتفرقة على مافعله جماعة العزب فأغلظ عليهم فى الكلام وخاطبهم بفحش القول فقبضوا عليه من أطواقه وأرادوا ضربه فحال بينهم وبينه بعض المصلحين وخلصوه من أيديهم فنزل الى باب العزب وأخبرهم بما فعله المتفرقة فاجتمعت طائفة العزب ووقفوا على بابهم فمر بهم اثنان من جماعة المتفرقة ذاهبين الى منازلهما فهجم عليهما جماعة العزب وضربوهما ضربا مبرحا وأنزلوهما عن الخيل وشجوا رؤسهما ونهبوا ما على الخيل من العدد وأخذوا ماعليهما من الملبوس[3] فلما جاء الخبر

(١) بلك المتفرقة : بلك أو بلوك كلمة تركية مصدرها بولمك أى أن يقسم ، وكلمة بلوك = قسم أو جزء ، وكان الاوجاق ينقسم إلى وحدات صغرى باسم بلوكات ، وكان رئيس كل وحدة يعرف بإسم بلوك باشى ، والمتفرقة أحد الأوجاقات السبعة فى مصر تكونت سنة ١٥٥٤م من العناصر المملوكية المهزومة التى دخلت الخدمة العثمانية بعد ١٥١٧م وأصبحت الجيش الخاص للحاكم ذات مرتبات أعلى ومراكز أرقى من الاوجاقات الأخرى ، وانهاروا مع انهيار القوة العثمانية وصودرت أملاكهم .

● أحمد السعيد سليمان ، المرجع السابق ، ص٤٤ ، وتاريخ وقايع مصر ، ص٩٢ .

● الدرة المصانة ، تحقيق كريسيليوس وبكر ، ص٤٠ .

(٢) باب العزب : وهو أحد أبواب قلعة القاهرة ، وكان يعرف قديماً بباب الاصطبل أوباب السلسلة أو باب الميدان وأما اليوم فيعرف بباب العزب نسبة إلى أوجاق طائفة عزبان وقد عمر الأمير كتخدا الجلفى هذا الباب وعمل حوله بدنتين عظيمتين وزلاقة وذلك فى عام ١١٦٠هـ/١٧٤٧م .

● تاريخ وقايع مصر القاهرة المحروسة : المرجع السابق ، ص١٣٣ .

(٣) الملبوس : الملابس .

للمتفرقة اجتمعوا مع بقية الوجاقات وجلسوا على باب الانكشارية ورفعوا أمرهم الى الاغوات والصناجق وأهل الحل والعقد وبقوا على هذا الحال ثلاثة أيام الى أن وقع الاتفاق على إبعاد أربعة أشخاص عن الديار المصرية وهم سبب اشعال نار هذه الفتنة فوافق الجميع على هذا الرأى وصمموا عليه وبعثوا بهم الى الصعيد الاعلى وانحسمت هذه الفتنة وكفى اللّه الناس شرها .

مطلب ولاية حسين باشا

وأعقب هذه الفتنة ورود مرسوم السلطان بعزل على باشا الوالى فعزل فى أوائل رجب من السنة ثم حبس فى قصر يوسف بك وبيعت جميع موجوداته لوفاء ماعليه لبعض تجار القسطنطينية ثم أفرج عنه . ووردت الاخبار بولاية حسين باشا فقدم الى الاسكندرية وجاء منها الى القاهرة فى ثالث عشرى شعبان سنة[1] تسع عشرة ومائة وألف هجرية فكانت ولاية على باشا سنة واحدة وأياما وكانت قبل قدوم حسين باشا المذكور بأيام قد وقعت فتنة أخرى بباب الانكشارية لها وكادت تشتعل نارها ويعلو لهيبها فتسارع الاغوات وأصحاب الحل الى تسكينها خوفا من قدوم الوالى الجديد فيرى ماهى عليه البلاد من الخلل وعدم طاعة العسكر وعزلوا أحمد أوده باشا المشهور بافرنج أحمد وحسين أوده باشا وأبعدوهما الى الطينة بدمياط فسكنت الفتنة وخمدت نارها فلبثا بالطينة أياما ثم هربا وعادا الى القاهرة واختفيا عند أغوات الشراكسة والتجأ أحدهما حسين الى باب التفكشية[2] فلما علم الانكشارية بقدومهما فارين اجتمعوا ببابهم وطلبوا رجوع فرنج أحمد الى منفاه فلم تقبل طائفة الشراكسة وامتنعوا من تسليمه وقالوا لابد من نقله من وجاقكم وساعدهم على ذلك بقية الوجاقات

---

(١) ١٣ شعبان ١١١٩هـ = ٩ نوفمبر ١٧٠٧م .
وقد ورد فى أوضح الإشارات أنه حسن باشا السلحدار تولى ما بين ٢٥ شعبان ١١١٩هـ إلى ٩رمضان ١١٢١هـ (٢١ نوفمبر ١٧٠٧م – ١٢ نوفمبر ١٧٠٩م) ، ص١٦٢ .

(٢) التفكشية : التفنجكى ، أى الجندى المسلح بالبندقية ، وكان منهم أوجاق تفكشنجيان أحد الأوجاقات السبع فى مصر .
● (الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص٣٢٧) ، .

فصمم الانكشارية على طلبهم ووقفوا ببابهم يومين وليلتين وكذلك فعل كل بلك ببابه فعم الخوف الناس وانقطعوا عن الخروج من بيوتهم وأغلق أصحاب الحوانيت حوانيتهم وكاد ينقطع الوارد من المأكول والمشروب الى القاهرة ومصر خوفا من عبث العساكر فاجتمع العلماء والمشايخ والتقوا بالصناجق والاعيان وخاطبوهم فى أمر العسكر وفيما كان عليه الناس من الخوف ومايتهدد راحتهم من هذه الفتن المتراكمة وسألوهم فى حسم الفتنة منعا من تفاقم الخطب وانتشار العامة والحرافيش[1] فى الاسواق للعربدة والنهب ثم كلموا الباشا فى ذلك أيضا وألحوا فى الطلب فوقع الاتفاق على أن يولوا فرنج أحمد المذكور رئاسة طبلخاناة وأرسلوا له القفاطين مع كتخدا الباشا وأصحاب الدرك وأحضروه الى مجلس الاغا وقرؤا عليه مرسوم الصنجقية وانه ان خالف ولم يطع عوقب بغير معاودة فأطاع وقبل وخرج بموكب عظيم الى بيته ونزل له الصنجق السلطانى والطبلخاناه فانحسمت الفتنة وسكن الاضطراب واطمأنت قلوب الخلق .

وكان الوالى يرى انه غير مسموع الكلمة مقهور على جميع أعماله وأقواله ولاقدرة له على دفع هذا الخلل الضارب على البلاد فكان كثير التوجع والشكوى قلقا مضطربا لايستقر له قرار حتى مال الى وجاق الانكشارية واستمال كباره اليه واستخلصهم لنفسه ليقوى بهم على قمع الفتن ومنع الدسائس . فبينما هو يدبر هذا الامر اذ وقعت الفتنة بين طوائف العسكر وكان من خبرها أن مملوكا لرجل

---

(١) الحرافيش : جمع حرفوش ، وهم الأشخاص الذين لا يحوزون احترام الناس ، ويقومون ببعض الأعمال المخالفة ، وسبب وجودهم فى القاهرة هو كثرة ورود الفلاحين الفقراء من القرى بحثاً عن عمل ، بالإضافة إلى انتشار الأوبئة والمجاعات التى تعرضت لها القاهرة وتدهورها الاقتصادى ، ومن ثم أصبحت العطالة والفقر من أسباب وجودهم مما جعلهم عبثاً ثقيلاً على البلد ، وكثيراً ما أصدر المماليك أوامرهم بعودتهم إلى بلادهم دون جدوى ، وبالتالى فقدوا ارتباطهم بالأرض وبالأهل ، وكانت لهم انتفاضاتهم الغوغائية التى أخافت السلاطين والسكان ، وكان لهم شيخهم الذى أشرف على أعمالهم هذه .

- الجبرتى : مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس ، تحقيق د ، عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص٩٤ .
- دكتورة محاسن محمد الوقاد : الطبقات الشعبية ، المرجع السابق ، ص١٦٤ .

من آحاد الناس وقف على دكان قصاب بباب زويلة يشترى منه لحما فوقع بينه وبين حمّار عثمان أوده باشى نزاع أدى الى المشاتمة ثم الى الملاكمة فوصل الخبر الى عثمان أوده باشى المذكور فأرسل أعوانه واتباعه فقبضوا على ذلك المملوك وأحضروه اليه فأمر بحبسه فى سجن الشرطة فلما بلغ سيده خبر حبسه حضر هو وأولاده وأتباعه الى باب صاحب الشرطة لخلاص المملوك فتطاول بعضهم على بعض بفحش القول ووقعت بينه وبين صاحب الشرطة مشاجرة فقبض عثمان اوده باشى على سيد ذلك المملوك ووضعه فى السجن واعلم باش أوده باشى وكتخدا مستحفظان بما فعله فلم يرضيا بما وقع وأمراه باطلاق المملوك وسيده على الفور فرجع وأخرجهما من السجن فاجتمع فى ثانى يوم الحادثة طائفة الچاوشية مع طائفة المتفرقة والأسباهية والأمراء والصناجق والاغوات فى الديوان وطلبوا ابعاد عثمان اوده باشى المذكور جزاء ما فعله من حبس ذلك المملوك وسيده فلم يوافق الانكشارية على ذلك ومانعوا فى ابعاده فوقع بينهم جدال طويل ثم صعدوا جميعا الى الديوان وطلبوا عثمان المذكور للدعوى فحضر واقيمت الدعوى بحضرة الباشا والقاضى فأمر القاضى بحبس عثمان كما حبس محمد جاويش سيد ذلك المملوك فلم يرض الاخصام بذلك وقالوا لابد من عزله وابعاده فلم يوافقهم الانكشارية فطلب العسكر من الباشا أن يرسم[1] بنفيه فأبى عليهم ذلك فنزلوا مغضبين واجتمعوا بمنزل كتخدا الچاويشية وأنزلوا مطبخهم من نوبة خاناه الى منزل كتخدا صالح اغا وأقاموا به ثلاثة أيام وامتنعوا من الذهاب الى الديوان ثم اجتمع أهل البلكات وتحالفوا على أن يكونوا على قلب رجل واحد وصمموا على نفى عثمان أوده باشى المذكور ثم اجتمعوا على الصناجق واتفقوا على أن يكونوا معهم على طائفة الانكشارية وأرسل الاسباهية الرسائل الى أصحابهم المحافظين على الكشاف بالولايات يلزمونهم بالحضور فلما شاع الخبر بذلك رسم الباشا بعزل عثمان أوده باشى المذكور

---

(١) يرسم : يأمر .

اخمادا لنار الفتنة فلم يغن عزله شيأ ووردت الاخبار الى وجاق الانكشارية بان العسكر على أهبة القتال وانهم قد تجهزوا لذلك فبعثوا هم كذلك يطلبون أصحابهم من الجهات فاجتمعوا على الاثر ومروا بالاسواق فانزعج أهلها وأغلقوا الحوانيت كافة واستمر أهل الوجاقات الستة يجتمعون ويتشاورون فى الامر وكذلك الانكشارية كانوا يجتمعون بالباشا ويتشاورون معه فيما يفعلونه مع العسكر وفى كيفية قتالهم وبالغ كل من الفريقين فى التأهب والاستعداد . وقدم فى هذه الاثناء محمد بك حاكم الاقاليم القبلية فى جند كثير واتباع وعدة وطلع الى ديوان مصر على عادة حكام الصعيد المخلوعين ثم لبس الخلع السلطانية ونزل إلى بيته بالصليبة فظن الناس أنه إنما اتى بعسكره لقتال العسكر أو وجاق الانكشارية فخافوا وانكمشوا حتى كادت الاسواق كلها تتعطل وطال الحال بين أخد ورد أياما فكانت الانكشارية لاتنفك عن مراقبة الحوادث والاخذ بصغائر الامور وقد شاع ان بعض الامراء يسعى للحصول على منصب امارة الحاج بدلا من قيطاس بك المعتاد تقريره فى كل عام لهذا المنصب فلما علم الانكشارية بذلك اجتمعوا بسلاحهم ووقفوا خارج الباب الكبير على طريق الديوان كى لايمكنوا أحدا من تولى امارة الحاج خلاف قيطاس بك وعلم الصناجق والامراء بذلك فخافوا شر العاقبة واجمعوا رأيهم مع أهل الوجاقات الستة على نفى ستة أشخاص من الانكشارية وهم الذين بيدهم الحل والعقد واخراجهم من مصر الى بلد التزامهم تسكينا للفتنة وعلم الانكشارية بما دبره هؤلاء فاجتمعوا فى بابهم أيضا فى عددهم وعددهم فلم يهم الامراء والصناجق أمر اجتماعهم وقالوا لابد من نفيهم أو محاربتهم واجتمعوا هم كذلك فى أبوابهم واستعد الانكشارية فى بابهم وشحنوه بالاسلحة والذخرة[١] والمدافع وأغلق أصحاب الحوانيب حوانيتهم وخلت الطرق من المارة ونقل جماعة الچاويشية مطبخهم من قلعة الجبل من النوبة الى دار كتخدا الچاوشية وأقام الانكشارية منهم طوائف يحافظون على أبواب القلعة وباب الميدان والصحراء الذى بالمطبخ الموصل الى القرافة خوفا من

(١) الذخرة صحتها الذخيرة .

أن العسكر يستميلون الباشا وينزلون الى الميدان واجتمع الصناجق بعد ذلك وكبار العسكر واستقر الرأى بينهم على أن ينتدبوا محمد بك الذى كان بالاقليم القبلى لحصار القلعة من جهة القرافة على المقطم بالمدافع والعسكر فقبل ذلك وأسرع فى عمل الحصار فأتمه على أحسن مايرام وخاف العسكر من وقوع النهب والفتنة بالمدينة اذا انتشب القتال بينهم وبين الانكشارية فألزموا مصطفى أغا الشراكسة بالتطواف فى الاسواق وفى شوارع البلد وحاراتها وأقاموا أحمد بك المعروف بافرنج أحمد اغات التفكشية لحصار طائفة الانكشارية من بابهم الموصل الى المحجر وباب الوزير ومنعوا من يصل اليهم بالمدد .

أما الانكشارية الذين كانوا بالقاهرة فانهم اجتمعوا بباب الشرطة واتفقوا على أن يدهموا العسكر المحافظين بالباب ويدخلوا الى باب الانكشارية فلما بلغ الصناجق والعسكر ذلك انتدبوا ابراهيم الوالى ومصطفى أغات الجبجية فى طائفة من الاسباهية فنزلوا الى باب زويلة وعلم الانكشارية الذين اجتمعوا فى باب الشرطة بنزولهم فتفرقوا واختفوا فجلس مصطفى أغا محل جلوس اوده باش وابراهيم بك فى محل جلوس العسس[1] وانتشرت طوائفهم فى نواحى باب زويلة وباب الخرق[2]واستمروا على هذا الحال ليلة الاحد وأصبحوا وقد خرج نقيب الاشراف[3]والعلماء وقاضى القضاة وأرباب الاشائر واجتمعوا بالشيخونية فى

(١) العس أو العسس : الشرطة .

(٢) باب الخرق هو البوابة المواجهة للقناة الرئيسية عند الزاوية الجنوبية الغربية من المدينة الفاطمية وهو باب الخلق الآن .

● مخطوطة الدرة المصانة ، تحقيق كريسيليوس وعبد الوهاب بكر (دكتور) ، مرجع سابق ، ص٥٧ .

(٣) هم المنحدرون من نسل فاطمة الزهراء من زوجها على بن أبى طالب ، وانتظموا فى تنظيمات خاصة فى المجتمع الإسلامى ، وكان نقيب الأشراف فى الإمبراطورية العثمانية يعين نقباء إقليميين له لمدة عام أو عامين لإدارة شئون الأشراف أو السادات ، وكان النقيب مسئولاً عن : حفظ قوائم المنحدرين من السلالة النبوية ، ويوزع عليهم المخصصات النقدية أو العينية المقررة لهم من الخزانة ، وقد ظل العثمانيون يعينون نقيباً تركياً للأشراف فى مصر حتى تمكن محمد أبو هادى الممثل المصرى لأسرة السادات من الاحتفاظ بالنقابة حتى منتصف القرن ١٨ ، وقد سيطر مشايخ السادات على هذا المنصب حتى ١٧٦٢-١٧٦٣ عندما تمكن محمد بن أحمد البكرى من انتزاع المنصب لأسرة البكرى .

● مخطوطة الدرة المصانة ، ت كريسيليوس وبكر ، مرجع سابق ، ص٥٧ .

الصليبة وتكلموا فى الامر طويلا ثم كتبوا فتوى بأنه ان لم يذعن الانكشارية الى نفى المطلوبين وإلا جاز محاربتهم بغير معاودة وأرسلوا الفتوى صحبة جوخدار قاضى القضاة إلى باب الانكشارية فلما قرئت عليهم فترت عزائمهم وانفشلوا وأذعنوا إلى إبعاد المطلوبين بشرط ضمانهم من القتل فضمنهم الامراء والصناجق وكتبوا بذلك حجة وسلموها لهم ثم أنزلوهم الى أمير[1] اللواء أيواز بك ورضوان أغا فسارا بهم فى الحال الى بولاق ومن هناك سيروهم الى الريف فلبثوا حينا ثم عادوا ففرقوهم على الوجاقات بعد رضا الامراء والصناجق . ولم تكن الفتنة قد سكنت تماما حتى جاء الخبر بعزل حسين باشا الوالى وتولية ابراهيم باشا القبودان وأن يكون حسين باشا المعزول نائبا عن ابراهيم باشا حتى يحضر فحضر فى منتصف الحجة سنة اثنتين وعشرين[2] ومائة وألف هجرية وصعد الى قلعة الجبل فى الموكب المعتاد ونزل حسين باشا من القلعة الى بيت الامير يوسف أغا دار السعادة بسويقة عصفور وامامه الصناجق والاغاوات وكثير من أرباب المناصب فكانت مدة تصرفه ثلاث سنين وأربعة أشهر وثلاثة عشر يوما . ولم يستقر المنصب بابراهيم باشا الوالى المذكور حتى أتاه الامر بخلعه وتولية آخر اسمه خليل باشا وذلك فى الخامس عشر من رجب سنة اثنتين وعشرين فنزل ابراهيم باشا من القلعة الى بيت عباس أغا ببركة الفيل وأقام به أياما فكانت مدة تصرفه ثمانية أشهر لم يعمل فيها عملا يذكر . ووصل خليل باشا وكان بصيدا واليا فأقام بالبر يوم الثلاثاء خامس شعبان سنة ١١٢٢ اثنين وعشرين ومائة وألف وصعد الى القلعة فى الموكب المعتاد فلم يمض على جلوسه إلا شهران حتى قامت الفتنة ثالثة بين أصحاب الوجاقات واستفحل أمرها وعم

مطلب
ولاية إبراهيم باشا وخلعه وتولية خليل باشا

---

(١) أمير اللواء : قائد اللواء السلطانى .
● كريسيليوس ، مرجع سابق ، ص٤١٨ .
(٢) ١١٢٢هـ = ١٧١٠م .
ورد فى أوضح الإشارات ، ص ص١٧٦-١٧٨ ، أن إبراهيم باشا قبطان تولى من ١٩ القعدة ١١٢١- ١٥ رجب ١١٢٢هـ/٢٠ يناير ١٧١٠م - ٩ سبتمبر ١٧١٠م .
ثم تولى خليل باشا من ١٧ شعبان ١١٢٢هـ - ١٢ رجب ١١٢٣هـ أى ١١ أكتوبر١٧١٠-٢٦ أغسطس ١٧١١م .

ضررها . وتحرير الخبر أنه فى صفر من السنة أى سنة ثلاث وعشرين اجتمع من يدعى حسن چاويش القازدغلى[١] وآخر اسمه الامير سليمان جريجبى وآخر اسمه ابراهيم جوربجى وعقدوا النية على ترك خدمة باب مستحفظان[٢] والانتقال الى خدمة أخرى فذهب اليهم اختيارية بابهم واستعطفوهم وسألوهم الرجوع عن هذا العزم فلم يقبلوا وصمموا على الخروج ثم طلب آخر اسمه موسى جوربجى الخروج كذلك فلم يرض رؤساؤه بذلك فذهب موسى الى ابراهيم بك وايواز بك وقيطاس بك فسألهم الوساطة فى أمره فلم يقبل رضوان أغا رئيسه اجابة طلبهم ومانع فى ذلك وشدد فى المنع فلما رأوا منه الشدة وعدم الرضوخ لطلبهم من اخلاء سبيل موسى المذكور اتفقوا على اغراء الوالى على عزل رضوان أغا وتولية على أغات الانكشارية سابقا بدله وان يعزل أيضا سليمان كتخدا الچاويشية ويولى بدله اسمعيل أغا تابع ابراهيم بك فكلموا الباشا فى ذلك وألحوا عليه فى عزلهم فامتنع وقد كان اختيارية وجاق[٣] الجملية توافقوا مع الامراء والصناجق على عزل رضوان أغا المذكور واجتمعوا ببيت باشجاويش واجتمع أهل كل وجاق ببابهم واستمروا على ذلك أياما والوالى لايجيبهم الى مايطلبون خوفا من قيام العسكر عليه . أما الانكشارية الذين انتقلوا الى العزب فانهم اجتمعوا بباب العزب وقطعوا الطريق الموصلة الى القلعة ومنعوا من يريد الصعود الى باب

---

(١) كان القازد غلية فريق صغير وغير هام خارج محيط الصراع القاسمى الفقارى ، لكنهم نجحوا فى المحافظة على مكانتهم داخل اوجاق مستحفظان .

● دانيال كريسيليوس : جذور مصر الحديثة ، مرجع سابق ، ص٩٦ .

(٢) باب مستحفظان : وكان يوجد خلف باب الانكشارية بالقلعة بالقاهرة وكان يسمى باب الشرك لأنه كان شركة بين المستحفظان والانكشارية يمرون منه على السواء ، وهذا الباب موجود الآن ولو أنه مسدود بالبناء غربى باب القلعة العمومى والمعروف بالبوابة العمومية أو الباب الجديد .

● تاريخ وقايع مصر المحروسة ، المرجع السابق ، ص١٣٣ .

(٣) وجاق الجملية : لعله وجاق جمليان حيث كان أفراده يستخدمون الجمال فى تنقلاتهم ، وكانت مهمة أفراد هذا الوجاق فى الريف توطيد الأمن فى الأقاليم ومنع البدو من غزو المناطق الزراعية وتهديد طرق المواصلات .

●(عبد الرحيم عبد الرحمن (دكتور) : الريف المصرى فى القرنن الثامن عشر ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص٧٢) .

الانكشارية من العسكر والاتباع فلم يبق فى الطريق الموصلة الى القلعة الا باب[1] المطبخ ثم قصدوا سد السواقى لمنع الماء عن القلعة فمنعهم العسكر من الوصول اليها فكسروا آلات السواقى التى بعرب اليسار وخرّبوها وسار نفر من الانكشارية من طريق المحجر يريدون الصعود الى قلعة الجبل فقبضوا عليهم وضربوهم وشجوا بعضهم فمضى أحدهم من طريق الجبل ودخل من باب المطبخ واجتمع بافرنج أحمد وبقية الانكشارية وأخبره بحالهم وما جرى لهم فأخذ جماعة منهم ورفعوا أمره الى الوالى وقاضى القضاة وبالغوا فى الشكوى وعظموا البلوى فقال القاضى قد جاز قتال هؤلاء القوم حيث منعونا الماء وخرجوا عن طاعتنا وأخافوا الناس وسلبوهم فحقت محاربتهم . فلما فاض الخبر بذلك تقدم أحمد اوده باشا الى الوالى فى محاربة أصحاب باب العزب فاذن له بذلك وتعوق القاضى عن النزول ولبث مع الوالى وخرج أحمد أوده باشا وشرع فى القتال وراسل الرمى بالمدافع على أصحاب باب العزب من بعد الزوال الى مابعد العشاء واشتد عليهم شدة بالغة فقتل من جماعة العزب كثيرين وعم الخوف أهالى مصر والقاهرة وباتوا ليلتهم تلك وهم فى خوف ماعليه من مزيد وأصبحوا وقد اجتمع الامير ايواز بيك أمير الحاج والامير ابراهيم بك أبو شنب وقانصوه بك ومحمود بك ومحمد بك تابع قيطاس بك الدفتردار وتحادثوا فيما أصاب أصحاب باب العزب واتفقوا على أن يلبسوا آلة سلاحهم ويذهبوا الى الرميلة مددا للعزب على الانكشارية وهموا بذلك فاخبروا ان أيوب بك قد وضع المدافع على طريق المارين على منزله وعلى قلعة[2] الكبش فامتنعوا من الركوب وجلسوا فى

---

(١) باب المطبخ : كان من الأبواب الهامة سواء فى القلعة أو فى قصور الأمراء والبيوت السلطانية ، ومنه كان يدخل الخدم ولوازم الطبخ (الحوائج) ، وكانت تسمى بالحوائج خاناه ولها ميزانية خاصة تحت يد الوزير يصرف منها على المطبخ السلطانى .

● سعيد عاشور (دكتور) : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، ص٦٢ .

(٢) قلعة الكبش : تقع غربى جامع أحمد بن طولون ، ومن الجهة البحرية تشرف على شارع مراسينا ، ومن الجهة الغربية تشرف على خط البغالة ، وهى تتبع قسم شرطة السيدة زينب .

● الجبرتى : عجائب الآثار ، المرجع السابق ، ص٥١ .

بيوتهم بسلاحهم خوفا من طارق واستمر افرنج أحمد يقذف نيران مدافعه على أصحاب باب العزب ثلاثة أيام بلياليها واجتمع على رضوان أغا مع طائفة من نفره وتذاكروا فيمن كان السبب فى إثارة هذه الفتنة فعرفوهم وهم أربعة من الاختيارية فخلعوهم وكتبوا لهم مرسوما بان يخرجوا من بيوتهم ثم ذهبوا الى بيت قيطاس بك وأرسلوا من كل بلك اثنين من الاختيارية الى منزل أيوب بك يطلبون رضوان أغا فاركبوه فى موكب حافل ثم عادوا الى منزل أيوب بك وتناجوا فى أمر الصلح وكتبوا الى أحمد أوده باشى الذى هو افرنج أحمد بالكف عن القتال فأبى فكتبوا عرضا الى الباشا من جميع الصناجق وأغوات الوجاقات الخمسة بطلب الكف عن القتال فأرسل الباشا الى الانكشارية بالكف فامتثلوا وتركوا القتال وتكلم الصناجق والاغوات المذكورون مع بعض الاختيارية من وجاق الانكشارية فى أمر الصلح فتقررت القاعدة بينهم على ارسال حسن كتخدا العزب وأحمد بن بقر رسلا الى المعسكر فى طلب ذلك فاجتمعوا بالعسكر والصناجق فى بيت اسمعيل بك وحضر معهم أيضا جميع أهل الحل والعقد وتشاوروا فى اخماد نار الفتنة بالتى هى أحسن وأرسلوا الى باب الانكشارية فى ذلك فقالوا لا نأبى الصلح بشرط أن هؤلاء الثمانية الذين كانوا سببا فى اثارة هذه الفتنة لايكونون فى باب العزب بل يذهبون الى وجاقهم وأن يسلم الامير حسن الاخميمى الى الباشا يتصرف فى أمره كيف يشاء فأبى أهل باب العزب ذلك ولم يرضوه فأرسل الامراء الى افرنج أحمد يشفعون عنده بأن الاشخاص المذكورين يرجعون الى وجاقاتهم فقط ويعفون من النفى ومن القبض على الامير حسن الاخميمى فلم يوافق افرنج أحمد على ذلك وقال ان لم يرضوا بشرطى والا حاربتهم ليلا ونهارا حتى أمحو أثرهم فتفرقوا على غير صلح وبقى الحال على ذلك أياما ثم اجتمع جميع الامراء بمنزل ابراهيم بك بقناطر السباع وتذاكروا فى أمر الصلح على كل حال وكتبوا حجة على أن من صدر منه بعد اليوم مايخالف

رضا الجماعة يكون خصم الجماعة كلهم وكلموا أيوب بك فى أن يرسل الى افرنج أحمد بصورة الحال وان يكف عن القتال الى تمام الامر المشروع فيه فبطل القتال نحو الخمسة عشر يوما وأخذ افرنج أحمد فى خلال هذه الايام فى تحصين جوانب القلعة وعمل المتاريس ونصب المدافع وتعبية الذخيرة وقد ملأ الصهاريج بالماء وصار على تمام الأهبة والاستعداد واتفق أن حضر فى هذه الأثناء محمد بك حاكم الاقاليم القبلية ونزل بفضاء البساتين ولبث به ثلاثة أيام ثم دخل القاهرة ومعه السواد الاعظم من العربان والمغاربة والهوارة فلم يكن بأسرع من أن جعل يقاتل كذلك بمن معه من جامع السلطان حسن ومن بيت يوسف أغاة الچراكسة فلم يفلح وقتل من أصحابه جماعة كثيرة وانتصر عليه محمد بك المعروف بالصغير مع من انضم اليه من اتباع ابراهيم بك وايواز بك ومماليكه وكانوا قد تترسوا فى سوق السلاح ووضعوا المتاريس فى شبابيك الجامع الذى هناك فانتقل محمد بك المذكور وسار الى طولون وتترس بها وهجم على طائفة العزب الذين كانوا بسبيل المؤمن فوقعت بينهم موقعة عظيمة مات فيها خلق من الفريقين ولم يطق أهل العزب المقاومة فتركوا السبيل وذهبوا الى باب العزب فعند ذلك انكف محمد بك عن القتال وترك جماعة من أصحابه بالسبيل رباطا وسار بمن بقى الى غير ذلك المكان . ولما اشتد الحال وضاقت أمور أهل البلد وكبر خوفهم سار جماعة من كبارهم الى الشيخ الخليفى أحد كبار المشايخ وشكوا اليه مايلاقيه الناس فسار الشيخ الخليفى الى افرنج أحمد وتكلم معه ومع من كان معه من الاختيارية فى أمر الصلح والكف عن القتال وشدد فى ذلك فرد عليه افرنج أحمد ببذئ الكلام وبفحش القول وأرسل فى الحال الى أصحاب المدافع أن يطلقوا مدافعهم على أصحاب باب العزب وأن يوالوا رمى القنابل فجعلوا يطلقونها تباعا فانزعج الناس كافة وكبر خوفهم وقام سكان باب العزب وأخذوا ماخف من أمتعتهم وتركوا بيوتهم ونزلوا بالمدينة وتفرقوا فى

الحارات بالقاهرة ومصر وأغلقت جميع الوكائل والخانات[١] والاسواق وخرج أكثر السكان القريبين من قلعة الجبل كالرميلة[٢] والحطابة والمحجر هائمين على وجوههم وقد هدمت المدافع أكثر بيوتهم وأحرقتهم نارها وطاف الانكشارية يحرقون مابقى من تلك الدور ولم يصب باب العزب شئ من ذلك الا القليل من أماكنه ثم أن افرنج أحمد وأيوب بك أقاما بعض أصحابهما بالمدرسة بقوصون[٣] وجامع مزداره[٤] بسويقة العزى وجامع قجماس[٥] بالدرب الاحمر ليعطلوا الطريق على العزب واختار افرنج أحمد جماعة من الانكشارية وأعطى

---

(١) الخان : اسم يطلق على المكان الذى ينزل فيه التجار لتسويق تجاراتهم ، ويشبه الفندق أو الوكالة ويطلق عليه أهل مصر والشام أحياناً اسم (قيسارية) وهو اسم كان الفرس يطلقونه على المكان الذى كان ينزل فيه التجار ، وكان من أشهرها فى العصر المملوكى والعثمانى «خان مسرور» بقرب سوق الحريريين وخان الخليلى الذى أنشأه الأمير جهاركس الخليلى أمير اخور أيام الملك الظاهر برقوق .

● عجائب الآثار للجبرتى ، جـ١ ، ص٥٦ ، د . محاسن محمد الوقاد : الطبقات الشعبية ، مرجع سابق ، ص ص ٧٥ ، ٧٦ .

(٢) الرميلة والحطابة : الرميلة هى المنطقة التى تشمل اليوم ميدان صلاح الدين وميدان السيدة عائشة ، وكان بها الميدان السلطانى أو ميدان القلعة فى الجزء الذى كان يسمى قرة ميدان أى الميدان الأسود ، وكان فى الجزء الشمالى منها سوق الخيل تجاه جامع السلطان حسن ، وتعرف الرميلة اليوم بالمنشية ، وكان بجوار الرميلة الحطابة و المحجر .

● (كتاب الدرة المصانة ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص١٤) .

كان حى الحطابة يقع بين القاعدة الشمالية للقلعة وباب الوزير ، وكان الطريق الذى يلتف عند قمة القلعة يمر بباب العزب وباب المحجر ثم يتفرع إلى طريقين أحدهما يوصل إلى القلعة والآخر يمر بباب الحطابة إلى قرافة المماليك شرق المدينة .

● مخطوطة الدرة المصانة ، تحقيق كريسيليوس وبكر ، ص ص١٥٠ ، ١٥١ .

(٣) مدرسة قوصون : أنشأها الأمير قوصون سنة ٧٣٠هـ كما أنشأ جامعاً (جامع قيسون) واوقف عليهما الأوقاف .

● (كتاب الدرة المصانة ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص٢٣١ .

(٤) جامع مزدارة بسويقة العزى : نسبة إلى الأمير عز الدين أيبك العزى نقيب الجيش أيام الملك الأشرف خليل بن قلاوون ٦٨٩-٦٩٣هـ/١٢٩٠-١٢٩٣م وتبدأ من تقابل شارع جامع أصلان بنهاية شارع الدرب الأحمر ، وآخره سوق السلاح .

●(المجلة التاريخية - العدد ١٩٦٧/١٤ ، ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة بالقاهرة تحقيق الدكتور عبد القادر طليمات ، ص٣٦٥) .

(٥) جامع قيجماس بالدرب الأحمر : وهو قسماس وصحته قرقماس ، كان أصله مدرسة أنشأها الأمير قرقماس المقر ، أحد أمراء الغورى الذى توفى بالشام ٩٢٢هـ/١٥١٦م .

● كتاب الدرة المصانة ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص٩٣ .

لكل واحد دينارا وأرسلهم بعد الغروب الى تلك الأماكن مددا لمن بها وجعل هو يقاتل من كان مع الجانبكية[١] . واتفق أن مرّ فى صباح ذلك اليوم رجل من أهل العزب ممن كانوا مرابطين فى جامع مزدارة من ناحية السلطان حسن يريد منزله فقبض عليه طائفه من الانكشارية وسلبوه ثيابه وتركوه عريانا وبعثوا به الى افرنج أحمد فلما بلغ أهل العزب ماحل برجلهم أرسلوا طائفة منهم الى المترسين بجامع مزدارة فدخلوا من بيت الشريف يحيى بن بركات ونقبوا منزل عمر كتخدا مستحفظان اذ ذاك ومايجاوره من الدورالى أن وصلوا منزل مراد كتخدا فلما رآهم العسكر الذين كانوا بالجامع المذكور فروا هاربين وتركوا الجامع ومافيه من أسلحة وذخيرة . أما عمر أغاة الشراكسة ومن كانوا معه بجامع قجماس فإنهم بعد أن تترسوا وأحكموا متاريسهم بشبابيك الجامع فرقهم عمر المذكور جهة باب زويلة وجهة التبانة فوقع الخوف فى قلوب سكان تلك الجهة ونزحوا منها الى حوارى القاهرة حتى ضاقت بهم فأرسل أهل العزب صالح جوربجى الرزاز بجماعة من عسكر العزب وآخرين ممن انضم اليهم من الانكشارية وغيرهم فقاتلوا من كان بجامع قجماس واستولوا على الجامع والمتاريس وأخذوا كذلك جامع المردانى وقهروا من كانوا فيه وأقام به طائفة منهم وأخرى بجامع أسلم وانتشرت طوائفهم بتلك الاخطاط[٢]والاماكن فسكنت خواطر أهلها واطمأنت قلوبهم قليلا .

وهجم طائفة من بلك المتفرقة والأصبهانية على بيت الأمير قرا إسمعيل كتخدا مستحفظان فدخلوا من بيت مصطفى بك ابن ايواز ونقبوا الحائط بينه وبين بيت قرا إسمعيل المذكور فلما جاء الخبر إلى أهل العزب أرسلوا طائفة منهم ومعهم بيرق ومقدمهم أحمد چوربجى فلم يتمكن أحمد من الدخول من

(١) الجانبكية : تنسبة إلى جانى بك من أمراء دولة الأشرف برسباى ووصل إلى وظيفة دوادار ، وتوفى سنة ٨٣١هـ ، وكان قد بنى مسجداً باسمه وسمي للآن الحى باسمه بمنطقة القلعة .

● محمد كمال السيد محمد : أسماء ومسميات من مصر القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص٢٨٣ .

(٢) الاخطاط جمع خط بمعنى الشارع .

جهة الباب فخرق صدر دكان هناك وتوصل منه إلى بيت أحمد أفندى كاتب الشراكسة ثم نقبوا منه محلاً توصلوا منه إلى حيث المتفرقة والأصبهانية فداهموهم وهم مشغولون بنهب الأثاث والأمتعة وهجموا عليهم هجمة واحدة فألقوا ما بأيديهم من السلب ورجعوا القهقرى إلى المكان الذين دخلوا منه فتبعوهم واقتتل الفريقان قتالاً عنيفاً إلى أن دارت الدائرة على طائفة المتفرقة والأصبهانية فتمزقوا كل ممزق ونهبت طائفة العزب بيت مصطفى بك المذكور حيث مكن المتفرقة والأصبهانية من الدخول إلى بيته وانتقل أحمد بمن معه من العسكر إلى قوصون ودخل جامع[1] الماس وتحصن به وكان محمد بك حاكم الأقاليم القبلية فى هذا الحين يغدو ويروح ما بين جامع الماس والصليبة[2] فكمن له أحمد بطائفة من أصحابه بمنزل البيرقدار[3] فى محل فيه يشرف على الطريق فلما مر بهم فى وسط قومه أطلقوا عليه البنادق فأصابوا أربعة من أصحابه فظن أن النيران أتت من بيت محمد كتخدا البيرقدار فوقف على بابه وأضرم فيه النار فاحترق أكثره ونهبوا ما فيه من أثاث وأمتعة ولحقت النيران بالبيوت الملاصقة والمواجهة له فعلقت بها وعلا لهيبها وطار شررها إلى جميع بيوت تلك الخطة فأحرقت أكثرها من الرباع والدكاكين التى هناك من ناحية جامع الماس إلى تربة المظفر[4] يميناً وشمالاً وأفسدت ما بها من أثاث ومتاع ومالم يحترق نهبه

---

(١) جامع الماس : أنشأه الأمير سيف الدين الماس الحاجب ، أحد مماليك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ٧٣٠هـ/١٣٣٠م وكانت شعائره مقامة من ريع أوقافه ، وموقعه الآن بشارع الحلمية ، وله بابان أحدهما وهو الكبير على ميدان الحلمية والثانى داخل الحارة ، وبه ضريح منشئه .

(٢) الصليبة : بالقرب من ميدان الرميلة وهى الآن بجوار قسم الخليفة بالقلعة ، عجائب ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ١ ، ص٦٩ ، حاشية ٤ .

● على مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها القديمة والشهيرة ، جـ٢ ، القاهرة ١٣٠٦هـ ، ص٣٩ ، تاريخ وقايع مصر القاهرة المحروسة ، المرجع السابق ، ص١٦٢ .

(٣) البيرقدار = حامل البيرق أى حامل العلم .

(٤) تربة المظفر : على يمين السالك فى شارع الحلمية متجهاً إلى الصليبة والمظفر هو السلطان سيف الدين المظفر قطز الذى تولى السلطنة سنة ٦٥٧هـ ، والذى صد كتبغا نائب هولاكو بالشام وجيشه من التتار فى عين جالوت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م بعد ما ملكوا بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم بالله العباسى وأزالوا دولة بنى العباس ، ثم قتل قطز أثناء عودته إلى مصر بعد موقعة عين جالوت .

● (محمد كمال السيد محمد : أسماء ومسميات من مصر القاهرة ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص٤٠٧) .

النهابة والحرافيش الذين كانوا يتبعون الحريق ويزيدونه ضراماً فكان المنظر مخيفاً جداً وخرجت النساء حاسرات مكشفات الوجوه هائمات فى الأزقة والحارات يطلبن الملجأ وعم النهب والسلب فى هذا اليوم إلى حد لم يسبق له مثال وتعطلت الطرق من المارة والهاربين من نيران الحريق وعلى الخصوص طريق بولاق القاهرة ومصر القديمة والقرافة فقد كانت ملأى بالأخلاط من طوائف الدجوية[1] والهوارة وغيرهم الذين جاؤا مع محمد بيك حاكم الأقاليم القبلية كما تقدم القول وقد أحاطوا بأطراف البلد وصاروا يسلبون المارة واستاقوا جميع جمال السقائين وأخذوها فكان الخطب شديداً والكرب عميماً . وانقسم العسكر فى هذه الأونة إلى فريقين فريق مؤلف من ايوازبك وقيطاس بك وإبراهيم أمير الحاج سابقاً ومحمد بك وقانصوه بك وعثمان بك بن سليمان بك ومحمد بك ومعهم بلوكات الاصبهانية الثلاثة والچاويشية والعزب والثانى من أيوب بك ومحمد بك الكبير وأغوات الأصبهانية ومحمد بك أغاة متفرقة باشى وأهل بلكه وسليمان أغا كتخدا الجاويشية وبلك الانكشارية المقيمين بقلعة الجبل مع إفرنج أحمد والوالى وقاضى القضاة ونقيب الأشراف وأغلقوا أبواب القلعة جميعها ماخلا باب الجبل فامتنع الناس من النزول من القلعة أو الصعود إليها إلا من الباب المذكور واستمر افرنج أحمد ومن معه يطلقون المدافع على باب العزب ليلاً

---

(١) طوائف الدجوية والهوارة .

الهوارة قبيلة مغربية استقرت فى إقليم البحيرة ولكنها هاجرت إلى الجنوب فى صعيد مصر بجهة قنا ، وزاد نفوذهم عام ٧٨٢هـ/١٣٨١م فى عهد حكم الأمير برقوق . وقد سبق الحديث عنها .

●(نسيم مقار : أضواء على تاريخ الهوارة فى صعيد مصر : المجلة المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٦ ، ص١٩٢) .

الدجوية نسبة إلى حبيب الدجوى بن أحمد وكان كبير قبيلة نصف سعد من أكابر عظماء مشايخ العرب بالقليوبية وإقامتهم كانت فى قرية دجوة أما أصل حبيب فمن قرية شطب من قرى أسيوط واشتهر حبيب بالفروسية وعظم أمره وطير صيته وكثرت جنوده وفرسانه وخيوله ، وصارت له خفارة البرين الشرقى والغربى من ابتداء بولاق إلى رشيد ودمياط .

● (مجلة الجمعية التاريخية : ذكر ما وقع من بين عسكر المحروسة بالقاهرة ، مرجع سابق ، ص ص٣٧٧ ، ٣٧٨) .

ونهاراً وبالباب المذكور خلق كثيرون منتشرون حوله وحول ما قاربه من الحارات ورتبوا لهم جوامك تصرف إليهم فى كل يوم . ولما طال الأمر على هذا الحال واشتد البلاء على الرعية اجتمع الأمراء بجامع يشبك بدرب الجماميز وأجمعوا على خلع الباشا وتعيين نائب من الأمراء حتى يرد الأمر من السلطان بما يراه واتحدت كلمتهم على إقامة قانصوه بيك ثم ولوا أغوات البلوكات وأرباب الرتب والوظائف وأحكموا الترتيب فبلغ الخبر أغوات الانكشارية فأعلموا خليل باشا الوالى به فكبر عليه وأعظمه وكتب إلى أغوات جميع البلكات الثلاثة يحضهم على قتال الصناجق ومن معهم لخروجهم على نائب السلطان ثم جمع جماعة للقتال ورتب لهم جوامك ومرتبات واتفق محمد بك حاكم الصعيد مع افرنج أحمد على أن أحدهما محمد بك يهجم بأصحابه على طائفة العزب من طريق قراميدان ويكسر باب العزب الموصل إلى الميدان فوصل خبر ذلك إيضاً إلى طائفة العزب فاستعدوا وكمنوا على مقربة من بابهم فلما بعد العشاء الأخيرة هجم محمد بيك وأصحابه على الباب وكان جماعة العزب قد أحضروا شيأ كثيراً من حطب القرطم وطلوه بالزيت والقار والكبريت فلما تكامل عسكر محمد بيك أوقد جماعة العزب النار فى ذلك الحطب فأضاء لهم قراميدان وصار كالنهار فأطلقوا على أصحاب محمد بك البنادق وأحكموا الرمى وتابعوه ففر جماعة محمد بك وتقهقروا وقد قتل منهم خلق كثير وأرسل خليل باشا إلى إبراهيم بك وايواز بك وقيطاس بك يطلبهم إلى الديوان ليتفاوضوا فى الأمر فاعتذروا بما هم عليه من ترتيب أمور الدفاع وعدم فتح الطريق فلما أيس منهم جمع إليه أيوب بك ومن انضم إليه من العسكر واستقرت القاعدة بينهم على استمرار القتال حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا وبرزوا جميعاً إلى ظاهر القاهرة وأخذوا فى التأهب للقتال . فلما كان يوم الأحد ثالث ربيع الأول أرسلوا أيوب بك ومحمد بك إلى العربان ليأتوا بجميع جمال السقائين وحميرهم ويمنعوا الماء عن البلد ففعلوا وأخذوا جميع ما وجدوه من الجمال والحمير فعز الماء وبلغ ثمن القربة

خمسة أنصاف فضة فضج الناس وعجوا وابتهلوا إلى اللّه تعالى وكبر الأمر على أصحاب العزب فسار طائفة منهم إلى القصر(١) العينى ليستخلصوا تلك الدواب وجلسوا يراقبون من يمر بهم من المعتصبين فلم يكن بأسرع من أن دهمهم محمد بك بجماعة من طائفة الهوارة فدافعوا ساعة ثم هربوا وقد قتل منهم جماعة كثيرة وأرسلت رؤسهم إلى الباشا قيل فسره ذلك جداً ورجع المنهزمون إلى بيت قانصوه بك وايواز بك وأخبروا بما حل بهم فكبر الأمر على قانصوه بك وإيواز بك وصمما على البراز فركبا فى يوم الإثنين رابع عشر ربيع الثانى وخرج الفريقان إلى جهة قصر العينى والروضة واقتتلا قتالاً عنيفاً قتل فيه من العسكر خاصة زهاء الأربعمائة من الفريقين خلاف العربان والهوارة وغيرهم من الأخلاط وركب ايوازبك على محمد بك حاكم الأقاليم القبلية فانهزم محمد بك إلى جهة المجرى فساق خلفه وكان محمد المذكور قد أجلس كميناً فوق المجرى فلما مر بهم ايواز بك أطلقوا عليه الرصاص وعلى من معه فأصابوه فى صدره فسقط عن جواده ميتاً وتفرق من كان معه فقام عليه من بالكمين واحتزوا رأسه وجاء الخبر بقتله إلى أصحابه ففترت عزائمهم وضعفت قلوبهم وذهبوا فى طلبه فوجدوه جثة بغير رأس فحملوه وذهبوا به وتفرقوا وتمزق جمعهم . أما جماعة الانكشارية فإنهم طلعوا بالرأس إلى مقر الباشا وأعلموه بما جرى ففرح وظن تمام الأمر وسكون الفتنة بموت ايواز بك وأمر بالرأس فسلخ ثم طلبه أصحاب إيواز من أيوب بك فدفعه لهم فدفنوه مع الجثة . واشتد حزن أصحاب ايواز بك على فقده

---

(١) القصر العينى : أنشأه شهاب الدين أحمد بن عبد الرحيم ابن قاضى القضاة الحنفية بدر الدين محمود العينى عام ٨٧١هـ/١٤٦٦م ، وجده بدر الدين أصله من عينتاب ، شمالى حلب وهى الآن تابعة لتركيا ، ولعل العينى نسبة إليها وتزوج ابنه عبد الرحيم بابنة خوند الأحمدية ، ربيبة الظاهر خوشقدم الذى وصل للسلطنة (٨٦٥/٨٧٢هـ) وولدت له شهاب الدين أحمد منشىء القصر العينى وثارت فتن كثيرة بينه وبيّن السلاطين المماليك انتهت بخروجه من مصر ووفاته بالمدينة المنورة ٩٠٩هـ ، فأصبح قصره من أملاك الدولة .

وفى العصر العثمانى كان الوالى والبكوات المماليك يستعملون القصر أحياناً للتنزه وأحياناً داراً للضيافة ، أو منزلا لمن تنتهى مدته من الولاة العثمانيين حتى يرد أمره من الباب العالى .

● (محمد كمال السيد محمد : المرجع السابق ، ص١٧٢) .

وكبر كيدهم مما حل به فاجتمعوا ببقية الأمراء وولوا ابنه بدله وتجهزوا للقتال فتجهز الفريق الثانى أيضاً وخرجوا فى يوم السبت تاسع عشر ربيع الثانى والتقى الجمعان فوقع بينهما أمور يطول شرحها فلما رأى جماعة العزب اشتداد الأمر وعدم التمكن من الوصول إلى قلعة الجبل وامتناع[1] من بها وتوالى الرمى عليهم بالمدافع ليلاً ونهاراً اتحدت كلمتهم على أن يولوا كتخدا جديدا لطائفة الانكشارية ويجلسوه بباب الوالى بطائفة من العسكر وينادوا فى الشوارع أن كل من له علوفة فى وجاق مستحفظان[2] يأتى تحت البيرق بالبوابة ومن لم يأت بعد ثلاثة أيام نهب بيته من غير معاودة ففعلوا ذلك وركب الكتخدا المذكور وألبسه قانصوه بك النائب قفطاناً وسلمه البيرق فسار العسكر أمامه بالبيرق والمنادى ينادى بما ذكر إلى أن وصل إلى بيت الوالى . وعادوا إلى القتال فبرزوا إلى خارج القاهرة من باب قناطر السباع واجتمعوا بقرب قصر العينى بالمدافع وآلات الحرب واقتتلوا من ضحوة النهار إلى العصر فقتل من الفريقين خلق ثم افترقوا وعاد بعضهم إلى البلد وتخلف طائفة من العزب فأتى إليهم محمد بك حاكم الأقاليم القبلية وأحاط بهم من كل جانب فلما بلغ الخبر قانصوه بك أرسل إليهم مدداً فقاتلوا محمد بك وهزموه شر هزيمة وتبعوه إلى قنطرة السد وكان أيوب بك فى هذه الأثناء متترساً بداخل التكية المجاورة لقصر العينى فلما شاهد احتدام الوطيس فر ونجا بنفسه فأحرق طائفة العزب القصر ونهبوا ما فيه واستمر الحال على هذا المنوال أياماً متتابعة .

---

(١) امتناع = تحصين .

(٢) وجاق مستحفظان : وهو أحد الأجهزه التى كانت تحت سلطة الإدارة العليا فى القاهر وكانت ثلاثاً : وجاق الانكشارية (وجاق المستحفظان) والصوباشى والمحتسب .
وكان اختصاص الأول : دور الشرطة فى كل الشئون التى لا تخضع لسلطة المحتسب فشملت الحراسة ومقاومة الفساد .
أما الصوباشى فكانت سلطته داخل القاهرة وهو التأكد من تأمين الحراسة والجولات الليلية ومعاقبة المخالفين مراقبة تنظيف ترع القاهرة .
والمحتسب : مراقبة الأسواق والحركة فيها ، من حيث الكيل والميزان وكشف الغش والزيف ومعاقبة المخالفين .
(لمزيد من التعرف على هذا يرجع إلى د . عبد الرحيم عبد الرحمن : فصول من تاريخ مصر الإقتصادى والإجتماعى ، القاهرة ١٩٩٠ من ص٢٨٤ وما بعدها .

وأرسل قانصوه بك الى من بالقلعة من الوجاقات يتهددهم بحرق بيوتهم ونهب مافيها أن لم يتركوا ماهم فيه من القتال والعمل باشارة افرنج أحمد فاختلفت عند ذلك كلمتهم وخارت عزائمهم وأرسل قانصوه بك بعض الامراء والعسكر الى نهب بيت أيوب بك وغيره من بيوت الأمراء فاتصلوا بها من ربع يجاورها وأطلقوا على من بها النيران فهرب أيوب بك وأتباعه فدخلوا ونهبوا مافى البيت وعم النهب فى ذلك اليوم جميع دور الأمراء وأحرقوا منها ماقدروا عليه ونهبوا ماجاورها من الدور والربوع والدكاكين وغيرها وتقوت بذلك عزيمتهم فأرسلوا طائفة منهم الى الجيوشى(١) ومعهم بعض المدافع فجعلوا يطلقونها تباعا على بيت الباشا وعلى قلعة المستحفظان وأحاطوا بالقلعة من أسفل ورموا بالبنادق فرفع الباشا عند ذلك على بيته بيرقا أبيض يطلب الامان وفر من كان داخل القلعة من العسكر فهجمت العساكر الخارجة على الباب واقتحموه عنوة ودخلوا الديوان فانزعج الباشا وأرسل القاضى ونقيب الاشراف يطلبان له الامان فتلقوهما بالتكريم فقالا أن الباشا يقرئكم السلام ويقول لكن إنا كنا اغتررنا بهؤلاء الشياطين وقد فروا والمراد أن تعلمونا مطلوبكم فلا نخالفكم فقالوا أعلماه بأن الصناجق والأمراء والاغوات وسائر العسكر قد اتفقوا على خلعه وأن قانصوه بك يكون نائبا وأما الباشا فانه ينزل ويسكن فى المدينة الى أن تعرض الأمراء على الدولة ويأتينا الجواب فأرسل القاضى نائبه الى الباشا يعرفه بذلك فأجابه بالطاعة واستأمنهم على نفسه وماله وأتباعه وركب من ساعته فى خواصه يقدمه قانصوه بك وأغات مستحفظان على يمينه وأغات المتفرقة على شماله واختيارية الوجاقات من خلفه وامامه ونزل من باب الميدان الى الرميلة على

---

(١) جبل الجيوشى نسبة إلى المشهد الجيوشى ، ويقع على حافة جبل المقطم خلف قلعة الجبل ، وهو المشهد الذى أمر ببنائه أمير الجيوش بدر الجمالى عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م وبالرغم من صغر هذا المشهد فإنه يعتبر من أجل الآثار الفاطمية .

● تاريخ وقايع مصر القاهرة : المرجع السابق ، ص١٤٤ .

الصليبةوقد اصطف العامة على جانبى الطريق وهم يسبونه ويلعنونه ويخاطبونه بفحش القول الى أن وصل الى بيت على أغا الخزندار بجوار المظفر . وهجم بعد ذلك أصحاب العزب على باب مستحفظان فملكوه ونهبوا ماوجدوه فيه من متاع وغيره وقتلوا من صادفوه بالباب وبطريق المحجر من أصحاب الفتنة وطلع الذين كانوا بباب العزب من الانكشارية الى بابهم فكانت عدتهم ستمائة ثم اجتمع الامراء جميعا ببيت قانصوه بك وكتبوا محضراً بصورة ماوقع وطلبوا من دار السلطنة ارسال وال آخر وانقضت الفتنة وسكنت الخواطر . ولبث خليل باشا محجورا عليه بالقاهرة حتى جاء والى باشا من دار السلطنة وصرح له بالسفر فسافر فى ثامن عشر جمادى الأولى سنة أربع وعشرين ومائة وألف هجرية فكانت أيامه كلها فتنا وقتالا وهى سنة وتسعة أشهر وأيام وكانت أيام هذه الفتنة خمسة وسبعين يوما . وطلع والى باشا الى مقره بقلعة الجبل فى أواخر شهر رجب سنة[1] ثلاث وعشرين ومائة وألف هجرية .

مطلب
ولاية والى باشا

واتفق ان جلس فى مستهل شهر رمضان واعظ من الروم بجامع السلطان[2] الملك المؤيد وأخذ يعظ الناس فكثر عليه الجمع وازدحم المسجد بالاتراك وصار يجلس كذلك فى كل عام ثم انتقل من الوعظ الى ذكر مايفعله أهل مصر بأضرحة الاولياء من ايقاد الشموع والقناديل فى القبور وتقبيل أعتاب الأولياء وغير ذلك وصرح بأن فعل هذا كله منكر يجب على الناس الاقلاع عنه وعلى

---

(١) آخر رجب ١١٢٣هـ = ١٣ سبتمبر١٧١١م .
وقد ورد فى كتاب أوضح الإشارات وكتاب الدرة المصانة ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص٢٠٥ ، أنه مدة ولايته ٢٧ رجب ١١٢٣هـ - ١٢ شوال ١١٢٦/١٠ سبتمبر ١٧١١ - ٢١ أكتوبر ١٧١٤ .
وقد سبقه خليل باشا (١١٢٢-١١٢٣هـ/١٧١٠-١٧١١م) .

(٢) جامع السلطان الملك المؤيد : بجوار باب زويلة ، أنشأه السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى الظاهرى .
● (على مبارك ، جـ٥ ، ص٢٨٣ .

ولاة الأمر السعى فى إبطاله وعرض بذكر ما قاله الشعرانى[1] فى طبقاته ان بعض الاولياء اطلع على اللوح المحفوظ وقال انه لايجوز ذلك أبدا وان الاطلاع على اللوح المحفوظ لايمنح حتى ولا للأنبياء فضلا عن الأولياء وندد ببناء القباب على أضرحة الاولياء والتكايا وجزم بهدمها وذكر أيضا وقوف الفقراء بباب زويلة فى ليالى رمضان فكان لقوله وقع مهم فى قلوب السامعين وما أتم كلامه حتى خرج الناس بعد الصلاة ووقفوا بالنبابيت والمساوق[2] والاسلحة على مقربة من باب زويلة فهرب الذين يقفون هناك فقطعوا الجوخ والاكر التى كانت معلقة وهم يقولون أين الاولياء فتأثر الناس من ذلك جدا وذهب بعض العامة الى العلماء بالازهر وحدثوهم بما قاله الواعظ الرومى ومافعله الناس بباب زويلة فأفتى الشيخ أحمد الغزاوى والشيخ الخليفى بأن كرامات الاولياء لاتنقطع بالموت وان انكار الواعظ المذكور اطلاع الاولياء على اللوح المحفوظ لايجوز ويجب على الحكام كفه عن ذلك فأخذ بعض الناس تلك الفتوى ودفعها للواعظ وهو فى مجلس وعظه فلما قرأها غضبوا قال أيها الناس ان علماء بلدكم قد أفتوا بخلاف ماذكرت لكم وانى أريد أن أتكلم معهم وأباحثهم فى مجلس

---

(١) ينحدر الشعرانى من قبيلة بنى زغلة من عرب المغرب ويتصل نسبها بالإمام على بن أبى طالب، وكان جده أبو عبد الله أحمد الزُغلى سلطان تلمسان المغرب، والمرجح أنه ولد فى ٢٧ رمضان ٧٩٨هـ فى قلقشندة بالقليوبية ثم انتقل بعد أربعين يوماً إلى قرية ساقية أبى شعرة بالمنوفية حيث انتسب إليها، سافر إلى القاهرة فى شبابه وتعلم فى الأزهر على الشيخ على الشونى لمدة خمس سنين، ثم غادر الأزهر إلى الجامع العمرى عام ٩١٩هـ ولبث فيه ١٩ عاماً تحول بعدها إلى مدرسة أم خوند بخط كافور الإخشيدى، وهناك ذاع صيته وكثر حساده.

كان من أساتذته جلال الدين السيوطى وزكريا الأنصارى وناصر الدين اللقانى والسمنودى وغيرهم، ألف الشعرانى أكثر من ستين كتاباً، وكان متصوفاً راض جسمه على احتمال المكاره فى مأكله وملبسه.

كانت له زاوية تحمل اسمه أقامها القاضى الأرزيكى رباطاً للعباد ومدرسة لطلب العلم إلى جانب الصلاة وتكية للفقراء.

● (لمزيد من التعرف عنه يرجع إلى د. توفيق الطويل: التصوف فى مصر فى العصر العثمانى، جـ٢، القاهرة، ١٩٨٨).

(٢) النبابيت والمساوق = العصى الكبيرة والمسوقة هى جزء مهذب الى حد ما من أفرع الاشجار الغليظة كانت تستعمل فى دق الحبوب او العراك

قاضى القضاة فهل منكم من يساعدنى على ذلك وينصر الحق فصاحوا جميعا نحن معك لانفارقك فنزل عن كرسيه واجتمع عليه من العامة خلق كثير ومر بهم من وسط القاهرة الى أن دخل بيت قاضى القضاة فانزعج القاضى وخاف وسألهم عن السبب لحضورهم فرفعوا له ورقة الفتوى وطلبوا منه احضار المفتين والبحث معهم بحضرته فقال القاضى لابأس عليكم اصرفوا أولا هؤلاء اللموم[1] ثم نحضر من أفتى بهذه الفتوى فقالوا وماتقول أنت فى هذه الفتوى فقال هى باطلة قالوا اكتب لنا حجة ببطلانها فقال ان الوقت قد فات والشهود قد انصرفوا قال الراوى وكان الذى يخاطبهم ترجمان القاضى فقبضوا على الترجمان وأوسعوه ضربا وطلبوا القاضى فهرب فقبضوا على النائب فكتب لهم حجة بما شاؤا فتفرقوا وانصرفوا واجتمعوا بعد ذلك لسماع الواعظ على عادتهم فلم يحضر فأخذوا يسألون عنه فقال بعضهم ربما منعه القاضى من الجلوس فقام فى الحال رجل منهم وقال أيها الناس من أراد أن ينصر الحق فليتبعنى فتبعه الجم الغفير فمضى بهم الى مجلس القاضى فدخلوا عليه وقالوا أين شيخنا قال لا أدرى فقالوا قم واركب معنا الى الديوان لتكلم الباشا فى هذا الأمر ونسأله أن يحضر لنا أخصامنا الذين أفتوا بقتل شيخنا ونتباحث معهم فان أثبتوا دعواهم نجوا من أيدينا والا قتلناهم فركب القاضى مكرها وتبعوه الى أن طلعوا الديوان فسأله الباشا عن سبب حضوره فعرفه بقصة القوم الذين حضروا معه وما وقع منهم بالامس واليوم وانهم ضربوا ترجمانه وأخذوا الحجة قهرا وأتوا اليوم وأركبوه قهرا فأرسل الباشا الى كتخدا الانكشارية والى كتخدا العزب وقال اسألا هؤلاء عن مرادهم فقالوا نريد احضار الغزاوى والخليفى ليبحثا مع شيخنا فيما أفتيا به فرسم الباشا باحضارهما وافترقوا على ذلك فأرسل الباشا بعد افتراقهم الى ابراهيم بك وقيطاس بك يعلمهما بما حصل من العامة ويقول ان لم يعاقب هؤلاء فلابد لى من السفر أنا وقاضى القضاة . أما العامة فانهم نزلوا بمرسوم الباشا الى جامع

---

(١) اللموم = العامة من الشعب

الملك المؤيد وأتوا بالواعظ وأصعدوا الى كرسيه فصار يحضهم على الاجتماع فى غد بالمؤيد كى يذهبوا بجملتهم الى القاضى ويحضهم أيضا على الانتصار للدين وقمع طائفة المفسدين ثم افترقوا على ذلك . ولما وصل مرسوم الباشا بمعاقبة العامة الى الامراء اجتمعوا جميعا ببيت الدفتردار وتناجوا فى الامر فاتفقوا على ان تركب الاغوات وتطوف بالشوارع والحارات فمن وجدوه من أهل تلك العصابة قبضوا عليه وأن يطردوا كل من يجدونه فى جامع المؤيد من طائفة الترك فلما كان اليوم الثانى صباحا ركب الاغا وأرسل الچاويشية الى جامع المؤيد فلم يجدوا منهم أحدا وجعل يفحص ويفتش على أفراد المعتصبين فمن ظفر به أرسله الى بابه فضرب بعضهم ونفى بعضهم ومازالوا كذلك حتى سكنت الفتنة وعادت الأمور الى ماكانت عليه

وما كادت تطمئن القلوب بسكون هذه الفتنة حتى ظهرت فتنة أخرى ومحنة كبرى وذلك أن رجلا من الاشراف تشاجر مع تركى فى سوق البندقانيين[1] فضرب التركى الشريف فقتله وفر ولم يعلم أين ذهب فقام الاشراف كافة ووضعوا المقتول فى نعش وطافوا به الاسواق حتى طلعوا به الى الديوان وأثبتوا القتل على القاتل فلم يقفوا له على أثر فنزل الاشراف وأصبحوا وقد قفلوا الاسواق التى بالقاهرة وصاروا يرجمون أصحاب الحوانيت بالحجارة كى يقفلوا حوانيتهم ويضربون كل من عثروا عليه فى الطريق من المارة ومكثوا على هذا الحال يومهم وأصبحوا كذلك وأرسلوا الى الاشراف القاطنين بقرى مصر ليحضروا ثم اجتمعوا بالمشهد الحسينى وخرجوا وامامهم بيرق وساروا الى بيت قيطاس بك الدفتردار

---

(١) سوق البندقانيين : ويقع بشارع البندقانيين ، ومن جملته عدة حوانيت لعمل حشو البندق ، وهو سوق كبير معمور الجانبين بالحوانيب ويقع بين شارع الوراقين وشارع الحمزاوى ، وكانت هذه المنطقة احد اصطبلات الخلفاء الفاطميين ، فلما زالت هذه الدولة أنشىء هذا الحى لعمل البندق ، كما ضم كثيرا من محلات بيع المشروبات ، وسكنه الفقراء فى بيوت كبيرة تضمهم جميعا سميت بالرباع (جمع ربع) لان هذا المكان كان قريبا من محال اعمالهم

● عجائب الاثار جـ ١ المرجع السابق ص٩٥ ، محاسن الوقاد (د) ، المرجع السابق ص٨٥ .

فخرج عليهم أتباعه وطردوهم وهزموهم بعد قتال فرجعوا وقد عاثوا بالطرق وفعلوا مالاخير فيه فلما تفاقم أمرهم وكادت الفتنة تتسع تحرك عليهم العسكر وركب أغوات الاصبهانية الثلاثة وأغوات الانكشارية فى عددهم وعددهم وطافوا المدينة فخاف الاشراف وتفرقت جموعهم ثم نادوا بالأمن والامان وفتح الحوانيت ففتحت وسكنت الفتنة بعد ان كاد يستفحل أمرها .

وأعقب هذه الفتن المتراكمة والمحن المتوالية طاعون شديد أمات خلقا كثيرا جدا وبقى على شدته بالقاهرة ومصر من ربيع الاول من السنة الى أواخر جمادى الثانية ففتك فتكا ذريعا وعم وامتلأت البيوت والطرق بالموتى والدفن مستمر ليلا ونهارا فكانت شدة عظيمة للغاية ثم ارتفع وزالت بزواله ولاية والى باشا وجاءت الاخبار بعزله وتولية عابدين باشا فقدم الى مدينة الاسكندرية ثم حضر الى القاهرة فى صفر سنة خمس وعشرين[1] ومائة وألف هجرية فنزل والى باشا وسافر الى الديار الرومية فكانت مدة تصرفه عشرة أشهر وأياما وأخذ عابدين باشا يتصرف فى الامور فقدم له الامراء كافة التقادم[2] والتعابى النفيسة وقدم اسمعيل بك أيضا تقدمه نفيسة للغاية فاستعظمها عابدين باشا ومال اليه وأحبه واختص به ومال الى طائفة القاسمية[3] ارضاء لاسمعيل بك المذكور فجعل يوليهم المناصب العالية حتى ظهروا بمظهرهم القديم من الابهة والتكريم

---

(١) ١١٢٥هـ = ١٧١٣م حسب الدرة المصانة فقد تولى عابدين باشا من ١١٢٦ - ١١٢٩هـ/١٧١٤ - ١٧١٧م ص١٨٧ .

(٢) التقادم = الهدايا والتقدمات

(٣) الفقارية والقاسمية : خلال بناء المماليك لقوتهم من جديد ، بدأ يظهر بينهم نوع من الطوائف التى تنتمى كل منها الى زعيم مملوكى ، وهكذا بدأت تظهر اسماء طائفة الفقارية نسبة الى الامير المملوكى رضوان الفقارى ، والقاسمية نسبة الى الأمير المملوكى قاسم بك تظهر على المسرح ، وتولى هؤلاء الزعماء مناصب قيادة الحملات العسكرية وإمارة الحج وحكم الصعيد ، بل لقد عين زعيم الفقارية- رضوان - قائمقاما للوالى عام ١٦٣٥ ويشير بعض المؤرخين الى أن اصل القاسمية من البوسنة ومن ثم كان تحالفهم مع العسكر

وخلال اربعينيات القرن السابع عشر بدأ الصراع بين الطائفتين على النفوذ وهو ماشرع ولاة مصر على استقلاله فى القضاء عليهما معاً ، وذلك بتأليب كل منهما على الاخرى باستخدام لعبة المناصب التى كان يتهافت عليها الطرفان وفازت الفقارية فى الفترة الأولى من الصراع لكن القاسمية استعادوا بعضا من نفوذهم فى الخمسينات ، هذه الفترة التى شهدت قمة الصراع بينهما . =

وزال عنهم البأس ولازمتهم النعمة فصارت أمور البلاد على أحسن مايرام واستتب الامن وعم واطمأنت قلوب الرعية وكثرت الاقوات ودرت الارزاق وارتفع الغلاء وزال الوباء وراجت أسباب التجارة وسلكت الطرق وأخصبت الارض وأجادت فكانت أيام عابدين باشا المذكور كلها راحة وهناء فلما كانت أخريات سنة ثمان وعشرين[١] ومائة وألف جاء الخبر بعزله وولاية آخر اسمه على باشا فأسف الناس لذلك وحزنوا عليه ونزل عابدين باشا من قلعة الجبل عندما وصل الخبر بوصول على باشا الى الاسكندرية ثم سافر الى الديار الرومية قبل وصول على باشا الى القاهرة فكانت مدة تصرفه ثلاث سنين الاشهرا وسافر الى الاسكندرية أرباب الخدم والعكاكيز وكبار الامراء للقاء على باشا المذكور وحضروا معه الى القاهرة فصعد الى قلعة الجبل على الرسم المعتاد واستقر به المنصب والامور والفتن نائمة والقلوب مطمئنة فلم تبق الحال كذلك مستتبة إلا قليلاً حتى قامت الفتنة بين أهل بولاق القاهرة من حارة الجوابر[٢] وبين بعض الجمالة اتباع أمير الحاج وذلك ان بعض سكان الحارة المذكورة تشاجروا مع نفر من الجمالة[٣] لاسباب طفيفة للغاية فأدت هذه المشاجرة الى الملاكمة والمضاربة بالايدى ثم بالهراوى والمساوق وعلا الصياح واجتمعت الغوغاء والحرافيش وكثرت الجلبة فخرج لمعاونة الجمالة أمير اخور الاصطبل ومعه نفر من الاتباع فقام عليهم أهل الحارة كافة وأوسعوهم ضربا بالمساوق فوصل خبر ذلك الى الامير اسمعيل بك أمير الحاج فأرسل اليهم أغات الانكشارية والوالى فقاموا عليهما كذلك

مطلب
ولاية على باشا

---

= أما فى الفقارية فقد قضى على نفوذهم فى الستينيات نتيجة لاتحاد باقى القوى (الوالى والعسكر والقاسمية) عليهم

الا أن الوالى استطاع بعد ذلك القضاء على نفوذ القاسمية بعد أن أصبحوا وحدهم فى الساحة وعودة السلطة المركزية فى ستينات القرن السابع عشر ومواكبه ازدهار السلطة فى اسطانبول .

راجع دانيال كريسيليوس : جذور مصر الحديثة ، ترجمة د. عبد الوهاب بكر ، ص ص٢٧ ، ٢٨ وإيمان محمد عبد المنعم : العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر : القاهرة ١٩٩٧ ، ص ص٢٠ ، ٢١ .

(١) ١١٢٨ هـ = ١٧١٦م .

(٢) حارة الجوابر : احدى حارات حى بولاق بالقاهرة ، ومازالت تحمل هذا الاسم للان

(٣) الجمالة : الذين كانوا يقومون بتأجير جمالهم للنقل او الركوب .

وضربوهما وكانت النساء فى هذه الاثناء يصوتن بأعلى أصواتهن والصغار يضجون ويسبون كل من يحضر اليهم ويرجمون بالاحجار فى الحارات ومن أعالى البيوت فعاد الوالى ورجع اليهم بطائفة من الجند وقصدوا الحارة فتترس فيها أهلها وعلت الاصوات وصعدت النساء على أسطحة البيوت وصرن يرجمن بالاحجار فأطلق الجند البنادق فقتلوا عدة رجال ثم هرب من بقى فدخلوا البيوت وأخرجوا النساء والاولاد وحملت النساء متاعهن ثم قفلوا الابواب ودقوا فيها المسامير فسكنت الفتنة ولما بلغ خبرها من بالقاهرة ومصر القديمة خافوا وظنوا انها من الفتن الكبرى فانكمشوا ليلتهم تلك وتعطلت الاسواق حتى شاع الخبر بسكون الفتنة ورجوع الحال الى سابق مجراه .

واتفق ان أرسل الوالى الخزينة[1] السلطانية صحبة محمد بك ابن ابراهيم بك أبى شنب وكان بين محمد بك المذكور وبين اسمعيل بك ابن ايواظ وعلى باشا الوالى نفور ووحشة فلما وصل محمد بك الى دار السلطنة واجتمع بصدر الدولة يومئذ وشى فى حق اسمعيل بك وبالغ فى الوقيعة به وقال انه ان استمر على هذا الحال وطالت أيامه فى مصر استقل بملكها وأزال عنها نواب الدولة فقد تمكن منها وبث فى خدمتها أتباعه ومماليكه ومماليك أبيه وأن لاحرمة للوالى عنده ولاكلمة فوق كلمته وقد أبعد كل من كان ناصحا للدولة وصادقا فى خدمتها وجعل للدولة أربعة آلاف كيس ان هى أزالت اسمعيل بك المذكور وخلعت على باشا الوالى وأتت بغيره قيل فأجابه الصدر الاعظم الى ذلك وبقى الامر مكتوما بينهما الى أن تعين أميراً للحاج[2] الشامى اسمه رجب باشا فرسم

---

(١) الخزينة السلطانية : المبلغ المطلوب للسلطان .

(٢) عين أميراً للحاج الشامى : عين ليكون أميرا لبعثة الحج من الشام الى الحجاز ، وكان قائدها عادة هو الحاكم العثمانى لدمشق أو واحد أو اكثر من الحكام المحليين حتى عام ١١٢٨هـ عندما عهد بقيادتها الى حاكم دمشق بالذات ، وكان هذا القائد مسئولا عن تدبير نفقات الحج من الموارد المخصصة له ، ولذا فإن حكام دمشق كانوا يتمتعون بإيراد المناطق المجاورة لمساعدتهم على دفع هذه النفقات ، وكان لحاكم دمشق جولة سنوية لهذه المناطق قبل موعد رحيل القافلة تسمى (الدورة) يحصل خلالها الضرائب اللازمة لتغطية هذه النفقات

●دانيال كريسيلوس : جذور مصر الحديثة ترجمة عبد الوهاب بكر (دكتور) القاهرة ١٩٨٥ ، ص ص٢٢٢-٢٢٦ .

له الصدر بأنه اذا وصل مصر يعرج على القاهرة ويقبض على على باشا واليها ويقتله ثم يحتال على قتل اسمعيل بك ابن ايواظ مع جميع عشيرته ماعدا على بك الهندى . ورجع محمد بك أبو شنب ظافرا مطمئنا وجاء رسول رجب باشا ومعه مرسوم بحبس على باشا الوالى واقامة أحمد بك الاعسر نائبا فحبسوه فى قصر يوسف بك ثم جاء رجب باشا الى القاهرة وصعد الى قلعة الجبل فى موكب حافل فلما استقر به المقام أحضر على باشا بين يديه وكذلك خازنداره وكاتب الخزينة والروزنامجى ورسم بعمل حساب على باشا ثم أمر به فذبحوه ذبح الشاة واحتزوا رأسه وسلخوها وبعث بها الى دار السلطنة قال بعض الكتاب فمات على باشا شهيد الزور والافتراء ودفن بمقام أبى جعفر الطحاوى بالقرافة قال ويعرف قبره الى الآن بعلى باشا المظلوم ثم رسم بضبط جميع مخلفاته واستحضر اليه خفية محمد شركس وشاوره فى كيفية قتل ايواظ بك وجماعته فدبروا له ولكن لم يتم له تدبير إذ اختفى ابن ايواظ مدة ثم ظهر ومعه فرمان السلطان بخلع رجب باشا فدفعه اليه وأنزله من قلعة الجبل الى بيت مصطفى كتخدا عزبان ووكل به من يحرسه ولبث على هذا الحال أياما الى أن جاء للولاية من قبل الدولة محمد باشا البستانجى وذلك فى أوائل سنة ثلاث وثلاثين فكانت مدة ولاية على باشا المظلوم سنتين وبعض أشهر .

مطلب
ولاية محمد باشا البستانجى وخلع رجب باشا

ولما استقرت بمحمد باشا الولاية أبرز فرمانا سلطانيا بالعفو عن ابن ايواظ وسرح رجب باشا بالسفر فسافر مهانا مرذولا وقد كان استفحل أمر محمد بك شركس واعتز جانبه فى أيام رجب باشا فظهر بمظهر الكبرياء والعظمة والاستخفاف بأقرانه من الامراء وكان حقده على الامير ذى الفقار وقومه يزداد يوما عن يوم فطلب من محمد باشا الوالى مرسوما بالخروج على ذى الفقار المذكور وقتله فأبى محمد باشا ذلك فألح عليه فلم يقبل فقام من عنده يوما مغضبا وانقطع من ذلك اليوم عن الصعود الى الديوان وأهمله فغضب لذلك الباشا وأبرز مرسوما بخلع محمد شركس المذكور من منصبه وكتب الى المشايخ

وأرباب الوجافات بذلك فلم علم محمد شركس بالخبر أسرع وجمع اليه أصحابه ورتب أموره وقام معهم وأحاطوا بالرميلة وحوالى قلعة الجبل[1] ونادوا بخلع محمد باشا البستانجى ثم أنزلوه من القلعة وسجنوه فى بيت ابن الوالى وكان ذلك فى آخريات سنة سبع وثلاثين فكانت مدة تصرفه[2] فى هذه المدة التى هى المرة الثانية أربع سنين وأرسل الى محمد بك أبى شنب فخلع عليه وولوه النيابة وأخذوا منه مرسوما بقتال ذى الفقار وأصحابه وأرسلوا من يقتله ويأتى برأسه فلم يظفروا به واختفى ذو الفقار فنهبوا داره وأخذوا مافيها وكتبوا بصورة الحال الى دار السلطنة وطلبوا أن ترسل لهم واليا آخر بدل محمد باشا البستانجى وكان محمد باشا المذكور قد كتب أيضا بصورة ماوقع فأرسلت الدولة آخر اسمه على باشا فدخل القاهرة فى أوائل المحرم سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف هجرية فلم تستقر به الولاية حتى عمد الى العزل والتنصيب فى الأمراء والحكام ونقض فيهم وأبرم والكلمة يومئذ لمحمد بك أبى شنب واسمعيل بك ابن ايواظ . قال بعض الكتاب ولما كان هذا العزل والتغيير لم يتناول الا ذو الفقار وجماعته اجتمعوا وتشاوروا فى الامر وتكلموا فى كيفية خلاصهم من فعال على باشا المذكور وقد تحققوا ماوراء ذلك من الخيبة أن هم تراخوا ومازالوا حتى أحكموا تدبير أمورهم وعلى باشا وبقية الامراء فى شاغل عنهم بالمناصب وتفريق الوظائف والعزل والتولية ثم ظهر ذو الفقار من مخبئه واجتمع بمحمد باشا البستانجى المعزول ولم يكن الى ذلك الحين قد سافر الى الديار الرومية وكلمه فى أمر الخروج واضطرام نار الفتنة فاستقرت القاعدة بينهما على اعمال الحيلة على قتل كتخدا العزب فاذا تم لهم قتله امتلكوا باب العزب وظفروا بمقصودهم

مطلب
ولاية على باشا

(١) أى حول القلعة .

(٢) تصرفه إى إدارته للبلاد وقد ورد فى كتاب اوضح الاشارات ان ولاية رجب باشا كانت من القعدة ١١٣٢ الى رمضان ١١٣٣ أى ١٧٢٠-١٧٢١ ثم تولى محمد باشا النشانجى من رمضان ١١٣٣هـ إلى ذى القعدة ١١٣٨ ثم جن على من ربيع أول ١١٣٨ الى جمادى اخر ١١٣٨ أى نوفمبر ١٧٢٥ الى ١٧٢٦ ـ ص ـ ص ٢٦٤ ، ٢٨٣ ، ٤٤١ .

ثم جمعوا لذلك طائفة من الفقارية وأخرى من الشواربية[١] وركب أبو دفيه أحد المقدمين عند فجر ذلك اليوم ومعه بعض الامراء وقيطاس ذو الفقار وحوله عدة من الكبراء من قومه وربطوا الاربطة[٢] بالطريق الموصل الى قلعة الجبل وساروا الى الرميلة ووقفوا هناك فلما مر بهم كتخدا العزب المذكور تقدم اليه أحدهم ليسلم عليه وقبض على يده وتبعه آخر وضربه بسيفه فسقط الى الأرض فتركوه وتراكضوا جميعا الى الباب وأجلوا من كانوا عليه وامتلكوه ووصل الخبر الى محمد باشا البستانجي فركب فى الحال وجاء الى جامع المحمودية[٣] وأتى الى عل باشا من أعلمه بالخبر فنزل الى باب العزب وهو فى دهشة وحيرة واجتمع جميع الصناجق وتشاوروا فى الامر طويلا فلم يروا بدًا من أن يعيدوا الوظائف الى ما كانت عليه تسكينا للفتنة وقسموها بين الفقارية . واتفق ان قبطانا من قباطين دار السلطنة كان قدم الى القاهرة فى نفر من العسكر السلطانى ولبث بها فلما ظهرت هذه الفتنة ووصل اليه خبرها ركب فى عسكره وأتى الى جامع السلطان حسن[٤]واستقر به مع ذى الفقار بك وظهرت كلمة محمد باشا البستانجى فى الحال فجعل يقسم المناصب العالية ويتصرف فى الولاية وخلع على الامراء أصحاب الفتنة ولبث على هذا الحال بجامع المحمودية مع أصحابه أياما . فلما رأى محمد بك شركس ان قد تمت الحيلة ودارت عليه وعلى أعوانه

---

(١) كان الشواربية من كبار التجار فى مصر ، وكانوا من اصحاب العز والجاه ومنهم عائلة مشهورة بمحافظة القليوبية الأن

● على مبارك : المرجع السابق جـ ٤ ص ٢١٦ .

(٢) الاربطة : نقط المراقبة .

(٣) جامع المحمودية : يقع جامع المحمودية فى الشارع الذى يسمى باسمه ، والذى يبتدئ فى نهاية شارع المحجر بجوار زاوية الشيخ حسن الرومى ، وبه قبر منشئه محمود باشا ، وتعلوه قبه مرتفعة .

● على مبارك : المرجع السابق جـ ٣ ص ١٠٤ .

(٤) جامع السلطان حسن : يقع بجوار القلعة ، كان موضعه بيت يلبغا اليحياوى نائب الشام ، ابتدأ الملك الناصر حسن فى عمارته سنة ٧٥٧هـ / ٥ يناير ١٣٥٦ ، وظلت العمارة فيه ثلاث سنوات ، به إيوان كبير واربعة مدارس بدوران قاعة الجامع ، ومات السلطان حسن قبل أن يتم رخام الجامع ، فأتمه بعده الطواشى بشير الجمدار .

● (عجائب الاثار جـ ١ ، المرجع السابق ص٧٧)

الدوائر كبر عليه هذا الامر جدا وجعل يتأهب للذب[١] والقتال وسيرمن فوره الى بيت قاسم بك عدة كبيرة من الجند والمدافع ورسم فأقاموا المتاريس عند درب الحمام وجامع[٢] الحصرية وهجمت عساكره على من كانوا بسبيل المؤمن بالبنادق حتى أجلوهم وهزموهم وهربوا الى جهة القلعة وسوق السلاح[٣] ولكنهم تمكنوا من عمل متاريس عند مذبح[٤] الجمال ورموا على من كانوا بجامع المحمودية وتتابع الرمى من كل صوب وحدب فهرب المجتمعون بالرميلة وبنى أصحاب شركس المذكور المتاريس أيضا عند وكالة بالاشكمنية[٥] ومازال فى دفاع وقتال حتى كاد يتم له الظفر بالفقارية وبدأت شارات النصر وعلائم الفوز والغلبة فبرز يوسف الچربجى[٦] البركاوى وألقى بنفسه وتسلق على باب العزب

(١) الذب = الدفاع

(٢) درب الحمام وجامع الحصرية : يقع درب الحمام بشارع درب الحمام الى اليمين وجامع الحصرية بدرب الحصرية .

● عجائب الآثار : جـ ١ المرجع السابق ص١١٥ .

(٣) سوق السلاح : سوق كانت تباع فيه السيوف والاسلحة ، ويقع بالقرب من القلعة فى نهاية شارع محمد على الى حارة حلوان أى بين مسجد السلطان حسن وشارع التبانه ، وكان سوقا كبيرا للعديد من السلع والاسلحة والاقمشة والتبغ

● عجائب الاثار : جـ ١ المرجع السابق ص ٧٧ ، ١٥٩

(٤) مذبح الجمال : سلخانة الجمال بجوار القلعة .

(٥) الوكالة : مبنى يشبه الفندق ، الطابق الارضى منه عبارة عن حوانيت لعرض سلع التجار الدور الأول منه مخازن اما الطوابق العليا فكانت لسكن التجار الغرباء ، وكانت هناك وكالات متخصصة : كوكالة الحمص وأخرى للثوم وثالثة للبلح وللحمير او الرقيق الخ ، وكان للوكالة باب عام واحد يقفل ليلا يحرسه بواب .

● على مبارك : الخطط ، القاهرة جـ ٢ ص ٧٧

● د . محاسن محمد الوقاد : المرجع السابق ص١٠٦

● وكالة بالاشكمنية : وكانت قائمة بالقرب من ميدان الرميلة .

● عجائب الاثار جـ١ المرجع السابق ص١١٦ .

(٦) الچوربجى : كلمة تركية من أصل فارسى (شور) بمعنى لذيذ وملح و(با) الطعام المطهى ، من الفهلوية (PAK) بمعنى المطبخ ، والجوربجى ضابط انكشارى يعادل (نقيب) وهو رئيس المشاة ، وكان له حصان وجبة من الجوخ الأحمر لها كمان وسروال وخف أصفر ، وقلنسوة مذهبة الحاشية عليها ريشة وكان يشرف على أمور الكتيبة ، ويؤدب الجند فى الجرائم الصغيرة ، وكان لقب جوربجى يطلق على الاغنياء أيضا من تجار النصارى ، وعلى أصحاب السفن التجارية كما كانت رتبة عسكرية ( رئيس فرقة فى الاوجاق) .

●(عجائب الاثار جـ ١ المرجع السابق ص٧٣ ، الامير احمد الدمرداش ، كتاب الدرة المعانه تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن القاهرة ١٩٨٩ ص٣ )

ونط الحائط تحت رمى البنادق واتصل بمحمد باشا البستانجى ومن معه بجامع المحمودية وطلب أن يعطوه مرسوما الى كتخدا العزب كى يعطيه بيرقا ومائة مقاتل وضمن لهم اجلاء الذين كمنوا بسبيل المؤمن ثم يتحول بعد اجلائهم بمن معه الى بيت محمد شركس فيخربه تخريبا بشرط أن يولوه منصب كتخدائية العزب ان عاد اليهم ظافرا فأجابوه الى ماطلب فنزل بمن معه من باب الميدان وسار بهم من جانب تكية إسمعيل باشا ووقف بجانب باب كان هناك يوصل اى الرميلة وطوى البيرق وهجم بمن معه على سبيل المؤمن يطلق النيران المتتابعة وهم يهللون ويكبرون فانزعج من كانوا بالسبيل وتحيروا فى أمرهم وولوا جميعا الادبار الى درب[1] الحصرية وأصحاب يوسف چوربجى فى أقفيتهم يعملون فيهم الضرب والطعن حتى جاوزوا جميع متاريسهم ودخل بيت قاسم بك فحولوا المدافع صوبه وصعدوا منارة جامع الحصرية ورموا بالبنادق على البيت فنزلت عند ذلك سائر البيارق من الابواب وساروا الى جهة الصليبة وطلع القبطان الى قصر يوسف بك ووضع مدفعا على بيت محمد بك شركس وأطلق عليه الكلل[2] تباعا وقد كان قاسم بك أصيب برصاصة ممن كانوا بمنارة جامع الحصرية فمات فلما رأى محمد شركس ماحل بقومه ومايترصده من المكاره خرج هاربا فخرج معه محمد بك الاعسر ومحمد شركس الصغير وأخذ جميع أمواله وذهب بأصحابه الى ناحية مصر القديمة وعبروا النيل الى الجانب الغربى خفية وركب محمد باشا البستانجى وصعد الى قلعة الجبل فى أهبة[3] وكبكبة ثانية فنزل على باشا وسافر الى جزيرة[4] جريد وقبض ذو الفقار بك على زمام الامور فارتفعت كلمته وظهرت بعد الخمول والانكماش عظمته وبعث بمن يقبض على محمد بك چركس فجد الرسل السير خلفه فلم يدركوه ورجعوا

---

(١) الحصرية : درب الحصرية أو درب الحصر يقع جهة اليسار من شارع درب الحصر ، وهو درب كبير به عدة بيوت وثلاث عطف غير نافذة على جانب جامع الحصرية .
● عجائب الآثار جـ ١ المرجع السابق ص١١٦ .
(٢) الكلل بمعنى الضربات (المصباح المنير ط ٦ عام ١٩٢٥ ص ٧٣٩ ولعلها هنا الطلقات .
(٣) لعلها أبهة .
(٤) جريد = كريت

فأخبروا انه سار الى الجبل الاخضر ومنه الى أدرنة وكان خروج محمد چركس المذكور فى يوم السبت سابع جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين[1] ومائة وألف فسكنت بعد خروجه الفتنة وزالت أسبابها ووقف كل عند حده قال بعض الرواة وهذه الفتنة كانت بايعاز من دار السلطنة .

واتفق بعد ذلك بقليل ان على بك المعروف بابى العزب ومصطفى بك ابن ايواظ ويوسف بك الخائن ويوسف بك ابن الشرابى[2] وعبد اللّه أغا كتخدا الچاويشية وسليمان أغا أبادفية وهم جميعا من طائفة القاسمية جلسوا على عادتهم فى بيت أحدهم على بك أبى العزب يشربون الخمر فلما أخذ الشراب من عقولهم فى تلك الليلة تأوه مصطفى بك ابن ايواظ وقال يموت أخى العزيز *الصغير والكبير* ويصير *الهندى* مملوكنا سلطانا على مصر وله الكلمة النافذة علينا والوالى فى قبضة يده وكان النيل قريب الوفاء فقال على بك خفف عنك واللّه انى لقاتل الباشا يوم جبر[3] البحر فقال أبو دفية وانى لقاتل ذو الفقار وقال

(١) ثمان وثلاثين ومائة والف هـ = ١٧٢٥م

(٢) جاءت اسرة الشرابى (الشرايبى) من فاس فى الشمال الاوسط من مراكش فى بداية القرن ١٧ وكونت ثروة طائلة من التجارة فى البن فكانوا اثرى اسرة تجارية فى القاهرة انذاك وبذلك كانت ذات مركز سياسى وجاه اجتماعى .

● الدرة المصانة تحقيق كريسبليوس وعبد الوهاب بكر (دكتور) ص ٢٤٠ .

(٣) يوم جبر البحر : يوم وفاء النيل وكسر الخليج ، وكان احتفال يشارك فيه اهل القاهرة فيوقد اهل القاهرة وجزيرة الروضة ـ حيث المقياس ـ القناديل والشموع ، ويستأجرون المراكب وتزين قوارب الأمراء بجميع انواع الزينة ويحضر استادار السلطان ويبيت فى المقياس ، ويحضر المقرئون لتلاوة القرآن حول الفسقية بالمقياس ، ويغنى المطربون وفى اليوم التالى يحضر السلطان ويمد السماط من الشواء والحلوى والفاكهة فيأكل الأمراء ثم يأكل الفقراء الباقى ويبدأ بعد ذلك الاحتفال بوفاء النيل وكسر الخليج ، فيذاب الزعفران فى إناء به ماء ورد ويتناوله صاحب المقياس ويسبح فى فسقية المقياس ويدهن عامود المقياس بالعطر ويوزع السلطان الخلع على والى الفسطاط ورئيس الحراقة السلطانية ورؤساء مراكب الأمراء ، ثم يركب السلطان حراقته ويتبعه الامراء بحراريقهم وتسبح مراكب المتفرجين تزفها المغانى والطبول والزغاريد حتى تدخل فم الخليج فإذا وصل الى السد يجد نائب السلطنة فى انتظاره ومعه الأمراء ، ثم يكسر السلطان السد وينصرف بعدها الى القلعة ، وكانت يومها تغلق الحوانيت والاسواق للاحتفال .

● محاسن الوقاد : المرجع السابق ص ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

● اوليا چلبى : سياحتنامه مصر ، مرجع سابق ص ص ٤١٥ ، ٤١٦

مصطفى بك وانى قاتل الهندى مملوكنا ثم تحالفوا على ذلك وتعاهدوا على العمل وكان معهم فى تلك الليلة مملوك من مماليك عبد الله بك وقد كان هرب عند قتل سيده ولحق بالهندى وأقام فى خدمته أياما فلما ارتقى مصطفى بك المناصب العالية أخذه من الهندى وجعله فى خدمته فلما سمع هذا المملوك ماتحالفوا عليه ذهب الى على بك الهندى وأعلمه بالخبر فبعث به الى ذى الفقار فأخبره أيضا فبعثه الى محمد باشا فأخبره . فلما كان يوم الديوان(١) وقد صعد على بك أبو عزب الى الخدمة بالديوان أمر به الباشا فقبضوا عليه وقتلوه من ساعته تحت ديوان السلطان قايت باى وأحاط بداره ونهب مافيها وكان شيأ كثيرا للغاية وأرسل فى الحال مرسوما الى الاغا بالقبض على باقى أصحاب هذه المؤامرة فكان أول من قبض عليه منهم ابن ايواظ فار كبوه(٢) حمارا وأتوا به الى الباشا فأمر به فقتل فى الحال واختفى الباقون فضعف بذلك جانب القاسمية وانحط قدرهم وعلت كلمة الفقارية ولم يبق ظاهرا من القاسمية الاعلى بك الهندى فعمل ذو الفقار على قتله أيضا فقتله وقتل معه آخرين .

واتفق ان عاد فى هذه الاثناء محمد بك شركس من فراره على ماتقدم بيانه فلما علم أصحابه برجوعه جاؤا اليه وأقبلوا جميعا عليه فركب معهم ونزل الى البحيرة يريد الاسكندرية فلاقاه حسين بك الخشاب فى جنوده يريد منعه والظفر به فهزمه چركس وغنم خيامه وخيله وجماله ثم هبط الى الفيوم ونزل على بنى سويف ثم الى القطيعة علم مقربة من جرجا فاجتمع عليه من بقى منهم من القاسمية المتشردين فقام لصده حسين بك حاكم جرجا فركب عليه چركس المذكور وقاتله فقتل حسين بك وجماعة كثيرة من أتباعه وغنم چركس

---

(١) يوم الديوان = يوم اجتماع الديوان

(٢) اركبوه حمارا : وكانت احدى العقوبات فى ذلك العصر وكانت للتشهير والتجريس ، وهى أن يطاف بالمذنب على حمار أو ثور ويضرب بالجرس على رأسه ويزفه المنادون ليجمعوا الناس من حوله ، وفى نهاية المطاف يضرب بالسياط أمام الناس

● سعيد عاشور (دكتور) : العصر المماليكى فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٦٥ ص٣٧٠

آلاتهم وجميع معداتهم وجاءت الاخبار بذلك الى القاهرة فجمع ذو الفقار الامراء وشاورهم فى الامر فجهزوا لذلك عسكرا عظيما صحبة عثمان بك وآخر اسمه على بك قطامش فتلاقوا مع چركس بوادى البهنسا(١) واقتتلوا فكانت الهزيمة على عسكر ذى الفقار ومن معهم واستولى چركس على ما كان معهم من آلات الحرب والخيام والخيل وحال الليل بينهم فافترقوا ورجع المنهزمون الى القاهرة فشق أمرهم على ذى الفقار وهاله جدًا وجمع الامراء ثانية واتفقوا على ارسال حملة أخرى ولكنهم لم يجدوا ماينفقونه فطلبوا مرسوما من محمد باشا البستانجى بثلثمائه كيس من مال الخزينة نفقة وعليهم رده من أموال السنة القابلة(٢) فامتنع الباشا فألحوا عليه فصمم على الامتناع فشكوا فلم يسمع فركبوا عليه وأنزلوه من قلعة الجبل وأقاموا محمد بك قطامش نائبا وأخذوا منه مرسوما بالنفقة وجهزوا العسكر واهتموا بأمرها اهتماما عظيما فسارت هذه الحملة والتقت بچركس ومن معه فوقعت بين الفريقين حروب هائلة ووقائع متوالية انجلت عن هزيمة جركس وتبديد شمل جماعته وتمزيقهم كل ممزق . أما محمد باشا البستانجى فانه بعد أن خلعوه أنزلوه من قلعة الجبل وحجروا عليه أياما حتى ورد الخبر بولاية باكر باشا وذلك فى سنة اثنتين وأربعين(٣) ومائة وألف فكانت مدة تصرفه الثانية أربع سنين وأشهرا ووصل الى مصر باكر باشا الوالى الجديد فكان وصوله فى خلال الفتن واشتداد الخطوب والمحن فلم يعمل عملا يذكر لان البلاد كانت فى شدّة وضنك بأسباب الحوادث المتراكم بعضها فوق بعض ولم يستقر به المقام الا أياما قلائل حتى ثار من فى البلد من

مطلب عزل محمد باشا البستانجى وولاية باكر باشا

---

(١) وادى البهنسا ، كانت فى العصر العثمانى ولاية البهنساوية : وفى ١١٣٣هـ/ ١٧٢١م نقل مركز هذه الولاية الى الفشن لتوسطها بين بلاد الولاية والبهنسا مدينة تقع غربى النيل وتتبع حاليا مركز بنى مزار محافظة المنيا

● عجائب الاثار جـ ١ المرجع السابق ص١٢٠ .

(٢) يقصد المقبلة .

(٣) إثنين واربعين ومائة والف هجرى : ١٧٣٠م ، ورد فى اوضح الاشارات باسم باكير باشا تولى مصر من ١٤ صفر ١١٤١ الى غرة محرم ١١٤٢هـ (١٩ سبتمبر ١٧٢٨م الى ٢٧ يوليه ١٧٢٩م) وورد فى الدرة المصانة عبد الوهاب بكر (دكتور) فى المقدمة انه ابوبكر باشا تولى من ١٧٢٨ الى١٧٢٩) .

القاسمية المختفين وثار معهم سليمان أغا أبودفية فدخل منهم جماعة على ذى الفقار بك وقت العشاء فى رمضان من السنة وقتلوه وكان ذلك بتدبير من محمد بك چركس وهو مختف جهة الشرقية ينتظر موعدهم بعد قتل ذى الفقار بك فقضى اللّه بموت چركس قبل أن يعلم بخبر موت ذى الفقار وذلك انه لما بعث ذو الفقار قومه فى طلب محمد چركس المذكور شددوا فى البحث عنه وتتبعوا خطواته فكان ينتقل من جهة الى أخرى حتى سار الى الشرق ومعه جماعة من عربان خويلد فتبعه عثمان بك قطامش بعسكره وسالم بن حبيب البدوى وقومه فتلاقوا معه واقتتل الفريقان قتالا عنيفا جدا انجلى عن هزيمة چركس ومن معه ففروا وألقوا بأنفسهم الى النيل ونزل چركس بفرسه يريد العبور الى الجانب الغربى من النيل فانغرز الفرس فى روبة تحتها الماء غزير فترجل عَنه ليخلصه فسقط ومات غريقا وكان على مقربة منه شادوف وعليه رجلان من الفلاحين ينقلان الماء الى مزرعة لهما فنزلا اليه فوجدا الفرس وجركس ميتين ولم يعلما من هو فأخرجاه وأخذا ماعليه من الملابس وسلاحه وزرخه[1] وما فى جيوبه ودفناه بالجزيرة ومر بها قارب صيد فطلباه ووضعاه فيه وكان على بك جالسا بجانب النيل ومعه سالم بن حبيب فنظر سالم الى القارب وهو مقبل فقال ماهذا الا سمكة عظيمة مقبلة الينا فأوقفوا القارب فتقدم أحد الشدافين[2] الى على بك وقبل يده فقال له ماخبرك قال وجدنا جنديا من المهزومين غريقا ومعه حصان فلعله من المطلوبين والا ألقيناه فى الماء فقال لاحد أصحابه اذهب وانظر من هو فلعلك تعرفه فذهب وعاد فاخبر انه محمد چركس الكبير وقد أحضر معه خاتمه فأمر به فاخرج من القارب وقبض على بك على أحد الشدافين وألزم الآخر باستحضار ما أخذه من الثياب والسلاح فاحضرها ثم أمر فاحتزوا رأس محمد بك چركس وغسلوا جثته ودفنوه ناحية شرونة وارتحلوا الى

---

(١) زرخه : الزرخ لفظ تركى بمعنى الدرع أو الزردية وهى قميص من الزرد يلبسه المحارب اثناء القتال (ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة د. عبد القادر طليمات المجلة التاريخية ، مرجع سابق ص٣٧٢)

(٢) الشدافين = المجدفين فى القارب .

القاهرة وكان القاسمية الذين بالقاهرة قد دخلوا على ذى الفقار وقتلوه كما تقدّم القول ولبثوا ينتظرون قدوم محمد چركس وكانت أبواب المدينة مقفلة وعلى كل باب منها صنجق والوجاقلية يطوفون فى الشوارع وبأيديهم السيوف والقرابين[١] المحشوة فلما وصل على بك قطامش الى الآثار النبوية المعروفة عند العامة (بأثر النبى[٢]) أرسل يخبر بما جرى فخرج اليه عثمان بك ودخل صحبته بموكب حافل والرأس امامهم محمولة فى صينية حتى طلعوا بها الى قلعة الجبل ووضعوها بين يدى الباشا فخلع عليهم الخلع السمور[٣] ونزلوا الى بيوتهم فأتتهم التقادم أيضا من جميع الامراء قال أصحاب التاريخ وكان چركس[٤] المذكور من

---

(١) القرابين = نوع من البنادق قصيرة الماسورة .

(٢) اثر النبى= قرية صغيرة كانت تتبع مديرية الجيزة (محافظة الجيزة الان) وهى على الشاطئ الشرقى للنيل وملاصقة لدير الطين ، اخذت اسمها من وجود حجر قديم على هيئة قدم يزعم الناس انه قدم النبى عليه الصلاة والسلام ، وقد ادخل هذا الحجر فى المسجد الذى اقامه الظاهر بيبرس وبنى فوق هذا الأثر .

● تاريخ وقائع مصر القاهرة ، المرجع السابق ص١٠١ .

(٣) خلع السمور : وهو نوع من اللباس مصنوع من فراء حيوان السمور الذى كان يستورد من الاماكن البعيدة الباردة ولذلك كان غالى الثمن فكان خلعه على انسان دليلا على تقديره الكبير .

(٤) من الاحداث التى تصور شخصية هذا الرجل وظلمه انه فى سنة ١٧١٩ اتهم بالشروع فى قتل اسماعيل بك بن عوض بك ، واثناء القتال بينهما وقع جركس محمد فى يد اسماعيل بك لكن الاخيرا بقى على حياته واستصدر فرمانا من الباب العالى بنفيه الى قبرص ومصادرة املاكه ، لكن محمد بك أبو شنب حنق على اسماعيل بك مافعله ضد چراق بن جركس محمد وانتهز الفرصة فى وجوده فى استانبول كقائد للقوة العسكرية وحصل على موافقة الحكومة على قتل اسماعيل بك مقابل حلوان ٤ الاف كيس ، كما حصل على موافقة الحكومة على استبدال على باشا (١٧١٦ - ١٧١٩) بحاكم اخر يتعاون مع أبى شنب ، وبالفعل استبدل على باشا برجب باشا (١٧١٩ - ١٧٢٠) وقتل اسماعيل بك بعد عودة محمد چركس من منفاه واستعاد نفوذه فى ١٧٢٥ ، وفى هذه السنة ارسلت الحكومة على باشا (٢٧ نوفمبر ١٧٢٥ - ١١ فبراير ١٧٢٦) للمشاركة فى المؤامرة المدبرة بمعرفة محمد بك البستانجى (النشانجى) (١٧٢٠ - ١٧٢٤) للقضاء على جركس محمد وجماعته وكان فى يوليو واغسطس ١٧٢٤م شب نزاع بين جركس ومحمد باشا البستانجى حاكم مصر انذاك وعندما عزل الحاكم جركس محمد من سنجقيته رجع بفعل قادة الاوجاقات السبعة والعلماء والاعيان الذين وقعوا على عريضة بذلك قهرا متهمين فيها الحاكم بإساءة استعمال سلطته وطالبوا بعزله

واقترح محمد باشا فى خطته للقضاء على جركس محمد وحزبه ان يخدع جركس محمد بطريق عزل محمد باشا ظاهريا وارسال حاكم جديد ، وبينما يكلف على باشا حاكم كريت بتولى القاهرة فان محمد باشا الحاكم المعزول يحصل على دعم الحزب الفقارى ، ثم ينظم البكوات الفقارية الى الباشوات العثمانيين محمد باشا وعلى باشا لسحق قوات جركس وقتله لتأكيد السيطرة العثمانية وقد نجحت هذه الخطة فى عام ١٧٢٦ .

● الدرة المصانه تحقيق كريسيليوس وبكر ص ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

أظلم خلق الله وأشدهم طغيانا وكان أتباعه على شاكلته فكانت أيامه شر الايام وكانت الحروب فى عهده لاتقعد لها قائمة فاشتدت على الرعية الخطوب وتوالت المحن والكروب وتعاقب الغلاء وعم الويل والوباء واشتد البلاء وقتل البنون والآباء وكان موت محمد چركس المذكور فى أواخر سنة اثنتين وأربعين . أما الامير ذو الفقار بك فقالوا انه كان أميرا جليل القدر شجاعا بطلا كريم الاخلاق مع قلة ثروته وعدم ظلمه وكان كثير الحسنات يرسل فى كل شهر رمضان من السنة لجميع الامراء والاعيان والوجاقلية اليلكات والكساوى وللعلماء بالازهر ستين كسوة ودراهم تفرق على الفقراء والمجاورين[1] فكان محبوبا محترما مهيبا نافذ الكلمة بكاه الناس كافة وحزنوا على فقده هذا ما كان من أمر الفتن بديار مصر .

أما ما كان من أمرها فى دار السلطنة فانه لما تم لخصوم محمد باشا البلطه[2]جى الصدر الاعظم النكاية به وعزله وتبعيده كما تقدم القول تولى الصدارة بعده عدة من الوزراء فلم تطل أيامهم ولم يفلحوا الى أن تولاها على باشا دماد فأحسن التدبير وأصلح ما أفسده السلف وساق الجيوش الى اخضاع أهل الجبل الاسود لتمردهم وخروجهم عن طاعة السلطان ثم سار لتدويخ البلاد التابعة لجمهورية البندقانيين[3] وضمها الى أملاك الدولة ومحو أثر الجمهورية المذكورة حيث كانت الدولة قد ملت من حروبها المتتابعة ففتح كثيرا من البقاع والقلاع كاستنديل[4] وكورودوس وأنابولى وقتل وسبى وخرب ثم عاد الى دار السلطنة ظافرا غانما ولبث الى أن زال الشتاء وكر راجعا فى جيش عظيم لاخذ

---

(١) المجاورون = المريدون الذين اقاموا فى الزوايا يعبدون الله على طريقة شيوخهم ، يستقون العلم منهم ، ويحملون لهم القداسة والتبعية والطاعة فى كل شئ

● توفيق الطويل (دكتور) : التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى القاهرة ١٩٨٨ ص ٢٠٣

(٢) البلطة جى : حامل البلطة ومستعملها كسلاح .

● عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية ، مرجع سابق جـ ١ ص ٤٧٤ .

(٣) البندقانيين = اهل البندقية بايطاليا

(٤) ستنديل وكورودوس وأنابلى = مدن ايطالية فيها قلاع حربية .

مـابقى من جـمـهـورية البندقـانيـة فلمـا علمت دولة النمـسـا بمـا وراء ذلك من استيلاء العثمانيين على خليج البندقانيين وان هذا ممـا يفتح للعثمانيين بابا واسعا لنقل مهماتهم وذخائر حربهم ويسهل لهم الهجوم على بلادها ويغنيهم عن المجىء اليـهـا عن طريق بلغـراد وطمـشـوار أفـاقت من غـفلتـهـا وارسلت الدولة العثمانية فى مجانبة الحرب مع جمهورية البندقانيين وأنذرتها بانها اذا أبت ذلك أشهرت الحرب عليها فاستعظم الصدر هذا الامر جدا وحول وجهه عن محاربة البندقانيين الى قتال النمسا فسار بجيوشه وشن الغارة على أملاكها فسيرت لقتاله جيشا عظيما للغاية ومقدمه البرنس أوجين دى ساڤوا وهو من أكبر قواد ذلك العصر وأعظمهم خبرة بفنون الحرب والقتال فاشتبكت الحرب بين الفريقين واشتد القتال فانتصر النمساويون نصرة مؤزرة فى موقعة بتر واردين وقتلوا الصدر الاعظم فى ساحة الحرب ثم سار قائد الجيوش النمساوية الى مدينة طمشوار فافتتحها بعد حصار أربعة وأربعين يوما ثم نزل على مدينة بلغراد وحاصرها وشدد فى حصارها وكان قد تولى مسند الصدارة العظمى خليل باشا فحضر فى عسكر عظيم لاستخلاص المدينة ورفع الحصار عنها فلم يفلح وتغلب عليه العدو ودخل المدينة عنوة وأعمل فيمن بها من عساكر المسلمين السيف ووصلت الاخبار بذلك الى القسطنطينية فعمدوا الى طلب الصلح وأرسلوا الى النمسا فى ذلك وكان الذى قد تولى هذا الامر ابراهيم باشا نائب الركاب الهمايونى فاستكبر الجند هذا الامر جدا وقالوا لانترك طمشوار الجميلة فى أيدى الاعداء فأخذ الناس بقولهم ووافقوهم على استدامة القتال وتبعهم فى ذلك أيضا طلبة العلم فسقط ابراهيم باشا فى يده وانفرد برأيه وبقى الكلام فى الصلح نسيا منسيا وأعيدت الحرب ثانية فانهزم العسكر الهمايونى هزيمة أشدّ من الاولى وانفشلوا وركبهم النمساويون بحد السيف فعادوا الى طلب الصلح وكان الى هذا الحين قد تولى ابراهيم باشا مسند الصدارة فعقد النمساويون

الصلح بعد أخذ ورد فكانت شروطه شديدة على الدولة اذ تركت للنمسا ولاية طمشوار ومدينة بلغراد مع جزء عظيم من بلاد الصرب وآخر من بلاد الفلاخ وتركت لجمهورية البندقية ثغور شاطئ دلماسيا واسترجعت هى بلاد المورة ليس الا . قال بعض الكتاب ولو أظهرت الدولة يومئذ للعدو علامات القوة مع عزة النفس لتم عقد الصلح على وجه أليق بشرفها . فلما تمت شروط الصلح على هذه الصورة طمع الاعادى فيها واستخفوا بقدرها فتحركت دولة الروس الى نكث العهود وسيرت سفيرها الى دار السلطنة فى طلب الغاء بعض الشروط المأخوذة على الروس فى معاهدة الصلح الاخيرة والتقى السفير بالصدر وكلمه فى الامر وشدد عليه فى الطلب وقال ان لم تعجلوا بتعديل الشروط والا نقضناها بسيوفنا وكان الصدر الاعظم يكره الحرب ميالا الى الترف والراحة فخاف سوء العاقبة وأجابه الى جميع ما طلب فلم يبق للدولة بعد ذلك شئ من الامتيازات والحقوق التى أريقت بسببها الدماء الكثيرة وقاتلت الاشهر والاعوام الطوال . قال بعض الكتاب ومع ان المتاركة بين الدولة وخصومها كانت لاجل أن تتمكن الدولة من لم شعث جنودها لتقوى بهم على قمع الاعداء وايقاف كل عند حده فقد كانت سببا فى ادخال عوائد جديدة على الناس مالت بطباعهم الى السفاهة وما شاكلها من نتائج الطيش فأصبح السواد الاعظم أسيرا للملاهى وعبدا للملاذ ففسدت الآداب وانحلت الرابطة الطبيعية القائمة بين الازواج وزوجاتهم وبالغ الناس فى السرف والترف واندفعوا الى تشييد المبانى الفاخرة والقصور العظيمة وأنشئوا القاعات الفسيحة المزينة بأنواع النقوش والرخام وغرسوا فى أطرافها الازهار وأوقدوا فيها المصابيح وجعلوا ظهور السلاحف منائر لها فكانت تلك السلاحف تتجول فى طرق القاعات والجنائن والانوار تسطع على ظهورها وتنبث مرتبة على أحسن نظام فكانوا لذلك يطلقون عليها اسم جراغان ومعناها الشموع . قال وقد بنى ابراهيم باشا الصدر الاعظم قصرا جميلا بجوار بشكطاش سماه بقصر جراغان فكان يأدب فيه فى كل سنة مأدبة حافلة

للسلطان وأولاده فيأتى اليها للتفرج على تلك السلاحف الحاملة للانوار فكان يقيم على هذه الحال أياما وكان هذا الدور فى دار السلطنة محسوبا من أحسن الادوار صفاء وذوقا الا انه قد أورث الدولة خللا والامور خطلا والناس كسلا وذهب بكثير من حقوقها وامتيازاتها العظمى

وانتبه الصدر الاعظم من رقدة ذلك الترف وسكرة تلك الملاذ فرأى ان دولة فارس قد انحلت أو كادت وان الافغانيين قد تغلبوا عليها واستولوا على أصفهان فخاف شر العاقبة واستعد لارجاع ما كان فى حوزة الدولة العثمانية قديما من البلاد والايالات ودخلت فى يد فارس قبل ان يبتزها غيرها وسير لذلك جيشا عظيما فرافقه النصر وتغلب على عدة إيالات كهمذان وكنجه وروان وشروان وكورجستان وقام كذلك الروس واحتلوا ضاغستان وكافة سواحل بحر الخزر فلم تلبث تلك الايالات تابعة للدولة حتى قام نادرشاه وتولى ملك فارس واستردها جميعها واسترد كذلك ما كان بيد الروس بعد حروب هائلة جدا كادت تخرب بسببها الاناطولى وغيرها وجعل نادرشاه من هذا الحين يشن الغارة على الحدود العثمانية ولاينكف عن السلب واراقة الدماء فكبر أمره على أصحاب الحل والعقد وأنكروا هذه الاحوال على ابراهيم باشا الصدر الاعظم ورموه بالمروق عن جادة العمل وتبعهم العامة فى ذلك فطعنوا فى الصدر وقالوا انه ترك ما كان عليه أسلافه من الاعتناء بتدريب الجند وتنظيم أحوال المقاتلين وانه منغمس فى الملاذ واللعب وقد عوّد السلطان على اللهو والخلاعة وجعل مراتب الدولة ورتبة الوزارة فى أيدى الندامى بعد ان كانت لاتعطى الا لاهل الخبرة والدراية بجميع الامور والمستعدين للقيام بها من المجاهدين وانه ترك لنادرشاه ما كان قد استولى عليه بالحرب والجهاد فلما أنس ابراهيم باشا منهم ذلك أخذ يستعمل الحيلة فضرب السرادقات الهمايونية فى اسكدار لارهاب نادرشاه المذكور وأذاع السفر الى بلاد فارس للانتقام منه ولبث على هذه الحال عدّة أيام فاشمأزت من ذلك النفوس وتكدرت خواطر الناس وظهرت الفتنة فى القسطنطينية وتأججت

نارها وارتفع لهيبا وكان بعض محبى الصدر الاعظم قد حذروه أمر الفتنة فلم يلتفت لقولهم وكذلك تقدم بعضهم الى كتخدا بك وحذره وقال ان الخطب شديد والفتنة قائمة فأنكر عليه ذلك وأنبه . واجتمع جماعة من أركان الدولة وأبلغوا السلطان ما كان عليه الناس من الهياج والفتنة ان طال بقاء الصدر فى منصب الصدارة فلم يلتفت لقولهم نظرا لعلو مكانة الصدر عنده فانكمش أهل النصح ولبثوا ينتظرون مايظهره القضاء وقد اتسع الخرق واشتدت نار الفتنة فرسم الصدر عند ذلك باخراج البيرق الشريف . وهو بيرق صاحب الشريعة المحمدية . ونادى بالاجتماع حوله فلم يلتفت أحد للنداء وطاف العامة يفسدون وينهبون كل ماوصلت اليه أيديهم وكان زعيم هذه الفتنة رجلا اسمه بطرونا[1] خليل .

---

(١) غزت الدولة العثمانية فارس (ايران) فيما بين ١٧٢٣ ـ ١٧٢٥ واجتاحت تفليس وكورى وأريفان وناشيفان وجينس وفتحت كيرمان شاه همدان ومراجا غربى ايران ، ومع نهاية ١٧٢٥ استولى العثمانيون على تبريز ومعظم أذربيجان وأردبيل وهى مزار شيعى شهير ، وفى الهجوم المضاد قاد القائد القاجارى فتح على خان وقبائل افشار القبائل التركمانية ضد العثمانيين ، فاضطر العثمانيون الى التخلى عن كير مانشاه وتبريز وهمدان ولوريستان فى مقابل الاعتراف الفارسى باستمرار الحكم العثمانى لتفليس واريفان وشيرفان ، وقرب تبريز هزمت القوات الفارسية العثمانيين ؛ وبينما كان العثمانيون يعدون جيشا آخر لهم فى اسكدار قامت ثورة فى استانبول بقيادة باترونا خليل Patrona Halil الانكشارى الألبانى الذى كان قد انضم الى القوات الاناضولية خلال الحروب الفارسية ، والذى استغل تسليم الاراضى الى الفرس كمبرر للثورة ، وفى سبتمبر ١٧٣٠ اعلن باترونا خليل ان السلطان العثمانى وحكومته قد انتهكا الشريعة الاسلامية عندما سلما الأراضى السنية للكفار الشيعيين ـ حسب قوله ـ وفى الميدان الواقع فى المنطقة العسكرية فى استانبول (إت ميدانى) حيث معسكرات الإنكشارية طالب المتمردون المدعومين بالعلماء والمدنيين والجنود برأس الصدر الاعظم وخنقه ، لكن الاحداث مع ذلك أثرت فيه بقوة فاعتزل فى الحال ، وقبل نصيحة العلماء الزعماء بأن يتولى السلطنة الأمير الاكبر فى القصر أى ابن السلطان مصطفى الثانى الذى اصبح السلطان محمود الأول فى أول اكتوبر ١٧٣٠ ، ونهب باترونا خليل ورجاله المدينة وحرقوا قصور الاغنياء وقتلوا الكثير من الشعب ، وفى السنة التالية كان باترونا خليل قادراً على حرق وقتل بل وحتى السيطرة على الأمور فى الدولة ، فجمع أموالا من الناس مقابل الحماية التى يسبغها عليهم وعلى بيوتهم ومتاجرهم ، وأحرق ممتلكات من كانوا يقاوموه ، ثم تمكن من وضع بعض رجاله فى مناصب حكومية واستخدمهم لقهر الجميع على السواء ، وفى نهاية نوفمبر عام ١٧٣١ بدأت تنتهى هذه الثورة عندما دعا السلطان باترونا خليل واعوانه الى القصر لمناقشتهم فى ارسال حملة اخرى الى فارس ، وهناك تم قتلهم خنقا وعرفت هذه المذبحة (بقتل الدرب) .

● (مخطوطة الدرة الصانه : تحقيق كريسيلوس وعبد الوهاب بكر (دكتور) : ص٣٢٣)
يلاحظ ان التاريخ ١١٤٣هـ ليس ١٧٧٣م وانما ١٧٣٠م .

فلما كان خامس عشر ربيع الاول من السنة أى سنة ثلاث وأربعين[1] ومائة وألف هجرية سير بطرونا المذكور الى السراى السلطانية جماعة يطلبون قتل الصدر الاعظم والمفتى وقبطان باشا السفن الحربية فامتنع السلطان من اجابة الطلب فشددوا وهددوا وتوعدوا بما لاخير فيه فخاف السلطان شرهم ورسم لهم بقتل الصدر وأمير سفن الحرب ومانع عن المفتى فقتلوهما وألقوا جثتهما فى البحر على مشهد من جميع الناس . ولم تغرب شمس ذلك اليوم حتى عاد أهل الثورة الى الهياج والجلبة والتطواف فى شوارع القسطنطينية وهم ينادون بخلع السلطان وتنزيله عن منصب الخلافة وتولية ابن أخيه السلطان محمود الاول بدله ثم ساروا الى السراى السلطانية وأبلغوه ذلك فأسرع الى إجابتهم وخلع نفسه وبايع ابن أخيه بالملك وذلك فى ليلة التاسع عشر من ربيع الاول سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف هجرية وبقى معزولا الى أن توفى فى أول المحرم افتتاح سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف هجرية فكانت سلطنته زهاء سبع وعشرين سنة .

(١) سنة ثلاث واربعين ومائة والف = ١٧٣٠ وليس ١٧٧٣م كما هو وارد هنا .

# (الفصل السابع عشر)
## (فى سلطنة السلطان محمود[1] خان الاول)

ثم قام بالامر بعد السلطان أحمد ابن أخيه السلطان محمود خان الاول ابن السلطان مصطفى بويع بالملك فى الليلة التى خلع فيها عمه ليلة التاسع عشر من ربيع الاول سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف هجرية أى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وألف ميلادية وقد تولى والامور فى اضطراب والاحوال فى اختلال ولا كلمة فوق كلمة البطرونا خليل فانه منذ خلعه للسلطان أحمد وقتله للصدر الأعظم وأمير سفن[2] حرب الدولة بسط يده على جميع الامور وصار يتصرف فى أعمال الدولة كيف شاء فأكثر من العزل والتولية وسام الناس الخسف ولم يفرق بين الجليل والحقير فأمر ونهى وجار وظلم وكان اذا رأى من طوائف الانكشارية تذمرا بالغ فى التضييق عليهم وشدد وأوقع بكبارهم فيخافون ويخلدون الى السكون صاغرين فلما ضاق بهم الخناق ونفد منهم الصبر اجتمع كبارهم حول السلطان وحببوا اليه قتل البطرونا خليل المذكور وكان السلطان يتمنى حصول ذلك فوافقهم فقاموا وركبوا عليه فقتلوه وتأهبوا لقتال أصحابه ان هم قاموا للاخذ بثاره فلم يقو أصحابه على الخروج وأوقعت بهم طوائف الانكشارية وأعملوا فى كبارهم السيف فعادت الامور الى سابق مجراها من الهدو والسكينة وأمن الناس على أرواحهم وأموالهم وانطلقت كلمة السلطان فتصرف ودانت له الامور فسير الجيوش لقتال ملك فارس واسترجاع ما أخذه من الايالات على أيام عمه السطان أحمد فوقعت بينه وبين العسكر السلطانى عدة حروب كان النصر فيها

---

(١) السلطان محمود الاول : اول ابن للسلطان مصطفى خان الثانى ولد عام ١١٠٨هـ وجلس على العرش عام ١١٤٣ هـ وتوفى عام ١١٦٨هـ .
ويترجمها الى الميلادى محمد فريد فى كتابه تاريخ الدولة العلية ١٧٣٠م ـ ١٧٥٤م وكذلك (فضائل سلاطين بن عثمان ت محسن محمد حسن (دكتور) القاهرة ١٩٩٣ ص١٦٦) وليس كما هو وارد هنا .

(٢) أمير سفن حرب الدولة : القائد البحرى للقوات البحرية .

لعسكر السلطان ثم أقام عثمان باشا الاعرج أحد مقدمى العسكر الموصوفين فى المعامع والحروب سر عسكر[1] لجيوش الشرق فقاتل ملك فارس وظفر به فى صحراء كركوك ومزق شمل عساكره ففر ملك فارس مجروحا ثم عاد فى جيش جرار للقتال ثانية فكانت الحرب بين الفريقين سجالا وطالت أيامها فمات فى خلالها السر عسكر عثمان باشا وأرسلت الدولة الى ملك فارس فى طلب الصلح فأجابها اليه بشرط رد جميع ما أخذته الدولة من مملكته وارجاع حدود الدولتين الى ماهو مذكور فى معاهدة ابراهيم باشا فتم الصلح على هذا الوجه وبطلت الحرب وارتفعت أوزارها .

ورأت النمسا أن الدولة بعد عقدها الصلح مع فارس تفرغت أو كادت ولابد من أن تنو بها الشرور فخافت ولم تمهلها وحشدت فى سنة ثمان وأربعين[2] ومائة وألف جيشا عظيما واتفقت معها أيضا حنة قيصره[3] الروس على هذه الحرب فساقت عسكرها على عسكر الدولة تحت قيادة الجنرال مونيخ فجعل القائد المذكور يذيع الخبر بأنه سيحيى بهذه الغزوة دولة الروم القديمة ويعيد لها مجدها الاول ففرح بذلك الروم واشرأبت نفوسهم الى هذا المأمول وتلقى أهالى البغدان عساكر الروس عند دخولهم الى بلادهم بالفرح والقبول وسهلوا امامهم السبل والعقبات فاشتبك القتال بين الروس والعثمانيين وتمزق جمع العثمانيين وأبلى فيهم الروس بلاء حسنا وأخذوا اقليم البغدان واحتلوا مدينة ياسى عاصمة الاقليم المذكور وانتصرت عساكر النمسا أيضا وأغارت على بلاد البوسنة والصرب والفلاخ فكبر كيد الدولة وكادت تسقط فى يدها . واتفق انه تولى فى هذه

(١) سر عسكر = القائد العام للجنود

(٢) ١١٤٨ هـ = ١٧٣٦م

(٣) حنة قيصرة الروس : هى حنة إيوانوفنا إمبراطورة الروسيا ، وهى بنت ايوان اخى بطرس الاكبر ، ولدت سنة ١٦٩٢ وتوفيت سنة ١٧٤٠م ، تزوجت بدوك كوسلاند وتولت ملك الروسيا سنة ١٧٣٠ عقب موت بطرس الثانى ، واتحدت مع النمسا فى مسألة وراثة بولونيا ونجحت فى انتخاب اوجست الثالث ملكا لها وحاربت الترك من سنة ١٧٣٥ - ١٧٣٩ دون فائدة .

● (محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ـ المرجع السابق ص ٣٢٣) .

الاثناء مسند الصدارة الحاج محمد باشا وهو من نخبة السياسيين المشهورين بالكياسة وحسن التدبير فرأى من تقهقر عساكر الدولة وانتصار الاعداء عليهم ما أدهشه فأسرع فى حشد الجيوش واعداد المعدات وسار لمنع تقدم العساكر الروسية وايقافهم عند حدهم وسير فريقا آخر لقتال عساكر النمسا فظفروا بهم وانتصروا عليهم وانهزموا شر هزيمة وتقهقروا الى ماوراء نهر الدانوب ثم ساق الحاج محمد باشا بعسكره فرافقه النصر وقيض اللّه له الظفر فركنت النمسا عند ذلك إلى طلب[1] الصلح ووافقها أيضا على طلبه حنة قيصرة الروس وخابروا الحاج محمد باشا فى أمره وسعت الرسل بين الفريقين وبعد أخذ ورد تمت شروطه على تنازل النمسا للدولة العثمانية عن مدينة بلغراد وجميع ما أعطى لها من بلاد الصرب والفلاخ بمقتضى المعاهدات السابقة لهذه الحرب وتعهدت كذلك قيصرة الروس بهدم قلاع وحصون مينا أزاق وعدم اعادتها مرة ثانية وبعدم انشاء سفن حربية أو تجارية بالبحر الاسود أو ببحر أزاق وبأن ترد للدولة العثمانية جميع ما أخذته من

(١) قامت الحرب بين العثمانيين وروسيا بسبب بولونيا ، فأعلنت روسيا والنمسا الحرب على بولونيا ثم اعلنت فرنسا الحرب على النمسا دفاعاً عما لبولونيا من الحق فى انتخاب من تريد تدخلا فى شئونها متحالفة فى ذلك مع الدولة العثمانية .

ولما احست النمسا أن فرنسا تسعى من وراء التحالف مع العثمانيين خشيت من حصول هذا الاتفاق الذى يكون نتيجته عدم نجاح مسعاها مع روسيا فى بولونيا أسرعت لإرضاء فرنسا فأبرمت معها معاهدة ويانة عام ١٧٣٥ وأخذت فى التأهب للاشتراك مع روسيا فى محاربة الدولة العثمانية واوعزت الى روسيا للبدء فى القتال وفعلا حدث ذلك الا ان العثمانيين استطاعوا وقف القتال وتقدم الروس الذين كانوا قد احتلوا البغدان ، كما انتصرت جيوش العثمانيين على النمسا التى اغارت على البوسنة والصرب والفلاخ وانسحبت النمسا من ميدان القتال الى ماوراء نهر الدانوب عام ١٧٣٧ بل طلبت النمسا الصلح عن طريق سفير فرنسا ، وتم الصلح بين العثمانيين والنمسا وروسيا فى ١٤جمادى الاخرة سنة ١١٥٢ /١٨ سبتمبر ١٧٣٩ على أن تتنازل النمسا للعثمانيين عن مدينة بلغراد وما اعطى لها من بلاد الصرب والفلاخ بمقتضى معاهدة بساروفتس ، اما روسيا فقد تعهدت قيصرتها حنة بهدم قلاع ميناء آزاق وعدم تجديدها فى المستقبل وبعدم انشاء سفن حربية او تجارية فى البحر الأسود أو ببحر ازاق بل تكون تجارتها على مراكب اجنبية وبأن ترد للدولة كل مافتحته من الأقاليم والبلدان ، وسميت هذه المعاهدة «معاهدة بلجراد» وبذلك انتهت هذه الحرب باسترداد جزء عظيم مما فقدته الدولة من ممالكها بمقتضى معاهدة كارلوفتس

● محمد فريد : المرجع السابق ص ، ص ٣٢١ - ٣٢٣ .

الاقاليم والبلدان قال أحد الكتاب وسميت هذه المعاهدة معاهدة بلغراد ولما تم الصلح على ماذكر بطلت الحرب وسكنت القلاقل أياما كثيرة

وما كانت هذه الحروب المتتابعة والخطوب المتواصلة لتشغل رجال الدولة عن كثرة العزل والتولية فى ولاة مصر فانه لما تولى السلطنة السلطان محمود خان كان الوالى على مصر من قبل السلطان أحمد باكير باشا فجاءه الامر بالعزل وتولاها عبد الله باشا التكفويرلى فدخل القاهرة فى سنة ثلاث وأربعين ومائة[١] وألف هجرية . قال أصحاب التاريخ وكان من أرباب الفضائل وأصحاب المعارف العالية والعلم والشعر وله ديوان شعر جيد على حروف المعجم ومدحه شعراء مصر لفضله وميله الى أهل العلم والادب فقال بعضهم[٢] .

مطلب
عزل أحمد باكير باشا وولاية عبد الله باشا التكفويرلى

ولما جاء مصرا أرخوه . لقد سعدت بعبد الله مصر

١٣٤ ٥٣٤ ٧٨ ٦٦ ٣٣٠

سنه ١١٤٣

يظهر أن المؤرخ احتسب الف الله المثبتة لفظاً بواحد ليكون تاريخ حضوره مصر سنة ١١٤٣ كالحقيقة أ . هـ مؤلف .

وكان خيرا صالحا منقادا للشريعة أبطل المنكرات وحانات الخمارين ومواقف المومسات والبوظ من بولاق وباب اللوق وطولون ومصر القديمة وجعل للوالى والمقدمين عوضا عما كان مرتبا لهم على تلك المحال فى كل شهر كيسا من كشوفيات الباشوات وكتب بذلك حجة شرعية ولعن فيها من تسبب فى اعادة تلك المحال ولم يحدث فى أيامه شئ يذكر اذ كانت قصيرة جدا حيث عزل فى أواخر سنة أربع وأربعين ومائة[٣] وألف هجرية .

مطلب
عزل عبد الله باشا وولاية محمد باشا السلحدار

(١ ، ٢) واضح هنا أن المؤلف ينقل بالنص مما وصل يده من المصادر حتى هذه الزايرجات (توفيق الارقام على الحروف) وهى كانت عادة منتشرة فى تلك الأوقات بحثا للتفاؤل خصوصا فى اوقات الضيق ويشير هنا الى المجتمع السرى فى القاهرة من المنكرات وحانات الخمور ومواقف المومسات . . الخ وكيف كانت الشرطة تتقاضى مرتبات منهم لقاء تركهم فى غيهم يعمهون ، ١١٤٣هـ = ١٧٣٠م .

(٣) ١١٤٤ هـ = ١٧٣١م .

مطلب
عزل محمد باشا السلحدار وولاية عثمان باشا الحلبى

وتولى بعده محمد باشا السلحدار والى البصرة فدخل القاهرة فى أوائل سنة خمس[1] وأربعين ولبث يتصرف الى سنة ست وأربعين ولم يعمل فى أيامه عملا يذكر وجاء الخبر بعزله وتولية عثمان باشا الحلبى فحضر الى مصر عن طريق العريش ونزل بالعادلية ولاقته أرباب العكاكيز وأصحاب الوظائف فصعد الى قلعة الجبل فى موكب حافل ونزل منها محمد باشا المعزول وسافر الى الديار الرومية فأخذ عثمان باشا يتصرف وجاءه فرمان السلطان باحصاء اليهود والنصارى وجمع ماعليهم من الجزية فى كل بلد العال أربعمائة نصف وعشرون نصفا والوسط مائتان وسبعون والدون مائة نصف فاهتم عثمان باشا بالامر وقيد بذلك عمالا فطافوا البلاد كافة وأحصوا أهلها وفعلوا من الجور والعسف بأهل البلاد مالا يكيف فضج الناس وشكوا فلم يلتفت اليهم وظل الحال على ذلك حتى دخل شهر رمضان واشتغلوا بظهور رجل تكرورى[2] بالجامع الازهر يدعى النبوة وقد ذاع خبره وكادت تعم شهرته فأحضروه بين يدى الشيخ أحمد العماوى فسأله عن حاله فأخبره انه كان فى شربين[3] فنزل عليه جبريل وعرج به الى السماء ليلة سابع عشرى رجب فصلى بالملائكة ركعتين وأذن له جبريل فلما فرغ من الصلاة أعطاه ورقة وقال له أنت نبى مرسل فانزل وبلغ الرسالة وأظهر المعجزات فلما سمع الشيخ كلامه قال له أنت مجنون فقال لست بمجنون وانما أنا نبى مرسل فأمر به فضربوه وأخرجوه من الجامع فجعل يطوف الازقة والحارات ويكثر من

---

(١) ورد فى اوضح الاشارات والدرة المصانة تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ص ١٩٩ وتحقيق د . عبدالوهاب بكر ص٢٩٣ انه تولى مابين عامى ١١٤٤ - ١١٤٦هـ/١٧٣١م-١٧٣٣م .

(٢) التكرور شعب من الزنوج يسكن معظم وهاد فوته السنغالية ، وتعيش شعبة منهم فيما بين نهر النيجر وبحيرة تشاد بغرب افريقيا ، ولاسيما فى سكوتو ، ومن المحتمل أن يكون اسم تكرور هو الاسم الذى كانت تعرف به يوما ما مدينة بالقرب من نهر السنغال ، والمملكة التى كانت عاصمتها هذه المدينة وموضعها الآن مدينة فوته السنغالية ثم أطلق هذا الاسم على شعب هذه المملكة ، وجرى العرب على إطلاق اسم تكرور على جميع بلاد السودان التى دخلها الاسلام ، وهى من المحيط الأطلسى إلى وادى النيل ، وأصبحت كلمة تكرورى مرادفة لكلمة سودانى

● محمد بن عمر التونسى : تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، القاهرة ١٩٦٥ ص١٣٥عن دائرة المعارف الاسلامية .

(٣) شربين : بلدة قديمة وهى قاعدة مركز شربين محافظة الغربية الان

● محمد رمزى : المرجع السابق ق٢ جـ ٢ ص٧٨ .

الجلبة والصياح فسمع عثمان كتخدا بخبره فأحضره وسأله فقال مثل ماقاله للشيخ فبعث به الى دار المجانين فاجتمع الناس وكثرت حوله العامة رجالا ونساء وكادوا يصدقونه ويدفعون عنه الايذاء فخاف الوالى شر العاقبة وأمر فأخفوه عن أعين الناس لتسكن الفتنة ثم طلبه الباشا وأمر بحبسه فحبسوه ومنعوا من دخول أحد اليه أياما . فلما كان النصف من رمضان اجتمع العلماء وأحضروه بين أيديهم فسألوه فلم يتحول عن كلامه فعالجوه فشدّد فأمروه بالتوبة فامتنع وصمم على ماهو عليه فأمر الباشا بقتله فقتلوه فى حوش الديوان وهو يقول . فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل . ثم أنزلوه والقوه بالرميلة ثلاثة أيام فكاد الناس يفتتنون ولم تهدأ الخواطر حتى شاع بين الناس بالقاهرة ومصر القديمة أن القيامة قائمة يوم الجمعة سادس عشرى ذى الحجة من السنة أى سنة سبع وأربعين وفشا هذا الكلام فى الناس قاطبة حتى فى القرى والارياف وودع الناس بعضهم بعضا وهم بين راغب فى التوبة وداع بطلب المغفرة وباك على مافات من أيامه ومنهم من كان يقول لرفيقه بقى من عمرنا يومان فقد كانت هذه الاشاعة فى يوم الاربعاء رابع عشرى الحجة . وانتشر أهل الخلاعة فى الجنائن والمنتزهات ليودعوا الدنيا كما كان يقول بعضهم لبعض وخرج أهل الجيزة نساء ورجالا وصاروا يغتسلون فى النيل ومن الناس من علاه الحزن والوهم واعتقدوا صحة الاشاعة ووقع صدقها فى نفوسهم موقعا عظيما وكثر فيهم الهرج واشتد بهم الخوف فتعطلت الاعمال وكادت تقفل الاسواق ومازالوا على هذا الحال الى يوم الجمعة فلم يقع شئ مما كانوا يتوقعون ومضى يوم الجمعة وأصبح يوم السبت فلم يقع كذلك شئ . قال صاحب عجائب[1]الآثار فانتقلوا يقولون فلان العالم قال ان سيدى أحمد البدوى والدسوقى والشافعى تشفعوا فى ذلك وقبل اللّه شفاعتهم فيقول الآخر اللهم نفعنا بهم فاننا يأخى لم من نشبع من الدنيا وشارعون فى عمل خط ونحو ذلك من الهذْيانات أ هـ .

---

(١) صاحب عجائب الاثار : عبد الرحمن الجبرتى جـ ٣ ص١١٢ .

مطلب
عزل عثمان باشا
وولاية باكير باشا

وأقام عثمان باشا يتصرف فى الولاية الى سنة ثمان وأربعين[١] ومائة وألف هجرية ثم عزل وتولى بعده باكير باشا وهى ولايته الثانية كانت مدة تصرف عثمان باشا سنة وخمسة أشهر وحضر باكير باشا من جدة الى السويس اذ كان واليا بجدة بعد عزله من ولايته الاولى عى مصر وكان دخوله القاهرة فى يوم السبت رابع عشرى شوّال سنة سبع وأربعين ومائة وألف وصعد الى القلعة فى موكب حافل للغاية وخلفه من الحشم والاتباع زهاء الثلاثين على ظهور الخيل الملبسة بالزروخ[٢] المذهبة وله من الاولاد خمسة ذكور ركبوا أيضا امامه فلما مر من وسط المدينة صاح الناس فى وجهه وعلا صراخ العامة من ثقل المغارم والكلف وفساد العملة فلم يلتفت لصراخهم وسار حتى صعد القلعة ولم يلبث حتى جعل يدس الدسائس بين الأمراء وصار يعمل على فساد أمورهم وتفريق كلمتهم ومازال حتى كاد يتم له ما أراد ولكن ظهر فى غضون ذلك الطاعون وفشا فى المدينة وانتشر فى البلاد قاطبة وفتك بالناس فتكا ذريعا لم يسبق له مثال فسماه العامة طاعون كووسموه أيضا الفصل العائق يأخذ على الرائق ومات به خلق كثير للغاية وكان فعله كثيرا فى الاعيان فكانت الناس تدفن فى ضوء المشاعل حتى كاد لايوجد من يدفن الموتى التى كانت تقع فى الشوارع والحارات واشتد شدة بالغة جداً وطالت أيامه . وبينما الناس على هذا الحال من الشدة وهم يضجون ويعجون الى اللّه من كثرة الموات اذ اضطرمت نار الفتنة بين الامراء وعلا لهيبها واشتد سعيرها . وتحرير الخبر . ان كاشفا اسمه صالح زوج ابنة ايواظ بك كان ملتجئا الى عثمان بك ذى الفقار وكان صالح هذا من القاسمية فحرضته زوجته على طلب امارة القاسمية فطلب من عثمان بك أن

---

(١) ١١٤٨ هـ = ١٧٣٥ / ١٧٣٦
وإن كانت فى الدرة المصانة تحقيق كريسيليوس ود . بكر ١١٤٧ - ١١٤٩هـ ص٢٩٧
(٢) الزروخ المذهبة = السروج المذهبة وتنصرف ايضا الى الدروع المذهبة التى يلبسها الفرسان .
● (ذكر ماوقع بين عسكر المحروسة ت د . عبد القادر طليمات ، مرجع سابق ص٣٧٢

يساعده على ذلك فوعده وخاطب محمد بك قيطاس المعروف بقطامش وهو اذ ذاك كبير القوم فى ذلك فلم يجبه خوفا من أن يعود القاسمية الى مظهرهم القديم فيظفروا بالفقارية ويستأصلوا شأفتهم بعد الذى وقع بين الفريقين فبعث عثمان بك بصالح المذكور الى البحيرة كاشفا نائبا عنه حيث كانت له فلما كملت السنة رجع الى القاهرة وتحركت همته الى طلب الامارة وألحت عليه زوجته فى ذلك فعاود عثمان بك فى الخطاب وهو يتكلم مع محمد بك فصمم محمد بك على الامتناع ووافقه على ذلك على بك تابعه وآخر اسمه خليل أفندى فذهب صالح المذكور الى عثمان كتخدا القزدغلى وشكا اليه حاله ومايلاقيه من قيطاس ثم بكى واستمال عثمان كتخدا المذكور تابعه وخليل أفندى على أن يكونوا معه على قيطاس فقام القزدغلى من ساعته واجتمع برضوان بك أمير الحاج سابقا وسليمان بك الفراش وتكلم معهما فى أمر قتل المذكورين فوافقاه على أن يكون قتلهم فى بيت محمد بك الدفتردار على علم من باكير باشا الوالى وأخبروا محمد بك بذلك فرضى وكتب يطلب اجتماع الامراء كافة فى بيت الدفتردار للمداولة فى أمور الخزينة فركبوا جميعا الى بيت قيطاس بعد العصر ومن هناك توجهوا معه الى بيت الدفتردار فلما تكاملوا ولم يبق منهم أحدا أمر محمد بك قيطاس بتحرير عريضة وأملى الكاتب بصورة ما يكتب فخرج الكاتب وكان قد دخل الغروب فأراد القوم الانصراف فوقف الدفتردار وقال مهلا هاتوا لنا شربات وكان هذا القول هو الاشارة مع صالح المذكور وعثمان كاشف وآخر من مماليك سليمان بك ففتحوا باب خزانة كانت بالمكان الجالسين فيه فخرج منها جماعة على رؤسهم طرابيش وبأيديهم الاسلحة فوقف عند ذلك محمد بك قيطاس على أقدامه مذعورا فأطلق عليه أحدهم طبنجة فى صدره ووقع الضرب وهاج من كان فى المكان وامتلأ المكان بدخان البارود وظلام الليل فلم يعلم القاتل من المقتول وألقى على الترجمان

بنفسه من شباك مطل على الجنينة وأصاب عثمان بك ذا الفقار ضربه سيف قطعت شاشه[1] وقاووقه فأخذ بيده صالح صاحب هذه الفتنة وأنزله فنجا بنفسه وركب حصان أحد الطوائف وخرج من باب البركة[2] وأصيب مستحفظان البرلى بجراح عظيمة فحملوه الى بيته ثم أوقدوا الشموع ونظروا الى الاموات واذا هم محمد بك قيطاس وعلى بك تابعه وصالح بك وعثمان بك كتخدا القازدغلى وأحمد كتخدا الخربطلى ويوسف كتخدا البركاوى وخليل أفندى وأغات الجملية وعلى صالح جربجى والاسباهى فكانت عدتهم عشرة غير مستحفظان البرلى الذى مات بجراحه بعد ثلاثة أيام فعروا المقتولين من ثيابهم واحتزوا رؤسهم وأتوا بهم الى جامع السلطان حسن فوجدوه مغلقا فأحرقوا الباب الذى جهة سوق السلاح ووضعوا الرؤس العشرة على الدرج ووضعوا عند كل رأس شيأ[3] من التبن ولما شاع الخبر بما جرى سار صالح كاشف رأس هذه الفتنة الى باكير باشا ليلا من باب الميدان وأعلمه بما جرى فخلع عليه رتبة الامارة فطلب منه مالا يفرقه على العسكر المجتمعين اليه فوعده بأن يرسل اليه ماطلب فنزل صالح الى جامع السلطان حسن فوجد محمد كتخدا الداودية وأتباعه وجماعة آخرين فلبث معهم ينتظر المال وصعد عمر چلبى ابن على بك قيطاس بطائفة من قومه الى باكير باشا يطلب بثأر أبيه وكان وصوله بعد نزول صالح كاشف فخلع عليه الباشا امارة أبيه قيطاس ورسم له بقتال قاتلى أبيه ومن معهم وكان يود لوانهم يقطعون بعضهم بعضا فنزل ابن قيطاس وأصحابه وامامهم بيرق من المحجر خلف جامع المحمودية وبيت الحصرى وزاوية الرفاعى وعملوا متاريس على باب الدرب قبالة باب جامع السلطان حسن وجعلوا يطلقون بنادقهم تباعا

---

(١) الشاش والقاووق = تكتب فى التركية قاوق وقاغوق وقاووق ومعناها اجوف ، وهى القلنسوة العالية يلف حولها شاش وكانت تستعمل غطاء للرأس قبل الطربوش .
● (أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ص١٦٣)

(٢) باب البركة : احد ابواب القلعة .

(٣) شيئاً .

على كل من يمر بهم من الخصوم وعلى من هم بجامع السلطان حسن وكذلك من باب العزب وبيت الاغا . اما صالح كاشف رأس هذه الفتنة فانه لبث ينتظر حصول المال للنفقة على الجند فلم يرسل له الباشا شيأ فخاف وخشى العاقبة ونزل الى خان الخليلى ومعه رضوان بك وعثمان كاشف ومملوك من مماليك سليمان بك واختفوا وظل ابن قيطاس وأصحابه يوالون الرمى على الجامع حتى انقطعت أصوات بنادق من كانوا به فاقتحم هو وأصحابه باب الجامع فلم يجدوا به أحدا فرجعوا وباتوا ليلتهم خلف المتاريس فلما أصبحوا ذهبوا الى بيت الدفتردار ونهبوه ونهبوا بيت رضوان بك ودخلوا على سليمان بك فقتلوه واحتزوا رأسه ونهبوا مافى بيته فلما رأى كبار الوجاقات ما بلغت اليه هذه الفتنة وانها انما هى بايعاز من باكير باشا قاموا على قدم رجل واحد وأحاطوا بالقلعة وأنزلوا باكير باشا ذليلا مقهورا وسجنوه وكتبوا الى دار السلطنة بما وقع وطلبوا ارسال وال آخر فأرسل السلطان الامير مصطفى باشا أمير اخور لضبط أموال من قتلوا فى هذه الفتنة فلبث شهرين ثم ورد الامر بولايته فتولاها فكانت مدة تصرف باكير باشا سنة وبضعة أشهر .

مطلب
عزل باكير باشا وولاية مصطفى باشا أمير أخور

وجعل مصطفى باشا المذكور يتصرف الى سنة اثنتين وخمسين[1] ومائة وألف هجرية ثم عزل ولم يقع فى أيامه شئ يذكر وتولاها سليمان باشا الشامى المعروف بابن العظم فلما استقر به المنصب عمد الى ايقاد نار الفتنة ثانية بين أمراء الوقت وجعل يدبر لذلك فاستمال اليه عمر بك ابن عل بك قطامش واختصه لنفسه ثم كاشفه بما فى ضميره واتفق معه على قتل عثمان بك ذى الفقار وابراهيم بك قطامش وعبد الله كتخدا القزدغلى وعلى كتخدا الجلفى وهم اذ ذاك أصحاب الرئاسة ووعده امارة مصر والحاج[2] أن هو أنفذ ذلك فجمع عمر

مطلب
عزل مصطفى باشا وولاية سليمان باشا

(١) ورد فى الدرة المصانة ت كريسيليوس ود . بكر ص٣٠٦ أن مصطفى باشا تولى من ١١٥٠هـ - ١١٥١هـ/ ١٧٣٧ - ١٧٣٨م وليس الى سنه ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م كما هو وارد هنا كما انه تلاه على الترتيب : سليمان باشا بن العظم من ١٧٣٩ - ١٧٤٠ ، ثم على باشا بن الحكيم ١٧٤٠ - ١٧٤١م ثم يحيى باشا ١٧٤١ - ١٧٤٣ وأحمد اليدكجى ١٧٤٤ - ١٧٤٦ وأخيرا راغب محمد باشا ١٧٤٦ - ١٧٤٨م .

(٢) يقصد امارة الحج ، انفذ ذلك = نفذ ذلك

بك أربعة من اخصائه وأطلعهم على ماوقع الاتفاق عليه مع الباشا فتعهد كل واحد بقتل واحد منهم فكان أول من قتل منهم على كتخدا قتله رجل اسمه لاظ ابراهيم عند بيت اتبرى وهو صاعد الى الديوان وشاع خبر قتله ففرح الباشا بذلك ظنا منه أن قد قضى الامر فهم بضبط باب العزب وسير لذلك مائتى جندى فمنعهم جند الباب من العبور وطلب متولى الباب اثنين من كبارهم يسألهما عن مرادهم فقالا اننا أتينا لتشفع لنا عند الباشا فانه لم يعطنا علائفنا فأرسل معهم من يشفع لهم فلم يفلحوا فى هذه المرة ثم انكشف أمر الباشا وانفضح سره فقام حسين بك الخشاب وصعد الى باب العزب ومازال بمتوليه حتى أنزله وتولى هو أشغال الباب وجمع اليه جميع أصحابه بالمكان الذى كان فيه الباشا وأرسلوا يقولون له انزل الى قصر يوسف بك فركب من ساعته وأراد العبور من باب الانكشارية فوجهت أصحاب الباب أفواه البنادق نحوه فعاد ودخل قصر يوسف بك ثم نزل بعد أيام الى بيت البيرقدار(١) ومازال به حتى سافر الى الديار الرومية فكانت مدة تصرفه الى شهر جمادى الاولى سنة ثلاث وخمسين(٢) وماثة وألف هجرية وكانت أيامه كلها قلاقل واضطرابات . وتولى بعده الوزير على باشا حليم اوغلى وهى الولاية الاولى على مصر فدخل القاهرة فى جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وأقام الى عاشر جمادى الأولى سنة أربع وخمسين فكانت أيامه كلها هدوء واطمئنانا والفتن فيها راقدة ثم جاء الامر بخلعه فنزل من قلعة الجبل وأقام فى بيت القازدغلى ولبث ينتظر الوالى الجديد . فجاء الى القاهرة يحيى باشا وصعد الى قلعة الجبل فى الموكب المعتاد وصعد اليه على باشا المخلوع فلاقاه وأكرمه ثم نزل هو كذلك فسلم عليه وسرحه فسافر إلى الديار الرومية وأخذ يحيى باشا يتصرف فى الامور الى أن جاءه الامر بالعزل

مطلب
عزل سليمان باشا
وولاية على باشا
حليم أوغلى

مطلب
عزل على باشا
وولاية يحيى باشا

---

(١) بيت البيرقدار : البيرق كلمة تركية تعنى العلم ودار بمعنى صاحب فيكون ماسك العلم وكان لكل بلوك من الاوجاقات بيرقها الخاص بها ، وكذلك كان للحكام والسلاطين حاملو اعلامهم .
● أحمد سعيد سليمان : المرجع السابق ص٤٨ .
(٢) ١١٥٣هـ = ١٧٤١م .

مطلب
عزل يحيى باشا
وولاية محمد باشا
اليدكشى

مستهل رجب سنة ست وخمسين ولم يقع فى أيامه شئ يذكر . وتولى بعده محمد باشا اليد كشى[1] فلما استقرت به الولاية لم يأت عملا ماسوى النهى عن تعاطى الدخان فى الشوارع والدكاكين والجلوس على أبواب البيوت وشدد فى ذلك جدًا فكان يطوف الاغا والوالى وهما فى التبديل كل يوم ثلاث مرات وشدّدا فى الانكار والنكال بمن يفعل ذلك وكان الوالى اذا رأى فى يد أحد أنبوبة الدخان عاقبه وربما أطعمه حجر الانبوبة الذى يوضع فيه الدخان بالنار وكذلك كان يفعل الأغا ولم يات من أعماله شيأ غير ماذكر حتى جاءه الأمر بالعزل سنة ثمان وخمسين فكانت مدّة تصرفه نحو سنتين ففرح الناس بخلعه فرحا لايوصف . وتولى بعده محمد راغب باشا وحضر الى الاسكندرية فذهب

مطلب
عزل محمد باشا
اليدكشى وولاية
محمد راغب باشا

لملاقاته أصحاب العكاكيز وأرباب الرتب العالية فلما استقرت به الولاية أخذ يدبر الحيلة لقتل من بقى من الامراء أصحاب الوقت واستمال اليه حسين بك الخشاب واستخلصه ثم كاشفه بما فى نفسه ثم اقسما الايمان على أن لايخونا بعضهما وأعلمه أن السلطان محمود انما يريد قطع دابر بيت القطامشة والدمايطة وهم أصحاب الكلمة يومئذ فأجابه الى مرغوبه وهون عليه الامر وأخذ من يومه يدبر الحيلة ويتبين أنفع الوسائل وأحسن الطرق حتى اجتمع بمن يعتمد عليه من أصحابه وأخبرهم بما علمه من الباشا فأتفقوا على قتل كبارهم بالديوان عند صعودهم اليه وتحالفوا على ذلك وأغلظوا فى الايمان . فلما كان يوم الديوان أخذ الامراء فى الحضور جماعة بعد جماعة وحضر بينهم خليل بك وعلى بك الدمياطى ومحمد بك وجلسوا فى أماكنهم فبرز شخص اسمه عثمان أغا اغات المتفرقة وجلس بجانب خليل بك وقال له لماذا لم تدخل على الباشا وقد مضى عليك أيام ولم تفعل ذلك فقال خليل بك دعنا فانا لسنا ممن يهتم بأمره وقد تركناه لك فأظهر عند ذلك عثمان أغا المذكور الغيظ وصاح فى وجه

(١) ورد فى كتاب الدرة المصانة تحقيق د . عبد الوهاب بكر أن اسمه احمد افندى باشا اليدكچى وتولى من ١١٥٧هـ ـ ١١٥٩ هـ / ١٧٤٤ ـ ١٧٤٦ ، ص٣٤٠ .

خليل بك وكأنك تهزأ بى وجرد خنجره فى الحال وطعن خليل بك فسقط ميتا لاحراك به وكان بقية المتؤامرين[1] مختفين فلما سمعوا الصياح خرجوا جميعا والسيوف بأيديهم مسلولة فضربوا عمر بك بلاط واحتزوا رأسه ورأس خليل بك فهرب من كان بالمجلس ودخلوا بالرأسين على الباشا وهرب على بك الدمياطى ومحمد بك ونزلا الى نوبة[2] الجاويشية واختفيا فيها فأرسل الباشا يطلبهما وقال ان السلطان رسم بذلك فأتوا بهما اليه فأمر بهما فقطعت أعناقهما أيضاوعم خبر ماجرى الآفاق فخاف من بقى من الامراء وتجرد ابراهيم بك وعمر بك وسليمان بك الالفى للمقاومة فرسم الباشا بقتالهم وأمر العسكر بالتأهب لذلك فاجتمعوا وأخذوا مالزمهم من آلات الحرب والمدافع والمكاحل وساروا إلى القاهرة ونصبوا بعض مدافعهم على قنطرة سنقر وكان بها بعض أولئك المشاغبين فلم يقووا على القتال مع العسكر وتفرقوا إلى الاقاليم القبلية فدخلت العساكر بيت ابراهيم بك ونهبوه وكذلك نهبوا بيت خليل بك وذهبوا الى بيت على بك فوجدوا فيه صنجقا قد احتله وامتلكه بما فيه فلم يتعرضوا له وكذلك لم يتعرضوا ليوسف بك ناظر الجامع الازهر بسوء .

ولم تكد تجف دماء الذين قتلوا بالديوان حتى طلب الباشا من حسين بك الخشاب أن يعمل على قتل ابراهيم چاويش القازدغلى ورضوان كتخدا الجلفى وأطمعه فى ولاية الامر والانفراد بالكلمة فتعهد له بذلك وقام لساعته يدبر أمره مع أصحابه الذين عليهم معتمده فاتضح أمره وانكف سره وعلم ابراهيم چاويش ورضوان كتخدا بالمكيدة فقاما وقامت معهما الجند والعسكر وامتلأ باب الانكشارية وباب العزب بطوائف الجند واجتمع أمراء العسكر كافة بسبيل المؤمن والاسباهية بالرميلة وأرسلوا يطلبون من الباشا مرسوما بالركوب على بيت حسين بك الخشاب وقتله فلم يرض وامتنع فبعثوا له طائفة من كبار العسكر يطلبون ذلك فان أبى أنزلوه من القلعة فامتنع فأنزلوه هو وجميع عياله وأتباعه من

(١) المتؤامرين صحتها المتآمرين .
(٢) قيادة .

قراميدان الى أن صار بالرميلة فاراد أن ينزل على شيخون إلى بيت حسين بك الخشاب واذا بالعزب المرابطين فى جامع السلطان حسن أطلقوا عليه البنادق لرده فقتل أحد أتباعه فنزل على بيت آق بردى الى بيت ذى عرجان تجاه المظفر فارسلوا اليه ابراهيم بك بلفية صحبة كتخدا الجاويشية فلم يريا من أن يوليه النيابة وعاد ابراهيم بك الى بيته فأخذوا منه مرسوما بجر المدافع الى ناحية الصليبة وسار أمراء الجند يتقدّمهم عمر بك أمير الحاج وآخرون أمثاله واحتاطوا ببيت حسين بك الخشاب وبيت محمد بك أباظة من الجهات الاربع فحاربهم من داخل البيت من الصباح الى الظهر وكان فى أثناء المناوشة يخرج أمتعته وأمواله وأثقاله وهم لايشعرون فلما لم يبق فى البيت شئ خرج بمن معه من أصحابه وأتباعه إلى ناحية زين العابدين وسار إلى الاقليم القبلى وكذلك هرب عمر بك ابن على بك فى طائفة من أصحابه الى أرض الحجاز ودخل العسكر بيت حسين بك الخشاب بعد انقطاع أصوات البنادق والمدافع فلم يجدوا فيه شيأ [1] وكان ذلك فى أواخر سنة وستين [2] ومائة وألف فعاد كل الى مقره وسكنت الفتنة قليلا وجعل ابراهيم بك بلفيه بتصرف ومحمد راغب باشا محجور عليه الى أن سافر الى الديار الرومية فكانت مدّة ولايته سنتين ونصفا وجاء الخبر بولاية الوزير أحمد باشا المشهور بكور وزير ووصل الى الاسكندرية فنزل اليه الملاقون [3] وأرباب العكاكيز وأصحاب الخدم فدخل القاهرة وصعد الى

مطلب ولاية أحمد باشا كور وزير

---

(١) شيأ صحتها شيئاً .

(٢) ١١٦١هـ = ١٧٤٨م .

(٣) الملاقون = وفد الاستقبال وكان وفد الاستقبال يتكون من اذكى البكوات ، فبعد أن يقدموا للباشا الجديد فى الاسكندرية فروض الطاعة والولاء والهدايا المناسبة ، يستطلعون نواياه واسراره من اقواله واقوال حاشيته ، ويتعرفون على الأمور التى جاء بها من الاستانة ، فاذا كان لايوافق أهواءهم ارسلوا الى شيخ البلد بالقاهرة فيعقد الديوان ويبلغ الباشا رفضهم له ، ويرسل بذلك الى الباب العالى خشية وقوع فتنة فى البلاد فيرسل اليه الباب العالى ليستدعيه ، اما اذا كان العكس فإنهم يدعونه الى القاهرة فى سفينة فخمة مزينة بالاعلام تنزل الى (الحلى) ببولاق حيث يستقبله شيخ البلد وعيون القوم ويسلمه أغا الانكشارية مفاتيح القلعة للإقامة فيها .

● الرافعى : تاريخ الحركة القومية جـ ١ ط١٩٥٥ ص٢٨ .

قلعة الجبل فى الموكب المعتاد فى غرة المحرم افتتاح سنة اثنتين وستين[1] ومائة وألف وعمل الديوان وخلع الخلع على الامراء والاعيان والمشايخ ولكنه لم يتمكن من التصرف اذ كان مغلوبا على أمره والكلمة يومئذ لابراهيم بك جاويش ورضوان كتخدا وهما صاحبا العقد والحل فأقام فى المنصب الى عاشر شوّال سنة ثلاث وستين ومائة وألف وجاء الخبر بعزله وولاية عبد اللّه باشا فكانت مدّة تصرفه سنة وعشرة أشهر وكان عالما مدققاً فاضلا كريما محبا للعلم والعلماء مقربا اليهم وكانت أيامه هادئة مطمئنة لم يقع فيها شئ من الحوادث والفتن . قال بعض الكتاب وكان مولعا بالرياضيات وعمل عدّة منحرفات على الواح كبيرة من الرخام صناعة وحفرا وعمل له تاريخا منظوما نقشه عليها وهو

مطلب
عزل أحمد باشا
وولاية عبد الله
باشا

مزولة متقنة * نظيرها لايوجد

راسمها حاسبها * هذا الوزير الامجد

تاريخها أتقنها * وزير مصر أحمد

ــــ ــــ ــــ

٥٣ ٣٣٠ ٢٢٣ ٥٥٧

سنة ١١٦٣

ونصب من هذه المنحرفات واحدة بالجامع الازهر فى ركن الصحن على يسار الداخل بالركن فوق رواق معمر وهى لفضل دائر العصر وأخرى بسطح جامع الامام الشافعى وفيها خيط مساترة وفضل دائر وقسى عصر وفضل دائر الغروب وأخرى بمشهد السادات الوفائية وهى بشاخص للظهر والعصر اهـ .

(١) ١١٦٢هـ = ١٧٤٩م .

مطلب
عزل عبد الله باشا وولاية محمد أمين باشا

وحضر الشريف عبد الله الى الاسكندرية ونزل أحمد باشا من قلعة الجبل الى بيت البيرقدار وسافر الملاقون الى عبد الله باشا فدخل القاهرة فى رمضان سنة أربع[١] وستين فأقام الى سنة ست وستين . ثم عزل عنها ولم يقع فى أيامه شئ من الحوادث والفتن وولى حلب فنزل الى القصر بقبة العزب وهاداه الامراء وسار الى حلب فتولى بعده محمد أمين باشا فكانت ولايته سنة وبضعة أشهر لاشئ فيها من الحوادث أوالأحن[٢] ودخل محمد باشا المذكور القاهرة وصعد الى قلعة الجبل وهو مريض فلبث شهرين على فراش الاوجاع ومات فى خامس شهر شوال سنة[٣]ست وستين ومائة وألف ودفن بجوار قبة الامام الشافعى فبقيت مصر بلا وال سنة وخمسة أشهر والكلمة يومئذ لابراهيم بك ورضوان بك . وفى خلال هذه الحوادث حضر الى القاهرة من دار السلطنة بطرك الروم ومعه مرسوم سلطانى بمنع نصارى الشوام من الدخول الى كنائس الفرنجة[٤] فاذا دخلها أحدهم عوقبوا جميعا بدفع غرامة قدرها ألف كيس لخزينة السلطنة ومع ذلك لم تنكف[٥] الشوام عن الدخول الى كنائس الفرنجة فانكشف الغطاء وبرح الخفاء عن أنها حيلة من بنات أفكار ابراهيم بك لحصوله على المال من قسيسى الفرنجة .واتفق عقب هذا الحادث بقليل أن قصد القبط بمصر الحج الى بيت المقدس وكان عظيمهم يومئذ المعلم نيروز[٦] كاتب رضوان كتخدا فكلم الشيخ عبد الله الشبراوى فى ذلك وقدم له هدية سنية وألف دينار فكتب له فتوى وجوابا يتضمن أن أهل الذمة لايمنعون من القيام بشعائرهم الدينية وزياراتهم

(١) رمضان ١١٦٤هـ = يوليو ١٧٥١م بينما فى الدرة المصانة ١١٦٤هـ ـ ١١٦٥هـ / ١٧٥٠م ـ ١٧٥١م ص ٣٥٧ .
(٢) الإحن = المحن
(٣) ١١٦٦هـ = ١٧٥٣م .
(٤) كنائس الفرنجة = المقصود بها المذهب الكاثوليكى المخالف لمذهب الشرق .
(٥) تنكف = تتوقف .
(٦) رواها الجبرتى فى الجزء١ ص٣١٨ ، ٣١٩ وهنا يظهر ان زوار بيت المقدس من المسيحيين الاقباط كان عليهم الحصول على فتوى خاصة بالزيارة قبل سفرهم من شيخ الاسلام الذى كان هنا الشيخ الشبراوى .

فشرعوا فى قضاء أشغالهم ثم خرجوا فى هيئة وأحمال ومواهى وتختروانات فيها النساء والاولاد ونصبوا خيامهم عند قبة العزب وأحضروا العربان ليسيروا فى خفارتهم وشاع أمر خروجهم بعد أيام فاستعظم المسلمون ذلك وأنكروه واتفق ذهاب الشيخ عبد الله الشبرواى الى حيث الشيخ البكرى لزيارة أخى البكرى حيث كان مريضا فلما استقر به المكان قال له البكرى متهكما ماهذا الحال ياشيخ الاسلام كيف ترضى وتفتى النصارى وتأذن لهم بهذه الفعال هل كان ذلك لانهم أرشوك وهادوك فقال ان ذلك لم يكن قال بل أرشوك بالف دينار وهدية وعلى ذلك تصير لهم سنة ويخرجون فى العام القابل بأزيد من هذا ويصنعون لهم محملا ويقال حج النصارى وحج المسلمين وتصير سنة عليك وزرها الى يوم القيامة قال صاحب عجائب الآثار فقام الشيخ الشبراوى وخرج من عند البكرى وهو مغتاظ وأذن للعامة فى الخروج عليهم ونهب مامعهم وخرج عليهم كذلك طائفة من مجاورى الازهر فاجتمعوا عليهم ورجموهم وضربوهم بالعصى والمساوق ونهبوا مامعهم ونهبوا أيضا الكنيسة القريبة من دمرداش . قلت وهى كنيسة رويس[1] . قال وانعكس النصارى فى هذه الحادثة عكسة بليغة وراحت عليهم وذهب ماصرفوه وأنفقوه فى الهباء انتهى قوله . وتولى بعد محمد باشا أمين الذى مات كما تقدم القول مصطفى باشا فدخل القاهرة وصعد الى قلعة الجبل ثالث عشر ربيع الاوّل سنة سبع وستين[2] ومائة وألف هجرية واستمر على الولاية الى أن جاء الامر بالعزل كما سيذكر فى محله .

مطلب
ولاية مصطفى باشا

ورأى السلطان محمود بعد تقرير الصلح مع خصومه شرقا وغربا أن لابد من قيام الروس يوما على دولة السويد وابتلاعها مضغة لينة ثم لايمنعها بعيد ذلك مانع من شن الغارة على بلاده وأخذ كل مايمكن أخذه منها فجعل يتدبر الامر

---

(١) كنيسة رويس هى كنيسة الانبا رويس الملحقة بمبانى كاتدرائية الاقباط الارثوذكس بالدمرداش بالعباسية الان .

(٢) ١١٦٧هـ = ١٧٥٣م/ ١٧٥٤

فحسن له سفير الفرنسيس بدار السلطنة يومئذ تعضيد دولة السويد وعقد محالفة دفاع وهجوم معها ضد الروس وكشف له عما فى ذلك من الفائدة للدولة وكبح جماح الروس ورد كيدهم فوافق السلطان على ذلك وعقد محالفة مع السويد فكانت حدا فاصلا بين الروس وبين مطامعهم السياسية وهدأت الاحوال وسكنت الخواطر وتفرغ رجال الدولة للاصلاح داخلا وخارجا ودبر الصدر الاعظم أمور الدولة فأحسن التدبير وأمضى الاحكام وأزال بعض الخلل ومازال الحال فى هدوّ وسكون حتى مات السلطان فى يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر سنة ثمان وستين ومائة وألف هجرية أى سنة أربع وخمسين وسبعمائة وألف ميلادية فكانت سلطنته نحو خمس وعشرين سنة قال بعض أصحاب التاريخ وهو آخر ملوك بنى عثمان فى حسن السيرة والشهامة والحرمة واستقامة الامور والمآثر الحسنة وله كثير من المزايا التى خلدت فى بطون التواريخ . وخلفه على سرير الملك السلطان عثمان الثالث ابن السلطان أحمد خان .

ومات فى سلطنته يوحنا[(١)] بطرك الاسكندرية بعد أن أقام اثنتين وأربعين سنة وكان ورعا تقيا عالما فاضلا مسموع الكلمة وهو من بلدة طوخ وكانت أكثر أيامه شدائد وخطوبا متراكمة بعضها فوق بعض كادت بسببها تتعطل شعائر الدين لولا لطف اللّه فأقيم بعد موته بطرس[(٢)] وهو الرابع بعد المائة واسمه

---

(١) يوحنا بطرك الاسكندرية بطريرك ١٠٣ : رسم بطريركا فى سنة ١٦٧٦م فى عهد السلطان محمد ، وكان يدعى اصلا ابراهيم بن المغربى ، من طوخ دلكه منوفية ، رهب فى دير الانبا انطونيوس ، عانى من تدخل الكاثوليك فى شئون الكنيسة الوطنية إذ حاولوا نشر مذهبهم بالقوة احيانا وبالمال احيانا اخرى ، لدرجة تدخل لويس الرابع عشر الفرنسى فى ذلك ، ولكن كل هذا فشل ، فعادوا ليضايقوا الكنيسة الحبشية وكانت تابعة للكنيسة القبطية ، ولكن جهود هذا البطريرك افشلت مساعيهم هناك ، ومات فى سنة ١٧١٨م ، وقد سبقت الاشارة الى الخطأ الذى وقع فيه المؤلف بالنسبة لترتيب هذا البطريرك ومن بعده منسى يوحنا : المرجع السابق ص ص ٥٢٩ ، ٥٣٠ .

(٢) بطرس البطريرك ١٠٤ : رسم بطريركا عام ١٧١٨م فى عهد السلطان أحمد ، وكان اسمه الاصلى مرجان من اسيوط ، وترهب فى دير الانبا بولا ، قاوم كثيرا من البدع التى شاعت بين الاقباط فى عهده كإباحة الطلاق لأية علة ، واستمر بطريركا حتى سنة ١٧٢٦ أى سبع سنوات وسته أشهر وعدة أيام .
● منسى يوحنا : المرجع السابق ص٥٣٣ .

مرجان من رهبان دير انبابولا فأقام سبع سنين ومات ولم يقع فى أيامه من الحوادث شئ يذكر فأقيم بعده يوحنا[1] وهو الخامس بعد المائة واسمه عبد السيد من رهبان انبابولا ووقع فى أيامه من الحوادث ماسيذكر فى محله .

(١) يوحنا ١٧ البطريرك ١٠٥ ، اسمه الاصلى عبد السيد من ملوى ورسم بطريركا فى اواخر عهد السلطان أحمد ، وكانت رهبنته فى دير الانبا بولا ، عانى كثيرا هو والاقباط من عسف الولاة من جانب ومن كيد المرسلين الكاثوليك من جانب اخر ، حيث كان بابا روما يحاول الوقيعة بين الولاة وبينه حتى يخضع له ويتبع الكنيسة القبطية للكنيسة الرومانية ولكن رفض ذلك ، الا ان بعض الاقباط تبعوا الكاثوليك مما احدث مشاكل فى الاحوال الشخصية ، وأخيرا لجأ يوحنا الى الادارة الاسلامية ، فعقد لذلك مجلس فى المحكمة الشرعية اعطته حرية التصرف فى الاحوال الشخصية للاقباط والتصرف معهم طبقا لقوانين الكنيسة وصدرت بذلك حجة شرعية من المحكمة الكبرى بمصر المحمية بتاريخ غرة محرم ١١٥١هـ وتوفى فى سنة ١٧٤٥ . فيكون هو بطريرك الفترة ثم مرقص٧(١٠٦) الذى تولى من ١٧٤٥ إلى ١٧٦٩م)

● منسى يوحنا : المرجع السابق ص ص ٥٣٣ ـ ٥٣٧ .

# (الفصل الثامن عشر)

## (فى سلطنة السلطان عثمان[١] الثالث ابن السلطان أحمد خان)

مطلب
عزل مصطفى باشا
وولاية على باشا
حكيم أوغلى

ثم قام بالامر بعد السلطان محمود السلطان عثمان الثالث ابن السلطان أحمد وقيل ابن مصطفى بويع بالملك فى اليوم الذى مات فيه السلطان محمود فى السابع والعشرين من صفر سنة ثمان وستين ومائة وألف هجرية أى سنة أربع وخمسين وسبعمائة وألف ميلادية وجاءت بتلك الاخبار الى مصر فدقت البشائر ودخل الامراء والعلماء والمشايخ على مصطفى باشا الوالى يهنئونه ثم ورد بعد أيام الى مصطفى باشا فرمان التثبيت فبقى يتصرف فى الامور الى أن جاءه الامر بالعزل فى أوائل ربيع الاوّل سنة تسع وستين[٢] ومائة وألف فكانت مدة تصرفه سنتين الا أياما ولم يقع فيها من الحوادث شئ يذكر وتولى بعده على باشا حكيم أو غلى الولاية الثانية وقدم الى الاسكندرية فنزل اليه الملاقون وأرباب المناصب ثم دخل القاهرة فى يوم الاثنين غرة جمادى الاولى من السنة وجعل يتصرف فسار فى الرعية سيرة حسنة ودبر أمورهم أحسن تدبير وأسكن الفتن وطمن القلوب فلم يقع فى أيامه شئ من الخطوب والمحن واستمر على الولاية معززا محبوبا من الرعية وكان قريب الاعتقاد بالخرافات ميالا الى الزايرجات[٣]وأصحابها وكان له تعلق بالشيخ على بن تاج الدين محمد بن الحسن ابن محمد بن سالم القلعى الحنفى المكى لغزارة معرفته بهذه العلوم وكان أول اجتماعه به فى الديار الرومية قيل انه أخبر على باشا بأمور فوقعت

---

(١) ولد هذا السلطان سنة ١١١٠هـ/ ١٦٩٦م وتوفى فى ١٦ صفر سنة ١١٧١هـ/ ٣٠ اكتوبر ١٧٥٧ وكانت مدة حكمه ٣ سنين ، ١١ شهرا وكان عمره ستون عاما تقريبا .

● محمد فريد : المرجع السابق ص٣٢٨ .

(٢) ١١٦٩هـ = ١٧٥٥م / ١٧٥٦م

(٣) الزايرجات = اسلوب من الشعوذة يربط بين الحروف والارقام والفلك والظواهر الفلكية والطبيعية .

كمـا قـال فـازداد عنده مـهـابة وأنزله فى منزل بالـقـرب من جـامع أزبك[١] بخط الصليبـة وصار يركب فى موكب حافل مثل موكب الوزير وكان فيه الكرم المفرط والمروءة وسعة الصدر فى اجازة الوافدين مالا وشعرا ومدحه شعراء عصره بمدائح جليلة جدا وكان على باشا لايفارقه قيل ولايعمل عملا الا باشارة منه فله كثير من المزايا ومع ذلك فقد كان حسن التدبير موفقا محبوبا من الرعية .

وسار السلطان عثمان فى الرعية سيرة رديئة للغاية وكثر تحجبه عن الناس وتجسسه على أحوال الرعية فكان كثير الاخذ بالشبهات ظلوما غشوما عسوفا فظا غليظا سفاكا للدماء قيل انه قتل فى أيام سلطنته ستة وزراء فثقلت أيامه على الرعيـة وأبغضوه بغضا كبيرا وابتهلوا الى اللّه تعالى وعجوا اليه وظل على هذا الحال من الجور والعسف الى أن مرض واشتدت به علته فمات وجاء الخبر الى القاهرة خامس عشرى صفر سنة احدى وسبعين ومائة وألف هجرية أى نحو سنة سبع وخمسين وسبعمائة وألف ميلادية فكانت مدة سلطنت أربع سنوات غير كوامل فخلفه فى الملك السلطان مصطفى الثالث .

(١) جامع أزبك : أمر بإنشائه الامير الاشرف العالى أزبك اليوسفى أمير سرنواب النوبة فى صفر ٩٠٠هـ / ١ نوفمبر ١٤٩٤ وعلى قبته هلال من نحاس ومنارته من دورين

● عجائب الاثار جـ ١ المرجع السابق ص٢٨٧ .

# (الفصل التاسع عشر)

## (فى سلطنة السلطان مصطفى الثالث[1] ابن السلطان أحمد)

ثم قام بالامر بعد السلطان عثمان السلطان مصطفى الثالث ابن السلطان أحمد بويع بالملك يوم موت السلطان عثمان خامس عشرى صفر سنة احدى وسبعين ومائة وألف هجرية أى سنة سبع وخمسين وسبعمائة وألف ميلادية فاستقرت به الخلافة وكان المتولى الصدارة العظمى الوزير محمد راغب باشا فأقره على منصبه وسلم اليه مقاليد جميع الامور واعتمد عليه فى تدبير مهام الدولة فأحسن التدبير وأحكم السياسة وكان عالما عاقلا رزينا كيسا حازما محبا لنجاح الامة فبالغ فى إصلاح الاحوال الداخلية وأحدث كثيرا من النظامات المألوفة ورتب الامور على مافيه المصلحة فزهت أيامه وسعدت ثم مات فتبدلت بعد موته الاحوال وتغير مجرى الحوادث وتحركت دولة الروس الى نكث العهود وتجردت إلى الشر وطلبت كاترينة الثانية قيصرة[2] الروس يومئذ التداخل فى

---

(١) السلطان مصطفى خان الثالث هو ابن السلطان أحمد الثالث ولد سنة ١١٢٩هـ وكان محبا للاصلاح فأنشأ كثيرا من المؤسسات كالمستشفيات وأصلح الأوقاف وأنشأ مكتبة عمومية على حسابه الخاص وحارب الغلاء ويسر الحياة على الفقراء، ومات فى ٨ ذى القعدة ١١٨٧هـ / ٢١ يناير ١٧٧٤.

● محمد فريد : المرجع السابق ص، ص ٣٢٩، ٣٤٠.

(٢) كاترين الثانية : هى ابنة البرنس (انهلت رزبست) الالمانى، ولدت سنة ١٧٢٩، وتزوجت بالأمير الالمانى الذى عينته الامبراطورة اليزابث وارثا فى الملك، ولكنها غيرت مذهبها واعتنقت الارثوذكسية وغيرت اسمها من صوفيا الى كاترين للزواج من بطرس الثالث قيصر روسيا، ونجحت فى أن تكون روسية الطابع والخصال وبعد موت زوجها تآمرت مع عشيقها جريجورى اوزوف واعلنت نفسها قيصرة لروسيا، وكانت قد تآمرت على قتل زوجها بطرس، وبدأت سياستها الداخلية بمشروعات اصلاحية كثيرة واشتهرت بأنها سارت على خطة بطرس الاكبر فاستولت على بلاد القرم وقلعة ازاق وغيرها واقتسمت مملكة بولونيا مع النمسا وروسيا.

الا ان سياستها الداخلية دفعت المجتمع الروسى الى الطبقية وساءت حالة الفلاحين أكثر، كما قامت تطمع فى امتلاك اجزاء من الدولة العثمانية فدخلت فى حربها معها (١٧٦٨ - ١٧٧٤) انتهت بمعاهدة كوتشوك كينارجى، التى جعلت روسيا اكبر دول الشرق

ورغم هذا فكانت اخلاقها هى منحلة وكانت كثيرة العشق والغرام خصوصا مع رجال حكومتها

● محمد فريد : المرجع السابق ص ص ٣٢٩، ٣٣٠.

شئون مملكة بولونيا فأقامت ستانسلاس بونياتوسكى ملكا على بولونيا بدل ملكها الذى مات خلافا للعهد المتفق عليه بين الروسية والعثمانية . قال أصحاب التاريخ وقد قصدت كاترينة بذلك العمل بما أوصى به بطرس الاكبر من إزالة الموانع الثلاثة الحائلة بين أملاك الروس وأوربا الغربية وهذه الموانع هى مملكة السويد ومملكة بولونيا والمملكة العثمانية قالوا وقد تمت إزالة المانع الاول منها بوضع يد الروس على جميع الايالات السويدية وكاد يتم لها زوال الثانى بتولية ستانسلاس عشيق كاترينة ملكا على پولونيا فلم يبق منها سوى الدولة العثمانية فتنبهت الدولة لذلك وحضت خان القرم على قتال الروس فزحف بخيله ورجله وقاتلهم وانتصر عليهم عدة نصرات وخرب الكثير من أملاكهم وسار البرنس جالتسين بعساكر الروس إلى مدينة شوكزيم فحاصرها وضيق عليها فسير السلطان الصدر الاعظم محمد باشا البرشنجى لنجدتها فى عسكر عظيم فلم يفلح فاستعظم السلطان هذا الامر وأكبره وسير إلى الصدر المذكور من قتله وأتى برأسه الى القسطنطينية وانهزمت العساكر السلطانية مرة ثانية عند نهر دينستر بسبب فيضان النهر المذكور عند عبور العساكر السلطانية له فأعمل فيهم الروس القتل والتغريق وتمكن البرنس جالتسين من الدخول إلى شوكزيم واحتل إيالتى الفلاخ والبغدان .

وكانت المراكب السلطانية فى هذه الأثناء تتجول فى عرض البحار فلاقتها مراكب الروس فى المضيق الواقع مابين جزيرة ساقص[1] وساحل آسية فاقتتلوا قتالا عنيفا للغاية ثم افترقوا ودخلت المراكب السلطانية مينا جشمه فتبعهم

(١) جزيرة ساقص : وتسمى اليوم Chios فى بحر ايجة الى الجنوب من جزيرة ميدللى أمام بر الأناضول .
● (محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ـ المرجع السابق ص٣٠٢) .

حراقتان(١) من مراكب الروس والتحما بالمراكب السلطانية وألقيا عليها النيران فاشتعل مابها من البارود واحترقت جميعها فكان المنظر مريعا للغاية والخطب عظيم جدا وطال الاخذ والرد بين الدولتين وطالت أيام الحرب والقتال برا وبحرا ثم تخابر الفريقان فى أمر الصلح فشطت الروسية فى الطلب واشترطت على الدولة شروطا مهينة مزرية فأبت الدولة إجابتها الى ذلك وعاد الفريقان الى ما كانا عليه من الحرب والقتال فخرجت من يد الدولة مدينة بندر وعدة من جزائر الارخبيل ودست الروس إلى اليونان والارنؤد فثارا وأشهرا الحرب وخرجا عن طاعة السلطان ونهض أيضا على بك(٢) الكبير أحد أصحاب الكلمة بديار مصر يريد

---

(١) الحرّاقة Brulot جمعها حراقات وحراريق ، وهى سفن فيها مرامى نيران ، وقيل هى المرامى نفسها ، كما كانت تستعمل فى حمل الأسلحة النارية كالنار الاغريقية ، وقد استعملت فى العصور الوسطى وأنتشرت فى جميع أنحاء العالم الشرقى والغربى ، واستخدمت فى العصر المملوكى فى النيل لحمل الامراء ورجال الدولة فى الاستعراضات البحرية التى تقام فى الحفلات العامة مثل كسر الخليج ، وميناء جشمة تقع على الرأس الممتد من ساحل الاناضول الى الغرب من أزمير وجشمة بالچيم المعطشة تعنى بالفارسية عين الماء .

● (د . محاسن محمد الوقاد : المرجع السابق ص٢٧٠ ، محمد فريد : المرجع السابق ص٣٣٦) .

(٢) على بك الكبير : ولد عام ١٧٢٨م ببلدة أماسة الروسية ، من أعمال القوقاز العثمانى ، تقع على سفح جبال قوة قاف جنوب البحر الأسود ، وقد خضعت للحكم الروسى بعد ذلك عام ١٨٢٤ وكانت عاصمة هذا الاقليم «صفوق صو» وكان أحد أفراد عائلة مسيحية ارثوذكسية لأب هو الأب داود أحد رعاة الكنيسة هناك وابنه هذا كان اسمه يوسف امتاز بالشجاعة والإقدام ، وكان والده يعده ليكون رجل دين مثله ، الا أنه بينما كان فى رحلة صيد مع أقرانه بإحدى الغابات اختطفته احدى عصابات صيد الرقيق برئاسة كرد أحمد ، الذى اخذه الى الاسكندرية عام ١٧٤٣ وكان عمره انذاك خمسة عشر عاما حيث باعه الى مديرى الجمرك انذاك وهما الاخوين اليهوديين اسحق ويوسف

وقد تقربا هذان اليهوديان الى الأمير ابراهيم بك بأن أهدياه هذا الفتى فرباه على مبادئ الاسلام واسماه عليا وعلمه القراءة والكتابه وجعله أمينا لمخازنه وقد فاق اقرانه من المماليك فى ركوب الخيل وفنون الحرب واستلفت الانظار بذكائه ، حتى كان يلقب (بجن على) وقد ظهرت مواهبه العسكرية أثناء رحلة سيده ابراهيم بك الى الحجاز والذى كان يشغل انذاك كتخدا الانكشارية ورئيس الجيش الذى يحمل المحمل فقد اعترضت مسيرتهم عصابة من الأعراب بقصد السرقة ، ولأن المحفل لم يكن مسلحا بكفاية لأنه محفل دينى ، فقد قاربت العصابة أن تستولى عليه فقامت المعركة بينها انتصر على وأعوانه على الاعراب فسمى بالجن لذلك وكان ابراهيم بك زعيما للماليك . . وكان فى حوزته عدد كبير منهم الا ان على كان أحبهم اليه بذكائه ومقدرته فرقاه الى رتبة بك ، فاستاء احد زملائه=

الاستقلال بملك مصر والخروج عن طاعة السلطان وقام أيضا أحد مشايخ عربان الشام المسمى ظاهر[1] العمر وتملك بعض مدن الشام وأخذ يتصرف فى أمورها تصرف المالك المطلق حتى اختل نظام المملكة وسقطت كلمة السلطان وذهبت هيبته أو كادت واستخف به على بك واستصغر شأنه وهم بالخروج وشق عصا الطاعة وجعل يتأهب لذلك . وبينما هو على هذا الحال من التأهب والاستعداد اذ ظهر الطاعون بمصر والقاهرة وكان ظهوره عقب أن أمطرت السماء مطرا غزيرا جدا سالت منه السيول وامتلأت الأودية واشتد الطاعون شدة بالغة فكثر الموات وصارت الموتى تلقى فى الطرق والحارات لكثرتها وعدم وجود من يدفنها وكثرت الجيف واجتمعت حولها الكلاب تنهشها وطالت أيام الوباء فسمته العامة ( قارب شيحة الذى يأخذ المليح والمليحة) واهتم الامراء عند ذلك بدفن الموتى وأعملوا الجهد حتى خف الموت فى أواخر رمضان من السنة ولكنه لم يرتفع تماما إلا

مطلب
عزل على باشا حكيم أوغلى وولاية محمد باشا سعيد

= من ذلك وقتل سيده ، فجمع على الاموال واشترى مماليك ودربهم على فنون الحرب لينتقم من القاتل ، الا أن شيخ البلد خاف من هذا فضايقه ففر الى الصعيد ، ولكنه عاد وانتصر على غريمه وتمكن من أن يكون شيخا للبلد عام ١٧٦٣ ، الا أنه عاد وارغم على الفرار الى اليمن ثم عاد الى القاهرة .
حاول الاستقلال بمصر عن السلطة العثمانية فقلل من عدد الجنود العثمانيين فى مصر ، وضاعف عدد اتباعه ، عزل كل من شك فى ولائه له ، تحالف مع ظاهر العمر والى عكا وأخيرا طرد الوالى واعلن استقلاله بمصر عام ١٧٦٩ وكانت الدولة فى حرب مع روسيا من ١٧٦٨ ، وخطب باسمه فى المساجد ، وقام باصلاحات كثيرة واستولى على جدة ومكة وتبادل الاتجار مع الهند ، واطلق على نفسه «سلطان مصر وخاقان البحرين» ، سير حملة الى الشام عام ١٧٧٠ بقيادة محمد ابو الدهب الا أن الاخير خانه عند ما ارتشى من العثمانيين وعاد ليقبض عليه ويموت على بك متأثرا بجروحه عام ١٧٧٣ .
● مزيد من المعلومات عن على بك الكبير يرجع الى دانيال كريسيليوس : جذور مصر الحديث القاهرة ١٩٨٥ ترجمة د . عبد الوهاب بكر
● نجيب توفيق : ام المماليك : دار العرب للبستانى ١٩٨٩ ص ص٢٧ ـ ٣٠ .
● محمد عبد الرحيم مصطفى : تاريخ مصر الحديث القاهرة ١٩٤٩ ص ص ٤١ ، ٤٢ .

(١) الشيخ ظاهر العمر : والى عكا الذى تحالف مع على بك الكبير فى مصر ، وكان مناوئاً للدولة العثمانية الوصية الشرعية على عكا ، وتعرض للضغط العثمانى فى أثناء حملة على بك الكبير لمقاتلة السلطان العثمانى فى الشام ، الا أنه استضاف على بك عند فراره من أمام محمد بك ابو الدهب الذى خانه وكان تعاون ظاهر العمر مع على بك قد بدأ منذ عام ١٧٦٩
● (محمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ص ص ٤١ ، ٤٢ .
● دانيال كريسيليوس : المرجع السابق ص١٥٨ .

فى أوائل سنة[1] أثنتين وسبعين وجاءت الاخبار عقب ذلك بعزل على باشا حكيم أو غلى وتولّية محمد باشا سعيد فدخل القاهرة فى أواخر رجب سنة إحدى وسبعين وصعد إلى قلعة الجبل فى الموكب المعتاد فلم يكن لقدومه رونق ولابهجة بأسباب الطاعون واشتغال الناس بدفن موتاهم ولم يكن لولايته أثر يذكر عند على بك الكبير إذ كانت الكلمة والرياسة يومئذ له لاسيما بعد موت حسين بك القزداغلى على ماتقدم لك بيانه وكان لما ان بسط يده على جميع الامور وقبض على زمام الاحكام ودانت له الرغائب استقدم أصحابه الذين كانوا مبعدين وولاهم المناصب العالية فاتسعت من ذلك الحين كلمته وبعدت شهرته ولكنه كان فى شاغل من جانب عبد الرحمن بك كتخدا المتولى مشيخة البلد فكان لاينكف عن إعمال الحيلة فى قتله ولا تفتر له همة حتى اتفق مع بعض أعوانه على أن يقتلوه بعد قيامه هو بركب الحاج إلى المدينة وأن يولوا بعد قتله على مشيخة البلد خليل بك الدفتردار وبقى الامر مكتوما بينهم حتى قام بركب الحاج فجعل أصحابه يعملون على قتل عبد الرحمن بك فأحس عبد الرحمن بك بالمكيدة واستكشف السر وعلم بخفى أمرهم فأسرع هو إلى عمل الحيلة والتدبير فى تبعيدهم وأغرى بهم على بك بلاط فتمكن من تبعيد خليل جاويش المعروف بحيضان مصلى وأحمد چاويش إلى الاقطار الحجازية وحسن كتخدا الشعراوى وسليمان بك الشابورى إلى فارسكور فتمزق جمعهم وتفرقت كلمتهم . فلما نزل على بك بالعقبة وهو راجع بالحاج علم بما جرى لاصحابه فكتمه وأمر الجند بعمل بعض الاشكال الحربية ليوهم الناس أن الذى جاءه من القاهرة أخبره بخبر يسره ثم سار بركب الحاج إلى قلعة نخل فانحاز إلى القلعة وسلم الحاج والمحمل إلى بعض أمرائه وركب فى خاصته وسار إلى غزة ولبث بها زهاء ثلاثة أشهر وكاتب دار السلطنة ووشى لها فى حق الكثير من الامراء

(١) ١١٧٢هـ = ١٧٥٨م .

بالديار المصرية وبالغ فى الوقيعة بهم فجعل رجال الدولة يوعدونه ويعللون منه الآمال بنيل اغراضه ومازالوا حتى استصفوا ما معه من مال ومتاع ولم يتم له أمر فعاد الى القاهرة بوساطة صهره فلما دخل القاهرة لم يقم بها سوى ثمانية أيام ومات كمداً وقيل بل أطعمه بعض أصحابه سما فاطمأنت القلوب بموته فقد كان داهية قرما عنيدا كثير الصبر عظيم الجلد .

مطلب عزل محمد باشا وولاية مصطفى باشا الصدر الأعظم وعزله أيضاً وولاية أحمد باشا سيلان

وجاءت الاخبار من دار السلطنة بعزل محمد باشا عن الولاية وتعيين مصطفى باشا الصدر الاعظم بدله فدخل القاهرة فى أواخر السنة وأقام يتصرف فى الامور الى سنة أربع وسبعين[1] ومائة وألف هجرية ثم نزل الى القبةمتوجها الى جدة ليقيم بها ولم يقع فى أيامه شئ يذكر وحضر بدله أحمد باشا كامل المعروف بسيلان ودخل القاهرة فى أواخر سنة أربع وسبعين فلما استقرت به الولاية صار يشدد فى الاحكام وينزل فى كل يوم لمعرفة أخبار الناس وأحوالهم ويكشف على أرزاق الامراء ومصادر أموال الخزينة السلطانية وغير ذلك وكان شهما شديد العناد فخافه الامراء وخشوا عاقبة أعماله فاجتمعوا وتشاوروا فى أمره فاتحدت كلمتهم على خلعه وصاروا يراقبون الفرص حتى دبروا أمرهم وركبوا عليه يوما فخلعوه وكان مصطفى باشا الوالى المعزول لم يزل بالقاهرة يتأهب للسفر الى جدة فساروا اليه وأصعدوه الى قلعة الجبل وسلموه زمام الامور وشكوا الى دار السلطنة ماوقع وسيروا بشكواهم الشيخ عبد الباسط[2] السنديونى فلما وصلت شكواهم الى صدر الدولة وهو يومئذ محمد راغب باشا سير أحمد باشا المذكور الى ولاية كاندية[3] وسير مصطفى باشا الى ولاية حلب ووجه بكير

---

(١) ١١٧٤ هـ = ١٧٦٠/ ١٧٦١م .

(٢) الشيخ عبد الباسط السنديونى ، أحد شيوخ الأزهر أصله من بلدة سنديون التابعة لقليوب ، وانتفع بعلم الشيخ محمد الدفراوى الشافعى

● الجبرتى ، المرجع السابق جـ ١ ص٢٨٣ .

(٣) كاندية اوكنديا Candia عاصمة كريت انذاك وتقع فى منتصفها من الجهة الشمالية .

● محمد فريد : المرجع السابق ص٢٨٨

مطلب
عزل أحمد باشا
كامل وولاية بكير
باشا وموته وولاية
حسن باشا

باشا والى حلب واليا على مصر فحضر الى القاهرة وصعد الى قلعة الجبل فلم يتصرف الازهاء شهرين ومات مبطونا سنة خمس وسبعين[1] ومائة وألف ودفن بالقرافة فجاءت الأخبار بولاية حسن باشا وقدم الى القاهرة فى أواخر سنة ست وسبعين فكان محجوزا عليه لا كلمة له والأمر يومئذ لعلى بيك بلاط فانه بعد موت على بيك الكبير وتشريد كبار عصابته كما سبق ظهر شأن على بيك بلاط وارتفعت كلمته فجمع أصحابه وأعطاهم المناصب العالية وسلمهم زمام الأمور كغيره من الأمراء الذين تقبل عليهم الرياسة مسرعة وشاع ذكره ونما صيته فلما رأى عبد الرحمن بيك كتخدا الذى هو ابن أستاذ على بيك بلاط مانا له على بيك من الشهرة ورفعة القدر انطوى على ممالأته ومال الى مصادقته ليقوى به على أرباب الرياسة وكل منهما يريد تمام الأمر لنفسه وجعل على بيك من هذا الحين يمهد الأمور ويذلل العقبات ثم استكثر من شراء المماليك وبدأ فى مصادرة الناس وأعمل الحيلة على أخذ الأموال من أصحاب البيوتات والأعيان لأقل سبب . وكان يخشى جانب بعض من بيدهم الرياسة مثل عبد الرحمن كتخدا ابن أستاذه[2]وعلى كتخدا الخربطلى وعمر چاويش الداورية ورضوان چربجى الرزاز وغيرهم فلما استتب قدمه فى المنصب وتمكن وقوى جأشه ركب يوما فى مماليكه وأتباعه وهجم بهم على أبواب القلعة وأجلوا عنها من كانوا بها من أصحاب وأتباع من ذكروا فامتلكوها واحتل قومه بها فخاف الأمراء عند ذلك وانكمشوا فلم يمكنهم من عمل شئ وقبض فى الحال على عبد الرحمن كتخدا وأبعده الى الأقطار الحجازية وأبعد باقيهم جميعا الى الأقاليم البحرية فأخاف

---

(١) ١١٧٥هـ = ١٧٦٢م .

(٢) الاستاذ بمعنى المعلم ، واطلقت فى المصطلح المماليكى على السيد الذى اشترى المملوك بالمال وتعهده بالتربية حتى كبر واعتقه ، وكانت رابطة الاستاذية ـ التى تربط المملوك باستاذه ـ من أقوى الروابط فى نظام المماليك ، حتى أن كثيرا منهم نسبوا الى استاذتهم ، فيقال مثلا بيبرس البندقدارى نسبة الى استاذه الأمير علاء الدين البندقدارى

● د . سعيد عاشور : العصر المماليكى ، المرجع السابق ص٣٨٩ .

الناس خروج عبد الرحمن بيك كتخدا الى منفاه فانه كان ذا هيبة ووقار وحرمة كبيرة وقد ارتفعت به كلمة الانكشارية وظهروا على طائفة العزب وكان له عز وأبهة ومماليك وأتباع وجند وغير ذلك من الاخلاط حتى ظن الناس وقوع فتنة عظيمة فى ذلك اليوم فلم يحصل شئ من ذلك سوى مانزل بالناس من الدهشة والتعجب وأبعد بعد ذلك صالح بيك الى مدينة غزة فلم يقم بها الا أياما حتى أرسل اليه بعض الجنود فحملته من غزة الى رشيد فبقى فيها ثم رتب له ماينفقه بحسب الحاجة فلبث برشيد مدة فلما جاء الخبر بعزل حسن باشا الوالى وتعيين حمزة باشا بدله أرسل على بيك جماعة من أتباعه ليحملوا صالح بيك المذكور من رشيد الى دمياط كى لايجتمع بحمزة باشا اذا حضر الى رشيد فوصلت الى صالح بيك الاخبار بقيام أولئك الاتباع فأسرع وركب فى نفر قليل وأسرى ليلا الى جهة البحيرة فأقام بها ماشاء اللّه ثم ذهب من خلف جبل الفيوم الى الاقاليم القبلية فوصل الى منية ابن خصيب[١] فأقام بها واجتمع عليه خلق كثير ممن شردهم على بيك بلاط فابتنى له أبنية وعمل متاريس ومحال للدفاع وكان له معرفة وصداقة مع شيخ عربان تلك النواحى وطوائف الهوارة وسكان أكثر البلاد الجارية فى اقطاعاته فاجتمع عليه الكثير منهم وقدموا اليه التقادم والذخيرة ومايحتاج اليه وتترس فى منية ابن خصيب وهو آمن مما يخشى فلم يجسر على بيك على قتاله ولم يناوشه الحرب خوفا من اتساع الخرق واستفحال الخطب .

مطلب
عزل حسن باشا
وولاية حمزة باشا

ودخل حمزة باشا الوالى الجديد القاهرة فى أخريات سنة تسع[٢] وسبعين ومائة وألف هجرية وصعد الى قلعة الجبل فنزل حسين باشا قاصدا السفر فكانت

---

(١) منية ابن خصيب = المنيا حاليا عاصمة محافظة المنيا وكانت تسمى احيانا منية ابن خصيم ، واسمها القبطى Temoni ونسبت الى الفولى وهو الشيخ صاحب المقام هناك (محمد رمزى ق٢ جـ٣ ص ١٩٦ - ١٩٨)

(٢) ١١٧٩هـ = ١٧٦٦م .

ولاية حسين باشا المذكور نحو ثلاث سنين . ولما استقر بحمزة باشا المنصب وأخذ يتصرف فى الأمور بقدر الاستطاعة شكوا اليه أمر صالح بيك وتترسه فى منية ابن خصيب واضراره بالناس ومنعه لورود الغلال وأموال الخزينة السلطانية وبالغوا فى الشكوى وعظموا فى البلوى فرسم بقتاله فبعثوا له طائفة من الجنود مع أحد الأمراء المدعو حسين بيك كشكش وولوه أيضا الامارة على اقليم جرجا وسافر معه عدة أمراء أخر فلما التقى الجمعان اقتتلا قتالا شديدا فانهزم صالح بك وهرب الى شرقى أولاد يحيى فأقام حسين بيك كشكش بالمنية أياما يتأهب للمسير الى جرجا مركز امارته فبينما هو على أهبة الرحيل اذ ورد عليه مرسوم من على بيك بلاط بالتبعيد[1] الى جهة قد عينها له فكاد حسين بيك يتميز غيظا وركب من فوره فى مماليكه وأتباعه وأمرائه وحضر الى القاهرة فوصلها ليلا فوجد الباب الموصل الى قناطر السباع مغلقا فطرقه فلم يفتحوا له فكسره ودخل بمن معه وذهب الى بيته وبقى الأمر بينه وبين على بيك بلاط على المسالمة أياما . واتفق لحظ على بيك بلاط أن حسين بيك المذكور طلب فى غضون هذه الايام من عبد اللّه الحكيم طبيب الأمراء أن يصنع له معجونا صالحا للباه فأخبر الطبيب بذلك على بيك بلاط فأمره بأن يدس له فيه سما ففعل وذهب به الى حسين بيك وبالغ له فى فوائده فقال له لابأس به ولكنى أحب أن تأكل أنت منه أولا فتلجلج الطبيب واضطرب فأمر به حسين بك فقتلوه بين يديه وعلم أنها من عزيمة على بيك بلاط فتأكدت بينهما الوحشة وأضمر كل منهما لصاحبه السوء وتوافق على بيك مع أصحابه على الغدر بحسين بيك أو اخراجه فوافقوه ظاهرا واشتغل حسين بيك أيضا باخراج على بيك أو الغدر به وجمع الى كلمته كثيرا من قومه فلما كان ذات يوم ركب وركبوا ومعهم المدافع والبنادق وساروا الى بيت على بيك فصوّبوا أفواه المدافع نحوه فأرسل على بيك لاصحابه يستنجدهم فلم يأته أحد وخذلوه فشق عليه الأمر واستعظمه جدا وأرسل الى

(١) بالإبعاد .

أصحاب حسين بيك يسألهم عن مرادهم فحضر اليه منهم من يأمره بالركوب والخروج من الديار حالا فقام لساعته وركب وخرج من بيته فسلموه الى من يوصله الى منفاه بالديار الشامية ومعه مماليكه وأتباعه وكان ذلك فى أواخر رمضان سنة تسع وسبعين فأنزلوه بالعادلية ثلاثة أيام حتى حاسبوه وحاسبوا أتباعه على ماهو عليهم وهم محاطون بالجند والسلاح والمدافع حتى فرغوا واستخلصوا مابقى وسافروا الى غزة .

وكانت العادة فيمن ينفى من الامراء بديار مصر أنه اذا خرج من الديار لا يخلوا سبيله حتى يستصفوا ماعليه وسار صحبة على بيك المذكور جميع أصحابه وكبار قومه وعزلوا من لم يسافر منهم من منصبه . وماكادت تستقر الامور وتسكن الفتنة حتى جاء الخبر برجوع صالح بيك من شرق أولاد يحيى الى منية ابن خصيب واستقراره فيها وتحصينها فجيشوا لقتاله جيشا عظيما فبرز بعضه الى جهة البساتين وبينما هم على هذا الحال من تجييش الجيوش وإعداد آلات الحرب والاشتغال بأمر القتال مع صالح بيك اذ رجع على بيك بلاط وأصحابه من غزة فلم يشعر أحد برجوعهم ودخلوا القاهرة ليلا ونزل على بيك ببيت حسين بيك كشكش ونزل باقى من كانوا معه فى بيوت أخر فلما علم حسين بيك بقدومه على هذه الصورة جمع اليه أصحابه بجهة الآثار المعروفة بأثر النبى وشاورهم فى الامر فاختلفت كلمتهم وتباينت أغراضهم فمنهم من أشار بتبعيده الى جدة ومن أشار بقتله ومن أشار بغير ذلك ثم عادوا فاتحدوا على أن يرسلوه الى جدة وأرسلوا اليه من يلزمه بالخروج والسفر فقال لا أخرج أبدا من بيت سيدى الا اذا كان الى الجهة البحرية فرضوا بذلك واتفقوا على أن يعطوه النوسات اقطاعا وأن يذهب اليها فرضى وذهب الى النوسات وأقام بها وأرسلوا أصحابه والذين كانوا معه الى أسيوط وجهاتها وكان بها خليل بيك الاسيوطى فتعرفوا به وتقربوا اليه وصادقوه فأعانهم ومدّ لهم يد المساعدة فتيسرت أمورهم وراجت أحوالهم ولبثوا هناك ماشاء اللّه .

وعاد حسين بيك بعد تبعيد على بيك وأصحابه الى تدبير أمر الجيش وارساله لقتال صالح بيك كما تقدم القول فسار الى منية ابن خصيب والتقى الجمعان واقتتلا فانهزمت العساكر وانفشلت فأرسلوا له جيشا آخر وأميره حسن بيك جوجو وكان حسن بيك المذكور ميالا في الباطن الى خذل حسين بيك وأصحابه فلم يقاتل الا بالأمر الخفيف ورجع بالعسكر كأنه مهزوم مذعور فأرسلوا جيشا آخر فكانت الحرب بينهم سجالا ثم رجعوا فلم يروا بدا من مصالحة صالح بيك فخابروه فى الصلح واستقرت القاعدة بينهم على أنه يذهب بمن معه الى جرجا فتكون له التزاما ويقيم بها بشرط أن يدفع الاموال ويرسل الغلال فى حينها ويقوم بجميع المطاليب وكان ذلك فى شهر جمادى الاولى سنة ثمانين[1] ومائة وألف . أما على بيك بلاط فانه لم يمض عليه بالنوسات إلا القليل من الايام حتى تخيلوا أن حسن بيك الأزبكاوى يراسله ويطلعه على عوراتهم فقاموا عليه فى ثانى شعبان من السنة وقتلوه بقصر العينى ورسموا بنفى أصحابه الى الاقاليم البحرية وخشوا عاقبة بقاء على بيك بلاط بالنوسات فأرسلوا اليه خليل بيك المعروف بالسكران فحمله الى مدينة السويس ليسيره الى جدة من القلزم وأنزله باحدى السفن وسلمه الى ربانها فكانت الريح غير صالحة فبقيت السفينة تنتظر اعتدال الريح فرجع خليل بيك الى القاهرة .

وجاءت أيام عيد[2] الافطار فركب الامراء فى ثانى يوم شوال الى قراميدان ليهنؤا حمزة باشا بالعيد وكان معتاد الرسوم[3] فى مثل هذه الاعياد والمواسم أن كبار الامراء يركبون بعد الفجر من يوم العيد وكذلك أرباب العكاكيز فيصعدون الى قلعة الجبل ويسيرون أمام الباشا على الاقدام من باب السراى الى جامع الناصر بن قلاوون فيصلون صلاة العيد ويرجعون كذلك ثم يقبلون طرف ثيابه

---

(١) ١٧٦٦م أكتوبر/ نوفمبر .

(٢) عيد الافطار = عيد الفطر المبارك

(٣) الرسوم = الطقوس اوالنظم المتبعة .

وينزلون الى بيوتهم فيهنى بعضهم بعضا على رسمهم واصطلاحهم وينزل الباشا ثانى يوم الى كشك بقراميدان وقد هيئت مجالسه بالفرش والمساند والستور والطنافس واستعد فرّاشو الباشا بالقهوة وأطباق الحلوى والقماقم[١] والمباخر ورتبوا جميع الاحتياجات واللوازم من الليل واصطفت الخدم والچاويشية والسعاة والملازمون وجلس الباشا بذلك الكشك وحضرت أرباب العكاكيز والخدم قبل كل أحد ثم يأتى الدفتردار وأمير الحاج والامراء والصناجق والاختيارية وكتخدا الانكشارية والعزب أصحاب الوقت والمقادم والاودة باشية والچربجية ويعيدون عليه بالترتيب على قدر مراتبهم ثم ينصرفون . فلما حضروا فى ذلك اليوم وهنؤا[٢] الباشا وخرجوا الى دهليز القصر يريدون الانصراف الى بيوتهم برز لهم طائفة من الجند وسيوفهم بأيديهم مسلولة وآخرون يحملون البنادق واندفعوا عليهم وأطلقوا البنادق وأعملوا فيهم السيوف فأصيب عثمان بيك الجرجاوى بضربة سيف فى وجهه وأصيب حسين بيك كشكش بطلق نارى فى خاصرته وحرح كثيرون جراحا بليغة فعند ذلك ارتفعت الاصوات وعلت الجلبة وصاح الامراء بمماليكهم وأتباعهم لنجدتهم فاقتحموا الدهليز والسيوف بأيديهم وحالوا بينهم وبين المتؤامرين[٣] حتى تسلقوا من حائط البستان وركبوا خيولهم وهم لا يصدقون بالنجاة وأركبوا عثمان بيك وهو يصيح الى باب العزب وقد قطع السيف وجهه وفمه فذهبوا به الى باب العزب وأنزلوه فلم يلبث الاهنيهة ومات فحملوه الى بيته وجهزوه ودفنوه ولم يمت ممن جرحوا أحد غيره وباتوا على ذلك وأصبحوا فاجتمعوا وصعدوا الى الابواب وأرسلوا الى حمزة باشا يأمرونه بالنزول من القلعة على عجل فنزل من ساعته الى بيت أحمد بيك كشك بقوصون ومر بباب

---

(١) قماقم جمع قمقم وهو الاناء الصغير من النحاس او الفضة او الخزف يملأ بماء الورد او السوائل ذات الروائح الجميلة .

● (مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز القاهرة ١٩٩٢ ص٥١٥) .

(٢) هنؤا صحتها هنأوا .

(٣) صحتها المتآمرين .

العزب فوقف له حسين بيك كشكش وسبه سبا فاحشا وخاطبه ببذى[1] القول وفحش الكلام فلم يجبه بشئ ثم رتبوا أمورهم وسلموا بعض الوظائف المهمة لمن يعتمدون عليه واستكشفوا خفى هذه الحادثة فتبينوا أنها كانت باغراء من حمزة باشا وقيل بل هى خليقة على بيك بلاط فانه مابرح منذ تبعيده الى النوسات يراسل حسن بيك جوجو ويكاتبه سرا ومازالا على هذا الحال حتى تم التدبير لحسن بيك واستحضر طائفة من الجلفية وأطلعهم على ما فى نفسه فوافقوه فأخفاهم فى بيته أياما كثيرة وقد دبروا أن يكون ايقاعهم بالامراء فى أوّل يوم العيد وذهبوا الى الكشك بقراميدان فى ذلك اليوم وكانوا نحو الاربعين فاختلفت عندئذ كلمتهم وانتقضوا ثم عادوا فاتفقوا على أن يتموا الأمر فى ثانى يوم بدهليز بيت القاضى وتفرقوا على ذلك وقد انحلت رابطتهم الا أربعة فانهم ثبتوا على هذا الاتفاق وساروا فى ثانى يوم الى الدهليز وضربوا من صادفوه بالسيوف والبنادق .

وبطل من هذا اليوم أمر العيد من قراميدان وتهدّم القصر وخرب وكذلك البستان وذهبت نضارته وبعد وقوع هذا الحادث سيروا من يستكشف خبر على بيك بلاط وهل أقلعت به السفينة الى جدّة فوجدوه بالسويس فردّوه وأركبوه مع اتباعه ومماليكه الى القاهرة ومروا به من طريق الجبل وذهبوا الى جهة شرق اطفيح ثم الى أسيوط . فلما استقر به المقام اجتمع عليه المبعدون كافة وطوائف الهوارة وأخلاط أخر كثيرة فراسل صالح بيك بمنية ابن خصيب يريد الانضمام اليه بمن معه من هؤلاء الاخلاط فلم يرض صالح بيك ونفر منه فجعل يخادعه ويسايره وأرسل اليه خليل بيك الخربطلى أحد المبعدين يكلمه فى ذلك ومازال

(١) يقصد بذئ .

به حتى جنح لطلبه واجتمع به بكفالة شيخ العرب[١] همام وتحالفا وتعاقدا وتعاهدا على الكتاب والسيف وكتبت بذلك حجة وكان العهد بينهما أنه اذا تم لهما الامر أخذ صالح بيك الاقاليم القبلية بتمامها قيد حياته وأرسلوا بما وقع الاتفاق عليه الى شيخ العرب همام قيل فسرّ بذلك ورضى به ارضاء لصالح بيك وأمدّهما بالعطايا والمال والرجال واجتمع عليهم جميع المتشردين من الغز والاجناد والهوارة والابطال فصار لهم جيش عظيم فساروا الى منية ابن خصيب وكان بها خليل بيك السكران عاملا فلما علم بقدومهم رحل عنها وجاء القاهرة هاربا فاستقر على بيك بلاط وصالح بيك ومن معهما بالمنية وبنوا حولها الاسوار والابراج وركبوا عليها المدافع وقطعوا الطرق على المسافرين برا وبحرا وأرسل على بيك بلاط الى ذى الفقار بيك وكان مبعدا بالمنصورة ومعه جماعة من الكشاف يستقدمه الى المنية بمن معه فارتحل من المنصورة ليلا الى المنية فلما وردت الاخبار الى القاهرة بما فعله على بيك وصالح بيك وانهما فى عدة عظيمة جدا خافوا شرهما وخشوا عاقبة فعلهما فاجتمعوا وبينهم الشيخ الحفناوى شيخ الوقت يومئذ وتشاوروا فى الامر وطال بينهم الاخذ والرد ثم اتفقوا على أن يرسلوا لهما عسكرا لقتالهما فقام الشيخ الحفناوى وخطأ رأيهم واستنقصه وأطال الكلام على

---

(١) هو همام بن يوسف الهوارى من قبيلة الهوارة العربية التى سيطرت على أراضى الصعيد عن طريق الإلتزام خلال الربع الأول من القرن السابع عشر وقد إستطاع الهوارة ان يسيطروا على الصعيد وينتزعوا سلطان (بك جرجا) الذى تلاشت سلطاته تماما فى القرن الثالث عشر، امام إزدياد سيطرة الهواره وإتساع نظام إلتزامهم على أقاليم الصعيد من المنيا حتى أسوان. وقد أقام الشيخ همام حكما إداريا وطبق نظاما لحسم المنازعات وحفظ الأمن وحمى الفلاحين خلال فترة سيطرته على الصعيد (١٧٦٥ - ١٧٦٩) وواظب على دفع ضرائب الميرى لحكومة القاهرة المركزية، وبهذا النظام يعتبر أول من أقام النظام الجمهورى فى مصر، إلا أن دخوله فى الصراع الدائر بين على الكبير وأعدائه وإستخدام هؤلاء مناطق نفوذ وسيطرة الشيخ همام أدى إلى إرسال على الكبير قواته لإنهاء نفوذ همام فهزم هذا الأخير فى المعارك عند أسيوط ١٧٦٩م ومالبث أن مات قرب إسنا - ٨ شعبان ١١٨٣هـ ١٧٦٩/م ودانت مصر كلها بعد ذلك لعلى بك الكبير.

● عبد الوهاب بكر، المرجع السابق، ص ص٢٠٠، ٢٠١ حاشية ٣٠ وص ص٢٠٤ - ٢٠٥.

● ليلى عبد اللطيف، المرجع السابق ص ص٤٠٥ - ٤٠٦.

● الجبرتى: جـ ١ ص ٤٠٩.

ما أصبحت فيه البلاد من الضنك والاضمحلال بأسباب توالى الفتن وتعاقب الحروب والمحن وقال ماذا عليكم لو ارجعتم على بيك وصالحتموه فيأتى ويقيم فى بيته آمنا مطمئنا فقالوا ان لم نذهب لقتاله أتى هو لقتالنا بخيله ورجله قال لاتأتوا شيأ حتى أكاتبه ويأتى منه الجواب وقام وكتب له يوبخه ويزجره تارة وينصحه أخرى وينهاه عن فعل مالا تحمد عاقبته وبعث اليه بالخطاب فلم يلبث الشيخ بعد ذلك الا أياما ومرض ورمى بالدم ومات فشاع يومئذ أنهم أعطوه سما لينالوا أغراضهم من قتال على بيك وصالح بيك ووردت فى هذه الاثناء الاخبار بعزل حمزة باشا وهو فى سجنه لاكلمة له كما تقدم القول وتولية محمد باشا راقم فقام اليه الملاقون ودخل القاهرة فى غرة ربيع الثانى سنة أحدى وثمانين ومائة وألف هجرية فسافر حمزة باشا الى بلاد الروم فكان لبثه بمصر سنتين وشهرا .

مطلب
عزل حمزة باشا
وولاية محمد باشا
راقم

وعاد الامراء بعد دخول محمد راقم باشا الى جمع الجموع وتجهيز معدات القتال للحمل على على بيك بلاط وصالح بيك وكلموا محمد باشا فى أمرهما وأعلموه بأسباب خروجهما وموهوا عليه الحال وأخذوا منه مرسوما بالقتال وسيروا حسين بيك كشكش ومعه عسكر جرار فطلب حسين بيك النفقة فلم يجدوا فى الخزينة شيأ من الاموال فجعلوا يصادرون التجار ويستصفون أموالهم وطلبوا أمراء البهار المعروفين بالتواخيد وألزموهم بدفع مال البهار معجلا فادّعوا الاعسار فهددوهم وأخذوا جميع ماعندهم من مال ومتاع ثم سار حسين بيك بعسكره والتقى الفريقان بناحية بياضة تجاه بنى سويف فاقتتلا قتالا عنيفا فانهزمت عساكر حسين بيك شر هزيمة وانفشلوا وقتل كثير من أمراء العسكر ورجع المنهزمون الى القاهرة يوم السبت سابع عشرى الشهر وهم فى أسوا حال . وأصبح يوم الأحد فطلعوا الى أبواب القلعة وطلبوا من الباشا مرسوما بإعادة القتال وبأخذ مائتى كيس من مال الخزينة السلطانية نفقة للجند فامتنع الباشا من ذلك فراجعوه فلم يرض وبينما هم يتنازعونه فى ذلك اذ جاء يوم الاثنين الخبر بوصول

على بيك وصالح بيك ومن معهما الى ناحية غمازة وكان حسن بيك جوجو ومن معه من الامراء نازلين بخيامهم جهة البساتين[١] فارتحلوا ليلا وهربوا وانزعج خليل بيك وحسين بيك ومن معهما من الجند والعسكر وتحققوا أن لاقبل لهم بقتال على بيك بلاط وأن لابدّ من زوال دولتهم . وأرسل الباشا الى أصحاب الوجاقات بملازمة كل وجاق لبابه فوصل على بيك وأصحابه الى البساتين فلم يروا فيها أحدا وتسلل خليل بيك وحسين بيك وأصحابهما وطلعوا الى الابواب فوجودها مقفلة فرجعوا الى قراميدان وأقاموا بها ساعة ثم رجعوا على أعقابهم وقد خرج الكثير فى تلك الليلة من الامراء هاربين الى حيث على بيك وصالح بيك وفى مقدمتهم حسن بيك جوجو ومن انضم اليه من الامراء والاجناد وهرب خليل بيك شيخ البلد يومئذ وجميع أتباعه وأعوانه ومماليكه وحسين بيك كشكش وأتباعه وأعوانه وكانوا عدة كبيرة . وأصبح يوم الخميس فخرج الاعيان وغيرهم لملاقاة على بيك وصالح بيك ومن جاء معهما من الامراء فدخلا القاهرة فى ذلك اليوم ومعهما جميع الذين كانوا مبعدين ولبثا الى يوم الأحد ثم طلعا ومعهما باقى الامراء المبعدين والذين تخلفوا عن الذاهبين الى الديوان بقلعة الجبل فخلع الباشا على علىّ بيك خلعة الرضا وقرره شيخا للبلد وخلع على صناجقه خلع الاستمرار أيضا فى اماراتهم واستقر المنصب بعلى بيك فى امارة مصر ورياستها وظهر نبله وعلت كلمته حتى ساعدته الاقدار وملك الديار المصرية والاقطار الحجازية والبلاد الشامية كما سيأتى بيان هذا كله فى محله أن شاء اللّه تعالى .

وتاقت نفسه «وان النفس لأمارة بالسوء» الى الانتقام من بعض الامراء وأعيان البلد وتبعيدهم فرأى أن لاقبل له بذلك خوفا من حسن بيك جوجو وأنه

---

(١) البساتين : قرية قديمة جنوب القاهرة فى الطريق الى المعادى ، كانت تسمى بساتين الوزير .
● محمد رمزى : القاموس الجغرافى مجلد ٢ جـ ٣ ص٤ .

مادام حيا لايصفوله الحال فأخذ من هذا الحين يدبر على قتله وأطلع بعض خواصه على مافى سره فهوّنوا له الأمر وتعهدوا له بالعمل فلما كانت ليلة الثلاثاء ثامن رجب سنة احدى وثمانين[1] ومائة وألف حضر حسن بيك جوجو ومعه آخر اسمه على بيك جن وآخر اسمه محمد بيك أبو[2] الذهب وأيوب بيك الى بيت على بيك بلاط لزيارته فلبثوا عنده برهة من الليل يتحادثون ثم قام حسن بيك ومعه على بيك جن وركبا ومعهما الامراء المذكورون ونفر من أصحاب على بيك يسايرونهم وهم المتكفلون بالقتل فلما صاروا فى الطريق التى عند بيت الشابورى خلف جامع قوصون جردوا سيوفهم وطعنوا حسن بيك فقتلوه وقتلوا معه على جن وتركوهما ورجعوا فاخبروا على بيك بلاط بما جرى

---

(١) ٣٠ نوفمبر ١٧٦٧م .

(٢) محمد بك ابو الذهب : احد مماليك على بك الكبير غير المخلصين له وكان طامعا فى الجاه والمال رغم ثقة على بك فيه ، ويرجع بعض الكتاب قيام الحقد فيها ان والد على بك الكبير( عندما زاره فى مصر) رفض تزويج ابنته يوهود شقيقة على بك لمحمد بك ، وكان ابو الدهب من قواد على بك فى حملته على بلاد العرب التى انتصرت هناك كما كان ابو الدهب ايضا قائداً لحملة مصر على الشام سنة١٧٧٠ ، وبدأت البلاد هناك تسقط الواحدة تلو الاخرى ودخل الجيش غزة سنة ١٧٧١ وبعدها الرملة ونابلس والقدس ويافا حيث التقى جيشه بجيش حليفه ظاهر العمر واتجها نحو دمشق فى ابريل ١٧٧١ فاتحين صيدا .

تجمعت الجيوش التركية فى الشام تحت لواء عثمان باشا والى دمشق للدفاع عن سوريا ضد جيوش ابى الذهب ، ولكنها استسلمت له فى نوفمبر ١٧٧١ فاستولى على الشام واصبح الطريق مفتوحا أمامه الى جبال طوروس وشعرت تركيا بالخطر ودانت بلاد الشام لعلى بك الكبير فحاولت تركيا إثارة الفتنة بين قواد الجيش المصرى وبصفة خاصة محمد ابو الذهب ، ورشوه بصرة كبيرة من النقود الذهبية فأمر برفع الحصار عن دمشق ، وكان محمد ابو الدهب يحقد على على بك بالاضافة الى ايعاز الاتراك إليه بأنه لايليق به محاربة الخليفة أمير المؤمنين وانتهاك حرمة الحرمين والتحالف مع الكفار الاجانب ، فجعل يتقهقر بجيوشه رغم محاولا ت على بك وحليفه ظاهر العمر ، فقام على بك بتفسه على رأس جيش الى غزة وهزم الاتراك ١٧٧٢ واستولى على فلسطين ، وعاد الى مصر بين تهليل المصريين الا انه تقابل مع أبى الذهب واشتبكا معا وقتل على بك ١٧٧٣ ، وعندما وافقت تركيا على منحة درجة الباشوية وولاية مصر مكافأة له على قتل سيده ومات بالحمى فى ٨ يونيه ١٧٧٥

● نجيب توفيق : المرجع السابق ص ، ص٤٣ - ٥٢ .

فسرّ سرورا[1] عظيما وبات وأصبح على بيك المذكور مالكا لجميع الابواب لارادّ لكلمته ولايد فوق يده فلما صفا له الوقت ودانت له الامور أبعد كثيرا من الامراء والاعيان والوجهاء وشردّهم فى الاقاليم القبلية والبحرية وضيق على كل من كان يتوسم فيه سمه الانكار فخافه الناس وهابه الامراء وعمت شهرته واتسعت صولته وجعل يتصرف فى الامور كما يشاء . وبينما هو على هذا الحال من تتبع الخصوم وقطع دابر المخالفين اذ جاءه الخبر برجوع حسين بيك كشكش وخليل بيك من جهة غزة وهما فى جموع كثيرة للغاية وأخلاط من الجند والعسكر يريدون القتال والزحف على الديار المصرية فأكبر هذا الامر جدا وجيش لقتالهم جيشا ضخما للغاية فى البر والبحر واجتمع الفريقان عند الديرس والجراح من بلاد المنصورة وكان حسين بيك كشكش وأصحابه قد عرّجوا أولا الى دمياط فنهبوا وسلبوا شيأ كثيرا ثم حضروا الى المنصورة ففعلوا كذلك فلما التقى الجيشان واقتتلا انهزم أصحاب على بيك بلاط وانفشلوا وولوا راجعين وقتل منهم عدة كبيرة من الامراء والچاويشية ولم يزالوا فى هزيمتهم الى أن وصلوا دجوة فلما جاء الخبر بذلك اهتم له على بيك ونزل الباشا من قلعة الجبل وخرج الى قبة باب النصر خارج القاهرة

(١) يورد الجبرتى هذه الواقعة فى الجزء الاول ص ٣٠٦ على انه فى الثلاثين من نوفمبر عام ١٧٦٧م دعا على بك كلا من حسن بك وجن على بك الى وليمة ، ومع انتهاء السهرة عاد الأميران الى مقريهما فى صحبة محمد بك وخشداشة ايوب بك ، وخلال الطريق هجم المملوكان على رفيقهما وقتلاهما ، وفى اليوم الثانى استغل على بك الصدمة التى اصابت المجتمع المملوكى من جراء هذا الحادث وأمر بنفى اربعة من البكوات وعدد كبير من اتباعهم ، الذين كان من بينهم بعض اعضاء الأوجاقات العثمانية ، وبعد اشهر ثلاثة (اول مارس ١٧٦٨م) نفى حوالى ثلاثين ضابطا بما فى ذلك ثمانية عشر اميرا من أمراء بيت حليفه صالح بك كما اجرى على بك عمليات تطهير اخرى فى قواته

ويسرد الجبرتى فى جـ ١ ص ص ٢٥٩ -٢٦٠ أن على بك عندما سمع بعودة خليل بك وحسين بك كشكش الى مصر السفلى فى مايو ١٧٦٨م من غزة استصدر فرمانا من الحاكم ضدهما على انهما ضدان للدولة وحرمهما من كل حماية الدولة لهما

وجمع أمراء العُسكر كافة والعلماء وأرباب[١] السجاجيد ورسم أن كل من كان من الجند وأصحاب الوجاقات يبادر بالتأهب للخروج أو يخرج بدلا عنه واحدا واهتم كذلك على بيك بجمع العسكر وإعداد معدّات الحرب فجمع جيشا عظيما وسلم لواءه الى محمد بيك أبى الذهب فسار أبو الذهب من فوره والتقى بمن بقى من العساكر المتشردين فضمهم الى عسكره وسار بهم فى طلب حسين بيك وخليل بيك وكانا قد نزلا باقليم الغربية وساروا سيرا حثيثا يريدون القاهرة ليدخلوها فلاقتهم جيوش أبى الذهب بمدينة طنتدا[٢] وهم معسكرون فيها فأحاط أبو الذهب وعسكره بالمدينة من كل جانب فوقع الحرب بين الفريقين ولم يزل القتال قائما حتى فرغ ماعندهم من الذخيرة وقلت الازواد فأرسلوا الى أبى الذهب يطلبون الامان فأمنهم وبطل القتال وكاتبهم أبو الذهب وخادعهم وتعهد لهم باسترضاء على بيك فانخدعوا وانحلت عزائمهم وتفرقت كلمتهم وباتوا ليلتهم تلك على بساط الطمان . فلما كان ثانى يوم أرسل أبو الذهب الى حسين بيك كشكش يستدعيه الى معسكره ليتكلم معه فى أمر الصلح فسار اليه وليس معه سوى خليل بيك السكران أحد أتباعه فلما وصلا ودخلا مجلسه لم

---

(١) كان ارباب السجاجيد ينتمون الى عدة اسر هى اسرة الشيخ البكرى وتنحدر من أصلاب ابى بكر الصديق ، واسرة الشيخ السادات وتنتمى الى اسرة على بن ابى طالب واسرة الشيخ العنانى وتسلسل من عمر بن الخطاب واسرة الشيخ الخضيرى وترجع أصولها الى الزبير بن العوام

ولما فتح السلطان سليم الأول مصر أهتم بأمر ارباب السجاجيد اهتماما كبيرا ، ورتب لهم موارد رزق سخية ودائمة ، واعطاهم بلادا ومكنهم فيها ، وكانوا أعضاء فى ديوان القاهرة ، وكان الباشا العثمانى فى مصر وكبار موظفى الدولة يرجعون اليهم ، وكان معظمهم يجمع الى شرف المحتد غزارة العلم ، فيرجعون اليهم عندما تستغلق عليهم أمور ، للاسترشاد بآرائهم ، وكانوا يتلقون «التقادم» أى الهدايا من الباشا العثمانى عند تعيينه فى منصبه وقدومه إلى مقره ، وكانوا يصعدون إليه فى القلعة فى أول كل شهر عربى للتهنئة بحلول الشهر ، وكان يقدم لهم فى كل مناسبة على مدار السنة فراوى السمور وهو الرداء الرسمّى لمن يشغل كبرى المناصب وللشخصيات الكبيرة

●عبد العزيز الشناوى ( دكتور) : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، مرجع سابق جـ ١ ص١٥٠ .

(٢) طنتدا = مدينة طنطا الحالية .

بجداه فجلسا برهة لطيفة ينتظرانه واذا بجماعة من العسكر قد دخلت عليهما وضربتهما بالسيوف حتى ماتا وجاء فى أثرهما حسن بيك شبكة ولم يعلم بما جرى لأستاذه حسين بيك فلما اقترب من العسكر داخله الخوف وشعر برجفة فأراد الرجوع فعاقه رجل سائس اسمه مروزق وضربه بنبوت فوقع الى الارض فلحقه أحد الجند واحتز رأسه . وجاء الخبر الى خليل بيك الكبير ومن معه بما جرى على حسين بيك وأتباعه فخافوا خوفا عظيما وذهبوا الى ضريح السيد أحمد البدوى والتجؤا[1] الى قبره وأيقنوا أنهم لاحقون باخوانهم وأرسل أبو الذهب الى على بيك بلاط يستشيره فى أمر خليل بيك ومن معه فرسم بتبعيده الى الاسكندرية فقبض عليه وبعث به اليها فلم يلبث بها الا أياما وقتلوه خنقا ورجع أبو الذهب ومن معه ودخلوا المدينة من باب النصر فى موكب عظيم وأمامهم رؤس القتلى محمولة فى صوان من الفضة والخدم أمامها يقولون «صلوا على محمد» وكانت عدة تلك الرؤس ستا وهى رأس حسين بيك وخليل بيك السكران وحسن بيك شبكة وحمزة بيك واسماعيل بيك أبو مدفع وسليمان أغا الوالى وكان دخولهم على هذه الصورة فى يوم الجمعة سابع عشرى المحرم افتتاح سنة اثنتين[2] وثمانين ومائة وألف هجرية .

واشتد على بيك بلاط على من بقى من الامراء المخالفين وأبعد منهم عدة كثيرة الى الصعيد الاعلى وأخرى الى الاقطار الحجازية وقبض على أولاد سعد خادم ضريح السيد أحمد البدوى وصادرهم وأخذ أموالهم وكانت كثيرة وأبعدهم عن طنطا وأرسل آخر بدلهم اسمه الحاج حسن عبد المعطى وشرع فى

(١) التجأوا
(٢) ١١٨٢هـ = ١٧٦٨م / ١٧٦٩م .

بناء الجامع والقبة والسبيل والقيسارية[1] العظيمة وأبطل عنها مظالم أولاد الخادم والحمل والنشالين والحرامية والصيادين وضمان المومسات وغير ذلك من أنواع المغارم التى كانت مفروضة عليها وبلغ على بيك شهرة عظيمة وكبر اسمه فى دار السلطنة العثمانية فأرسل اليه السلطان هدية قفطانا وسيفا صحبة رسول مخصوص بمرسوم سلطانى فتقاطر الامراء لتهنئته ونزل الباشا الى بيته وتزاحمت على بابه أقدام المهنئين فداخل صالح بيك من ذلك بعض الحسد وآنس منه على بيك بعض الوحشة فأصرّ له علىّ بيك السوء وعزم أن يعجل به قبل أن تستفحل الوحشة فيعجل هو به وكاشف بعض رجاله على مايريده بصالح بيك فهوّن عليه الامر وتعهد له بالعمل فلما جاء صالح بيك الى بيت على بيك ليهنئه بهدية السلطان وقفل راجعا الى بيته ركب معه محمد بيك تابع على بيك وآخرون من الامراء أتباع على بيك وساروا فى ركابه وخلفهم بعض الجند والاتباع فلما صاروا فى مضيق الطريق عند المفارق بسويقة[2] عصفور تأخر محمد بيك ومن معه قليلا عن صالح بيك وصاح محمد بيك بخادمه ونهره وسبه وجرد سيفه بسرعة غريبة كأنه يريد قتله وطعن به صالح بيك فاخترط بقية من كانوا معه سيوفهم وضربوه فسقط عن جواده الى الارض ميتا وتركوه وصعدوا من فورهم الى قلعة الجبل فلما استقر بهم المقام أخذتهم نشوة الظفر بصالح بيك فجعلوا يتحدّثون فى أمر قتله ومافعله كل منهم وعابوا أحدهم أحمد

---

(١) القياسر : جمع قيسارية ، وهى السوق المسقوفة ، واطلقت ايضا على الخان والوكالة ، أى البناء الذى يحتوى على غرف ومخازن للتجار ، ويعلوه طباق للسكن بارتفاع دورين او ثلاثة أدوار

● د . سعيد عاشور : العصر المماليكى ، مرجع سابق ص ٤٤١ .

(٢) سويقة عصفور : فى شارع السويقة ويبتدئ من شارع الداودية تجاه شارع الحمزية وينتهى الى حارة عصفور بجهة القلعة .

● الجبرتى : عجائب الاثار ، المرجع السابق جـ١ ، ص٤٨٧ .

بيك[١] بشناق حيث لم يسرع فى اخراج سيفه وأحجم عن الطعن والضرب كما فعلوا هم فقال أنى ضربته كما فعلتم فكذبوه وقالوا أرنا سيفك أن كنت صادقا فلم يفعل وخاف أن يخبروا على بيك بلاط بما وقع منه فيقتله ثم انصرفوا وبات هو ليلته يدبر أمرا لخلاصه فلم ير له سبيلا غير الفرار الى أرض الله الواسعة وأصبح فأخبر زوجته بما عزم عليه وشدد عليها أن لاتخبر بخبره أحدا حتى يصل الى الاسكندرية ثم قام وتزيا بزى المغاربة وسار من ساعته وجدّ فى السير من ناحية شلقان[٢] فأتت السعاة وأخبرت على بيك بخبره فرسم لحاكم الاسكندرية بالقبض عليه فلم يتمكن من ذلك حيث كان قد نزل باحدى السفن القاصدة بلاد الروم وكان من أمره بعد ذلك ما كان مما سيذكر فى حينه وأحمد بيك هذا هو أحمد باشا الجزار[٣] الشهير الذى ملك عكا وتولى الشام وامارة الحاج الشامى وطار صيته فى الممالك شرقا وغربا فساء على بيك فراره وخشى عاقبة أمره .

---

(١) هو أحمد باشا الجزار وسيأتى تفصيل عنه .

(٢) شلقان : قرية قديمة ، وهى الآن تابعة لمركز قليوب محافظة القليوبية .

● الجبرتى : عجائب الآثار ، المرجع السابق ، ص٤٨٨ .

(٣) كان أحمد بوشناق الذى سمى فيما بعد أحمد باشا الجزار يعمل حلاقاً فى بلدته بالبوسنة وجاء إلى مصر ضمن حاشية على باشا الحكيم (١٧٤٠-١٧٤١) والى مصر ، ثم خدم صالح بك القاسمى حليف على بك أيام نزاعه مع حسين بك كشكش وخليل بك السكران وغيرهما فى عام ١٧٦٧ ، وصحبه إلى الحج ، ثم انضم إلى عبد الله صنجق البحيرة ، ثم عمل حاكماً لإحدى القرى هناك بعد مقتل عبد الله ، ثم التحق بخدمة على بك الكبير ، فعينه قائداً للشرطة فى القاهرة ومنحه البكوية ، ولما استتب الأمر لعلى بك بعد تخلصه من أعدائه كلف مملوكيه محمد أبو الدهب وأحمد بوشناق بقتل حليفه صالح بك الذى كان قد بقى منافساً لعلى بك ، لكن أحمد بوشناق رفض أن يشارك فى هذا العمل ، مما اضطره إلى هجر مصر إلى الإستانة ثم إلى بيروت حيث احتمى بالأمير يوسف الشهابى فى دير القمر .

ومن هناك وصل إلى إمارة عكا فى الشام وحصرها ، ويصفه الجبرتى «بالشهير بالذكر ، الذى تملك عكا وتولى الشام وإمارة الحج الشامى وطار صيته فى الممالك» .

● دانيال كريسيليوس : جذور مصر الحديثة ترجمة د . عبد الوهاب بكر ، ص ص١٥٣ ، ١٥٤ ، الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ١ ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص٤٨٨ .

واتسعت كلمة على بيك وكبرت هيبته فسقطت حرمة محمد[1] باشا الوالى فى جانب حرمته وذهب اعتباره وصار مغلوبا على أمره ليس له من الولاية سوى الاسم فخاف على نفسه وأخذ يدبر على قتل على بيك وأعمل فى ذلك جهده وكاشف كتخداه عبد الله بيك بما فى خاطره فلم يكتم سره بل أعلم على بيك به وكشف عما ينويه له محمد باشا فلما علم على بيك بذلك أصبح فملك الابواب والرميلة وحوالى قلعة الجبل والمحجر[2] وأرسل الى الباشا يلزمه بالنزول من القلعة فنزل من باب الميدان الى بيت أحمد بيك كشك ولبث فيه محجورا عليه تخفره العسكر وتولى على بيك النيابة وجعل يتصرف فكثرت مصادرته للناس فى أمواله ومتاعهم بلا فرق ولاتمييز فكانت هذه السنة السيئة من مبتكراته من يوم نشأته ثم صارت سنة لمن يأتى بعده . وتاقت نفسه بعيد ذلك الى الولاية على الشام أيضا فعمل على ذلك وهيأ هدية نفيسة للغاية وخيولا مصرية جيادا وبعث بها الى السلطان وبعض رجال الدولة وكتب يشتكى من عثمان بيك ابن العظم والى الشام ويطلب من دار السلطنة عزله لقبوله المنفيين من أمراء مصر وانضمامهم اليه والاخذ بقولهم فى جميع أعماله وبالغ فى الشكوى واستفاض الخبر بذلك فى القاهرة ومصر وعلم محمد باشا الوالى به فكان يتحزن ويتوجع ولاقبل له على عمل شئ ومازال على هذا الحال من الحجر والضيق حتى مات فى المحرم افتتاح سنة ثلاث وثمانين[3] ومائة وألف هجرية بقصر عبد الرحمن كتخدا بشاطئ النيل حيث كان مسجونا لم يخرج منه منذ أنزل من قلعة الجبل وقيل كان موته مسموما فدفن بالقرافة الصغرى عند مدفن الباشاوات بالقرب من الامام الشافعى ولم يحتفلوا بجنازته .

---

(١) حرمة = كرامة.

(٢) المحجر : بالقرب من القلعة ، حالياً هو الشارع الذى بجانب سور القلعة ، ويصعد إلى دار المحفوظات العمومية بالقعة ، وكانت المنطقة كلها تعرف بالمحجر .

● (الدرة المصانة ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص٢١) .

(٣) ١١٨٣هـ = ١٧٦٩م .

واجتمع الامراء المبعدون الى الاقاليم القبلية على اختلاف درجاتهم بشيخ العرب همام لعله يعاونهم على العود الى ديارهم فأشار عليهم بالترفع الى أسيوط وأخذها عنوة وأن يقيموا بها ولم يسمح لهم بالمقام عنده خوفا من على بيك بلاط ووفاء بما بينهما من العهد فارتحلوا جميعا من عنده وترفعوا نحو أسيوط وكانوا عدة كبيرة واجتمع عليهم أيضا طوائف الهوارة وأخلاط من الناس ممن لاشاغل لهم وكان بمدينة أسيوط فى هذا الحين من قبل على بيك بلاط عبد الرحمن كاشف وذو الفقار كاشف وقد رمموا أسوار البلد وحصنوها تحصينا عظيما فلما وصلوا اليها ووجدوها على هذه الحال من المنعة والتحصين جعلوا يتلصصون الى أن اتصل قوم منهم فى جنح الليل ببوّابة البلد ومعهم خرق ملوثة بالقار والكبريت والزيت وأوقدوا فيها النيران فاشتعل الباب فهجموا على المدينة هجمة رجل واحد فلم يكن لهم بهم طاقة لكثرتهم وملكوا أسيوط وتحصنوا بها وهرب من كان فيها من العساكر والكشاف وجاءت الاخبار بذلك الى على بيك فهاله الامر واستعظمه وجيش لهم جيشا عظيما وسيره مع ابراهيم بيك بليفيه ومحمد بيك أبو شنب وعلى بيك الطنطاوى وبالغ فى ارسال الذخيرة[1] والميرة وغيرها فلما صاروا على مقربة من أسيوط خيموا عند جزيرة منقباط[2] وعلم من بأسيوط بحضورهم فخافوا وتشاوروا فى الامر فاتفقت كلمتهم على أن يركبوا ليلا ويدهموا عسكر على بيك فركبوا فى ساعة معلومة بينهم وسار بهم الدليل فى طوق الجبل فضلّ بهم وأسرى واياهم حتى تجاوزوا المكان المقصود بنحو الساعتين فخافوا وعلموا فوات الوقت وأن القوم متى علموا بخروجهم ملكوا المدينة من غير ممانع قبل رجوعهم فما وسعهم الا الذهاب الى المعسكر ومصادمتهم على أى حال كان فلم يصلوهم الا بعد طلوع الشمس وتيقظ القوم

---

(١) الميرة : الذخيرة والمآكل والمشرب للجنود ، ومايعد ايضا للحجاج الى بيت الله من اطعمه للطريق .
● (أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ص١٧٤) .
(٢) منقباط = منقباد وهى احدى مدن محافظة اسيوط .

واستعدّوا لهم والتطموا معهم وهم قليلون فوقع القتال واشتد الجلاد وبذلوا جهدهم فى الطعن والضرب وبرز رجل منهم يريد محمد بيك أبو شنب فبرز له محمد بيك وهو يقول لبيك هاأنا هاأنا فقصده جماعة منهم وقاتلوه وقاتلهم حتى قتل وحمى الوطيس وكثر الصياح وارتفع الغبار وانكشف عن هزيمة أهل الثورة ونصرة أصحاب على بيك وكانت هذه الوقعة الهائلة عند جبانة مدينة أسيوط فتمزقوا وتفرقوا أيدى سبأ ثم عاد من بقى وانضم الى كبار الهوارة وملك أصحاب على بيك مدينة أسيوط واحتلوها ولبثوا بها أياما ثم ترفعوا لقتال شيخ العرب همام وكبار الهوارة[1] ومن انضم اليهم من المهزومين[2] فاتحد كبار الهوارة مع الامراء المهزومين واستعدوا للقاء عسكر على بيك فراسل محمد بك اسماعيل أبو عبد الله ابن عم همام واستماله ومناه ووعده برياسة الصعيد عوضا عن عمه همام ان هو خذل قومه وتخلى عن القتال معهم ومازال به حتى ركن لقوله وصدق تمويهاته وتثاقل عن القتال وخذل قومه ومن كان معهم من الامراء فانفشلوا وتمزقوا كل ممزق وخاف شيخ العرب همام شر العاقبة فارتحل عن فرشوط[3]

---

(١) الهوارة احدى القبائل العربية التى كانت قد هاجرت الى الغرب ثم وردت الى مصر واستقرت فى صعيدها حوالى القرن ١٤م وكان نفوذهم مميزاً من قوص جنوبا الى البهنسا والفيوم شمالا ، ومع تزايد نفوذهم أصبحوا الحكام الفعليين للوجه القبلى ، وقاوموا كل حملة حاولت القضاء على نفوذهم ، وكان زعيمهم شخصية قوية وذا نفوذ ، ظل حتى القرن الثامن عشر وكان يعطى حق اللجوء للمماليك الفارين ويحميهم ، وسيطر على معظم موارد الصعيد ـ وقد سبق الحديث عنه ـ حسام عبد المعطى : العلاقات المصرية الحجازية القاهرة ٢٠٠٢ ص ص٨٧ ، ٩٧ ـ ليلى عبد اللطيف (د) : مرجع سابق ٤٠٥ ـ ٤٠٦ .

(٢) كان وجود عدد كبير من البكوات المماليك المنشقين فى الصعيد يشكل تهديداً خطيرا للإدارة والنظام فى القاهرة ، كما كان ينذر بحدوث نزاعات اخرى داخل كيان المماليك ، ونتيجة لجهود شيخ العرب همام الكبير زعيم الهوارة التى كانت تسيطر على وادى النيل من اسيوط الى اسوان تصالح على بك وحزبه مع المنفيين الاخرين من بقايا البيت القاسمى ، وشرع على بك وصالح بك زعيم المنفيين الذين ضما قواتهما معا فى القيام بمناورات ضد النظام فى القاهرة

● دانيال كريسيلبوس : جذور مصر الحديثة ، مرجع سابق ص١١٢ .

(٣) فرشوط : قرية قديمة تقع غربى النيل ، وهى الان قاعدة مركز فرشوط محافظة قنا .

● محمد رمزى : القاموس الجغرافى جـ٤ ص١٩٧ ـ ١٩٨ .

وانحدر على بعد ثلاثة أيام منها ثم مرض أياما قلائل ثم مات كمداً وحزنا على ماجرى وسار محمد بيك بالجند الى فرشوط فدخلها من غير ممانع ونهب مافيها وأخذوا جميع ما كان بدور همام وأقاربه وأتباعه من ذخائر وأموال وغلال فزالت دولة همام المذكور من الاقاليم القبلية من ذلك الحين ثم سار محمد بيك بعد ذلك من فرشوط يريد القاهرة فحضر اليه درويش ولد همام بعد موت أبيه مستجيرا فأحضره معه الى القاهرة فلبث بها أياما حتى رضى عنه على بيك وأعاده الى فرشوط تحت عهود عاهدها له قبل السفر . أما محمد بيك أبو الذهب فانه لم يلبث بالقاهرة الا أياما قلائل بعد عودته ظافرا منصورا حتى وقعت بينه وبين أستاذه على بيك[1] وحشة فخرج منها مغضبا الى الاقاليم القبلية ولحق بدرويش بن همام وأقام عنده فخلت البلاد شرقا وغربا لعلى بيك ومماليكه واستتبت كلمته وعمت الآفاق شهرته وتفرغ لقطع شأفة المنفيين فى الثغور كدمياط ورشيد والاسكندرية والمنصورة وغيرها ووكل جماعة من قومه بذلك فكانوا يذهبون الى تلك الجهات واحدة فواحدة فيقيمون بها أياما ويقتلون من بها من أولئك المبعدين خنقا ثم ينتقلون لغيرها حتى أفنوهم ولم يبقوا منهم أحدا وخاف الناس على بيك خوفا عظيما فاتفق أنه دخل يصلى يوما بجامع الداودية[2] فصعد خطيب الجامع وخطب ثم دعا للسلطان ولعلى بيك بالنصر والتأييد فلما انقضت الصلاة وقام على بيك يريد الانصراف استدعى الخطيب وقال له من أمرك بالدعاء باسمى على المنبر أقيل لك انى سلطان وكان

---

(١) كانت العلاقات بين محمد بك ابو الدهب وسيده على بك الكبير آخذة فى السوء لدرجة أن فكر ابو الذهب فى قتله عدة مرات ، فمرة يعرض على على بك الطنطاوى ، أحد اشد مماليك على بك اخلاصا له مائتى كيس ليقتل على بك اثناء لعب الشطرنج معه ، ومرة أخرى يأمر أخته التى أمرها زوجها محمد بك بدس السم له فى القهوه عندما يأتى لزيارتها ، وفى كلتا الحادثتين لازمه الفشل إذ فى الأولى أبلغ طنطاوى سيده بالواقعه وفى الثانية طلبت الاخت من على بك الا يزورها

● دانيال كريسيليوس : المرجع السابق ص ص ١٢١ ، ١٢٢ .

(٢) جامع الداودية : بشارع الداودية تجاه شارع الحمزيه بجوار سويقة عصفور .

● الجبرتى : عجائب الاثار جـ١ ، ص٤٨٧ .

الخطيب يغلبُ عليه البله فقال نعم أنت سلطان وأنا أدعو لك فأظهر على بيك الغيظ وأمر به فضربوه بالعصى وتركوه فركب حمارا لشدّة ما أصابه من الضرب وسار الى بيته وهو يصيح فى الطريق «بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ» وأكثر من الصياح على هذا الحال فتبعه العامة الى أن دخل بيته فلما علم على بيك بذلك خاف العاقبة فأرسل الى الشيخ كسوة سنية وبعض دنانير واستعطفه لما وقع منه . وبعد أيام جاء الخبر بولاية الوزير محمد باشا الاورفلى بدلا من محمد باشا راقم الذى مات كما تقدم القول فحضر على البرفى أبهة وكبكبة عظيمة وقصد الى قلعة الجبل وذلك فى أواخر سنة اثنتين وثمانين[1] ومائة وألف هجرية وجعل يتصرف بقدر الاستطاعة الى سنة ثلاث وثمانين ثم عزل وتولى بعده الوزير أحمد باشا فأتى من الاقطار الحجازية الى السويس بالقلزم ودخل القاهرة فى موكب حافل وهو متوعك ولم يصعد قلعة الجبل وسكن بدرب[2] الحجر أشهرا ثم اشتد به مرضه فمات فى السنة المذكورة .

مطلب ولاية محمد باشا الاورفلى ثم عزله وولاية الوزير أحمد باشا

واشتدت رغبة على بيك بلاط فى الغزو وفتح المدن والامصار لاسيما الديار الشامية والحجاز وقد تقدم القول انه كتب الى دار السلطنة يشتكى من ابن العظم ويرميه بالسوء فكانت رسله لاتنكف عن استطلاع اخبار الشام والحجاز وكان يتمنى لو أن اللّه ييسر له فتحهما فبينما هو على هذا الحال بين الرجاء والتمنى واستطلاع أخبار تلك الاصقاع اذ قدم الى القاهرة فى المحرم افتتاح سنة أربع وثمانين[3] ومائة وألف هجرية الشريف عبد اللّه من أشراف مكة وكان من أمره أنه وقع بينه وبين ابن عمه الشريف أحمد أخى الشريف مساعد منازعة فى امارة[4] مكة بعد وفاة الشريف مساعد فتغلب على الشريف أحمد واستقل

(١) ١١٨٢ هـ = ١٧٦٨م .
(٢) درب الحجر بالقلعة : جنوب قلعة الجبل فى داخل الجبل .
(٣) ١١٨٤هـ = ١٧٧٠م .
(٤) امارة مكة كانت تحت سلطة أمير مكة الذى كان يلقب احيانا بالملك او السلطان .

بالامارة وخرج الشريف عبد اللّه هاربا الى دار السلطنة مستنجدا فرسم السلطان الى على بيك بلاط بمساعدته واعادة الامارة اليه كما كانت فأنزله على بيك منزلا رحبا وأكرم وفادته وفرح فرحا عظيما ورتب له المرتبات من مأكول ومشروب وأمر بتجهيز الذخائر ومعدات الحرب وملأ بيوت الأمراء الذين قتلوا بالذخيرة وآلات القتال والمؤن واستعرض أصناف العسكر من ترك ومغاربة وشوام ومتاولة ودروز وحضارمة ويمانية وسودان وحبشان ودلاة(١) وغير ذلك وأرسل معهم طوائف فى المقدمات وأنزل المشاة منهم الى القلزم فى السفن وسار بقية الجند فى صفر من السنة بعد دخول الحاج فى تجمل زائد وكبكبة عظيمة ومعهم محمد بيك أبو الذهب وبعض كبار الأمراء وسار معهم الشريف عبد اللّه وقد ودعه على بيك وطيب نفسه فلما التقى الجمعان اقتتلا قتالا عنيفا على الينبع(٢) فانتصر المصريون على العرب نصرة مؤزرة وهزموهم شر هزيمة وقتلوا خلقا كثيرا من الاشراف وقتلوا وزير الينبع العامل عليها من قبل الشريف ثم سار محمد بيك بعسكره حتى اقتربوا من سواد مكة فخرج عليهم قوم الشريف أحمد وأصحابه فقاتلهم وانتصر عليهم ودخل مكة عنوة فخرج الشريف(٣) منها هاربا فأباحها ثلاثة أيام فنهبوا مافيها ونهبوا بيت الشريف وبيوت أصحابه وأخذوا شيأ كثيرا

---

(١) الدلاة : هم جنود الكشافة وكلمة دلى اختصار لكلمة دليل العربية ، وكان جنود الدلاة والكشافية والبشليات يجندون محليا وتدفع رواتبهم من الايرادات المحلية التى كانت تخصص دائما لحاجات قلاع الحدود ، وكانت قيادتهم لضابط اطلق عليه سرجمه ، وكانوا عديمى النظام .

● تاريخ وقايع مصر القاهرة المحروسة المرجع السابق ص١٥٣ .

(٢) الينبع = ينبع وسميت كذلك لكثرة ينابيعها الجارية وهى غرب المدينة المنورة .

● تاريخ وقايع مصر القاهرة المحروسة المرجع السابق ص ٢٣٣ .

(٣) ترجع رغبة على بيك بلاط فى الغزو الى محاولاته الاستقلال بمصر عن الدولة العثمانية ، ومخابرته فى سبيل ذلك مع قائد الدونانمة الروسية بالبحر المتوسط ليمده بالذخائر والاسلحة حتى يتم له ذلك ، ولذلك امكنه فتح غزة ونابلس واورشليم ويافا ودمشق ، وكان يستعد لدخول الأناضول لولا انشقاق محمد ابو الذهب عليه فعاد لمحاربته فى مصر وهزم ، وكان يساعده الشيخ ظاهر حاكم عكا من قبل الدولة العثمانية وكان هو الآخر قد استأثر بها وكان هذا هو السبب فى توجهه الى بلاد العرب .

● (محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، المرجع السابق ص٣٣٩)

للغاية من متاع وأوان وجواهر وحلى ونفائس وغير ذلك وأجلس الشريف عبد اللّه فى منصب إمارة مكة وولى حسين بيك أحد الامراء المصريين على ولاية جدّة عوضا عن واليها من قبل الدولة وأقام أبو الذهب أياما بمكة حتى استتب قدم الشريف عبد اللّه ثمّ سار بعسكره يريد القاهرة ووصلت الاخبار بذلك فخرج لملاقاته الملاقون بالعقبة فلما جاء الخبر بوصوله إليها خرج الأمراء الى بركة[1] الحاج والدار الحمراء لانتظاره فدخل فى أوائل شهر رجب من السنة وقدم القاهرة فى ثامنه فى موكب عظيم للغاية وأتى اليه العلماء وأعيان البلاد وقصده الشعراء بالقصائد والتهانى فعلت شهرة على بيك بالاقطار الحجازية وطار صيته فى الآفاق . ولما تكامل ورود عسكره من غزوة الحجاز عزم على أن يوجه بهم لغزو الشام فبدأ بأن أرسل يمهد الطرق أمامهم وكان بغزة شيخ لعربانها اسمه طيط طاغية شديد المراس وكان يكره على بيك ويتمنى خذلانه وزوال دولته فسير اليه على بيك رجلا من أعوانه اسمه عبد الرحمن أغا ورسم له بقتله فسار الى غزة فى نفر من الجند ولم يزل يتحيل حتى ظفر به وقتله هو واخوته وأولاده وقد كان عقبة كبرى فى طريق الشام ثم استكثر على بيك من جمع طوائف الجند واعداد معدات القتال والمؤن والذخائر وجيش جيشا ضخما وسلمه الى اسماعيل بيك ومعه عدّة من الامراء فبرزوا الى العادلية بالآلات والاحمال والخيام وأقاموا بها أياما ثم ارتحلوا الى الشام وسار خلفهم جيش آخر بحرا ومقدمه سليمان بيك والتقى الجمعان فقامت الحرب على ساقها بين الطرفين واشتدت وحمى وطيسها

---

(١) قرية كانت تقع شمال شرق القاهرة بنحو خمس ساعات فى ذلك الوقت وقد عرفت ببركة الحج لنزول الحجيج بها عند سفرهم وعودتهم وكان بها نخيل وفسقية للمياه . وهى الآن من نواحى شبين القناطر محافظة القليوبية ونتيجة لضخامة الأعمال التجارية التى تتم بها فقد حولتها الدولة الى مقاطعة إلتزام يلزم بها أحق آلأمراء وأشهرهم الأمير يوسف كتخدا البركاوى . وكان إسمها القديم جب عميرة . وقد عرفت بالبركة بسبب انخفاض أرضها عن منسوب الأراضى الزراعية المجاورة .

- حسام عبد المعطى ، مرجع سابق ، ص١٠٣ ، حاشية ٣٠٣ وص٢٤٤ ، حاشية ٧٩ .
- رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق٢ ، جـ ١ ، ص٣١ .

فتابع على بيك ارسال المدد من جند وسلاح ومؤن وذخيرة فى البر والبحر حتى نفد ماعنده والطلب متواصل فعمد الى مصادرة الناس وأخذ أموالهم بأرذل الطرق وأخس الوسائل وفرض على القرى أموالا وقرر على كل طائفة مائة ريال وثلاثة ريال حق الطريق فضج الناس وتعطلت أسباب الرزق وهاجر البعض وطلب من قبط مصر مائة ألف ريال ومن يهودها أربعين ألفا وضيق وشدد وهدد وبالغ فى الوعيد فأخذها جميعها .

وسير بعد ذلك جيشا آخر كامل العدد والعدد الى يافا فحاصرها وضيق عليها ومازال منع الواصل اليها متتابعا حتى فتحت وأخذت عنوة ثم ركبوا على باقى المدن والقرى وقاتلوا من بها من النواب والولاة وهزموهم ففروا من وجوههم واستولى المصريون على جميع الديار الشامية الى حلب وطار صيت على بيك وملأ الآفاق فداخله الغرور وتاقت نفسه الى الغزو والفتوح فأرسل الى محمد بيك أبى الذهب يأمره بتولية الامراء الذين معه المناصب والولايات على البلاد التى ملكوها وأن يستمر على الغزو والفتوح ويتجاوز الحدود ويستولى على كل مايصادفه من الممالك والبلدان الى حيث شاء اللّه وهو يتابع ارسال المدد اليه من مال ورجال فجمع أبو الذهب من معه من الامراء والاقران وكبار الجند وشاورهم فى الامر أخبرهم بما يريده على بيك فاختلفت كلمتهم وتفرّقت أغراضهم وطال الجدال بينهم ثم اتفقوا على الرجوع بجميع العسكر الى مصر وتحالفوا على أن يكونوا على قلب رجل واحد وساروا من يومهم فجاؤا القاهرة فى رجب من السنة ودخلوها على خلاف مارسم به على بيك فساءه فعلهم واستعظمه جدا وبقى الأمر على السكوت أياما ثم تكلم على بيك مع أبى الذهب فى أمر رجوعه الى الديار الشامية لفتح كل ماتيسر له فتحه من مدنها وأمصارها وشدد عليه فى ذلك فأظهر محمد بيك عين السخط وعدم الرضا وعارض فى الأمر كثيرا فصمم على بيك وقال لابدّ من السفر فبدأت بينهما

الوحشة باطنا من هذا الحين وأخذت فى الازدياد يوما عن يوم وجعل كل يراقب الفرص ويتبين وجه الانتفاع بها . فلما كانت ليلة الرابع من شوّال من السنة دس على بيك بلاط الى على بيك[1] الطنطاوى وآخرين معه أن يغتالوا محمد بيك أبو الذهب ويقتلوه على كل حال فركبوا عليه فى تلك الليلة وأحاطوا بداره ووقفت العساكر بأسلحتها فى الطريق فلما أحس محمد بيك بحضورهم ركب من فوره وخرج من بينهم راكبا والسيف بيده وخلفه خواصه وبعض الاتباع وذهب الى البساتين ثم ارتحل منها الى الصعيد وعلم من بالأقاليم القبلية من الأمراء المبعدين بحضوره على هذا الحال فساروا اليه وقدموا له ماعندهم من مال ورجال وقدم له أيوب بيك أحد رفاقه هدايا من خيل وأقمشة وخيام وغيرها وقد وضع محمد بيك المذكور بالطريق عيونا وأرصادا لتأتى له باخبار القادمين عليه من مصر فاحضروا له يوما رجلا يحمل مكاتبة من على بيك بلاط الى أيوب بيك يأمره بها ويستحثه على سرعة قتل أبى الذهب على أى حال كان ويعده بامارته وبلاده وغير ذلك فلما قرأ المكاتبة أكرم الرجل وناوله اياها وقال له اذهب وائتنى بجوابه ولك عندى غاية الاكرام فذهب الرجل وغاب ثم عاد بالجواب وناوله الى محمد بيك فقرأه فاذا هو يذكر فيه أنه باذل ما فى الوسع وهو يراقب الفرص لينتهزها فتحقق محمد بيك خبث طوية أيوب بيك فجمع اليه خاصته وأمراءه وأعلمهم بالخبر وأمرهم بالاستعداد والتأهب وأنه اذا حضر أيوب بيك جلس معه فى خلوة فقال له أبو الذهب بدا لى أن أسألك هل نحن مقيمون على الاخاء والمصافاة والصداقة والعهد الذى تعاهدنا عليه بالشام قال نعم وزيادة قال ومن نكث وخان اليمين ونقض العهد قال يقطع لسانه الذى حلف به ويمينه التى وضعها على المصحف فقال له بلغنى أنه أتاك كتاب من عند أستاذنا على بيك فقال لا فقال لعل ذلك صحيح وقد كتبت له الجواب أيضا قال لم يكن

(١) لعل على بك الطنطاوى فى هذه الحادثة يريد الانتقام لسيده على بك من ابى الذهب الذى كان يريد ان يستخدمه اداة لقتل على بك كما سبق وذكرنا .

ذلك أبدا ولو أتانى منه خطاب لأطلعتك عليه ولايصح أن أكتمه عنك أو أرد له جوابا فأخرج له الجواب وإستحضر له ذلك الرسول فسقط فى يده وأخذ يتنصل ببارد العذر فقال له أبو الذهب لايصح أن تكون من رفاقى فقم واذهب الى أستاذك واهنأ به فلما خرج قبضوا عليه وأنزلوه الى مركب وأحاطوا بوطاقه وأسبابه فتفرقت عنه جموعه ثم أمر محمد بيك أحد رجاله فذهبوا وقطعوا يده ثم وضعوا صنارة فى لسانه وجذبوه ليقطعوه كما حكم هو بذلك فأفلت منهم ورمى بنفسه الى الماء فغرق ومات فأخرجوه وغسلوه ودفنوه .

ولما فاض الخبر بما وقع لايوب بك تحقق الناس استفحال الوحشة بين أبى الذهب وأستاذه على بيك وأقبل الامراء والاجناد المنفيون اليه ودخلوا تحت لوائه واجتمع اليه جميع اتباع القاسمية والهوارة الذين شردهم على بك وسلب نعمتهم فأكرمهم وأنعم عليهم وواساهم وقلدهم الخدم[1] والمناصب فتقيدوا بخدمته وبذلوا جهدهم فى طاعته وأخلصوا له النية فلما وردت الاخبار بذلك الى القاهرة نزل بعلى بيك بلاط من القهر والغيظ المكظوم مالا يوصف وجعل يجيش الجيوش ويعد المعدات وسير اسمعيل بيك أحد اتباعه بجيش عظيم فى البر والبحر وذلك فى أواخر ذى القعدة من السنة فلما التقى الجمعان لم يقع بينهما من القتال الا شئ خفيف جدا ثم انضم اسمعيل بيك باكثر جنده الى جند محمد بيك وصاروا جميعا على قلب رجل واحد فاشتد الامر بعلى بيك ولاحت عليه لوائح الغم وكاد يموت قهرا وغما وعاد الى جمع العساكر والاكثار من السلاح ومعدات الحرب وسير سبعة من الصناجق قال أحد الكتاب وكلهم مزلقون أى مترفهون متنعمون وضم الى كل منهم عساكر وطوائف ومماليك وأتباعا وبرز بنفسه الى جهة البساتين ورسم بعمل المتاريس من النيل الى طريق الجبل ووضع عليها المدافع وسارت العساكر ومعها على بيك الطنطاوى وبقية

(١) الخدم بكسر الخاء وفتح الدال بمعنى الوظائف

الامراء فى منتصف المحرم افتتاح سنة ست وثمانين[1] ومائة وألف فالتقى الجمعان فى الطريق حيث كان أبو الذهب وقومه منحدرين الى القاهرة واقتتلا عند بياضة أمام بنى سويف ووقعت بينهما مقتلة عظيمة انجلت عن هزيمة عسكر على بيك فساق أبو الذهب خلفهم بأصحابه وهم يمانعون عن أنفسهم حتى عبروا النيل ووصلوا الى دير الطين[2] وكان على بيك بلاط مقيما به فلما رأى أصحابه مقبلين على هذا الحال من الهزيمة والفشل اشتد قهره وتحير فى أمره ولكنه أظهر التجلد وأمر بالاستعداد وترتيب المدافع وأقام الى الغروب على هذا الحال وقد تفرقت عنه عساكره من المغاربة وغيرهم ووصل محمد بيك الى شاطئ النيل المقابل لدير الطين ونصب صيوانه وخيامه تجاه صيوان وخيام على بيك فنظر اليها على بيك وقلبه يحترق بنار الغيظ ثم ركب عند الغروب ودخل من باب القرافة وطلع الى باب العزب فلبث برهة من الليل ثم نزل الى بيته وقد عقد النية على الفرار فحمل أحماله وأمواله وعياله وخرج سائرا الى الشام وذلك فى ليلة خامس عشرى المحرم افتتاح سنة ست وثمانين وسار معه على بيك الطنطاوى وجميع صناجقه ومماليكه وأتباعه وطوائفه . وأصبح يوم الخميس سادس عشرينه فعلم محمد بيك أبو الذهب بخروج على بيك ومن معه فعبر محمد بيك النيل الى الجانب الشرقى وأمر فأوقدوا النار فى دير الطين ودمروه تدميرا بعد نهبه ثم دخل المدينة بلا ممانع ونادى أصحاب الشرطة على أتباع على بيك بلاط بأن لا يأويهم أحد فكانت مدة غيبة محمد بك عن مصر سبعين يوما . فلما استقر به المنصب أرسل فقتل عبد اللّه كتخدا الباشا ونادى

---

(١) ١١٨٦هـ = ١٧٧٢م

(٢) دير الطين : هى قرية اسمها القبطى Bmonasrerion Biom ومعناها دير الطين وهى قريبة من الفسطاط ومتصلة ببركة الحبش وورد فى كشف الأسقفيات أن هذا الدير كان للرهبان الحبش المنسوبة إليهم البركة - ويقال أن السبب فى التسمية بناء الدير فى أول أمره بالطين (الطوب اللبن) بدلاً من الطوب الأحمر ، وهى إحدى نواحى محافظة الجيزة ، وتعرف حالياً باسم «دار السلام» تابعة لمحافظة القاهرة .

● الجبرتى ، مرجع سابق ، نفسه ، جـ١ ، ص٤٣ ، حاشية ٧ ، وجـ٣ ، ص١٥٩ ، حاشية ١ .

● رمزى ، محمد ، مرجع سابق ، ق٣ ، جـ٣ ، ص١٤ .

بابطال السكة التى كان ضربها على بيك باسمه وكانت قروشا وأنصاف قروش وكلها من النحاس قد صنعها المعلم رزق[1] أحد قبط مصر وجعل يتصرف فى الامور وينظر فى مصالح البلاد ويعطى المناصب ويفرق الوظائف وغير ذلك . وبينما هو على هذا الحال من النقض والابرام اذ جاءه الخبر بخروج على بيك بلاط من الشام فى جيش عظيم يريد قتال محمد بيك فتهيأ محمد بيك للقائه وبرز بخيامه جهة العادلية ونصب صيوانه فأقام يومين حتى تكامل خروج العسكر وجاء الخبر بوصول علىّ بيك بجنوده الى الصالحية[2] فارتحل محمد بيك فى خامس صفر سنة سبع وثمانين ومائة[3] وألف هجرية فى جيش عظيم للغاية فالتقيا بالصالحية واقتتلا قتالا عنيفا جدا فكانت الدائرة على علىّ بيك وأصحابه واصابته جراحة فى وجهه فسقط عن جواده فاحتاطوا به وحملوه إلى

---

(١) المعلم رزق : هو رزق الله شكر الله (١٧٦٣ ـ ١٧٧٢) كان سكرتير الضربخانة المصرية (دارسك العملة) أيام على بك الكبير ، ورقاه على بك الى مدير حساباتها ، وكان للمعلم رزق درايه كبيرة بالعلوم وبخاصة علم الفلك ، فكان بذلك مسموع الكلمة فى بلاط على بك ، وكان يعول عليه فى كثير من الأمور

وحدثت أيامه فتنة طائفية استطاع أن يحتويها ، بأن كان فى دمياط تاجر مشهور اسمه الحاج عمر بن عبد الوهاب الطرابلسى حصلت بينه وبين احد التجار الاقباط مشادة اتهمه فيها الحاج عمر بسب الدين ، وأقر العلماء هناك بحرقه ولكن كبار الاقباط وعلى رأسهم المعلم رزق توسطوا له فعفى عنه ، الا أنه غضب عليه على بك بعد ذلك فصادر أمواله ونفاه من البلاد رغم مساعدة الاقباط والمعلم رزق ، ويرجع اقتناع على بك بالمعلم رزق الى معرفة الأخير لاسراره الخاصه عن طريق التنجيم الذى كان يجيده ، وكان بذلك يحظى بمرتبة اجتماعية عالية لدرجة أنه لم يكن يقف أو يترك مكانه إذا زاره أحد البكوات وانما كان يستقبلهم بطريقة عادية فكان هذا المسلك يغيظ محمد بك أبو الدهب .

كما ان التقارير القنصلية اشارت الى ان شيئا لم يكن يتم انجازه قبل دفع رشوة ضخمة للمعلم رزق .

وكان المعلم رزق متعاطفاً مع البنادقة اكثر من الفرنسيين لفرق الاكراميات التى كانوا يدفعونها له ، كما كانت له صداقة بالتاجر البندقى كارلوا روزينى الذى كان دافعا لعلى بك فى سياسته العامة والخارجية كحملته على الحجاز وكان المعلم رزق هو الذى نجم له واخبره أن نجمه مواتيا وكان ذلك فى عام ١٧٧٠ .

وبعد قتل محمد ابو الذهب لعلى بك الكبير عزل المعلم رزق من وظائفه وأبطل النقود التى ضربت فى عهده ويقال انه قتله .

● (منسى يوحنا : المرجع السابق ص٥٤١ ، دانيا كريسيلوس : جذور مصر الحديثة ص ص ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٤ ، ٢١١) .

(٢) الصالحية : احدى مدن محافظة الشرقية ، وكان قد انشأها الملك الصالح نجم الدين ايوب سنة ٦٤٤هـ .

● (محمد رمزى : القاموس الجغرافى جـ ١ ص١٢٢) .

(٣) ١١٨٧هـ = ١٧٧٣م .

مخيم محمد بيك فخرج اليه محمد بيك وتلقاه بأحسن لقاء وقبل يده وأخذ بيده حتى أجلسه بصيوانه وجلس بين يديه وكان القتلى فى هذه الموقعة كثيرين للغاية وقد قتل بينهم على بيك الطنطاوى وسليمان كتخدا وعمر جاويش وغيرهم من كبار جند علىّ بيك بلاط وكانت هذه الموقعة فى يوم الجمعة ثامن شهر صفر من السنة ثم قفل محمد بيك راجعا بعسكره الى القاهرة ومعه أستاذه علىّ بيك بلاط وأنزله فى بيته الكائن بالازبكية بدرب عبد الحق وحضر الاطباء لعلاجه فلم يلبث إلا سبعة أيام ومات قيل انه سم فى جراحته ودفن عند أسلافه بالقرافة وزال وزالت دولته العظيمة . قال أصحاب الأخبار وكان شهما شجاعا مقداماً فى الحروب داهية طاغية شديد البطش صعب المراس ثابت الجنان سريع الخاطر والانتقام فخلا الجوّ لمحمد بيك أبى الذهب واتسعت من هذا الحين شهرته وعلت كلمته واستتبت قدمه فى منصب الرياسة أو كادت .

مطلب ولاية الوزير خليل باشا

وجاء الخبر بعد هذا الحادث بقليل بولاية الوزير خليل باشا على ديار مصر فدخل القاهرة فى تاسع عشر ربيع من سنة سبع وثمانين[1] وصعد الى قلعة الجبل فى موكب حافل للغاية وكان وصوله من طريق دمياط فجلس فى ثانى يوم للناس فدخل عليه أرباب الديوان وأصحاب الوظائف فخلع عليهم الخلع المعتادة وجعل يتصرف فى الامور كما سيذكر مفصلا فى محله .

قال بعض أهل التاريخ واشتدت رغبة السلطان[2] مصطفى فى ردّ ما أخذ المحاربون من المدن والأمصار وجيش لذلك جيشاً عظيماً وعزم على الخروج به

---

(١) لم أجد فيما راجعته من مذكرات أصحاب التاريخ التى جمعت منها هذا المؤلف إسماً لمن تولى مصر من الباشاوات بعد الوزير أحمد باشا الذى قدم من الحجاز فى سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف هجرية إلى ولاية خليل باشا هذا التى هى سنة سبع وثمانين فصارت المدة الخالية زهاء خمس سنين والله أعلم . أ .هـ مؤلفه . (هذه ملاحظة ميخائيل شاروبيم نفسه) .

(٢) السلطان مصطفى توفى ١١٨٧هـ = ١٧٧٤م .

السلطان مصطفى خان ثالث ابن للسلطان أحمد خان ، ولد سنة ١١٢٩هـ وجلس على العش عام ١١٧١هـ وتوفى فى ٨ ذى القعدة ١١٨٧هـ = ٢١ يناير ١٧٧٤ وبلغت مدة حكمه ست عشرة سنة وثمانية شهور .

● (فضائل سلاطين آل عثمان : المرجع السابق ص١٦٦) .

إلى الدانوب فلم يتمكن لمرض أصابه ولازم الفراش فاشتدت به علته فلما أحس بقرب أجله استدعى إليه أخاه عبد الحميد وأوصاه بولده سليم وكان قاصراً ثم مات فى سنة سبع وثمانين ومائة وألف هجرية أى سنة أربع وسبعين وسبعمائة وألف ميلادية فكانت مدة تصرفه ست عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة وكانت له عناية ومعرفة تامة بالعلوم الرياضية محباً لأهل العلم وله مؤلفات فى الرياضة تعرف باسمه وكان شهماً حازماً مهيباً أعماله مشهورة للغاية .

ومات فى أيامه يوحنا[1] بطرك الأسكندرية بعد أن أقام ثمان عشرة سنة واشتد فى أيامه على بيك بلاط على النصارى شدة عظيمة وضيق عليهم جداً وصادر الكثير منهم ثم ضرب عليهم غرامة قدرها مائة ألف ريال كما تقدّم القول فانبث أعوانه لجمعها وقد عاثوا وأفسدوا وفعلوا مالا خير فيه وبيعت بسبب هذه الغرامة الجواهر والأحجار الكريمة بأبخس الأثمان وبموته أقيم بعده مرقس[2] السادس بعد المائة وهو من رهبان دير انبا بولا واسمه سمعان من بلدة قلوصنا وكان فى أيامه من الحوادث ما سيذكر فى محله .

---

(١) هو البطريرك يوحنا ١٧ البطريرك المائة والخامس ، وكان يدعى أولاً عبد السيد من ملوى وترهب بدير الأنبا بولا ، وسيم بطريركا عام ١٧٢٧م أيام السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣-١٧٣٠م) وفى أيامه ضربت غرامة كبيرة على الأقباط حتى ألزم بها الرهبان والأطفال ، كما عانت الكنيسة كثيراً من المرسلين الكاثوليك ، وانقسمت بذلك الأسر بين أرثوذكس وكاثوليك وقامت كثير من المشكلات الدينية والاجتماعية بسبب ذلك وتدخلت المحكمة الشرعية فى إصدار تنظيمات بين أصحاب المذهبين وتوفى هذا البطريرك فى ١٧٤٥م .

● منسى يوحنا : المرجع السابق ص-ص٥٣٣-٥٣٧ ؛ جدول تاريخ البطاركة ص ص٩٥ ، ٩٦ .

(٢) مرقس ٧ البطريرك ١٠٦ ، سيم بطريركاً عام ١٧٤٥م وكان يدعى سمعان من قلوصنا (المنيا) وترهب فى دير الأنبا بولا وتوفى عام ١٧٦٩ .

● منسى يوحنا : المرجع نفسه ص٥٣٧ ، جدول البطاركة ، المرجع السابق ، ص٩٦ .

ويكون البطريركان اللذان كانا فى عهد هذا السلطان هما مرقس السابع (١٠٦) من ١٧٤٥-١٧٦٩ ، يوحنا ١٨ (١٠٧) من ١٧٧٠-١٧٩٦ .

ولما مات السلطان مصطفى تولى الملك بعده أخوه السلطان عبد الحميد[١] بن السلطان أحمد .

(١) السلطان عبد الحميد خان الأول ابن السلطان أحمد الثالث ، ولد فى سنة ١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م وقضى مدة حكم أخيه مصطفى الثالث محجوراً عليه فى سرايته كما كانت العادة آنذاك ، وفى اليوم الثالث من توليته الحكم ذهب فى موكب كبير إلى جامع أبى أيوب لتقلد سيف السلطان عثمان مؤسس هذه الدولة ، إلا أنه لم يوزع الانعامات المالية على الجنود كما كان متبعاً ، لنضوب الخزانة من المال نظراً لاستنزافه فى الحروب ، وأبقى كل كبار الموظفين فى أماكنهم حتى لا يحدث خللاً فى الحكومة لأن الروس كانوا يستعدون لشن حرب جديدة .

وبعد حياة حافلة بالحروب مات فى ١٢ رجب سنة ١٢٠٣هـ/ ٨ أبريل ١٧٨٩م بالغاً من العمر ٦٦ سنة حكم فيها ١٥ سنة وثمانية شهور .

● محمد فريد : المرجع السابق ، ص ، ص٣٤١ ، ٣٦٢ .

# (الفصل العشرون)

## (فى سلطنة السلطان عبدالحميد ابن السلطان أحمد)

ثم قام بالامر بعد السلطان مصطفى أخوه السلطان عبدالحميد ابن السلطان أحمد بويع له بالملك يوم موت أخيه سنة ثمان وثمانين ومائة وألف هجرية أى سنة أربع وسبعين وسبعمائة وألف ميلادية وله من العمر يومئذ خمسون سنة أمضى منها أربعا وأربعين فى السجن محجورا عليه لا يجتمع عليه الا بعض الغلمان والاتباع ولا يدرى من أحوال الدنيا شيئا فلم تكن فيه الاهلية لسياسة البلاد ولا القدرة على تدبير أمور المملكة فى ذلك الحين وقد كانت الاخطار تتهددها من كل جانب بسبب الحروب القائمة عليها من الداخل والخارج وكان السلطان مصطفى قبل موته قد جيش جيشا عظيما للزحف به على الروس واسترداد ما أخذ من أملاكه فاخترمته المنية قبل ذلك كما تقدّم فلما تولى السلطنة السلطان عبدالحميد أمر بانفاذ جيش السلطان مصطفى وبالغ جدا فى تنظيمه وأعدّ له كل ما يحتاجه من ذخيرة وميرة وأسلحة وكراع وكان زهاء أربعمائة ألف وسلم لواءه الى الصدر الاعظم فساروا والتقوا بجيوش الروس[1] واقتتلوا فدب الفشل فى العساكر العثمانية وانحصروا فى مدينة شوملة[2] لسوء تدبير الصدر الاعظم وفساد رأيه فحاصرهم الروس وضيقوا عليهم جدا وكادوا يقتلونهم عن بكرة أبيهم فرأى الصدر أن يراسل قائد العساكر الروسية فى طلب

---

(١) حملة روسيا : فى شهر يونيو ١٧٧٤ زحف الفيلد مارشال رومانزوف الروسى بعد أن انضمت إليه جيوش اخرى واجتاز رومانزوف نهر الطونة وقصد مدينه ڤارنه البلغارية على ساحل البحر الاسود حيث التقى بالجيش العثمانى بقيادة الرئيس افندى عبد الرازق وهزمه بالقرب من مدينة قوز ليجق فى ١٤ يوليو ١٧٧٤ وهنا طلب الصدر الاعظم الصلح ، واجتمع المندوبان العثمانيان مع البرنس رابنين سفير روسيا فى قينارجه ، وبعد مفاوضات طويلة قبل الصدر الاعظم المعاهدة فى ٢١ يوليه ١٧٧٤ وهى ٢٨ بنداً اهمها استقلال تتار القرم وبسارابيا وقوبان مع حفظ السيادة الدينية العثمانية عليها وبقية الشروط الواردة هنا

● (محمد فريد : تاريخ الدولة العليا ـ المرجع السابق ص ص ٣٤١ ، ٣٤٢) .

(٢) شوملة هى شومن Shumen وتقع شمال تور نوڤو .

● محمد فريد : المرجع السابق ص١٣٤ .

الصلح فوافقه القائد على ذلك اذ كان كل من الطرفين يرى ان الا قبل له على اطالة زمن الحرب فعقدوا مجلسا فى مدينة بكرش[١] وحرر المرخص العثمانى عهدا وأرسل صورته الى دار السلطنة وكان محصل ما فى العهد المذكور اعطاء الحرية التامة للتتار وبقاء قلعة بكرش ويكى قلعة فى يد الروس وحرية سير السفن الروسية المتحاربة فى البحرين الابيض والاسود فرضيت دولة الروس بشروط هذا العهد وتمسكت بها لا سيما ما جاء فيها من اعطاء التتار حرية فقد كان ذلك ما تتمناه وتسعى فى الحصول عليه وبناء على ذلك تساهلت هى أيضا للدولة العثمانية فى كثير من الامور ولكنها كانت طفيفة فى جانب ما نالته هى . ولما شاع خبر هذا الصلح فى دار السلطنة هاج الناس وماجوا وخشى أكابر الدولة شر العاقبة وأنكروا قبول منح الحرية للقريم وسير السفن فى البحرين وقالوا الحرب والنار ولا هذا العار . قال بعض كتاب الاخبار وكان قصد الروس من منح الحرية للتتار انما هو ايقاد نار الفتنة فى القريم وبث روح التعصب والفساد كما فعلوا فى لهستان من قبل فاذا تم لهم ذلك سهل عليهم الاستيلاء عليها كما استولوا على ايالتى قزان وازدرهان قال ولم يمنعهم من العمل للمستقبل ما هو واقع من الخلل والارتباك الداخلى وعدم استقامة الاحوال فانه لما أخذت قيصرتهم كاترينة فى ادخال أولاد الناس فى صفوف الجند وأكثرت من المغارم والمكوس لنفقة الحروب أبغض الناس الحرب ونفرت قلوبهم منه وتولى الخراب على الكثير من مدنها وبلدانها وضج الناس وابتهلوا الى الله بزوال ملكها وأخذت من هذا الحين تذبل نضارة دولة آل عثمان وكادت تزول سلطتها من وراء الدانوب زوالا تاما فاشتد الأمر على السلطان عبدالحميد وأعظمه جدًا وكان منه ما سيذكر فى محله .

---

(١) بخارست ، وكانت تسمى فى الكتب التركية القديمة بكرش ، وهى بلدة جميلة جدا وقديمة العهد ، ولم تشتهر الا بعد المعاهدة التى ابرمت فيها بين الدولة العلية وروسيا سنة ١٨١٢ وهى الآن عاصمة رومانيا المكونة من إمارتى الافلاق والبغدان .

● محمد فريد ، مرجع سابق ص١٧٠ حاشية (١) .

مطلب
عزل الوزير خليل
باشا وولاية
مصطفى باشا
النابلسى

وجاء الأمر عقب ولاية السلطان عبدالحميد بقليل بعزل الوزير خليل باشا من ولاية مصر وتوليته على جدة وقيام الوزير مصطفى باشا النابلسى من دار السلطنة ليتولى على مصر فحضر مصطفى باشا الى القاهرة فى أواخر جمادى الثانية من السنة وطلع الى قلعة الجبل وقيل انه سكن ببركة الفيل . والثانى أصح . وجعل يتصرف فى الامور فلم يقو على ذلك حيث كانت الكلمة والتصرف للامير الكبير محمد بيك أبى الذهب وأصحابه وكان وصول مصطفى باشا الى القاهرة والوقت فى هدؤ والحال فى سكون والقلوب مطمئنة والاقوات كثيرة والاسعار رخيصة ولكن كما قال الشاعر :

وما الدهر فى حال السكون بساكن ولكنه مستجمع لوثوب

ولما اطمأن قلب الامير محمد بيك بسكون الحال بعد موت استاذه على بيك بلاط تاقت نفسه الى غزو الشام واستخلاص ما بيد الظاهر[1] عمرو من المدن والبلدان فجيش لذلك عسكرا عظيما وبرز بخيامه الى العادلية وفرق الاموال على الامراء والعسكر وسيرهم فى البر والبحر وأنزل الذخيرة والميرة وأكثر من المدافع والقنابل الكبيرة وسار بنفسه مع هذا الجيش فى اوائل المحرم افتتاح

(١) كان ظاهر العمر حليفا لعلى بك الذى كان فى الثمانينات من عمره وكان مقاتلا لايمل القتال ، وبنى مجده فى فلسطين ، وبفضل أولاده السبعة حصل على السلطة والسيادة على أغلب اجزاء فلسطين ، وفى عام ١٧٦٨ حصل من اسطنبول على لقب «شيخ عكا» أمير الأمراء زعيم الناصرة وطبرية وصفد شيخ مشايخ الجليل

كان ظاهر العمر كعلى بك فى ثورة ضد سيده ، لكن موقفه كان اكثر صعوبة بسبب وجود قوات عثمانية لاتزال قوية فى الشام وبعض المدن الفلسطينية كالقدس ويافا ، ومن خلال سيطرة أولاده على القلاع الاستراتيجية فى فلسطين كان باستطاعته أن يقدم لعلى بك المقاتلين ويوفر له العمق الاستراتيجى فى ميناء عكا لتزويد قواته بالميرة

وكانت هناك اجراءات كثيرة منها خصوصا عندما التجأ على بك الى غزة سنة ١٧٦٦ ومساعدة ظاهر له فى حملاته فى الحجاز والصعيد ١٧٦٩ ، ١٧٧٠ ، ووقوفه الى جواره فى مسألة قافلة الحج الشامى ١٧٦٤ والحج المصرى ١٧٦٦ .

كل هذا كان يمر امام ابى الذهب ومن هنا اراد ان يضره كما أضر بسيده على بك فكان مادار هنا .

● دانيال كريسيليوس : مرجع سابق ص ص ١٨١ ـ ١٨٣ .

سنة تسع[1]وثمانين ومائة وألف هجرية وسلم الامارة ونيابة الغيبة بمصر الى ابراهيم بيك أحد كبار مماليكه ثم ترك بقية الامراء ولم يصحبه منهم الا القليل فلما وصل مدينة غزة وشاع خبر وصوله خاف أهل البلاد ولم يظهروا امامه وتحصن أهل يافا وتحصن كذلك الظاهر عمرو بعكا فلما وصل محمد بيك الى يافا حاصرها وضيق عليها وشدد فامتنعوا عليه وحاربوه من وراء السور فحاربهم ورمى عليهم بالمدافع والمكاحل وواصل الرمى عدة أيام وليالى فكانوا يصعدون على الاسوار ويسبون المصريين وأميرهم سبا قبيحا فلم يزل المصريون يوالون الرمى بالقنابل حتى نقبوا أسوارها وهجموا عليها من كل صوب وحدب وملكوها ونهبوها وقبضوا على أهلها وقيدوهم بالحبال والحديد وسبوا النساء والصبيان وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ثم جمعوا الاسرى خارج البلد وذبحوهم ذبح الغنم ولم يميزوا بين صنوف الناس وبنوا من رؤس القتلى عدة صوامع[2] ووجوهها بارزة والرياح تنسف عليها التراب ثم ارتحل عنها طالبا عكا فلما بلغ الظاهر عمرا ما وقع لاهل يافا اشتد خوفه وخرج من عكا هاربا وتركها وحصونها فوصل اليها محمد بك ودخلها من غير ممانع وأذعنت له باقى البلاد وأطاعته وهى صاغرة . فلما دانت له مصر والشام أرسل اسمعيل أغا الى دار الخلافة بهدايا وأموال عظيمة جدا ملتمسا امارة مصر والشام وكان السلطان يخشى استقلال محمد بيك بملك البلاد والخروج عن طاعته فأجابه على الفور الى ما طلب وأرسل اليه مع رسوله تقاليد والولاية والخلع والبيرق والداقم[3] وجاءت له الاخبار بذلك ووردت عليها

---

(١) ١١٨٩ هـ = ١٧٧٥م .

(٢) الصوامع = هى حجرات من الطين ذات قباب لحفظ المحاصيل ومفردها صومعه والمشار اليها هنا انهم كوموا الرؤوس اكواما كما تكوم المحاصيل والحبوب فى هذه الصوامع

(٣) الداقم : كلمة تركية الاصل أصلها طاقم أو طاقيم ، وتطلق فى التركية على مجموعة الالات أو الادوات المتعلقة بعضها ببعض ، والتى تستعمل بترتيب خاص وتطلق كذلك على مجموعة الاشخاص الذين يؤدون معا عملا واحدا .

● أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ص٩٤ .

البشائر بتمام الامر فوافاه ذلك يوم دخوله عكا فامتلأ فرحا فحم بدنه فى الحال فأقام محموما ثلاثة أيام ومات ليلة الاربعاء ثامن ربيع الثانى من السنة ووافى خبر موته دار السلطنة قبل قيام الرسول الذى كان يحمل التقاليد فانتقض الامر وردّت التقاليد وفرح السلطان بموته . وكان قد جمع اليه قبل موته الامراء ومقدمى الاجناد وأعلمهم بعزمه على السير الى الامام وفتح ما يفتح الله به عليه من المدن والبلدان فشق الامر عليهم جدا اذ كانوا قد سئموا الحرب والابتعاد عن الاوطان فلم يجاوبوه بشىء خوفا منه . قال ناقل هذه الرواية وأقمنا على ما نحن عليه من الغم والكمد الثلاثة الايام التى تمرض فيها وأكثرنا لا يعلم بمرضه ولا يدخل اليه الا بعض خواصه ولم يذكروا مرضه الا فى اليوم الثالث قالوا انه منحرف المزاج فلما كان فى صبح الليلة التى مات فيها نظرنا الى صيوانه وقد انهدم ركنه وأولاد الخزنة فى حركة ثم زاد الحال وجرد السيوف بعضهم على بعض بسبب المال وظهر أمر موته وارتبك العسكر وحضر مراد بيك فكفهم عما هم عليه وجمع كبراءهم فى الحال وشاورهم فاتفق رأيهم على الرحيل الى مصر فقاموا وقد غسلوا جثته وكفنوها ولفوها فى أقمشة ثخينة وحملوها على عربة وساروا طالبين الديار المصرية فدخلناها بعد ستة عشر يوما وكان دخولنا فى ليلة الاربعاء الرابع والعشرين من ربيع الثانى فارادوا دفن الجثة بالقرافة فحضر الشيخ الصعيدى وأشار بدفنه فى مدرسته تجاه الازهر فحفروا له قبرا بالليوان[1] الصغير الشرقى وبنوه ليلا فلما أصبحوا خرجوا بجنازته من بيته الذى بقوصون ومشى امامه المشايخ والعلماء والامراء وجميع الاحزاب وأولاد المكاتب وأمام نعشه مجامر[2] العنبر والعود لاخفاء رائحة نتنه حتى واروه التراب

(١) الليوان = الفناء .

(٢) المجامر = جمع مجمرة = مبخرة

ا . هـ واستقر أتباعه أمراء البلاد المشار اليهم فى الحل والعقد ومقدماهم ابراهيم بيك[١] ومراد بيك وكانت عدتهم ستة عشر أميرا .

ووردت الاخبار بعزل مصطفى باشا النابلسى وولاية الوزير ابراهيم باشا عرب كرلى فدخل القاهرة وسافر مصطفى باشا فى أواخر جمادى الثانية سنة تسع[٢] وثمانين ومائة وألف هجرية الى جدة ومات بالمدينة وكان وصول ابراهيم باشا المذكور الى القاهرة رابع شعبان سنة تسع وثمانين فنزل بامبابه[٣] وأقام بها ولم يكن له من الولاية سوى الاسم فقط والتصرف لابراهيم بيك ومراد بيك وما زال بامبابه حتى مرض ومات فدفن بالامام الشافعى وتولى بعده الوزير محمد باشا المعروف بالعزتلى الكبير فدخل القاهرة فى يوم الخميس سابع عشر ربيع الاول سنة تسعين فكان كمن سبقه محجورا عليه فى جميع أعماله ليس له من الولاية الا الاسم فقط والتوقيع على القصص والجلوس فى صدر الديوان . ولم تكن تسكن الفتن بموت على بيك بلاط واسمعيل بيك الكبير حتى ظهرت فتنة أخرى بالجامع الأزهر وكان سبب ذلك أن طائفة من المغاربة المجاورين بالأزهر آل اليهم مكان موقوف فطلبوا استلامه واستغلاله فمانع واضع اليد وطعن

---

(١) أشترى محمد بك أبى الذهب مراداً فى سنه١١٨٢هـ ثم اعتقه وأمرّه ، وأنعم عليه بالأقطاعات الجميلة وقدمة على أقرانة ، وتزوج بامرأة الأمير صالح بك وسكن داره العظيمة بخط الكبش ، ولما مات على بك تزوج بسريته أيضاً ، وهى الست نفيسه المرادية . بعد موت محمد بك ابو الذهب بعكا . كانت الكلمة العليا فى البلاد المصرية عند قدوم الحملة الفرنسية فى يد الرجلين مراد وابراهيم كان مراد رجلا جريئا ومغرورا ، عصبى المزاج شديد الغيرة على مركزه . مات مراد بك فى الصعيد والفرنسيون فى مصر انهزم أمام الفرنسيين فى معركة شبراخيت ـ ١٣ يولية سنه ١٧٩٨ ، وفى معركة الاهرام . ثم فر الى الوجه القبلى ومعه فلول جيشه المهزوم . أصيب بالطاعون وأدركته الوفاة يوم ٤ ذى الحجة سنه ١٢١٥هـ . ١٨ ابريل سنه ١٨٠١م ودفن بسوهاج عند الشيخ العارف ، الجبرتى جـ٣ ، ص ص٢٧٠ ، ٢٧١ .
أما ابراهيم بك فكان جركسى الأصل مملوكا لمحمد ابو الذهب أيضا ، اعتقه سيده وزوجه بأخته ، اشتهر بالشجاعة والفروسية ، وكان حسن المعشر محتشما متساهلا مع مماليكه حتى طغوا وزاد ظلمهم .
● نجيب توفيق : ام المماليك ، القاهرة ١٩٨٩ ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٢) ١١٨٩هـ = ١٧٧٥م .

(٣) امبابه : من القرى القديمة اسمها الأصلى نبابة ونبالة وتبالة وحرف الاسم الى امبابة وهى تابعة لمحافظة الجيزة ومن القاهرة الكبرى الان .
● تاريخ وقائع مصر القاهرة المحروسة : المرجع السابق ص١٨٧ .

فى الدعوى واستعان بالامير يوسف بيك من الامراء المقدمين ودافع عن المكان المذكور فرفع المغاربة أمره الى القاضى وترافعوا امامه فظهر الامر على خلاف ما يشاء يوسف بيك فحنق لذلك ووسمهم بالغش وارتكاب الباطل وأرسل جماعة من أصحابه ليقبضوا على الشيخ عباس أحد المغاربة العاملين فى هذه القضية فطردهم المجاورون وسبوهم ولم يمكنوهم منه وأخبروا الشيخ الدردير(١) بما جرى فكتب الشيخ الى يوسف بيك يمنعه من التعرض لاهل العلم ومعاندة الحكم الشرعى وأرسل المكاتبةصحبة اثنين من المشايخ فلما قرأ الرسالة غضب وأمر بالاثنين فقبضوا عليهما وأودعوهما السجن فوصل الخبر الى الشيخ الدردير وأهل الجامع فاجتمعوا فى صبح ثانى يوم وأبطلوا الدروس والاذان والصلوات وقفلوا أبواب الجامع وجلس المشايخ بالقبلة القديمة وصعد الصغار على المنارات(٢) يكثرون من الصياح والدعاء على الامراء وأصحابهم وأغلق أهل الاسواق القريبة الحوانيت وبلغ الامراء الخبر فأرسلوا الى يوسف بيك فأطلق المسجونين وأرسل ابراهيم بيك الى المشايخ بملازمة الهدؤ والسكون فلم يلتفتوا لقوله وسبوا رسوله فحضر الاغا الى الغورية ونادى بالامان وفتح الحوانيت فبلغ مجاورى المغاربة ذلك فذهب إليه جماعة منهم وتبعهم العامة والغوغاء وبأيديهم العصى والمساوق وضربوا أتباع الاغا ورجموا بالحجارة فركب الاغا عليهم وركبت مماليكه والسيوف بايديهم فقتل من مجاورى المغاربة ثلاثة وجرح منهم ومن العامة

---

(١) كان الشيخ الدردير من علماء الازهر المرموقين ، والذين كان يحسب لهم حساب لدى الشعب ولدى الولاة ، فقد صادر يوسف بك الوالى عام ١١٩١هـ عقارا موقوفا للازهر فكتب اليه الشيخ الدردير لرد العقار وعدم تدخله فى شئون الازهر فسجن يوسف بك حامل الخطاب فأمر الشيخ بإبطال الدروس فى الازهر واغلاق المسجد ، فاغلق الناس حوانيتهم وتجمعوا حول الازهر وارغموا يوسف بك على اطلاق السجين والذهاب الى الشيخ الدردير لاسترضائه ، ففعل

وكذلك حدث فى أيام حسين بك والى مصر عندما اقتحم هو وجنوده بيت الشيخ أحمد سالم شيخ دراويش البيومى فاغلق الازهر ونادى بالكفاح وتحركت الأحياء المجاورة ، فخاف الأمراء ، وردوا مانهب وتعويض الشيخ مع الاعتذار للشيخ الدردير .

● (عبد المعز خطاب : شيوخ الازهر د . ت . ص ص ٧ ، ٨ .

(٢) المنارات = المآذن

كذلك وبقى الهرج الى ثانى يوم فحضر اسمعيل بيك والشيخ السادات[1] وعلى كتخدا الچاوشية وحسن أغا أغاة المتفرقان وغيرهم ونزلوا بالاشرفية وأرسلوا الى الجامع بانفضاض الجمع وتمام المطلوب وكان ذلك عند الغروب فلم يرضوا وطلبوا الجماكى والمرتبات المتأخرة فرجعوا وأصبحوا والهرج فى ازدياد فعاد

---

(١) كان الشيخ محمد السادات من ارباب السجاجيد الذين لهم مقامهم ، ويرجع اكرامهم الى نسبهم الذى يرجع الى على بن ابى طالب ، كما كان الشيخ البكرى ينسب الى ابى بكر الصديق ، كانت عائلة السادات محل إكبار لدى السلاطين والولاة ، فأعطوهم زمامات فى البلاد ، وحضروا الدواوين ، وكان لهم رأيهم فى أمور الادارة والدين ، وكانوا يطلعون القلعة فى المناسبات للتهانى وينعم عليهم بفراء السمور ، فالشيخ محمد السادات سليل بيت عريق ، تلقى العلوم الشرعية واللغوية على شيوخ الازهر فوصل الى ما وصل إليه علماء ذلك العصر ، الى جانب ذلك ورث مشيخة سجادتهم سنة ١١٨٢هـ على عهد على بك الكبير ، فعظمت مكانته وزادت منزلته لما اتصف به من الحزم والحكمة .

كما اتصف بحسن المعشر والخلق الكريم ، وصفه الجبرتى بأنه «احسن سلوكه بشهامة وحشمة ورئاسة وتؤدة وأدب مع الاشياخ والاقران ، وتحبب إلى ارباب الظاهر والأكابر واستجلاب الخواطر ، وسلوكه الطرائق الحميدة والتباعد عن الأمور المخلة بالمروءة ، والأخذ بالحزم والرفق مع الاشتغال فى بعض الأحيان بالمطالعة والمذاكرة . .»

وقد اتصف بالتسلح بالحق ضد أى شخص مهما كان فحينما أوفدت الدولة العثمانية حسن باشا الجزايرلى عام ١٧٨٦م الى مصر لمحاربة المماليك واستعادة سلطتها المطلقة ، وقد أسرف الجزايرلى فى القسوة مستبيحاً اموال المماليك وقبض على نسائهم واولادهم وباعهم بالمزاد فى سوق الرقيق ، اجتمع السادات مع علماء الازهر وشيوخه وذهبوا اليه معترضين ، وخاطبه السادات بقوله« أأنت اتيت الى هذا البلد وارسلك السلطان لإقامة العدل ورفع الظلم . . أم لبيع الأحرار وامهات الاولاد وهتك الحرمات؟! فأجابه حسن باشا هؤلاء أرقاء لبيت المال ، فرد عليه : هذا لايجوز ولم يقل به أحد . . ، وحمله فى آخر الامر على العدول عن هذا

كما عارض حسن باشا فى امر مصادرة اموال المماليك عندما فر زعماؤهم الى الصعيد خوفا من بطشه ، وكان كبيرهم ابراهيم بك قد اودع لدى السادات أثمن ودائعه ، ولما علم حسن باشا بهذا طالبه بها فرفض

ولما جاءت الحملة الفرنسية واحتلت الاسكندرية جمع ابراهيم بك ومراد بك المشايخ للتشاور فى الأمر كان السيد السادات ضمن المجتمعين ووبخ الأمراء على سوء سياستهم التى كانت سببا من أسباب الغزو الفرنسى للبلاد ، ونقم عليه مراد بك بسبب هذا

رفض السادات عضوية الديوان فى عهد الحملة ، وكثيرا ما كانت تحدث مشادات بينهم وبينه واتهموه بتزعم ثورة القاهرة الأولى ، الا أن نابليون رفض محاكمته حتى لايعتبر شهيداً فى نظر الشعب ويكون الضرر من إعدائه اكثر من نفعه ، كما كان يعارض نابليون فى تصرفاته مع العلماء والشعب المصرى وقد اضطهد كثيرا فى عهد كل من كليبر ومينو ، مما رفع منزلته بعد جلاء الحملة الفرنسية ، وفى عهد محمد على انضم السادات إلى محمد على فى الوقيعة بعمر مكرم وتولى بدله نقابة الاشراف ، وتوفى عام ١٢٢٨هـ .

● محمد شفيق غربال : مصر عند مفترق الطرق ص ٢٥ ، عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية ج٢ ط ١١٩٥٨ ص - ص ٢٦٢ - ٢٦٥ .

اسمعيل بيك ومعه الشيخ السادات وجلسا بالجامع المؤيد وأرسل الى المشايخ على يدى الشيخ ابراهيم السندوبى[١] بان اسمعيل بيك المشار اليه قد تكفل بقضاء أشغال المشايخ وقضاء جميع حوائجهم وقبول فتواهم واعتبارها معمولا بها على كل حال مع صرف جماكيهم وجميع مرتباتهم المتأخرة وان الضامن له فى ذلك الشيخ السادات فلما وصل الشيخ السندوبى ومعه الكتاب قرأه الشيخ عبدالرحمن العريشى[٢] على رؤس[٣] الملا وهو قائم على الاقدام فلما سمعوه أكثروا الهرج والجلبة وعلت أصواتهم وقالوا لا نقبل بذلك وترددت الرسل بين الفريقين بطول النهار ثم وقع الصلح وفتحت أبواب الجامع وعادت أموره الى ما كانت عليه وبعثوا لهم فى ثانى يوم مبلغا برسم الجماكى وقد اشترطوا عدم مرور الاغا والوالى والمحتسب من حارة الازهر وغير ذلك من الاشتراطات التى لم يتم منها شىء البتة . ولما سكنت الفتنة تتبع الاغا كل من كان له يد فيها من أولاد البلد فجعل يقبض عليهم واحداً فواحدا ويقتلهم خنقا وتغريقا ودفنا تحت التراب .

---

(١) الشيخ ابراهيم السندوبى : احد شيوخ الازهر وكان من مريدى الشيخ السادات ، وكان يتعرض للاهانة والسجن من قبل الفرنسين عندما كان يختفى الشيخ السادات .

● (الجبرتى : فظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس ت د . عبد الرحيم ص١٩١) .

(٢) الشيخ عبد الرحمن العريشى : هو عبد الرحمن بن عمر العريشى من ابناء العريش وكان يطمح فى منصب مشيخة الازهر فى عام ١٧٧٨/ ١١٩٢هـ ، وبدت فرصته ضئيلة لأن علماء الازهر اعتبروه غريبا عن القاهرة أو حنفيا فى مذهبه ، غير أنه كان ايضا صوفيا خلوتيا ، وكان ذلك فى تلك الفترة من المتطلبات الضرورية للقبول الاجتماعى بين كبار العلماء وقد أخبر العريشى ابراهيم بك شيخ البلد أن الدمنهورى حين كان على فراش مرضه رشحه نائبا له ، ونال العريشى تأييد الأمراء ، والشيخ السادات من زعماء الصوفية ، فعينه الأمراء شيخا للازهر ، فغضب عليه شيوخ الازهر الذى يسيطر عليهم المذهب الشافعى ، وقالوا أن المنصب من حق الشافعية وطالبوا بتعيين الشيخ العروسى بدله ، فوقعت الخلافات بين علماء الازهر والأراء وفعلا نصب الشيخ العروسى محله واستمرت المنافسة بينهما لمدة سبعة شهور اذ كان الحنفية يساندون العريشى ، كما كان يؤيده الشيخ السادات والمغاربة وكذلك الأمراء وتجمعوا هكذا ضد احتكار الشافعية للمنصب ، الا انه حدثت فتنة اطاحت بزعمائهم وبقى العروسى شيخا للأزهر .

● ميكل ونتر : المجتمع المصرى تحت الحكم العثمانى ، القاهرة ٢٠٠١ ص ص ١٩٧ ، ١٩٨ .

(٣) رؤوس

ووقعت الوحشة بعد هذا الحادث بقليل بين اسمعيل بيك وبين مراد بيك الكبير لاسباب يطول شرحها فخرج اسمعيل بك مغضبا يريد العادلية مرتحلا عن مصر فخرج خلفه ابراهيم بيك الكبير وطيب خاطره وأرجعه فعاد وهو فى غيظ ولبث أياما والوحشة ضاربة أطنابها بينه وبين مراد بيك فعمد مراد بيك الى قتله واتفق مع جماعة من قومه على ان يركبوا عليه ويقتلوه فى بيته وعينوا لذلك يوما معلوما فعلم اسمعيل بيك بخفى سرهم وخاف على نفسه فحمل أثقاله وجمع متاعه وركب فى الصباح الى العادلية وجلس بالازبكية وركب مراد بيك ومر بمنزل اسمعيل بيك ليعرف خبره فوجده قد خرج الى الازبكية وكان ابراهيم بيك الكبير قد ذهب فى هذا اليوم الى قصر العينى فبلغه خبر خروج اسمعيل بيك فخشى عاقبة خروجه وشاع الخبر بذلك فخرج خلفه كثير من الامراء الناقمين على مراد بيك وابراهيم بيك وكانت عدتهم خمسة أمراء ولحقوا به بالعادلية وعلم ابراهيم بيك ومراد بيك بذلك فركبا لساعتهما وركب معهما بعض الامراء من خواصهما وصعدوا الى قلعة الجبل وملكوا الابواب واستفاض الخبر فكثر الهرج وتوارد الامراء الى الرميلة واضطربت المدينة وأغلق الناس الدكاكين وأقفلت أبواب البيوت وانقطع الناس عن الخروج واستمروا على ذلك أربعة أيام بلياليها وخرج الكثير من أهل القلعة سرا ولحقوا بالامير اسمعيل بيك ويوسف بيك ومن معهما فأرسل لذلك أهل القلعة ابراهيم أغا الوالى فجلس بباب النصر لمنع خروج من يريد الالتحاق بأصحاب اسمعيل بيك وأغلق الباب ونزل الباشا الى باب العزب فحضر قاسم كتخدا أمين البحرين وعبدالرحمن أغا وهما من أصحاب الامير اسمعيل بيك ومعهما آخرون الى باب النصر وفتحوا الباب عنوة وطردوا الوالى ومن كان معه وملكوا الباب فأرسلوا لهما جماعة من العسكر المغاربة فاقتتل الفريقان وتفرق أصحاب اسمعيل بيك وجرح كثير من المغاربة وانتشر أصحاب اسمعيل بيك حوالى القاهرة ومصر وسارت طائفة منهم

الى بولاق القاهرة فصادفوا فريقا من العسكر يحمل علوفة الخيل التى بالمعسكر فهجموا عليهم وفرقوهم وأخذوا ما كان معهم من فول وتين وتوجه فريق منهم أيضا الى المقطم فاشتد الحال وعظمت الفتنة وخاف الباشا شر العاقبة فسعى فى تدارك الامر قبل استفحال الخطب وأرسل الى اسمعيل بيك فى طلب الصلح فلم يقبل فراجعه وأرسل ولده اليه وكتخداه مرارا فلم يقبل .

ودخل فى ثانى يوم عبدالرحمن أغا من باب النصر ومر من وسط المدينة وامامه المنادى ينادى على أصحاب الحوانيت برفع بضائعهم والتحذر فرفع الناس ما بقى منها ولم يزل سائرا حتى وصل الى باب زويلة ونزل بجامع المؤيد ورتب عسكرا هناك على السقائف والاسبلة ثم سار من هناك فى جند كثير الى باب زويلة ومنه الى الدرب الاحمر الى جامع(١) المردانى وزحفوا الى التبانة وعملوا متاريس بالقرب من المحجر ووضعوا بها عسكرا وكذلك فعلوا بناحية سويقة(٢) العزى فنزل اليهم بعض الجند الذين بالقلعة الى ما بعد عصر اليوم فنزل اليهم بعض الفرسان المدرعة فحملوا عليهم وهزموهم أيضا وقتلوا منهم جماعة ورجع من بقى منهم الى القلعة على أعقابهم وما دخل غروب اليوم حتى انفصل عن القلعة جميع العسكر المغاربة وحملوا سلاحهم وانحدروا وانضموا الى من كانوا بالمحجر من أصحاب اسمعيل بيك ولاحت على أصحاب ابراهيم

(١) جامع المردانى : وهو جامع كبير واسع مرتفع البناء ، انشأه الأمير الكبير الطنبغا الساقى الملكى الناصرى سنة ٧٤٠هـ/ ٩ يوليه ١٩٣٩ - ٢٦ يونيه ١٣٤٠م ، وله ثلاثة أبواب ، وبجواره عدة اضرحة ، وهو الآن معطل .

● (الدرة المصانة تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ص٦١) .

(٢) سويقة العزى : فى سوق السلاح بالقرب من حارة حلوات من شارع محمد على ، وسميت بهذا الاسم نسبة للأمير عز الدين أيبك العزى نقيب الجيش ايام الملك الأشرف خليل بن قلاوون ٦٨٩ - ٦٩٣هـ/ ١٢٩٠ - ١٢٩٣م ،

● ذكر ماوقع بين عسكر المحروسة ت د . عبد القادر طليمات ، مرجع سابق ص ٣٦٥ .

● تاريخ وقايع مصر القاهرة المحروسة المرجع السابق ص١١٣ .

بيك ومراد بيك لوائح الخذلان وأصبحوا وقد دخل جماعة كثيرة من أصحاب اسمعيل بيك الى المدينة ورابطوا فى جميع الجهات حتى انحصر من بقلعة الجبل ولم يبق لخلاصهم سبيل وأخذوا ينقبون الاسوار فلما أحسوا بذلك وأيقنوا بالهزيمة انحدر ابراهيم بيك ومراد بيك وجماعة من الامراء ليلا من باب الميدان وذهبوا جهة البساتين الى الاقاليم القبلية وتخلف منهم جماعة فخرجوا الى اسمعيل بيك وخليل بيك وطلبوا الامان فلما شاع خبر هروب ابراهيم بيك ومراد بيك هجم المرابطون بالمحجر وسوق السلاح على الرميلة ونهبوا جميع خيامهم التى كانت بها وبالميدان ولم يتركوا شيئا حتى ولا جمال الباشا ودخل اسمعيل بيك ويوسف بيك بعد العصر من ذلك اليوم من باب النصر فى عدة من الجند والمماليك والاتباع وساروا الى بيوتهما وأصبح ثانى يوم فسار عبد الرحمن أغا فى الشوارع ونادى بالأمان والبيع والشراء فزال عن الناس بعض الخوف . ولما كان يوم الأحد ثانى عشرى جمادى الثانية من السنة أى سنة احدى وتسعين صعد اسمعيل بيك ويوسف بيك الى الديوان فى كبكبة وزينة فخلع عليهما الباشا خلعتى سمور وولى اسمعيل بيك مشيخة البلد بدل ابراهيم بيك فتصرف وجعل يفرق المناصب العالية بين أصحابه وأصحاب يوسف بيك واتباعهما وقبضوا على الكثير من الامراء وأصحاب الوظائف على عهد ابراهيم بيك وأبعدوهم الى أقاصى البلاد ولم يلبث اسمعيل بيك ويوسف بيك طويلا على الاخاء والمودة حتى قامت بينهما الشحناء وتبدل ودهما جفاء فجعل اسمعيل بيك يتدبر فى قتل يوسف بيك وما زال على هذا العزم حتى أرسل اليه جماعة من اتباعه الاخصاء ليقتلوه فى بيته فدخلوا عليه فوجدوه جالسا بالمقعد المطل على البركة فجلس أحدهم أمامه وجلس آخرون على شماله وجماعة بقوا واقفين يحادثونه ساعة لطيفة فى أمر من الامور وتناقشوا مع بعض بحدة فتأخر عنهم الواقفون من المماليك والاجناد فسحب أحدهم وهو عبدالرحمن بيك

خنجرا وطعن به يوسف بيك فهم يوسف بيك ليدفع عن نفسه فداس على فروة من كان جالسا بجانبه فسقط على ظهره فقاموا عليه جميعا وضربوه بسيوفهم وأطلق أحدهم طبنجة على الواقفين من الخدم والاتباع ففروا من امامهم فنزلوا مسرعين من القيطون[1] الموصل الى البركة وركبوا وذهبوا الى اسمعيل بيك وأخبروه بالخبر فركب فى الحال وصعد الى قلعة الجبل وأرسل الى الباشا وكان بقصر العينى يتنزه فركب من هناك وصعد الى القلعة وجلس بباب العزب[2] مع اسمعيل بيك فلما بلغ أصحاب خليل بيك واتباعه خبر موت أستاذهم تلك الليلة ركبوا وخرجوا من المدينة يريدون الصعيد فاركب اسمعيل بيك خلفهم جماعة فلم يدركوهم فأرسل الى من تخلف منهم فاختفوا ثم خرجوا ولحقوا بمن فر . وجاءت الاخبار فى هذه الاثناء بعزل محمد باشا العزتلى وتولية الوزير اسمعيل باشا فدخل القاهرة فى يوم الاثنين سادس[3] ذى القعدة من السنة وصعد الى قلعة الجبل فى موكب حافل ودخل عليه اسمعيل بيك الكبير وباقى الامراء فخلع على اسمعيل بيك خلعة سمور وأقره على مشيخة البلد وتدبير الدولة والتصرف فى الامور فرسم اسمعيل بيك بعد ذلك بجمع العسكر والجنود

مطلب
عزل محمد باشا العزتلى وولاية الوزير اسمعيل باشا

---

(١) تعنى البيت أو المكان المخصص للجلوس .

● الجبرتى ، ت : عبد الرحيم عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ج٢ ، ط٩٨ . ص١٧ .

(٢) العزب كلمة فارسية بمعنى الاعزب ، وباب العزب هو احد ابواب القلعة وأوجاق العزبان هو أحد أوجاقات المشاة وهم مركز يلى الانكشارية فى الأهمية وقد إختص العزبان بمهام حراسة ممرات القلعة وضواحى القاهرة لذلك سموا فى الوثائق « عزبان مصر » . وكان التقارب وتداخل إختصاصات أوجاق الإنكشارية والعزبان أن أدى لحدوث العديد من المنازعات بينهما . إلا أنه بانحلال القوة العسكرية العثمانية تحول أفرادها للنشاط التجارى والحرفى وإنشغلوا بالإنضمام الى القوى المتنافسة على السلطة وكانوا يبيعون تذاكر انتسابهم لأوجاقتهم ليفيدوا من إمتيازاتها النقدية والعينية والقانونية من اشتراها .

●عبد الوهاب بكر ، الدولة العثمانية ومصر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، ط١ ١٩٨٢ ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ حاشية ٢٦ .

● ليلى عبد اللطيف ــ المرجع السابق ، ص ١٩٥ــ ٢٠٣ .

(٣) من السنة ١١٩٢ هــ يوافق ٢٧ نوفمبر ١٧٧٨م .

لقتال من هرب من أصحاب يوسف بيك ومن انضم اليهم من الامراء الهاربين بالاقاليم القبلية واهتم بذلك وسلم قيادة هذه الحملة الى اسمعيل بيك الصغير وبرز العسكر الى البساتين ونصبوا خيامهم أياما ثم ساروا فى البر والبحر فالتقى الجمعان عند بياضة تجاه بنى سويف واقتتلا قتالا عنيفا انكشف عن هزيمة أصحاب اسمعيل بيك وتمزيق جمعهم فرجعوا الى القاهرة على الاعقاب ودخلوها فى أسوأ حال وأخذت جميع خيامهم وأسلحتهم ومراكبهم وكانت نيفا وخمسمائة وكان مقدم عسكر اسمعيل بيك فى حراقة صغيرة فلما انهزم العسكر انحدر الى القاهرة وكذلك بقية الامراء انحدروا فيما لحقوه من المراكب وكان اسمعيل بيك بالفسطاط فلما علم بخبر حضورهم على هذا الحال من الهزيمة حزن حزنا كبيرا وأحس بزوال دولته ونزل الباشا من قلعة الجبل وخرج الى الآثار ونادوا فى الناس بالنفير العام فخرج القاضى والمشايخ والتجار وأرباب الصنائع والمغاربة وأهل الحارات كافة وأغلقت الاسواق حتى ملؤا الفضاء فلما عاين ذلك اسمعيل بيك وعلم انهم يحتاجون الى المال والميرة فضلا عن الذخيرة اختار منهم طائفة المغاربة والترك وصرف من بقى من العامة وأرباب الحرف والمشايخ وأصحاب الاشاير[1] والفقراء ووصل الامراء من الصعيد الى حلوان[2] وتعلقت آمالهم بالاستيلاء على مصر والقاهرة بعد تلك النصرة العظيمة التى انتصروها فأرسل اليهم اسمعيل بيك جيشا عظيما من الترك والمغاربة ومعهم المدافع

---

(١) مصطلح كان يطلق على رجال الطرق الصوفية .

● الجبرتى٧٨ ، نفس المرجع ، ت عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، ط٩٨ ص٧ ، حاشية ٧ .

(٢) كانتا بلدتان متجاورتان تسمى كل منهما حلوان . حلوان القديمة التى أنشأها عبد العزيز بن مروان والى مصر ٧٠ هـ ، والأخرى مدينة حلوان الحمامات اتى أنشأها الخديو اسماعيل ١٨٧٤م وتبعد إحداهما عن الأخرى بمقدار ثلاث ك . م والأولى قرية على النيل وسط الأراض المزراعية ويعمل أهلها بالزراعة وتعرف باسم حلوان البلد وتتبع إداريا لمديرية (محافظة) الجيزة أما الثانية فتقع تحت سفح الجبل الشرقى وتعرف باسم حلوان الحمامات وأغلب سكانها من القاهرة وتتبع إداريا محافظة القاهرة .

● محمد رمزى ، القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنه ١٩٤٥ ، جـ٢ ، ق٣ ، ط٩٤ ، مركز تاريخ مصر ، ص١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

الكبيرة فنصبوا متاريسهم ما بين التبين وحلوان تجاه العدوّ وركب فى ليلتها اسمعيل بيك وأمراؤه وأجناده وكان الباشا قد استحضر من ثغر دمياط مركبا حربيا يحمل خمسا وعشرين مدفعا وكان ربانه ذا خبرة تامة بالحرب وفنونها اسمه حسن الغاوى فأقلع به ليلا تجاه المعسكر وارتفع حتى تجاوز مراكب العدوّ وأطلق المدافع على معسكرهم برا وعلى مراكبهم بحرا وساق جميع المراكب بما فيها واشتد الجلاد بين الفريقين فكانت موقعة عظيمة قتل فيها كثير من الامراء أعداء اسمعيل بيك وانهزموا شر هزيمة وهرب ابراهيم بيك الكبير ولم يظهر مراد بيك الكبير بسبب جراحته وهم أصحاب اسمعيل بيك على خيامهم ومعسكرهم فنهبوه جميعه وفر من بقى منهم الى الاقاليم القبلية فساقوهم خلفهم فلم يدركوهم ودخل اسمعيل بيك بعساكره القاهرة منصورا مؤيدا ولم تكن لهم هذه النصرة فى حساب فكان رجوعهم فى يوم الاربعاء[١] غرة شعبان من السنة .

واستوحش اسمعيل بيك الكبير من اسمعيل بيك الصغير بعد ذلك حيث ظهر عليه فى أحكامه وأوامره فكان كلما أصدر أمرا عارضه فيه ورده عنه بل عمل على خلافه حتى ظهرت كلمته وعلت وتزاحم الناس على بابه وأقبل اليه أصحاب الظلامات والدعاوى وانضم اليه الكثير من الكشاف والامراء وحدثته نفسه بالانفراد والاستقلال بحكم البلاد فآنس ذلك منه اسمعيل بيك الكبير فتركه وشأنه وأظهر انه رمد بعينيه وانقطع عن الخروج من أول شهر رمضان ثم خرج فى أواخره الى زيارة السيد أحمد البدوى ثم رجع وجمع اليه خواصه وشاورهم فى أمر قتل اسمعيل بيك الصغيرة وكشافهم بما فى نفسه فاتفقوا على قتله ودبروا لذلك تدبيرا . فلما كان التاسع والعشرين[٢] من رمضان ركبوا فى آخر

(١) ٢٥ اغسطس ١٧٧٨م .
(٢) ١٩ أكتوبر ١٧٧٨م .

الليل ومعهم طائفة من العساكر والاجناد وأحاطوا ببيت اسمعيل بيك المذكور فأحس بهم وركب فى مماليكه وخرج فوجد الطرق كلها مزدحمة بالجند فدخل من عطفة الفرن يريد الفرار وخرج الى قنطرة عمر شاه(١) فوجد الجند امامه وخلفه فصار يقاتلهم ويدفع عن نفسه من عطفة الى عطفة حتى وصل الى عطفة(٢) البيدق وقد أصيب بضربة سيف على كتفه وسقطت عمامته وصار حاسر الرأس والدم يسيل منه الى أن وصل تجاه درب عبدالحق بالازبكية فلقيه عثمان بيك أحد خواص اسمعيل بيك الكبير فرده وسقط عن فرسه فاختلطوا به ونزل على دكان أحد السوقه(٣) وهو فى أسوأ حال فعصبوا رأسه بعمامة رجل جمال كان فى الطريق وحمله عثمان بيك الى بيته وتركه وذهب الى اسمعيل بيك فأخبره بخبره فخلع عليه فروة سمور وأعطاه فرسا مرختا(٤) وأمر الوالى فذهب اليه وقتله خنقا ثم وضعوه فى تابوت وأرسلوه الى بيت صغير كان له فبقى به الى الصباح فأخرجوه ودفنوه بغير احتفال بجنازته . ورسم اسمعيل بيك بالقبض على أشياع اسمعيل بيك المقتول وأنصاره وابعادهم الى أقاصى البلاد فأبعدوا منهم جماعة كثيرة وصادروهم وقتلوا منهم آخرين بعضهم ببولاق القاهرة وبعضهم بغيرها . ولم يطمئن قلب اسمعيل بيك الكبير بموت اسمعيل بيك الصغير وتشريد أنصاره حتى جاءه الخبر باشتداد ازر الامراء الهاربين فى الاقليم القبلى واستفحال أمرهم

---

(١) هى قائمة على الخليج المصرى ، ويتم العبور عليها للبر الغربى من الخليج
● الجبرتى ، ت . عبد الرحيم عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ج٣ ، ص٢٢١ وجـ١ ، ص٢٥٠ ، حاشية١ ، حاشيه٢ .
(٢) عطفة البيدق بجوار درب عبد الحق فى الجهة اليمنى من شارع البكرى بالقرب من العتبة ، الجبرتى ج٣ تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن (دكتور) مرجع سابق ص١٥٧
(٣) أحد عوام الناس الذين يبيعون فى الأسواق .
(٤) أى مسرجا .
● الجبرتى ، نفسه ، ت عبد الرحيم عبد الرحمن ، ج٢ ، ط٩٨ ، ص٢١ ، حاشية٦ .

وانهم تملكوا جميع البلاد التى من جرجا الى فوق وقبضوا الخراج ومنعوا[١] ارسال الغلال فأخذ اسمعيل بيك فى تجييش الجيوش وإعداد المعدات وضرب لذلك المغارم على القرى فجعل على كل قرية منها ثلثمائة ريال وأمر جميع الامراء بالتأهب والاستعداد للخروج وخرج هو الى دير الطين يريد السفر وكذلك رسم الباشا لجميع الامراء وأرباب المناصب العسكرية فخرجوا جميعا ونصبوا خيامهم عند معادى[٢] الخبيرى ونزل الباشا من قلعة الجبل وجلس بقصر العينى وساروا وسار معهم اسمعيل بيك وقد ترك بالقاهرة جماعة من الامراء من خواصه الذين يعتمد عليهم ورسم لمقادم الأبواب[٣] بأن يطوفوا فكانوا يطوفون بالاجناد فى الحارات ليلا ونهارا . فلما وصل اسمعيل بيك بعسكره الى منية ابن خصيب لم يجد للعدوّ بها أثرا وعلم انهم ساورا الى مدينة أسيوط ومعهم اسمعيل ابو على أحد كبار الهوراة فسار لقتالهم وبينما هو يجد السير الى أسيوط جاءه الخبر من

---

(١) كان نتيجة هروب المماليك المنشقين الى الصعيد ولجوئهم الى هوارة قبلى ان كانوا يناوئون الادارة فى القاهرة فقطعوا حركة المرور فى النيل لمنع وصول المدد المالى من الصعيد ، كما استولوا على ايرادات الضرائب من الاقاليم قبلى اسيوط ، وقاد حسين بك وخليل بك (المتنفذان فى مصر انذاك) عدة حملات غير مجدية ضد على بك لكسر الخطر الاتى من الجنوب

● دانيال كريسيليوس : جذور مصر الحديثة ، مرجع سابق ص ص ١١٢ ، ١١٣ .

(٢) أصلها قرية قديمة كانت تسمى «منية السودان» ثم سميت قرية العدوية ، ثم سميت فى العصر العثمانى «معادى الخبيرى» حيث كانت ترسوا بها مراكب مخصصة لتعدية الناس والجند المتوجهين من والى بلاد الصعيد . وهى الآن قسم المعادى محافظة القاهرة .

أما الخبيرية فهى المنطقة الواقعة على الضفة الشرقية من النيل والمقابلة لمنطقة المعادى على الضفة الغربية ـ وهى من ضواحى الجيزة .

● الجبرتى ، نفسه ، ج٣ ، ص٩ ، حاشية ٥ ، وص ١٠٧ حاشية ٤

● الجبرتى ، فظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس ، ت عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ط٩٨ ، ص٣٢ حاشية ٥ .

(٣) هم الذين يتولّون الحراسة فى المدن ليلا ويعرفون بإسم رجال الدرك أو المقدمون وتبدأ خفارتهم بعد صلاة العشاء حتى طلوع الفجر ، وكذلك يتولون إطفاء الحرائق وإغاثة الملهوف ـ حادث عارض ـ وهو ملزوم عن كل مايضيع من الدرك ، وله ان يستعين بأربعين من الرجال الأقوياء .

● ليلى عبد اللطيف أحمد ، مرجع السابق ، ط٧٨ ، ص٣٩٩ .

القاهرة باتحاد جماعة من الامراء الذين تركهم بها لتدبير أمورها على الانضمام الى ابراهيم بيك ومراد بيك وكان زعيم هذه العصابة حسن بيك الجداوى ومعه جميع أصحابه ووافقهم على ذلك أيضا حسن بيك سوق السلاح وأحمد بيك شنن وأصحاب القلاع بأسرهم فلما تحقق ما وراء ذلك هاله الامر جدا وركب من ساعته بمن معه وانحدر يريد القاهرة وجدّ حتى دخلها فلم يشعروا الا وهو فى وسطهم وبات ليلته وأصبح فأمر بمنع المعادى من التعدية وصعد فى ثانى يوم الى قلعة الجبل وعقد الديوان بحضرة الباشا فاجتمع جميع الأمراء وأرباب الوجاقات والمشايخ وتكلموا فى أمر قتال المحاربين وفيما ظهر من الفتنة بالقاهرة وطال الكلام بينهم فلم يتفقوا على أمر مّا وتفرقوا وأخذوا فى توزيع متاعهم وقد اضطربت أحوالهم وأصبح اسمعيل بيك وقد جمع تجار البهار والمباشرين من الاقباط وطلب منهم مالا قرضة[١] لنفقة الحرب وشدد فى الطلب وأرهب وتوعد. وبينما هو على هذه الحال اذ جاءه الخبر بوصول طلائع أصحاب ابراهيم بيك الكبير ومراد بيك الى البساتين وأن قد وصل بعضهم الى الجيزة فلما تحقق ذلك وقد كان على أهبة الفرار أمر أتباعه بحمل متاعه والخروج به فحملوه وخرجوا تباعا من بعد العصر الى الساعة الرابعة من ليلة الثلاثاء[٢] رابع عشر المحرم من السنة أى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف هجرية ونزلوا بالعادلية وخرج معه جميع خواصه من الامراء والمماليك والاتباع وبات الناس تلك الليلة فى وجل ما عليه من مزيد وأصبحوا فعلموا بخروجهم فاندفعت عند ذلك العامة على بيوتهم ونهبوا ما وجدوه فيها أما هم فانهم ساروا فى صبح اليوم قاصدين الديار الشامية وزالت دولة اسمعيل بيك المذكور فكانت مدة تصرفه فى الامارة على مصر فى هذه المرة ستة أشهر وأياما لا غير.

---

(١) أى سلفة.

(٢) توافق ١٢ فبراير ١٧٧٨م

وعلم ابراهيم بيك الكبير ومراد بيك بخبر خروج اسمعيل بيك من القاهرة فعبر مراد بيك ومصطفى بيك وآخرون النيل فى ذلك اليوم الى مصر القديمة ومروا من وسط المدينة ونودى بالامان وأرسل ابراهيم بيك يطلب من الباشا الامر بدخولهم القاهرة فأرسله اليه صحبة ولده وكتخداه فدخل ابراهيم بيك وبات ليلته تلك بقصر العينى وكذلك بقية الامراء ثم ركب ابراهيم بك الى بيته ومعه اسمعيل أبو على أحد كبار الهوارة وأصبحا وقد صعدا الى قلعة الجبل فقابلهما الباشا وخلع عليهما خلع القدوم(١) ثم استدعى الباشا ابراهيم بيك ثانية وخلع عليه وأقامه فى منصب مشيخة البلد كما كان من قبل فلما استقرت بها سلم الوظائف العالية الى أصحابه وخواصه فانقسم من هذا اليوم الامراء بمصر الى قسمين الاول أصحاب حسن بيك الجداوى ومن كان معه من الامراء الذين نكثوا العهد مع اسمعيل بيك الكبير وانضموا الى عصابة ابراهيم بيك ومراد بيك كما تقدم وسمى هذا القسم بالعلوية والثانى أصحاب ابراهيم بيك ومراد بيك الاولين وسمى بالمحمدية فكان فريق العلوية شامخ الانف على المحمدية يرى المنة لنفسه والفضيلة لانه لولا ما بدا منه من الانحراف وخذله اسمعيل بيك ما دخل المحمدية قط الى مصر ولا عادت اليهم الامور فكان المحمدية لا يتصرفون فى أمر من الامور الا باذن من العلوية وبرأيهم فكانوا مغلوبين على أمرهم محجورا على تصرفهم . واتفق ان حضر بعد قليل من الأيام ابراهيم بيك أوده باشى وهو ممن كانوا هربوا الى غزة مع اسمعيل بيك الكبير وكان قد طلب الاجازة بالرجوع فأذنوا له فدخل بيته واعتزل عن الناس ولبث منكمشا أياما ثم لم يلبث بعدها الا قليلا حتى اتهمه رضوان بيك بالموالسة(٢) وانه انما هو جاسوس من قبل

---

(١) وتعنى الهدايا والقفاطين التى يقدمها الباشا الجديد للسناجق والأغوات والروزنامجى فى حفل إستقباله بمناسبه وصوله .

● الجبرتى ، ت عبد الرحيم عبد الرحمن ، نفسه ، ج١ ، ط٩٨ ، ص١١٤ حاشية١ .

(٢) الإتفاق على ضرر الغير والنفاق .

اسمعيل بيك وعمل على تبعيده فاستجار أوده باشى المذكور بمراد بيك والتجأ اليه فطمن خاطره وخفف عنه وهون عليه فحرك ذلك ساكنا فى قلوب العلوية وفشت الوحشية بينهم وبين المحمدية وأخذت تزداد يوما عن يوم الى أن خرج مراد بيك يوما ومعه بعض خواصه الى مضرب النشاب فجعل يكلمهم فى أمر العلوية وتصديهم لسائر الامور وتغلبهم عليها غير ذلك ويظهر الغيظ والكمد فبينما هو على هذا الحال إذ أقبل عليه عبدالرحمن بيك وعلى بيك الحبشى وهما من العلوية وجلسا عنده برهة فلما أرادوا الانصراف أشار مراد بيك الى بعض أتباعه بان اقتلهما فوثب عليهما وطعن عبدالرحمن بيك فقتله وهرب الحبشى واختفى فى بعض الاشجار فمروا به ولم ينظروه فركب مسرعا ودخل على حسن بيك الجداوى وأخبره بما جرى فجمع حسن بيك أصحابه وخواصه وجميع الامراء المتحدين معه وشاورهم فى الامر فاتفقت كلمتهم على القتال والتترس فى بيت الجداوى فتترسوا به وعملوا متاريس أيضا بباب زويلة وناحية باب الخرق والسروجية والقنطرة الجديدة[1] وجاء الخبر الى مراد بيك بما هم عليه من التأهب للقتال فجمع أصحابه وخواصه وكانوا عدة كبيرة وركب ابراهيم بيك الكبير من قبة العزب وصعد الى قلعة الجبل وملك الابواب وصوب المدافع نحو بيت الجداوى بالداودية وانتشبت الحرب بينهم طول النهار فأغلقت الاسواق وأقفلت كافة الدكاكين وباتوا على ذلك ليلة الاحد وأصبحوا واطلاق المدافع والبنادق متتابع وهم يزحفون على بعضهم تارة ويتقهقرون أخرى وينقبون البيوت على من يكون داخلها منهم فسقطت بسبب ذلك عدة دور وتهدمت بأصحابها

---

(١) تقع عند ملتقى شارع الظاهر بشارع الخليج المصرى بشارع بورسعيد وأنشأ هذه القنطرة الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٢٥هـ / ١٣٣٤م .

● الجبرتى ، ت عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ ٢ ، ط٩٨ ، ص٩ ، حاشية ٥ .

فمات خلق كثير تحت الردم وكثر النهب والحريق والقتل واختل النظام فتطاولت أيدى العامة الى أصحاب البيوت وقام الخصم على خصمه فقتله من غير مراقب ولا ممانع وتسلق جماعة من المحمدية من الخليج وصعدوا الى جامع[1] الحين من بين المتاريس وفتحوا بيت عبدالرحمن أغا من خلف وملكوه ووضعوا عليه المدافع ورموا بها على بيت الجداوى تباعا فأيقن العلوية بالغلبة وأحسوا بالهزيمة فركبوا وخرجوا من باب زويلة الى باب النصر فركب خلفهم المحمدية وأعملوا فى أقفيتهم السيف فقتلوا منهم خلقا ومات أغلب كبارهم وهرب حسن بيك الجداوى ورضوان بيك وكان ذلك وقت القائلة من يوم الاحد وكان يوما شديد الحر ولم يمت أحد من المحمدية بجراحة سوى مصطفى بيك الكبير بعد أيام قلائل .

وسار حسن بيك ورضوان بك فى طائفة قليلة على وجوههم هائمين فخرج عليهم جماعة من العربان وقاتلوهم قتالا شديدا ومزقوهم فتخلص رضوان بيك وذهب بخاصته الى شبين الكوم وتتبع العربان اثر حسن بيك الجداوى وضيقوا عليه المسالك حتى قبضوا عليه وأخذوا ما معه وجردوه وشدوا وثاقه ثم قادوه بينهم ماشيا على أقدامه وهو حاف وأرسلوا الى الامراء بمصر من يخبرهم بخبره فبعث اليه ابراهيم بيك بمن يستحضره فسار معه حتى دخل القاهرة ثم أفلت منه وسار الى بولاق ودخل الى بيت الشيخ أحمد الدمنهورى وطلبوه فامتنع من تسليمه فلم يجسروا على أخذه قهرا واشتد به الخوف فصعد الى سطح البيت

---

(١) يقع الجامع بشيلوع باب الخرق على يمين الذاهب فى شارع محمد على الى القلعة . وقدأ نشأه الأمير يوسف الشهير بـ «الحين» ـ من أمراء الجراكسه ـ فى القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى وعليه أوقاف .

● الجبرتى ، ت : عبد الرحيم عبد الرحمن ، نفسه ، ج١ ، ص٢٣٧ حاشية١ ، وج٢ ، ص٣٤ ، حاشية١ .

وتسلق الى سطح آخر ولم يزل حتى نزل بالقرب من وكالة الكتان[1] فصادف بعض المماليك فضربه وأخذ حصانه وركبه وذهب مسرعا يريد النجاة فشاع خبر هربه فركبت الجند خلفه وسدّوا عليه المسالك وهو يدافع ولم ير للوصول الى الفضاء سبيلا فعاد الى المدينة ثانيا وذهب الى بيت ابراهيم بيك وكان جالسا مع مراد بيك فاستجار بابراهيم بيك فأجاره وأمنه ولبث فى بيته خمسة أيام وهو مفقود الشعور فلما أفاق وحسنت حاله رسموا له بالذهاب الى جدة وبعثوا به الى السويس فى محفة فلما نزل بالمركب وأقلعت به طلب من ربانها أن يذهب به الى القصير فامتنع الربان من ذلك فتهدده بالقتل فسار به وأنزله هناك فترفع الى الصعيد واختفى خبره ثم أمر ابراهيم بيك ومراد بيك بتبعيد من بقى من العلوية فأبعدوهم الى رشيد ودمياط وشبين وغيرها ثم سيروا جماعة فقتلوهم جميعا ولم يبقوا على أحد منهم . ولم تكد تسكن الفتنة حتى أحس ابراهيم بيك الكبير بانحراف من الباشا وتدليس مع اسمعيل بيك الكبير فاجتمع بمراد بيك وكلمه فى ذلك فاتفقت كلمتهما على تنزيله من قلعة الجبل والحجر عليه فأرسلوا له أرباب الوجاقات يأمرونه بذلك وان يسكن فى بيت حسن بيك الجداوى بالداودية فامتنع فأمر ابراهيم بيك الجند بالركوب عليه فطلعوا الى حوش القلعة فلما علم الباشا بحضورهم خاف ونزل من ساعته الى الداودية فأنزلوا خلفه خدمه ومتاعه فى ذلك اليوم وهو يوم الثلاثاء تاسع عشر جمادى الثانية من السنة أى سنة اثنتين وتسعين ومائة[2] وألف هجرية فكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر .

---

(١) وكاله : وتطلق على الأبنية التى أعدت لتكون مسكنا للتجار وحفظ بضائعهم . وهذا المسمى يطلق على المنشآت التجارية المصرية فقط ، وإقامتها غير مقصورة على الحكومة بل أيضا ينشىء الأفراد وكالات خاصة بهم ، إلا أنه يشترط أن يكون من كبار التجار وله إجازه من وكيل التجار بالقاهرة وكانت تسمى بأسماء مؤسسيها أو بصنف البضاعة المشهورة بتجارتها وتنقل ملكيتها لورثه مؤسسيها . وتقع وكالة الكتان على يسار درب المبلط الذى يمتد من نهاية شارع الدروة وينتهى بشارع الصقالبة .
● الجبرتى ، ت عبد الرحيم عبد الرحمن ، ج٢ ، ص٣٥ حاشية ١ .
● مبارك ، على ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٢٩ .
●حسام محمد عبد المعطى ، العلاقات المصرية الحجازية فى القرن الثامن عشر ، سلسلة «تاريخ المصريين ، ١٤٩» ، ص٩٥ ، حاشية ١٩٨ .
(٢) توافق ١٥ يوليو ١٧٧٨م .

مطلب
خلع الوزير اسمعيل باشا وولاية اسمعيل باشا الثانى

وجاء الخبر بولاية اسمعيل باشا (لعله اسمعيل باشا الثانى) فذهب اليه الملاقون[١] وأرباب العكاكيز وأصحاب المناصب فحضر فى يوم السبت خامس المحرم افتتاح سنة ثلاث وتسعين وبات بامبابه ليلته تلك ثم أقام بالعادلية[٢] الى يوم الثلاثاء ودخل بالموكب من باب النصر ومر بالقاهرة وصعد الى القلعة فى الكبكبة[٣] المعتادة ولم تكن الاحوال على مايرام من الهدوء والطمأنينة فلم يبرم أمرا ولم يأت عملا اذ كان مغلوبا على أمره والكلمة يومئذ لابراهيم بيك الكبير ومراد بيك ولم يستقر بالباشا المقام حتى جاءه الخبر باستفحال أمر حسن بيك ورضوان بيك بالاقليم القبلى وانهما جمعا جموعا كبيرة وانحدروا الى جرجا[٤] وانضم لهم من العربان أولاد همام والجعافرة واسمعيل أبو على وانهم سينحدرون الى مصر فكلم الباشا ابراهيم بيك ومراد بيك فى ذلك فأعلماه

---

(١) كان من المعتاد أن يذهب كبار القوم لملاقاة الباشا الجديد عند نزوله فى الاسكندرية اذا كان قادما عن طريق البحر ، وفى العادلية إذا كان آتيا عن طريق البر فيستقبلونه ويرحبون به ، وهم بمثابة بعثة الشرف ، ويقوم الوفد بمصاحبة الباشا من الاسكندرية الى رشيد حتى وصوله الى الوراق على النيل بإمبابة ــ فى الحالة الاولى . أما اذا كان فى الحالة الثانية فيصحبونه الى قصر الحليّ برملة بولاق وهو معد لإستقبال باشاوات مصر .

● الجبرتى ، ت . عبد الرحيم عبد الرحمن ، المرجع السابق جـ ١ ، ص٥٩ ، حاشية ٤ .

● ولمزيد من معرفه موكب الملاقاه يرجع الى الرافعى تاريخ الحركة القومية جـ١ط ١٩٥٥ ص٢٨ .

(٢) هى القبة التى بناها السلطان الملك العادل طومان باى فوق مدفنه والتى عرفت بالعادلية . ولاتزال باقية حتى اليوم وسط الثكنات العسكرية للجيش فى العباسية على يسار المار فى شارع صلاح سالم الى مصر الجديدة وعليها تاريخ تأسيسها ٩٥٦هـ / ١٥٠١م .

● الجبرتى ، المرجع نفسه ، ت : عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ١ ، ص٥٤ ، حاشية١ وجـ٣ ، ص١٢ ، حاشية١ .

(٣) بمعنى موكب كبير له ضجيج يثير الانتباه .

● الجبرتى ، ت : عبد الرحيم عبد الرحمن ، نفسه ، جـ١ ، ص٩٧ ، حاشية١ .

(٤) من البلاد القديمة وإسمها الأصلى دَجْرجا ، وهى قرية من أعمال الصعيد قرب أخميم وهى غرب النيل ، وقد أنشئت فى العهد العثمانى باسم كشوفية جرجا الى عام ١٨٥٩م وخلال هذه السنة نقل ديوان مديرية جرجا والمصالح الأميرية الى مدينة سوهاج عام ١٨٢٩م أنشئ قسم جرجا وأصبحت مدينة جرجا قاعده له وسمى مركز جرجا من أول عام ١٨٩٠م .

● رمزى ، محمد ، مرجع سابق ، ق٢ ج٤ ، ص١١٣ .

بالخبر وجعلوا من هذا الحين يجيشون الجيوش ويعدون المعدات وسيروها مع أيوب بيك الصغير وسار خلفهم كذلك مراد بيك فلما وصلوا جرجا رجع حسن بيك بمن معه الى الوراء فأقام مراد بيك بالعسكر فى جرجا الى أوائل رجب من السنة وأخذ يعمل الحيلة حتى قبض على اسمعيل أبو على أحد مشايخ العرب وقتله ونهب ماله وعبيده ثم رجع الى القاهرة واختفى خبر حسن بيك وأصحابه بعد ذلك ولم يعلم لهم مستقر ووافق وصول مراد بيك الى القاهرة من هذه الغزوة الصغيرة أوان خروج الحاج فتولى الامارة عليه وأخذ يتأهب فكثرت الطلبات وجمع الاموال والاحتياج للجمال والبغال والحمير فكانوا يأخذون بغال الناس ومن وجدوه راكبا على بغلة أنزلوه عنها وأخذوها بلا ثمن وان كان من أصحاب المظهر دفعوا له ثمنا زهيدا فضج الناس وأخفوا دوابهم حتى سافر ركب الحاج وخرج مراد بيك فى كبكبة وزينة وخرج معه عدة كبيرة من الامراء والصناجق ومشوا فى ركابه وبعد خروج الحاج بأيام قليلة. جاء رسول من دار السلطنة ومعه مرسوم سلطانى بخلع اسمعيل باشا عن ولاية مصر وقيامه إلى جدة وتولية ابراهيم باشا والى جدة واليا على مصر فنزل اسمعيل باشا من يومه من قلعة الجبل وسكن بمصر القديمة شهرا ثم تحول الى العادلية ليسير منها الى السويس ويذهب الى جدة فقدر الله بموت ابراهيم باشا فى جدّة فجاء الى اسمعيل باشا مرسوم السلطان ببقائه على ولاية مصر ففرح بذلك وقد كان لايود الخروج منها وركب فى موكبه وطلع الى القلعة فى كبكبة وابهة زائدة ودخل اليها من باب الجبل فلما استقر به المنصب تاقت نفسه الى التصرف والانفراد بالامر فنهاه ابراهيم بيك عن ذلك فأظهر الطاعة ولكنه كان يعمل على خلاف ذلك جهد الاستطاعة فنهاه ابراهيم بيك ثانية وثالثة فلم يرعو فأرسل يأمره بالنزول من قلعة الجبل فلم ير بداً من الطاعة ونزل الى مصر القديمة ولبث بها وتولى ابراهيم بيك النيابة فكانت مدة ولايته الثانية ثمانية أشهر تنقص ثلاثة أيام وهو من أصحاب القلم

مطلب ورود الأمر السلطانى بعزل اسمعيل باشا ثم رجوعه إلى الولاية ثانية

وكبار الكتاب فى دار السلطنة قال بعض أهل التاريخ وكان مراد بيك الكبير من مماليكه فباعه لبعض التجار معاوضة وحضر الى مصر ورافقته العناية والعناية صدف حتى صار أمير البلاد وكبيرها وحضر سيده هذا فى أيام امارته فلم يراع له حرمة وعزله من الولاية لاسباب لم تعلم ولكنه كان يتأدب معه كثيرا ويهابه ويذكر سيادته عليه وكان اسمعيل باشا هذا رئيسا عاقلا ذا رأى وتدبير. وجاء عقب ذلك بأيام مراد بيك ودخل بالحاج وهم فى أسوإ حال مما قاسوه بالطريق من العربان فقد فعلوا معهم مالا خير فيه وسدوا عليهم الطرق وأخذوا منهم كل ماوصلت اليه أيديهم من الدواب والمتاع وأعقب دخولهم ورود الاخبار بظهور حسن بيك ورضوان بيك ثانية واستفحال أمرهما وانضمام الكثير من الجند والعسكر والعرب وغيرهم من اتباع اسمعيل بيك الكبير الى جموعهم فخاف ابراهيم بيك ومراد بيك شر العاقبة وجمعا جيشا ضخما وسار به مراد بيك ومعه بعض الامراء من خواصه وطلبوا الاموال وصادروا الكثير من التجار وأصحاب المظاهر وجمعوا المراكب وبرزوا بخيامهم الى جهة البساتين فجاءهم الخبر بحضور اسمعيل بيك الكبير من الديار الرومية خفية الى الاقاليم القبلية فانزعج مراد بيك من هذا الخبر وأكبره وسار مسرعا بعسكره الى الصعيد فكان كلما اقترب من مقام لهم رحلوا الى آخر واذا حل بعسكره فى محلة حلوا هم كذلك قباله ولبثوا على هذا الحال أشهرا ولم يقع بين الفريقين حرب ولاقتال ثم خابروه فى الصلح فرضى به وتقررت القاعدة بينهم على اعطاء اخميم لاسمعيل بيك الكبير مع جميع أعمالها وقناوقوص واعمالهما الى حسن بيك واسنا الى رضوان بيك فلما تم الصلح على هذه القاعدة أرسل اليهم الهدايا والتقادم ورجع بعسكره الى القاهرة ومعه ابراهيم بيك قشطة صهر اسمعيل بيك الكبير وسليم بيك أحد صناجقه رهنا على عدم التظاهر والخروج فكانت مدة غيبة اسمعيل بيك ثمانية أشهر وأياما .

مطلب
عزل اسمعيل باشا
وولاية محمد باشا

وبقى اسمعيل باشا الوالى معتقلا فى دار بمصر القديمة حتى جاء الخبر بولاية محمد باشا ملك فدخل محمد باشا القاهرة أواخر صفر سنة خمس وتسعين ومائة وألف[1]وصعد الى قلعة الجبل وخرج اسمعيل باشا من حبسه وسار الى الديار الرومية فلم يكن لمحمد باشا من حظ الولاية أكثر مما لغيره اذ كان كلما هم بالنظر فى الامور والتصرف فى الولاية وأحوال الدولة رأى من ابراهيم بك خصما عنيدا ومانعا لايتحول فلازم الانكماش واتبع سنة أسلافه واقتصر على مابيده من التوقيع على المراسيم الديوانية بدون بحث ولاتنقيب. وأعلمه مراد بك بعزمه على الخروج الى بلاد الشرقية وقراها فأجاز له ذلك كارها فسار الى بلاد الشرقية وطافها وضرب على أهلها المغارم الثقيلة والاموال الكثيرة والكلف الباهظة وصادر الموسرين منهم وحول عليهم أصحاب الجباية وأعوان المغارم حتى ضج الناس واستغاثوا ورفعوا أصواتهم باللعن والسب ثم نزل الى الغربية وفعل بها كذلك ثم الى المنوفية ثم الى غيرها فكان تطوافه بالبلاد على هذا الحال أشد هولا من هول الطاعون وأصعب على أهل البلاد. وتمكن سليم بيك وابراهيم بيك قشطة صهر اسمعيل بيك الكبير فى غيبة مراد بيك هذه من الاتفاق مع جماعة من الامراء الذين ضاقت بهم الاسباب واشتدت عليهم الخطوب على الفرار والهروب فخرجوا ليلا على الهجن وجرد الخيل وهم نحو الثمانين وساروا الى الصعيد وأصبح الخبر شائعا بذلك فارتبك ابراهيم بيك ونادى الاغا والوالى فى الناس بترك المشى بعد العشاء وملازمة الناس لبيوتها فخاف الناس وكثر اللغط وتنوعت الاقوال وكادت تتعطل أسباب الرزق وتتوقف المعاملات واشتد الخوف بالناس حتى انهم أغلقوا حوانيتهم نهارا ولم تسكن الخواطر حتى شاع خبر طلب محمد باشا ملك الى دار السلطنة ليتولى صدارة الدولة وكأنه هو الباعث على هذا الخوف والاضطراب فنزل محمد باشا من قلعة الجبل فى موكب عظيم فى منتصف شعبان من السنة وأقام بقصر العينى بقية

---

(١) توافق ٢٥ فبراير ١٧٨١م.

شعبان وسافر الى الاسكندرية فى غرة رمضان فكانت مدة ولايته ثلاثة عشر شهرا ونصفا وهاداه جميع الامراء بالهدايا النفيسة وكان من أفاضل العلماء متضلعا من الفنون والآداب وكان شيخا جليلا متواضعا لابأس به. وقدم على باشا القصاب واليا ودخل القاهرة فى أواسط رمضان أو فى عاشر شوّال وصعد إلى قلعة الجبل مارا من الصليبة خلافا لعادة أسلافه فلما استقر به المقام تحجب عن الناس الا القليل ولم يتعرض لشئ من أمور الدولة وقد زاده تحجبا وامتناعا اللغط المستمر والاقوال الشائعة برجوع اسمعيل بيك الكبير ومن معه الى شق عصا الطاعة وتطواف الوالى كل قليل من الايام يكرر المناداة على الناس ويشدد بملازمة بيوتهم ليلا . وانحرفت خواطر الامراء والصناجق الذين بمصر على ابراهيم بيك ومراد بيك من فعالهما ولاسيما فعال مراد بيك وبدت منهم أمارات الوحشة فخرج منهم أيضا جماعة كثيرة ولحقوا باسمعيل بيك بالصعيد ولم يبالوا بوعيد مراد بيك ولا بتهديده فكبر خوفه مع ابراهيم بك وأخذا فى جمع العساكر واعداد آلات الحرب وعزم مراد بيك على الخروج بهذه الحملة فطلب الاموال وقبض على مساتير[1] الناس والتجار وحبسهم وصادرهم فى أموالهم وأخذ مابأيديهم فجمع من المال ماجاوز الحد وكانت مغارم[2] القبطة فى هذه المرّة شيأ كثيرا جدا ثم برز بخيامه فى منتصف ربيع الآخر من السنة أى سنة سبع وتسعين[3] الى جهة البساتين وخرج معه جماعة من الامراء وساروا الى الصعيد فلما صاروا على مقربة من العدو فشل أصحاب اسمعيل بيك وانصرمت حزمتهم

مطلب
عزل محمد باشا
ملك وولاية على
باشا القصاب

---

(١) وتعنى القادرين على أعباء الحياة من عامة الناس والرعاع منهم أى الطبقة الدنيا .

● الجبرتى ، نفسه ، ت عبد الرحيم عبد الرحمن ، ج٣ ، ص حاشية ٥ ، ص١٥حاشية٤

(٢) يقصد مافرض على الأقباط من غرامات مالية غصبا عندما نبذ على بك العرف والتقاليد وفرض ضرائب غير شرعية على الاقباط واليهود وجماعات التجار الاوربيين ، وقد سار على نهجه وزيادة ابراهيم بك ومراد بك مما كان سببا مهما فى انفاذ الحملة الفرنسية فيما بعد .

● دانيال كريسبليوس : جذور مصر الحديثة ، مرجع سابق ص١٠٠ .

(٣) ١١٩٧هـ = ١٧٨٢م / ١٧٨٣م .

وتركهم رضوان بيك وجاء الى مراد بيك طائعا فقبله وأبقاه عنده وقد تشتتت بانفصاله عنهم عصابتهم وتمزق شملها وساروا الى الجهات القبلية فرجع مراد بيك الى القاهرة وسلم قيادة العسكر الى ثلاثة من الامراء وهم مصطفى بيك وعثمان بيك الشرقاوى وعثمان بيك الاشقر فلم يستقر به المقام بالقاهرة حتى وقف على سر مؤامرة أخرى من بعض أمرائه وأمراء ابراهيم بيك ومماليكه ومماليك ابراهيم بيك فعاجلهم بالنفى والتشريد بعضهم الى المنصورة والمحلة وبعضهم الى السرو ورأس الخليج[1] والبحيرة وغيرها وكان بينهم ابراهيم أغا الوالى

مطلب عزل على باشا القصاب وحضور محمد باشا السلحدار وقيل الصابونجى واليا

وجاء فى غضون هذا الحادث الخبر بخلع على باشا القصاب وولاية محمد باشا السلحدار وقيل محمد باشا الصابونجى فنزل على باشا من قلعة الجبل الى قصر العينى وأقام به ينتظر حضور محمد باشا فحضر كتخداه ومعه مرسوم بالنيابة الى ابراهيم بيك وخلعه فتولى ابراهيم بيك النيابة وجعل يتصرف فى جميع الامور ويوقع على القصص[2] وغير ذلك ووصل الخبر بذلك الى جميع الأمراء المنفيين بالمنصورة والمحلة ورأس الخليج وغيرها فاجتمعوا وساروا معا الى الاقليم القبلى يريدون اللحاق باسمعيل بيك ومن معه فأرسل عند ذلك ابراهيم بيك فرمانا الى عثمان بيك الشرقاوى باستقراره حاكما على جرجا وقد كان تركه مراد بيك مع العسكر على ماتقدم بيانه وشدد عليه بمراقبته الاحوال ومنع تظاهر الامراء المذكورين فتكفل عثمان بيك بذلك وجعل يتصرف فى الامور أياما كانت فيها رسل اسمعيل بيك ومن معه لاينكفون عن الاجتماع به والتكلم معه فى أمر انضمامه الى عصابتهم ومازالوا به حتى انضم اليهم فتقوى جانبهم واجتمعت به كلمتهم فلما علم ابراهيم بيك بذلك هاله الامر واستعظمه

---

(١) قرية قديمة على الشاطئ الغربى للنيل وهى إحدى قرى مركز شربين محافظة الغربية .
● رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق٢ ج٢ ، ص٧٨ .
● الجبرتى : عجائب الآثار : مرجع سابق ، ت عبد الرحيم عبد الرحمن ، ج٣ ، ص١٠٧ ، حاشية ٦ .
(٢) المقصود بها التوقيع على شكايا الناس .

للغاية وأرسل الى كبارهم يؤمنهم ويمنيهم بالأمانى الكبيرة ويستميلهم الى عقد الصلح فامتنعوا فطلب ابراهيم بيك حضور عثمان بيك الشرقاوى ومصطفى بك فامتنعا أيضا وقال لانحضر الا اذا عاد اخواننا الى مناصبهم وعادت اليهم إقطاعاتهم وأرزاقهم وإلا دافعنا عنهم حتى يقضى اللّه بيننا فخشى ابراهيم بيك ومراد بيك العاقبة وجهزا لذلك عسكرا عظيما وجعلوا يفتشون بيوت جميع الامراء المبعدين ويأخذون كل مافيها فكان شيأ كثيرا من غلال ومتاع ثم برز ابراهيم بيك بخيامه مع العسكر يريد المسير لقتال الخوارج وجمعوا سائر مراكب النقل وأوقفوها وجمعوا جميع الملتزمين وأصحاب المزارع وأخذوا منهم أموالا جزيلة وسار ابراهيم بيك بالعسكر فى كبكبة وتجمل فلما اقترب من الاعداء راسلهم وطلبهم الى الصلح فأجابوه اليه وتقررت القاعدة بينهم على رجوعهم الى القاهرة واعادة اقطاعاتهم اليهم فحضروا جميعا فى سادس عشر ذى القعدة من السنة فساء هذا الصلح مراد بيك ولم يرض عنه ولكنه كظم غيظه وسار الى زيارة ابراهيم بيك ولم يزر أحدا منهم فسعى ابراهيم بيك فى اصلاح ذات البين فلم ينجح وكبر الامر على مراد بيك فأخذ فى جمع أرزاقه ومتاعه وأثقال بيته حتى تم له ذلك ثم خرج الى جزيرة الذهب[1] فتبعه كشافه وأتباعه ومماليكه وأرسل الى بولاق القاهرة وأخذ منها أرزا وغلالا وشعيرا وبقصماتا وغير ذلك فسير اليه ابراهيم بيك بعض أخصائه ليمنعوه عن الرحيل فلم يقبل وعبر النيل الى الشرق وسار الى الصعيد وتبعه أصحابه وأتباعه ومماليكه وأحماله فى البر والبحر فنزل فى منية ابن خصيب واتخذها له مقرا واتفق أن حضر فى هذه الاثناء محمد باشا الوالى الجديد فأنزلوه فى قصر عبد الرحمن كتخدا على النيل فأقام به يومين ثم صعد الى قلعة الجبل فى موكب وسافر على باشا القصاب الى دار

---

(١) من النواحى القديمة بمركز الجيزة . وتنقسم لقسمين ، قسم أرضه مرتفعه وثابته وهو الساحل الغربى وفيه مساكن القرية . والقسم الثانى أرض جزائر فى وسط النيل وهذه يطلق عليها جزيرة الطائر .

● رمزى ، محمد ، مصدر سابق ، ق٢ ج٣ ، ص١١ .

السلطنة فلما استقر بالوالى المقام وعلم بما جرى مابين ابراهيم بيك ومراد بيك تكلم مع ابراهيم بيك فى شأن ذلك وحثه على ارجاع مراد بيك فنزل ابراهيم بيك من ساعته وجمع اليه الامراء فاتفقوا على أن يرسلوا اليه محمد أفندى[١] البكرى والشيخ أبا الانوار[٢] والشيخ السادات والشيخ أحمد العروسى[٣] شيخ الجامع الازهر يومئذ ليرجعوه عن عزمه ويهونوا عليه أمر الصلح فساروا اليه

(١) الشيخ البكرى : كانت البكرية عائلة صوفية مصرية عريقة من الاشراف تدعى نسبها الى أبى بكر الصديق ، وكانت ذات مركز رئيسى فى الصوفية فى العصر العثمانى ، ويرجعون بوجودهم فى مصر الى الفتح العربى من القرن السابع الميلادى وزادت مكانتهم فى القرن الخامس عشر عندما حضر محمد جلال الدين البكرى من ديروط حيث كانت العائلة واستقر فى القاهرة (٨٤٩هـ / ١٤٣٧ - ١٤٣٨م) كقاض ومفت

وفى القرن السادس عشر وطد البكرية انفسهم كطريقة صوفية بزعامة محمد شمس الدين أبيض الوجه حيث الف وردا متميزا يسمى حزب الفتح أو حزب البكرى وكان معروفا بأنه أحد الشافعية ومتصوفا شاذليا كبيرا

وقد أفرزت هذه العائلة محمد بن ابى السرور البكرى احد مؤرخى مصر العثمانية ، وكان للبكرية قصر كبير فى الازبكية كان ملتقى النخبة الاجتماعية والسياسية فى مصر انذاك ، وكان رأس هذه العائلة يحمل لقب شيخ سجادة البكرية وكانوا يعقدون لهم مولدا خاصا واشتهر منهم الأولياء .

ولقد تمتع البكرية بالاعتراف الرسمى بامتيازهم الاجتماعى والدينى على هيئة عطايا من خزانة الدولة ، إذ يقول إبن ابى السرور ان والده ابا السرور البكرى المتوفى ١٠٠٧ / ١٥٩٨م كان أول من حصل على لقب مفتى السلطنة الشريفة

ومما يشهد على مكانة البكرية الرفيعة توجيه الخطاب اليهم بانتظام فى الفرمانات والمراسيم الصادرة باسم السلطان فى اسطنبول

● (ميكل وينتر : المجتمع المصرى ، المرجع السابق ص ص٢٢٥ - ٢٢٧) .

(٢) كان هؤلاء المشايخ من علماء الازهر المرموقين ، وكانت لهم علاقات قوية بكبار التجار وأصحاب الأموال مثل أحمد المحروقى وغيره ، وكان هناك اثنان يحملان اسم ابى الانوار : ابو الانوار بن وفا وابو الانوار السادات .

● الجبرتى ج٣ تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن . مرجع سابق ص ، ص١٧٠ .

(٣) الشيخ العروسى : هو الشيخ أحمد العروسى عين شيخا للأزهر عام ١٧٧٨م بعد صراع على المنصب مع الشيخ العريشى ، وكان شافعى المذهب ، ولكن النزاع بينها استمر سبعة أشهر اذ كان الحنفية يساندون العريشى ومنهم الشيخ السادات والمغاربة بل والأمراء بهدف كسر احتكار الشافعية للمنصب

وكان الشيخ العروسى دارسا وعالما وخلوتيا متصوفا ، الا أن مدة رياسته كانت كلها قلاقل وعدم استقرار سياسى واقتصادى كذلك ، وتوفى عام ١٧٩٤م/ ١٢٠٨هـ .

● (ميكل ونتر : المجتمع المصرى تحت الحكم العثمانى ، المرجع السابق ص ص١٩٧ - ١٩٨) .

واجتمعوا به وكلموه فاعتذر وقال انه لم يخرج من القاهرة الا هاربا خوفا على حياته فان ضمنوا له عدم مسه بضرر عاد معهم بشرط أن يحلفوا له الأيمان فلم يجيبوه الى اليمين وقالوا نضمن الراحة لك ولهم عسى ان ترتاح العباد فصرفهم على ذلك فرجعوا وأخبروا بما جرى ولم يمض على رجوعهم الا أيام حتى انحدر مراد بيك الى الجيزة فى جموع كثيرة جدا من الغز والاجناد والعربان والغوغاء فهال ابراهيم بيك أمر حضوره وجمع أصحابه وجميع الامراء وحضر بهم الى ناحية معادى الخبيرى قبالة مراد بيك وأصحابه وأرسل اليه بعض الامراء فى حراقة ليكلموه فى الصلح ويسألوه عن جميع طلباته فلم يأذن لهم بالدخول عليه فرجعوا وكان الباشا قد أرسل كتخداه أيضا مع اسمعيل أفندى الخلوتى فى حراقة أخرى ليلحقا بمن ذهبوا الى مراد بيك ويهونا عليه الأمر فلم تصل بهما الحراقة الى منتصف النهر حتى صادفتهم الحراقة الأولى راجعة بمن فيها فتتبعاها فأطلق عليهما أصحاب مراد بيك مدفعا فاخطأهما فأسرعا بالرجوع وهما لايصدقان بالنجاة ورأى ذلك ابراهيم بيك فغضب جدا وأمر بالمدافع فأطلقت على معسكر مراد بيك فأطلق كذلك مراد بيك مدافعه واستمر الطلق متتابعا بين الفريقين ولم يعبر فريق الى الآخر وحجزت المعادى جميعها فى الجانبين واستمر الحال على ذلك عشرين يوما واشتد الخطب وضج الناس وتعطلت الاسباب وقفلت الاسواق وتعطلت الطرق برا وبحرا وكثر تعدى الاشقياء والمفسدين وتطاولت أيدى اللصوص وغلت الاسعار وقل وجود الغلال وأفحش قوم مراد بيك فى النهب والسلب من بلاد الجيزة وأكلوا المزروعات فلم يتركوا على وجه الارض عودا أخضراً وعين مراد بيك بعض الكشاف والاتباع يطوفون البلاد ويجمعون الخراج ويقضون الكلف والغرامات من أصحاب المزارع واعتقد الناس تمام الظفر لمراد بيك وأصحابه واشتد خوف الامراء بمصر منه وتحدث الناس بعزم ابراهيم بيك على الهروب فكبر خوف أهل مصر والقاهرة وكادوا يتفرقون أشتاتا فلما كان يوم الخميس أمر ابراهيم بيك برمى المدافع تباعا فلبثوا اليوم بطوله يوالون الرمى

بلا انقطاع فلما خيم الظلام أمر بالكف عن ذلك وعبر خمسة من أمرائه ليلا الى الجانب الثانى من النيل وساروا تحت جنح الظلام فقابلتهم طائفة من عسكر مراد بيك فأطلق الامراء عليهم بنادقهم فولوا منهزمين فملكوا مكانهم واحتلوه وكان على مقربة من بولاق التكرور[1] وعبر آخرون ومعهم مدفعان وجعلوا يزحفون قليلا قليلا حتى صاروا على مقربة من معسكر مراد بيك وأطلقوا عليه المدافع ووالوا اطلاقها فلم يجبهم أحد فباتوا على ذلك وهم فى تحذر وتتابع بهم عسكرهم وخيولهم فلما ظهر نور الصباح نظروا فلم يروا أحدا فى معسكر مراد بيك وقد رحلوا وتركوا جميع أثقالهم ومدافعهم فساروا اليه واحتلوه وعبر رجال ابراهيم بيك وساقوا خلف مراد بيك وأصحابه الى حد الشيمى فلم يدركوهم فأقاموا بأرض الجيزة أربعة أيام ثم رجعوا وجازوا بالقاهرة .

ورأى ابراهيم بيك ان بقاء الحال على هذا الوصف مجلبة للدمار ووسيلة للبوار فأراد مصالحة مراد بيك فأرسل لذلك اثنين من كبار أصحابه قال بعض الكتاب وكان الحامل له على طلب الصلح واستمالة مراد بيك اليه ما رآه من تحزب عثمان بيك الشرقاوى وعدة من الأمراء ضده وعقدهم النية على الانتقاض عليه وقد استخفوا به وقعدوا له بالمرصاد فأخذ الحذر منهم ثم حضر

---

(١) من قرى الجيزة القديمة كانت تعرف بمنية بولاق ، ثم عرفت ببولاق التكرورى نسبة للشيخ أبو محمد يوسف بن عبد الله التكرورى الذى نزل بها زمن العزيز بالله الفاطمى ولما مات الشيخ بنى عليه قبة بجانبها جامع فاشتهرت هذه القرية ببولاق التكرورى . وأصل الكلمة مصرية قديمة Bilaq ومعناها المرساه والمورده وكانت مساكنها تقع على شاطئ النيل الغربى فى المنطقة الواقعة الآن بين سراى وزارة الزراعة والمتحف الزراعى – شمال سكن قرية الدقى القديمة وقت ان كان النيل يجرى تحت هاتين القريتين . وفى سنه ١٨٦٣م أصدر الخديو اسماعيل أمرا بتحويل مجرى النيل من الغرب للشرق لتوفير مياه الشرب لسكان القاهره تحت شاطئ بولاق القاهرة وبذلك أصبحت مساكن قرية بولاق الدكرور بعيده عن شاطئ النيل ، وفى سنه ١٨٦٨م هدمت مساكن القرية ونقلت لمكانها الحالى غرب محطة بولاق الدكرور وأصبح ضريح الشيخ التكرورى وأضرحة أخرى واقعا بين سراى وزارة الزراعة والمتحف الزراعى فى موقعهم الحالى .
● رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق٢ ج٣ ، ص ص ٩ - ١٠ .

بعد أيام كتخدا مراد بيك واجتمع بابراهيم بيك ثم عاد فأرسل ابراهيم بيك معه ولده مرزوق بيك وهو طفل صغير قد حملته مرضعته فلما وصل الطفل الى مراد بيك جنح للصلح ومال اليه وقدم للطفل هدية سنية وتقادم[١] جليلة منها بقرة ولابنتها رأسان وعاد مرزوق بيك مع مرضعته ومعه كتخدا مراد بيك ثم عاد الكتخدا وشاع الخبر بقرب قدوم مراد بيك فاجتمع الامراء عند ابراهيم بيك وخوفوه من حضور مراد بيك وعدم سكونه فحالفهم وعاهدهم أنه ان لم يعتدل يكون الجميع يدا واحدة عليه.فلما كان يوم الجمعة وصل مراد بيك الى غمازة[٢] فركب ابراهيم بيك وقت القائلة فى جماعة وخرج الى ناحية البساتين ثم رجع من الليل وصعد الى قلعة الجبل وملك الابواب ومدرسة السلطان حسن[٣] والرميلة والصليبة والتبانة[٤] وأرسل الى عثمان الشرقاوى وأيوب بيك

(١) ويعنى بها الهدايا التى يقدمها الأمراء وكبار رجال الدولة للباشا الجديد فى حفل إستقباله أو العكس . أما البقرة ذات الرأسين فقد أهداها مراد بك لإبن إبراهيم بك وراسم مرزوق بك للتصالح فيما بينهما . وقد رآها الجبرتى بنفسه فى بيت أم مرزوق بحارة عابدين وهى تأكل بفم إحدى الرأسين وتشتر بفم الرأس الثانية .

● الجبرتى ، نفسه ، ت : عبد الرحيم عبد الرحمن ، ج٢ ، ص١٢١ وج١ ، ص١١٤ ، حاشية٢ .

(٢) قرية قديمة من قرى مركز الصف محافظة الجيزة وفى ربيع ٩٣٣هـ/ ١٥٢٧م قسمت ناحيتين ، عرفت الأصليه بالكبرى ، والثانية عرفت بالصغرى .

● الجبرتى ، نفسه ، ت : عبد الرحيم عبد الرحمن ، ج١ ، ص ٤١٧ ، حاشية ٢ .

(٣) هذه المدرسة ملحقه بجامع السلطان حسن تجاه القلعة وكان موضعها بيت يلبغا اليحياوى نائب الشام ، وإبتدأ الناصر حسن فى عمارته عام ٧٥٧هـ/ ٥ يناير ١٣٥٦م - ٢٤ ديسمبر ١٣٥٦م . وقد ظلت عمارته نحو ثلاث سنوات وبه إيوان كبير وأربعة مدارس بدوران قاعة الجامع . وقد توفى السلطان حسن قبل إتمام الرخام فأتمه من بعده الطواشى بشير الجمدار .

● الجبرتى ، نفسه ، ت : عبد الرحيم عبد الرحمن ، ج١ ، ص ٧٧ ، حاشية ١ .

● مبارك ، على ، المرجع السابق ، ج٤ ، ص ص ١٧٤ - ١٨١ .

(٤) اسم شارع بمنطقة الدرب الأحمر والقلعة . وكانت أيضا تعرف بموردة التبن على ساحل النيل وهى المكان الذى كان يرد اليه ويشحن منه التبن . أما الصليبة فيبدأ من الرميلة الى جوار مسجد السيدة زينب وفيه مسجد شيخون وسنجل ابن طولون .

● الجبرتى ، نفسه ، ت : عبد الرحيم عبد الرحمن ، ج٢ ، ص ١١٣ ، حاشية ٣ .

● الدرة المصانة : تحقيق عبد الوهاب بكر مرجع سابق ص٥٥ .

ومصطفى بيك وسليمان بيك وابراهيم أغا الوالى بأن يخرجوا على الفور من مصر وعين لهم دمياط والمنصورة وفارسكور ليذهبوا اليها فامتنعوا وأظهروا العصيان وأخلدوا الى التترس والقتال فلم يروا لذلك سبيلا حيث ملك ابراهيم بيك القلعة وجميع المواقع الحصينة وقد بدأت جموع مراد بيك بالدخول الى القاهرة فلم يروا بدّا من الخروج وساروا الى القليوبية ودخل مراد بيك فى كبكبة وسار الى زيارة الامام الشافعى[1]فبلغه هناك خبر تبعيد الشرقاوى ومن معه وقد كان يبغضه بغضا ما عليه من مزيد فأسرع وسار من فوره خلف قلعة الجبل ونزل الى الصحراء وحث السير حتى أدرك قناطر أبى المنجا[2] ونزل عليها وأرسل خلف الشرقاوى ومن معه طائفة من العسكر فأدركوهم عند شبرا شهاب[3] وناوشوهم القتال وأدركهم مراد بيك فالتطموا فكبا بمراد بيك فرسه وكاد يهلك فأدركه أصحابه ووقعت بين الفريقين مقاتلة خفيفة ثم رجع مراد بيك ومن معه الى القاهرة وسار الامراء الخمسة المذكورون وعبروا الى وردان وكان معهم رجل من كبار العرب اسمه طرهونة يدلهم على الطريق الموصلة الى الصعيد فسار بهم فى طريق مقفرة وعرة ليس فيها ماء ولانبات يوما وليلة حتى كادوا يهلكون من العطش وانقطع عنهم جماعة ممن تبعهم وكانوا ينقطعون عنهم كلما اشتد بهم

---

(١) يقع جامع الإمام الشافعى بالقرافة الصغرى ، وأنشأه الأمير عبد الرحمن كتخدا فى مكان المدرسة الصلاحية سنة ١١٧٦هـ/ ١٧٦٣م .
- الجبرتى نفسه ، ج١ ، ص ٣١٧ حاشية ١ .
- مبارك ، على ، المرجع السابق ، ج٥ ، ص٥٦ - ٦٠ .

(٢) أنشأها الظاهر بيبرس على بحر أبى المنجا ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م وموقعها غرب قرية ميت نما مركز قليوب محافظة القليوبية .
- الجبرتى ، نفسه ، ج٢ ، ص ١١٦ ، حاشية ٣ .
- ابن عبد الغنى ، أحمد شلبى ، الإشارات فيمن تولى مصر من الوزراء والباشاوات ، ت : عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص١١٥ .

(٣) إحدى القرى القديمة التابعة لمركز قليوب ، محافظة القليوبية .
- الجبرتى ، نفسه ، ت : عبد الرحيم عبد الرحمن ، ج٢ ، ص١١٦ ، حاشية ٤ .
- رمزى ، محمد ، مرجع سابق ، ق٢ ، ج١ ، ص٥٦ .

الظمأ حتى اقتربوا من سقارة ورأوا أنفسهم على مقربة من الاهرام فضاق خناقهم وأيقنوا بالوقوع فى مخالب العطب فطلبوا هجنا ليركبوها وتركوا أثقالهم ومن معهم فقام عليهم الاتباع ونهبوا الاثقال والاحمال وتفرقوا عنهم فتعطلوا وأناخوا مطاياهم وأسرع مملوك من مماليك الشرقاوى على فرس وحضر الى مراد بيك وكان بالروضة[1] فأعلمه بخبرهم فأرسل لهم طائفة من الجند فلم تجدهم وقد كانوا رحلوا الى جهة أخرى خوفا من وقوعهم فى أيدى مراد بك واغتم الناس غما شديدا عند ماشاع خبر هروبهم الى الاقليم القبلى لما ينجم عن ذلك من تعطيل ورود الاقوات مع القحط والغلاء[2] المستحوذ على البلد وبات الناس تلك الليلة وأصبحوا يوم الاربعاء حادى عشرى رجب سنة ثمان وتسعين[3] وقد شاع الخبر بالقبض عليهم وكان من أمرهم أنهم لما وصلوا الى ناحية الاهرام ووجدوا أنفسهم على مقربة من مصر تواروا قليلا وطلبوا من الدليل أن ينظر لهم طريقا يسلكون منها فركب الدليل وانطلق الى مراد بيك وأعلمه بمكانهم فأرسل لهم جماعة ليقبضوا عليهم فأحسوا بهم فركبوا هجنا وتركوا أثقالهم وولوا هاربين وكان

(١) أنشئت قرية الروضة فى العهد العثمانى ، وقد قيدت أطيان هذه الجزيرة باسم منيل الروضة فى تاريخ ١٢٢٨هـ/ والروضة اسم للجزيرة الواقعة فى النيل بين مصر القديمة والجيزة وأنشئ فيها مقياس النيل عام ٢٤٧هـ ولذلك عرفت بجزيرة المقياس وأنشأ فيها الأمير الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى مكانا للتنزه أسماه الروضة وبذلك أصبحت تعرف بجزيرة الروضه .

● محمد رمزى ، المرجع السابق ، ج٣ ، ق٢ ، ص٢٠ .

(٢) كان العامة من الناس هم أكثر طبقات الشعب معاناة لإرتفاع الأسعار والمجاعات والأوبئة التى تجتاح البلاد من حين لآخر فقد تضافرت الكوارث الطبيعية كإنخفاض أو ارتفاع الفيضان وتدهور أحوال البلاد ــ مصرــ فى بعض الأحيان واستمرت الأزمات الغذائية طوال العهد العثمانى من ١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م وكثرت الفتن بين فرق المماليك ، وكثرت مصادرات الأملاك والأراضى وزيادة جباية الأموال . مما أهلك أهل البلاد على كافة مستوياتهم وامتلاء الأزقة والحارات بالشحاذين رجال ونساء وصبيان حتى بيعت أمتعة البيوت حتى الميسورة أصابها الفقر وخربت الذمم وعربد اللصوص . فهجر الفلاحون أراضيهم وأكلوا الجيف .

● الجبرتى ، المرجع السابق ، ت : عبد الرحيم عبد الرحمن ، ط ٩٨ ، ج٢ ، ص ص١٢٠- ١٢١ .

● ليلى عبد اللطيف ، المرجع السابق ، ص٤٢٦ .

● عبد الوهاب بكر ، مرجع سابق ، ص ١٠٦ ، حاشية ٤٤ .

(٣) يوافق ١ يونيه ١٧٨٤م .

أصحاب مراد بيك قد أكنوا لهم كمينا فلما مروا بالكمين خرج عليهم ومسك بزمام هجنهم من غير ضرب ولاقتال وحضروا بهم الى مراد بيك بجزيرة الذهب فباتوا عنده ليلتهم وأصبحوا فأنزلوهم بالمراكب كل بمفرده تخفرهم المماليك والاجناد وأبعدوهم الى الاقاليم البحرية فلبثوا بها زمانا يسيرا ثم راسل بعضهم بعضا واتفقوا على الهروب الى الصعيد فهرب بعضهم وقبض على بعضهم فشددوا فى تنكيلهم .

واتفق بعد ذلك بقليل خروج الحاج الى الاقطار الحجازية[١] فأمّروا عليه الامير مصطفى بيك الكبير فخرج فى موكب حافل للغاية وبرز بخيامه الى بركة الحاج ينتظر مابقى من مال الصرة[٢] فطال عليه الانتظار فذهب الى ابراهيم بيك وطالبه بالمال فأحاله على مراد بيك فامتنع مراد بيك وأكثر أمير الحاج من الالحاح على مراد بيك فلم يسع مراد بيك الا الدفع وعلم أنها مكيدة من ابراهيم بيك فخرج الى قصره بالروضة مغضبا وأرسل فى الحال الى الامراء المنفيين والهاربين بالصعيد أن يتأهبوا فلما علم ابراهيم بيك بذلك أرسل يستعطفه وترددت الرسل بينهما ونظر ابراهيم بيك فلم يجد حوله أحدا من قومه ورفاقه وقد تركوه وذهبوا الى مراد بيك فساءه ذلك جدا وركب الى الرميلة ووقف بها ساعة حتى سارت أحماله وأثقاله صحبة عثمان بيك الاشقر وعلى بيك أباظه يريد الصعيد وسار هو بعد ذلك من خلف الجبل وليس له من الاتباع سوى على أغا كتخدا الچاويشية وعلى أغا مستحفظان المحتسب وصناجقه الاربعة فلما بلغ مراد بيك خبر ركوبه على هذه الصورة ركب خلفه برهة من الليل ثم رجع وأصبح وهو منفرد بحكم البلاد فسر بذلك كثيرا وجعل يولى المناصب العالية لمن شاء من قومه واستقدم بعض الامراء المنفيين وقلدهم بعض

---

(١) يقصد بها خروج قافلة الحجيج لأداء فريضة الحج .

(٢) يقصد المال المخصص لمصاريف قافلة الحج وما كانت مصر تدفعه من تبرع لأهل بيت الله من الفقراء .

المناصب ونادى مناديه بالامان وأخرج الغلال المخزونة لتباع على الناس وقد كان اشتد بهم الجوع وعظم أمر مراد بيك وعلت كلمته فلم يترك للوالى شيأ يتصرف فيه بل زاد فى الحجر عليه اذ كان يبغضه لميله الى ابراهيم بيك عليه واتفق أن قدم فى هذه الاثناء رسول من دار السلطنة ومعه مرسوم سلطانى بتقرير[١] محمد باشا الوالى المذكور على ولاية مصر سنة أخرى فظن الباشا بلوغ الامل فطلب جميع الامراء الى الديوان ليقرأ عليهم ذلك المرسوم كالعادة فلم يجبه أحد منهم وأهمل ذلك مراد بيك ولم يلتفت اليه فكرر الباشا الطلب فلم يسمعوا قوله فساءه ذلك وأغضبه وأرسل الى مراد بيك يعاتبه ويسفه رأيه فأرسل اليه مراد بيك فى الحال يأمره بالنزول من القلعة فامتنع فأرسل جماعة من أتباعه فأنزلوه قهرا الى قصر العينى محجورا عليه وتولى مراد بيك النيابة وعلق الاستار[٢] فكانت ولاية محمد باشا المذكور أحد عشر شهرا سوى الخمسة أشهر التى أقامها بثغر الاسكندرية وكانت أيامه كلها شدائد ومحنا وخطوبا وإحنا وجوعا وغلاء وزيادة ونقصا فى النيل وغير ذلك .

ولما استقر المنصب بمراد بيك وتم له الامر أكثر من طلب الاموال وتفريد المغارم[٣] على البلاد فلما لم يبق فيها شئ حوّل الطلب على الملتزمين وبعث لهم المعينين فى البيوت فاحتاج الكثير منهم الى بيع متاعه ودوره ومواشيه بسبب ذلك ثم تطاولت أيدى عمال مراد بيك الى المواريث فكان اذا مات أحد أحاطوا بمتروكاته سواء كان له وارث أولا قال بعض كتاب الاخبار وصار بيت مال المسلمين من هذا الحين منصبا من المناصب الديوانية التى يتولاها الناس بجملة من المال فى كل شهر ولايعارض فيما يفعل فحل بالناس مالا يوصف من أنواع البلايا وانقطعت الطرق وكثرت عربده الاشقياء والغوغاء ومنعت السبل

---

(١) يقصد تثبيت الوالى فى منصبه مدة حكم أخرى .

(٢) شعار من شعارات الأمراء الحكام .

(٣) فرض الغرامات المالية والمادية غصبا وقسرا على عامة الناس .

الا بالخفارة ورحل الفلاحون من بلادهم لقصور النيل وشرق الارض والمظالم المتراكم بعضها فوق بعض وانتشروا فى جوف المدينة بأولادهم ونسائهم يضجون من الجوع ويأكلون مايتساقط فى الطرقات من قشور البطيخ وغيره ثم اشتد بهم الحال فأكلوا الميتات من الخيل والحمير والجمال قال فكان إذا خرج من المدينة حمار ميت تزاحموا عليه وتضاربوا وقطعوه وأخذوه بل منهم من كان يأكل منه نيئا من شدة الجوع ومات كثير من فقراء المدينة أيضا جوعا وعز الدرهم والدينار فى أيدى الناس وقل التعامل فيما يؤكل . أ هـ ثم وردت الغلال من الديار الشامية والرومية فانفرجت الازمة بعد الشدة وبيع الاردب منها بألف وثلثمائة نصف فضة وأرسل شريف مكة الى المشايخ والعلماء يتشكى من انقطاع ورود غلال الحرمين فلم يلتفتوا اليه ولاردوا عليه جوابا فكانت جميع هذه البلايا والمحن ضربة شديدة على هامة مراد بيك وسببا فى عجزه عن القيام بتدبير البلاد وسياستها لاسيما وقد كان ابراهيم بيك الكبير له بالمرصاد فلما أحس بعجزه وأيقن أن لاقبل له على تولى أمور البلاد أرسل الى ابراهيم بيك الشيخ الدردير وآخرين معه ليكلموه فى أمر الصلح ورجوعه الى القاهرة على مايحب فساروا اليه وكلموه وبعد جدال قبل الصلح والعود الى القاهرة بشرط رجوعه الى مشيخةالبلد ورجوع على أغا كتخدا الجاويشية الى منصبه فلما رجع الرسل وأخبروا بما يسأله ابراهيم بيك جمع مراد بيك الامراء وأصحاب المناصب العالية وقرأ عليهم شروط ابراهيم بيك فأذعنوا لها وأحلوها محل القبول وأعادوا الرسل بالاجابة فلما وصلوا اليه عاد فانتقض وطلب طلبات أخرى جديدة فعاد الشيخ الدردير ومن معه وأخبروا بانتقاض ابراهيم بيك فلم ير مراد بيك بدا من معاودته وأرسل اليه ثانيا أيوب بيك الكبير وأيوب بيك الصغير ليهونا عليه فلما وصلا الى بنى سويف أرسلا فاستقدما اليهما سليمان بيك الاغا وعثمان بيك الاشقر ثم ساروا جميعا الى ابراهيم بيك وتكلموا معه فى الصلح فأجابهم وساروا جميعا الى منية ابن خصيب ثم انحدروا منها الى مصر فدخلوها فى يوم الاثنين رابع ربيع الثانى

سنة تسع وتسعين ومائة وألف[1] وحطوا رحالهم عند معادى الخبيرى فعبر اليهم مراد بيك فى عدة كبيرة من الامراء والوجاقلية والمشايخ وعانق مراد بيك ابراهيم بيك وبكى ثم عبروا جميعا النيل الى مصر ودخل ابراهيم بيك بيته ودخل معه مراد بيك ولبثا معا حصة طويلة فأقام ثلاثة أيام ثم جاءه مرسوم الباشا بالاستقرار على مشيخة البلد ومع المرسوم خلعة الولاية فلبسها بحضرة مراد بيك والمشايخ فقام عند ذلك مراد بيك وقبل يده وكذلك بقية الامراء وردّت الوظائف الى أصحابها وأخذ ابراهيم بيك من يومه يتصرف فى الامور وينظر فى مصالح الرعية فتزاحم أرباب الخصومات على بابه ورفعت اليه القصص فأمر ونهى وأعطى ومنع وقسم المناصب بين ذويها .

وأعقب رجوع ابراهيم بيك الى القاهرة حصول طاعون شديد فأخذ فى الاشتداد يوما عن يوم وكثر بسببه الموات فخرج الناس من مصر والقاهرة الى الضواحى والقرى فرارا منه فلحق بهم واشتد وسقط الناس فى الشوارع والطرقات واهتم ابراهيم بيك بدفن الموتى فشدد على الوالى وأعوانه فكانوا يطوفون فى النهار والليل ويحملون الموتى من الطرق على ظهور الدواب ويدفنونهم بغير غسل ولا كفن عشرات عشرات وطالت مدته فكانت ثقيلة للغاية حتى قدر اللّه فارتفع وعاد الناس الى القاهرة وتناسوا أمره وكان عدد من مات لايكاد يدخل تحت الحصر وأعقب زوال الطاعون. ورود الخبر من دار السلطنة بخلع محمد باشا وولاية آخر اسمه محمد يكن باشا فلما وصل الى الاسكندرية ومر بشوارعها يريد التفرج وقف له العامة بالطريق وصاحوا فى وجهه وسبوا حاكم الاسكندرية وقبحوا أعماله ونادوا عليه بالويل وكان قد وقع بينهم وبينه فتنة كبرى وذلك أن أحد أتباعه وقع بينه وبين أحد العامة مشاجرة أدت الى الملاكمة فتطاول تابع الحاكم وضرب الرجل فقتله فاجتمعت عند ذلك العامة وعلت الضوضاء وكثرت الغوغاء وحملوا المقتول على نعش الى مقر الحاكم وشكوا له ماوقع من تابعه فحوّل وجهه عنهم ولم يلتفت الى شكواهم فألحوا عليه فأمر أعوانه بطردهم فثاروا وقبضوا عليه

مطلب
عزل محمد باشا
وولاية محمد يكن
باشا

---

(١) توافق ١٤ فبراير ١٧٨٥م .

وأنزلوه من ديوانه وأركبوه على حمار بالاكف[1] عرضا وهو حاسر الرأس وعلا الصياح وطافوا به جميع شوارع المدنية على هذا الحال وهم يضربونه ويصفعونه بالنعال ويلطخون وجهه بالطين فكان يوما عبوسا أقفلت فيه جميع الدكاكين وسدت الابواب وانكمش الناس فى بيوتهم وتطاولت أيدى الحرافيش الى الخطف والسرقة وفعل مالا خير فيه ومازالوا على هذا الحال اليوم كله حتى سقط الحاكم بين أيديهم فتركوه وتفرقوا فجاء أتباعه وحملوه فلبث أياما كثيرة حتى تراجعت اليه صحته فلما كثر صياحهم فى وجه الباشا سأل عن السبب فحدثوه بخبر ماجرى للحاكم فانقبض وهوّن عليهم ووعدهم خيرا ثم نزل من يومه على إحدى السفن يريد القاهرة ووصل الى امبابه فبات ليلته وأصبح فذهب إليه الامراء وأصحاب الوظائف وعبروا معه النيل الى قصر العينى فلبث به ثلاثة أيام ثم ركب فى موكبه وصعد الى قلعة الجبل فلما استقر به المنصب سأل مراد بيك عن مال الخزينة السلطانية وطلب منه سرعة ارساله فأظهر العناية بذلك وسار فى جماعة من كشافه ومماليكه وأتباعه الى الغربية وجعل يطالب أهلها بالاموال وقد فرض عليهم منها شيأ كثيرا فضلا عن الكلف الخارجية وغير ذلك فكان المعينون للطلب اذا استوفوا شيأ من ذلك طلبوا حق الطريق فان تأخرت قرية أو بلدة فى أداء شئ من ذلك قاموا عليها ونهبوها وربما قتلوا منها اناسا ولم يزل مراد بيك وأصحابه على هذا الحال حتى وصلوا الى رشيد فقرروا على أهلها جملة من المال وكذلك على التجار واشتد الطلب وعين على الاسكندرية أحد كشافه وضرب عليها كذلك مائة ألف ريال نقرة وقيد معه بعض الجباة فعاثوا وشددوا وضيقوا وأمرهم بهدم جميع كنائس الاسكندرية فهدموا منها عدة كنائس وهرب التجار وسافروا الى الديار الشامية والرومية وغيرهما فرارا من الطلبات المتتابعة ثم أقفل راجعا بمن معه الى الدقهلية ففعلوا بها مافعلوه برشيد والاسكندرية ثم إلى الشرقية وغيرها. وقد أفحش كشافه بمصر والقاهرة فى تعقب

---

(١) هو عقاب كان ينزله العامة بقصد الجرسة والتشهير والحط من هيبة المعاقب بركوب الركوبة «الحمار» معكوسا ، مع ضربه بالأكف على خلف الرقبة «القفا» .

الناس وسلب أموالهم ومصادرة أصحاب البيوت. وهجموا يوما على بيت شخص اسمه أحمد سالم الجزار متولى رياسة دراويش الشيخ البيومى[١] فنهبوه ولم يبقوا به شيأ البتة فثار لذلك أهل الحسينية وحضروا الى الجامع الازهر وهم فى ضجة وامامهم طبول ودفوف فاجتمع عليهم جماعة كثيرة من العامة والسوقة وبأيديهم المساوق والعصى وذهبوا الى الشيخ الدردير وشكوا إليه فشجعهم وحرضهم على التظاهر والخروج فساروا من الجامع وقد أقفلوا أبوابه وصعد منهم جماعة على المنارات وجعلوا يضجون ويضربون بالطبول ثم انتشروا فى الاسواق وهم فى صياح وجلبة وأغلقوا الحوانيت قال بعض كتاب الأخبار ومناهم الشيخ الدردير بالركوب معهم فى غد ومعه أهل الأطراف[٢] والحارات وبولاق ومصر القديمة لنهب البيوت أو أن يموتوا شهداء فلما كان بعد المغرب جاء سليم أغا مستحفظان ومحمد كتخدا ابراهيم بيك وجلسوا فى الغورية ثم ذهبوا الى الشيخ الدردير وكلموه فى الامر وقد خافوا من تضاعف الخطب واستفحال الفتنة ووعدوه بردّ جميع ما أخذ من بيوت الحسينية[٣] واجراء مافيه المصلحة للعميان والمجاورين بالأزهر وبعد جدال تقررت القاعدة بينهم على ماذكر وسكنت الفتنة وعادت الامور الى سابق مجراها .

(١) هو منشئ الطريقة البيومية وإسمه على بن حجازى البيومى ومعظم من إعتقدوا فيه من حى الحسينية بالقاهرة ، وكان يرتدى على مدار العام رداء أبيضاً وطاقية بيضاء تعلوها عباءه حمراء بإعتبار ان اللون الأحمر هو لون الأحمدية طريقته الأصلية . وكان يقيم حلقات الذكر المنتظمة فى مسجد الظاهر خارج الحسينية ، وكان يركب بغلته كل ثلاثاء محاطاً بأتباعه لأداء الذكر فى المسجد الحسينى . وهو أحد اكثر أضرحة القاهرة إحتراما ، وقد اعترض العلماء على وجود جمهور من الحفاة القذرين فى المسجد ونجحوا فى إقناع أحد الأمراء بمنع البيومى ودراويشه من الدخول ، غير أن الشيخ عبد الله الشبراوى ، وكان شيخا للأزهر آنذاك ، وكان يميل للدراويش تدخل لدى الباشا والأمراء نيابة عن البيومى وأنه عالم كبير لا يجب التحرش به . كذلك فقد رتب له الشيخ الشبراوى فصلاً فى الأزهر حيث تأثر به العلماء كثيرا وتركوه وشأنه .

وكان الشيخ البيومى له تأثير على دراويشه ، فإعتاد أن يقيدهم فى أعمدة جامع الظاهر ، ويقودهم فى الشوارع وحول رقابهم ياقات ويسيرون بطريقة عسكرية حوله بينما هو راكب دابته بطريقة تتسم بالعظمة والأبهه .

● ميكل ونتر : المجتمع المصرى تحت الحكم العثمانى ص ص٢١٧ - ٢١٨) .

(٢) ويعنى بهم سكان المناطق البعيدة المتطرفه حول المدينة وهم خشنو الطباع .

(٣) نشأ هذا الحى خارج سور القاهرة تجاه باب الفتوح وسمى بالحسينية نسبة لجماعة الأشراف الحسينية الذين أتوا من الحجاز وإستوطنوا هذا المكان .

● الجبرتى نفسه ، ج٢ ، ص ١٤٩ ، حاشية ٥ .

ولما لم يرسلوا الى الخزينة السلطانية مالها من الاموال رغما عن كثرة الطلب أمر السلطان بتسيير بعض مراكب الحرب الى الاسكندرية ورسولا مخصوصا معه مرسوم سلطانى خطابا الى الامراء فى شأن ذلك فدخل الرسول القاهرة وسلم المرسوم الى ابراهيم بيك فجمع اليه مراد بيك وبقية الامراء وتكلموا فى الامر طويلا فلم يتفقوا على شئ وطال اجتماعهم أياما على غير جدوى فبينماهم على هذا الحال اذ جاءهم الخبر بحضور مراكب أخرى الى ثغر دمياط وعلى احدى تلك المراكب أحد كبار البحر المدعو حسن باشا فخاف الامراء وارتبكوا فى أمرهم وشاع الخبر فتحدث الناس به وكثر اللغط فركب سليم أغا مستحفظان ونادى فى الاسواق على الروم والغليونجية[1] والترك المقيمين بمصر بأن يرحلوا الى بلادهم بلا مهل ومن وجد منهم بعد ثلاثة أيام قتل بلا معاودة فأثر هذا النداء فى الناس وتزايد خوفهم وأرسل ابراهيم بيك اثنين من كبار أمرائه الى رشيد لخفارتها ولكى يتحالفا مع عرب الهنادى[2] على أن يكونوا عونا لهم عند مسيس الحاجة ثم كتبوا قصة ليرفعوها الى دار السلطنة تتضمن أنه لم يكن من مانع يمنع ارسال أموال الخزينة السلطانية سوى كساد الحال وتعطيل أسباب التجارة والزراعة وانهم سيبذلون جهد الاستطاعة فى ارسالها فى العاجل القريب .

فلما كانت ليلة الخميس عاشر رمضان سنة مائتين وألف هجرية[3] ركب ابراهيم بيك ومعه مراد بيك وجماعة من الامراء ومشايخ الوقت ودخلوا على

---

(١) البحاره الذين يعملون فى الغليون ( السفن الكبيرة)
● الجبرتى ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٢٠١ ، حاشية ٣ .

(٢) ينتسبون الى هند بنت سلام بن الذئب بن أبى الليل ، نزلت بطن منهم من فرع السلالمة ، أقدم فروع السعادى ، الى البحيرة بمصر قادما من برقة بلبيبا قبل ثلاثة قرون ، ولم يعد للسلالة أى عشائر فى برقه فى الوقت الحاضر . وهم ينتشرون فى محافظة الشرقية وبعض محافظات الوجه البحرى حاليا .
● الجبرتى ، المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٨٨ ، حاشية ٥ وج٢ ، ص١٥٦ ، حاشية ٤ .

(٣) يوافق ٦ يوليو ١٧٨٥م .

الباشا بمقره فأعلموه بصورة ماوقع الاتفاق عليه وطلبوا وساطته بينهم وبين الباب العالى وانهم من الآن يقومون بترتيب الامور وتنظيم الاحوال على ماتشاؤه الدولة فكان طورا يمنيهم وآخر يقبح فعالهم ثم بعد أخذ وردّ وافقهم على ارسال قصتهم وسير بها كتخداه وانصرف الامراء وهم لايدرون ماستكون عاقبة حضور تلك السفن.وجاءهم الخبر بعد أيام قلائل من حاكم رشيد بأن قد نزل فريق من العساكر العثمانية المنظمة بالاسلحة وآلات الحرب الى البر ومعهم قائد من كبار القواد وانه لم يعرف شيأ من عزمهم فكبر خوف ابراهيم بيك ومراد بيك وهالهما حضور العساكر فشددا فى جمع غلال الحرمين وغلال الانبار وجمع أموال الخزينة السلطانية وبالغا فى التشديد وألزما المعلم ابراهيم الجوهرى[1] عظيم القبط بمصر يومئذ بجمع ذلك وبعثوا سفراء الى حسن باشا أمير سفن الحرب من المشايخ والعلماء والوجاقلية ومعهم هدية مائة فرق من البن اليمنى ومائة قنطار سكر وعشر بقج ثياب هندية وتفاصيل كثيرة وعودا وعنبرا وغير ذلك فسافروا فى يوم الجمعة ثامن عشر رمضان من السنة فلم يكادوا يبلغون الاسكندرية حتى قدم الى القاهرة رسول من قبل تلك السفن واجتمع بابراهيم بيك قيل وعاتبه وقال كيف تبعثون بسفارة الى الامير فى طلب الصفح عما وقع والعفو عما فات وقد أخذتم أهبتكم للحرب والقتال وأكثرتم من جمع الاسلحة والكراع فقال ابراهيم بيك معاذ اللّه أن نحارب رجال دولتنا وأمناء سلطاننا على عساكره وجنوده وهب أنا فعلنا فقد تبنا وندمنا ورجعنا الى الحق فقال وكيف ذلك وقد بعثتم منذ أيام

(١) من مواليد قليوب أواسط القرن الثامن عشر ، وكان أبوه ترزيا ، وتعلم القراءة والكتابة وعمل مساعدا لأحد المعلمين الكتبة الأقباط وظل يرتقى حتى عمل كاتبا لدى الواليين ابراهيم بك ومراد بك . ولما أرسلت اليهما الدولة العثمانية حسن باشا على رأس تجريدة لتقليم أظافرهما ، هربا للصعيد ورافقهما المعلم ابراهيم الجوهرى فأمر حسن باشا بمصادرة أملاكه ، وبيعت بالمزاد . ولما عادت الأمور ليد ابراهيم ومراد رجعا من الصعيد ومعهما المعلم ابراهيم فارتقى لدرجة أعظم فاعادوا له ما فقده وكان يتسم بصفات أخلاقيه ووطنية ودينية وعلاقة حسنه بالأقباط والمسلمين وأسهم فى بناء الكثير من الأديرة والكنائس وتوفى عام ١٢٠٩هـ .

● منسى يوحنا ، المرجع السابق ، ص ص ٥٤٢ ـ ٥٤٥ .

بقوم قد طافوا البلاد فضربوا على أهلها المغارم الثقيلة والمكوس الفادحة وجمعوا الغلال وضربوا على كل بلد اردبين من بن القوة[1] وهذا الصنف غريب عن زراعة البلاد حتى ضج الناس وهربوا وتركوا البلاد خاوية على عروشها وهاهم يموتون جوعا وبردا على الجسور وسواحل الترع وقد أقلق القبطان صوت صراخهم فقال مراد بيك وقد كان حاضرا ليس فى الامر شئ من ذلك وماهى الاوشاية من الاعداء يقصدون بها ابعادنا عن رحمة سلطاننا ورضائه وها أنت قد رأيت أن لا مدافع عندنا ولابنادق ولاأثر للاستعداد ولله الحمد. قال بعض الكتاب ولم يكن القول من رسول أمير السفن بتطواف الامراء فى البلاد وأخذ الكلف والمغارم جزافا فانه لما سافر الامراء الاثنان اللذان بعث بهما ابراهيم بيك لخفارة رشيد وسافر معهما أتباعهما وبعض الجند والمماليك مروا بالبلاد وطلبوا هذه الكلف والمغارم وحرقوا وردان[2] لعدم اذعان أهلها للطلب فضج الناس وذهبوا الى المعسكر العثمانى وشكوا الى مقدم العسكر ما ألم بهم فهوّن عليهم وكتب لهم فرمانا برفع الخراج عنهم سنتين ثم سار مقدم[3] العسكر المشار اليه من الاسكندرية الى رشيد فى أبهة وجلالة وكتب عدة فرامين[4] بالعربية الى مشايخ البلاد وأعيانها ومشايخ العربان وأصحاب الكلمة من أهالى المدن يقول فيها ما نصه .

---

(١) يقصد بها القهوة .

(٢) وردان : قرية قديمة تنسب الى وردان الرومى مولى عمرو بن العاص وهى الان احدى قرى مركز امبابة ، محافظة الجيزة .

● محمد رمزى : القاموس الجغرافى ق٢ ج ٣ ص ص ٦٥ - ٦٦ .

(٣) مقدم العسكر : كان مصطلح مقدم يعنى احد الأعيان أو الزعماء والشخصيات الهامة فى المجتمع وكان ينطبق على رؤساء العسكر والحراس .

● (مخطوطة الدرة المصانة ت كريسيليوس وعبد الوهاب بكر ص ١٠١) .

(٤) فرامين = فرامانات وهى الاوامر التى يصدرها السلطان والباشا .

●(الأمير أحمد الدمرداش : الدرة المصانة فى أخبار الكنانة تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ١٩٨٩ ص٧) .

صدر هذا الفرمان الشريف الواجب القبول والتشريف من ديوان حضرة الوزير المعظم والدستور المكرم عالى الهمم وناصر المظلوم على الظالم مولانا العزيز غازى حسن باشا سر عسكر السفر البحرى المنصور حالا ودونانمة[١] همايون أيدت سيادته السنية وزادت رتبته العلية الى المشايخ وعمد البلاد ومشايخ العرب المقيمين بديار مصر وفقهم اللّه تعالى. نفهمكم أنه بلغ حضرة مولانا السلطان نصره اللّه ماهو واقع بالقطر المصرى من الجور والظلم للفقراء وكافة الناس وأن سبب هذا خائنو الدين ابراهيم بيك ومراد بيك وأتباعهما فتعينا بخط شريف من حضرة مولانا السلطان أيده اللّه بعساكره المنصورة بحرا لرفع الظلم ولإيقاع الانتقام من المذكورين وتعين عليهم عساكر منصورة برا بسارى عسكر عليهم من حضرة مولانا السلطان نصره اللّه وقد وصلنا الى ثغر الاسكندرية ثم الى رشيد فى سادس عشر رمضان سنة مائتين[٢] وألف فحررنا لكم هذا الفرمان لتحضروا وتقابلونا ثم ترجعوا إلى أوطانكم مجبورين مسرورين ان شاء اللّه تعالى فحين وصوله اليكم تعملوا به وتعتمدوه والحذر ثم الحذر من المخالفة وقد عرفناكم اهـ .

فلما علم ابراهيم بيك ومراد بيك بما جاء فى ذلك الفرمان من الوعيد والتهديد كبر خوفهما وكادا يسقطان فى أيديهما واجتمعوا بأصحابهما وتشاوروا فرأوا أن الخرق قد اتسع والوحشة قد استفحلت والقتال لابد منه فاستقر رأيهم على العصيان والخروج عن طاعة السلطان وكان النيل قد أخذ فى الزيادة فباتوا ليلتهم وأصبحوا وقد بدؤا فى جمع العساكر وتجنيد الجند واعداد معدات الحرب

(١) دونانمة همايون : وهى الاسطول العثمانى .
(٢) ١٢٠٠هـ ١٦ رمضان ١٣ يوليو ١٧٨٦ .

واتفقوا على أن يسيروا هذا الجيش مع مراد بيك الى مدينة فوّه[1] فيمنعوا الطريق ثم يرسلوا الى حسن باشا المشار اليه خطابا يعلمونه بانهم شارعون فى عمل الحساب والقيام بدفع المطلوب للدولة ويسألونه الرجوع الى دار السلطنة فان امتثل فبها والا فالحرب. وجمعوا السفن وعبوا[2] الذخيرة ونقلوا متاعهم وأثاثهم ورياشهم الى بيوت أخرى صغيرة بجهة المشهد الحسينى والشنوانى والازهر وأمروا بغلق الاسواق ليلا والكف عن الختمات[3] والقراآت[4] فى ليالى رمضان فكثر عند ذلك اللغط وتزايد الهرج وخاف الناس سوء العاقبة وظهرت على مراد بيك وابراهيم بيك وأصحابهما لوائح الخذلان وبرز مراد بيك بعسكره الى ناحية بولاق وعبروا النيل ليلا الى انبابه ونصبوا معسكرهم وخرج مع مراد بيك مصطفى بيك الداودية ومحمد بيك الالفى وحسين بيك الشفت ويحيى بيك وعثمان بيك الأغا وعثمان بيك الشرقاوى وعثمان بيك الاشقر فسايرهم ابراهيم بيك الكبير مودعا وعانق كلا منهم وعاد الى القاهرة وسار مراد بيك قاصدا فوّة وأصبح ابراهيم بيك وقد عاد رسله الذين ساروا الى أمير سفن الحرب العثمانية وقالوا انهم اجتمعوا عليه ثلاث مرات الاولى عند وصولهم فقابلهم بالاعزاز وأكرم وفادتهم وأنزلهم بمكان ورتب لهم المأكل والمشرب فى الافطار والسحور ثم دعاهم فى ثانى يوم وكلمهم قليلا فى أمر البلاد ومايكابده أهلها من جور الحكام وظلم الولاة والحروب المستمرة وانه قدم ليعاقب الظالم قال راوى هذه

---

(١) مدينة فوه : اسمها القديم «بوى» وقلبت الباء فاء . وهى من القرى القديمة ، وهى مدينة حسنة كثيرة الفواكه والخصب ، وبها أسواق وتجارات ، وفى عام ١٨٢٦ انشئ قسم بلاد الأرز غربا وجعلت فوة مقراً له ، وفى ١٨٦٩ سمى مركز فوه وكانت هى قاعدته وكانت تتبع انذاك مديرية الغربية ، وهى من مراكز محافظة كفر الشيخ حاليا .

● رمزى ، محمد ، المرجع السابق ق٢ ج٢ ، ص ص ١١٣ ـ ١١٥ .

(٢) عبوا = عبأوا

(٣) الختمات = جمع ختمة وهى تلاوة القرآن الكريم كله باسم صاحب الضريح أو فى ايام رمضان .

● (د . عبد الرحيم عبد الرحمن : الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، القاهرة ١٩٨٦ ص٢٤٧)

(٤) القراءات .

الحكاية فقال الشيخ العروسى يامولانا رعية مصر ضعفاء وبيوت الامراء مختلطة ببيوت الاهالى وهذه طامة كبرى فقال لاتخشوا من شئ فان أول ما أوصانى مولانا أوصانى بالرعية وقال ان الرعية وديعة الله عندى وأنا استودعتك ما أودعنيه الله تعالى ثم قال كيف ترضون أن يملككم مملوكان كافران وترضونهم حكاما عليكم يسومونكم العذاب والظلم ولماذا لم تجتمعوا عليهم وتخرجوهم من بينكم فأجابه اسمعيل افندى الخلوتى وقال هؤلاء يامولاى عصبة شديدة البأس وكلهم يد واحدة فغضب الامير من قوله ونهره وقال ويحك أترهبنى ببأسهم وشدتهم فاستدرك وقال أعنى بذلك يامولاى أنفسنا لانهم أضعفوا الرعية فحول وجهه عنهم ساعة ثم صرفهم قالوا والثالثة كانت فى يوم جمعة بعد الصلاة فاستأذنوه فى الانصراف فقال فى غد أكتب لكم مرسوما للرعية فتقرؤنه[1] جهارا فى الجامع الازهر فاعتذر الشيخ العروسى وقال تشتد الفتنة يامولاى فقبل عذره وقال يكفى الاستفاضة ثم عوّقهم يومين آخرين ثم كتب لهم مكاتبات وسلمها الى أحدهم سليمان بيك الشابورى وسرحهم فودعوه ورجعوا وحدثوا بما جرى. أما رسول ابراهيم بيك الذى سار بالهدية الى مقدم العسكر الشاهانى والمكاتبة كما تقدم فانه لما وصل الى الاسكندرية قبض عليه مقدم العسكر المشار اليه وعوقه عن السفر الى دار السلطنة وأخذ منه المكاتبة ثم سرحه فعاد الى القاهرة وأخبر بما جرى له . ووزع مقدم العسكر المذكور عدة مراسيم على مشايخ البلاد وكبار القرى وقد كانت هذه المراسيم وردت اليه من دار السلطنة خطابا الى المشايخ والاعيان فشاع خبرها وتحدث الناس بها وبالغوا وهوّلوا وأرجفوا وقالوا لم يبق الا الحرب والقتال فركب ابراهيم بيك عندئذ واجتمع بالشيخ العروسى والشيخ الدردير والشيخ البكرى وكلمهم فى أمر العامة وأراجيفهم وحثهم على مراقبة أحوالهم ولزوم حضهم على ملازمة الهدء والسكينة وأبلغهم خبر انتصار عسكر مراد بيك على بعض العساكر العثمانية بعد قتال عسى أن تهدأ الخواطر وتطمئن

(١) صحتها فتقرأونه .

القلوب مع أنه لم يحصل شئ من ذلك الى يومها. وجعل ابراهيم بيك يوالى ارسال المدد والمؤن والاسلحة الى مراد بيك فكانوا يمرون بها من وسط المدينة ليراها الناس ويعجبوا بها

وبينما هم على هذا الحال من المواربة واخفاء الحقائق اذ رست ببولاق مصر سفينة من السفن التى كانت تتبع عسكر مراد بيك فى النيل وفيها كثير من المرضى والجرحى من العسكر والمماليك والوجاقلية فتسابق الناس لاستطلاع أحوالهم ومعرفة حقيقة أخبارهم فأخبروا بهزيمة مراد بيك وعساكره وتمزيق شملهم. وذلك انه لما وصل مراد بيك الى الرحمانية(١) عبر سليمان بيك الاغا وعثمان بيك الشرقاوى والالفى النيل الى البر الشرقى وساروا فوقع بينهم نزاع أدى الى الخلف فراجع بعضهم بعضا فكان ذلك أول الفشل ثم تقدموا الى محلة العلويين(٢) وكان بها فريق من العساكر الشاهانية(٣) فاخلوا عنها فدخلوا اليها وملكوها وأرسلوا الى مراد بيك فى طلب المدد فرسم الى بعض الامراء أن يعبروا النيل لامدادهم فامتنعوا فأكبر مراد بيك ذلك وأعظمه وسير بدلهم جماعة من العربان ثم أمر بالركوب فركب من ركب وتأخر من تأخر وسار العسكر جميعه يريدون فوّة فصادفهم فى طريقهم فريق من العساكر الشاهانية وراء المتاريس فخافوا من التقدم الى الامام لوعر الطريق وضيقه وكثرة المساقى والمزارع وكان فى مقدمة العساكر المصرية سليمان بيك أحد كبار الجند فلما

---

(١) الرحمانية : قرية قديمة ، إسمها الاصلى (محلة عبد الرحمن) وفى تاريخ ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م وردت بالاسم الحالى ، وهى احدى قرى مركز شبراخيت

● محمد رمزى ج٢ قسم٢ ص ٣٠٥ .

(٢) محلة العلويين : لعلها قرية محلة العلوى ومعروفة ايضا بكفر العلوى من توابع مركز فوه مديرية الغربية والآن محافظة كفر الشيخ .

● محمد رمزى المرجع السابق ق١ البلاد المقدسة ص ٤٠٥ .

(٣) العساكر الشاهانية : جنود الدولة التابعين للسلطان أو صاحب السيادة ، وشاهانه يعنى المقام الجليل السلطانى فيقال ممالك محروسة شاهانة أى ممالك محروسة سلطانية .

● (ميخائيل شاروبيم ؛ الكافى ج٥ مجلد ١ قسم١ تحقيق د . عبد الوهاب بكر ص٤٥) .

صاروا على مقربة من متاريس عسكر السلطان وجهت العساكر السلطانية أفواه بنادقهم نحو سليمان بيك المذكور ومن معه فانذعر ورجع مسرعا الى الوراء فكبا به فرسه وسقط فحصلت فى جموعه ضجة وظنوها هزيمة فرجعوا جميعا القهقرى فتبعهم العربان الذين كانوا معهم وأخذوا منهم ماقدروا على أخذه من متاع وسلاح فعبروا النيل وكان مراد بيك محتلا بمن معه فى مكان ضيق وعر المسالك فأشاروا عليه بتركه والارتحال الى غيره واجتمعوا وهم على يقين من الهزيمة فكانوا يتخيلون ان العساكر السلطانية سائرة خلفهم ومن أمامهم لتذيقهم مر العطب ومازالوا على هذا الحال من الخوف والطيرة حتى خيم الليل فساروا تحت جنح الظلام ورجعوا القهقرى وطارت الاخبار بذلك فى مصر والقاهرة فعم الخوف جميع الاهالى وصاروا يضطربون من كل شئ ويتطيرون من كل شئ فكان اذا صاح صبى يا أماه ظنوا صياحه مقتلة واذا نادى مناد على شئ قالوا هى عربدة

.واتفق أن مملوكا أراد الركوب على حمار أحد المكارية فازدحم عليه الحمارة على عادتهم وتراكضوا خلفه ناحية الصاغة فظن الناس أنها وقعة وأن العدو على أبواب الصاغة فتراكضوا جماعة خلف جماعة وصاحت الصغار فاضطرب أصحاب الحوانيت وأسرعوا فى غلق حوانيتهم بالأشرافية والغورية والعقادين الى باب زويلة وغيره من الجهات القريبة ثم ظهر بعد ذلك أن لاشئ البتة فعاد الناس الى أشغالهم. ووصل فى غروب ذلك اليوم كثير من الجرحى والمرضى من عسكر مراد بيك ومماليكه وطوائفه فزاد الارجاف واشتد القلق ونزل الباشا من القلعة الى باب العزب واستقرّ به وهمّ ابراهيم بيك بأخذ أبواب القلعة فلم يفلح وأرسل الباشا يطلب قاضى القضاة والمشايخ فى تلك الليلة فصعد اليه بعضهم وتأخر البعض الى الصباح فصعدوا جميعا وصعدت كذلك طوائف الوجاقلية ورفع

الباشا البيرق على باب العزب ونزل چاويش مستحفظان[١] وچاويش[٢] العزب وأمامهما المناداة على العساكر والاجناد والطائعين كافة لله تعالى وللسلطان أن يأتوا تحت البيرق فخرج جميع العساكر والاجناد والتجار وأهل خان الخليلى وعامة الناس على اختلافهم حتى امتلأت الرميلة وقراميدان من الخلائق وارسل الباشا يستحث أمير السفن العثمانية فى القدوم وكان فى عزمه التربص الى خروج الحاج فيأتى الى القاهرة ومعه العساكر البرية أيضا فأخذ يتأهب للحضور ووردت الاخبار بذلك الى ابراهيم بيك

ولما رأى ابراهيم بيك تسابق الناس الى الطاعة واجتماعهم بقراميدان والرميلة وغيرهما أخذ فى نقل أمتعته من ثقيل وخفيف الى دوره الصغيرة واحتجب عن الناس الا القليل وتركه الامراء كافة وطلعوا الى الباشا يطلبون الامان فكان الرجل منهم يأتى الى باب العزب فيطرقه وينادى فلان يطلب الامان ويكرر النداء وينتظر واقفا على أقدامه برهة طويلة حتى يأتيه فرمان بالامان فيدخل بغير سلاح خاضعا ويبقى مع من بالقلعة أما الصغير منهم فانه بعد أن كان يعطى له الامان ينحدر الى الرميلة أو قراميدان ويبقى مع من هم بها وكان الذين طلبوا الأمان من كبار الامراء جماعة كثيرة وكذلك من الغز والاجناد ولما تكامل حضور من حضر من المشايخ والعلماء الطائعين أبرز الباشا خطا سلطانيا وقرأه عليهم وهو يتضمن الحث على سرعة ارسال ابراهيم بيك ومراد بيك الى دار السلطنة وتأمين كل من يطلب الامان أو غير ذلك وبعد تلاوة ذلك المرسوم أقر بعض أصحاب الوظائف العالية فى مناصبهم وفرق بقية الوظائف بينهم ونزلوا الى المدينة ونادوا بالامان والبيع والشراء ونادوا كذلك فى الناس

---

(١) المستحفظان : هو رئيس الشرطة فى القاهرة ، فيشرف على حفظ الأمن ، والسجون ويراقب تنفيذ القانون والاحكام على المذنبين من قبل القضاء ، وعاونه رجال من الجاويشية والشرطة .

● (ليلى عبد اللطيف : الادارة فى مصر فى العصر العثمانى : المرجع السابق ص٣٩٨ ـ ٣٩٩)

(٢) جاويش العزب : مجموعة من الجنود حراس باب العزب .

بالانصراف الى بيوتهم بشرط الاجابة عند الطلب ولم يبق الا المحافظون على الابواب وأصحاب الرتب. أما مراد بيك فانه حضر فى ثانى يوم هذا الحادث الى جهة انبابة وبات ليلته تلك وقام غلسا[1] الى جزيرة الدهب وركب ابراهيم بيك فى تلك الليلة وذهب أيضا الى الآثار ونادى المنادى فى ثانى يوم بصعود الناس الى قراميدان والرميلة فصعدوا أفواجا أفواجا وكثر زحامهم فنودى فيهم بالامان وملازمة الهدء والسكون .

وتخيل الباشا من ابراهيم بيك أمير الحاج وقد كان ممن طلب الامان فرسم[2] له عند ذلك بالنزول الى بيته فتزل من القلعة الى جامع السلطان حسن وأقام به فأرسل اليه الباشا بالذهاب الى بيته فذهب واجتمع ببعض الامراء فى تلك الليلة سرا وأصبحوا فخرج سليمان بيك وأيوب بيك الكبير والصغير وهم ممن طلبوا الامان أيضا فأجيبوا اليه وساروا الى مضرب[3] النشاب وركب ابراهيم بيك أمير الحاج وذهب الى بولاق ليأخذ جمال المناخ المعدة لخدمة الحاج فمنعه من أخذها عسكر المغاربة فرجع الى مضرب النشاب فلما جاء الخبر بذلك الى الباشا بعث اليهم رسولا ومعه مرسوم خطاب لهم بأن يرجعوا الى بيوتهم وأن لايجتمعوا أبدا على هذه الصورة فمزقوا المرسوم وضربوا الرسول وأقاموا على هذا الحال أياما بالمصاطب فاجتمعت عليهم عند ذلك طوائفهم وركبوا ولحقوا بمن خرج قبلهم فاضطربت البلد وظن الناس صعودهم الى المقطم بالمدافع ليطلقوها على المدينة والقلعة وأغلق الناس حوانيتهم فركب الباشا بعد

---

(١) غلسا= الغلس هو ظلام آخر الليل .
● (المصباح المنير : المرجع السابق ص٦١٧) .
(٢) رسم له = اذن له .
(٣) مضرب النشاب : أى مكان الرماية بالنشاب ، ومكانه الآن منطقة جاردن سيتى ، ولايزال بها شارع يحمل اسم (شارع مضرب الرماية) .
● (عجائب الاثار للجبرتى : المرجع السابق ج٢ ص١٦٥) .

صلاة الجمعة وركب كذلك قائد أغا ومعهما كثير من المماليك والعسكر يحملون البنادق والقرابين ووصلوا الى الرميلة ورموا بالبنادق على جماعة الامراء وأطلقوا عليهم المدافع فانحدر المتحزبون الى الصليبة ثم الى باب زويلة ومروا بالغورية[1] والاشرفية وبين القصرين وطلعوا من باب[2] النصر وامامهم المنادى ينادى امان واطمئنان حكم مارسم ابراهيم بيك ومراد بيك وحكم الباشا بطال فلما سمع الناس ذلك ورأوا اجتماع الامراء على هذه الصورة انزعجوا وأغلقوا الدكاكين وهاجوا وماجوا وعلم الباشا بخروجهم على هذه الصورة فأمر فحصنوا القلعة والمحمودية والسلطان حسن ونادى الاغا فى الجند والعسكر بالصعود الى قلعة الجبل فصعدوا وجعل كل فريق يتأهب للحرب والقتال وعم الخبر مصر والقاهرة فانتشر عند ذلك الاشقياء فى الطرق والحارات ينهبون المارة وتطاولت أيديهم الى القتل فى رابعة النهار وانقطعت الطرق حتى الى بولاق القاهرة ومصر القديمة وركب ابراهيم بيك وحسين بيك فى نفر وأتوا الى مناخ الجمال ليأخذوا جمال الحاج فدفعهم المغاربة فعربدوا فى ذلك الصقع عربدة لاتوصف وطلعوا بعد العشاء وباتوا فى السبيل الذى على رأس الرميلة وشدد الباشا فى طلب العسكر وأنفق عليهم نفقة عظيمة فكثر تواردهم الى قلعة الجبل وفى مواقع المتاريس والحصون واشتد الكرب بالناس وضاق خناقهم وكان الصياح لاينقطع فى كل يوم فى أطراف الحارات من قحة اللصوص وتسلط النشالين ودخولهم

---

(١) الغورية : يبدأ من قره قول الاشرفية وينتهى عند باب الكحكيين وبه عده حارات ووكالات الأشرفية الشارع المجاور للغورية .

بين القصرين : هى المنطقة الواقعة بين القصرين القصر الشرقى والقصر الغربى ، وهى منطقة شارع المعز الآن مظهر التقديس ص ٦٩ .

(٢) باب النصر : احد ابواب القاهرة ، وهو أول باب انشئ فى السور الحجرى ناحية الشمال ، وقد شيد بين برجين أو بدنتين مربعتين نقشت على احجارها رسوم تمثل بعض الات القتال من دروع وسيوف ، وفوق الباب فتحات اعدت لتصب منها المواد الحارقة على العدو ، ولكل برج سلم يوصل الى دورين اخرين فوق الدور الأرضى ويعلو مدخل باب النصر عتب من الصنج الحجرية المعشقة .

● (مصطفى بن الحاج ابراهيم : مرجع سابق ص٢٠٠ حاشية (٣)) .

البيوت ليلا وقتالهم مع أصحابها نهارا وشاع فى هذه الاثناء خبر وصول بعض مراكب حرب الدولة الى شلقان ومجئ حسن باشا مقدم العسكر السلطانى ففرح الناس وصعدوا الى المنارات وأعالى الاسطحة ينظرون إلى النيل فلم يروا شيأ فى ذلك اليوم فاشتد الانتظار وزاغت الابصار فلما كان بعد عصر اليوم سمع صوت مدافع على بعد فأجابتها مدافع القلعة ففرحوا واستبشروا وحصل بعض الاطمئنان وصعدوا الى المنارات فرأوا عدة مراكب ونقاير[1] رست على بولاق القاهرة فسروا سرورا ماعليه من مزيد وضجوا ضجيج الفرح فارتجت الارض من ضجيجهم وكان مراد بيك وجماعة من أمرائه قد ذهبوا الى بولاق وشرعوا فى عمل المتاريس جهة السبتية[2] وأحضروا عدة مدافع وجمعوا أخشاباً وشيأ[3] كثيرا من حطب الذرة وزنابيل[4] وغير ذلك فبينما هم يشتغلون فى إحكام تلك المتاريس اذ دهمتهم مراكب حسن باشا تجاه المتاريس فتركوها وولوا الادبار فضج الناس وصاح الصبيان صياح الهزء والفرح وخرجت النساء يزغردن واحتطن بمدافع مراد بيك وكسرن أخشابها وأخذنها للحريق .

واجتمع ابراهيم بيك ومراد بيك وجميع الخوارج[5] وكتبوا الى قاضى القضاة والمشايخ يظهرون التوبة والرجوع الى الطاعة فقرئت كتابتهم بحضرة محمد باشا يكن قال الراوى فقال سبحان اللّه كم يتوبون وكم يعودون فاكتبوا لهم جوابا معلقا على قدوم قبطان باشا فكتبوا لهم بذلك ووصل حسن باشا فى عشاء ليلة

(١) نقاير : جمع مفردها نقيرة ، وهى سفن كانت تحمل البضائع فى البحر المتوسط كما كانت تستعمل كقطع حربية صغيرة .
● مظهر التقديس : المرجع السابق ص٤٨ .
(٢) السبتية : موضعها الان بين شبرا وبولاق .
(٣) شيأ صحتها شيئاً .
(٤) زنابيل : مفردها زنبيل وهى نوع من القفاف كبيرة توضع فيها البضائع أو الاتربة على ظهور الحمير لنقلها ، ويبدو انهم ملأوها والقوها كمتاريس فى الطريق .
(٥) الخوارج : صفة اطلقتها الدولة العثمانية على اتباع الدعوة السلفية من آل سعود لخروجهم على سيادتها ، وهو وصف فيه اجحاف . ولعلهم هنا أتباع مراد وإبراهيم .
● الجبرتى ، عجائب الآثار ج٤ المرجع السابق ص ١٢٣ .

الاثنين ثانى عشر[1] شوال سنة مائتين وألف فأطلقوا لقدومه المدافع من بولاق القاهرة وبات ليلته وأصبح فركب ودخل القاهرة من ناحية باب الخرق ونزل ببيت ابراهيم بيك الكبير بأتباعه وحاشيته وعسكره ووصل بعده الشيخ الاترم المغربى فى طائفة من المغاربة[2] فنزل بهم ببيت يحيى بيك فسكن الحال واطمأنت قلوب الرعية وفتحت أبواب قلعة الجبل ونزل من بها وشاع الخبر بذهاب ابراهيم بيك ورفاقه الى الاقاليم القبلية من خلف الجبل فسارت خلفهم طوائف العسكر على ظهور السفن لقتالهم فقبضوا على عدة مراكب مشحونة بالذخيرة والمؤن وأنفذ حسن باشا أمير السفن رسلا الى اسمعيل بيك الكبير وحسن بيك الجداوى يطلبهما الى مصر وكانا مبعدين بالاقليم القبلى كما تقدم وجمع محمد باشا يكن من بقى من أهل الخير من الامراء وقلدهم المناصب العالية وسلمهم الوظائف ورتب أمور البلاد ترتيبا محكما وأباح على ماقيل للعساكر الشاهانية نهب بيوت الامراء الفارين فدخلوا بعضها وأخذوا ماوجدوه من أمتعة وأثاث وتبعهم العامة والحرافيش فبلغ ذلك مقدم العسكر فركب بنفسه وطاف

---

(١) ١٢ شوال ١٢٠٠هـ = ٨ أغسطس ١٧٨٦م .

(٢) تواجد المغاربة بشكل مؤثر سياسيا واقتصاديا من قبل العصر العثمانى فى مصر ، حيث شاركوا فى عملية مقاومة العثمانيين امام طومان باى ، ثم اخذ منهم السلطان سليم الأول ضمن من اخذهم من مصر الى استانبول وكان معظمهم من التجار .

أما فى العصر العثمانى فكان الدور السياسى الذى لعبه المغاربة قد تمثل فى قبائل العربان المغاربة الذين انتشروا فى انحاء مصر انذاك ، واحيانا كانوا يقومون باعمال سلبية ضد الأمن وازعاج سلطات القاهرة ، وتصدى لهم ولاة الامر فيها كما حدث فى سنة ١٦٨٩م أيام أحمد باشا عندما هاجموا البحيرة ، وحملة اخرى ضدهم فى البهنسا بالصعيد .

ورغم كل هذا فانهم اتخذوا لهم معسكرات حول القاهرة فى : كرداسة ومناطق جنوب البحيرة ، فكانت السلطة فى القاهرة تعمل لهم حسابا حيث طاردوهم الى الفيوم والمنوفية ويرجع هذا التمرد الى قوانين نامة التى حدثت من تواجد العربان بشكل عام وان على الكشاف أن « يوقعوا عليهم أكبر جزاء دون خوف بعد الرجوع الى أمير الأمراء وناظر الأموال» مما لم يألفوه فى عصر المماليك ، فشكلوا لهم كيانا يحافظ على وجودهم تحت زعامات منهم مثل الشيخ الاترم .

للتوسع فى هذا يرجع الى د . عبد الرحمن عبد الرحيم : فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى القاهرة ١٩٩٠ الفصل الحادى عشر من ص ٣٥١ ومابعدها) .

المدينة وقبض على من صادفه من العسكر وعلى من وجده فى تلك البيوت فقتل جماعة منهم ممن كانوا يحملون بعض المنهوبات فانكفوا عن النهب ثم نزل من باب زويلة ومر بالغورية ودخل من عطفة الخياطين على باب الازهر وذهب الى المشهد الحسينى فزاره وكان قد زاد اعجابه بنفسه أو وشى اليه بعض الوشاة فأمر فنودى على النصارى بأن لايركبوا الدواب المطهمة وأن لايستخدموا المسلمين ولايشتروا الجوارى ولا العبيد ومن كان منهم عنده شئ من ذلك باعه أو اعتقه وأن يلزموا زيهم الاصلى من شد الزنانير والزنوط فتسلط العامة عليهم وتتبعوهم بالايذاء ومن وجدوه بغير زنار رجموه بالحجارة وحثوا التراب فى وجهه فانكمشوا وانكفوا عن الخروج أياما وأرسل يطلب من قاضى القضاة احصاء ما أوقفه المعلم ابراهيم الجوهرى عظيم القبط بمصر يومئذ على الكنائس والديارات من أطيان ورزق وأملاك وغير ذلك ثم أحس بما وراء ذلك من الفشل وظهور الفتنة فخاف واستدعى اليه المعلم ابراهيم وكلمه فى الامر فصالحه المعلم ابراهيم على مبلغ عظيم من المال فأمر فنودى فيهم بالامان وعدم التعرض لهم بمكروه فعادوا الى ما كانوا عليه وكان مافعله بالقبط مشجعا للعساكر السلطانية على العود الى الخطف من السوقة وأصحاب الحوانيت وكثر تعديهم على أهل الحرف مثل القهوجية والحمامية والمزينين والخياطين وغيرهم فكان يأتى الرجل منهم الى الحمامى أو القهوجى أو الخياط ويخلع عنه سلاحه ويعلقه على باب الحمام أو القهوة أو حانوت الخياط ويرسم رنكه[1] فى ورقة أو على باب دكان آخر وكأنه صار شريكه وفى حمايته ثم يذهب حيث شاء أو يجلس متى شاء ثم يأتى فى آخر اليوم ويحاسبه ويقاسمه فى ربح يومه ذلك قيل وهذه عادتهم اذا ملكوا بلدا ذهب كل ذى حرفة الى حرفته التى كان يحترفها فى بلده ويشارك ابن تلك البلد فيها فثقل على أهل مصر هذا الفعل وشكوا للباشا واستغاثوا فنودى بابطال

(١) الرنك هى الشارة المتفق عليها لتدل على الشخص والطائفة التى ينتمى اليها .
● حسن عثمان (دكتور) : منهج البحث التاريخى ، القاهرة ١٩٦٥ ص٢٨ .

هذه المحنة ومن أتاه عسكرى يشاركه أو يأخذ منه شيأ بغير حق قبض عليه وضربه وأتى به الى الحكام ثم طاف الوالى وقبض على كل من وجده منهم بالحمامات والقهاوى وطردهم ونهرهم فلم ينكفوا الا بعد حين ورسم حسن باشا أمير السفن فجمعت ودائع جميع الامراء وأموالهم المحفوظة عند الناس واستحضرت زوجات ابراهيم بيك الكبير وأخذ ما كان عندهن من مال وحلى وغيره وكذلك زوجات مراد بيك وقبضوا على خفراء الحارات ليدلوا على البيوت التى فيها تلك الودائع فلم يتركوا محلا الا فتشوه وأخذوا مافيه ونودى فى الاسواق بان من كان عنده وديعة أوشئ من متاع الامراء الخارجين ولم يظهره فى ثلاثة أيام أهدر دمه من غير معاودة وحجروا على زوجات ابراهيم بيك ومراد بيك ببيت كتخدا أياما كثيرة فشفع فيهن العلماء والمشايخ فلم يفرج عنهن واستحضر النحاسين والدلالين وأخرجوا جوارى ابراهيم بيك وباقى الامراء بيضا وسودا وأحباشا ونودى عليهن بالبيع والشراء فى حوش البيت فبيعوا بابخس الاثمان اشتراهن طوائف الضباط والعساكر السلطانية واشتد أمير السفن فى الغلظة وبالغ فى التهديد فأمر ببيع ولدى ابراهيم بيك الكبير وهما مرزوق بيك وعديله هانم وضيق على زوجاته تضييقا عظيما فاجتمع المشايخ وصعدوا الى قلعة الجبل وكلموا الوالى فى ذلك وقالوا هذا أمر لاترضاه الشريعة ولايجوز قطعا بيع الأحرار وطلبوا منه أن يراجع أمير السفن فى ذلك فقال لاقدرة لى على رد كلمته فاذهبوا أنتم اليه وكلموه قالوا ولابد من أن تذهب معنا فذهبوا جميعا وكلمه الشيخ السادات وقال يامولانا قد بعثك السلطان لتذب عن الشريعة المطهرة وتقيم الحدود وتقطع عرق الفساد وتمنع الظالم عن المظلوم لا أن تهدم معالم الدين وتبيع الاحرار فلما سمع كلام الشيخ السادات اغتاظ وأشار الى أحد الكتاب ان اكتب أسماء هؤلاء المشايخ كى ابعث بها الى السلطان واعلمه بحالهم وتوقفهم فى سبيل أعمالى ثم التفت اليهم وقال لا أجد الآن للاقامة بين ظهرانيكم سبيلا وقد عزمت على الرجوع فليرسل اليكم مولانا السلطان آخر فتروا

ماذا يفعل بكم أو ماكفاكم انى فى كل يوم أقتل من عسكرى طائفة على أيسر شئ دفعا لاذاهم عن البلاد وأهلها وارهابا لمن لم يعرف الحدود ولو كان قائد هذه الجموع غيرى لنظرتم كيف كانت يفعل بالبيوت والاسواق والناس فخاف المشايخ وسقطوا فى أيديهم وتلجلج فصيحهم وقالوا انما نحن يامولانا شفيعون والواجب علينا قول الحق ثم انصرفوا وهم على أشد ما يكون من الخجل .

ولما كان يوم السبت غرة القعدة من السنة قدمت الى القاهرة الجيوش البرية ومعهم أمير اسمه عابدى باشا وآخر اسمه درويش باشا وهما مقدما الجيش المذكور فلاقاهم حسن باشا بالعادلية وسار معهم حتى دخلوا المدينة فى أبهة وجلالة وعسكروا بها فلم يحصل منهم إيذاء ولاعربدة بل كانوا اذا اشترى أحدهم شيأ نقد صاحبه ثمنه حالا وباتوا تلك الليلة بخيامهم عند سبيل[1] قماز وأصبحوا وقد ركب عابدى باشا ودويش باشا وسارا امام العسكر الى البساتين فمروا بالصحراء وباب الوزير وأجروا عليهم الرواتب من الخبز واللحم والارز وكأنه لما استقرّ بهم المقام تاقت نفوسهم الى استخدام الجوارى كما فعل عسكر حسن باشا بجوارى الامراء المصريين وجوارى قبطة[2] مصر فقد نودى بعد أيام على المسيحيين من أهل البلاد كافة باحضار ماعندهم من الجوارى ثم نزل العساكر بعد النداء وهجموا على بيوت المسيحيين واستخرجوا مافيها من الجوارى والعبيد فكان شيأ كثيرا وأحضروهم الى حسن باشا فباعهم الى العسكر بابخس الاثمان ثم صاروا يبيعونهم بالمرابحة فاذا أراد أحد أن يشترى جارية ذهب الى بيت الباشا وطلب ذلك فيعرض عليه الجوارى من مكان عند بيت النساء فاذا أعجبته جارية أو أكثر حضر صاحبها الذى اشتراها فيخبره برأس ماله ويقول له وأنا آخذ

(١) سبيل قماز = انتشرت فكرة بناء الاسبلة فى العصر المملوكى والعثمانى لسقيا البشر والحيوانات ، وكانت تبنى لها مبان جميلة وحولها اشجار للظل وكانت تعتبر من الصدقات الجارية حيث كانت تنسب اسمها لمن اسسها أو تأسست لذكراه .

(٢) قبطة = أقباط .

مكسبى كذا فلايزيد ولاينقص فان أعجبه الثمن دفعه والا تركها وذهب ثم وقع التشديد على ذلك وأحضروا الدلالين والنخاسين واستدلوا منهم على من عنده واحدة من الجوارى فكانوا يفتشون بيوتهم دفعات متوالية حتى اشتد الكرب وعم الخطب ولم يقف حسن باشا المذكور عند هذا الحد من الجور والعسف بل أمر فجمعوا المهندسين والبنائين ليدلوا على الخبايا والمطامير(١) التى ربما يكونون قد أنشأوها للامراء والناس كافة فى بيوتهم فكان لايشعر صاحب البيت وهو بجانب عياله الا وقد هجم عليه جماعة من العسكر ودخلوا البيت وأخذوا ينقبون الحيطان وينبشون الارض ويدخلون المحال بلا حياء فيأخذون مايجدونه من فراش أو نحاس أو غير ذلك ويخرجون وصاحب البيت فى دهشة وجمود لايدرى ماسبب حضورهم ولا ما أخذوه وهكذا حتى ضج الناس وعم الخوف وراجت السعاية وظهر شأن أصحاب الدسائس والفتن وعمت الشدة جميع النصارى فضربت عليهم المغارم وطولبوا بخمسة وسبعين ألف ريال نقرة وأمر باحصاء جميع دورهم وملكهم فاحصيت فقرر عليها أجرة تدفع إلى خزينة السلطان ثم ضرب عليهم غرامة أخرى قدرها خمسة آلاف كيس(٢) فضاقت عليهم الدنيا برحبها وباع الكثير منهم جميع ماعنده حتى ملابسه وملابس عياله وقرر على كل شخص منهم جزية جديدة قدرها دينار بلافرق وذلك خلاف الجزية الديوانية المقررة على كل واحد منهم وتتبع الديارات وأخذ كل ماوجده

---

(١) المطامير من الفعل طَمَر أى دس تحت الارض ، وكان المصريون ، يحفرون طرقا تحت الارض تؤدى الى مخازن يطمرون فيها الحبوب ، والمشار اليه هنا هو ما هو مدسوس تحت الارض بعيداً عن الأعين .

(٢) الكيس = هو مقدار من النقود كان يساوى فى هذه الفترة خمسة وعشرين الف بارة اى ستمائة قرش ، وكان الكيس المصرى يزيد مائة قرش عن الكيس الرومى (العثمانى) الذى كان ٥٠٠ قرشا ، والغى التعامل بها فى عام ١٨٦٢ كجزء من التنظيمات العثمانية .

● (مصطفى بن الحاج ابراهيم : تاريخ وقايع مصر ، المرجع السابق ص٩٣ حاشية ١٢) .

● دانيال كريسيليوس : جذور مصر الحديثة ترجمة د . عبد الوهاب بكر ص١٤٢ .

فيها من ودائع وقبض على المعلم(١) واصف أحد عظماء القبط يومئذ ورئيس حسابات الديار المصرية وعليه جميع الايرادات والمصروفات فجلده وحبسه وطالبه بالاموال وكان المعلم واصف المشار اليه كاتبا حاسبا عاقلا حاد الذهن وقاد الذاكرة وكان يعرف التركية حق المعرفة وقبض أيضا على نساء المعلم ابراهيم الجوهرى وكن فى بيت حسن أغا كتخدا على بيك أمين الحساب وضيق عليهن فاعترفن ببعض الخبايا فأخرجوا منها أمتعة وأوانى ذهب وفضة وسروجا وغير ذلك فأخذها ولم يترك سراح النساء بل بقين تحت الحجر أياما كثيرة .

وجاء الخبر بوصول ابراهيم بيك الكبير ومراد بيك ومن معهما الى أسيوط وان السفن الحاملة للعساكر السلطانية سائرة خلفهم فبعث حسن باشا بسفن أخرى وعليها بعض طوائف الجند فسارت ولحقت بالاولى فلما صاروا امام اسيوط أطلقوا عليها المدافع تباعا فأجابتهم مدافع ابراهيم بيك ثم ترفع ابراهيم بيك ومن معه الى الجبانة فلم تتمكن السفن من اطلاق المدافع عليهم وبعثوا الى حسن باشا بذلك فعقد الديوان وجمع الامراء وقلد قاسم بيك أبو سيف ولاية جرجا وقيادة الاجناد والعساكر التى تقرر ارسالها مع عابدى باشا ودرويش باشا وعين معهم عدة كثيرة من الامراء ورسم بسرعة التجهيز والرحيل وصرف النفقة فأنفق هو على قومه فأعطى لكل أمير خمسة عشر ألف ريال والوجاقلية سبعة عشر ألف ريال وأنفق عابدى باشا فى عسكره فأعطى لكل نفر خمسة عشر قرشا فغضبت من ذلك طائفة الدلاة واجتمعوا بأسرهم وخرجوا الى ناحية العادلية مغضبين يريدون الرجوع الى أوطانهم فانزعج الناس ولم يعرفوا ما الخبر فلما بلغ حسن باشا ما وقع ركب فى عسكره وسار الى العادلية يريد قتلهم

---

(١) المعلم واصف كان من الكتاب المباشرين ، يصرف الايراد والمنصرف ، وعنده نسخ من دفاتر الرزنامة ، وكان يحفظ الكليات والجزئيات ولا يخفى عن ذهنه شئ ، كما كان يجيد اللغة التركية ، وقد قبض عليه حسن باشا وحبسه وطالبه بأموال كثيرة لم يستطع دفعها .

● (يعقوب نخلة روفيلة : تاريخ الأمة القبطية القاهرة ٢٠٠١ ص ٧٨) .

فخرج معه بعض العساكر المصرية وركب كذلك عابدى باشا ولحق به عند قصر قايماز وكان هناك أحمد باشا الجداوى فنزل اليه أيضا وأخذوا يستعطفونه ويسكنون غضبه وأرسلوا الى الدلاة فاسترضوهم وزادوا أعطيتهم وجعلوا لكل نفر أربعين قرشاً فاذعنوا وأطاعوا وعادوا جميعا الى القاهرة. وخرج عابدى باشا ودرويش باشا بعسكريهما ونزلوا بالبساتين يومين ثم ارتحلوا الى الاقاليم القبلية فخرجت طوائف الوجاقلية أيضا ونزلوا بخيامهم فى البساتين ولبثوا أياما قلائل حتى جاء أحد كبار العساكر السلطانية من الشام ومعه طائفة من العسكر فنزلوا بالعادلية يوما ثم ساروا الى البساتين وقاموا منها الى الاقاليم القبلية فقامت معهم طوائف الوجاقلية ونودى بان لايتخلف أحد من العسكر ومن تثاقل قتل من غير معاودة .

ولم يكن تسيير الجنود وإعداد معدات الحرب ليشغل حسن باشا أمير السفن عن كشف عورات الناس ومصادرتهم فى متاعهم وأموالهم وأخذ كل ماوصلت اليه يده وتفتيش مساكن أصحاب البيوتات العالية واخراج مافيها وقد دلوه على مكان ببيت المعلم ابراهيم الجوهرى مرتفع مهدوم الدرج وكان هذا المكان لولد له مات فى عنفوان(1) شبابه من نحو الستين سنة فلما مات هدمت والدته الدرج الذى يوصل اليه حزنا على ولدها وترك بما فيه فصعدوا اليه وأخرجوا منه شيأ كثيرا من فرش وأمتعة مزركشة وأوانى ذهبية وفضية وصينية وغير ذلك فاحضرت جميعها الى حسن باشا فباعها بالمزاد بين يديه فى عدة أيام وبالغ فى تفتيش البيوت والاصغاء لأهل السعاية والوشاة واشتدت رغبته فى قطع دابر ابراهيم بيك

---

(١) موت ابن المعلم ابراهيم الجوهرى : كان للمعلم ابراهيم الجوهرى إبنة وابن فقط ولما كبر الابن (يوسف) اراد أن يزوجه ، فخطب له ابنة معلم آخر وبنى له بيتا وزينه وفرشه ، واقام له ليلة زفاف فخيمة دعا إليها عيون القوم من مسلمين وأقباط ، وأثناء الهرج والمرج همس فى أذنه أحد اتباعه بأن ابنه قد مات ، فانقلب الفرح مأتما ، وحزن عليه ابوه وأمه حزنا كبيرا لدرجة أن اغلقا بيته على ماهو فيه ولم يفتحه أحد ، الا عند الاعتداء عليه بهذا الشكل .

● منسى يوحنا : كتاب تاريخ الكنيسة ، المرجع السابق ص٥٤٤ .

ومراد بيك ومن معهما ومحو آثارهم فاجهد النفس وبالغ فى اتخاذ الطرق والوسائل وأكثر من المدد لعساكره الذين ذهبوا لقتالهم وكان فى كل يوم يبعث بالرسل لتأتى له بالاخبار بوقوع موقعة عنيفة بين ابراهيم بيك والعساكر السلطانية لم يتم فيها الظفر لاحد من الطرفين فاغتاظ من ذلك جدا اذ كان يرجو انقضاء الامر قبل دخول فصل الشتاء وهبوط النيل وتعذر انحدار سفن الحرب فأمر عند ذلك بعدم فتح الترع التى كانت تفتح عادة بعد عيد[1] الصليب كبحر أبى المنجا وبحر مويس[2] والقرينين خوفا من نقص الماء وأرسل الى عابدى باشا ودرويش باشا ومن معهما من كبار العسكر يستحثهم ويستنهض هممهم الى الفتك بابراهيم بيك ومراد بيك فرد عليه عابدى باشا ردا حسنا وأرسل اليه أيضا بمكاتبة كانت وردت اليه من ابراهيم بيك ردا على خطاب كان بعث به عابدى باشا يقول فيه بعد كلام ما نصه . كم تخاطبونا بالكفرة والمشركين والظلمة والعصاة مع اننا بحمد الله تعالى موحدون واسلامنا صحيح وحججنا بيت الله الحرام وتكفير المؤمن كفر ولسنا عصاة ولا مخالفين وما خرجنا من مصر عجزا ولا جبنا عن الحرب إلا طاعة للسلطان ولنائبه فانه أمرنا بالخروج

---

(١) عيد الصليب : وموعده ١٧ توت ، وهو اليوم التى عثرت فيه الملكة هيلانة والدة الامبراطور قنسطنطين على الصليب في فلسطين وجعلته فى غلاف من الذهب وبنت كنيسة القيامة على قبر المسيح ، ويقول المقريزى كان لعيد الصليب بمصر موسم عظيم يخرج الناس فيه الى بنى وائل بظاهر الفسطاط ، ويتظاهرون فى ذلك اليوم بالمنكرات من انواع المحرمات . . فلما قدمت الدولة الفاطمية الى ديار مصر وبنوا القاهرة واستوطنوها ، وكانت خلافة امير المؤمنين العزيز بالله أمر فى رابع شهر رجب فى سنة احدى وثمانين وثلثمائة - وهو يوم عيد الصليب - فمنع الناس من الخروج الى بنى وائل وضبط الطرق والدروب»

وجاء عهد الحاكم بأمر الله فمنع الاحتفال به

ويقال ان النيل يكون فى حالة استقرار بعد ارتفاع الفيضان .

● (خطط الميقريزى ج١ ، ط الشعب عن طبعة بولاق ١٢٧٠هـ ص٥٠٠ - ٥٠١) .

(٢) بحر ابى المنجا وبحر موسى والقرينين

بحرا ابى النجا احد افرع النيل غربى قرية ميت نما - محافظة القليوبية وتوجد هناك قناطر ابو المنجا وبحر مويس يمر بمحافظة الشرقية القرينين احدى قرى مركز اشمون محافظة المنوفية : الاطلس العربى ص٢١ .

تسكينا للفتنة وحقنا للدماء وقد وعدنا انه يسعى فى تقرير قاعدة للصلح فخرجنا على هذا الشرط ولم نرض باشهار السلاح فى وجوهكم وتركنا بيوتنا وعيالنا فى عرض السلطان ففعلتم بهم ما فعلتم ونهبتم أموالنا وهتكتم اعراضنا وبعتم أولادنا وأحرارنا وأمهات أولادنا وهذا الفعل ما سمعنا به حتى ولا فى بلاد الكفر وما كفاكم ذلك حتى أخرجتم خلفنا العساكر ليخرجونا من بلاد الله الواسعة ويهددونا بكثرتهم ومن من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وأما عساكر مصر فأمرها فى الحرب والشجاعة مشهور فى سائر الاقاليم والايام بيننا وكان الاولى بكم الاجتهاد والهمة فى استخلاص البلاد التى أخذها الكفار واستولوا عليها مثل القرم والورن واسمعيل لا ان تأتوا هنا على هذه الصورة المنكرة وكتب غير ذلك من اقوال اخرى ركيكة المبنى قد أضربنا عن ايرادها . فأجابهم عابدى باشا ونقض عليهم وزحف بعسكره فاشتبك بينهم القتال عند المنشية والتحم الفريقان فقتل منهم جملة كبيرة وأبلى المصريون بلاء حسنا للغاية فتنحت عنهم العساكر السلطانية ناحية وهجم ابراهيم بيك وأصحابه وألقوا بأنفسهم فى نيران الحرب وطلب كل غريمه ثم اندفع العثمانيون وظهر من شجاعة عابدى باشا ما شهدت به الاعداء وأصابت اسمعيل بيك الكبير رصاصة فى فمه فخرجت من صدغه فولى منهزما وألقى بنفسه الى النيل وركب فى حراقة صغيرة وانحدر الى مصر وكان حسن باشا أكثر من استدعائه وهو يعده ويرجوه كتمان خبر طلبه فلما دخل القاهرة اجتمع بحسن باشا برهة ثم ذهب الى بيت مملوكه على بيك چركس وقد خلع عليه حسن باشا خلعة سمور وأصبح وقد شاع خبر حضوره على هذه الصورة فتحدث الناس فى أمره وكثر اللغط وأعقب ذلك أيضا الاشاعة بهزيمة العساكر السلطانية وأرسل حسن باشا فى طلب طوائف العسكر الذين بندينة[1] الاسكندرية وأرسل أيضا الى دار

(١) بندينه : صحتها بمدينة .

السلطنة يطلب المدد وحضر حسن بيك الجداوى ومعه بعض الجند وقد أصيب بجراحة عظيمة فثبت بحضوره خبر هزيمة العساكر السلطانية وكذلك حضر بقية الامراء وأكثرهم مصاب بجروح ثم وصل عابدى باشا أيضا ونزل بقصر العينى أياما وهو محتجب عن الناس الا القليل من قومه ولم يظهر الا لملاقاة الرسول الذى حضر من دار السلطنة بمرسوم ولايته على مصر وخلع محمد باشا يكن وتسييره الى ديار بكر بدلا من عابدى باشا وانتشر الخبر بذلك فى مصر والقاهرة وعمّ الآفاق وجعل عابدى باشا ينقل أمتعته الى بولاق القاهرة ويتأهب للصعود الى قلعة الجبل وذلك فى المحرم افتتاح سنة احدى ومائتين وألف هجرية[1] وسافر محمد باشا يكن الى مركز ولايته الجديدة فكانت مدة تصرفه سنتين وبضعة أشهر وكان كريم الاخلاق عاقلا رزينا يكره الظلم ويبغض أهله فلذلك لم يكن ليرضى عن أعمال حسن باشا أمير السفن بل كان ناقما عليه كثير التوجع مما أصاب الرعية من عسفه وجوره. وصعد عابدى باشا الى قلعة الجبل وأخذ يتصرف فى الامور ويدبر مع حسن باشا أمر الحرب مع الامراء المصريين فأكثر من ارسال المدد الى درويش باشا وبث العيون والارصاد حول ابراهيم بيك ومن معه فجاءه الخبر يوما بانحدار ابراهيم بيك وجموعه الى مصر واقتراب طلائعهم من بنى سويف وانه مات منهم عدة كبيرة من الامراء والكشاف ولكن مازالت نفوسهم قوية على الحرب وقد أحبوا الموت فأزعجه هذا الخبر واستعظمه ثم جاءه بعد قليل رسول من قبل مراد بيك ومعه مكاتبة تتضمن طلب الصلح والالحاح بالكف عن القتال حقنا للدماء وانهم قد تابوا ورجعوا عما كانوا عليه ثم قالوا. فان لم تجنحوا الى الصلح فليس بيننا وبينكم غير الحرب والقتال فلما وقف أمير السفن على ما فى خطاب مراد بيك أسرع فى تسيير مابقى عنده من مراكب

(١) ١٢٠١هـ = ١٧٨٦م.

الحرب الى ناحية التبين[١] فاصطفت هناك وأمر فعملوا متاريس وحفروا خندقا ووضعوا من المدافع عدة كثيرة وخرج رضوان بيك بليفيا وسليمان بيك الشابورى وعبد الرحمن بيك عثمان وبرزوا بخيامهم ناحية البساتين ليسيروا منها الى الصعيد وأتت الجواسيس فاخبروا بتربص ابراهيم بيك وجموعه بناحية بنى سويف ومراقبتهم للفرص فانفق حسن باشا فى العسكر ثلث نفقة وطلب من التجار قرضة[٢] لينفقها فشكوا من كساد الحال فشدد فى الطلب فأغلقوا حوانيتهم فهجم الجنود على بيوتهم ونهبوا ماوجدوه فيها وفرض على الاهالى مبلغا عظيما من المال فجمعوه بشق الانفس وطلب الخيول والبغال والحمير والجمال فأخذوا دواب الناس بلا ثمن وجمال السقائين كافة والمكارية فضج الناس وعجوا الى الله تعالى ووقع الصياح فى العامة والبكاء من نساء السقائين والمكارية وغيرهن وكثرت ولولتهن وطفن حاسرات يندبن فلم يلتفت اليهن ولارد شيأ مما أخذ ووردت مكاتبة أخرى من ابراهيم بيك بطلب الصلح وحقن دماء المسلمين فجمع حسن باشا الامراء كافة وقرأها عليهم فأبوا جميعا الا القتال وبعد كلام أشار حسن بيك الجداوى بصرف طائفة المحمدية من العساكر تخوفا وتخيلا منهم اذ هم ميالون الى ابراهيم بيك وأصحابه فأجابه حسن باشا الى ذلك وأمر فجمعت منهم خيولهم وسروجهم فكان لذلك أثر مهم وكادت جيوشه لذلك تفشل فهاله الامر ووقف فى وسط الجند وقال مخاطبا لكبار العسكر قد أمنتكم فلا تكونوا من الخائنين واياكم والخدعة والاخذ بالوجوه فتنحازون الى الاعداء بغضا فينا أو تزلفا اليهم وحرصا على الجنسية فافقهوا واعلموا انكم ان فعلتم شيأ من ذلك خربت البلاد سبع سنين عقابا وجعلت الدماء فيها الى لبب

---

(١) التبين : من القرى القديمة وكانت تتبع مركز الجيزة ، وفى عام ١٩٠٥ صدر قرار بالحاقها بمركز الصف لوقوعها على الشاطئ الشرقى للنيل جنوبى حلوان .

● محمد رمزى ج٣ ، ص٢٨ .

(٢) قرضة = سلفة .

الخيل. ثم نادى المنادى بالتأهب وعدم تخلف أحد وطاف الأغا على العساكر والاجناد يخرجهم من أماكنهم ويقف على الخانات ويسأل عمن بها منهم ويحثهم على سرعة الخروج والالتحاق بالعسكر. وعادت رسل ابراهيم بيك الى معاودة حسن باشا فى أمر الصلح وأحضروا معهم ابن أخ عابدى باشا وكان قد أسر مع بعض العساكر السلطانية فى الوقعة الاخيرة وأرسلوا معه منهوبات عابدى باشا وجميع المجاريح وقد أنفقوا على كل واحد منهم دينارا فلم يجبهم حسن باشا إلى الصلح الا بشرط خروجهم من الديار المصرية بعيالهم ونسائهم الى بلد يختارونها والا فالحرب والقتال فلما عادت الرسل بهذا البلاغ اتفقوا جميعا على الانحدار الى مصر واصلاء نار الحرب حتى يقضى اللّه أمرا كان مفعولا فانحدروا ووصلت طلائعهم الى أرض الجيزة وصاروا بين الرقق والجيزة وفرضوا الكلف والمغارم ومؤنة العساكر على أهالى الجيزة فبرز عند ذلك اسمعيل بيك الكبير وحسن بيك[1] الجداوى بخيامهما الى ناحية طرا[2] ومنعوا السفن والمعادى كافة وأرسوهم بالجانب الشرقى من النيل كى لايتمكن جموع ابراهيم بيك من العبور الى مصر ونودى على جميع طوائف المحمدية بالخروج والاجتماع تحت لواء اسمعيل بيك ومن تأخر عوقب وقبضوا على عدة كبيرة منهم ونهبوا بيوتهم وسجنوهم بقلعة الجبل فخرجوا جميعا من عساكر ومماليك واتباع وطلب اسمعيل بيك من تجار المدينة قرضا للنفقة فاعتذروا فادعى على تجار البن[3]

---

(١) من خشداشية ، محمد بك أبو الذهب . ولما تولى على بك على مصر ولاه إمارة جده ومن هنا لقب بالجداوى وذلك عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م . وقد إتسم بالشجاعة والفروسية . وقد مات بالطاعون فى مدينة غزة .

● الجبرتى ، مظهر التقديس ، نفسه ، ص٢٥٦ .

(٢) طرا = هى طره وهى قرية قديمة اسمها المصرى Taraou واسمها القبطى Traja تقع شرقى النيل ، وهى شهيرة بمحاجرها والآن هى تابعة للقاهرة الكبرى .

● عجائب الاثار الجبرتى جـ ٤ المرجع السابق ص٩٣ .

(٣) تجار البن : كانوا من اشهر التجار لأن البن كان من السلع الرئيسية المستوردة الى الموانى المصرية وبخاصة السويس وشكلت رسومه النسبة المرتفعة فى الجمارك .

● (الدرة الصانة تحقيق كريسيلوس وعبد الوهاب بكر ص ٢٧٧) .

بمبلغ من المال قال هو باقى حساب له يوم كان قابضا على زمام مشيخة[1] البلد فصالحوه على مبلغ أربعة آلاف ريال وجاء رسول من قبل ابراهيم بيك الى حسن باشا ينذره بالحرب والقتال ويعلمه بخروج جموع ابراهيم بيك وانحدارهم الى مصر فتعجب حسن باشا من ذلك ولم يعوّق الرسول بل سرحه ونادى فى عسكره بالتأهب وخرج هو واسمعيل بيك وحسن بيك الجداوى وجميع الامراء وساروا الى نواحى البساتين ثم اجتاز بعض العساكر البحرية النيل الى انبابة وعملوا هناك متاريس وخنادق وانحاز ابراهيم بيك ومراد بيك وجموعهما الى ناحية الاهرام باحمالهم وجعلوا يتربصون الفرص ويتبينون انتفاعها وقد سئمت نفوسهم الحياة على هذا الحال واتفق انه دخل المحمل والحاج القاهرة فى هذه الايام بعد أمور وقعت للحجاج فى الطريق يطول شرحها فسار حسن باشا وبعض الامراء للقائه وتحقق ماجرى على الحجاج فلما علم ابراهيم بيك بتغيب حسن باشا عن القاهرة زحف ليلا بجموعه على المتاريس التى بانبابة وهجموا عليها هجمة رجل واحد فصدهم أصحاب المتاريس وأطلقوا عليهم المدافع من البحر والبر وتابعوا الرمى من الفجر الى طلوع الشمس فرجع ابراهيم بيك وأصحابه الى مواقعهم من غير طائل ثم عادوا بعد ظهر اليوم فردوا على أعقابهم وارتحلوا الى دهشور وأقاموا بها أياما فساءت جموعهم وداخلهم الفشل وانسلخ منهم جماعة كثيرة وانحازوا الى العساكر البحرية فخاف ابراهيم بيك شر العاقبة وجنح الى اعادة الكلام فى أمر الصلح وكتب يطلب أن تعطى لهم بعض الجهات بالصعيد

---

(١) بعودة المماليك الى الادارة فى عهد العثمانيين اعترفوا لهم بلقب جديد كان يطلق على كبيرهم انذاك ، فكبير المماليك الذى كان مقدماً بين اقرانه البكوات وباعترافهم كان يحمل سابقا لقب «أمير مصر» أو «رئيس» وفى النصف الاول من القرن ١٨ اعترفت الادارة العثمانية له بلقب «شيخ البلد» ، ورغم ان هذا اللقب لم يكن ذو صفة رسمية فى ترتيب الوظائف العثمانية ، الا انه كان يشير الى وزن حامله ، كما كانت المشيخة وسيلة اخرى من الوسائل التى يتدخل بها السلطان فى شئون المماليك ، مما كان احيانا يثير النزاعات بينهم من حيث منحه أو سحبه ومن ثم أصبح مصدرا للتنافس بينهم لمصلحة السلطان العثمانى

● دانيال كريسيليوس : جذور مصر الحديثة ، مصدر سابق ص ص٦٧ ، ٦٨ .

ليقيموا بها ويتعيشوا منها وينكفوا عن القتال فأجابه حسن باشا الى ذلك بشرط ان لايسمح بذلك الا لجماعة قليلة منهم ويحضر باقى الامراء والعسكر الى القاهرة ويقيموا بها فلم يرض ابراهيم بيك بذلك وترفعوا الى ناحية بنى سويف واستقروا بها فرجعت عنهم عند ذلك عرب الهنادى الذين كانوا معهم وفارقوهم وأخذت أحوالهم فى التأخر وشدد حسن باشا فى تسيير العساكر الى الصعيد فساروا فى خيل ومدافع وكثير من المعدات وسار خلفهم عابدى باشا ومعه لفيف الامراء وجاء الى حسن باشا المدد من عساكر السلطان من قبرس والقرمان وغيرهما فعسكروا فى البساتين ورسم حسن باشا فصنعوا ابراجا نقالة ومتاريس على اشكال مختلفة وسيرها خلف العساكر ثم وردت الاخبار بعد أيام بارتحال ابراهيم بيك ومن معه من بنى سويف الى أسيوط وان قد تخلف عنهم كثير من المماليك والاتباع فى نواحى منية ابن خصيب وغيرها وجاء منهم جماعة الى القاهرة وحدثوا بأخبارهم وقد انضم جماعة من الامراء الى معسكر عابدى باشا طائعين فأمنهم واستبقاهم ولما وصلت العساكر السلطانية الى أسيوط ترفع ابراهيم بيك وجموعه الى طحطا[1] وتترسوا بها وتأهبوا للقتال فسارت العساكر خلفهم ثم انقطعت بعد ذلك الاخبار حينا فخاف حسن باشا وتابع ارسال الرسل لاستطلاع الاخبار ومعرفة ماحل بالعسكر فلم يرجع منهم من يخبر بالخبر وبقى الحال هكذا أياما ثم قدم رسول ومعه مكتوب من عابدى باشا يخبر بوقوع الحرب فى يوم الجمعة ثامن عشرى[2] ربيع الآخر سنة احدى ومائتين ناحية الامير ضرار فكانت الهزيمة على ابراهيم بيك وجموعه بعد أن أبلوا بلاء حسنا جدا وهزموا العساكر السلطانية هزيمتين وهجموا على الحصون والمتاريس والابراج النقالة هجوم الاسود الضوارى فقتل منهم عدة كبيرة من الامراء والاجناد والمماليك قال

---

(١) طحطا = وهى طهطا .

(٢) ١٨ ربيع الاخر ١٢٠١هـ = ٧ فبراير ١٧٨٧م .

الراوى وكانت الحرب بيننا نحو ست ساعات مات فيها من العساكر السلطانية عدة وافرة فلما علم حسن باشا بما ذكر سكن روعه وأمر فأطلقت المدافع من قلعة الجبل نهارا والحراقات والالعاب النارية ليلا وطاف المبشرون على بيوت المشايخ والاعيان يبشرونهم بنصر العساكر السلطانية . فأتوا وهنئوا[1] حسن باشا بهذا النصر وترفع ابراهيم بيك ومن بقى من جموعه الى عقبة الهو ثم ساروا منها الى ابريم[2] والعساكر فى اثرهم تتخطفهم من خلف ثم عادت العساكر الى اسنا ونزلت بها وكتب عابدى باشا يسأل البقاء بمن معه من العسكر والامراء باسنا[3] أو الانحدار الى مصر فكتب له حسن باشا بالانحدار ومعه اسمعيل بيك الكبير وباقى الامراء وترك حسن بيك ومحمد بيك المبدول ويحيى بيك باسنا مع سائر العسكر فانحدر عابدى باشا الى قلعة الجبل من غير ابهة ولاكبكبة فلم يستقر به المقام حتى جاءت الاخبار منبئة بزحف ابراهيم بيك وجموعه الى أسوان وانهم عبروا النيل الى اسنا فأجلوا عنها من كان بها من العساكر واحتلوها وانحدروا الى جرجا فارتحل عنها من بها من العساكر أيضا ورجعوا القهقرى فادهش حسن باشا هذا الخبر وجمع اليه الامراء وأرباب المناصب وشاورهم فى الامر فاختلفت كلمتهم وتباينت أهواؤهم ثم استقر رأيهم على أن يخابروهم فى الصلح بشرط انهم يقيمون فى البلاد التى كانت بيد اسمعيل بيك الكبير وحسن بيك الجداوى وأن يرسلوا الى مصر أيوب بيك الكبير وأيوب بيك الصغير وعثمان بيك الاشقر وعثمان بيك المرادى ليقيموا بها رهائن وكتبوا بذلك

---

(١) هنأوا .

(٢) ابريم : فى بلاد النوبة المصرية ، على الشاطئ الشرقى للنيل جنوب اسوان ، وكثيرا مالجأ إليها المماليك الفارين من الشمال .

(٣) اسنا : بلدة صغيرة تقع على الشاطئ الغربى بمنطقة الأقصر تحيطها الجبال واسمها القديم سنا ، لجأ اليها المماليك كذلك فى فرارهم الى الجنوب

● على مبارك المرجع السابق ج٨ ص ص١٣٠ــ ١٤ ، ٥٩)

مكاتبات وأرسلوها صحبة الشيخ سليمان الفيومى[1] وبعض الامراء فقبل ابراهيم بيك ومراد بيك هذا الصلح وجنحوا لشروطه فأرسلوا أيوب بيك الكبير رهينة عن المماليك المحمدية وعثمان بيك الطنبرجى عن مراد بيك وعبد الرحمن بيك عن ابراهيم بيك الكبير فلما تمثل هؤلاء بين يدى حسن باشا سأل الامراء فى

---

(١) الشيخ سليمان الفيومى ، ولد بالفيوم وحضر الى مصر وحفظ القرآن وتلقى العلوم فى الأزهر الشريف ، ومع قلة بضاعته من العلم ـ كما يقول الجبرتى ـ فقد نال مكانة كبيرة بين الناس بما اشتهر عنه من الجود والكرم وحسن المعاشرة والتواضع ، فكان الناس يلجأون إليه لرفع الظلم عنهم «فمالت إليه القلوب ووفد اليه ذوو الحاجات من كل ناحية . . . ونال احترام الأمراء المماليك ونسائهم بما اشتهر عنه من مكارم الاخلاق والتعفف والتورع ، فكان يدخل بيوتهم ويتلقاه نساء الأمراء فى مجالسهن ويجلس معهن ويسرهن محادثته ويقلن « زارنا ابونا الشيخ وشاورنا ابانا الشيخ فأشار علينا بكذا»

وله مواقف عظيمة تدل على الشهامة ، فإنه لما جاء حسن باشا الجزائرلى الى مصر سنة ١٧٨٦ لإعادة الحكم التركى ومحاربة المماليك ، ارتحل هؤلاء الى الصعيد ، وأحاط حسن باشا بدورهم وطلب الأموال من نسائهم واعتقل اولادهم وجواريهم وازواجهم وانزلهم الى سوق المزاد فالتجأن الى الشيخ الفيومى فأواهن واجهد نفسه لحمايتهن .

ولما جاء الفرنسيون الى مصر وطردوا المماليك خرج نساؤهم من بيوتهم وذهبن اليه فأمتلأت بهن داره وماحولها من الدور فحماهن من الفرنسيين

وكان ذا مكانة لدى الفرنيسين فانتخب للديوان فى عهد نابليون ثم فى عهد مينو وكان مشاركا فى ثورة امير الحج عندما ولى نابليون مصطفى بك نائب الوالى التركى القديم أميرا للحج تقريبا له منه الا انه انشق عليه وعاونه الفيومى فى هذا الموقف ، واخذ يطوف البلاد مع مصطفى بك امير الحج لإثارة الفلاحين ، وكتب عنه الجنرال (دوجا) فى رسالة الى نابليون أن طوافه مع أمير الحج كان من اسباب استعجال الثورة لما له من المكانة بين الناس ، وقد رجع الى القاهرة بعد اخماد الثورة ووضع تحت المراقبة .

وفى عهد الجنرال مينو وضع الفرنسيون نظاما جديداً لتعيين مشايخ البلاد (العموم) فأوجبوا أن يكون تعيين كل شيخ بلد بأمر من القائد العام وجعلوا لهيئة مشايخ البلاد مفتشين ، وجعلوا لها رئيسين أحدهما فرنسى وهو المسيو بريزون Brizonوالآخر مصرى وهو الشيخ سليمان الفيومى فكان شيخا للمشايخ وفى آخر الحملة الفرنسية اعتقل فى القلعة حين وردت انباء الحملة الانجليزية العثمانية ثم افرج عنه ، وكان محل احترام العثمانيين ، وظل كذلك حتى وقعت الفتنة التى ادت الى مقتل طاهر باشا وقتل خليل افندى الرجائى الدفتردار ، التجأ اليه أخو الدفتردار وحاشيته فأواهم فى داره حتى سافروا الى بلادهم ، ومات سنة ١٢٢٤هـ .

●(عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ج٢ ، ١٩٥٨ ص ص ٢٧٠ ـ ٢٧٢ .

أمرهم فقالوا لم يحضر ممن طلب سوى ايوب بيك الكبير ولاسبيل للصلح إلا بتنفيذ شروطه فكتب حسن باشا بذلك ثانيا الى ابراهيم بيك ومراد بيك وأرسل اليهما كتخداه فقبلوا بشرط اعطائهما بلادا زيادة حيث ان ما أعطى اليهما لم يكفهما فزادهم حسن باشا خمسة بلاد أخر فلما استقرت القاعدة بينهم على ماذكر جاء الطلب الى حسن باشا بسرعة الرجوع الى دار السلطنة حيث انتشب القتال بين الدولة العلية والروس[1]وقامت الحرب على ساقها فجمع المشايخ وسائر الامراء وعابدى باشا فى مقره وقرأ عليهم مرسوم السلطان بالطلب وطرفاً من أخبار الحرب مع الروس وتولى الروس على مابقى من بلاد القرم وشنهم الغارة على كثير من أملاك السلطنة ثم ابرز مرسوما آخر يتضمن العفو عن ابراهيم بيك ومراد بيك من القتل وبقاء ابراهيم بيك بقنا ومراد بيك باسنا وعدم التصريح لهما بالعود الى مصر أبدا ثم أظهر عزمه على الركوب والسفر فى يوم الجمعة بعد صلاة الظهر ثانى عشر ذى الحجة من السنة .

---

(١) كانت روسيا منذ سبيعنات القرن ١٨ تحاول الاستيلاء على القرم ، فجعلت تبث فيها المشاغبات لإخضاعها وضمها اليها ، فعزل اميرها دولت كراى الذى انتخب بمقتضى معاهدة قينارجة واقاموا جاهين كراى فوقعت حرب أهلية هناك وتمكن القائد الروسى بوتمكين من احتلالها بسبعين الف جندى روسى فهاجت الدولة العثمانية طالبة احترام معاهدة قينارجة باستقلال القرم ، الا ان فرنسا اقنعتها بأن الحرب لاطائل وراءها وان جيش العثمانيين ليس اهلا لها فقبل العثمانيون نصيحتها واعترفت بضم القرم لروسيا فى ١٧٧٤ .

الا أن روسيا لم تقنع بهذا فعادت تعمل لنشوب حرب بينها وبين الدولة العثمانية ، فحصنت ميناء سباستبول واقاموا ترسانة فى كرزن واسطولا فى البحر الاسود ، وسار بوتمكين الروسى ودخل بجيوشه فى مدينة اوزى فى ١٩ نوفمبر ١٧٨٨ وهنا تحالفت النمسا مع روسيا ضد الدولة العثمانية ، الا أن الجيش العثمانى هزم فيها ، وهنا توفى السلطان عبد الحميد الأول سنه ١٧٨٩ فاستطاع جيش النمسا وروسيا أن يستولى على مدينة بندر ومعظم الأفلاق والبغدان وبسارابيا حتى مدينة بلغراد .

ولم يسع الدولة العثمانية الا توقيع معاهدة صلح فى ٢٢ اغسطس ١٧٩١ ردت النمسا اليها بمقتضاها الصرب وبلغراد .

● للتفصيل يرجع الى محمد فريد : تاريخ الدول العلية ص ، ص ٣٥٩ ـ ٣٦٤ .

فلما كان اليوم المذكور وركب جميع الامراء وسار أرباب المناصب لوداعه فلما تكامل حضورهم فى مقره أمر فقبضوا على جميع الامراء الرهائن وسلمهم الى اسمعيل بيك وأمر فسلموا له أيضا عدة مدافع وكثيرا من آلات الحرب وقليونا[١] صغيرا ورتب له جماعة من العساكر السلطانية عددهم ألف وخمسمائة يقيمون بمصر ثم رحل الى الديار الرومية وأخذ معه الامراء الرهائن ففرح الناس بارتحاله اذ لم يروا على يديه خيرا وقد ضاقت نفوسهم مما ذاقوه من جوره وعسفه فانفرد اسمعيل بيك بإمارة البلاد وعلت كلمته ونفذت اشارته وهابه الامراء فوزع المناصب العالية بين قومه وأتباعه ومماليكه واستوزر محمد أغا البارودى فأعانه على فعل مافى نفسه فتعقب زلات الناس وأخذ على صغائر الامور وكبائرها وشدد وهدد فى طلب المغارم وفرضها على الناس على اختلاف أجناسهم فضجوا واستغاثوا واجتمعوا وذهبوا الى الازهر وصاحوا من جور هذا النازل وحضر الشيخ العروسى فقاموا فى وجهه وهموا بقفل أبواب الجامع فمنعهم من ذلك فصاحوا عليه وسبوه وسحبوه بينهم الى جهة رواق الشوام فمنع عنه المجاورون وأدخلوه فى الرواق ودفعوا عنه الناس وأغلقوا عليه الباب ومعه طائفة المتعممين وكتبوا كتابة بذلك الى اسماعيل بيك وأرسلوها اليه صحبة الشيخ الفيومى فبعث جوابا بالعفو والامان وعدم المطالبة بتلك النوازل وانها انما هى قرض من القادرين على دفعه فلما قرأ عليهم الجواب صاحوا هذه خدعة لانرضى بها أبدا فركب الشيخ العروسى وحوله هذا الجمع العظيم والغوغاء والمجاورون ولاسيما العميان منهم وطائفة من المجاورين تدفع الناس عن العروسى والعامة يصيحون عليه ويسبونه ويخاطبونه بفحش القول الى أن وصل

---

(١) القليون : نوع من السفن يسمى ايضا الغليون والذين يعملون عليه يسمون بالقليونجية أو الغليونجية .
● أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ص ١٧١ .

الى باب زويلة فنزل بجامع[1] المؤيد وأرسل الى إسمعيل بيك يخبره بهذا الحال فحنق اسمعيل بيك وظن انها مكيدة من الشيخ وانهم انما فعلوا ذلك باغراء منه فأجابه الرسول وحلف له أن الشيخ برئ من ذلك ولاقصد له سوى الخلاص فأرسل لهم بالامان ومعافاتهم من تلك المطالب فبلغهم الشيخ ذلك وأشار عليهم بالانصراف فأطاعوا وانصرفوا ومضى على ذلك يومان ثم أمر اسمعيل بيك فانطلق المطالبون الى أهل الصاغة والجواهرجية والنحاسين وطالبوهم بالمقرر عليهم فقاموا بوفائه صاغرين ثم طالبوا وكلاء الجلابة وتطرقوا الى مطالبة بقية الاهالى وأرباب الحرف كافة فكانت اثنتين وسبعين حرفة .

ولم تكن لتستقر الراحة باسمعيل بيك بعد تلك الخطوب حتى جاءه الخبر بانتقاض ابراهيم بيك ومراد بيك ومن معهما من الامراء وانهم زحفوا من أسيوط على منفلوط فهرب من كان بها من الجند والكشاف وجاؤا الى مصر وأخبروا بذلك فلما تحقق الخبر صعد اسمعيل بيك فى صبح اليوم الى قلعة الجبل وجمع الامراء وكبار الوجاقات والمشايخ وقص عليهم الخبر وقال هل يجوز قتالهم الآن فقال المشايخ يجوز قال حيث جاز قتالهم فقد وجبت النفقة من الخزينة السلطانية وحيث لاخزينة للسلطان فى هذه الديار فقد وجبت عليكم جميعا فضاقوا عند سماعهم هذا الكلام واعتذروا وأظهروا العجز وكساد الحال وضيق ذات اليد فلم يقبل منهم وشدد فى الطلب وهدد وبالغ فى الوعيد فطلبوا مهلة وعادوا الى الكلام فى هذا الموضوع فاتفقوا على أن يبلغوا دار السلطنة خبر انتقاضهم ورجوعهم الى العصيان وأن يكتبوا لهم أيضا انذارا وتحذيرا فان زحفوا على مصر

---

(١) جامع المؤيد : يقع بشارع المناخلية والسكرية ، انشأه الملك المؤيد ٨١٨هـ/١٣ مارس ١٤١٥ ـ ٢٩ وجعل على محرابه قبة مرتفعة وله ثلاثة أبواب اكبرها بشارع السكرية والاخران بالجدار البحرى يفتح احدهما على المطهرة بقرب شارع تحت الربع والاخر بشارع الأشرافية ويقع بالقرب من باب زويلة .

● على مبارك : الخطط التوفيقية لمصر ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ط٢ القاهرة ١٩٨٠ ج٣ ص ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

قبل أن يأتى جواب الباب العالى قوتلوا والا تربصوا حتى ياتى الجواب . واتفق فى هذه الاثناء حضور وال الى جدة اسمه محمد باشا بعسكر جرار ونزل بالسويس يريد ركوب السفن بعسكره الى جدة فكتبوا اليه أن يحضر بعسكره الى القاهرة وأمر اسمعيل بيك بغلق جميع أبواب المدينة الا باب النصر ووضع على الابواب طوائف الحراس وضربت المغارم على البلاد من أجل نفقة العسكر فجعلوا على كل بلد مائة دينار نقرة وعشرة عدا مايتبع ذلك من الكلف وقيدوا بتحصيلها قوما وجمعوا جميع مماليك واتباع الامراء الذين مع ابراهيم بيك وهم الذين تخلفوا بمصر والقاهرة فأخذوا ماوجدوه معهم من خيل وسلاح وأنزلوهم فى سفن الى الاسكندرية وحبسوهم فى برج هناك وشرع اسمعيل بيك فى اعداد معدات الحرب وجمع الذخيرة والمؤن واجتهد فى سبك القنابل واتقان المدافع وكان يباشر ذلك بنفسه فى كل يوم وبينما هو على هذا الحال اذ قدم رسول من قبل ابراهيم بيك ومعه مكتوب للامراء والمشايخ بمصر يكذب فيه ماعزى اليهم من نقض العهد والخروج ويقول ان الذى انتقض وعمل على خلاف العهد هو حسن باشا القبطان حيث أخذ معه الرهائن وأذاق الذرارى والنساء مضض الضيق فكتبوا له يلاطفونه ويهونون عليه حتى يتمكنوا من جمع العساكر والتأهب للقتال ولم يكتبوا له بما وقع الاتفاق عليه حتى جاءت منه مكاتبة أخرى بعزمه هو ومن معه على القتال ومبارزة الاعداء وجها لوجه فجمع الباشا المشايخ والعلماء والامراء فى ديوانه وقرأ عليهم مكاتبة ابراهيم بيك فوقع فيهم الهرج وكثر القال والقيل فابرز لهم الباشا فتوى موقعا عليها من شيخ اسلام دار السلطنة أجاز فيها قتال ابراهيم بيك وجموعه ومحاربتهم ثم طلب منهم أن يفتوه هم كذلك بجواز الحرب والقتال ليدفع اذاهم عن البلاد وأهلها فنزل المشايخ فى الحال من قلعة الجبل الى الجامع الازهر واجتمعوا جميعا ونظموا هذا السؤال

ماقولكم دام فضلكم فى جماعة أمراء وكشاف تغلبوا على البلاد المصرية وحصل منهم الفساد والافساد ومنعوا خراج السلطان وأكلوا حقوق الفقراء والحرمين

ومنعوا زيارة النبى ﷺ وقطعوا علوفات الفقراء وجماكى المستخدمين والانبار وأرسل لهم السلطان يأمرهم وينهاهم فلم يطيعوا ولم يمتثلوا وكرر عليهم أوامره فلم ينتهوا فعين عليهم عساكره وأخرجهم من البلاد ثم ان نائبه صالحهم وفرض لهم أماكن وعاهدهم على أن لايتعدوها حقنا للدماء وقطعا للنزاع وتسكينا للفتن وأخذ منهم رهائن على ذلك ورجع لمخدومه فعند ذلك تحركوا ثانيا وزحفوا على البلاد وسعوا فى ايقاع الفساد وقطعوا الطرق ونقضوا العهود فهل يجوز لنائب السلطان دفعهم وقتالهم بشرط عدم ازالة الضرر بالضرر أم كيف الحال . ثم كتبوا الجواب يجوز قتالهم ودفعهم وانه يجب على كل مسلم المساعدة . ورفعوا هذه الفتوى الى الباشا فكتب الباشا فرمانا بالقتال ونزل أغاة مستحفظان ونادى فى المدينة بقتال ابراهيم بيك ومن معه ونادى على أصحاب الوجاقات بملازمة أبوابهم وعلى العساكر والاجناد بالتأهب للرحيل الى الصعيد وانفق اسمعيل بيك على العسكر وكتب الباشا الى ابراهيم بيك يلزمه الرجوع الى مقره والخلود الى السكون وعدم نقض العهد ودفع الاموال المقررة على اقطاعاته بقية الامراء والا وجب قتالهم فلم يصل اليه هذا الكلام الا وقد زحف من طحطا الى منية ابن خصيب وقسم مراد بيك جميع البلاد التى مابين منية ابن خصيب ومصر على اتباعه ومماليكه والامراء الذين معه وصمم على الانحدار وإصلاء نار الحرب فلما علم الباشا بذلك فترت همته وضعفت عزيمته وقل اجتهاده فى جمع العساكر وترتيب الاجناد ثم بعثا الى الباشا ثانيا يقولان قد تركنا مصر ومافيها ولم نقصد الرجوع اليها واننا قد اتخذنا هذا الاقليم لنا مقرا فان قاتلتمونا عليه قاتلناكم الى النفس الاخير وان تركتمونا تركناكم ومصر ترتعون فيها وعقدنا معكم صلحا لايتخلخل فان قبلتم ذلك فأرسلوا لنا بعض المشايخ والاختيارية نتفق معهم على مايحسن السكوت عليه فعقد الباشا الديوان وجمع جميع الامراء والمشايخ وأرباب الوجاقات وتشاوروا فى الامر فاتحدت كلمتهم على أن يكتبوا لهما بقبول جميع طلباتهما بحيث انهما يبعثان من قبلهما أميرين

كبيرين فيهما الكفاية لفض النزاع ثم يعودان ومعهما من يلزم من المشايخ والاختيارية فقبل ابراهيم بيك ومراد بيك بذلك بشرط أن يكون لهما من البلاد من أسيوط ومافوق وطلبا ارسال المشايخ فارسلوا لهما الشيخ محمد الامير واسمعيل أفندى الخلوتى ولم يرتحل الشيخ ومن معه عن مصر حتى جاء الارصاد فأخبروا بزحف ابراهيم بيك فى جموعه الى طحطا وانحداره منها الى بنى سويف وتأكد الخبر فخاف اسمعيل بيك الكبير وهاله الامر وأمر بخروج العسكر فاخرجوا الخيام والمدافع الى ناحية البساتين وعملوا المتاريس ناحية طرا والمعصرة والجيزة وجمعوا البنائين والفعلة وحفروا الخنادق وبنوا أبراجا من الحجر وأسوارا لوضع المدافع والمتاريس على جانبى النيل شرقا وغربا وكبر خوف بعض الكشاف والعسكر من أصحاب اسمعيل بيك وهربوا الى حيث مراد بيك فأحاط اسمعيل بيك بدورهم ونهب مافيها وأخرج نساءهم حاسرات حفايا تشفيا وانتقاما وعاد الشيخ الأمير ومن معه وأخبروا بانحدار ابراهيم بيك فى أربعين من أصحابه الى ناحية بنى سويف ولبثه بها وانه عدل عن الاقامة بالصعيد ويرغب الرجوع الى مصر فيعيش مع أصحابه ومن هم بها عيشة راضية هادئة وعفا اللّه عما سلف والا فالحرب والقتال فانزعج المشايخ عند سماع هذا الخبر واجتمعوا وصعدوا الى قلعة الجبل ودخلوا على الباشا فادرك اسمعيل بيك ماوراء ذلك من الفشل والخيبة . قال بعض الكتاب . فزور مرسوما من السلطان بالحث على الخروج وقتال ابراهيم بيك وجموعه فلما استقر بالمشايخ المقام كلموا الباشا فى أمر مجئ ابراهيم بيك فدخل عليهم اسمعيل بيك وأخبرهم بوصول المرسوم السلطانى فأمر به الباشا فقرئ فاختلفت عند ذلك كلمتهم وتفرقت أغراضهم وكادوا يفترقون على غير طائل ثم عادوا فاتفقوا على القتال فنودى فى الحال على العسكر بالخروج وملازمة المتاريس ونودى فى الاجناد كذلك بعد أخذهم النفقة فخرجت طوائفهم وملأت الحصون والمتاريس واشتد الامر على الناس فتعطلت الاسواق وارتفع الأمن وكثرت مخاوف الطرق خصوصا خارج أبواب مصر

والقاهرة وتعطلت الاسفار وقل الوارد برا وبحرا واستقدم اسمعيل بيك عرب الهنادى فقدموا فى جموع كثيرة وأخلاط عظيمة وانتشروا فى الجهة الغربية من رشيد الى الجيزة فجعلوا ينهبون البلاد ويأكلون المزروعات ويوقفون السفن فى النيل فيقتلون من بها ويأخذون أحمالها قيل انهم قتلوا فى يوم واحد من بلدة النجيلة[1] نيفا وثلثمائة انسان وكذلك كانت فعال عرب الشرق والجزيرة ببلاد الجانب الشرقى وجاء المدد من الشام بناء على طلب الباشا فحضر فريق من الارنؤد وكبيرهم اسمه اسمعيل باشا فخرج اسمعيل بيك للقائهم فدخلوا من باب النصر الى بولاق واستقروا بها فقدمت لكبيرهم التقادم والهدايا النفيسة من جميع الامراء ولبثوا على هذا الحال من الوقوف خلف المتاريس أياما حتى سئمت نفوسهم وانسحب الكثير منهم الى بيوتهم وكاد يتمزق جمعهم وقد وصل فى هذه الاثناء طائفة من جموع ابراهيم بيك على مقربة من متاريس ناحية طرا وعزموا على أن يدهموا من بالمتاريس فى الثالثة من الليل فسبق العين وأخبر اسمعيل بيك بذلك فانزعج وركب الامراء كافة وخرجوا الى المتاريس وركب الوالى والاغاة وصاروا يفتحون الدروب والحارات ويخرجون الجند من بيوتهم الى الحصون والابراج وباتوا ليلتهم فى هرج واضطراب وأصبحوا والمناداة متتابعة على الاهالى والعساكر والجند بالخروج فلما كان آخر النهار تحقق الخبر بأن ابراهيم بيك وقومه ترفعوا الى بياضة ثم الى الصعيد .

وجاء فى هذه الاثناء سفير من قبل قيصر الروس برسالة سرية الى ابراهيم بيك ومراد بيك ونزل بالاسكندرية فأقام بها أياما وقد علم اسمعيل بيك بخبره فاستقدمه الى مصر بحيلة لطيفة وأولم له وليمة فاخرة فى قصر العينى ثم قبض عليه فى صباح تلك الليلة وصعد به الى قلعة الجبل وحبسه ومنع من الوصول

(١) بلدة النجيلة : احدى قرى مركز كوم حمادة ، كانت تابعة لناحية محلة محمد ثم اصبحت عاصمة مركز النجيلة ثم نقل منها ديوان المركز الى كوم حمادة محافظة البحيرة .
● محمد رمزى : المرجع السابق ق٢ ج٢ ص٣٣٣ .

اليه . قال بعضُ أصحاب التاريخ وكان سبب قدوم ذلك السفير انه لما كثر عبث الامراء المصريين بالبلاد وخرجوا عن طاعة السلطان رغب السلطان فى قطع شأفتهم ومحو أثرهم ولكنه كان فى شاغل عنهم بشن الروس الغارة على بلاده وحدود مملكته فكان كلما هم بارسال فريق من عسكره مددا لمن بمصر منهم قامت الروس وشنت الغارة على أملاكه فيحجم عن تسيير العسكر الى مصر ويوجه بهم الى رد الروس وهكذا حتى أعياه الحال وكادت تضعف منه الآمال غير انه عزم عزما ثابتا على ان لايبقى لهم أثرا وأمر فجيشوا لذلك جيشا ضخما للغاية فلما علم قيصر الروس بذلك وكان من مصلحته ان تضطرم نار الحرب بين الفريقين وتطول أيامها أرسل القيصر المشار اليه رسوله الى ابراهيم بيك ومراد بيك يخبرهما بقصد السلطان ويحثهما على جمع الكلمة والتكاتف وتحصين الحصون ومنع حسن باشا أمير السفن من النزول بعسكره الى مدينة الاسكندرية أو غيرها من بقية الثغور واجتمع قنصل الروس بابراهيم بيك قبل حضور أمير سفن السلطان وأخبره بخبره فلم يلتفت ابراهيم بيك يومئذ الى قوله فجاء أمير السفن المذكور فى عسكره وكان من أمره ومافعله مامر بيانه وكان لما اشتد الضيق بابراهيم بيك ومراد بيك وأصحابهما أرسلا الى القنصل يطلبانه فسار اليهما سرا فسألاه المدد فوعدهما ورجع الى الاسكندرية كما حضر وكاتب دولة الروس فى ذلك فأجابته الى ماسأل وأرسلت اليه عسكرا جرارا وبعض سفن حربية وقدم ذلك السفير ومعه كتاب القيصر الى الامراء وكان قد شاع خبر رجوعهم الى القاهرة فلما وصل السفير بالكتاب وجد الحال على عكس ماسمع فكاتب القيصر بصورة مارأى وانه وان كان الحكم فى البلاد الآن للدولة العثمانية الا أن بمصر من الامراء الذين هم على شاكلة ابراهيم بيك ومراد بيك عدة كثيرة وهم قاهرون للدولة غالبون على أمرها فاذا أمدهم القيصر بعسكره قاموا على الدولة وأخرجوها من البلاد واذهبوا سلطتها فكتب القيصر الى المراء بمصر يقول

مانصه . أيها الامراء قد بلغنا ان عبد الحميد الملك الغادر الخائن يريد بكم شرا ويسعى فى إيقاع الفتن بينكم رجاء أن يقتل بعضكم بعضا ثم لايبقى على من بقى منكم ويملك بلادكم ويفعل بها مافعل بغيرها من البلاد التى دمرها بظلمه وجوره فتيقظوا لانفسكم واطرحوا عنكم الخلاف واطردوا من يأتى اليكم من الترك وارفعوا على حصونكم وقلاعكم رايتنا واختاروا لكم رؤساء منكم وحصنوا ثغوركم وامنعوا من يصل اليكم من هذه الامة الا من أتى للرزق ولاتهابوه فنحن نكفيكم مؤنته وقلدوا من قبلكم ولاة وعمالا بالديار الشامية كما فعل ملوك مصر من قبلكم ويكون لنا الأمر ببلاد الساحل والواصل لكم كذا وكذا سفينة بها كذا وكذا من العسكر والمقاتلين وعندنا من المال والرجال ماتطلبون وزيادة على ماتظنون اهـ

وجاء السفير بالخطاب ونزل بالاسكندرية وقيل بدمياط وأنفذ الخبر سرا بوصوله وطلب الحضور الى القاهرة بنفسه فأعلم اسمعيل بيك الباشا يخبره سرا وأرسلوا اليه بالحضور فلما وصل الى شلقان[1]خرج اليه اسمعيل بيك فى تطريدة[2]كأنه لم يشعر بمقدمه وكأنه على العهد معه وأعد له منزلا ببولاق وأنزله به ليلا ثم اجتمع به ومعه على بيك وحسن بيك ورضوان بيك وكأنهم هم زعماء العصابة وقرؤا المكاتبة بينهم ولم يتموا قراءتها حتى جاءهم جماعة من اتباع الباشا فى طلب السفير وكان ذلك باشارة خفية بينهم وبين الباشا فركبوا معه الى القصر العينى وأرسل الباشا فى تلك الليلة الامر بحضور أهل

(١) من القرى القديمة ، مركز قليوب محافظة القليوبية .
● رمزى ، محمد ، مرجع سابق ، ق٢ ، ج١ ، ص ٥٦ .
● الجبرتى ، نفسه ، ج٢ ، ص ١٦٧ ، حاشية ٢ .
(٢) التطريدة بمعنى حملة عسكرية يوجهها الوالى لمطاردة المتمردين من أمراء المماليك أو العربان
● ليلى عبد اللطيف ، مرجع سابق ، ص٢٤٢ .

الديوان[١] فى صبحها فلما تكامل حضورهم أخرج الباشا تلك المكاتبة فقرئت عليهم قال الراوى لهذه الحكاية فشخصت عند ذلك الابصار ومدت الاعناق وتفرقت الاقوال وتباينت الاغراض ثم عادوا واتفقوا على أن يبعثوا بها الى دار السلطنة ففعلوا ووضعوا السفير[٢] المذكور بمكان فى قلعة الجبل وأسرعوا فى تسيير بعض سفن الحرب الى الصعيد للتشديد فى قتال ابراهيم بيك ومن معه * كانت دولة الروس لاتنكف عن قتال الدولة العثمانية وتحريض جميع الايالات[٣] التابعة لها على الخروج وشق عصا الطاعة فانها بعد أن سيرت سفنها الى مصر وكتبت الى ابراهيم بيك ومراد بيك بما كتبته جعلت تدس الدسائس وتلقى الفتن فى بلاد القرم[٤] لتتمكن من احتلالها ووضع اليد عليها بحجة منع

---

(١) كان الديوان فى تلك الفترة يتكون من «الوجاقلية» أى رؤساء الوقاجات ، وكبيرهم يسمى «الأغا» أى رئيس الفرقة ونائبه ويسمى الكخيا أو الكتخدا ، وأقدم الضباط ويسمى «باش اختيار» والدفتردار وهو مدير الشئون المالية ، والخازندار وهو رئيس الخزانة والرزنامجى أو حافظ السجلات
ومن مجموعهم تكون مجلس شورى الباشا والذى سمى بالديوان ، وكانت لهذا الديوان سلطة كبيرة فى ادارة الحكومة ، لأن الباشا (الوالى) لم يكن يستطيع أن يبرم أمراً الا بموافقة أعضائه ، واذا وقع خلاف بينه وبينهم يؤجل البث فيه ويرفع الأمر كله الى الاستانة ، وكان لهم أن يطلبوا عزل الوالى .
● عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية ج١ ط١٩٥٥ ص ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٢) عمدت روسيا إلى تأليب المماليك فى مصر ودفعهم للإستقلال عن الدولة العثمانية كحلقة من حلقات الصراع الروسى العثمانى وتقسيم أملاك الدولة العثمانية . فكانت الخطة الروسية التى كلف بها تونوس قنصل روسيا بالإسكندرية هى ظهور بارجة روسية أمام دمياط ويغتنم المماليك الفرصة وإعلان ثورتهم على الباب العالى ، ولكن القنصل وقع أسيرا بيد من تولوا أمر مصر بعد هروب ابراهيم بك ومراد بك ـ المتفقين مع روسيا ـ الى الصعيد ووجدت معه رسائل كاترين الثانية القيصرة الروسية للماليك تحضهم على الثورة مع الوعد بالمساعدة المالية والعسكرية ، فأودع تونوس السجن وأرسلت مكاتبات القيصرة الى السلطان العثمانى الذى أمر بأرسال الأسير للقسطنطينه .
● عبد الوهاب بكر ، مرجع سابق ، ص ص٩٧ ، ٩٨ حاشية ٣٩ .

(٣) بمعنى الولايات .

(٤) هى شبه جزيرة تقع جنوب روسيا الأوربية على الساحل الشمالى للبحر الأسود ويربطها باليابس برزخ بريكوب ، وقد أخبرت كاترين الثانية قيصرة روسيا ـ تركيا على إعلان استقلال بلاد القرم ثم ضمتها لروسيا عام ١٧٨٣م وكانت ميدانا للمعارك فى حرب القرم (١٨٥٤ ـ ٥٦م) وفى الحربين العالميتين وفى الحرب الروسية الأهلية أعلنت جمهورية سوفيتية مستقلة عام ١٩٢١ ، وألغى هذا الوضع أثناء الحرب العالمية الثانية وتم طرد السكان ذوى الأصول التتارية لإتهامهم بمساعده الألمان .
● الموسوعة العربية الميسرة ، إشراف : محمد شفيق غربال ، ط ١٩٦٨ ، ص ١٣٧٧ .

القلاقل والاضطرابات منها ومازالت على هذا الحال والدولة فى شاغل عنها حتى قام فريق من أهل القرم على أميرهم دولتكراى وخلعوه وأقاموا مكانه شاهين كراى فخالفهم فى ذلك الفريق الثانى وأبوا تعيينه فاشتد الخلاف بين الفريقين وقامت الفتنة وكانت كاترينة قيصرة الروس قد أقامت على حدود القرم زهاء سبعين ألف جندى وجعلتهم على قدم الاهبة والاستعداد فلما بدأت الوحشة تقع بين الحزبين أو عزت الى مقدِّم ذلك الجيش فدخل بلاد القرم بلا ممانع ولامعارض فتم لدولة الروس وقيصرتها ما كانت تتمناه وأصبحت هى مالكة لجميع سواحل البحر الاسود من الجهة الشمالية فاستعظم السلطان هذا الامر وأكبره وهم بالحرب وعمد الى اعداد معدات القتال وأكثر من تجنيد الجند وتجهيز سفن الحرب فأشار عليه ملك الفرنسيس[1] يومئذ بالتربص وعدم الاندفاع الى حرب لاتحمد عاقبتها وأعلمه بأن بين كاترينة وامبراطور النمسا معاهدة سرية[2] على قتاله وتخريب مملكته ومحو أثرها من البسيطة فنظر السلطان فلم ير له قبلا على فتح أبواب هذه الحرب فجنح الى مشورة ملك الفرنسيس وغض الطرف عما فعلته الروس بالقرم بل واعترف لكاترينة بتملكها على تلك الايالات العظيمة فلم ترض كاترينه من السلطان بهذا الاذعان والسكوت وقد تحققت عجزه وتقاعده عن الحرب فعمدت هى ويوسف الثانى إمبراطور النمسا الى ايقاد نار الفتنة فى

---

(١) لعله هولويس السادس عشر الذى كان ما بين ١٧٥٤ ، ١٧٩٣

● محمد قاسم وحسين حسنى : تاريخ القرن التاسع عشر ١٩٥٠ ص٧ ، المطبعة الاميرية بالقاهرة .

(٢) ابرمت الروسيا والنمسا وفاقا سرياً تم بين كاترينة الثانية وبين الامبراطور يوسف الثانى عند مقابلتهما فى مدينة كرزن غربى شبة جزيرة القرم على البحر الاسود قضى بمحاربة الدولة العثمانية بإنشاء حكومة مستقلة تكون حاجزاً بينهما وبين العثمانيين مكونا من الفلاخ والبغدان واقليم بسارابيا يكون اسمها مملكة داس ، ويعين لها ملك من المذهب الأرثوذكسى ، وبأن تأخذ روسيا ميناء أوتشاكوف التى تسمى فى الكتب التركية اوزى ، وبعض جزائر الروم ، وتأخذ النمسا بلاد الصرب والبوسنة والهرسك من املاك الدولة العثمانية ، وبلاد دلماسيا من أملاك البندقية وتعطيها عوضا عن ذلك بلاد المورة وجزيرتى كريت وقبرص وأن تعطى باقى دول اوربا اجزاء أخرى يتفق عليها فيما بعد .

● محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، مرجع سابق ص٣٦٠ .

إيالتى الفلاخ[١] والبغدان وبلاد اليونان وتوغير صدور مسيحيى تلك الايالات على الدولة فأحس السلطان بما وراء ذلك وعلم انهما انما يريدان الحرب على كل حال فعاجلهما بها وسير الى سفير الروس فى دار السلطنة يطلب منه تقرير أمور لاترضاها كاترينه منها جعل الحق لمأمورى السلطان فى تفتيش جميع سفن الروس التجارية التى تمر من بوغاز القسطنطينية[٢] فلم يقبل السفير شيأ من ذلك البتة فأمر السلطان عند ذلك فقبضوا عليه وسجنوه وساق العسكر فانتشبت الحرب بين الفريقين وخاف إمبراطور النمسا من ظفر العساكر السلطانية بالروس فسير إلى مدينة بلغراد[٣] جيشاً عظيماً للاستيلاء عليها وايناك العساكر السلطانية فلم يفلح وعادت عساكره خاسرة وانتصرت عليهم العساكر السلطانية نصرة عظيمة وأدركت السلطان عبد الحميد منيته وهو على قدم القتال ثانى عشرى رجب سنة اثنتين ومائتين وألف هجرية أى سنة تسع وثمانين وسبعمائة وألف ميلادية فكانت سلطنته زهاء ست عشرة سنة وأشهرا فتولى السلطنة بعده ابن أخيه السلطان سليم الثالث ابن مصطفى .

---

(١) إقليم بسهل الدانوب الأدنى ، أهم مدنه بوخارست وهى منطقة زراعية وكذلك تحتوى على آبار للبترول ، وكانت جزءا من ڤالشيا الرومانية وتوالى عليها غزاة كثيرون واتحدث مع إمارة البغدان عام ١٨٥٩ ، ويطلق عليها الآن البوسنة والهرسك .

● الموسوعة العربية الميسرة ، المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

(٢) يقصد بذلك المضايق : البسفور وبحر مرمره والدردنيل وهى تشكل مضيقاً طبيعياً واحداً يصل بين البحر الأسود وبحر إيجة الذى هو جزء من البحر المتوسط وليس للبحر الأسود مخرج آخر غير تلك المضايق الطبيعية ، وقد فرضت الدولة العثمانية سيطرتها وسيادتها ــ عبر هذه المضايق ــ على البحر الأسود فكانت لها حرية الملاحة منه وإليه ، وكانت تفتحه لسفن بعض الدول الأجنبية بموجب إتفاقيات خاصة .

● الشناوى ، مرجع سابق ، جـ١ ، ص ص١٩٠ ـ ١٩١ .

(٣) هى عاصمة يوجوسلافيا ــ سابقاً ــ وصربيا تقع على نهرى الدانوب والساف . وتعتبر مفتاح البلقان نظراً لأهمية موقعها الإستراتيجى وتعاقب عليها حكم الأتراك والنمساويون الذين إحتلوها فى الحرب العالمية الأولى ، والألمان فى الحرب العالمية الثانية .

● الموسوعة العربية الميسرة ، إشراف محمد شفيق غربال ، ط٦٥ ، ص٣٩٨ .

# (الفصل الحادى والعشرون)

## (فى سلطنة السلطان سليم[1] الثالث ابن السلطان مصطفى)

ثم قام بالأمر بعد السلطان عبد الحميد ابن أخيه السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى بويع له بالملك فى اليوم الذى مات فيه السلطان عبد الحميد ثانى عشر رجب سنة اثنتين ومائتين وألف هجرية أى سنة تسع وثمانين وسبعمائة وألف ميلادية فتولى السلطنة وهى محفوفة بصنوف المكاره والعدو يتهددها بتمزيق شملها ويعمل على إبادتها من عالم الوجود فاشتدت لذلك عزيمة السلطان وجعل يعبى الجيوش ويعد المعدات ويكثر من المؤن والذخائر ويستحث العساكر على القتال ودفع العدو عن البلاد وكانت العساكر قد ملت

---

(١) ورد فى تاريخ الدولة العلية لمحمد فريد أن سليم خان الثالث ولد فى سنة ١١٧٥هـ/ ١٧٦٢م وتولى فى ١٢ رجب سنة ١٢٠٣هـ/ ٨ إبريل ١٧٨٩م وليس كما ورد هنا .

ورغم ما حف بالدولة العثمانية فى عهده من مخاطر إلا أنه تميز بأنه عهد تحول عظيم فى الامبراطورية نحو التجديد ، فقد كانت له بعض الاتجاهات الغربية نتيجة لاتصاله بالخبير العسكرى الفرنسى البارون دى توت De Tottوالعاهل الفرنسى لويس السادس عشر ، وما أن تخلصت الدولة العثمانية من حربها ضد روسيا ١٧٨٦-١٧٩٢ ، وتوقيعها صلح ياسى Jassy فى ٨ يناير ١٧٩٢ حتى شرع فى برنامجه الاصلاحى الذى انقسم إلى قسمين أ- عسكرى وشمل فصل الجوانب الإدارية عن الجوانب العسكرية فى الجهاز العسكرى العثمانى وتعيين ناظر إدارى أما الجانب العسكرى فأسنده إلى قادة الوحدات (الأغوات) ، وأدخل نظام الامتحانات لبيان كفاءة الضباط ، وجعل الأقدمية معيار الترقية ، وأنشأ مراكز للتدريب ، ونظم سلاح المدفعية ، ونظام بث الألغام والمدفعية المجرورة (طوب عربة چى) .

ولما أحس بفساد نظام السباهية والانكشارية أنشأ قوات جديده من المشاة على النظام الأوربى تحت تدريب الفرنسيس والإنجليز ، كما أنشأ سليم نظاماً مالياً مستقلاً لهذه المنشأة .

كما أنشأ المدرسة الهندسية السلطانية (مهندسخانة سلطانى) ومدرسة الهندسة البرية (مهندسخانة برى هيمايون) وترسانة بحرية ضخمة .

أما الإدارة المدنية فنظمها تحت رئاسة الصدر الأعظم بإسم(باب آصفى) ومنح نائب الصدر الأعظم (ريس كتاب) صلاحيات إعادة تشغيل الجهاز الإدارى القديم على أسس قويمة وألغى عدداً من رتب الوزراء .

وفى الجانب الإجتماعى والاقتصادى . أجبر سليم الفلاحين الهاربين من قراهم على العودة إلى بلادهم وأصدر اللوائح الخاصة بإغلاق الفنادق والحانات والمقاهى لمنع التجمهر والثرثرة وتدبير المؤمرات .

- محمد فريد : مرجع سابق ص٢٦٣ وما بعدها .
- دانيال كريسيليوس ، مرجع سابق ص ص ٣٢ ، ٣٣ .

وكرهت الحرب فساقها فالتقوا مع الروس وعساكر النمسا معا واقتتلوا قتالاً عنيفاً للغاية دام زهاء ستين يوماً ثم انكشف عن هزيمة العساكر السلطانية واستيلاء الروس على أكثر مدن الفلاخ والبغدان وبسارابيا[١] واحتلوا مدينة بندر[٢] الشهيرة واحتل النمساويون بلغراد وفتحوا بلاد الصرب وغيرها ثم سارت بعد ذلك العساكر الروسية إلى مدينة إسمعيل[٣] ونزلوا عليها وقاتلوها وكان بها الغازى حسن باشا بعسكر عظيم فقاتلوا عنها واشتد القتال بين الفريقين حتى فتحها الروس عنوة وأباحها قائدهم فاعمل فيها العسكر الذبح والنهب وأفحشوا فى ذلك جداً وجاء الخبر بما وقع فى المدينة المذكورة إلى دار السلطنة فهاج الناس وماجوا وقاموا على ساق وقدم ونادوا بالويل والثبور على الغازى حسن باشا وطلبوا قتله أخذاً بثأر تلك النفوس البريئة فقتل واشتد الحال على السلطان شدة بالغة وهاله اتحاد الروس مع النمساويين على قتاله وتحقق أن بقاء الحال على السلطان شدة بالغة وهاله اتحاد الروس مع النمساويين على قتاله وتحقق أن بقاء الحال على ذلك يدعو إلى تمزيق مملكته وتمكن العدوّ منها فبالغ فى حشد الجيوش وإعداد معدات الحرب واستنهاض همم كبار الجند وأمناء الحرب وبقى الحال على ذلك أياماً حتى أتاح الله من الأسباب ما أوقف رحى القتال وشغل النمساويين بموت إمبراطورهم فتوسطت عند ذلك دولتا الإنكليز وبروسيا بين المتحاربين فى أمر الصلح فتم على قاعدة تقررت لذلك بعد أخذ ورد قد أضربنا عن إيراد

---

(١) منطقة بجنوب شرق أوربا يحدها أنهار ـ الدنيستر ، الدانوب البروت ، البحر الأسود وتعاقب عليها الغزاة من الرومان ، القوط ، المغول ، الأتراك ، الروس ، وأصبح الجزء الأكبر منها ـ حالياً ـ ضمن مولداڤيا إحدى جمهوريات الإتحاد السوڤيتى «سابقاً» فيما عدا الجزء الجنوبى الذى أضيف إلى أوكرانيا .

● الموسوعة العربية الميسرة ، نفسه ، ص٣٧٠ .

(٢) مدينة بندر Bendery فى الاتحاد السوڤيتى على نهر دينيستر شرقى رومانيا وإلى الشمال الغربى من أوديسا .

● محمد فريد ، مرجع سابق ، ص٣١٣ ، حاشية ٢ .

(٣) وتعرف أيضاً بـ مدائن إسماعيل وهى على الحدود بين بلاد الروس والعثمانيين ، وكانت مثار نزاع حتى القرن التاسع عشر .

● محمد فريد ، المرجع السابق ، ص٤٠١ .

تفصيلهما خوف الإطالة . وزاد اجتهاد إسمعيل بيك الكبير بعد القبض على سفير الروس وسجنه فى قلعة الجبل فى جمع العسكر ومعدات الحرب وأنشأ فى طرا قلعة على ضفة النيل وجعل بها مساكن عديدة ومخازن وحواصل وعمل الأبراج والمتاريس والأبنية ممتدة على قلعة الجبل إلى سفحه وأخرج إليها المهمات والأدوات وغير ذلك وأرسل إلى دار السلطنة يطلب المدد . وارتحل إسمعيل باشا مقدم العساكر السلطانية بعسكره من بولاق إلى الصعيد فتربص إبراهيم بيك وجموعه فى بلدة صول[1] وعملوا بها سبعة متاريس فلما وصلت سفن عسكر السلطان إلى المتراس الأول رست قباله وأطلقت مدافعها تباعاً فلم تصل إلى من بالمتاريس فأطلقت عليها المتاريس ووالت الرمى بالقنابل فأحرقت بعضها حتى كادت تغرق بمن بقى فيها فخرج فريق من العساكر الذين بالسفن يريدون الهجوم على ذلك المتراس فدهمهم كمين من أصحاب إبراهيم بيك وأعمل فيهم القتل فقتل منهم خلق كثير وهرب من بقى إلى السفن فأخذ أصحاب إبراهيم بيك رؤس القتلى ورفعوها على الرماح ليراها من بالسفن ومع ذلك فإنهم أرسلوا إلى الباشا فى طلب الصلح فلما جنح إليه الباشا ومن معه من الأمراء عادوا فتعللوا ولم يعطوا الرهائن فكبر هذا الأمر على الباشا وشدد على مقدم الجيوش السلطانية بسرعة القتال وقطع شأفة هؤلاء الخوارج فمال القائد المذكور بعسكره إلى ناحية صول وأخذ من فى السفن مما بقى من العسكر وحملوا على إبراهيم بيك وجموعه فى يوم الجمعة ثامن[2] صفر من السنة أى سنة ثلاث ومائتين حملة رجل واحد فأجلوهم عن بعض المتاريس وقيل بل هم الذين أخلوا لهم فلما صارت العساكر السلطانية خلف ما أخذوه من تلك المتاريس خرج عليهم كمين من الخلف وأعمل السيف فى أقفيتهم فقتل منهم

---

(١) إحدى قرى مركز الصف تقع على الشاطىء الشرقى للنيل بين إطفيح والبرنيل بمحافظة الجيزة .
- الجبرتى ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ص٢٦٥ ، حاشية ٥ .
- رمزى محمد ، مرجع سابق ، ق٢ ، جـ٣ ، ص٣٣ .

(٢) توافق ٨ نوفمبر سنة ١٧٨٨م .

مقتلة عظيمة فتحصنت العساكر واشتبك القتال بين الفريقين يومى السبت والأحد وإطلاق المدافع متتابع ليلاً ونهاراً فكانت الحرب بينهم سجالاً وكان كل من الفريقين يعمل الحيل وينصب الشباك ويكمن ليلاً فيجدون الأرصاد والعيون التى لا تغفل وكثر الموات فى الفريقين وانفصلوا على غير طائل وقدم المصابون إلى القاهرة فانزعج لقدومهم الناس وخافوا عاقبة الهزيمة وتمكن إبراهيم بك وأصحابه من مستقرهم وتربصوا مراقبة الأحوال . واحتاجت العساكر السلطانية إلى النفقة فطلبوها من اسمعيل بيك فقررها على البلاد وضيق على أهلها فى جبايتها وعمل لها ديواناً فى بيت على بيك الدفتردار فضج الناس واستغاثوا بمشايخ الجامع الأزهر ولا محيص فلما علم إبراهيم بيك بإلحاح العساكر السلطانية فى طلب النفقة واشتغال إسمعيل بيك بجمعها أرسل من قبله رسولاً إلى الباشا يكلمه فى أمر الصلح وقد أعيا عابدى باشا هذا الحال فعقد لذلك الديوان وجمع فيه جميع الأمراء والمشايخ واستحضر بينهم رسول إبراهيم بيك وسأله عما يطلبه إبراهيم بيك وأصحابه فقال إنهم يطلبون أن يكون لهم من أسيوط إلى الصعيد الأعلى شرقاً وغرباً بشرط أن يقوموا بدفع الأموال الأميرية والغلال وأن يطلقوا سراح السفن والمسافرين بالغلال والأسباب وأنتم لا تمنعون عنهم الواردين بالاحتياجات إلا ما كان من آلات الحرب أو معدات القتال وبعد أن يتقرر الصلح على هذه القاعدة يعرض منكم ومنهم إلى الدولة وينتظرون ما يكون فإن جاء الجواب بالعفو والقبول أو تعيين مكان آخر لإقامتهم فلا يجادلوا ولا ينقضوا بشرط أن يطلعوا على ذات الأمر الذى يرد بذلك فوافق الجميع على هذه الطلبات وكتبوا بها جواباً وسيروا به الرسول وآخرين معه . ووردت الأخبار فى هذه الأثناء بخلع عابدى باشا عن ولاية مصر وتولية إسمعيل بيك كتخدا حسن باشا أمير سفن البحر وفاض[١] الخبر بذلك في مصر والقاهرة وسائر المدن فلما وصل المبعوثون إلى إبراهيم بيك ومعهم المكاتبة على قاعدة ما وقع الاتفاق

(١) يعنى شاع وانتشر .

عليه إقراراً للصلح انتقض وقال لسنا على ثقة من نجاحنا مع عابدى باشا والاعتماد على صلحه وقد بلغنا عزله عن ولاية البلاد فلا نتقدم إلى عقد الصلح معه إلا إذا أتاه فرمان من السلطان بتأييد ولايته أو أننا نتربص حتى يتولى الأمر غيره ثم كتب جواباً بذلك وسلمه لمن جاءه من قبل عابدى باشا فغضب عابدى باشا وكاد يتميز من الغيظ وجمع إليه المشايخ والعلماء وقاضى القضاة والأمراء وأطلعهم على الجواب فتحيروا فى أمرهم وقالوا لابد من استمرار القتال حتى يرجعوا أو يموتوا عن آخرهم . فقال الباشا قد عيل صبرى وفرغ تدبيرى فلم يبق عندى إلا أن أقبض على جميع نسائهم وأسكنهم فى الوكائل وآخذ جميع ما فى بيوتهم وأبيعه وأنفقه على العسكر وأكتب لهم بذلك وتوقعوا جميعكم على ما أكتبه فإن خالفتمونى فأنا تارك لكم البلاد وما فيها وأرحل إلى دار السلطنة فأعيش فيها هادئاً مطمئناً ثم أخذته رجفة فقالوا جميعاً لا نخالف لك كلمة فافعل ما أنت فاعل فكتبوا إلى إبراهيم بيك بذلك ووقع الباشا والعلماء والمشايخ والأمراء كافة على الكتابة ونادى الوالى والأغا بمصر والقاهرة بان من كان عنده وديعة لأحد من أتباع إبراهيم بيك أو جميع من هم معه وأتباعهم ولم يردها لأصحابها عاجلاً قتل من غير معاودة وكان إبراهيم بيك قد عمل جسراً من السفن ممتداً من الجانب الشرقى من النيل إلى الجانب الغربى وعبروا جميعاً عليه إلى الجانب الغربى فلما وصل إليه الجواب بما ذكر خشى العاقبة وعلم ما سيلحق بالنساء والذرارى فأرسل رسله إلى الباشا بارتحاله مع من هم معه إلى الصعيد الأعلى وعدم انحدارهم البتة إلى مصر وأنهم لا يأنفون من عقد الصلح على ما رسم به عابدى باشا والمشايخ فعاد الباشا وعقد لذلك ديوانه فأبلغت الرسل أرباب الديوان رسالتهم فرضوا بها وضمن الباشا غائلة إبراهيم بيك وأصحابه وضمن المشايخ غائلة إسمعيل بيك الكبير وحرروا محضراً بذلك ووقعوا عليه جميعاً وأرسلوه صحبة مقدم الاختيارية وظهرت علامات الطاعة من إبراهيم بيك ومن معه إذا كسروا ذلك الجسر وصرحوا للسفن بالانحدار

فكثر توارد الغلال وغيرها وهبطت الاسعار وزال الغلاء واطمأن الفقراء . وقدم فى هذه الأثناء رسول من القسطنطينية يحمل ثلاثة كتب سلطانية فاصعده الباشا إلى قلعة الجبل وأمر فعقدوا الديوان وحضره المشايخ والعلماء والأمراء والوجهاء وقرئت تلك الكتب فكان الأول منها بتقرير عابدى باشا والياً على مصر سنة ثلاث ومائتين والثانى بلزوم مقاتلة إبراهيم بيك ومراد بيك حتى يرجعا إلى الطاعة أو يموتا والثالث بطلب تسيير سفير الروس الذى كان مسجوناً بقلعة الجبل إلى دار السلطنة فلما أتموا قراءة تلك الكتب أطلقت المدافع من قصر العينى وقلعة الجبل ومراكب البحر ببولاق[1] وذاع الخبر بذلك شرقاً وغرباً وأصبح وقد طلع الباشا إلى القلعة واستقر بها فجاء إليه المهنئون وأنزل سفير الروس وسيره إلى الديار الرومية وبالغ فى التأهب والاستعداد لقتال إبراهيم بيك ومراد بيك حتى يرجعا إلى الطاعة أو أنهما ومن معهما يموتون عن آخرهم فلم يتم له بعض الاستعداد حتى جاءه الأمر بالعزل وولاية اسمعيل بيك ووصل رسول دار السلطنة فى العاشر من جمادى الآخرة عن طريق دمياط فنزل عابدى باشا من يومه إلى قصر العينى ولبث به أياماً ثم برز بخيامه إلى بركة الحاج وسار منها إلى ديار بكر وسار معه إسمعيل باشا مقدم العساكر السلطانية التى كانت فى قتال إبراهيم بيك .

مطلب
عزل عابدى باشا وولاية اسمعيل باشا

ولما استقر باسمعيل باشا الوالى الجديد منصب الولاية أرسل إلى إبراهيم بيك يطلب الغلال والمال حكم قاعدة الاتفاق فلم يرد عليه جواباً ولم يرسل شيأ من ذلك فخاف إسمعيل بيك الكبير من انتقاض إبراهيم بيك ونزوله إلى

---

(١) نشأت بولاق فى عصر الملك الناصر محمد بن قلاوون على أرض الجزيرة التى ظهرت فى النيل ، ثم صارت بولاق القاهرة وظلت حتى نهاية ق١٩ ميناء للقاهرة .

● الجبرتى ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ص١٣٨ ، حاشية ١ .

القاهرة بخيله ورجاله وهى خالية من العسكر والمرابطين فأرسل إلى دار السلطنة فى طلب المدد فلم يكن باسرع من أن يرسلوا إليه أخلاطاً من الأرنؤد وأهل الأناضول ممن لا كسب له وتراكم حضورهم فى هيآت مختلفة وأشكال متباينة فأنزلهم فى طرا ومصر القديمة والجيزة وبولاق وأجرى عليهم النفقات وجلب لهم النخاسون المماليك فاشترى منهم عدة(١) وخصهم بالغربية كل ذلك للحرص على مقاومة عدّوه وتابع إرسال الهدايا النفيسة والأموال والتحف والخيول العربية وأنواع الأقمشة الفاخرة وغير ذلك إلى دار السلطنة قصد استمالة جانب الدولة إليه وتقرباً من رجال الحل والعقد بها وتحريضاً لهم على بغض إبراهيم بيك ومن معه ومع ذلك فلم يكن إبراهيم لينكف عن بث العيون والأرصاد حول إسمعيل بيك ومن معه ودس الدسائس واستمالة كل من يقدر على استمالته ومازال حتى تمكن بواسطة المعلم يوسف(٢) كساب الشامى معلم الجمارك يومئذ من الاتفاق مع أغاة جماعة الأرنؤء المدعو صالح أغا على أن صالحاً المذكور يسلم إلى إبراهيم بيك جميع السفن السلطانية والقلاع التى بناحية طرا والجيزه نظير مبلغ من المال التزم به المعلم يوسف وكتب على نفسه تمسكاً به فعلم إسمعيل

---

(١) يقصد عدداً كبيراً .

(٢) أسهم النصارى من أهل الذمة فى العمل بالإدارة المالية فتولوا وظائف الصرافين فى الإدارة المحلية بالقرى والأقاليم وشغلوا وظائف المعلمين «المباشرين» وبلغ بعضهم شأناً كبيراً من الثراء الطائل ـ أواخر القرن ١٨ ـ مما مكنهم من اقتناء الجوارى والقصور والعبيد والمرتبات والعلوفات من الجند وكان المعلم كساب من هؤلاء مباشراً للجمارك ، إلا أنه كان يعمد للإتفاقات الخاصة ـ مع التجار الأجانب للحصول على سمسرة من وراء ظهر المماليك .

ولما كان يوسف كساب السورى الأصل تابعاً لإسماعيل بك خصم إبراهيم بك وشى بالمعلم جرجس الجوهرى التابع لهذا الأخير واتهمه بالسرقة فغضب عليه إسماعيل بك وأنزله من منصبه وعين كساباً بدله ـ رئيساً على الدواوين ـ إلا أنه بعد ذلك انكشفت نية يوسف كساب فأمر إسماعيل بإغراقه فى النيل ليعيد المعلم جرجس الجوهرى مكانه .

- منسى يوحنا : المرجع السابق ، ص٥٤٦ .
- ليلى عبد اللطيف أحمد ، المرجع السابق ، ص٤٢٣ .
- عبد الوهاب بكر ، مرجع سابق ، ص ص ٩٠-٩٢ .

بيك بخبر ذلك فقبض على المعلم يوسف وسأله فاعترف فأمر به فألقوه فى النيل فمات غرقاً وأبعد صالح أغا عن ديار مصر وقيل بل قتله خفية فخابت بذلك مساعى إبراهيم بيك ورأى وجوب الترفع ومراقبة الفرص وأن لاشىء أنجح من المطاولة كى تتفرق جموع إسمعيل بيك وأخلاطه الذين جاء بهم من البلاد الرومية فلما طال لبث أولئك الأخلاط على هذا الحال بطروا وزاد عسفهم بأهالى بولاق ومصر القديمة والجيزة فضج الناس وملت نفوسهم وضجروا . وكان الأغا الوالى يخشى من أخلاط أهل الحسينية[١] إلى الفتنة والخروج عند أقل إشارة فكان يكثر التعدى عليهم بالضرب والحبس وأخذ الأموال ونهب البيوت لأقل سبب اخضاعاً لهم وتذليلاً واتفق أنه قبض يوماً على شيخ طائفة البيومية[٢] وكان له حرمة وافرة بين أهل هذه الخطة فثار طوائفه على أتباع الوالى ومنعوه منهم وتجمعوا واجتمع عليهم خلق كثير من النواحى وساروا وهم فى ضجة عظيمة وأمامهم جماعة يضربون بالطبول إلى أن وصلوا إلى الجامع الأزهر وقد أغلقوا الأسواق والدكاكين وصعد جماعة منهم على المنارات يضجون ويسبون أسمعيل بيك ومن معه وهيجوا من بالجامع من المدرسين فقام معهم العميان وهموا بالخروج ليفسدوا فى الشوارع والأسواق فمنعهم المشايخ وركب الشيخ العروسى واجتمع باسمعيل بيك وأخبره بخبر العامة وما يفعله الوالى بهم فاعتذر وقال لو كان الوالى من أتباعى لخلعته الساعة ارضاء للعامة ولكنه تابع حسن بيك الجداوى وأرسل إلى حسن بيك يخبره بما وقع ويطلب خلع الوالى فلم

---

(١) نشأ هذا الحى خارج سور القاهرة ، تجاه باب الفتوح وسمى بالحسينية نسبة لجماعة الأشراف الحسينية الذين أتوا من الحجاز واستوطنوا هذا الخط .

● الجبرتى ، نفسه ، جـ٢ ، ص١٤٩ ، حاشية ٥ .

(٢) كان لأعمال النهب التى يتعرض لها حى الحسينية والتى قام بها هذه المرة أحد صناجق مراد بك ومعروفاً باسم «شفت» فقد اعتاد على التهجم بجنوده على بيوت أهالى الحى ونهبها وهذه المرة إقتحم بيت أحمد سالم الجزار متولى رئاسة دراويش الشيخ البيومى ونهب ما بها من مصاغ النساء والفرش ولم يستطع أحد التعرض له .

● ليلى عبد اللطيف ، مرجع سابق ، ص٤٢٧ .

يرض الجداوى وقال إن كان مراده الرفق بالرعية فليخلع أولاً الأغا تابعه ويخلع رضوان كتخدا المجنون من قلعة الجبل ويخرج مصطفى كاشف من قلعة طرا ويصرف العساكر القليونجية والأرنؤد الذين عاثوا فى الأرض وملؤها فسادا قال ذلك وخرج إلى العادلية مغضباً وكان الوالى المذكور يركب فى كل يوم ويمر فى شوارع المدينة بالقاهرة ومصر ليرى العامة أنه أكبر من أن يخشاهم فوقف له العامة بالطرق واجتمع منهم خلق كثير ووقعت بينهم وبينه مقتلة قتل وجرح فيها كثير واشتد الهرج وكثر اجتماع العامّة جماعات يحملون القرابين[1] والعصىّ والمساوق[2] وأمام كل جماعة منهم الطبول فركب المشايخ كافة وساروا إلى بيت البكرى فحضر إليهم اسمعيل بيك وطيب خاطرهم والتزم لهم بعزل الوالى ومر الوالى فى ذلك الوقت على بيت البكرى فمنعه العامّة وصاحوا فى وجهه وكادوا يبطشون به فاستل سيفه وهجم عليهم وشق من وسطهم وذهب فى طريقه فزاد الحال بالعامّة وكثرت غوغاء الناس وعلت الضوضاء وسار جماعة منهم يأمرون الناس بغلق الحوانيت واجتمع آخرون منهم بالأزهر يضجون وينادون بالويل والثبور على الوالى وبقى الحال على ذلك ثلاثة أيام فاجتمع اسمعيل بيك ببقية الأمراء وشاورهم فى أمر العامة فاتفقوا على خلع الوالى والأغا معاً ونادوا فى الناس بذلك فهلل العامة وانصرفوا وانقضت الفتنة . وعقب هذا الحادث بيومين غامت السماء غيماً عظيماً مطبقاً وسحت الأمطار كأفواه القرب مع رعد شديد الصوت وبرق هائل متتابع متصل يخطف الأبصار واستمر ذلك ليلة الجمعة ويوم الجمعة والأمطار لا تنقطع حتى سقطت الدور القديمة فى عدة جهات ومات منها من كان بها من السكان وانحدر السيل من الجبل شديداً حتى ملأ الصحراء

(١) القرابين جمع قرابينة وهى بندقية ذات طراز قديم واسعة الفوهة كان يحملها المشاه والفرسان .

● الجبرتى ، نفسه ، جـ١ ، ص٢٤٣ ، حاشية ١ .

(٢) وتعنى العصى الغليظة «النبوت» .

● الجبرتى ، نفسه ، جـ٢ ، ص٢٩ ، حاشية١ .

وخارج باب النصر فهدمت المقابر وخسفت وانحدر السيل من باب النصر فدخل المدينة وامتلأت الوكائل بالمياه وكذلك جامع الحاكم وسقطت عدة بيوت من الحسينية وكان ذلك أمراً مريعاً جداً فظن الناس أنها تثقيل ونقمة من قبل الله سبحانه وتعالى وإنذار للأمراء على ما فعله الوالى بشيخ البيومية وما يفعلونه فى كل يوم بخلق الله وتكلموا كثيراً فى هذا الأمر حتى كاد الأمراء يعتقدونه ولم تكد تجف الأرض من مياه ذلك السيل حتى ظهر الطاعون واشتد وكثر الموات فى الأمراء والصناجق وأرباب الوجاقات والمماليك فصار الظن عند الناس يقيناً واشتد الطاعون شدة لم يسبق لها مثيل وكثر الموات كثرة بالغة فمات ما لا يكاد يدخل تحت الحصر من الأطفال والشبان والجوارى والعبيد والمماليك والأجناد ومن أمراء الألوف نحو الاثنى عشر أميراً ومات إسمعيل بيك الكبير شيخ البلد المشار إليه فكان لموته ضجة ورجة ووقع الموات أيضاً فى طوائف العسكر الذين ببولاق ومصر القديمة والجيزة على الخصوص منهم القليونجية والارنؤد فكانوا يحفرون الحفر بجانب أبى هريرة ويلقون الأموات فيها بلا غسل ولا كفن وكان يخرج من البيوتات الكبيرة فى جنازة واحدة الخمسة أو الستة نعوش معاً لكثرة الموات وقيل العشرة أيضًا وكثر تزاحم الناس على الحوانيت لأخذ المغسلين والمغسلات والنعوش لنقل الأموات واشتد الخوف من بالناس شدة عظيمة وندر جداً من كان يصاب بالطاعون ولا يموت وندر ظهور الطعن فى الأبدان ولم يكن يحم المصاب كما هى عادة الطاعون بل يكون الإنسان جالساً فيرتعش ويبرد فيدثر فلا يفيق إلا مخلطاً ويموت من نهاره أو ثانى يوم وربما زاد أو نقص واستمر الحال هكذا شهرين إلى أوائل رمضان سنة[1] خمس ومائة وألف ثم ارتفع ولم يقع بعد ذلك إلا قليلاً نادراً وكان ختام انفضاضه موت الأغا والوالى فولوا

---

(١) كما هو مذكور سنة ١١٠٥هـ وأعتقد أن صحتها تبعاً لما قبلها وما بعدها ١٢٠٥هـ وهذه الأخيرة توافق ٤ مايو ١٧٩٠م .

غيرهما فماتا بعد ثلاثة أيام فولوا خلافهما فماتا أيضاً فكان ذلك من غريب الاتفاق وأعجب ما سمع به .

ولما مات إسمعيل بيك الكبير تنازع الرياسة حسن بيك الجداوى وعلى بيك الدفتر دار ووقع بينهما نزاع طويل الأهداب واشتد بينهما الخلاف ثم عادا فاتفقا بعد كلام طويل على تعيين عثمان بيك[1] طبل تابع إسمعيل بيك المذكور فى مشيخة البلد وإعطائه دار سيده ففعلوا ذلك قال بعض كتاب الأخبار وكأنهم تابوا عن إيذاء الرعية وكفوا عن إحداث المغارم والكلف وقصرت أيديهم عن نهب البيوتات العامرة بعد الذى رأوه من فعل الطاعون بهم وفتكه فيهم فنادوا بإبطال جميع ذلك وطاف المنادون أياماً متوالية فاطمأنت قلوب الرعية قليلاً وقالوا أفلح إن صدق . وورد الخبر عقب ذلك بقليل بخلع إسمعيل باشا الوالى عن مصر وتولية محمد عزت باشا الذى كان والياً على جدة فنزل إسمعيل باشا من قلعة الجبل إلى قصر العينى وأنزل جميع أمتعته وتأهب للسفر إلى موره[2] حيث تقلد منصب ولا يتها فمنعه الأمراء من ذلك حتى يحضر محمد باشا عزت ويرى فيما له وما عليه للخزينة فأبى إسمعيل باشا إلا السفر فحجروا عليه

---

(١) المعروف بطبل وهو من مماليك إسماعيل بك أمّره فى سنة ١١٩٢هـ/ ٣٠ يناير سنة ١٧٧٨ ــ ١٨ يناير سنة ١٧٧٩م ثم خرج مع سيده ، وتقرب معه فى غيبته الطويلة . فلما رجع إلى مصر فى أيام حسن باشا ، تولى إمارة الحاج فى سنة ١٢٠٥هـ/ ١٠ سبتمبر سنة ١٧٩٠ ــ ٣٠ أغسطس سنة ١٧٩٢م . وكان سيده يقدمه على أقرانه ، ولما طعن فى السن وعلم أنه مفارق الدنيا أحضره وأوصاه وحذره من أعدائه . فلما مات سيده تولى الإماره وسكن داره . وقد فر عثمان بك وحسن بك إلى ناحية قبلى ، واستمر هناك مدة ، ثم انفصل عن حسن بيك ، وسافر من القصير إلى بحر القلزم ، وطلع إلى المويلح ، ثم ذهب إلى الشام واجتمع بأحمد باشا الجزار ، ونزل حيفا . وأقام بها مدة . ثم أحضروه فى حادثة الفرنسيس .

- عبد الرحمن الجبرتى (مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس) تحقيق أ.د . عبد الرحيم عبد الرحمن ص٢٥٨ .
- عبد الرحمن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) تحقيق أ . د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ج٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص١١١ .

(٢) وتعنى بلاد اليونان .

- الجبرتى نفسه ، جـ١ ، ص١٩٩ ، حاشية٤ .

مطلب عزل اسمعيل باشا وولاية محمد عزت باشا

بقصر العينى ووقف الحراس على أبوابه أياماً حتى حضر محمد باشا عزت إلى القاهرة فى شوّال من السنة أى سنة خمس[1] ومائتين ورست سفينته على بولاق فنزل لاستقباله الأمراء كافة وركب معهم إلى قصر العينى ثم ركب فى يوم الاثنين رابع الشهر وصعد إلى قلعة الجبل فلما استقر به المنصب نظر فى حساب اسمعيل باشا .واستخلص ما كان فى ذمته ثم انزل متاعه بالسفن ولم تقلع من ساحل بولاق حتى ورد الخبر باعادة محاسبته على مال الخزينة واستخلاص ما أخذه منها فعوّقوه وأوقفوا عنه سفنه حتى استصفوا ما عليه وسافر بعد ذلك بأيام قليلة . ولم يتمكن محمد عزت باشا من التصرف حتى جاءه الخبر بتحرك إبراهيم بيك الكبير ومراد بيك للقتال وعقدهما النية على الانحدار بمن معهما إلى مصر ودخولا إن طوعا وإن كرها وقد تحقق الأمر إذ انحدر مراد بيك من الصعيد إلى منية ابن خصيب وانتشرت جموعه فى المقدمة وعبر بعضهم النيل إلى الشرق ووصلت طلائعهم إلى العياط[2] وتربص إبراهيم بيك بمنفلوط[3]ينتظر ارتحال الحاج من القاهرة فينحدر إليها عاجلاً بجموعه ومن معه من الأمراء فأخذ محمد عزت باشا والأمراء بمصر يتأهبون للقتال وأرسلوا على بيك إلى طرا وآخر إلى الجيزة وأخذوا فى الاهتمام وحفروا خندقاً من النيل إلى المتاريس وبالغوا فى التأهب وأكثروا من الحيطة فبينما هم على هذا الحال من الاهتمام والأرصاد تنقل لهم أخبار مراد بيك وأصحابه إذ جاء عمر أفندى

---

(١) حسب التاريخ ما هو مكتوب سنة ١٢٠٥هـ ، توافق ١٧٩٠م .

(٢) تكونت فى العهد العثمانى وذلك بفصلها من زمام جبرا (كفر شحاته الآن) ووردت فى تاج العروس باسم كفر العياط نسبة إلى الشيخ الولى أحمد العياط المدفون بالأشمونين ومن عام ١٨٩٦م أطلق عليها مركز العياط ولازالت حتى الآن .

● محمد رمزى ، مرجع سابق ، جـ٢ ، جـ٣ ، ط٩٤ ، ص٥٠ .

(٣) مدينة قديمة إسمها القبطى Manbalout ومعناها «الحمر الوحشية» ووردت باسم «القرارية» و «الغزارية» وهى نفسها مركز منفلوط محافظة أسيوط .

● الجبرتى ، نفسه ، جـ١ ، ط ٩٨ ، ص٤٩ ، حاشية ٧ .

● رمزى محمد ، المرجع السابق ، ق٢ ، جـ ٤ ، ص٧٨ .

مكرم الأسيوطى بكتاب من إبراهيم بيك خطاباً إلى شيخ البلد والمشايخ والباشا فعقد الباشا ديوانه وقرئ الكتاب فكان حاصل ما فيه رغبتهم فى العودة إلى مصر بعذ هذه الغربة الطويلة والوعد منهم بملازمة الهدوء والسكينة وعدم الخروج عن حد الطاعة وإن قد جاءهم مرسوم من دار السلطنة على يد رسول مخصوص بالعفو عما سلف وأن المشايخ يضمنون حسن سيرهم واستقامة أحوالهم فلما أتموا قراءة الكتاب سأل الباشا المشايخ ماذا تقولون فى هذا الطلب فقال الشيخ العروسى أصلح الله الأمير إن كان التفاهم بينهم وبين أمرائنا المصريين الموجودين بين ظهرانينا فإننا نترجى عندهم وإن كان ذلك بينهم وبين السلطان فالأمر لنائب مولانا السلطان فبعد جدال وقيل وقال اتفقوا جميعاً على أن يكتبوا جواباً محصله . إن طالب الصلح لابد أن يقدم الرسالة بذلك قبل أن يتحرك من مكانه وذكرتم أنكم تائبون وقد تقدّم منكم القول بالتوبة فلم نر لها أثراً على أن شرط التوبة رد المظالم وعدم إضرار خلق الله تعالى وأنتم لم تفعلوا ذلك ولم تدفعوا ما عليكم من مال الميرى[1] فى هذه السنة فإن كانت نواياكم ثابتة على الصلح وجب أن ترجعوا إلى أماكنكم وترسلوا المال والغلال وسنطلب لكم من مولانا السلطان العفو فإن عفا عدتم إلى دياركم وإلا فلا . ووقع جميع من حضر على هذا الجواب وبعثوا به على يد السيد[2] عمر ثم قرروا بعد ذلك نفى وتبعيد

---

(١) وتعنى إيرادات خزينة مصر ، وهو مخصص أصلاً للسلطان وله إدارة خاصة بتحصيله وضبطه (الرزنامة) يرأسها الرزنامجى الذى كان يعينه الباشا بناء على طلب الديوان والذى كان يعين بعد ذلك عضوا فى الديوان وتحت يده فريق من المعاونين (الأفندية) وفى أيديهم سجلات الأراضى التى تدفع الميرى .

● للمزيد يرجع إلى الرافعى ؛ تاريخ الحركة القومية جـ ١ ، ط١٩٥٥ ، ص٣٦ .

● ليلى عبد اللطيف ، مرجع سابق ، ص٤٥٤ ، ملحق٢ ، كشاف المصطلحات والوظائف .

(٢) عمر مكرم : ولد فى أسيوط ونشأ بها ولقب بالأسيوطى ، من سلالة الحسن بن على بن أبى طالب ، كان نقيباً للأشراف فى مصر قبل مجىء الحملة الفرنسية ، وبذلك كان من وجهاء القوم ، فلما جاء الفرنسيون ظهرت شخصيته كبيرة لما دعا الشعب إلى التطوع للقتال وما بثه فى نفوس الجماهير من روح المقاومة ، ويقول الجبرتى «وصعد السيد عمر أفندى نقيب الأشراف إلى القلعة فأنزل منها بيرقاً كبيراً أسمته العامة البيرق النبوى فنشره بين يديه من القلعة إلى بولاق ، وأمامه ألوف من العامة ، وهكذا=

جميع من أتباع إبراهيم بيك ومراد بيك الذين بالقاهرة ومصر فأبعدوهم ووضعوا على أبواب المدينة الحراس والمرابطين ونادوا على العساكر والأجناد بالخروج إلى طرا وملازمة المتاريس والخنادق وأشار الأمراء على الباشا بالنزول من القلعة

---

= استنفر الشعب إلى التطوع لصد هجوم المغير ، ولما وقعت الهزيمة فى معركة الأهرام لم يرض البقاء فى القاهرة بعد أن أصبحت تحت رحمة الفرنسيين ، ولم تلن قناته حتى بعدما أختير لعضوية الديوان ورفضها ، وهاجر إلى سوريا تاركاً أمواله عرضة للسلب والمصادرة ، وظل هناك إلى أن وصل يافا وقابله هناك نابليون فى حملته على الشام ، وكان يعرف منزلته من قبل ، فأمر بإرجاعه إلى مصر معززاً مكرماً . فعاد إليها ولكنه اعتزل الفرنسيين ، واعتكف فى بيته ولم يشأ أن يتصل بهم ، وبقى فى عزلته إلى إبرام معاهدة العريش سنة ١٨٠١ وفى ثورة القاهرة الثانية كان من زعمائها ، ولما أخمد الفرنسيون هذه الثورة هاجر ثانية من مصر وعاد إليها بعد خروج الفرنسيين منها ، فزادت منزلته فى نفوس المصريين وعادت إليه نقابة الأشراف التى كانت قد نزعت منه أثناء هجرته الأولى ، وكان مشاركاً فى الثورة التى قامت ضد المماليك سنة ١٨٠٤ وضد الوالى التركى سنة ١٨٠٥ وقد ساند محمد على عندما صدر الأمر من السلطان بخروجه من مصر وتوليه سالونيك بمساعدة شيوخ الأزهر مكوناً جبهة شعبية لانت قناة السلطان أمامها . ثم سانده فى صد هجوم حملة بريطانيا سنة ١٨٠٧ حيث عبأ الجماهير ضد الإنجليز بنفس هذه الجبهة الشعبية كل هذا وكان محمد على فى الصعيد يتلكأ ، وما أن وصل إلا ووجد الشعب قد حرث المعركة أمامه نتيجة جهد هذا الرجل ومن معه.

إلا أن محمد على الذى كان يرنو إلى العرش لم يرض عن هذه الزعامة التى لم تكن تنازعه عرشه وإنما يسعى حثيثاً لإزاحة عمر مكرم عن طريقه بعد كل هذا العطاء ، فخشى من زعامته لقوى الشعب ، وانتهز فرصة انقسام العلماء على زعيمهم من ناحية ومعارضتهم للضرائب التى فرضها لحاجته إلى المال من جهة أخرى .

وإزاء حادثة القبض على أحد طلبة الأزهر واحتجاج العلماء على ذلك ، التقى بهم عمر مكرم وطلب نبذ الخلاف بينهم وإفراغ طلباتهم فى مذكرة رفعوها إلى محمد على الذى رفضها وبدأ يقلب لهم ظهر المجن ، وبعد تبادل الاتهامات بين محمد على وعمر مكرم عزل عمر مكرم من نقابة الأشراف ونفى إلى دمياط فى أغسطس سنة ١٨٠٩ وقد انتقل من دمياط إلى طنطا سنة ١٨١٢ ليظل منفياً بها قرابة سبع سنوات ثم سمح له محمد على بالعودة إلى القاهرة فى ١٨١٩ ليقيم بها حتى يبدأ رحلة الحج التى طلبها عمر مكرم منه ، فاستقبله الشعب بالفرح .

ولما انتفض الشعب فى ١٨٢٢ ضد محمد على بسبب فداحة الضرائب ظن الأخير أنها من فعل عمر مكرم فأعاده إلى طنطا مرة أخرى فى ٥ أبريل سنة ١٨٢٢ .

ولم تطل به مدة النفى هذه المرة . إذ لقى ربه فى نفس السنة .

● (عن عبد العزيز محمد الشناوى (دكتور) : عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية يوليه سنة ١٩٦٧ أعلام العرب ٦٧ ، عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظم الحكم فى مصر جـ ٢ ط٣ ، ص ص ٣٤٠ - ٣٤٤) .

إلى طرا وملازمة المتاريس فنزل وخرج إليها وخرج أيضاً جميع الأمراء وطاف الأغا والوالى وهما يناديان على الجند بأن لا يتخلفوا وتسلم المرابطون بقلعة الجبل أبوابها وشددوا المراقبة وأتى الجواسيس فأخبروا أن مراد بيك وأصحابه على عزم الانحدار إلى العادلية من خلف المقطم فأرسل الباشا بعض الأمراء إلى العادلية فعسكروا بها وأرسل أيضاً إلى عرب العائد فجاؤا إلى العادلية ونزلوا بها فلما كان الليل تحول الباشا وجميع الأمراء إلى ناحية العادلية وأخذوا بعض المدافع وآلات الحرب والمؤنة وعملوا فيها المتاريس والخنادق فلم يكادوا يفرغون من عملهم حتى شاهدوا إبراهيم بيك ومراد بيك وأصحابهما منحدرين من الجبل إلى العادلية فى أسوأ حال فهم الأمراء المصريون بالهجوم عليهم وأخذهم فى حالة التعب فمنعهم عثمان بيك أبو طبل من ذلك وثبط هممهم وقد كان على عهد مع إبراهيم بيك ومراد بيك بحضورهم فى هذا الحين ثم أمر فرجعت جميع آلات الحرب والذخيرة إلى القاهرة ولبثوا واقفين على ظهور الخيل من غير أن يبدوا حراكاً فتمنع إبراهيم بيك وقومه وترفعوا عن مواقع المتاريس ونزلوا عند سبيل علام للراحة حتى يتكامل حضورهم ثم نصبوا خيامهم واستراحوا إلى عصر اليوم كل ذلك وعثمان بيك والباشا ومن معهما لا يبدون إشارة وركب ممن كانوا مع الباشا مصطفى كاشف كتخدا على بيك الذى هو مملوك محمد بيك الألفى وهو أحد الذين كانوا مع إبراهيم بيك الكبير وأخذ معه خمسة مماليك وانحاز إلى أستاذه بمعسكر إبراهيم بيك وركب محمد بيك المبدول أيضًا وانحاز بأتباعه إلى أستاذه إبراهيم بيك وكذلك فعل قاسم بيك فانحاز إلى مراد بيك الكبير وكذلك مصطفى كاشف الغزاوى الذى هو أخو عثمان بيك طبل شيخ البلد واستوثق لأخيه فكتب إليه إبراهيم بيك بالحضور فلم يتمكن من الذهاب إليه إلا بعد العشاء الأخيرة حتى انفرد عن علىّ بيك وحسن بيك الجدواى فلما فعل ذلك وفارقهما علما حقيقة الخبر وأحسا بأنهما قد وقعا فى مخالب العطب فأغمى على علىّ بيك ثم أفاق وركب مع حسين بيك الجدواى وأتباعهما

وعدتهم ستة وبعض المماليك والخدم وذهبوا جميعاً من خلف القلعة إلى الأقاليم القبلية حيث كانت أخصامهما . فسبحان مقلب الأحوال وهادم بناء صروح تلك الآمال أنه الواحد القهار . ولما التقى عثمان بيك بإبراهيم بيك الكبيرأجله كثيراً وأرسله مع ابنه مرزوق بيك إلى مقر مراد بيك فسلم عليه وقد حضر أصحاب الوجاقات والاختيارية وأرباب المناصب للسلام وبدأ أتباعهم بالدخول إلى القاهرة طول ليلة السبت حادى عشرى القعدة سنة خمس ومائتين وألف[1] هجرية وأصبحوا فدخلت الأحماال والجمال والدواب فكانت شيأ كثيراً جداً ثم دخل إبراهيم بيك ومر بالمدينة ومعه امراؤه ومماليكه وأكثرهم لابسون الدروع ثم دخل بعده سليمان بيك الأغا وأخوه إبراهيم بيك الوالى ثم بقية الأمراء ودخل مراد بيك من طريق الصحراء ونزل على الرميلة ومعه عثمان بيك الإسماعيلى الذى هو عثمان بيك أبو طبل شيخ البلد وجميع أمرائه ومماليكه وأتباعه ودخلوا بيوتهم وكان فى أكثرها عائلات الأمراء الذين هلكوا بالطاعون وبقى بها نساؤهم ومات أغلب نساء الذين كانوا بالأقاليم القبلية من الأمراء فلما رجعوا وجدوها آهلة بالنساء والجوارى والخدم فتزوجوهن وجددوا فراشهم وعملوا أعراسهم ومن لم يكن له منهم بيت دخل ما أحب من البيوت وأخذه بما فيه من غير ممانع وكأن الله سبحانه قد أورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وأزواجهم وهى عبرة وتذكرة .

وركب الأغا فى ثانى يوم ونادى على طوائف القليونجية والارنؤد والشوام بالرحيل عن مصر عاجلاً وكل من وجد منهم بعد ثلاثة أيام قتل بغير معاودة وتتبعهم المماليك والجند فكانوا إذا رأوا أحداً منهم قبضوا عليه وأخذوا ما معه من السلاح وأشبعوه ضرباً وكانت العامة تسخر بهم ثم صعد إبراهيم بيك ومراد بيك ومن معهم من الأمراء إلى الباشا بقلعة الجبل فقابلهم بالترحاب وخلع

(١) توافق ١٢ يوليو سنة ١٧٩١م .

عليهم الخلع وكتب إلى دار السلطنة يومئذ بكل ما جرى ولم تكد تستقر بهم الراحة بعد تلك الخطوب المدلهمة حتى جاء الخبر بأن حسن بيك الجداوى وعليّ بيك اللذين فرا إلى الصعيد قد ضبطا المراكب المنحدرة إلى مصر بأموال ومتاع إبراهيم بيك وأخذا ما فيها ومنعا من نزول الغلال وعبثا بالبلاد فاهتم إبراهيم بيك لذلك وجيش جيشاً وسلم قيادته إلى إبراهيم بيك الوالى وقلد عثمان بيك المرادى ولاية الصعيد وسيرهما للقبض على حسن بيك وعلى بيك المذكورين وبينما هم على هذا الحال قدم رسول من دار السلطنة يحمل فرماناً بالعفو عن إبراهيم بيك ومراد بيك ومن معهما من الأمراء والجند والإذن لهم بالرجوع إلى مصر والبقاء فيها وكان ذلك بالتماس من محمد باشا عزت حيث كتب إلى الباب العالى يبالغ فيما ينجم عن بقائهم خارج مصر وفيها هم عليه من المنعة والقوة وفى عجز الأمراء الذين بمصر عن ردهم فعقدوا لذلك الديوان بقلعة الجبل فلما قرئ الفرمان أطلقت المدافع وخلع عليه الباشا خلع الرضا ونزلوا فزارهم العلماء والمشايخ والأمراء وقدمت لهم التقادم والهدايا واستقرت بإبراهيم بيك ومراد بيك المناصب وبث إبراهيم بيك العيون لتأتى له بخبر حسن بيك الجداوى وعلى بيك فجاؤا وأخبروا بانفصال حسن بيك عن عليّ بيك وذهابه إلى جدة عن طريق القصير[1] فاطمأن قلبه وسكن روعه وأخذ فى تقسيم المناصب بين أتباعه وأتباع مراد بيك فعزل وولى وأحكم الأمور وفتح أبواب المغارم[2] القديمة والفرض والضرائب الفادحة وقلد أرباب الجباية

---

(١) من الثغور المصرية القديمة على البحر الأحمر وكان العرب يسمونها بالجُدَيِّده لأنها استجدت بعد القصير القديمة التى كانت واقعة فى شمال الحالية واندثرت وتقع القصير تجاه مدينة قوص الواقعة على النيل ، لذلك فالقصير ميناء للتجارة الواردة إلى مصر من البحر الأحمر واليمن الصادرة منها لبلاد البحر الأحمر . والمسافة بين القصير وقوص ١٥٥ ك . ق . على خط مستقيم وإسمها المصرى القديم Lefkos Limini .

● رمزى ، محمد ، مرجع سابق ، ط٩٤ ، مركز التاريخ ، جـ ٤ ق٢ ، ص٢٧٠ .

(٢) يقصد بها إعادة أنواع من الضرائب التى تفرض قسراً بدون أسباب .

وأصحاب المكوس وسيرهم إلى القرى والأرياف فضلاً عن المدن هذا والغلاء منشب أظفاره فى جوف البلاد لتقصير النيل فى عامه وعدم وجود الغلال وقد تولد عن ذلك اختصاص الأمراء بما وجد من الغلال فى بعض القرى فنقلوه لأنفسهم ووقع القحط فى البلاد فهام أهلها ودخلوا مصر والقاهرة طلباً للقوت فكانوا يطوفون فى الأزقة والحارات والشوارع طائفة خلف طائفة يضجون ويبكون من الجوع وكانوا يلقون بأطفالهم فى جوانب الجدران أمواتاً من الجوع وكذلك كان يقع من أهالى مصر والقاهرة ويموت منهم فى كل يوم خلق كثير وكان إذا وجد الأردب القمح بيع بثمانية عشر ريالاً والشعير بخمسة عشر والفول بثلاثة عشر ريالاً وكانت الأوقية الخبز بنصف فضة واشتد القحط وكثر الصياح والعويل ليلاً ونهاراً فكانت لا تكاد تقع الأرجل إلا على خلائق مطروحة بالأزقة وكانوا إذا مات حمار أو فرس أخذوه وأكلوه نيئاً ولو كان منتناً ثم زاد الحال بشدة فصاروا يخطفون الأطفال من أحضان أمهاتهم ويأكلونهم فانكف الناس عن الخروج بأطفالهم وطال الحال على ذلك أياماً حتى جاءت الغلال من الديار الرومية وتتابع ورودها فكثرت وارتفع القحط فأكل الناس وشبعوا ووافق ورود هذه الغلال حصاد الذرة فعاد الناس إلى بلادهم وعمرت بعض القرى بعد خرابها فكانت شدة عظيمة للغاية وعلا النيل حروفاً فانحطت الأسعار وبورك فى رمى الغلال[1] فكان الفدان الواحد ينتج غلة خمسة أفدنة وبلغ النيل زيادته المتوسطة وعم الماء غالب الأرض فأحياها بعد الموات .

ووصل فى هذا الحين إلى ثغر الإسكندرية يوسف باشا صدر الدولة العثمانية يريد الأقطار الحجازية فاهتم إبراهيم بشأنه جداً وأرسلوا إليه الملاقين

---

(١) يقصد زيادة المحاصيل بعد وصول مياه النيل والفيضان .

وقدموا التعابى والتقادم الثمينة وهيئوا لمقامه قصر العينى وزينوه بأنواع البسط والفرش الفاخرة وأنزلوه به وتمثلوا بين يديه فخلع على إبراهيم بيك ومراد بيك خلعة سنية وقدم لهما حصانين مسرجين مرختين وتخوف إبراهيم بيك من حضوره فى هذا الحين وترامت ظنونه إلى المرمى البعيد فاعمل الحيلة ووضع لخفارته عبد الرحمن بيك الإبراهيمى ومعه فريق من الجند فصعد الصدر المشار إليه بعد أيام إلى قلعة الجبل باستدعاء من محمد باشا عزت ثم نزل إلى مقره وأخذ إبراهيم بيك فى إعداد ما يلزم لسفر الصدر المذكور من غلال وأرز وتعابى هندية وغير ذلك من الهدايا والنفائس خوفاً من طول لبثه بمصر وإفساد أمورهم وأعدوا له السفن بالسويس فركب فى أواسط جمادى الثانية من السنة أى سنة ثمان ومائتين وألف[1] هجرية فزالت مخاوف إبراهيم بيك ومراد بيك وعادوا إلى ما كانا عليه من إعمال الجهد فى تحصيل المغارم وتقرير المكوس والضرائب وغير ذلك وأكثروا من أعوان الجباية وبثوهم فى البلاد والقرى لا يسايرون غنياً ولا يرحمون فقيرا . وجاء الخبر بتوجيه مسند الصدارة إلى الوزير محمد باشا عزت والى مصر وتولية صالح باشا بدله فنزل محمد باشا من القلعة وسافر إلى الإسكندرية فى صفر من السنة أى سنة تسع ومائتين[2] وألف وأقام بالإسكندرية أياماً حتى قد صالح باشا فى العشرين من ربيع الأول ووصل تقليده الصدارة إلى محمد باشا عزت وهو بالأسكندرية فنزل من فوره وسافر إلى دار السلطنة وحضر صالح باشا إلى القاهرة وصعد إلى قلعة الجبل فى الموكب المعتاد وصعد الأمراء والمشايخ للسلام عليه فقابلهم وأكرم لقاءهم وأراد التصرف فى الأمور والنظر فى مصالح الخلق فلم يتمكن لتغلب إبراهيم بيك ومراد بيك واستقلالهما بالأمر فالتزم التحجب والانكماش وبقى على هذا الحال عشرة أشهر حتى جاء الخبر

مطلب
عزل محمد عزت باشا وولاية صالح باشا

(١) توافق تقريباً ١٨ يناير ١٧٩٤م .
(٢) توافق ١٧٩٤م (بداية صفر ـ الخميس ٢٨ أغسطس) .

مطلب عزل صالح باشا وولاية أبى بكر باشا

بخلعه وتولية السيد أبى بكر باشا وذلك فى ذى الحجة من سنة عشر[1] ومائتين وألف فنزل من قلعة الجبل إلى قصر العينى وتأهب للرحيل وأقام بها أياماً قلائل ثم سار إلى الإسكندرية فكانت مدة ولايته زهاء عشرة أشهر . وحضر السيد أبو بكر باشا من الإسكندرية إلى القاهرة وركب فى الموكب المعتاد إلى القلعة فى الخامس والعشرين من ربيع الأول سنة إحدى عشرة ومائتين وألف[2] هجرية فلم يكن له من حظ الولاية إلا ما كان لغيره من الولاة فكان مغلوباً على أمره والكلمة لإبراهيم بيك ومراد بيك والناس فى غم من الضرائب الفادحة والمغارم المتوالية والمكوس المتراكمة وضجيجهم مستمر وابتهالهم إلى الله تعالى متواصل بزوال دولة الظالمين ومحو آثار القوم المفسدين وقد بلغت منهم الروح الحلقوم والعظم السكين فأرسل اللّه سبحانه على زمرة المماليك بونابارته[3] قائد جيوش الفرنسيس فى عسكر عظيم فقهرهم وأباد سلطانهم حينا كما سيأتى بيان ذلك فى محله إن شاء الله .

(١) توافق ١٧٩٦م (بداية ذى الحجة الثلاثاء ٧ يونيه) .

(٢) توافق ٢٨ سبتمبر سنة ١٧٩٦م .

(٣) ولد نابليون بونابرت فى مدينة اجاكسيو Ajaccio عاصمة جزيرة كورسيكا ، فى ١٥ أغسطس سنة ١٧٦٩ ، وهو من أسرة أصلها إيطالى ، وكانت جزيرة كورسيكا تابعة لجمهورية جنوة ثم استولت عليها فرنسا سنة ١٧٦٨ أى قبل ولادته بعام واحد ، والجبرتى يسميه (بونابرته) وقد عرف فى مصر بهذا الاسم ، ولم يذكره الجبرتى باسم نابليون قط ، لأنه إلى ذلك العهد (عهد الحملة الفرنسية) كان يعرف بالجنرال بونابرت .

تلقى نابليون دروسه الأولى فى مدرسة اجاكسيو ، ثم التحق بمدرسة بريين Brienne الحربية بفرنسا ، ثم دخل مدرسة باريس الحربية سنة ١٧٨٤ ، وانتظم فى سلك المدفعية وجاز الامتحان بنجاح سنة ١٧٨٥ ، والتحق بالجيش ، ثم انضم إلى الثورة الفرنسية عندما شبت ، وبعد أن أعلنت فرنسا الحرب على النمسا ثم على إنجلترا وهولنده وأسبانيا ، تحرج مركز فرنسا وأحاط بها الأعداء من كل جانب ، واحتل الإنجليز طولون سنة ١٧٩٣ وهى ميناء على البحر المتوسط ، وهنا ظهر نبوغ الضابط نابليون حيث قام باسترجاع طولون وإجلاء القوات الإنجليزية عنها ، وعهدت إليه الحكومة بمهمة الدفاع عن الجمعية الوطنية وإخماد فتنة الخارجين عليها عام ١٧٩٥ ، فأخمد الفتنة وأنقذ الجمعية الوطنية ، ثم عين قائداً للجيش الفرنسى فى حرب إيطاليا سنة ١٧٩٦ ، فظهرت فيها عبقريته الحربية ، وبعد انتهاء=

# (فصـــل)

## (نزول نابوليون بونابرته بجيوشه على مصر وما جرى بعد ذلك من الحوادث والمحن)

لما عظمت دولة الفرنسيس وكبر سلطانها بما عانته من الغزو وتدويخ الممالك على يدى قائد عسكرها العظيم بونابرته الكبير واتسعت كلمتها وعمت هيبتها مشرق الأرض ومغربها بعد قتل لويس[1] السادس عشر ملكها وقيام

---

=حملته على إيطاليا ، أعقبتها الحملة على مصر ، ولما عاد نابليون من مصر عام ١٧٩٩ قلب نظام الحكم فى فرنسا ، وأصبح قنصلاً أول ثم إمبراطوراً سنة ١٨٠٤ ، وساق جيوشه على أوربا . . إلى أن أخذ نجمه فى الأفول فى هزيمة جيوشه فى حملته على روسيا ، ثم انتهى الأمر بهزيمته فى موقعة ووترلو سنة ١٨١٥ ، ووقوعه أسيراً فى يد الإنجليز ، فنفوه فى جزيرة نائية فى المحيط الأطلسى هى جزيرة «سانت هيلانة» وبقى فى هذه الجزيرة القاحلة يعانى ألم المنفى إلى أن مات فى عام ١٨٢١ ، ثم اعيد جثمانه إلى وطنه بعد ذلك بأكثر من عشر سنين ، فشيعت فرنسا جثمانه بإجلال ، ودفن فى مدفن العظماء والخالدين بالإنفاليد .

● نجيب توفيق : أم المماليك ، مرجع سابق ص ص ٧١ ، ٧٢ .

● الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق ص١٨١٢ .

● عبد العظيم رمضان (دكتور) : تاريخ أوربا والعالم فى العصر الحديث ، مرجع سابق جـ١ ، ص ص ٤٠٤- ٤١١ .

(١) لويس السادس عشر (١٧٥٤-١٧٩٣) : ولى الحكم فى العشرين من عمره ، وعقدت عليه الآمال لإنقاذ الشعب الفرنسى من الفساد وكان طيب القلب محباً للخير شديد الرغبة فى الإصلاح ، غير أنه كان ضعيف الإرادة مما أفسد عليه نواياه الحسنة .

أما زوجته النمساوية مارى انتوانت فقد تزوجها من أجل أغراض سياسية ، ومن ثم كانت مكروهة من الشعب الفرنسى قبل أن تطأ أقدامها فرنسا ، إذ كانت من أسرة كانت مكروهة من الفرنسيين لأنها كانت تسببت معه فى حروب كثيرة .

وكانت مارى إنسانة ذكية عنيدة محبة للحفلات التى جرت لويس إليها حتى نسى أهدافه فسارت الأمور إلى الأسوأ مما كان أحد الأسباب لانفجار الثورة الفرنسية التى ألغت الملكية وراح لويس ضحيتها إذ اعدم ونفذ الحكم عليه يوم ٢١ يناير ١٧٩٣ بميدان الجمهورية بباريس .

● محمد قاسم ، حسين حسنى : تاريخ القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٥٠ ص ، ص٧ ، ٢٤ .

الحكومة[1] الإدارية فيها لم يبق من معاند لها ولا واقف فى وجهها كما قاله أصحاب الأخبار سوى دولة الإنجليز فإنها كانت لا تضن أبداً ببذل كل مرتخص وغال فى سبيل إذهاب تلك السلطة ومحو تلك الهيبة وقطع شأفة ما استقر منها فى قلوب كبار الممالك والدول الذين علا هامتهم سيف بونابرته العظيم فأذلهم وأخضعهم وكان كلما عاهدت دولة الفرنسيس دولة بعد الغلبة عليها حقناً للدماء أو حفظاً لحرمة الجوار حركها الإنجليز ودفعوا بها إلى نكث[2] العهود ونقض الوعود وأمدوها بما تحتاجه لذلك من المال ومعدات القتال أو تاركت دولة أخرى أنهضها الإنجليز إلى القتال قبل انقضاء الأجل وحسنوا لها

---

(١) تأسست حكومة الإدارة الفرنسية فى ٢٠ أكتوبر ١٧٩٥م وقررت تكوين الجيوش العسكرية ومواجهة التحالف ضد فرنسا ـ انجلترا ـ النمسا ـ سردينيا ، فكانت الحملة على إيطاليا بقيادة بونابرت ـ وهى أساس مجده العسكرى ـ فتوالت انتصاراته وتحالفاته مع الدول المجاورة (النمسا ـ ألمانيا ـ بروسيا ـ إيطاليا) ولم يبق أعداء لفرنسا سوى إنجلترا . ومن هنا اتجهت أنظار حكومة الإدارة ـ ١٧٩٧م ـ *لغزو مصر وتحويل تجارة رأس الرجاء الصالح لطريق البحر الأحمر عبر السويس* . وهدم سيادة بريطانيا التجارية وغزو ممتلكاتها فى الشرق وعلى هذا أصدرت حكومة الإدارة أوامرها ـ ٢ أبريل ١٨٩٨م ـ للچنرال بونابرت بغزو مصر .

كذلك نجد أن ضعف الدولة العثمانية شجع فكرة الحملة على مصر والتخلى عن فكرة الصداقة معها وتوطيد مركز فرنسا التجارى عالمياً ووقف عبث بكوات المماليك بمصالح التجار الفرنسيين وامتداداً لنفوذ فرنسا بالبحر الأحمر ويهدد المصالح البريطانية فى مستعمراتها بالهند . وبناء على نصيحة البارون دى توت De Tout ـ بعد قيامه ببعثة تفقدية لمصر ـ أصدرت حكومة الإدارة قرار إعداد الحملة فى ١٢ أبريل ١٧٩٨م وتحركت من ميناء طولون الفرنسى فى ١٩ مايو ١٧٩٨م ووصلت الإسكندرية يوم ١ يوليو ١٧٩٨م وتم احتلال مصر ودخول بونابرت القاهرة يوم ٢٤ يوليو ١٧٩٨م .

● عبد العظيم رمضان ، مرجع سابق ، جـ١ ، ص ص٤٠٤ - ٤١١ .

● الجبرتى ، مظهر التقديس ، مرجع سابق ، ط٩٨ ، مدخل ب ، جـ ، د ، هـ .

(٢) بعد أن استتب الأمر للثوار الفرنسيين بدأت تطل عليهم الأطماع الأوربية ، فحاربوا ودخلوا بلچيكا مما كان تحولاً خطيراً فى السياسة الدولية انذاك ، وبدأت الدول وعلى رأسها انجلترا تحاول صد هذه القوة الجديدة ، فعمدت إلى التحالف مع الدول التى قطعت علاقاتها بفرنسا على أثر إعدام الملك لويس ١٦ ، فأجابها المؤتمر الوطنى بإعلان الحرب عليها وهى : هولندا وسردينيا ونابلى وإسبانيا وغيرها ، وهزمت جيوش فرنسا أمامها واضطرت فرنسا لإخلاء بلچيكا واستطاعت فرنسا أن تصل ـ باختصار ـ إلى حلول مع معظم هذه الدول إلا انجلترا التى كانت تخشى أن تعتدى فرنسا على أملاكها فى المشرق ، ومن هنا كانت وجهة فرنسا الفعلية مصر لإحداث أكبر ضرر بإنجلترا .

● محمد قاسم ، حسين حسنى : المرجع السابق ، ص ص٢٩ ، ٣٢ .

القبيح من هذا العمل فكان بونابرته من ذلك فى كمد دائم وحزن ملازم لا ينكف عن تدبير الحيل وتعليل الأمل بكسر شوكة هذا العدوّ الألد وسحق سلطانه من أدنى الأقطار إلى أقصاها فكان مما دبره يومئذ نزع المملكة الهندية من يد الإنجليز وبذل النفس والنفيس فى سبيل ذلك وكأنه رأى أن هذا الأمر لا يتم إلا بنزوله بجيش عرمرم على مصر واستخلاصها من أيدى المماليك وجعلها رباطاً لحركاته الحربية ومقراً لمناوشاته السياسية فجعل يفكر ويتدبر وهو قلق البال مضطرب الأحوال حتى اجتمع برجال الحكومة الإفرنسية وهم المعروفون فى ذلك الوقت برجال الإدارة وكاشفهم على ما فى نفسه وبالغ فى الشكوى وأراهم أنه لا سبيل إلى الخلاص من مخالب هذا الأسد الرابض إلا بإرهابه وتذليله ومناهضته فى أرض الهند الواسعة ففكر رجال الإدارة فى ذلك حيناً وأحلوه محلاً عظيماً فكانوا فيه بين إقدام وإحجام وخوف ورجاء فأنس منهم بونابرته ذلك فجعل يشجعهم ويستميلهم وكتب إليهم كتاباً يقول ما حصل ترجمته .

لستم تنكرون أيها السادة أن مصر أكثر المدن خصوبة وأكبرها عمراناً وأنها إنما كانت اهراء لأهل رومية وفى هذا الأوان لأهل القسطنطينية فإن أرضها تنبت القمح والفول والأرز وسائر أنواع البقول فضلاً عن القطن وقصب السكر والكتان والنيلة والقنب والخيار شنبر والسنامكى والنطرون وفيها من الماشية أشكال ومن الطيور الداجنة ألوان فضلاً عما فيها من الحمر والأبل التى لا مثيل لها فى أقطار الأرض ومصر كما لا يخفاكم مركز متوسط بين قارتى آسية وأفريقية تؤمه القوافل من جزائر العرب والشام وسواحل الغرب وبلاد الحبشة وربما جاءته من رأس الرجاء الصالح والنغال بأنواع المتاجر من الزيت والخشب والفحم والبن ومن الجوار والعبيد والصمغ والتبر والريش وسن الفيل والشالات والعطريات والأطياب وسائر صنوف المتاجر والمحصولات الهندية وقد كانت هذه المحصولات والأرزاق العظيمة تأتى إلى بلادنا قبل اكتشاف رأس الرجاء الصالح من طريق مصر فهى منذ القدم الطريق المأمون والسبيل الميمون ما بين قارتى آسية وأوربا وكانت

تلك الأرزاق والمحاصيل العظيمة تحط أحمالها قبلاً عند مدينة برنيس[١] على ساحل القلزم ثم تنقل منها حملاً على ظهور الإبل إلى مدينة طيبة[٢] زهاء أربع وعشرين مرحلة ثم تسير منها فى النيل إلى قارة أوروبا وكانت فى بعض الأحيان تنقل بحراً إلى القصير ثم إلى مدينة السويس ومنها على ظهور الأبل إلى منف[٣] فتأتينا كما هى وليعلم السادة رجال الإدارة أننا لو فتحنا هذه الديار وأحسنا سياسة أهلها ودبرنا شؤنهم على ما تقتضيه مصلحتهم خمسين عاماً فقط لعمرت البلاد وسعدت وزاد عدد أهلها أضعاف أضعاف ما هم عليه الآن وراجت محاصيل بلادنا فيها وفيما جاورها من الأمصار وأغنتنا عن أمريكا وكفتنا مؤنة التعاقد معها وليعلم أيضاً السادة رجال الإدارة أنه إذا قدر اللّه ركوز قدمنا فى تلك الديار ووفقنا إلى حسن إدراتها قصرت أيام الإنجليز فى بلاد الهند وصار جلاؤهم عنها أمراً خفيفاً فإننا نقيم الجند المرابطين على سواحل القلزم ونتشئ المعاقل والحصون المنيعة وندّخر فيها ما نشاء من محاصيل تلك البلاد ونحوّل التجارة الهندية إليها على أهون ما يكون وإذا فرضنا بقاء الإنجليز فى رأس الرجاء الصالح وقلنا باستحالة رحيلهم عنها فإنه يكون من السهل علينا أن نباريهم ونفتح بين النيل والقلزم ترعة تذلل لنا المصاعب وتذهب عنا تلك المتاعب ونكون قد غلبنا الإنجليز وقهرناهم وقبضنا على زمام تجارتهم بيد من حديد وعندى أن فتح هاته الترعة ليس بالأمر الصعب فقد كانت جارية من قبل وآثارها باقية إلى

---

(١) مدينة شرق مصر ، وهى ميناء على البحر الأحمر ازدهرت فى عصر البطالمة بهذا الاسم . وكانت بالقرب من القصير .
● إشراف محمد شفيق غربال ونخبه من الباحثين (الموسوعه العربية الميسرة) ، ١٩٦٥ ، ص١٣٨٤ .

(٢) أحد أسماء المدينة المصرية المعروفة بالأقصر ولها أسماء أخرى منها «مدينة آمون» و «المدينة الحديثة الجنوبية» تميزاً لها من أختها الشمالية «منف» . والإسم «طيبة» مصرى من «آية» (ديار عبادة آمون) .
● محمد شفيق غربال ونخبه من الباحثين (الموسوعة العربية الميسرة) ، ١٩٦٥ ، ص١١٦٨ .

(٣) عاصمة من أقدم عواصم الدنيا ، ثانية عواصم المملكة المصرية المتحدة القديمة ، ينسبون بناءها إلى الملك مينا ويربطون نشأتها بقيام الوحدة السياسية الثانية (٣٤٠٠ - ٣٢٠٠ ق . م) .
اسم منف مختصر من اسم مركب كان لحى من أحيائها وحين غدت طيبه زهرة عواصم الدنيا ، غدت منف عاصمة مصر الحربية ، بل عاصمة ثانية للديار تقاسم طيبه إدارة الدنيا . وهى البدرشين حالياً .
● محمد شفيق غربال ،نخبه من الباحثين . المرجع السابق ، ص١٩٥٦ ، ص١٧٦١ .

الآن ، وفى فتح مصر وبسط يدنا عليها الطامة الكبرى على الإنجليز والداهية الدهياء التى لابد وأن تذهب بهم إلى حضيض الذل والدمار . أ . هـ .

فلما وقف رجال الإدارة على ما فى خطابه هذا من البراهين الدامغة والحجج القوية حاروا فى أمرهم وخشوا شر العاقبة وقد كانوا يرون فى دولة الإنجليز أمة قادرة غنية تضرب بحسام غناها ذات اليمين وذات الشمال كما كانوا يرون فى بونابرته هماماً مقداماً حسن السياسة والتدبير كبير المعرفة بأحوال الممالك والأمم فلما كان الخامس من شهر مارس سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وألف ميلادية أى سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف هجرية اتفق رجال الإدارة مع بونابرته على تسيير حملة يقودها هو مع من يصطفيهم لنفسه من رجال الحرب ففرح بونابرته فرحاً لايوصف وبقى السر مكتوماً بينهم لا يعلم به أحد البتة ثم جعل من هذا الحين يجيش الجيوش ويعد المعدات فاجتمع له أربعون ألفاً من المقاتلين وأربعون قائداً من نخبة القوّاد أهل النجدة ومائة من المهندسين ومثلهم من أهل العلم بتخطيط الأرض وأصحاب الكيميا والطبيعة ونحوها ومعهم مطبعة عربية وجماعة من الكتاب والمترجمين والأطباء والجراحين والكحالين ومثلهم من الصناع وأصحاب العمل والحفر والنقش وهيأ عمارة[1] عظيمة لم ينقصها شيء ما من آلات الحرب والقتال وأميرها برويس[2] أحد كبار أمراء البحار وهى مؤلفة من مائة سفينة بين كبيرة وصغيرة وبينها سفينة عظيمة للغاية اسمها

---

(١) اسطولا .

(٢) كان أميرالاً على الأسطول الفرنسى أثناء وجوده فى الأسكندرية ، تولى حماية الأسطول فى أبى قير ، وفى أول أغسطس سنة ١٧٩٨ وقعت الواقعة البحرية الشهيرة فى «أبو قير» بين الأسطول الإنجليزى بقيادة الأميرال نلسن Nelson والأسطول الفرنسى بقيادة الأميرال برويس ، وانتهت بتحطيم الأسطول الفرنسى وتدمير معظم سفنه وأسر الباقى ومقتل أميراله برويس وخيرة رجاله ، فكانت هذه الكارثة القاضية على آمال فرنسا فى بسط سيادتها على البحر الأبيض ، وقد ندد نابليون ببرويس ، وشكا منه نتيجة تساهله وعدم الحيطة اللازمة .

● عبد الرحمن الرافعى «تاريخ الحركة القومية ، وتطور نظام الحكم فى مصر ، جـ١ ، ط٤ ، ١٩٥٥م ، ص – ص ٢٢٢ – ٢٢٥ .

● أحمد حافظ عوض «فتح مصر الحديثة أو نابليون بونابارت فى مصر» ، سنة ١٩٢٥ ، ص١١٣ .

الشرق تحمل مائة مدفع وعشرين مدفعاً وممن صحب بونابرته فى هذه الحملة من كبار القواد كلابير[1] وديزيه[2] المشهوران ورينير وبون وينو للمشاة والقائد مورات للفرسان ودمارتين لأصحاب المدافع وكافرالى للمهندسين وخرجت سفن الحرب بما عليها من المقاتلين البحرية وهم زهاء عشرة آلاف من أربع جهات متباعد بعضها بعضها عن بعض حتى لايعلم بخبرها أحد من عيون الإنجليز وخرجت معها السفينة والشوانى التى كانت تحمل جيوش الحملة فكانت جملتها زهاء سبعمائة سفينة وسار معها بونابرته وحاشيته فى التاسع من مايو من السنة تمخر بهم السفن فى عرض البحر فأنفذ رجال الإدارة إلى دار السلطنة العثمانية (آلالتاليران) أحد كبار السياسة سفيراً من قبلهم ليكلم السلطان فى أمر حملة بونابرته هذه والإقرار عليها فسافر إلى القسطنطينية ولم يعلم بخبره أحد البتة .

---

(١) ولد الجنرال كليبر فى مدينة (ستراسبورج) عاصمة الالزاس سنة ١٧٥٣ ، فهو الزاسى المولد والنشأة ، ظهرت مواهبه الحربية فى حروب الثورة الفرنسية ، كان له فى نفوس الجنود والضباط وقواد الجيش منزلة كبيرة لما اتصف به من الصراحة والشجاعة والنزاهة ، كان صديقاً حميماً لنابليون غير أن علاقتهما قد اعتراها فى فترة من الزمن شىء من الفتور ، وقد تولى عدة مناصب بأمر نابليون ، فقد استخلفه نابليون فى القاهرة عندما ارتحل إلى السويس فى ديسمبر ١٧٩٨ ، ثم اختاره ضمن القواد الذين اصطحبهم فى الحملة على سورية وعينه فى الوقت نفسه (١٧ يناير ١٧٩٩) حاكماً على دمياط وقومنداناً للفرقة التى بها ، وهى فرقته القديمة التى كان يتولى قيادتها قبل أن يجرح يوم احتلال الأسكندرية ، وقد ظهرت مواهبه ومزاياه الحربية فى فتح يافا ، وفى معركة جبل طابور استخلفه نابليون بعد رحيله إلى فرنسا على القيادة العامة للجيش الفرنسى فى مصر ، درس كليبر حالة مصر ونفسية الشعب وأمعن النظر فى موقف الجيش الفرنسى فيها وعرف إجمالاً الحالة العامة فى أوروبا وفى فرنسا واقتنع بأن لا فائدة ترجى من استمرار الاحتلال الفرنسى لمصر وأن مصيره الفشل ، لذلك فكر فى فتح باب المفاوضات مع تركيا لعقد الصلح والجلاء عن مصر .

اهتم كليبر بتنظيم الإدارة فى مصر واستأنف الأبحاث العلمية التى بدأها نابليون ، وأسس لجنة علمية ثالثة لدرس حالة مصر الحديثة من ناحية الحكم فيها وشرائعها وقوانينها وعاداتها ودينها وحالتها الإجتماعية وعلومها وتجارتها وصناعتها وزراعتها وجغرافيتها ، وقد إغتاله سليمان الحلبى وتولى بعده مينو قيادة الحملة .

● عبد الرحمن الرافعى «الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر» جـ٢ ، ص١٩٥٥ ، ص١٢٦ إلى ص١٣٠ .

(٢) ديزيه Desaix هو قائد الجيش الفرنسى الذى تولى أمر إخضاع الصعيد للفرنسيين وأصبح مسئولاً عنه أيام نابليون .

● عبد الرحمن الرافعى ، المرجع السابق ، جـ٢ ، سنة ١٩٩٨ ، حاشية٥ ، ص١٠ .

ولما فاض الخبر بقيام تلك الجيوش العظيمة والمعدات الهائلة كثر تحدث الناس بها وتوترات ظنونهم إلى المرمى فمن قائل أنها لقتال الإنجليز وإبادة سلطانها ومن قائل بل إنها لفتح المدن والأمصار فى آسية وأفريقية ومن قائل غير ذلك وطارت الأخبار بذلك إلى الآفاق فخاف الإنجليز شر العاقبة وجعلوا يتدبرون فى الأمر ويبالغون فى البحث والتجسس فلم يقفوا لهذه الحملة على جلية خبر فكبر عليهم هذا الأمر وأعظموه وأنفذوا الأمير نلسون[1] أحد كبار البحر عندهم فى أسطول عظيم وعهدوا إليه أن يتتبع سفن بونابرته أينما حلت وأن لا يمكنها من عمل شىء البته فسار نلسون بسفنه يمخر فى عرض البحار وقد ظن أن بونابرته إنما خرج بجيوشه يريد مصر أو الشام فسار قاصداً مدينة الإسكندرية فأدركها يوم الخميس ثامن المحرم افتتاح سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف هجرية أى سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وألف ميلادية وسفنه أمامها وكان العامل عليها السيد محمد[2] كريم أحد عظماء البلد ثم أنزل نلسون نفراً من عسكره فى زورق

---

(١) نلسون قائد بحرى بريطانى . نال شهرته فى حروب كثيرة ، قضى على الأسطول الفرنسى فى معركة أبو قير سنة ١٧٩٨ التى كانت سبباً فى القضاء على خطة نابليون لفتح الشرق . مات سنة ١٨٠٥ فى معركة الطرف الأغر بعد أن دمر فيها الأسطولين الفرنسى والأسبانى .

● محمد شفيق غربال ونخبة من الباحثين الموسوعة العربية الميسرة» سنة ١٩٦٥ ، ص١٨٤٧ .

(٢) محمد كريم السكندرى ، زعيم مصرى ، الغالب على الظن أنه مغربى الأصل استوطنت أسرته الأسكندرية . كان فى أول أمره قبانياً يزن البضائع فى حانوت بالثغر ، وعنده خفة فى الحركة وتودد فى المعاشرة ، واشتهر ذكره فى الأسكندرية ورشيد ومصر ، واتصل بصالح بك حين كان وكيلاً لدار السعادة وله الكلمة النافذة فى ثغر رشيد ثم اتصل بواسطته إلى مراد بك فتقرب إليه ، وقلده أمر الديوان والجمارك بالثغر فعلت كلمته ونفذت أحكامه ، واشتهر إسمه إبان الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ ، عينه مراد بك أحد زعماء المماليك حاكماً على الإسكندرية فعمل على تحصينها عند قدوم الأسطول الفرنسى ودافع عنها بقلعة قايتباى ، أذكى روح المقاومة السرية فى الأسكندرية ومن ثم بدأت القيادة الفرنسية ترتاب فى نواياه واتهمته بخيانة الجمهورية وقبض عليه وأبعد عن الأسكندرية فى يوليه ١٧٩٨ ، إلا أنه أطلق سراحه فرحب الشعب به مما خشيته الحملة الفرنسية فقبض عليه مرة أخرى فسكنت الحالة حزناً عليه ، بينما أقيمت الإحتفالية الفرنسية لذلك ، أرسل محمد كريم مقبوضاً عليه إلى القاهرة حيث حقق معه الجنرال ديبوى حاكم القاهرة ، وانتهى التحقيق بثبوت التهمة عليه وأصدر نابليون أمره فى ٥ سبتمبر سنة ١٧٩٨ بإعدامه رمياً بالرصاص ومصادرة أملاكه وكان فى إمكانه أن يفتدى نفسه بمبلغ ٣٠ ألف ريال فى أربع وعشرين ساعة فرفض محمد كريم دفعها أو تعسر فأعدم يوم ٦ سبتمبر سنة ١٧٩٨ .=

فطلعوا إلى البر وطلبوا لقاء السيد محمد كريم فأدخلوهم عليه ومعه بعض أعيان المدينة فسألهم عن حالهم وسبب حضورهم بتلك السفن الكثيرة فى ذلك الوقت فقالوا أتينا نبحث عن طوائف من الفرنسيس خرجوا فى عمارة عظيمة يريدون جهة من الجهات ولا ندرى أين يقصدون فربما دهموكم فلا تقدرون على ردهم ولا تتمكنون من منعهم ولذلك رأينا أن نرسو ههنا بمراكبنا لنحافظ على المدينة ومن فيها ولا نسألكم شيأ من المدد سوى الماء والزاد بثمنه فظن السيد محمد كريم أنها خدعة وحيلة فقال هذه بلاد السلطان فليس للفرنسيس ولا لغيرهم عليها سبيل فعادت رسل الإنكليز بغير طائل وأقلعوا ليمتاروا فسير السيد محمد كريم إلى كاشف البحيرة من يخبره بخبر تلك السفن ويأذنه بجمع العربان والإتيان بهم إلى الأسكندرية للمحافظة عليها فلما شاعت هذه الأخبار بالقاهرة ومصر خاف الناس وتحدثوا فى الأمر كثيراً وأصحاب الحل والعقد فى شاغل عنه كأنهم فى مأمن من العاقبة أو أنهم على ثقة من الظفر والغلبة فلما كان يوم الإثنين ثامن عشر المحرم وصلت العمارة الفرنسوية مياه الأسكندرية أمام المدينة وأرسلت جماعة منهم يطلبون قنصل الفرنسيس وبعض أهل المدينة فذهبوا إليها فمنعوهم من العودة ولما جن الليل تحول من تلك العمارة بعض السفن إلى ناحية العجمى[1] وأبى قير وأنزلوا من بها من العسكر إلى البر وكان برويس أمير السفن يعارض بونابرته فى ذلك ويمنع من نزول العساكر فى تلك الليلة خوفاً من حادث يحدث فلم يلتفت بونابرته إلى كلامه وقال لا بد من نزول

---

= ● عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية جـ١ ، ص١٨٧ ، ١٨٨ .
● محمد شفيق غربال ونخبة من الباحثين . المرجع السابق سنة ١٩٦٥ ، ص١٦١٢ .
● أحمد حافظ عوض «فتح مصر الحديث أو نابليون بونابرت فى مصر» ص٩٢ .

(١) منطقة تقع فى أقصى شاطئ الميناء الغربى بالأسكندرية ، حيث يوجد اللسان المعروف بجهة العجمى ، وكان يوجد تجاه هذا اللسان جزيرة معروفة «بجزيرة العجمى» وكان بها برج اسمه برج العجمى ، وبها مسجد يعرف «مسجد العجمى» والآن مصيف ، وقسم شرطة وحى تابع لمحافظة الأسكندرية .
● عبد الرحمن بن حسن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ج٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص٢ .

جميع العسكر فنزلوا ليلاً وساروا نحو الأسكندرية فلم يصبح أهل المدينة إلا والعساكر منتشرون حول المدينة انتشار الجراد فخرج الناس ومن انضم إليهم من الانكشارية والعربان وكاشف البحيرة ليقاتلوهم فلم يستطيعوا مدافعتهم ولا أمكنهم ممانعتهم ولم يثبتوا لحربهم وانهزم الكاشف ومن معه من طوائف العربان ورجع الأهالى إلى التترس فى البيوت وخلف الحيطان ودخل الفرنسيس المدينة وانبث فيها الكثير من ذلك العدد فأيقن أهل الأسكندرية أنهم مأخوذون على كل حال وليس ثم عندهم للقتال استعدوا لخلو الأبراج من معدات الحرب فضلاً عن المقاتلين مع كثرة العدوّ وغلبته فطلبوا الأمان فأمنوهم ورفعوا عنهم القتال ونودى فى المدينة بالأمان ورفعت الأعلام الإفرنسية على ما بالمدينة من القلاع والحصون والأبراج وأرسل بونابرته فى طلب أعيان الثغر والسيد محمد كريم فحضروا وهم فزعون وجلون وتمثلوا بين يديه فلاطفهم وكلم السيد محمد كريم لحظة لطيفة ثم ألزمهم بجمع ما بيد الأهالى من الأسلحة ومعدات القتال واحضاره إليه وأن يضعوا على صدورهم علامة هى على شكل زهرة مستديرة ذات ثلاثة ألوان أحمر وأسود وأبيض وهى ألوان الراية الافرنسية وتسمى هذه العلامة عندهم جوكار ففعلوا وجعلت طوائف العسكر تطوف فى شوارع المدينة وبأيديهم البنادق والحراب وأخذ جماعة منهم يصلحون ما تهدم من الحصون ويرممون ما تخرب من الأبراج وزحفت بقية الجيوش إلى رشيد[1] ودمنهور[2] فهاجر أهلهما

(١) مدينة بمصر تقع على النيل قريبة من مصب فرع رشيد ، وهى عاصمة مركز رشيد بمحافظة البحيرة بالقرب من البحر المتوسط تأسست فى القرن التاسع الميلادى . وكانت لها أهمية تجارية عثر فيها على حجر رشيد سنة ١٧٩٩ .

● شفيق غربال ونخبه من الباحثين «الموسوعة العربية الميسرة» سنة ١٩٦٥ ، ص٨٦٩ .

(٢) من المدن القديمة واسمها المصرى القديم Deminhour واسمها الرومانى Apolinopolis وهى الآن قاعدة محافظة البحيرة .

● عبد الرحمن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) . تحقيق أ . د . عبد الرحيم عبدالرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص١٣٠ .

ونزحوا عنهما إلى فوه ونواحيها فرسم بونابرته بتحرير منشور للأهالى كافة يؤمنهم فيه على أعراضهم وأموالهم ويطمن قلوبهم ويسكن روعهم فكان نص ما فى ذلك المنشور .

بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك له فى ملكه من طرف الفرنساوية المبنىَ على أساس الحرية والتسوية السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية بونابرته يعرف أهالى مصر جميعهم أنه من زمان مديد والصناجق الذين يتسلطون فى البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرنسوية ويظلمون تجارها بأنواع الإيذاء والتعدى فحضر الآن ساعة عقوبتهم وأخرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الأباظة والشراكسة يفسدون فى الإقليم الحسن الأحسن الذى لا يوجد فى كرة الأرض كلها فأما رب العالمين القادر على كل شىء فإنه قد حكم بانقضاء دولتهم . يا أيها المصريون قد قيلَ لكم أنى ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالتكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه وقولوا للمفترين أننى ما قدمت إليكم إلا لتخليص حقكم من يد الظالمين وأننى أكثر من المماليك أعبد اللّه سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقرآن العظيم . وقولوا أيضًا لهم إن جميع الناس متساوون عند الله وأن الشىء الذى يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم وبين المماليك والعقل والفضائل تتضارب فماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يتملكوا مصر وحدهم ويختصوا بكل شىء حسن فيها من الجوارى الحسان والخيل العتاق والمساكن الفرجة[١] فإن كانت الأرض المصرية التزاماً للمماليك فليرونا الحجة التى كتبها اللّه لهم ولكن رب العالمين رؤوف وعادل وحليم وبعونه تعالى من الآن فصاعداً لا ييأس أحد من أهالى مصر من الدخول فى المناصب

---

(١) المساكن الفسيحة الجميلة .

السامية ومن اكتساب المراتب العالية فالعلماء والفضلاء والعقلاء بينهم يدبرون الأمور وبذلك يصلح حال الأمة كلها . وسابقاً كان فى الأراضى المصرية المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر وما أزال ذلك كله إلا الظلم والطمع من المماليك . أيها المشايخ والقضاة والأئمة والچربجية وأعيان البلد قولوا لأمتكم أن الفرنسوية هم أيضاً مسلمون مخلصون وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا رومية[1] الكبرى وخربوا فيها كرسى البابا الذى كان دائماً يحث النصارى على محاربة الإسلام ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكولارية[2] الذين كانوا يزعمون أن اللّه تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين ومع ذلك الفرنسوية فى كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثمانى وأعداء أعدائه أدام اللّه ملكه ومع ذلك فإن المماليك امتنعوا من الطاعة للسلطان غير متمثلين لأمره فما أطاعوا أصلاً إلا لطمع أنفسهم طوبى ثم طوبى لأهالى مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فيصلح حالهم وتعلو مراتبهم وطوبى أيضاً للذين يقعدون فى مساكنهم غير مائلين لأحد من الفريقين المتحاربين فإذا عرفوا بالأكثر تسارعوا إلينا بكل قلب لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على المماليك فى محاربتنا فلا يجدون بعد ذلك طريقاً للخلاص ولا يبقى منهم أثر .

---

(١) روما مدينة فى وسط إيطاليا قرب الساحل الغربى على نهر التيبر . عاصمة إيطاليا . وفيها الفاتيكان مقر البابوية . يطلق عليها (المدينة الخالدة) وكذلك (المدينة المقدسة) وهى مركز ثقافى وفنى ودينى منذ عهد طويل .

● محمد شفيق غربال (الموسوعة العربية الميسره) ، ص١٩٦٥ ، ص٨٩٨ .

(٢) تعنى الفرسان ، وهم طائفة دينية ، تعرف باسم فرسان القديس يوحنا الأورشليمى ، كانوا يقطنون أولا جزيرة رودس ، ثم انتقلوا إلى جزيرة مالطة ، وقد أصبح حكمها بيدهم حتى استولى عليها بونابرت وقضى على حكمهم .

● عبد الرحمن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) ، تحقيق أ . د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم . جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص٥ .

(المادة الأولى) جميع القرى الواقعة فى دائرة قريبة بثلاث ساعات من المواقع التى يمر بها عسكر الفرنسوية فواجب عليها أن ترسل للسر[١] عسكر من عندها وكيلاً كيما يعرف المشار إليه أنهم أطاعوا وأنهم نصبوا علم الفرنسوية الذى هو أبيض وكحلى وأحمر .

(المادة الثانية) كل قرية تقوم[٢] على العسكر الفرنسوية تحرق بالنار .

(المادة الثالثة) كل قرية تطيع العسكر الفرنساوى تنصب صنجق السلطان العثمانى محبنا دام بقاؤه .

(المادة الرابعة) المشايخ فى كل بلدة يختمون[٣] حالاً جميع الأرزاق والبيوت والأملاك التى تتبع المماليك وعليهم الاجتهاد التام يضيع أدنى شىء منها .

(المادة الخامسة) الواجب على المشايخ والعلماء والقضاة والأئمة أنهم يلازمون وظائفهم وعلى كل واحد من أهالى البلدان أن يبقى فى مسكنه مطمئناً وكذلك تكون الصلاة قائمة فى الجوامع على العادة والمصريون بأجمعهم ينبغى أن يشكروا اللّه سبحانه وتعالى على انقضاء دولة المماليك قائلين بصوت عال أدام الله إجلال السلطان العثمانى أدام الله إجلال العسكر الفرنساوى لعن اللّه المماليك وأصلح حال الأمة المصرية .

تحريراً بمعسكر اسكندرية فى ١٢ شهر ميدور سنة ١٢١٢ من إقامة الجمهورية الفرنساوية يعنى فى آخر محرم سنة ١٢١٣ هجرية انتهى بنصه .

---

(١) القائد العام .

(٢) كل قرية تقاوم .

(٣) يرسمون علامات الاعتماد .

وسارت جيوش بونابرته سيراً حثيثاً جداً فدخل فريق منهم إلى فوه وآخر إلى الرحمانية وعسكروا فيهما وفاض الخبر بذلك في القاهرة ومصر فانزعج الناس انزعاجاً شديداً وعوّل أكثرهم على الفرار وجمع إبراهيم بيك ومراد بيك جميع الأمراء بقصر العيني وكذلك العلماء والمشايخ وقاضي القضاة ونزل الباشا من قلعة الجبل وتكلموا في هذا الأمر وطال الأخذ والرد ثم اتفقوا على أن يكتبوا بخبر هذا الحادث إلى دار السلطنة العثمانية وأن يتجهز مراد بيك بالعسكر ويخرج للقتال وصد هذا العدوّ فكتبوا إلى دار السلطنة وسيروا الكتاب مع مخصوص على البر وأخذوا في الاستعداد وجمع آلات الحرب ومعدات القتال وجعلوا يصادرون[1] الناس ويأخذون ما يحتاجون إليه بغير ثمن ثم ارتحل مراد بيك عن القاهرة وبرز بخيامه إلى الجسر الأسود فأقام به يومين حتى تكامل خروج العسكر وخرج معه علي باشا[2] الطرابلسي وآخر اسمه ناصف باشا وقد كانا مقيمين معه بالجيزة وخصيصين به وأخذ عدة كبيرة من المدافع وشيأ كثيراً من الذخيرة وسار براً في الفرسان وسافرت العساكر المشاة بحراً بسفن الحرب الصغيرة وقد كانوا أخلاطاً من القليونجية والأروام والمغاربة وحمل معه سلسلة عظيمة لوضعها على البوغاز عند برج مغيزل[3] لتمنع سفن الفرنسيس من الدخول إلى النيل وظن أن الفرنسيس يطاولونه الحرب وهو يطاولهم كذلك حتى تأتيه النجدة من جانب الدولة فكان الأمر على خلاف ما ظنه فإنه لما دخل بونابرته مدينة الأسكندرية ورتب أموره فيها على ما رأى فيه المصلحة سار بجيوشه على الجانب الغربي من النيل سيراً حثيثاً من غير ممانع يطلب القاهرة وبث أمامه العيون والأرصاد

---

(١) يستولون على ما يمتلك الناس .

(٢) وردت بالتفصيل في «مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس» ص٢٠ ، تحقيق د . عبدالرحيم عبدالرحمن

(٣) قريبة من بوغاز رشيد .

●عبد الرحمن الرافعي (تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر) ، جـ١ ، سنة ١٩٤٤ ، ص١٦٣ .

لتأتى إليه بخبر مراد بيك ومن معه وكانوا إذا نزلوا على قرية أو بلد أو مدينة رأوا من أهلها الطاعة والاخلاد إلى السكينة وقد بدأت الوحشية بين سكان مصر والقاهرة وكثر الهرج والارجاف وانقطعت الطرق وأخذت اللصوص فى كل ليلة تطرق المدينة وانكف الناس عن الخروج إلى الأسواق بعد الغروب فنادى الأغا والوالى بفتح الحوانيت ليلاً وتعليق القناديل على البيوت والدكاكين لإذهاب الوحشة من القلوب والاستئناس وكشف خبر الدخيل على البلد إذا دخل ولم يكن إلا أيام قلائل من خروج عساكر بونابرته من مدينة الأسكندرية حتى التقوا بجيوش مراد بيك فى يوم الجمعة تاسع عشرى المحرم عند منية[1] سلامة فاقتتل الفريقان فلم تكن إلا ساعة حتى انهزم مراد بيك بمن معه وكان القتال هيناً جداً ثم أطلق الفرنسيس مدافعهم على سفن مراد بيك فأحرقتها بما فيها من البارود وآلات الحرب والمؤن والذخيرة واالعساكر فأزعج هذا المنظر المريع مراد بيك وهاله جداً فولى الفرار وتبعه عسكره ونزل المشاة منهم فيما بقى من السفن وأقلعوا بها إلى بولاق ووصل بعضهم إلى القاهرة وهم فى أسوأ حال فانزعج الناس واشتد الخوف وركب إبراهيم بيك إلى ساحل بولاق وتبعه الباشا والعلماء والمشايخ والأعيان فتشاوروا فى عمل المتاريس من شبرا إلى بولاق وأن يتولى الإقامة فيها إبراهيم بيك وأتباعه ومماليكه فأجابهم إبراهيم بيك إلى ذلك واهتم جداً وأحضر السفن الكبيرة والغلايين[2] التى أنشأها حديثاً وأوقفها على ساحل

---

(١) بالبر الغربى للنيل جنوبى الرحمانية وشمال شبراخيت .

● عبد الرحمن الرافعى (المرجع السابق) ، جـ ١ ، سنة ١٩٥٥م ، ص١٩٤ .

(٢) مفردها غليون وأصلها أسبانى Galeon ، وبالفرنسية Galion ، والإنجليزية Galleon ، وبالإيطالية Galeone وقد برز هذا النوع كمركب حربى كبير فى أواخر القرن الخامس عشر إلى أوائل القرن السابع عشر ، واستمر معروفاً بعد ذلك ، وأصبح يشكل إحدى قطع الأساطيل العثمانية والأوروبية فى البحر الأبيض المتوسط .

●عبد الرحمن بن حسن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) تحقيق أ . د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، جـ ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص٣ .

انبابه وشحنها بالعساكر والمدافع فكان جانبا النيل شرقاً وغرباً مشحونين بالعساكر والأجناد والمدافع وآلات الحرب والمتاريس . قال بعض كتاب الأخبار وكان العلماء من يوم خروج مراد بيك بجيوشه يجتمعون بالجامع الأزهر كل يوم يقرؤن البخارى وغيره من الدعوات وكذلك مشايخ فقراء الأحمدية(١) والرفاعية(٢) والإبراهيمية(٣) والقادرية(٤) والسعدية(٥) وغيرهم من الطوائف وأرباب الأشاير ويعملون الأذكار بالأزهر وكذلك أطفال المكاتب كانوا يضجون فى كل يوم بيالطيف وكان الأمراء فى وجل ما عليه من مزيد فكانوا ينقلون فى هذه المهلة أمتعتهم من بيوتهم وقصورهم الرحبة إلى بيوت حقيرة غير معلومة وأرسلوا بعضها إلى الأرياف وتأهبوا للرحيل وكاد يتبعهم فى ذلك أكثر الأغنياء وأصحاب المقامات العالية ووقع النداء بالنفير العام فخرج الناس إلى المتاريس وكرروا النداء فى كل يوم فأغلق الناس الحوانيت والأسواق وخرج الجميع إلى بولاق القاهرة فكانت رجال كل طائفة من أرباب الصنائع يجتمعون وينصبون لهم خياماً أو يجلسون فى مكان خرب أو مسجد ويرتبون لهم قيماً يصرف عليهم ما يحتاجون له مما جمعوه من بعضهم من المال وكان البعض يتطوع بالإنفاق

(١) طريقة صوفية نسبة إلى السيد أحمد البدوى .
● عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، تحقيق أ . د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص٧ .
(٢) طريقة صوفية نسبة إلى السيد أحمد الرفاعى المتوفى ١١٧٦ .
●عبدالرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، تحقيق أ . د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، جـ٣ ، ص٧ .
(٣) طريقة صوفية كانت قائمة فى مصر فى العصر العثمانى نسبة إلى إبراهيم الدسوقى المتوفى ١٢٨٨ .
● عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، ص٧ .
(٤) نسبة إلى عبد القادر الجيلانى ، المتوفى ١١٦٥ – ٦٦ .
●عبد الرحيمن الجبرتى ، المرجع السابق ، تحقيق أ . د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص٧ .
(٥) طريقة صوفية كانت قائمة آنذاك .
●عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، تحقيق أ . د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص٧ .

على الآخرين ومنهم من جهز جماعة من المغاربة أو الشوام بالسلاح والذخيرة وغير ذلك واجتهد الناس اجتهاداً عظيماً وخرج الفقراء بالطبول والزمور والأعلام والكاسات وهم يضجون ويصيحون ويذكرون بأذكار مختلفة وصعد السيد عمر أفندى نقيب الأشراف إلى قلعة الجبل فأنزل منها بيرقاً كبيراً سمته العامة البيرق النبوى فنشره بين يديه.من قلعة الجبل إلى بولاق القاهرة وأمامه وحوله الألوف المؤلفة من العامة وبأيديهم النبابيت والعصى والمساوق وهم يضربون بالطبول ويهللون ويكبرون وكانت شوارع القاهرة فى غاية الوحشة إذ كانت لا ترى فيها أحداً سوى من فى بيوتها من النساء والأطفال وضعفاء الرجال وكانت الدكاكين كلها مقفلة نهاراً وليلاً وجلس العلماء والمشايخ بزاوية على بيك ببولاق القاهرة يدعون ويبتهلون إلى اللّه بالنصر وأرسل إبراهيم بيك إلى العربان المجاورين لمصر ورسم لهم بأن يكونوا فى المقدمة بنواجى شبرا وما والاها واجتمع له أيضاً كثير من عرب البحيرة والصعيد والجيزة والقيعان(١) وأولاد على والهنادى وغيرهم فكان الجمع يزداد فى كل يوم ويعظم الهول ويشتد الضيق بالفقراء لتعطل الأسباب واجتماع الناس فى صعيد واحد وانقطعت الطرق وتعدى الناس بعضهم على بعض وجمع إبراهيم بيك جميع الفرنجة(٢) الذين بمصر والقاهرة فحبس بعضهم بقلعة الجبل وبعضهم ببيوت الأمراء وفتشوا بيوتهم لعلهم يجدون فيها شيأ من السلاح أو آلات الحرب وكذلك فتشوا جميع بيوت الشوام والقبط والروم وجميع الكنائس والديارات والعامة لا ترضى أن يقتلوا النصارى واليهود فيمنعهم الحكام

(١) فرع من فروع الكواملة وهى بطن ضمن العبابدة فى بر الجيزة الشرقى ، تسكن عشائرهم من حلوان إلى أطفيح ، المرجع نفسه ص٩ ، حاشية (٦) .

(٢) كلمة الفرنجة كانت تتناول الفرنسيين والأوروبيين على السواء .

●عبد الرحمن الرافعى (تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر) جـ١ ، سنة ١٩٤٤ ، ص١٣٢ .

عنهم قال صاحب[1] عجائب الآثار - ولولا ذلك المنع - لقتلتهم العامة وقت الفتنة . أ هـ

ولما كان يوم الجمعة سادس صفر وصل بونابرته بجيوشه إلى الجسر الأسود فباتوا ليلتهم وأصبحوا فساروا إلى أم دينار[2] فوصلوها فى يومهم وقد كان الظن بهم أن يأتوا من جانبى النيل شرقاً وغرباً فلم يأتوا إلا من الجانب الغربى ونظر بونابرته إلى صفوف العدو على يمين موقفه وهرم الجيزة الكبير على يساره فخاطب جنوده وقال أيها الأبطال البواسل إن أرواح أناس قد مضى عليهم خمسون قرناً تنظر إليكم من قمة هذا الهرم العظيم وترقب حركاتكم فى قتال هؤلاء المماليك فافطنوا ثم رسم إلى الجنرال ديزه أن يسير بعسكره نحو اليمين وبقية العساكر نحو اليسار وكان الوقت وقت القائلة وقد خرج جماعة من عسكر إبراهيم بيك وقدموا نحو بشتيل[3] فتلاقوا مع مقدم عسكر الجنرال ديزه فكروا

(١) يصف الجبرتى هذه الواقعة بقوله :
أما بلاد الأرياف فإنها قامت على ساق يقتل بعضهم بعضاً وينهب بعضهم بعضا ، وكذلك العرب غارت على الأطراف والنواحى ، وصار قطر مصر من أوله إلى آخره فى قتل ونهب وإخافة طريق ، وقيام شر وإغارة على الأموال وإفساد المزارع وغير ذلك من أنواع الفساد الذى لا يحصى ، وطلب أمراء مصر التجار من الإفرنج بمصر ، فحبسوا بعضهم بالقلعة ، وبعضهم بأماكن الأمراء ، وصاروا يفتشون فى محلات الإفرنج على الأسلحة وغيرها ، كذلك يفتشون بيوت النصارى الشوام والأقباط والأروام والكنائس والأديرة على الأسلحة والعامة لا ترضى إلا أن يقتلوا النصارى واليهود ، فيمنعهم الحكام عنهم ، ولولا ذلك المنع لقتلهم العامة وقت الفتنة . ثم فى كل يوم تكثر الإشاعة بقرب الفرنسيس إلى مصر .
● عبد الرحمن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) تحقيق أ . د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، ط ١٩٩٨ ، ص٩ .

(٢) قرية قديمة من قرى مركز إمبابة ، محافظة الجيزة ، وبها القناطر التى عمرها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون .
● عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص١٠ .

(٣) قرية قديمة من قرى مركز إمبابة ، محافظة الجيزة واسمها القبطى Bischteh بشتة ، وحصل التعديل فى الإسم العربى ليحسن النطق به .
● عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، تحقيق أ . د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص١٠ .

عليهم بالخيول فرماهم الفرنسيس بالبنادق رمياً متتابعاً وأبلى الفريقان بلاء حسناً فقتل جماعة كثيرة من كشاف محمد[1] بيك الألفى ومماليكه وتعقبتهم عساكر الجنرال ديزه فلما اقتربوا من متاريس مراد بيك ترامى الفريقان بالمدافع وكان قد حضر من دمياط فريق من عسكر البحر الأرنؤد فقاموا بالقتال من خلف المتاريس وحاربوا مع العساكر البرية فلما احتدم القتال وارتفعت أصوات المدافع ضج العامة والغوغاء من الرعية وأخلاط الناس بالصياح فى الجانب الشرقى من النيل ورفعوا أصواتهم بيارب ويالطيف ويا رجال الله وغير ذلك وشرع فريق من العسكر الذين بالجانب الشرقى فى العبور غرباً فلم يتم عبورهم حتى تمت الهزيمة على المصريين وكانت الريح شديدة وأمواج النيل تتلاطم وفى قوة اضطرابها والرمال يرتفع غبارها وتنسفها الريح فى وجوه المصريين فلا يقدر أحد أن يفتح عينيه لشدتها وانقسم الفريق المقاتل من الفرنسيس إلى شطرين بشكل مخصوص واقترب من متاريس مراد بيك فصارت المتاريس فى القلب والفرنسيس من الأمام ومن الخلف ودقوا طبولهم ورموا بالبنادق والمدافع تباعاً وقد اشتد هبوب الريح وانعقد الغبار وأظلمت الدنيا من دخان البارود وغبار الريح وصمت الأسماع من أصوات المدافع وبقى الحال هكذا نحو ثلاثة أرباع الساعة وانكشف عن هزيمة المصريين وغرق العدد العديد من فرسانهم فى النيل لاحاطة العدوّ بهم وظلام الوقت وأسر منهم خلق وملك الفرنسيس جميعها وفر مراد بيك ومن معه هاربين إلى الجيزة ثم جاء منزله فى حالة رديئة وقضى أشغاله وسار من فوره إلى الصعيد الأعلى .

---

(١) كان يتولى قيادة فرسان المماليك أمام حملة الجنرال ديزيه على الضفة اليمنى لبحر يوسف ، وعندما دخل بونابرت القاهرة نزل فى داره المطلة على بركة الأزبكية ، وقد أنشأها محمد بك الألفى فى السنة السابقة لدخول الفرنسيين .

● عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، جـ٣ ، ص١٥ .

● عبد الرحمن الرافعى (تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم) ، جـ١ ، سنة ١٣٧٤هـ ، سنة ١٩٥٥م ، ص٣٥٩ إلى ص٣٦٦ .

ولما تمت هزيمة من كانوا يقاتلون بالجانب الغربى من النيل حول الفرنسيس أفواه مدافعهم إلى الجانب الشرقى وتابعوا الرمى بها مع الرمى بالبنادق أيضاً فتحقق من كان بالجانب الشرقى من الهزيمة فقامت فيهم ضجة عظيمة وكثر صياح العامة وتساقط بعضهم فوق بعض وداستهم سنابك خيل الفارين من الأمراء والمماليك وفر إبراهيم بيك والباشا والأمراء وجميع العسكر والأهالى كافة وتركوا جميع الأثقال والخيام ولم يأخذوا منها شيأ وذهب إبراهيم بيك والباشا إلى العادلية ودخل الناس قبيل الغروب المدينة وهم يضجون بالعويل والنحيب ويبتهلون إلى اللّه من شرّ هذا اليوم العصيب فصارت النساء عند ذلك يصرخن بأعلى أصواتهن من البيوت ويولولن فلما جن الظلام خرج الكثير من الناس خارج أبواب المدينة بنسائهم وأولادهم وخرج بعضهم هائماً على وجهه لا يرى للسلامة سبيلاً غير مبال بترك الزوجة والولد واستمر الحال على هذا المنوال طول تلك الليلة وأصبحوا وقد أحاط بهم العربان من كل جانب فسلبوا ما كان معهم من متاع ولباس وأحمال فلم يتركوا لمن وقع فى أيديهم ما يستر به عورته أو يسد جوعه وعاد من الهاربين من لم يبعد عن أبواب المدينة فدخلوا عرايا نساء ورجالا حتى الأطفال والصبيان والبنات فكانت ليلة وصباحها من أشنع ما رأته أعين المصريين جرى فيها من القتل والنهب وفضيحة النساء على اختلاف درجاتهن ما لم يسمع بما يشابه بعضه من تواريخ المتقدمين وأصبحوا وقد اجتمع العلماء والمشايخ بالجامع الأزهر واتفقوا على أن يبعثوا بكتاب إلى بونابرته بمعسكره فى انبابه يسألونه فيه عن مراده وعما يسأله من الطلبات فكتبوا الكتاب وأرسلوه مع أحد المشايخ المغاربة فلما وصل الرسول وتمثل بين يدى بونابرته بش فى وجهه ولاطفه وقرأ الخطاب ثم التفت إلى الرسول وقال وأين عظماء البلد ومشايخها ولم تأخروا عن الحضور لنرتب وإياهم ما يكون فيه الراحة لهم ولأهل بلادهم فقال نريد أمانكم فقال قد أمناكم وبعثنا لكم به قبل الآن قال الرسول ولكن لتطمئن الناس أيضاً فأمر بونابرته فكتب جواباً من معسكر الجيزة خطاباً لأهل مصر إننا أرسلنا لكم من قبل الآن كتاباً فيه الكفاية وذكرنا

لكم أننا ما حضرنا إلا بقصد إذهاب دولة المماليك الذين أهانوا الفرنسيس وساموهم الخسف وقد تطاولت أيديهم إلى سلب التجار ومال السلطان فلما حضرنا إلى الجانب الغربى من النيل خرجوا إلينا فقابلناهم بما يستحقونه وقتلنا بعضهم وأسرنا البعض ونحن فى طلبهم حتى لا يبقى أحد منهم بالديار المصرية وأما المشايخ والعلماء وأصحاب المرتبات وكامل الرعية فيكونون مطمئنين ساكنى الخواطر لا خوف عليهم . أ هـ ثم التفت إلى الرسول وقال لترجمانه قل له أنه لابد من حضور المشايخ والأعيان إلينا لنرتب ديواناً ننتخبه من سبعة من عقلاء الناس يدبرون الأمور وينظرون فى مصالح الخلق . فعاد الرسول وأخبر بجميع ما جرى فاطمأن الناس وسكنت خواطرهم وركب الشيخ مصطفى[1] الصاوى والشيخ سليمان الفيومى ولم يبق من كبار المشايخ يومئذ غيرهم لفرارهم مع بعض الأمراء وعبروا إلى الجيزة فتلقاهم بونابرته وبش فى وجوههم وسألهم أأنتم كبار المشايخ فقالوا لا وإنما كبار المشايخ قد هربوا فقال لأى سبب يهربون اكتبوا لهم بالحضور وسنعمل لكم ديواناً ينظر فى مصالح الرعية ويقضى أمورها

---

(١) كان الشيخ مصطفى الصاوى من كبار العلماء فى مصر وترجع تسميته بالصاوى إلى بلدة الصوة من أعمال الشرقية ، وعاش فيها أبوه الذى انتقل بعد ذلك إلى السويس حيث ولد مصطفى ، ثم ارتحل إلى القاهرة ، وأصبح والده من كبار التجار والحق مصطفى بالأزهر فحفظ القرآن واشتغل بالقراءة ، وحضر الدروس على شيوخ عصره ، فدرس البلاغة وبرع فيها وأصبح كاتباً بليغاً وشاعراً كبيراً .

رشح لمشيخة الأزهر بعد وفاة الشيخ العروسى وزاحمه فيها الشيخ الشرقاوى ، إلا أن المشيخة استقرت للأخير ، وكان الصاوى يقوم بالتدريس فى المدرسة الصلاحية المجاورة لضريح الإمام الشافعى وهى من وظائف مشيخة الأزهر .

ولما جاء الفرنسيون ووقعت هزيمة امبابة كان الشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى على رأس الوفد الذى ذهب إلى نابليون يفاوضه بالنيابة عن سكان القاهرة .

انتخب الصاوى عضوا فى الديوان فى عهد نابليون وفى عهد الجنرال مينو ، ولكن الفرنسيين اضطهدوه بعد ثورة القاهرة الثانية فخصوه بجزء من الغرامة التى فرضوها على سكان القاهرة واعتقلوه حتى سدد ما فرض عليه ، وكان نصيبه من الغرامة خمسين ألف ريال .

ثم اعتقل مرة أخرى فى مارس سنة ١٨٠١ بعد وصول الحملة الإنجليزية العثمانية ثم أفرج عنه لمرضه ، وتوفى فى شهر ذى القعدة سنة ١٢١٦هـ .

● الرافعى : تاريخ الحركة القومية ، مرجع سابق ط١٩٥٨ ، جـ٢ ، ص ص ٢٧٢-٢٧٣ .

ويقوم بما تقتضيه الشريعة ثم أمر فكتبوا عدة مكاتيب للمشايخ بالأمان وسرعة العودة ثم قام الشيخ الصاوى ومن معه وعبروا إلى مصر بعد العشاء الأخيرة فاطمأن الناس برجوعهم وأصبحوا فأرسلوا خطاب بونابرته للمشايخ فحضر الشيخ السادات والشيخ[1] الشرقاوى وبقية المشايخ ومن تبعهم من الأهالى الفارين من ناحية المطرية[2] فتقوّت قلوب الرعية برجوعهم ودخل معهم أيضاً جماعة كبيرة من الحرافيش والأوباش[3] الذين كانوا يقتفون الهاربين من الأمراء والأهالى وقصدوا بيتى إبراهيم بيك الكبير ومراد بيك اللذين بخطة قوصون[4] ونهبوا ما بهما وأحرقوهما بغير ممانع ونهبوا عدة بيوت أخرى من بيوت الأمراء وأخذوا ما فيها من متاع وغيره وكانوا يبيعون ذلك فى الأسواق جهاراً .

ولما كان يوم الثلاثاء عاشر صفر عبر بونابرته النيل إلى مصر فى فريق من عساكره ونزل فى بيت محمد بيك الألفى بخط الساكت الذى أنشأه وزخرفه

---

(١) الشيخ الشرقاوى هو الشيخ عبد الله بن حجازى بن إبراهيم ولد فى حدود سنة ١١٥٠هـ - ١٧٣٧م فى قرية (الطويلة) بإقليم الشرقية ، ولذلك سمى الشرقاوى وحفظ القرآن فى قرية (القرين) بالشرقية ثم أرسله أبوه إلى الأزهر ليتلقى العلم على شيوخ ذلك العصر ، وكان شافعى المذهب وله مؤلفات فى العلوم الفقهية والتصوف . ولما جاء الفرنسيون تولى فى عهدهم رئاسة الديوان الذى أنشأوه ، وجمع بين رئاسة الديوان ومشيخة الأزهر فعظم جاهه وازداد نفوذه . غضب عليه الفرنسيون ثلاث مرات ، الأولى فى عهد نابليون حينما رفض أن يرتدى طيلسان الجمهورية المثلث الألوان ، والثانية فى عهد (منو) عندما ارتاب الفرنسيون فى موقفه بعد مقتل كليبر والثالثة فى عهد منو أيضاً حيث اعتقل فى القلعة ، وفيما عدا هذه المرات كان الشرقاوى يجامل الفرنسيين ويداريهم ، وقد ظل الشرقاوى مرعياً لمكانته العلمية ، وكانت وفاته سنة ١٢١٧هـ ، ولم يعلم قبره .

● عبد الرحمن الرافعى (تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر) ، جـ٢ ، سنة ١٩٢٩م ، ص٢٩٠ .

(٢) ضاحية تقع شرق القاهرة ، تقوم وجارتها عين شمس على أنقاض أقدم عاصمة للديار المتحدة (أيون ، أون = مدينة الشمس) ومركز عبادتها ، ولذا أسماها الإغريق هليوبوليس .

● إشراف شفيق غربال ونخبة من الباحثين (الموسوعة العربية الميسرة) سنة ١٩٦٥ ، ص١٧١٣ .

(٣) فئة من عامة الشعب ينتشرون بالشوارع يعبثون ويخطفون متاع الناس ومبيعات الفلاحين .

● عبد الرحمن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) .

● تحقيق أ . د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٤ ، سنة ١٩٩٨ ، ص٧٥ .

(٤) تقع منطقة قوصون خارج باب زويلة واشتهرت باسم قوصون لأن بها جامع قوصون .

● عبد الرحمن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) تحقيق أ . د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٤ ، سنة ١٩٩٨ ، حاشية ٨ ، ص٤٧ .

وفرشه بأنواع البسط والفرش الثمينة ولم يسكن به إلا أياماً قلائل ثم رحل عنه عند وصول الأخبار بدخول الفرنسيس مدينة الأسكندرية فاحتله بونابرته وكأنه قد بنى وفرش له ولم يدرج فى المدينة من عسكر الفرنسيس الانفر ومشوا بالأسواق من غير سلاح ومع غاية الحشمة والوقار فكانوا يبشون فى وجوه الناس ويضاحكونهم ويشترون.ما يحتاجون إليه بأغلى ثمن فيأخذ أحدهم الدجاجة ويعطى صاحبها فى ثمنها ريالاً ويأخذ البيضة بنصف فضة فلما رأى منهم العامة ذلك أنسوا بهم واطمأنوا لهم وخرجوا إليهم بالكعك وأنواع الفطير والخبز والبيض والدجاج وأنواع المأكولات وصاروا يبيعون عليهم بما أحبوا من الأسعار وفتح أكثر السوقة الحوانيت والقهاوى . وأرسل بونابرته يطلب المشايخ والأعيان فذهبوا إليه فلما استقر بهم المقام كلمهم فى إقامة عشرة من المشايخ للديوان وفصل الخصومات وقضاء مصالح الرعية فوقع اتفاقهم على الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ[1] خليل البكرى والشيخ مصطفى[2] الدمنهورى والشيخ أحمد العريشى والشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى والشيخ محمد

---

(١) كانت نقابة الأشراف قبل أن يتولاها السيد عمر مكرم فى يد السيد محمد البكرى ، وهو ابن عم السيد خليل البكرى ، ولما توفى السيد محمد البكرى سنة ١٢٠٨هـ ، تولى النقابة السيد عمر مكرم إلى أن جاء الفرنسيون فغادر الديار المصرية إلى سوريا عقب واقعة الأهرام ، فخلت نقابة الأشراف من النقيب فتولاها السيد خليل البكرى .

●عبد الرحمن الرافعى «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر» ، جـ ١ ، سنة ١٩٥٥ ، ص٢٦٠ .

(٢) الشيخ مصطفى الدمنهورى الشافعى : تفقه على شيوخ عصره فى الأزهر الشريف ، ولازم عبد الله الشرقاوى واشتهر بنسبته إليه ، ولما تولى الشرقاوى مشيخة الأزهر كانت للدمنهورى منزلة كبيرة لديه ، فكان ذكياً عاقلاً ملماً بفروع الفقه ، وكان يملك إعطاء الفتاوى على لسان شيخه ، سلس العبارة ، وكتب فى التاريخ وسير المتقدمين ، إقتنى كتباً كثيرة مثل كتب المقريزى والعينى والسخاوى وغيرهم ، وحدث أنه وهو يوماً يركب بغلته بخطة الموسكى اصطدم بفارس فرنسى على حصانه فسقط على ظهره فداسته فرسة الفرنسى ومات «عجائب الآثار للجبرتى ، جـ٣ ، مرجع سابق ، ص ص١١٣ ، ١١٤» .

المهدى[١] والشيخ موسى السرسى[٢] والشيخ يوسف الشبرخيتى والشيخ محمد الدواخلى وانتظم فى عداد هذا المجلس أيضاً محمد كتخدا أبو بكر باشا عامل السلطان على مصر وقاضى القضاة وقلدوا محمد أغا المسلمانى أغاة مستحفظان وعلى أغا الشعراوى والى الشرطة وحسن أغا محرم أمين احتساب وقد ألح المشايخ باعطاء هذه المناصب لمن ذكروا من المماليك خلافاً لما أشار به بونابرته من تبعيد طوائف المماليك وعدم إدخالهم فى الوظائف العالية واعلموا بونابرته بان سوقة مصر لا يخافون إلا من الترك ولا يحكمهم سواهم . قال صاحب عجائب الآثار وأقاموا ذا الفقار كتخدا محمد بيك كتخدا بونابرته

---

(١) محمد المهدى الحفنى ، ولد فى ناهية بالجيزة ، وكان والده قبطياً ولكنه هو أسلم ورباه الشيخ الحفنى فنسب إليه ، وحفظ القرآن وبرع فى علومه وتفسيره ، وبدأ يدرس فى الأزهر عام ١١٩٠هـ ، وكان بليغاً ذكياً ، وانضم إلى الأمير إسماعيل بك ضد مراد وإبراهيم بك وفاز إسماعيل بمعاونة حسن باشا الجزائرلى فنال حظوة أكبر وأسند إليه عملاً بالضربخانة ، ولما جاءت الحملة الفرنسية نال حظوة لدى نابليون فكان سكرتير أول للديوان ، ولما غضب نابليون على السادات حاول المهدى الصلح بينهما ، وكان المهدى يدارى الفرنسيين ويجاريهم وظل يعمل فى دواوين الفرنسيين حتى عهد مينو ، لدرجة أنه استثنى من الغرامة التى فرضت على أعيان القاهرة ، وكان زعيماً للشعب بعد جلاء الفرنسيين وشارك فى تولية محمد على وتوفى عام ١٢٣٠هـ .

● «الرافعى : المرجع نفسه ، ص ص٢٧٣ ، ٢٧٨» .

(٢) الشيخ موسى السرسى الشافعى : من سرس الليان منوفية ـ تعلم فى الأزهر ودرس فيه للطلبة ، وشارك فى الإفتاء والفصل فى القضايا وزامل الشيخ العروسى وتخلق بأخلاقه وأصبح غنياً بشراء عقارات فى المنوفية وكذلك متاجر وطواحين ، وداراً بحى الأزبكية ، وكان على خلق جذب إليه خلافه ، توفى ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٢١٩هـ .

● «الجبرتى ، جـ٣ ، تحقيق د ، عبد الرحيم ، ص٥٠٧ ، ٥٠٨» .

والخواجه[١] موسى كانوا وكيلاً عن الفرنسيس المقيمين بمصر والخواجة[٢] حنا بنتو عن أرباب المجلس . فلما استقر بأرباب هذا المجلس المقام رسم بونابرته فنادى الأغا والوالى فى شوارع مصر والقاهرة بالأمان فلم تكن العامة لتكترث بهذا النداء وبقيت أكثر الدكاكين مقفلة والناس فى ريب من سكون الحال وكانوا لأجل أن يأمنوا شر الطارق من عسكر الفرنسيس يعلقون على أبوابهم الراية الافرنسية أو يأخذون من معسكر الفرنسيس ورقة مكتوبة بالافرنسية يلصقونها على الباب ثم أمر بونابرته بتقليد الوظائف لمن يرون فيه الأهلية لذلك فقلدوا برتلمين[٣]النصرانى الرومى كتخذا مستحفظان قال وهو الذى كانت تسميه العامة فرط الرمان فركب بموكبه المعتاد من بيت بونابرته وأمامه عدة من طوائف الجند مشاة بين يديه وعلى رأسه حشيشة من الحرير الملون وهو لابس فروة وبين يديه الخدم بالحراب المفضضة وقد رتب الأربطة[٤] فى مراكز أخطاط مصر والقاهرة وسكن ببيت يحيى كاشف الكبير بحارة عابدين وأخذه بما فيه من فرش ومتاع قيل وجوار وغير ذلك وكان برتلمين هذا من أصحاب المدافع عند محمد بيك الألفى وقلدوا أحد الفرنجة أمانة البحرين وآخر أغاة الرسالة

---

(١) من أرباب المشورة ووكيلاً للفرنساويين .

● عبد الرحمن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص١٦ .

(٢) متولى منطقة بحر بولاق ووكيل الديوان ويذكره الجبرتى باسم حنا بينو .

● عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع نفسه ، تحقيق أ . د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص١٢٧ .

(٣) الرومى أى الذى ينتسب إلى الدولة العثمانية وهو الذى تسميه العامة فرط الرمان ، كتخدا مستحفظان ، فكان ذا سطوة وكان ظالماً ، ومن قبل كان من طوبجية محمد الألفى وله حانوت بخط الموسكى يبيع فيه الزجاج .

● عبد الرحمن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) تحقيق أ . د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص١٧ .

● الرافعى : تاريخ الحركة الوطنية ، جـ١ ، ط١٩٥٥ ، ص٢٨٠ .

(٤) نقط الحراسة .

وجعلوا الديوان ببيت قائد أغا بالأزبكية قرب الرويعى[(١)] وسكن به رئيس الديوان وسكن قائمقام مصر ببيت إبراهيم بيك الوالى المطل على بركة الفيل وسكن شيخ البلد ببيت إبراهيم بك الكبير وآخر بيت مراد بيك على رصيف الخشاب وسكن بوسليك مدير الحدود ببيت الشيخ البكرى القديم فكان يطلب الكتاب من القبط فى كل يوم ويسألهم عن دفاتر البلاد وحسابها ومربعاتها وغير ذلك . وأفرج بونابرته عن الأسرى من المماليك والأجناد المصرية بشفاعة أرباب الديوان فدخل الكثير منهم بالجامع الأزهر وهم فى أسوأ حال وعليهم الثياب الزرق الرثة فمكثوا يأكلون من صدقات الفقراء المجاورين ويتكففون[(٢)] المارين وفى ذلك عبرة وتذكرة لقوم يعقلون . وجمعوا جميع الأسلحة وآلات الحرب وتتبعوا من كان عنده شيء من ذلك وأخرجوا الدفائن والودائع ودلهم طوائف الخدم على ودائع الأمراء وأمتعتهم فأخرجوها وأخذوها إلى بيت القائمقام فكانت شيأ كثيراً جداً وطلبوا قرضة[(٣)] من التجار المسلمين والقبط والشوام والفرنجة قدرها خمسمائة ألف ريال فطلبوا التخفيف فلم يرض بونابرته فقاموا بدفعها ودخلت العساكر إلى المدينة فملؤا شوارعها وحاراتها وهم فى غاية الحشمة والوقار وكانوا يعاملون الناس بالرفق ويخاطبونهم باللين فاطمأنت القلوب وسكنت الخواطر واسرع السوقة إلى فتح دكاكينهم وزال عنهم الخوف .

وجاء الخبر بوصول الحجاج إلى العقبة وقرب دخولهم إلى مصر فذهب أرباب الديوان إلى بونابرته وأخبروه بوصول أمير الحاج ومن معه من العساكر والأجناد وطلبوا منه أذناً له بالدخول هو ومن معه فامتنع ولم يسمح إلا بدخوله فى قلة وأن لا تدخل معه مماليك كثيرة ولا عسكر فكتب المشايخ إلى أمير

(١) يبتدئ شارع الرويعى من أول شارع البكرية وينتهى بشارع وجه البركة ، وجامع الرويعى بأوله ، وجامع الرويعى بالقرب من جامع البكرى وأنشأه أحمد الرويعى رئيس تجار مصر فى القرن التاسع .

● عبد الرحمن الرافعى (تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم) ، جـ١ ، سنة ١٩٩٨ ، ص١٠٠ .

(٢) يأكلون الكفاف أو يشحذون .

(٣) قرض أو سلفة .

الحاج بأن يحضروا إلى الدار[١] الحمراء ويتربص هناك حتى ينظر فى دخوله إلى مصر فلم تصل إليه مكاتبة المشايخ حتى كاتبه إبراهيم بيك الكبير وحبب إليه الحضور إلى بلبيس بمن معه من العسكر فساروا جميعاً إلى بلبيس وأقاموا بها أياماً وكان إبراهيم بيك عند هروبه من مصر قد ذهب إلى بلبيس وأقام بها وبعث النساء والذرارى إلى القرين بإقليم الشرقية فلما قدم عليه أمير الحاج بمن معه سار بهم إلى المنصورة وقد تفرق جميع الحجاج إلى بلادهم وعلم بونابرته بذلك فخرج فى جيش عظيم إلى العادلية وسار إلى أن وصلت طلائعه الخانكة[٢] وأبا زعبل[٣]وطلبوا كلفة من أبى زعبل فامتنع أهلها فقاتلوهم وهزموهم ونهبوا البلد وأحرقوها وارتحلوا إلى بلبيس فملكوها بغير قتال ووصل الخبر بذلك إلى إبراهيم بيك الكبير ومن معه من الأمراء وبعض الأعيان فركب ليلاً بمن معه وترفع إلى القرين[٤] فتبعه بونابرته بجيوشه فسار إبراهيم بيك إلى الصالحية وأنزل النساء والذرارى فيها ومعهم متاعه وأقام عليهم طائفة من العرب تحرسهم فجاء أحد العربان وأخبر بونابرته بموضع النساء والأمتعة فسير بونابرته

---

(١) قريبة من بركة الحاج . وبركة الحاج قرية قديمة اسمها (جب عميره) وهى من قرى مركز شبين القناطر .

● الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) تحقيق عبد الرحيم ، جـ ١ ، سنة ١٩٩٨ ، ص٣٢ ، ص٥٥٠ .

(٢) الخانكة : أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون ، خانقاه أى دار للصوفية فى موضعها ، وبنى بجوارها مسجداً وحماماً ، وعمَّر قصوراً وبيوتاً ، وأقبل الناس على البناء ، والسكنى حول هذه الخانقاه ، وصارت بلدة كبيرة تعرف بخانقاة سرياقوس ، وهى الآن قاعدة مركز الخانكة ، محافظة القليوبية .

● عبد الرحمن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) ، تحقيق أ . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص٢١ .

(٣) قرية قديمة ، اسمها الأصلى «القصير» وعرفت منذ أواخر أيام دولة المماليك باسم «أبو زعبل» والآن هى قاعدة لمركز أبو زعبل ، محافظة القليوبية .

● عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص٢١ .

(٤) قرية بالشرقية .

●عبد الرحمن الرافعى (تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر) ، جـ٢ ، سنة ١٩٢٩م ، ص٢٩٠ .

فريقاً من الفرسان لأخذها فوقف إبراهيم بيك وأصحابه فى طريق أولئك الفرسان واشتبك القتال بين الفريقين ساعة كادت تنهزم فيها الفرنسيس لقلتهم وإذا بالخبر جاء إلى إبراهيم بيك أن العرب على وشك أن يأخذوا الأمتعة وجميع الأحمال ففر وفر من كان معه على أثره وتركوا قتال الفرنسيس ولحقوا بالأحمال وأجلوا عنها العرب وقتلوا منهم جماعة وساروا مسرعين إلى قطيا فلم تدركهم الفرنسيس بعد ذلك وما زالوا سائرين إلى أن استقر بهم المقام بغزة[١] فعاد بونابرته بجيوشه إلى مصر وجعل ينظر فى الأمور ويرتب أحوال البلد وأكثر من طلب الكلف والمصالحات للنفقة على جيوشه الكثيرة وبينما هو على هذا الحال إذ جاءه الخبر بقدوم عمارة الإنكليز إلى ناحية أبى قير مع نلسون أحد أمراء البحر وأنها أحرقت جميع مراكبه وما فيها من آلات الحرب والذخيرة وغيره عند السد وتحرير[٢] الخبر أنه لما خرج بونابرته بمراكبه يريد الأسكندرية لم يسر بها فى درب البحر المعلوم خوفاً من أن تلحقه مراكب الإنكليز فسار خلفه ربان السفن الإنجليزية ولحق بالأسكندرية ليمنعه من النزول بها فكان من أمر حضوره وعدم ملاقاته بسفن بونابرته ما تقدم بيانه فرجع بمراكبه يمخر فى البحر لعله يعثر على سفن بونابرته فيقاتلها أو يتبعها حيثما سارت فدخلت مراكب بونابرته إلى أبى قير على يسار مدينة الأسكندرية عند غروب الشمس وقيل بعد غروبها وألقت مرساها وكانت الريح على وشك الخروج والبحر كثير الأمواج فقال بونابرته لربانه فلتنزل الجند حالاً إلى البر فقال كيف يا مولاى والبحر فى هياج والأمواج فى شدّة وماذا علينا إن بقينا إلى الصباح فقال بونابرته لابد من خروج العسكر بلا مهل فأخرجت وأصبحوا فلم يبق فى المراكب إلا ملاحوها فقط وسار بونابرته من فوّة إلى الأسكندرية ومنها إلى رشيد ودمنهور والرحمانية قاصداً

(١) مدينة تقع فى جنوب فلسطين بين الشام ومصر على أطراف الرمال .
● عبد الرحمن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) .
● تحقيق أ. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، جـ١ ، ١٩٩٨ ، حاشية ١ ، ص١١٠ .
(٢) تفصيل ذلك .

القاهرة كما تقدم لك . أما سفن الإنجليز فإنه بعد أن أقلع بها نلسون من مياه الأسكندرية وسارت تمخر فى عرض البحار تبحث عن بونابرته وسفنه عادت مسرعة إلى أبى قير فرأت سفن بونابرته راسية هناك فظنت أن بونابرته وعسكره بها فأطلقت عليها المدافع وكانت السفن الفرنساوية راسية على خط واحد ممتدة من الشمال الغربى إلى الجنوب الغربى من أبى قير وربانها الأميرال برويس وكان برويس قد أنزل من كل مركب منها فى ذلك اليوم خمسة عشر رجلاً إلى البر لخفر الفعلة الذين أتوا بهم لحفر الآبار للاستقاء فلما شاهد الأميرال برويس سفن الإنجليز قادمة استدعى عساكره الذين بالبر وعقد مجلساً من ضباطه وتناجوا فى أمر القتال مع المراكب الإنكليزية فأشاروا عليه بالخروج إلى ظهر البحر وملاقاتها بعيداً عن أبى قير دفعاً للخطر فلم يذعن لمشورتهم وأبقى سفنه فى مرساها وكان نلسون أمير السفن الانجليزية فى كمد دائم وحزن ملازم بسبب عدم اهتدائه إلى مقر السفن الفرنساوية فلما شاهدها عند أبى قير فرح وأخذ يدبر أمر قتالها قيل فسير بعض مراكبه إلى التحرش فى مراكب الفرنسيس والدخول بينهم حتى يصلوا بالبر وأتى بما بقى من مراكبه أمام مراكب الفرنسيس وكانت الشمس قد مالت إلى الغروب وأطلق مدافعه على سفن الفرنسيس فأجابته مدافع الفرنسيس واشتبك القتال بين الفريقين وتتابع الرمى بالقنابل وعلا الدخان وقد دخل الليل فازداد الجوّ ظلاماً على ظلامه وتحطم بعض المراكب الفرنسوية وأسر البعض الآخر فى قليل من الزمن وكان أميرال السفن الفرنسوية على ظهر أكبر مراكبه المسماة الشرق وبها نحو ألف من الملاحين وكان نلسون على ظهر إحدى بوارجه فأصابته رصاصة فى جبهته فحملوه إلى غرفته وكذلك أصاب أميرال المراكب الفرنسوية شظية من قنبلة قطعته نصفين فحملوه لينزلوا به إلى غرفته فأبى وأشار لهم أن أبقونى حتى أموت فى موقعى هذا واشتد لقتال وعلت أصوات المدافع إلى عنان السماء فلما كان بعد العشاء الأخيرة أصابت النار مخازن بارود مركب الفرنسيس الكبرى المسماة الشرق فأشعلتها فارتفعت بما فيها من الرجال والأموال والذخيرة والمدافع وآلات

الحرب أذرعاً كثيرة عن وجه الماء ثم هبطت إلى قاع البحر وقد تمزقت كل ممزق ولم يبق لها من أثر ورأى حريقها أهل الأسكندرية ورشيد وغيرهما وبطل عندئذ القتال نحو ساعة ثم عاد نلسون يرمى بالقنابل تباعاً على ما بقى من سفن الفرنسيس إلى نحو ظهر اليوم الثانى حتى دمرها تدميرا وكان الجنرال كليبر فى هذا الحين محتلاً بجيشه الأسكندرية فشاهد نيران الحريق وعلم بما جرى على السفن الفرنسوية من الحريق والدمار فهاله الأمر وأزعجه جداً فبات هو ومن معه من العسكر على قدم الاستعداد فلم يغمض لهم جفن ليلتهم تلك وأصبحوا وقد جاء الخبر بما جرى وأقلعت سفن العمارة الإنجليزية تمخر فى عرض البحار لا يعلم أحد أين يكون مرساها بعد هذا النصر العظيم .

واغتم بونابرته غما شديدا مما حل بالعمارة الفرنسوية وكادت تفتر همته وتخمد عزيمته واصبح وهو بين منتطح عنزين[١] فقد رجع الانجليز بسفنهم إلى مياه الأسكندرية يغدون ويروحون يرصدون الفرنسيس ويمنعون عنهم المدد وأطلقوا قنابل مدافعهم على سد أبى قير ليجرى فيه الماء الملح على أراضى البحيرة جميعها لتغرق جيوش بونابرته التى كانت منتشرة يومئذ فى تلك الأطراف فلم تلحق بهم ضرراً وقيل بل ألحقت ببعضهم وقيل غير ذلك وكاتب بونابرته أحمد باشا الجزار عامل السلطان سليم يومئذ على الشام يستميله إلى الخروج وشق عصا طاعة مولاه وتسليم البلاد لبونابرته وجعل يمنيه بالأمانى الطويلة وسير إليه الرسل بذلك من نصارى الشوام ومسلميهم وهوّن عليه الأمر وسار مع هؤلاء الرسل أحد الفرنسيس بهيئة متنكرة وزى التجار فلما قدم على عكا أمر الجزار بذلك الفرنسوى فنقلوه إلى أحدى السفن العائدة إلى دمياط[٢]

---

(١) مثل لمن وقع فى مشكلتين .

(٢) محافظة تقع شمال الدلتا بمصر على الضفة الشرقية لفرع دمياط قبل مصبه فى البحر بنحو ٢٥ كم ، ذكرت فى التوراه باسم «كفتور» وعرفت فى العصر اليونانى باسم «تامياتس» وفى العصر القبطى باسم «تاميات» ، تعددت غارات الروم عليها فى القرنين ٨ ، ٩ واستولى عليها الصليبيون (١٢١٩-١٢٢١) بقيادة جان دى بريين ملك بيت المقدس ، وفى (١٢٤٩-٥٠) بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا ، ذات أهمية تجارية واستراتيجية فى العصور الوسطى .

● إشراف محمد شفيق غربال (الموسوعه العربية الميسره) ، سنة ١٩٦٥ ، ص٣٠٨ .

ولم يقابله وأمره بالرحيل حالاً ولم يأخذ منه الكتاب وحجز من كانوا معه فعاد ليومه ولم تنجح سفارته وجعل الجزار يكاتب من هذا الحين بعض التجار والمشايخ بمصر والقاهرة ويراسلهم سراً فكان بونابرته لذلك على حذر دائم من المشايخ والعلماء والأعيان كثير التطير منهم فكان يقلب عليهم أنواع التجارب ليعرف ما استكنّ فى صدورهم فكان تارة يلزمهم بلبس الچوكار[1] وأخرى بتركه وطورا بلبس الفرجيات[2] وأخرى بتغيير شكلها إلى شكل آخر وأرسل إلى أهل الديوان منهم يوماً فحضروا فخاطبهم بواسطة ترجمانه ساعة ثم نهض من المجلس ورجع وبيده طيلسانات ملونة بثلاثة ألوان وكل طيلسان ثلاث شقات أبيض وأحمر وكحلى فوضع منها واحدة بيده على كتف الشيخ الشرقاوى فرمى بها الشيخ إلى الأرض وتغير لونه ثم استعفى من لبسها فقال بونابرته لترجمانه قل لحضرات المشايخ أنهم صاروا أحبابنا وأنى لذلك أرغب فى تعظيمهم بزى رايتى وعلامتى فإن تزيوا بها احترمتهم الجند وعظمتهم العساكر فقال المشايخ ولكن يضيع قدرنا عند الله وإخواننا المسلمين فدمدم بونابرته واغتاظ لذلك وقال لا يصلح الشيخ الشرقاوى للرئاسة فلاطفوه وألانوا له الكلام فكان لا ينكف عن تجربتهم كل قليل بمثل هذه الأمور وغيرها . وعلم بونابرته بترفع مراد بيك الكبير إلى الفيوم بعد فراره من وقعة انبابه فسير إليه فريقاً من الجند فترفع وفارقه عثمان بيك الأشقر وعبر إلى الجانب الشرقى من النيل وسار من خلف الجبل ولحق باستاذه إبراهيم بيك بغزة وكان السيد محمد كريم حاكم الأسكندرية قد أقره بونابرته فى منصبه كما تقدم فأرسل إلى مراد بيك مكاتبة يمنيه فيها بتسليم الأسكندرية إليه إن هو حضر بعسكره ومماليكه وأتباعه فعلم بونابرته

---

(١) وهى شارة الثوره الفرنسية المثلثة الألوان ، والجبرتى وصفها فى النص بوضوح .
الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) تحقيق عبد الرحمن عبد الرحيم ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، حاشية٦ ، ص٢ .

(٢) العباءة الخارجية لملبس شيوخ الأزهر .

بتلك المكاتبة وأتت إليه بها الجواسيس فاستقدم السيد محمد كريم وسأله فأنكر فأبرز له تلك المكاتبة فتلجلج فحكم عليه بغرامة من المال عظيمة للغاية فإن لم يقم بدفعها قتل بغير معاودة فلم يدفع وشفع فيه المشايخ والعلماء فلم تقبل شفاعتهم وأمر به بونابرته فقتلوه واحترزوا رأسه وطافوا بها شوارع المدينة والمناداة أمامها هذا جزاء الخائن وأخبر بونابرته الجواسيس أيضاً بورود مكاتبات أخرى من إبراهيم بيك الكبير إلى بعض المشايخ خطاباً لهم وللرعية فأرسل فى الحال يطلبها فخاف المشايخ خوفاً عظيماً وأرسلوها إليه فجمع أرباب الديوان وأمر ترجمانه فقرأ المكاتبات المذكورة فكانت تتضمن الحث لهم على الاتحاد واليقظة والمحافظة على الرعية وأن السلطان بعث إليه بجيش وأنه على عزم الحضور به إلى الديار فتبسم بونابرته وقال هى فرية لا أنزل اللّه بها من سلطان ثم سرح المشايخ فانصرفوا . واتفق أن جاء فى هذه الأثناء أغا من خصيان دار السلطنة وكان محجوراً عليه بالأسكندرية فمر من المدينة يريد المشهد الحسينى فرآه الناس واستغربوا هيأته وقالوا هذا رسول الحى جاء من عند السلطان بمرسوم يأمر الفرنسيس فيه بالجلاء عن البلاد وكثرت أقوالهم فى هذا الشأن وتباينت أخبارهم واجتمعوا بالمشهد الحسينى وتبع بعضهم بعضاً وتزاحموا فبلغ بونابرته ما تشيعه العامة وما تتناقله الناس من ورود مرسوم من السلطان خطاباً للمشايخ وقد أخفوه عن بونابرته فركب من فوره وحضر إلى بيت الشيخ السادات بالمشهد الحسينى وكان الوقت بعد الظهر فدخل على حين غفلة ولم يكن تقدم له مجيئ وهو فى كبكبة وخيول كثيرة وعسكر فانزعج الشيخ ونزل إليه وهو لا يعرف السبب فى مجيئه فى مثل هذا الوقت على هذه الصورة فلما رآه بونابرته سأله عن ذلك المرسوم فقال لا علم لى بذلك ولم يكن بلغه الخبر فجلس بونابرته مقدار ساعة ثم ركب ومر بعسكره من باب المشهد والناس قد كثر ازدحامهم بالجامع والخطة وهم فى هرج فلما نظروه وشاهد هو جمعهم داخله أمر من ذلك فصاحوا جميعاً بصوت واحد وقالوا الفاتحة فسأل عن سبب الصياح والحامل عليه فقالوا إنهم يدعون لك بخير وأصبح وقد سير جيشاً عظيماً إلى حيث مراد بيك وآخر إلى

الشرقية لمراقبة أحوال إبراهيم بيك الكبير واستطلاع أخباره وقد انحط عنده شأن أرباب الديوان فأهمل أمره أياماً ثم شرع فى ترتيب ديوان آخر سماه محكمة القضايا ورتب له أصولاً وقواعد ترجع أموره إليها وعين له اثنى عشر عضواً ورئيساً من ستة من القبط وستة من تجار المسلمين وجعل رئيسه المعلم ملطى(١) القبطى وفوّض إليهم الفصل فى أمور التجارة والعامة والمواريث والدعاوى وجعل لذلك الديوان قواعد وأركانا وكتبوا منها نسخاً كثيرة أرسلوا منها إلى الأعيان وغيرهم وأمر فأنزل من كان بقلعة الجبل من الأهالى الساكنين فى دورها ودرو بها وأصعدوا إليها عدة كبيرة من المدافع ووضعوها فى عدة مواقع وهدموا بها أبنية كثيرة ورمموا بعض الأسوار بها وما تهدم منها وهدموا قصر يوسف(٢) صلاح الدين ومحوا محاسن أولئك الملوك والسلاطين ورفعوا ما كان بباب العزب من الأسلحة والدرق والبلط والحراب الهندية وغير ذلك واستقدم مشايخ البلاد وأعيان البنادر والثغور إلى القاهرة فحضروا واجتمعوا ببيت قائد أغا بالأزبكية وجمع من قدم أيضاً من الثغور والبنادر معهم وكذلك أعيان التجار ونصارى القبط والشوام ومديرو الديوان من الفرنسيس وغيرهم جمعاً موفورا فلما استقر بهم الجلوس برز المعلم ملطى كبير محكمة القضايا وقرأ المرسوم شروط وقاعدة أعمال المحكمة المذكورة فلما تمت قراءته أبرز كبير المديرين قرطاساً كبيرا وناوله لترجمانه

---

(١) المعلم ملطى : كان كاتباً عند أيوب بك الدفتردار من مماليك محمد بك أبو الدهب ، ولما احتل الفرنسيون البلاد وشكلوا ديواناً للنظر فى الشئون العامة وهو المشار إليه هنا جعلوه رئيساً له لما امتاز به من الخبرة ، واستمر يدير الديوان ، وعند خروج الفرنسيين من مصر قبض عليه وقطعت رأسه عند باب زويلة .

● (منسى يوحنا : المرجع السابق ، ص٥٤٩) .

(٢) هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب (٥٦٧-٥٨٩هـ ، ١١٧١-١١٩٢م) حكم مصر فى البداية نيابة عن نور الدين ، وعين وزيراً لنور الدين فى مصر ، وفى عهد إسماعيل نور الدين اتصل مباشرة بالخليفة العباسى فى بغداد الذى منحه سنة ٥٧٢هـ ، ١١٧٦م ، لقب السلطان ، وبذلك أصبحت مصر لأول مرة دار السلطنة .

●عبد الرحمن الجبرتى (مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس) ،تحقيق أ . د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، سنة ١٩٩٨ ، حاشية ٢ ، ص٧ .

فنشره وقرأه فكان محصلة شرح حال الديار المصرية وما كانت عليه فى القدم من رفعة الشأن والغنى والثروة واتساع نطاق الزراعة والتجارة وتقدم الصنائع وبلوغ المعارف والعلوم إلى أقصى الدرجات وأنها كانت محط الآمال ومنبت عظماء الرجال ولذلك قد أحدقت بها الأبصار ومدت إليها الأعناق وتطاولت إليها الأيدى فملكها أهل بابل[1] واليونانيون والعرب والترك وغيرهم إلا أن الدولة التركية بالغت فى تخريبها إذ من طبعها أنها إذا حصلت الثمرة قطعت عروق الشجرة فلذلك لم تبق الترك بأيدى الناس شيأ إلا النزر اليسير وصار الناس لأجل ذلك مستترين تحت حجاب الفقر وقاية لأرواحهم من الفتك ولأعراضهم من الهتك ثم إن طائفة الفرنسيس بعد أن تمهد أمرها وبعد صيتها وفتحت البلاد وقبضت على أزمة الممالك العظيمة تاقت نفسها لاستخلاص مصر مما هى فيه من المذلة والضنك واراحة أهلها من عناء هذه المظالم وانتشالها من وهدة هذه الدولة المفعمة جهلاً وغباوة فقدمت وأتاح الله لها النصر فبددت شمل المماليك ومزقتهم تمزيقاً ومع هذا الانتصار فإنها لم تعامل الرعية بالقسوة ولم تتعرض لشىء من أمورهم الذاتية بمكروه وقد وضعت دولة الفرنسيس فى مقدمات أعمالها الخطيرة فى هذه الديار اصلاح الطرق وتأمين السبل وحفر الخلجان والترع وتقريب المواصلات بين البلاد وبعضها وتوسيع نطاق التجارة وتعمير ما تخرب من البلاد ومنع القوى من ظلم الضعيف وغير ذلك استجلاباً لخواطر أهل البلاد وإبقاء للذكر الحسن فعلى أهل البلد ترك الشغب والإخلاد إلى السكون وإخلاص المودة والإقلاع عن فعل ما لا تحمد عاقبته ولم يكن المراد من استقدام من استقدموا من أهل البلاد وعمدها فى هذا اليوم إلا إبلاغهم نوايا دولة الفرنسيس نحو بلادهم وأهلها وهى على يقين من أنهم يمدون لذلك يد المعونة ويبلغون سر

(١) إمبراطورية قديمة ببلاد ما بين النهرين وتشمل الدويلات التى أنشأها حكام لجش ، وآكاد ، وارك ، وأور فى الألف الثالثة ق . م ، ومدينة بابل (بأرض الرافدين) كانت قاعدة إمبراطورية بابل ، ولم تبلغ أهميتها إلا بعد أن جعلها حمورابى عاصمة له .

● محمد شفيق غربال ونخبة من الباحثين (الموسوعة العربية الميسرة) ، ١٩٦٥ ، ص٢٩٦ .

عسكر الدولة الافرنسية بونابرته بما تحتاجه بلادهم من الأعمال الخطيرة والمنافع الضرورية إلى أن قال وإنا نريد منكم الآن يا مشايخ أن تختاروا من بينكم واحداً يكون كبيركم وعليكم طاعته والاخلاد لإشارته . فقال بعض الحاضرين نختار الشيخ الشرقاوى فقيل لهم وإنما يكون ذلك بالقرعة فاقترعوا فظهرت القرعة للشيخ عبد اللّه الشرقاوى وما تم هذا الأمر حتى غربت الشمس فأذنوا لهم بالانصراف وأن يعودوا فى غد وذهبوا فى ثانى يوم وانتخبوا بقية من وقع الاختيار عليهم لديوان مصر من أهالى البلاد والمشايخ والقبط والشوام وتجار المسلمين ثم أخذ أعضاء هذا الديوان فى ترتيب أمور الحوادث والنظر فى المقررات على العقار والأملاك ورتبوا لذلك ترتيباً بأن جعلوا على الأعلى منها ثمانية فرانسة[1] فى كل سنة وعلى الأوسط ستة وعلى الأدنى ثلاثة وما كانت أجرته أقل من ريال فى الشهر فلا شىء عليه وأما الوكائل والخانات والحمامات والمعاصر والسيارج والحوانيت فمنها ما جعلوا عليه ثلاثين وأربعين بحسب الخسة والرواج والاتساع وكتبوا بذلك أوراقاً وألصقوها بالطرق والمفارق وأرسلوا نسخاً للأعيان وعينوا جماعة المهندسين ومعهم أشخاص لتقدير أجرة كل ملك وعقار وشرعوا فى الإحصاء وطافوا بعض الجهات لتحرير القوائم وضبط أسماء أصحابها فلما شاع خبر هذا العمل بين الناس استعظموه وانتبذ جماعة منهم وتناجوا فى ذلك ووافقهم عليه بعض المتعممين فاجتمع عند ذلك الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم ولا قائد يقودهم وأصبحوا يوم الأحد وهم فى جمع عظيم وأظهروا ما كانوا قد أخفوه من الآلات والأسلحة وخرج رجل اسمه السيد بدر ومعه حرافيش خطة الحسينية وزمر الحارات الخارجة عن القاهرة وهم فى صياح وضجيج عظيمين وينادون بأعلى أصواتهم نصر اللّه دين الإسلام وساروا إلى بيت قاضى القضاة فخشى العاقبة وخاف هذا الأمر فأمر فأغلق خدامه الأبواب ووقفوا أمامها يمنعون هذه اللموم من الدنو منها فرجموا بيت

(١) نوع من العملة التى كانت مستعملة آنذاك .

القاضى بالحجارة واجتمع كذلك بالجامع الأزهر عدد عديد من أولئك السوقة والغوغاء ووصل الخبر إلى الجنرال بون حاكم البلد فركب على الفور فى عدة من الفرسان ومر بشارع الغورية وعطف على خط الصنادقية[١] وذهب إلى بيت القاضى فوجد ذلك الزحام العظيم فهاله أمره وخرج من بين القصرين[٢] وباب الزهومة[٣]وكانت جميع هذه الخطط مزدحمة بأخلاط الأهالى فبادروا إليه وضربوه وأثخنوه جراحاً وقتلوا بعض فرسانه ثم أخذ المسلمون حذرهم وخرجوا يهرعون وضبطوا عدة أماكن بالقاهرة مثل باب الفتوح وباب النصر والبرقية[٤] إلى باب زويلة وباب الشعرية[٥]وجهة البندقانيين وما حاذاها وهدموا مصاطب الدكاكين وجعلوا أحجارها متاريس ووقف دون كل متراس جمع عظيم من الناس واقتصر هذا الحادث على من بقلب القاهرة ولم يشاركهم فى هذا الخروج أحد

---

(١) ابتداؤه من نهاية شارع الأشرفية ، وأول شارع الغورية ويمتد شرقاً إلى الجامع الأزهر وطوله مائتان وثمانون متراً ، وهذا الشارع سماه المقريزى بسوق الفشاشين ، وفى القرن التاسع عشر ، عرف بسوق الخراطين ، وبه عدة عطف ودروب .

● عبد الرحمن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) تحقيق أ . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، حاشية ٧ ، ص٤١ .

(٢) بين القصرين أو شارع الأعظم ، سوق لبيع المجوهرات والحلى وصناعتها وصيانتها ، ويقع بشارع القصرين أو الشارع الأعظم .

●عبد الرحمن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ١ ، سنة ١٩٩٨ ، ص١٦٥ .

(٣) كان فى آخر ركن القصر ، مقابل خزانة الدرق التى هى خان مسرور ، وعرف بهذا الاسم لأن اللحوم وحوائج الطعام ، كانت تدخل منه ، باب الزهومة ، يعنى باب الزفر .

● عبد الرحمن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) .

● تحقيق أ . د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، حاشية ١ ، ص٤٢ .

(٤) أحد أبواب القاهرة القديمة .

●عبد الرحمن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) ، تحقيق أ . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، حاشية٤ ، ص٤٢ .

(٥) باب الشعّرية المقصود حى باب الشعرية ، وهى المنطقة الممتدة من منطقة الظاهر إلى حى الجمالية ، وهى مقر لقسم شرطة يعرف بهذا الاسم ، وهى أحد أحياء القاهرة العتيقة ، وعرف بهذا الاسم نسبة إلى طائفة من البربر يقال لهم بنو الشعرية .

●عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، تحقيق أ . د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ،جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، حاشية٧ ، ص٢٥ .

من أهالى مصر القديمة ولا أهل بولاق ولا غيرهم من الأطراف فسار إليهم طائفة من الفرنسيس وظهروا من ناحية المناخلية[١] وأطلقوا بنادقهم على المتاريس الكائنة بناحية الشوايين[٢]وقد كان بها طائفة من تجار ناحية الفحامين[٣] المغاربة فقاتلتهم المغاربة قتالاً شديدا وأجلوهم عن المناخلية وعند ذلك زاد الحال وكثر الزحف والزلزال وخرجت العامة الخروج التام وبالغوا فى الإفساد وتطاولت أيديهم إلى النهب وهجموا على حارة الجوانية ونهبوا دور النصارى الروم والشوام وما جاورها من بيوت المسلمين وسلبوا النساء والبنات وكذلك نهبوا خان الملايات[٤]وباتوا تلك الليلة على ما هم عليه من النهب والخطف وأصبح الفرنسيس وقد رتبوا مدافعهم على تلال البرقية وقلعة الجبل ووقفوا ينتظرون إشارة بونابرته وكان بونابرته قد أرسل إلى المشايخ خطاباً يسألهم فيه رد العامة بالتى هى أحسن حقناً لدمائهم واستبقاء لأرواحهم فلم تجبه المشايخ بشىء فأطال الانتظار فلم يردوا عليه وقد كثر رمى العامة بالبنادق وعبثهم بالمدينة وأفحشوا فى النهب والخطف وما زالوا على هذا الحال إلى ما بعد الظهر فلما أعياه الانتظار أمر أصحاب المدافع فجعلوا يطلقون مدافعهم تباعاً على البيوت والحارات وعلى

---

(١) عطفة غير نافذه ، بداخل حارة الفوطى ، بشارع درب الطوب .
● عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، تحقيق أ . أحمد عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، حاشية ٩ ، ص٤٢ .

(٢) هى المنطقة التى تمتد من باب حارة الروم إلى سوق الحلاويين ، وكان فى هذه المنطقة سوق يعرف بسوق الشوايين أو سوق الشرايحيين .
● عبد الرحمن الجبرتى : مظهر التقديس ت . د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص٧٠ .

(٣) يبتدئ من نهاية شارع التربيعة ، بجوار باب الغورى الصغير ، وانتهاؤه أول شارع المؤيد ، وطوله ٢١٤ متراً ، ويعرف بشارع العطارين ، ومحله كان يعرف قديماً زمن المقريزى بـ (سوق الكفتيين) وكان يسكنه كثير من العطارين ، وتجار المغاربة الذين يبيعون الطرابيش والبطانيات والأحرمة وغير ذلك .
● عبد الرحمن الجبرتى . المرجع السابق .
● تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، حاشية ٣ ، ص٤٣ .

(٤) أى الخان أو الفندق الذى كان يعرف بهذا الاسم لبيع الملايات به ، وكان يقع عند باب حارة الروم .
● عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار : (المرجع السابق) ، تحقيق أ . عبد الرحيم .
● عبد الرحمن عبد الرحيم ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، حاشية(١) ، ص٤٣ .

الخصوص الجامع الأزهر وما جاوره من المساكن فكانت القنابل تخرج من أفواهها كالمطر وقد دمرت تلك النواحى وخربتها تخريباً فخرج الناس والمجاورون على وجوههم وهم يضجون بأعلى أصواتهم يا خفى الألطاف نجنا مما نخاف وخرجت النساء حاسرات وأولادهن فى أحضانهن وهن مولولات وتتابع الرمى بالقنابل من قلعة الجبل وتلال البرقية حتى تزعزعت أركان المدينة وكادت البلد تندك عن آخرها فلما اشتد الخطب وعظم الهول والكرب ركب المشايخ إلى بونابرته واستغاثوا فعاتبهم واتهمهم بالخدعة والتقصير فاعتذروا وتلطفوا فى القول واستنهضوا مروأته فقبل عذرهم وأمر بالكف عن إطلاق المدافع فقاموا من عنده وهم ينادون بالأمان وتسامع الناس بذلك فاطمأنت قلوبهم وسكنت خواطرهم وكان قد أقبل الليل .

أما أهل الحسينية ومن معهم من أهالى الأطراف فإنهم لبثوا وراء المتاريس يتابعون الرمى حتى فرغ منهم البارود فانكفوا عن القتال وقد مات منهم العديد بنيران الفرنسيس التى كانت تتساقط عليهم من كل جانب ثم انكف عنهم الفرنسيس وتركوهم وبعد هزيع من الليل دخلت العساكر الافرنسيه إلى المدينة مشاة وفرساناً ومروا بالأزقة والشوارع فلم يعثروا على أحد فهدموا ما وجدوه من المتاريس ودخل طائفة منهم باب البرقية وساروا إلى الغورية ثم كروا ورجعوا وتراسلوا أرسالاً ركباناً ورجالا ثم دخلوا إلى الجامع الأزهر وهم على ظهور الخيل وبينهم المشاة وعاثوا بالأروقة وكسروا ما وجدوه من القناديل والمصابيح وأصبحوا وقد اصطف منهم فريق بباب الجامع وتفرقت طوائف منهم بتلك النواحى واتخذوا السعى والتطواف بها منهاجاً فخرج سكان تلك الخطة يهرعون وهم فى أسوأ حال وكان الفرنسيس يسيرون بالشوارع ويفتشون كل من يمر بهم فمن امتنع قتلوه ثم أخذوا يحملون القتلى من المسلمين والفرنسيس فكانوا كثيرين ومات فى هذه الثوّر[1] الجنرال بون بجراحاته التى أصابته وهدموا ما بقى من المتاريس

---

(١) الثورة .

ورفعوا ترابها وأحجارها وقيدوا برتلمان بالعسس والبحث عن الأسلحة المخبأة فبث أعوانه فى أطراف المدينة وأكثر من الإساءة وبالغ فى تنكيل المسلمين فملأ منهم الحبوس وكذلك فعل الأغا وأصبح يوم الأربعاء فركب المشايخ كافة وذهبوا إلى بونابرته وخاطبوه بالعفو ولاطفوه فوعدهم وعداً مشوباً بالتسويف وطالبهم بأن يدلوه على المتعممين[1] الذين أضرموا نار هذه الفتنة فغالطوه وأكثروا من المواربة فقال إن لم تذكروهم لى الساعة فإنى لا أعفو أبداً فالتمسوا منه إخراج العسكر من الجامع فأجابهم إلى ذلك وأمر فأخرجوا ولم يبق سوى سبعين جعلوهم رباطاً وبالغ بونابرته فى البحث عن مثيرى هذه الفتنة من المتعممين فكانوا الشيخ سليمان[2] الجوسقى شيخ طائفة العميان والشيخ أحمد الشرقاوى[3] والشيخ عبد الوهاب[4] الشبراوى والشيخ يوسف[5] المصيلحى والشيخ اسمعيل[6]

(١) يقصد الأزهريين .

(٢) شيخ طائفة العميان بزاويتهم المعروفة بالشنوانى ، تولى شيخاً على العميان بعد وفاة الشيخ الشبراوى وسار فيهم بشهامة وصرامة وجبروت وجمع بجاههم أموالاً عظيمة وعقارات .

● عبد الرحمن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، حاشية ٤ ، ص١٠٤ .

(٣) معلومة سابقة .

(٤) أزهرى . تفقه على أشياخ العصر وحضر دروس الشيخ عبد الله الشبراوى والحفنى والبراوى وعطية الأجهورى وغيرهم ، وتصدر للأقراء والتدريس والإفادة بالجوهرية وبالمشهد الحسينى . وكان حسن الإلقاء ، سلس التقرير جيد الحفظة جميل السيرة ، ولم يزل ملازماً على حالته حتى اتهم فى إثارة الفتنة ، وقتل بالقلعة بيد الفرنسيس فى أواخر جمادى الأولى ١٢١٣هـ/ ٩ نوفمبر سنة ١٧٩٨م ولم يعلم له قبر .

● عبد الرحمن الجبرتى : المرجع السابق ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص١٠٤ .

(٥) أزهرى ، حفظ القرآن والمتون ، وحضر دروس أشياخ العصر ، كالشيخ الصعيدى والبراوى ، والشيخ عطية الأجهورى ، والشيخ أحمد العروسى ، وحضر كثيراً على الشيخ محمد المصيلحى ، وأنجب وأملى دروساً بجامع الكردى بسويقة اللالا ، وكان مهذب النفس لطيف الذات حلو النطق ، ولم يزل على حاله حتى اتهم فى حادثة الفرنسيس وقتل مع من قتل شهيداً بالقلعة .

● عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع نفسه ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص١٠٤ .

(٦) الشيخ إسماعيل البراوى بن أحمد البراوى الشافعى الأزهرى ، وهو ابن أخى الشيخ عيسى البراوى الشهير الذكر ، تصدر بعد وفاة والده فى مكانه ، وكان قليل البضاعة إلا أنه تغلب عليه النباهة واللسان=

البراوى فأمر بونابرته فقبضوا عليهم وسجنوهم ببيت الشيخ البكرى ولم يعثروا على السيد بدر المقدسى الذى جمع لموم الحسينية حيث فر هارباً إلى الشام فخاف بقية المشايخ خوفاً ما عليه من مزيد وأكثروا من الذهاب إلى بونابرته والتخشع إليه وطلب فك سجن أولئك المشايخ فغولطوا وقد اتهم أيضاً إبراهيم افندى كاتب[1] البهار بأنه جمع جمعاً لإثارة هذه الفتنة من المماليك المختفين عنده وقد أعطاهم شيأ كثيراً من الأسلحة والمساوق والعصى وغيرها فقبضوا عليه وسجنوه ببيت الأغا ثم قبضوا على آخرين وسجنوهم بقلعة الجبل واشتد البحث وتتبع المشاركين فى هذا الحادث فاشتد قلق المشايخ وركب الشيخ السادات وبقية المشايخ إلى بونابرته وتشفعوا وتخضعوا فلم يقبل واستمر القبض على الناس بأدنى شبهة ورد بعضهم ما كان نهبه من بيوت النصارى والشوام وغيرهم أيام الثورة فكان شيأ كثيراً وتطاير شرر هذه الفتنة إلى جوف البلاد أيضاً فقام بعض أهالى القرى والبلدان على كتائب الفرنسيس المرابطين بها فقتلوهم وأظهروا الخروج والعصيان فاهتم بونابرته لذلك واستخدم جماعة من المغاربة فى الجندية وسلم أمرهم لكبير اسمه عمر القلفنجى من مغاربة الفحامين وسيرهم إلى تلك النواحى فقهروا الأهالى وظفروا بهم وساموهم الخسف واسكتوا الفتنة وضربوا بلدة عشما وقتلوا شيخها ونهبوا داره وأحضروا جميع أولاده وإخوته فقتلوا جميعهم ولم يبق منهم سوى ولد صغير قد أقاموه شيخاً عوضاً عن أبيه وسار

---

= والسلاطة والتداخل ، ذلك هو الذى أوقعه فى حبائل الفرنساوية ، وقتل مع من قتل شهيداً ، ولم يعلم له قبر.

●عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع نفسه ، تحقيق أ . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ١٠٤ ، ١٠٥ص.

(١) أى كاتب جمرك البهار الذى كان مقره السويس .

●عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع نفسه ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، حاشية ١ ، ص٤٦ .

برتلمان إلى ناحية الشرقية فى طلب من فر من أصحاب الفتنة فلم يدرك أحداً منهم فعاد إلى سرياقوس[1] بعسكره ثم رجع إلى القاهرة وقد دخل بعده رسول على هجين قادماً من الديار الشامية ومعه مكاتبات على شكل فرمان من أحمد باشا الجزار والى الشام وآخر من أبى بكر[2] باشا الذى كان عامل مصر قبل دخول جيوش الفرنسيس وقد هرب إلى الديار الشامية خطاباً إلى مصطفى[3] أغا كتخدائه وخطاباً آخر من إبراهيم بيك الكبير إلى المشايخ حاصل ما فيها بعد الاستهلال وذكر بعض الآيات القرآنية والأحاديث والآثار المتعلقة بالجهاد ولعن طائفة الفرنجة والحط عليهم وذكر عقائدهم وكذبهم وتحيلهم الحض على قتالهم والتخلص منهم وكذلك بقية المكاتبات فأخذها الكتخدا المذكور وذهب بها إلى بونابرته فلما علم ما فيها قال هى أحبولة من حبائل إبراهيم بيك بقصد إيقاع الفتنة وإضرام نار الوحشة فاحذروا ونظروا فى عواقب الأمور .

---

(١) قرية قديمة ، اسمها القبطى Siriaqous ، وكانت فى بدء تكوينها عزبة أنشأها Ciryaqous الذى كان والياً على قسم أترتيب ، فسميت بإسمه ، وهى إحدى قرى مركز شبين القناطر ، محافظة القليوبية .
●عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، تحقيق أ . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، حاشية٣ ، ص٤٧ .

(٢) والى مصر من قبل الدولة العثمانية مدة حكمه من ١٢١١- ١٢١٣هـ ، ١٧٩٦-١٧٩٨م . فر إلى غزة بعد انهزام المماليك أمام الجنود الفرنسيين فى واقعة امبابة ، وخذلانهم فى واقعة الصالحية فى مديرية الشرقية وذلك فى ٧ صفر سنة ١٢١٣هـ .
●ليلى عبد اللطيف أحمد (الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى) سنة ١٩٧٨ ، ملحق رقم١ ، ص٤٣٦ .
● أحمد حافظ عوض «فتح مصر الحديث أو نابليون بونابرت فى مصر» ، ص١٠١ .

(٣) عينه الفرنسيون محافظا لمدينة القاهرة بعد أن عزلوا محمد المسلمانى الذى كان معيناً بإشارة أعضاء الديوان . ويقول الجبرتى عن مصطفى أغا أنه كان تابعاً (خادم) لعبد الرحمن أغا مستحفظان (محافظ المدينة) سابقاً .
●عبد الرحمن الرافعى (تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر) ، جـ ١ ، سنة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م ، حاشية٢ ، ص٢٩٢ .

وأخذ الفرنسيس من هذا الحين يشيدون الحصون ويرتبون المعاقل ويعدون الأبراج العظيمة على التلال والآكام المحيطة بالبلد ووضعوا عليها المدافع وهدموا أماكن كثيرة بالجيزة وحصنوها تحصيناً عظيماً وكذلك مصر القديمة وشبرا وقد هدموا منها عدة جوامع منها الجوامع المجاورة لقنطرة انبابه ومسجد المقس المعروف الآن بأولاد عنان[1] على الخليج الناصرى بباب البحر وقطعوا نخيل جهة الحلى وبولاق وخربوا دوراً كثيرة وأخذوا ما فيها من الأخشاب ثم ذهبت منهم طائفة بعد أيام إلى منزل الشيخ البكرى فى نحو نصف الليل وطلبوا المشايخ المحبوسين فخرجوا وأذاهم فى وسط فريق من الجند وقد قبضوا عليهم وذهبوا بهم إلى بيت حاكم المدينة بدرب الجماميز[2] ثم عرّوهم من ثيابهم وصعدوا بهم إلى قلعة الجبل وسجنوهم فلما أصبحوا أخرجوهم وقتلوهم برمى البنادق وألقوهم من السور خلف القلعة وخفى خبرهم عن أكثر الناس وركب فى ذلك اليوم بعض المشايخ إلى مصطفى بيك كتخدا الباشا ليتشفعوا وإياه لأولئك المشايخ فذهبوا إلى بيت بونابرته وهم لا يعلمون بموتهم فقابلهم ترجمانه بعين غامضة ثم تركهم فانصرفوا وأمر بونابرته فكتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ وأرسلوها إلى البلاد وأرسلوا منها صوراً إلى المشايخ وهى نصيحة من كافة علماء الإسلام بمصر المحروسة وفيها . نعوذ باللّه من الفتن ما ظهر منها وما بطن ونتبرأ إلى اللّه من الساعين فى الأرض فساداً نعرف أهل مصر قاطبة أنه حصل بعض الخلل فى المحروسة من بعض الجعيدية وأشرار الناس فحركوا الشرور بين الرعية وبين العساكر الفرنسوية بعد ما كانوا أصحاباً وأحباباً بالسوية وترتب على ذلك قتل

---

(١) مسجد المقسى المعروف الآن بأولاد عنان ، كان موقعه قديماً خارج باب البحر ، بقرب قنطرة الخليج ، وموقعه الآن بين شارعى رمسيس والجمهورية ويطل على ميدان باب الحديد ، مسجد الفتح الآن بميدان رمسيس .

● عبد الرحمن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، حاشية٢ ، ص٤٨ .

(٢) كان يعرف بشارع بشتاك ، ثم غلب عليه اسم قنطرة درب الجماميز ، لوجود أشجار عظيمة من الجميز ، كانت معروفة بجماميز السعدية .

● عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، تحقيق أ . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ١ ، ١٩٩٨ ، حاشية٣ ، ص٨١ .

جملة من المسلمين ونهبت بعض البيوت ولكن حصلت ألطاف الله الخفية وسكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند أمير الجيوش بونابرته وارتفعت هذه البلية لأنه رجل كامل العقل عنده رحمة وشفقة على المسلمين ومحبة للفقراء والمساكين ولولاه لكان العساكر أحرقوا جميع المدينة ونهبوا جميع الأموال وقتلوا كامل أهل مصر فعليكم أن لا تحركوا الفتنة ولا تطيعوا أمر المفسدين ولا تسمعوا كلام المنافقين ولاتتبعوا الأشرار ولا تكونوا من الخاسرين سفهاء العقول الذين لا يقرؤن[1] العواقب لأجل أن تحفظوا أوطانكم وتطمئنوا على عيالكم وأديانكم فإن الله سبحانه وتعالى يؤتى ملكه من يشاء ويحكم ما يريد ونخبركم أن كل من تسبب فى تحريك هذه الفتنة قتلوا عن آخرهم وأراح الله منهم العباد والبلاد ونصيحتنا لكم أن لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة واشتغلوا بأسباب معايشكم وأمور دينكم وادفعوا الخراج الذى عليكم والدين النصيحة والسلام . أهـ . بنصه

ولما طار الخبر فى الآفاق بورود مكاتبات إبراهيم بيك والجزار وتكلم فى أمرها أهل البلاد وأكثروا الغلط بها خاف المشايخ من رجوع الحال إلى ما كان عليه وقيام الفتنة فعمدوا إلى تحرير منشور وأرسلوا عدة صور منه إلى المدن والبلدان يقولون فيه نصيحة من علماء الإسلام بمصر نخبركم يا أهل المدائن والأمصار من المؤمنين ويا سكان الأرياف من العربان والفلاحين أن إبراهيم بيك ومراد بيك وبقية دولة المماليك أرسلوا عدة من المكاتبات والمخاطبات إلى سائر الأقاليم المصرية لأجل تحريك الفتنة بين المخلوقات وادّعوا أنها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه بالكذب والبهتان وسبب ذلك أنه حصل لهم الغم الشديد والكرب الزائد واغتاظوا غيظاً شديداً من العلماء والرعايا حيث لم يوافقوهم على الخروج معهم وأن يتركوا عيالهم وأوطانهم فأرادوا أن يوقعوا الفتنة والشر بين الرعية وذلك لشدة ما حصل لهم من الكرب الزائد بذهاب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر المحمية ولو كانوا فى هذه الأوراق صادقين بأنها من

---

(١) يقرأون .

حضرة سلطان السلاطين لأرسلها جهاراً مع أغوات معينين ونخبركم أن الطائفة الفرنساوية بالخصوص عن بقية الطوائف الإفرنجية دائماً يحبون المسلمين وملتهم ويبغضون المشركين وطبيعتهم وهم أصحاب لمولانا السلطان قائمون بنصرته وأصدقاء ملازمون لمودته وعشرته ومعونته يحبون من والاه ويبغضون من عاداه ولذلك بين الفرنساويين والموسكو[1] غاية العدواة الشديدة ومن أجل هذا يعاونون حضرة السلطان على أخذ بلاد الموسكوب إن شاء الله ولا يبقون منهم بقية فننصحكم يا أهل الأقاليم المصرية أن لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ولا تعارضوا العساكر الفرنسوية بشيء من أنواع الأذية فيحصل لكم الضرر والهلاك والبلية ولا تسمعوا كلام المفسدين ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون وإلا فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وإنما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكامل الملتزمين لتكونوا فى أوطانكم سالمين وعلى عيالكم وأموالكم آمنين مطمئنين لأن حضرة صارى عسكر الكبير أمير الجيوش بونابرته اتفق معنا على أنه لا ينازع أحداً فى دين الإسلام ولا يعارضنا فيما شرعه اللّه من الأحكام ويرفع عن الرعية سائر المظالم ويقتصر على أخذ الخراج ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم فلا تعلقوا آمالكم بإبراهيم ومراد وارجعوا إلى مولاكم مالك الممالك وخالق العباد فقد قال نبيه ورسوله الأكرم الفتنة نائمة لعن اللّه من أيقظها بين الأمم عليه أفضل الصلاة والسلام ختام . أهـ . ولصقوا نسخاً من هذا المنشور بشوارع القاهرة وأرسلوا منها فى سائر البلاد . وشدد بونابرته فى اليقظة والالتفات وأكثر من العيون والجواسيس وأقام الجنرال استنك والياً على القاهرة بدل الجنرال بون واليها الذى قتل فى الفتنة كما تقدم القول فاطمأن الناس بعد ذلك وسكنت الأحوال وعادت الأمور إلى سابق مجراها وأمر بونابرته فجعلوا يمهدون الطرق والعقبات ويسهلون المواصلات داخل المدينة وقد كانت معرقلة بالتلال الكبيرة والوديان العميقة والأشجار الكثيرة فردموا جميع الجهات التى حوالى بركة الأزبكية وهدموا الأماكن المقابلة

(١) الروس .

لبيت بونابرته حتى جعلوها رحبة متسعة وهدموا الدور المقابلة لها من الجهة الأخرى وردموا مكانها بالأتربة الممهدة على خط معتدل من الجهتين مبتدئاً من بيت بونابرته إلى قنطرة[١] المغربى وفعلوا بعدها كذلك على الوضع والنسق بحيث صار جسراً عظيماً ممتداً ممهداً مستوياً على خط مستقيم من الأزبكية إلى بولاق وينقسم بقرب بولاق إلى قسمين قسم إلى طريق أبى العلاء وقسم يذهب إلى جهة التبانه وساحل النيل وبطريقة الطريق المسلوكة الواصلة من طريق أبى العلاء وجامع الخطيرى[٢] إلى ناحية المدابغ وحفروا فى جانبى ذلك الجسر جميعه خندقين وغرسوا بجانبه الأشجار العظيمة وأحدثوا طريقاً أخرى فيما بين باب الحديد وباب العدوى عند المكان المعروف بالشيخ شعيب حيث معمل الفواخير وردموا جسراً ممتداً ممهداً مستطيلاً يبتدىء من الحد المذكور وينتهى إلى جهة المذبح خارج الحسينية وأزالوا ما يتخلل ذلك من الأبنية والغيطان والأشجار والتلال وقطعوا جانباً كبيراً من التل الكبير المجاور لقنطرة الحاجب وردموا فى طريقهم قطعة من خليج[٣] بركة الرطلى وقطعوا أشجار بستان كاتب

---

(١) قنطرة كانت على الخليج المصرى فى المنطقة الواقعة ما بين باب الخرق وباب الشعرية .
● عبد الرحمن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) تحقيق أ .د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، حاشية١ ، ص ٥٥ .

(٢) أنشأه عز الدين أيدمر الخطيرى ، وكان مكان هذا الجامع ببولاق مغموراً بماء النيل ، ثم انحسر عنه الماء ، وصار بعد سنة (٧٠٠هـ/١٦ سبتمبر ، ١٣٠٠-٥ سبتمبر ١٣٠١م) ، متنزهاً به زروع ثم اشترى الأمير عز الدين مكان هذا الجامع وبنى عليه الجامع ، وتأنق فى عمارته ورخامه ، وسماه (جامع التوبة) ورتب به درساً للشافعية وكمل فى سنة (٧٣٧هـ/ ١٠ أغسطس١٣٣٦- ٢٩ يوليه ١٣٣٧م) ، وأقيمت فيه الجمعه ، وهدم مرتين بعد الأمير عز الدين .
●عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، حاشية٣ ، ص٥٥ .

(٣) من جملة أرض الطبالة ، عرفت ببركة الطوابين ، لأنه كان يصنع فيها الطوب ، فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى التمس الأمير بكتمر الحاجب من المهندسين أن يمر بجانب بركة الطوابين ، فلما جرى ماء النيل فى الخليج روى أرض البركة ، فعرفت ببركة الحاجب ، وكان فى شرقى هذه البركة زاوية بها نخل كثير ، وفيها شخص يصنع الأرطال الحديد التى تزن بها الباعة ، فسماها الناس بركه الرطلى نسبة لصانع الأرطال .
● عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، تحقيق أ . د .عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، حاشية١ ، ص٥٦ .

البهار المقابل لجسر بركة الرطلى وأشجار الجسر أيضاً والأبنية التى بين باب الحديد[١] والرحبة[٢] التى بظاهر جامع المقس[٣] وساروا على المنخفض بحيث صارت طريقاً ممتداً من الأزبكية إلى جهة قبة النصر[٤] المعروفة بقبة العزب جهة العادلية على خط مستقيم من الجانبين وقيدوا بذلك ناساً منهم يتعهدون تلك الطرق وأنشئوا مطاحن هواء ومطاحن ماء وجعلوا فى الروضة مستشفى يسع خمسمائة مريض ومثله فى الأسكندرية ورشيد ودمياط وأنشؤا[٥] مدرسة بالقاهرة لأبناء الفرنسيس المولودين بمصر وجريدتين بالافرنسية إحداهما تسمى كاد اجبسيان والثانية تسمى كوريه دى اجبت ومعامل للأقفال والأسلحة والمدافع وآلات الحرب وصناعة الورق والأقمشة وسائر ما يلزم للبلاد وفعلوا جميع هذه الأعمال العظيمة فى مدة يسيرة جداً مع همة غريبة وجعلوا جامع الظاهر بيبرس خارج بلاد الحسينية قلعة ومنارته برجا ووضعوا على أسواره المدافع العظيمة وأسكنوا به عدة من العسكر وبنوا فى داخله عدة مساكن وكان هذا الجامع معطل الشعائر من مدة وقد باع نظاره منه أنقاضاً وعمداً كثيرة وعملوا عدة أبراج على تل العقارب[٦] بالناصرية ووضعوا فيها عدة آلات حربية وأفردوا لجماعة المديرين

---

(١) عرف بباب البحر لأنه كان يشرف على النيل أو باب المقس ، لوقوعه فى قرية المقس ، ثم عرف بباب الحديد ، لأنه كان له بوابه من الحديد ، ونسب إليه ميدان باب الحديد وبجوارها قنطرة الليمون .

● عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، حاشية٢ ، ص١٢ .

(٢) مكان فسيح .

(٣) معلومة سابقة وهو مسجد أولاد عنان ، لوجود ضريح سيدى محمد بن عنان (جامع الفتح الآن) .

● مظهر التقديس ، مرجع سابق ، ص٧٦ ، هامش(١) .

(٤) قبة النصر : كانت زاوية ليسكنها فقراء العجم ، وهى فى الصحراء خارج القاهرة تحت الجبل الأحمر ، جددها الملك الناصر محمد بن قلاوون فى الفضاء الكائن شرقى خانقاه السلطان برقوق ، وقد اندثرت الآن .

● الجبرتى : مظهر التقديس ، مرجع سابق ، ص٨٥ .

(٥) أنشأوا .

(٦) قريباً من دار المجمع العلمى (المجمع العلمى كان مقره قصر كاشف شركس بالناصرية . أقاموا عدة أبراج على تل العقارب بالناصرية وهى قلاع أقامها الفرنسيون لحماية المدينة ومنها طابية (الناصرية) أقاموها فوق تل العقارب فى منطقة المنيرة وإن كان أزيل الآن .

● عبد الرحمن الرافعى ، المرجع السابق ، جـ١ ، سنة ١٣٧٤هـ ، ١٩٥٥م ، ص٢٩٠ ، ص١١٨ .

● محمد كمال السيد محمد : أسماء ومسميات من مصر القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ، ص٢١٣ ، ٢١٤ .

والفلكيين منهم وأصحاب العلوم الرياضية كالفلك والهندسة والهيئة والنقوشات والكتاب والحساب وغيرهم من أرباب القلم حارة الناصرية حيث الدرب الجديد وما به من البيوت وجعلوا بيت حسن كاشف جركس فى تلك الخطة مكتبة للمطالعة يحضرها من يريد المطالعة منهم فى أوقات معينة من النهار وكان إذا دخلها أحد المصريين فرحوا به وأحسنوا لقاءه وإذا أراد التفرج أطلعوه على ما أراد أو أراد المطالعة أعطوه ما أراد من الكتب ولاسيما الكتب التى تبهج البسطاء بما فيها من الرسوم البديعة وفى جملتها رسم صاحب الشريعة المحمدية ورسوم أخرى للخلفاء الراشدين وغيرهم وكانوا يطلقون فى كل يوم عند الزوال[1] مدفعا .

ولم ينكف بونابرته عن البحث عمن كان له يد فى الفتنة من عمد البلاد وأعيانها فقبض على شيخ العرب سليمان[2] الشواربى شيخ قليوب حيث عثروا على خطاب منه إلى أهالى سرياقوس يحضهم على القيام والتأهب للفتك بالفرنسيس عند خروجهم من القاهرة مقهورين فسجنوه بقلعة الجبل وسار بونابارته على أثر ذلك ومعه طائفة من الجند والسيد أحمد[3] المحروقى وإبراهيم

---

(١) قرب المغرب .

(٢) قتل شيخ العرب سليمان الشواربى شيخ قليوب فى غاية رجب سنة ١٢١٣هـ/ ٧يناير ١٧٩٩م ، ومعه ثلاثة رجال يقال لهم عرب الشرقية ، فأنزلوهم من القلعة إلى الرميله على يد الأغا وقطعوا رؤوسهم ، وحملوا جثة الشواربى مع رأسه فى تابوت ، وأخذه أتباعه فى بلدة قليوب ، ليدفن هناك عند أسلافه .
●عبد الرحمن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص٦٥ .

(٣) كبير تجار القاهرة ، كان أبوه من تجار الحرير بسوق العنبريين بمصر واشتهر بالأمانة والصلاح فأحسن تربية ابنه ، فلما ترعرع خالط الناس وتمرن على الكتابة ، واتصل بأمراء مصر من المماليك مثل إسماعيل بك ثم مراد بك وإبراهيم بك ، واتسعت تجارته فى داخل البلاد وفى سائر الأقطار الشرقية والغربية ، حينما جاء الفرنسيون إلى مصر كان موضع احترامهم ، وانتخب عن التجار ضمن أعضاء الديوانين العمومى والخصوصى اللذين أنشئا فى ديسمبر سنة ١٧٩٨ ، واصطحبه نابليون فى رحلته إلى السويس ، ولما حدثت ثورة القاهرة الثانية كان من زعمائها ، ولما أخفقت هاجر إلى سورية صحبة السيد عمر مكرم نقيب الأشراف ولازمه فى منفاه ، وصادر الفرنسيون أملاكه ، ولم يعد إلى مصر إلا بعد جلاء الفرنسيين ، توفى سنة ١٢١٩هـ .
●عبد الرحمن الرافعى (تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر) ، جـ٢ ، سنة ١٩٢٩م ، ص٣٠٥ إلى ٣١٠ .

أفندى كاتب البهار وبعض المديرين والمهندسين والمعلم جرجس[١] الجوهرى والمعلم[٢] أنطون أبو طقية وغيرهم قاصداً مدينة السويس لأمر لم يعلم سره فلما شاع بين أهل السويس خبر مقدمه هربوا كافة وتركوا البيوت قائمة على عروشها فنهبها العسكر وأخذوا ما وجدوه فيها من متاع وفرش فأبلغ بونابرته بعض من

---

(١) المعلم جرجس الجوهرى : شقيق المعلم إبراهيم الجوهرى ، ولما مات إبراهيم قلده إبراهيم بك منصبه بدلاً عنه ، وقد نال ثقة إبراهيم بك وثقة معظم من تعاون معهم من مسلمين وأقباط ، وكان من بين الكتبة النصارى الذين تحت إدارته رجل اسمه يوسف كساب من أصل سورى سولت له نفسه أن يشى به عند مخدومه وكان إسماعيل بك ، ولما كان إسماعيل خصماً لإبراهيم بك فقد وجدها فرصة للانتقام من جرجس فعزله من منصبه وعين كساباً بدلاً عنه رئيساً للديوان ، ولكن بعد فترة ظهر لإسماعيل بك كذب كساب وخيانته فأمر بإغراقه فى النيل وأعاد المعلم جرجس لعمله .

وعمل جرجس بعد ذلك مع الفرنسيين فكان ذا مركز واضح لديهم وأنعموا عليه بالخلع المزركشة ليلبسها فى التشريفات ، وكان بصحبة نابليون عند اقتفائه أثر إبراهيم بك ، وكذلك اصطحبه الفرنسيون فى حروبهم فى الوجه البحرى ، وذكر الجبرتى أنه لما احتفل الفرنسيون بأعيادهم كانوا يدعون أعيان المصريين وكان منهم المعلم جرجس الجوهرى .

وفى عهد محمد على نال جرجس الجوهرى حظوته ، إلا أن الحظ خانه وذلك أن محمد على طالبه بمبالغ طائلة فاستمهله لدفعها فقبض عليه مع بعض الأقباط بحجة تأخره فى دفع المال وأقيل من منصبه ليحل مكانه المعلم غالى الذى كان كاتباً عند الألفى عدو محمد على ، ثم أفرج عنه بعد سبعة أيام على أن يدفع أربعة آلاف وثمانمائة كيس ، فدفع جزءاً كبيراً منها ووزع الباقى على الكتاب والصيارف ماعدا المعلم غالى والمعلم فيلوتاؤس ، ولما ضاق به الحال اضطر إلى بيع أملاكه التى كانت بجهة الأزبكية وقنطرة الدكة ، ونزع محمد على بقية أملاكه ونفاه إلى الصعيد ، وظل هناك إلى أن عفى عنه فعاد إلى القاهرة فى ١٣ شوال ١٢٢٤هـ وأكرمه الباشا ، وعاش فى بيته فى حارة الونديك إلى أن مات سنة ١٢٢٥هـ ودفن فى مقبرته بكنيسة مار جرجس بمصر القديمة .

● (منسى يوحنا : المرجع السابق ، ص ص٥٤٦ ، ٥٤٧)

(٢) المعلم انطون أبو طاقية : اشتهر فى فترة حكم الفرنسيين ، حيث كان غنياً فزاره نابليون فى أواخر عام ١٧٩٩م ، وكان محتاجاً إلى المال ، فنزع المعلم انطون طاقيته من فوق رأسه وأخذ يملأها مالاً حتى استوفى نابليون مطلبه منه ، ومن ثم سمى (أبو طاقية) ، وارتفعت قيمته فى عينى نابليون فولاه أكبر الوظائف ، إلا أنه عدل بين الناس ورفع عنهم بعض الضرائب وخفف الإخرى ، فلم يعجب الفرنسيين ، فقبضوا عليه وسجنوه فى القلعة حتى يدفع ما تأخر عليه من حساب البلاد ، فدفعه من ماله الخاص .

ولما خرج الفرنسيون من مصر قبض عليه محمد باشا أبو مرق مع اثنين من كبار الأقباط هما المعلم إبراهيم زيدان والمعلم عبد الله بركات وقتلهم سنة ١٨٠٢م وأمر ببيع مالهم فى مزاد ، وكان عند المعلم أبو طاقية كثير من الثياب والأقمشة الهندية والأمتعة والمصاغ والجواهر والساعات وأوانى من الذهب والفضة فضلاً عن العبيد والجوارى ، واستمر سوق المزاد عدة أيام .

● منسى يوحنا : المرجع السابق ، ص٥٤٦ .

كانوا معه ما فعله العسكر فرد جميع ما أخذوه ووعد برد ما فقد أو دفع ثمنه وكان مدة لبثه بالسويس يركب فى كل يوم ويطوف فى حارات وشوارع المدينة وجهات الساحل ليلاً ونهاراً قيل وكان معه من الأدم[١] فى هذه السفرة ثلاث دجاجات مقلية ملفوفة فى ورقة وقليل من الخبز . قال صاحب[٢] عجائب الآثار وليس معه طباخ ولافراش ولا خيمة وكل شخص من عسكره معه رغيف كبير مرشوق فى طرف حربته يتزود منه ويشرب من سقاء لطيف من صفيح معلق فى عنقه أ هـ . ثم سار من السويس إلى الشرقية ودخل مدينة بلبيس وقبض على عدة كثيرة من عربان الشرقية وأولادهم من ذكور وإناث وبعث بهم إلى القاهرة مع جماعة من العسكر وقام من بلبيس قاصداً القاهرة فمر بأبى زعبل فضرب أهلها وضرب كذلك أهل المنيرة وأمر فأخذت جميع مواشيهما ودخل القاهرة ليلاً فلما كان الصباح أنزلوا شيخ العرب سليمان الشواربى ومعه ثلاثة عربان آخرون إلى الرميلة ومعهم الأغا فقتلوهم ذبحاً ثم سلموا جثة الشواربى ورأسه لقومه فحملوه فى نعش وساروا به إلى قليوب وفاض الخبر بذلك فى مصر والقاهرة فخاف الناس وانكف أصحاب الفتنة وشدد بونابرته فى تتبع خطوات مراد بيك الكبير وتسيير الجند خلفه أينما سار فكان مراد بيك كلما لحقت به عساكر بونابرته ترفع إلى الصعيد حتى وصل بمن معه إلى قبة الهواء وقد داخلهم من لقاء الفرنسيس هيبة ورهبة فلم يقابلوهم وبونابرته يشدد فى أمر قتالهم وقطع شأفتهم وقبض على كثير من التجار الترك والقليونجية المقيمين بالقاهرة ومصر بدلالة الأغا وسجنهم بقلعة الجبل وأخذوا ما كان لهم بوكالة ذى الفقار بالجمالية من متاع وغيره وجعلوا يفتشون على من بقى منهم بالقاهرة ومصر وبولاق وخصوصاً من كان منهم فى خدمة مراد بيك الكبير وجمعوا جميع الكريديين[٣] الذين

---

(١) الادم= الطعام

(٢) الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ٣ ، ص٦٤ ، ط١٩٩٨ ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن (دكتور)

(٣) أهل جزيرة كريت أو الاتين من هناك .

كانوا فى الخدمة العسكرية عند إبراهيم بيك ومراد بيك وأدخلوهم فى صفوف العساكر الفرنساوية وزيوهم بزيهم وسير منهم طائفة خلف مراد بيك فلما تزايدت الشدّة بمراد بيك ومن معه وضاقت عليهم الدنيا برحبها تخلى عنه علىّ باشا ونصوح باشا وسارا مع بعض أتباع إبراهيم بيك الكبير من خلف الجبل إلى الشام فأمر بونابرته بتحصين تلك الأطراف فسار قوم من الفرنسيس وبنوا فى قطية[1] بعض الأبراج والحصون ومهدوا فيها بعض العقبات وأكثروا من الأسلحة والذخيرة ومعدات القتال وأمر بونابرته بعد ذلك فقتلوا جميع من كان مسجوناً من المماليك والأجناد التركية بقلعة الجبل وكانوا كثيرين وأخذوا فى إعداد دواب النقل من جمال وبغال وحمير والتأهب بغزو الشام وقتال أحمد باشا الجزار واليها .

ولما شاع بين أهل الحجاز خبر تملك الفرنسيس على ديار مصر وتصرفهم فى أمور المسلمين هالهم هذا الأمر واستعظموه جداً وقام فيهم مغربى اسمه الكيلانى[2] من مجاورى مكة والمدينة وجعل يحض الناس على الجهاد واستخلاص البلاد من أيدى الفرنسيس فانزعج الناس وضجوا بالحرب وعجوا إلى اللّه وجردوا الكعبة من أستارها وجعل الكيلانى يعظ الناس ويدعوهم إلى الجهاد وقرأ بالحرم كتاباً مؤلفاً فى معنى ذلك فاستنهض بعض الناس وبذلوا أموالهم وأنفسهم وكانوا زهاء الستمائة وركبوا البحر إلى القصير مع من انضم إليهم من

---

(١) وهى قرية من نواحى الجفار ، من القرى المندرسة ، وكانت تقع فى الطريق بين مصر وبلاد الشام ، وفى وسط الرمل قرب الفرما ولا يمكن الدخول إلى مصر إلا منها ، وكانت قديماً مكان أخذ المكس من القادمين إلى مصر ، ولم يبق منها إلا أطلالها بين القنطرة والعريش ، جنوب شرق محطة الرمانة
● عبد الرحمن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، حاشية٣ ، ص٢٣ .

(٢) وكان عالماً إسلامياً مجاوراً بمكة والمدينة والطائف ، فلما علم أهل الحجاز بوصول الفرنسيين إلى مصر انزعجوا وضجوا بالحرم وجردوا الكعبة ، وقام هذا الشيخ بالوعظ والدعوه إلى الجهاد وحرضهم على الحق والدين ، واستجاب له كثير من الناس حيث تجمع نحو ٦٠٠ من المجاهدين وركبوا البحر إلى القصير حيث انضموا إلى أهل الصعيد ليحاربوا الفرنسيين هناك ، (عبد الرحمن الجبرتى : مظهر التقديس ، ت ، د . عبد الرحيم ، ص١٠٢) .

أهل ينبع ونزلوا بالصعيد فانضم إليهم العدد العديد من أهله وبعض الترك والمغاربة الذين كانوا مع مراد بيك والكشاف والغز الذين هربوا بعد مقتلة انبابه وزحفوا على جرجا وكان بها الجنرال ديزه بجيوشه يطارد مراد بيك ومن معه فلاقت جيوشه تلك الجموع واقتتل الفريقان فلم تثبت الترك والغز كعادتهم وانهزموا فتبعهم هوارة الصعيد واللموم المجتمعة من القرى وثبت الحجازيون برهة ثم اشتدّت عليهم نيران الفرنسيس فتقهقروا ثم ولوا الأدبار وترفع من هرب من الترك والمماليك إلى إسنا ومعهم حسن بيك[1] الجداوى وعثمان بيك تابعه وجاء الخبر بذلك إلى بونابرته وبما وقع فتأخر عن الخروج بعسكره إلى غزو الشام وتربص حتى يرى ما سيكون من أمر الحجازيين وما زال الحجازيون يعاودون الكرة على الجنرال ديزه وعساكره والحرب بينهم سجال حتى تمكن منهم وبدد جموعهم وأعمل فيهم القتل والتشريد ومزقهم فى شهر رجب سنة ثلاث عشرة[2] ومائتين وألف وانقطع خبرهم ولم يظهر بعد ذلك منهم أحد . ووردت البشائر بما أصابهم إلى بونابرته فجعل يتأهب للخروج بجيشه وخرج فى مستهل رمضان من السنة قاصداً الشام وسارت طوائفه طائفة بعد أخرى فى أحمال ومهمات وكراع زائدة للغاية وعقد بونابرته قبل خروجه ديواناً جمع فيه العلماء والمشايخ والأعيان من النصارى والمسلمين وحدثهم بأمر خروجه بعسكره إلى الشام ليقطع

---

(١) عندما هاجم الجنرال ديزيه الصعيد هاجت البلاد ما بين أسيوط وجرجا وثارت الثورات فى نحو أربعين بلداً ، فانتهز مراد بيك هذه الفرصة ليلم شعثه ويضم إليه الأعوان والأنصار من أهل البلاد ، وأرسل إلى حسن بك الجداوى الذى كان مقيماً فى إسنا ، وكان بينهما عداء قديم ففرض عليه الصلح فصالحه الجداوى وانضم إليه ضد الفرنسيين .

وقاد الجداوى بعد ذلك قواته وقوات المماليك ومعه عثمان بيك حسن فى عدة غزوات منها غزوة الردسية وقتل فيها عدد كبير من الفرنسيين يوم ١١ فبراير ١٧٩٩م ، ومعركة أخرى فى ٢ أبريل ١٧٩٩ عند بئر عنبر ، فكان حسن الجداوى أكبر عائق فى وجه الفرنسيين فى الصعيد .

● للمزيد : يرجع إلى الرافعى : تاريخ الحركة القومية ، مرجع سابق ، ط١٩٥٧ ، جـ١ ، ص ص٣٧٦-٤٠٠ .

(٢) توافق ديسمبر ١٧٩٨ .

شأفة إبراهيم بيك الكبير ومن معه كما فعلت عساكره بمراد بيك ومن معه وأنه سيمهد الطرق ويجعلها فى أمن ويفتح باب التجارة بين مصر والشام ترويجاً لأرزاق مصر وتوسيعاً لنطاق ثروتها قال بونابرته ولا أغيب عنكم سوى شهر ثم أعود فابذل الجهد فى تحسين أحوال البلاد وترتيب جميع أمورها على النحو المرغوب بعون اللّه ولا أطالبكم إلا بالخلود إلى السكينة وملازمة الهدوّ ومراقبة أحوال العامة وحضهم على ملازمة السكون وعدم الاختلاط بالجند المقيمين بمصر والقاهرة وهذه وصيتى إليكم فاحفظوها فتعهدوا له بذلك . وقد سلم زمام القاهرة إلى الجنرال دوغا والصعيد إلى الجنرال ديزه والأسكندرية إلى الجنرال مرمون[1] وخرج إلى العادلية فى يوم الأحد خامس رمضان من السنة ومعه طوائف الجند وقاضى القضاة ومصطفى[2] بيك كتخدا الباشا وبعض المشايخ والمديرين والمترجمين وغيرهم من أصحاب الوظائف العالية وترك عدة من العساكر بالقلاع والأبراج التى أنشأها فلما وصل إلى قلعة العريش قاتله من بها من العساكر وعدتهم نحو الألف بين مغاربة وارنؤد فحاصر القلعة وضيق على من بها فأرسلوا يطلبون المدد من غزة فجاء إليهم قاسم بيك أمير البحرين ومعه طائفة كبيرة فلم يتمكن من الوصول إلى القلعة حيث هاجمه عساكر الفرنسيس وحالوا بينهم وبينها ثم كبسوا عليهم ليلاً فقتل قاسم بيك وقتل معه خلق كثير وفر من بقى

---

(١) عهد إليه نابليون إخضاع القسم الشمالى (البحيره) وتأمين مواصلات الجيش بطريق ترعة الأسكندرية والنيل وحماية شواطىء البحر من هجمات السفن البريطانية وتحصين المواقع التى يحتمل أن تنزل بها الجنود من جهة العجمى إلى رشيد ، وتحصين بوغاز رشيد وبوغاز البرلس . اشترك مرمون فى حادثة شباس عمير .

● عبد الرحمن الرافعى( تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر) ، ١٩٥٥م . ص٢٤٥ .

(٢) كان نائب الوالى ، قابل نابليون بعد واقعة الأهرام بالجيزة وعرض عليه تسليم المدينة له فى مقابل أن يتعهد بحماية الأرواح والأموال وطمأنينة السكان . تولى إمارة الحج . أتهم بالخيانة والعصيان وأمر نابليون العسكر بالقبض عليه وأن يختموا على داره . ويحبسوا أهله . وعزل من إماره الحج فى ٣٠ مارس سنة ١٧٩٩م وقيل أنه فر إلى الشام ولجأ إلى الجزار .

● عبد الرحمن الرافعى . المرجع السابق ، جـ٢ ، سنة ١٩٢٩ ، ص٥٤ .

● عبد الرحمن الرافعى ، المرجع السابق ، سنة ١٩٩٨ ، ص٩١ .

وهم النزر اليسير واشتد بونابرته فى حصار القلعة وضيق عليها من كل جانب فاستأمن من بقى فيها فأمّنهم وأنزلهم من القلعة وأدخل منهم بجيوشه من رام الدخول والانتظام فى سلكهم وصرف من لم يقبل إلى مصر تخفرهم طائفة من الفرنسيس ثم ارتحل إلى العريش واحتلها وكتب كتاباً إلى أهل الشام ونصه .

فرمان عام موجه من أمير الجيوش إلى أهل الشام قاطبة بسم اللّه الرحمن الرحيم وبه نستعين . من طرف بونابرته أمير الجيوش الفرنساوية إلى حضرة المفتين والعلماء وكافة أهالى نواحى غزة والرملة ويافا حفظهم الله تعالى . بعد السلام نعرفكم أننا حررنا لكم هذه السطور نعلمكم أننا حضرنا فى هذا الطرف لقصد طرد المماليك وعسكر الجزار عنكم وإلى أىّ سبب حضور عسكر الجزار وتعديه على بلاد يافا وغزة التى ما كانت من حكمه وإلى أىّ سبب أيضاً أرسل عساكره إلى قلعة العريش وبذلك هجم على أراضى مصر فلا شك كان مراده إجراء الحروب معنا ونحن حضرنا لنحاربه فأما أنتم يا أهالى الأطراف المشار إليها فلم نقصد لكم أذية ولا أدنى ضرر فأنتم استمروا فى محلكم ووطنكم ومرتاحين وأخبروا من كان خارجاً عن محله ووطنه أن يرجع ويقيم فى محله ووطنه ومن قبلنا عليكم ثم عليكم الأمان الكافى والحماية التامة ولا أحد يتعرض لكم فى مالكم ولا ما تملكه يدكم وقصدنا أن القضاة يلازمون خدمهم ووظائفهم على ما كانوا عليه وعلى الخصوص أن دين الإسلام لم يزل معززاً ومعتبراً والجوامع عامرة بالصلاة وزيارة المؤمنين . إن كل خير يأتى من اللّه تعالى وهو يعطى النصر لمن يشاء ولا يخفاكم أن جميع ما تأمر به الناس ضدنا فبغدر باطل ولا نفع لهم به ولأن كل ما نضع فيه يدنا لابد من تمامه بالخير والذى يتظاهر لنا بالحب يفلح والذى يتظاهر بالغدر يهلك ومن كل ما حصل تفهمون جيداً أننا نقمع أعداءنا ونعضد من يحبنا وعلى الخصوص لكوننا متصفين بالرحمة والشفقة على الفقراء والمساكين .

وسار بجيوشه إلى غزة فوصل فى ليلة التاسع عشر من رمضان إلى خان[1] يونس فباتوا ليلتهم وعند الفجر ساروا إلى غزة فشاهدوا قبل الظهر بقليل عساكر المماليك والجزار معسكرين أمامها فهاجموهم فلم تدافع عساكر المماليك إلا بالأمر الهين ثم ولوا جميعاً الفرار فتبعهم الفرنسيس وقاتلوا مؤخرتهم قتالاً يسيراً وبينما كانت العساكر الإفرنسية تطارد جند المماليك انعطف الجنرال كليبر بجيوشه إلى غزة فملكها واحتلها وأخذ ما فيها من الذخائر والشعير والبقسماط وزهاء الأربعمائة قنطار بارود واثنى عشر مدفعاً وعدداً عظيماً جداً من الخيام وغير ذلك من معدات الحرب وبعث إلى القاهرة ببعض الرايات التى غنموها من قلعة العريش وغزة صحبة طائفة من الجند فدخلوا القاهرة فى كبكبة عظيمة وبأيدى بعضهم تلك الرايات ومروا من وسط المدينة إلى الجامع الأزهر فاصطفوا رجالاً وركباناً بباب الجامع وضربوا طبولهم وأبواقهم ثم طلبوا شيخ الجامع فسلموه تلك الرايات وأمروه برفعها على منارات الجامع فنصبوا رايتين منها على المنارة الكبيرة وواحدة على منارة أخرى فلما رفعت تلك الرايات أطلقوا لها عدة مدافع من قلعة الجبل وكان ذلك ليلة عيد الفطر فلما كان عند الغروب أطلقوا عدة مدافع أيضاً إعلاماً بالعيد وطاف بعد العشاء أصحاب الشرطة ينادون بالأمان وخروج الناس على عادتهم لزيارة القبور بالقرافتين والاجتماع لصلاة العيد وأن يفعلوا جميع عوائدهم فى ذلك اليوم . وسارت جيوش بونابرته من غزة فى الثالث والعشرين من رمضان فوصلوا إلى الرملة فى الخامس والعشرين منه فانجلت عنها عساكر الجزار وولوا هاربين فدخلها فريق من الفرنسيس وملكوا ما فيها من الذخائر وآلات الحرب ثم قصدوا يافا فوصلت طلائع الجيش إليها فى الثامن والعشرين من رمضان ثم حاصروها شرقاً وغرباً فتم حصارها وشددوا عليها وسير بونابرته جيشاً آخر إلى عكا ليناوشها االقتال حتى يأتى إليها بجميع عساكره وخندق حول يافا وعمل المتاريس ووضعوا عليها المدافع العظيمة فخرج عساكر

(١) مدينة فلسطينية .

الجزار للقتال وهجموا على متاريس الفرنسيس هجمة شديدة للغاية فلاقاهم عسكر الفرنسيس وصدموهم صدمة قوية فكروا راجعين إلى المدينة وامتنعوا فى قلعتها فعند ذلك أرسل بونابرته خطاباً إلى والى يافا يعلمه بأن الغرض من حضوره إلى يافا إنما هو قهر عسكر الجزار وإخراجهم وأنه إن جنح إلى التسليم بالرضا كان ذلك فيه مصلحة للبلد وأهلها وحقن للدماء وإن أبى إلا الحرب فلا يمضى إلا قليل من الساعات حتى ينسف أسوار المدينة نسفاً ويعمل السيف فى رقاب أهلها حتى لا يبقى بها أحد فلما علم الوالى بما فى الخطاب قبض على رسول بونابرته ووضعه فى السجن ولم يجب بونابرته بشىء فلما غاب الرسول وانقطع الأمل من رجوعه أمر بونابرته فأطلقوا المدافع وتابعوا الرمى على المدينة بالقنابل وحمى الوطيس وارتفع الدخان إلى عنان السماء واشتد الرمى فلم يمض قليل من الزمن حتى تعطلت مدافع حصون يافا وتراسل الرمى من متاريس الفرنسيس ومازلوا حتى تهدم بعض السور وحمل الفرنسيس حملة رجل واحد على السور فملكوا الأبراج ودخلوا المدينة عنوة وأعملوا السيف فى أهلها واشتد الأمر ونهب العسكر المدينة وأخذوا جميع ماصادفوه فكان يوم وليلة يشيب من هولها الرضيع ثم أمر بونابرته بالكف عن القتل والنهب فكان الموتى لا يكادون يدخلون تحت حصر . وكان بمدينة يافا عدد كبير من أهالى مصر ودمشق الشام وحلب وغيرها فرسم بونابرته برجوع كل فريق منهم إلى وطنه سواء كان من المحاربين أو غير المحاربين وجمع الغنائم فكانت شيأ كثيرا من الأموال والمتاع والسلاح والكراع وغير ذلك فأرسل بعضها إلى مصر مع بعض رايات عسكر الجزار وعددها ثلاث عشرة راية فرفعت على منارات الجامع الأزهر وأنزلوا ما كان عليها من رايات قلعة العريش وأطلقوا لذلك عدة مدافع من قلعة الجبل ثم سار بونابرته بعساكره إلى حيفا ففتحها وغنم ما فيها فكان شيأ كثيراً جداً وانتقل إلى عكا فحاصرها فتمنعت عليه فشدد فى حصارها وضيق وهى لا تزداد إلا منعة قد طال حصارها .

وبينما كان بونابرته يقاتل أهل الشام ويفتح مدنها وبلدانها كان عساكره بمصر يقاتلون أيضاً الهاربين من الأمراء المصريين ويبددون شملهم بالصعيد والشرقية ودمنهور ويتبعون خطوات الألفى أينما سار فلما ضاق بالألفى رحب الصعيد نزل فى قلة من أصحابه من خلف الجبل ولحق بالشرقية وراسل قبائل العربان ومن بقى من المماليك فانضم إليه منهم جماعة كثيرة وتأهبوا لقتال الفرنسيس فسارت لقتالهم طائفة من العسكر وسارت أخرى أيضاً إلى دمنهور لقتال أهلها حيث خرجوا على العمال وجباة الأموال وشقوا عصا الطاعة وتبعوا رجلاً مغربياً نزل على دمنهور وادعى المهدوية وصار يدعو الناس ويحرّضهم على القتال والجهاد فاجتمع إليه كثير من أهل البحيرة وغيرهم وجاؤا إلى دمنهور وقاتلوا من بها من الفرنسيس وطردوا العمال واستمروا على ذلك أياماً كثيرة وجعل ذلك المغربى يكاتب البلاد ويحض أهلها على القتال فلما وصلت إليها العساكر الفرنساوية قاتلتها وأعملت فيها السيف وأفحشت فى القتل والنهب وأراقت فيها من الدماء شيأ كثيراً جداً ونهبت ما وجدته فكان شيأ لا يكاد يدخل تحت حصر وقتل فى هذه الوقعة ذلك المغربى وكثير من أخصائه وكبار دعوته . وجاء الخبر بذلك إلى بونابرته وهو على حصار عكا ففرح وبالغ فى الحصار وأجهد النفس وتابع الرمى بالقنابل عليها فلم ينل منها مناله وامتنعت عليه فصمم على تركها والعود إلى مصر وكتب إلى قائده بمصر يقول . إعلم أيها الصديق أنه ما حملنى على ترك حصار عكا والعود إليكم إلا خمسة عشر سبباً الأول قيام عسكرنا أمام أسوارها ستة أيام بدون حرب حتى وصل إليها بعض ضباط الإنجليز فحصنوها تحصيناً هندسياً قد زاد فى منعتها الثانى أخذ الإنجليز لمراكبنا الكبيرة الستة بما فيها من المدافع عند يافا الثالث كثرة الموات فى عسكرنا بالطاعون واشتداده الرابع عدم حصول عسكرنا على الأقوات الكافية بأسباب خراب البلاد المجاورة لعكا الخامس اضطراب ضباطنا من حوادث الصعيد وعصيان مراد بيك الكبير وموت طائفة كبيرة من الجنود الفرنساوية فى

تلك الأصقاع السادس خروج الحجازيين مع الكيلانى إلى الصعيد السابع خروج المغربى[1] المدعو محمد ومن خرج معه من أهالى البلاد الثامن ضبط مراكب الإنجليز لبوغاز الأسكندرية ودمياط التاسع وقوف عمارة الروس أمام رودس العاشر ورود الخبر بنقض الصلح بين أمتنا والأمة النمساوية بتحريض الإنجليز الحادى عشر موت تيبو أحد ملوك الهند أعداء الإنجليز وقد كان بينى وبينه عهد قبل نزولى بعكا الثانى عشر موت كفرللى الذى قد عملت المتاريس برأيه وإشارته وعجزى عن تعيين آخر مكانه لا يلبث أن يغير هيئة تلك المتاريس فيحوجنا إلى عطلة لابد منها . وكفرللى هذا هو المعروف بأبى خشبة وهو من فحول أركان حرب بونابرته . الثالث عشر نزول مصطفى باشا من القسطنطينية بمراكب الإنكليز وسيره إلى مياه الأسكندرية الرابع عشر وقوف مراكب الإنكليز أمام عكا الخامس عشر ما رأيناه من وجوب إطالة الحصار إلى أربعة أشهر على الأقل مع ما وراء ذلك من الارتباك والأخطار التى ذكرناها فهذه يا صديقى هى الأسباب الحاملة لى على ترك الحصار والعود إليكم . أ هـ

وكان الإنجليز قد هيجوا على بونابرته الخواطر وحزبوا عليه سائر أهالى الشام من المسلمين والنصارى وأرسل سفيرهم المقيم فى دار السلطنة منشورات إلى لبنان يحض فيها مشايخ وأمراء تلك الأصقاع على الخروج على بونابرته وجيوشه ومد يد المساعدة للدولة العثمانية وأرسل إلى كبار النصارى منهم صورة منشوركان أصدره بونابرته يقول فيه أنه هدم أركان الديانة النصرانية وقوّض

(١) وهو الشيخ الناسك محمد بن عبد الرحمن اليوسى المغربى . جاء إلى مصر وحج ورجع ونزل بدار الحاج مصطفى الهجين العطار ، بعيداً عن خلطة الناس ، والسعى على طريقة حميدة ومذاكرة حسنة ، ويأتى إليه الناس يزورونه ويتبركون به ويسألونه الدعاء ، ويستفهمون منه المسائل ، مرض وتوفى يوم الثلاثاء ٢٨ محرم سنة ١٢٢٨هـ - ٣١يناير سنة ١٨١٣م . ودفن بجانب الخطيب الشربينى بتربة المجاورين ، وهى القرافة الكبرى .

● عبد الرحمن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) تحقيق أ .د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٤ ، سنة ١٩٩٨ ، حاشية١ ، سنة ٣١٠ .

بنيانها فكان لنشر هذا المنشور بينهم أثر مؤلم جداً فتحزبوا عليه ومنعوا من إعطائه الدقيق والخمر والمؤنة للعسكر ولاسيما البارود وكانت السفن الإنكليزية تمخر فى البحار طولاً وعرضاً وتضرب كل ما تصادفه من مراكب الفرنسيس وتدمرها تدميرا ورست أمام أسوار عكا بحراً وجعلت تتابع رمى القنابل على معسكر بونابرته ليلاً ونهاراً حتى عرقلت مساعيه وأضعفت أمانيه وبلغت منه الروح التراقى فارتحل عن عكا فى الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة أربع عشرة ومائتين وألف يريد مصر بجميع جيوشه وأركب الجرحى والمرضى منهم على دواب الحمل وخيول الفرسان وسار الجيش يطوى تلك الصحارى طياً لعله يدرك القاهرة فقاسوا الشدائد والأهوال وأعمل فيهم الظمأ وتفشى فيهم الوباء وكانت مراكب الإنجليز تتعقبهم فى البحر وترمى عليهم القنابل كلما اقتربوا فى طريقهم من ساحل البحر والعربان تتبعهم من خلف تشن الغارة على مؤخرتهم كل قليل وكذلك كانت الجيوش العثمانية تزحف خلفهم مرحلة بعد مرحلة فكانوا لذلك يخربون كل بلد أو مدينة يمرون بها كى لا تتمكن خصومهم من الاستيلاء عليها فلما جاؤا العريش أمر بونابرته فبالغوا فى تحصينها ومنعتها ولبثوا بها أياماً ولا ماء عندهم وكان القيظ شديداً جداً فكانوا يأتون بالماء من بعض المستنقعات الآجنة فيشربونه وهو مشحون بالديدان والعلق فكان العلق يلصق بأفواههم ويمتص دماءهم ثم رحلوا عن العريش فوصلت مقدماتهم ضواحى القاهرة فى يوم الثلاثاء سابع المحرم سنة أربع عشرة[١] ومائتين وألف هجرية وأخبروا بوصول بونابرته إلى الصالحية فلما كانت ليلة الجمعة عاشره أرسلوا إلى المشايخ والأعيان للخروج لملاقاته فاجتمعوا بالأزبكية عند الفجر بالمشاعل ودقت الطبول فركبوا وركب جميع أرباب الوظائف العالية والمديرون ونائب بونابرته مع كبار العسكر وساروا إلى العادلية فقابلوا بونابرته وسار معهم فى خواصه ودخلوا إلى القاهرة من باب النصر فى موكب حافل للغاية وأمامهم

---

(١) ١١ يونيه سنة ١٧٩٩م .

الطبول وخلفهم المركبات والأحمال وساروا على هذا الحال إلى أن دخل بونابرته داره بالأزبكية وأطلقوا عدة مدافع فلم تكد تستقر ببونابرته وجيوشه الراحة من غزوة الشام وقيظ تلك الصحارى حتى جاء الخبر بانحدار مراد بيك وأصحابه فراراً من الفرنسيس ونزوله بدهشور[١] أياماً ثم ارتحاله منها إلى نجع[٢] الطرانة ثم إلى البحيرة من خلف الجبل فأغضبه هذا الخبر وعبر النيل من فوره فى عسكره ونزل على نجع الطرانة ودهشور وضربهما وأهلك منهما خلقاً كثيراً جداً فعلم بعد ذلك أن مراد بيك عاد ثانياً إلى الأقاليم القبلية وأن عثمان بيك الشرقاوى وسليمان أغا الوالى وآخرين مروا من خلف الجبل إلى ناحية الشرق فسير بونابرته لقتالهم برتلمان الرومى فى عسكر عظيم من أخلاط الروم والمماليك والقبط والفرنجة فأدركوهم على مقربة من مدينة بلبيس وأتوهم من خلف الطريق المسلوك فأخذوهم غيلة وكان فى هذا الحين عثمان بيك يغتسل فلما أحسوا به بادروا جميعاً إلى الفرار وركبوا وركب عثمان بيك بقميص واحد وطاقية على رأسه وهربوا وتركوا ثيابهم ومتاعهم وذخرتهم وجميع ما كان معهم حتى قدور الطعام على النار ووجدوا على فراش عثمان بيك مكاتيب من إبراهيم بيك الكبير يستدعيهم إلى الحضور إليه بالشام . وشاع الخبر عقب ذلك بأيام بحضور مراكب كثيرة أمام مدينة الأسكندرية وأبى قير وأن بها كثيراً من الجنود العثمانية فكثر لغط الناس وتحدثهم بهذا الأمر وتحقق الخبر بخروج طوائف الفرنسيس

---

(١) اسم بلدة معروفة بمحافظة الجيزة ، وموقعها إلى الجنوب من صقاره وعندها جبانة أثرية ضخمة بها خمسة أهرامات اثنان منها للملك سنفرو ، وثلاثة لفراعنة الدولة الوسطى ومن حول الجميع جبانات من عهد الدولتين القديمة والوسطى .

● إشراف شفيق غربال (الموسوعة العربية والميسرة) سنة ١٩٦٥ ، ص٨٠٧ .

(٢) من القرى القديمة ، اسمها المصرى (Ter Rannout) والرومى (Terenouthis) وذكرت فى المصادر العربية باسم (ترنوط) ، وفى الروك الصلاحى وردت (الطرانة) وهى إحدى قرى مركز كوم حماده محافظة البحيره .

●عبد الرحمن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) تحقيق أ . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ج٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص١٢٨ .

وعبورهم النيل إلى الجيزة واهتمامهم بإعداد مهمات الحرب وآلات القتال ثم خروج بونابرته أيضاً ومعه المعلم إبراهيم الجوهرى واهتم حنا[١] بنتو متولى ساحل بولاق بجمع المراكب وشحنها بالمعدات والذخيرة وغيرها وأقام بونابرته فى مخيمه بجانب الأهرام حتى تكامل الجيش وسير المقدمة وركب هو فى ثانى يوم وهو الثلاثاء ثانى عشرى صفر سنة أربع[٢] عشرة ومائتين قاصداً الأسكندرية فلم يكد يصل بجميع جيوشه إلى البحيرة حتى جاءته الأخبار بنزول فريق عظيم من العساكر العثمانية على أرض أبى قير فجد فى السير يريد الوصول على عجل . قال صاحب[٣] عجائب الآثار وكتب بونابارته إلى أرباب الديوان بمصر خطاباً يقول فيه . لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ إلى محفل الديوان بمصر المنتخب من أحسن الناس وأكملهم بالعقل والتدبير عليكم سلام اللّه تعالى ورحمته وبركاته بعد مزيد السلام عليكم وكثرة الأشواق الزائدة إليكم نخبركم يا أهل الديوان المكرمين العظام بهذا المكتوب أننا وضعنا جماعات من عسكرنا بجبل الطرانة وبعد ذلك سرنا إلى إقليم البحيرة لأجل ما نردّ راحة الرعايا المساكين ونقتص من أعدائنا المحاربين وقد وصلنا بالسلامة إلى الرحمانية وعفونا عفواً عمومياً عن كامل أهل البحيرة حتى صار أهل الإقليم فى راحة تامة ونعمة عامة وفى هذا التاريخ نخبركم أنه وصل ثمانون مركباً صغاراً وكباراً حتى ظهروا بثغر الأسكندرية وقصدوا أن يدخلوها فلم يمكنهم الدخول من كثرة البنب والكلل النازلة عليهم فرحلوا عنها وتوجهوا يرسون بناحية أبى قير وابتدؤا ينزلون فى البر وأنا الآن تاركهم وقصدى أن يتكامل الجميع فى البر وأنزل عليهم اقتل[٤]

---

(١) كان يعمل وكيل الديوان .

● عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص١٢٧ .

(٢) ١٦ يوليو سنة ١٧٩٩م .

(٣) الجزء الثالث ص١٢٨ .

● عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، تحقيق عبدالرحيم عبدالرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص١٢٨ .

(٤) القتل .

من لا يطيع وأخلى بالحياة الطائعين وآتيكم بهم محبوسين تحت السيف لأجل أن يكون فى ذلك شأن عظيم فى مدينة مصر والسبب فى مجىء هذه العمارة إلى هذا القطر العشم بالاجتماع على المماليك والعربان لأجل نهب البلاد وخراب القطر المصرى وفى هذه العمارة خلق كثير من الموسكو الأفرنج الذين كراهتهم ظاهرة لكل من كان يوحد اللّه وعداوتهم واضحة لمن كان يعبد الله ويؤمن برسول اللّه يكرهون الإسلام ولا يحترمون القرآن وهم نظرا لكرههم فى معتقدكم يجعلون الآلهة ثلاثة وإن الله ثالث تلك الثلاثة تعالى اللّه عن الشركاء ولكن عن قريب يظهر لهم أن الثلاثة لا تعطى القوة وأن كثرة الآلهة لا تنفع بل أنه باطل لأن االله تعالى هو الواحد الذى يعطى النصرة لمن يوحده هو الرحمن الرحيم المساعد المعين المقوى للعادلين الموحدين الماحق رأى المفسدين المشركين وقد سبق فى علمه القديم وقضائه العظيم أنه أعطانى هذا الإقليم وقدّر وحكم بحضورى عندكم لأجل تغييرى الأمو الفاسدة وأنواع الظلم وتبديل ذلك بالعدل والراحة مع صلاح الحكم وبرهان قدرته العظيمة ووحدانيته المستقيمة أنه لم يقدّر للذين يعتقدون أن الآلهة ثلاثة قوى مثل قوتنا فلم يقدروا أن يعملوا الذين عملناه ونحن المعتقدون وحدانية الإله ونعرف أنه العزيز القادر القوى القاهر المدبر للكائنات والمحيط علماً بالأرضين والسموات القائم بأمر المخلوقات هذا ما فى الآيات والكتب المنزلات ونخبركم بأن المسلمين إن كانوا بصحبتهم يكونوا من المغضوب عليهم لمخالفتهم وصية النبى عليه أفضل الصلاة والسلام بسبب اتفاقهم مع الكافرين الفجرة اللئام لأن أعداء الإسلام لا ينصرون الإسلام ويا ويل من كانت نصرته بأعداء اللّه وحاشا اللّه أن يكون المستنصر بالكفار مؤيداً أو يكون مسلماً ساقتهم المقادير للهلاك والتدبير مع الثقالة والرذالة وكيف لمسلم أن ينزل فى مركب تحت بيرق الصليب ويسمع فى حق الواحد الأحد والفرد الصمد من الكفار كل يوم تخريفاً واحتقاراً لاشك أن هذا المسلم فى هذا الحال أقبح من الكافر الأصلى فى الضلال نريد منكم يا

أهل الديوان أن تخبروا بهذا الخبر جميع الدواوين والأمصار لأجل أن يمتنع أهل الفساد من الفتنة بين الرعية فى سائر الأقاليم والبلاد لأن البلد الذى يحصل فيه الشر يحصل لهم مزيد الضرر والقصاص انصحوهم يحفظوا أنفسهم من الهلاك خوفاً عليهم أن نفعل فيهم مثل ما فعلنا بأهل دمنهور وغيرها من بلاد الشرور بسبب سلوكهم المسالك القبيحة قاصصناهم والسلام تحريراً فى الرحمانية يوم الأحد خامس عشر صفر سنة أربع[1] عشرة ومائتين وألف هجرية انتهى بنصه . قلت وفى هذا الخطاب إن كان صحيحاً من النقد على بونابرته والتعييب ورميه بالغش والخديعة ما يزرى ويحط بعظمته ويذهب بشهرته .

وسار بونابرته بجيوشه حتى نزل على أبى قير واقتتل مع الجيوش العثمانية التى كانت بالقلاع قتالاً عنيفاً وما زال حتى قهرها واسترد منها ما أخذته من القلاع والحصون وأخذ مصطفى باشا أمير[2] الجيوش العثمانية أسيراً وكذلك عثمان[3] خجا الذى كان عاملاً على رشيد على عهد إبراهيم بيك الكبير وقتل من العساكر العثمانية خلقاً كثيراً وغنم الفرنسيس من آلات الحرب والذخيرة والمؤن وغير ذلك ما لا يكاد يدخل تحت الحصر ثم قفل بونابرته راجعاً بجيوشه ورايات النصر تخفق على رؤسهم فدخل القاهرة ليلة الأحد التاسع من ربيع الأول

---

(١) ١٩ يولية ١٧٩٩م .

(٢) كان قائم مقاماً بالجيش ، ووكيلاً عن الصدر الأعظم وسكن ببيت عبد الرحمن كتخدا بحارة عابدين ، وكان شجاعاً ورئيساً حازماً ، إعترف له أعداؤه بإقدامه فى واقعة أبو قير ، وكاد يبيدهم لولا ما دهمه من تزايد مددهم الكثير فى ليله ٢٠ صفر ، سنة ١٢١٤هـ/ ٢٤يولية سنة ١٧٩٩م أخذ السيد مصطفى باشا أسيراً ، وفى ربيع الأول سنة١٢١٥هـ- ٢٣يوليه - ٢١ أغسطس سنة ١٨٠٠م ، أنزلوه من الحبس وأرسلوه إلى دمياط ، وتوفى بها .

● عبد الرحمن الجبرتى (مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس) ، تحقيق أ . د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، سنة ١٩٩٨ ، ص١٦٦ ، ص٢٠٥ .

(٣) قلده صالح بك ثغر رشيد ، أسره الفرنسيون بالأسكندرية عندما انتصروا على الجيش العثمانى بقيادة مصطفى باشا ، فى معركة أبو قير البحرية وأمر بونابرت بقتله .

● عبد الرحمن الجبرتى «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار» ، تحقيق أ . د . عبد الرحيم عبد الرحيم ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، ص١٠٦ .

من السنة ومعه عدة كثيرة من أسرى المسلمين وشاع الخبر بحضوره فى تلك الليلة فلم تصدق الناس ذلك وذهب جماعة ليتحققوا الخبر على جليته فشاهدوا الأسرى وقوفاً فى وسط بركة الأزبكية وبقوا كذلك إلى ظهر اليوم ثم أرسلوا بعضهم إلى جامع الظاهر بيبرس خارج الحسينية وأصعدوا باقيهم إلى قلعة الجبل وبعثوا بمصطفى باشا إلى الجيزة وسيروا عثمان خجا إلى أسكندرية فكان لهذا الحادث أثر مؤلم فى خواطر المصريين فقد كانوا يتمنون الخلاص على يدى أولئك المقاتلين فخابت منهم الآمال . ولما استقر ببونابارته المقام أمر بعثمان خجا فنقل من الأسكندرية إلى رشيد وأدخلوه إليها فى طائفة من العسكر مكشوف الرأس حافى الأقدام وطافوا به حول البلد وهو على هذا الحال ثم ساروا به إلى بيته الذى كان يسكنه قبل فراره إلى القسطنطينية وأوقفوه أمام بابه واحتزوا رأسه وعلقوها على إحدى نوافذ الدور الأعلى ليراها الناس كافة . وعاتب بونابارته أرباب الديوان بمصر على عدم ولائهم وإخلاصهم للفرنسيس وخص بشديد العتاب الشيخ المهدى والشيخ الصاوى فلاطفاه وسايراه حتى أزالا عنه ما كانا يخشيانه ولبث بونابارته يدبر الأمور على ما يشاء إلى أن كان يوم الإثنين سادس عشر ربيع الأول من السنة ركب من القاهرة وخرج خروج المسافر فى قلة من خواصه وسار إلى الأسكندرية فلما نزل بها استقدم الجنرال منو[1]

---

(١) ولد جاك فرانسوا منو سنة ١٧٥٠ من عائلة عريقة فى النسب وانتظم فى الجندية ، ولما اقترب عصر الثوره الفرنسية كان مؤمناً بمبادئها ، وانتخب سنة ١٧٨٩ عضوا فى الجمعية العمومية ، وبالرغم من أنه من نواب الأشراف فإنه انضم إلى نواب الشعب وأعلن تنازله عن امتيازاته ورتبته (بارون) وعاد إلى سلك الجندية بعد انحلال الجمعية الوطنية الفرنسية الأولى . وعندما أحس منو بتألق نابليون فى سماء العبقرية والعظمة أخذ يتملقه ومن هنا جاء عطف نابليون عليه ، وقد اصطحبه ضمن قواد الحملة الفرنسية ، وأصيب (منو) بجرح فى حصار الأسكندرية وعينه نابليون حاكماً لرشيد ، وكان مطلوب منه أن يحمى البوغاز من غارات الأسطول الإنجليزى ، ويحمى مواصلات الجيش بالأسكندرية عن طريق فرع رشيد ، ويتولى الإدارة المدنية لمنطقة رشيد ويخضع حركات التمرد ، وقد أعلن إسلامه وتزوج السيده زبيده من رشيد كريمة السيد محمد البواب أحد أعيان رشيد وأنجب منها ولداً .

● على أن الجنرال (منو) لم يكن معروفاً بالحكمه ولا بحس السياسة ، وقد استعمل الغلظة مع الأهالى بالرغم من أنه كان يعد الأهالى بحسن المعاملة .

●عبد الرحمن الرافعى (تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر) جـ٢ ، سنة ١٩٥٨م ، ص١٩٣ . و جـ٢ ، سنة ١٩٥٥ ، ص٢٤٦ إلى ٢٥٠ .

وولاه قيادة الإسكندرية وولى الجنرال كلابير[1] نيابة الغيبة بمصر وكتب له بذلك مرسوماً ثم أعلم الأميرال جانتوم[2] بعزمه فأعد له دارعتين عند العجمى فلما رتب أموره على ما أراد ركب ليلاً فى قلة من خواصه ونزل بإحدى الدارعتين وبات ليلته تلك وأقلع صباحاً وقد تركوا خيولهم على البر ولم يعلم أحد بخبر قيامه إلى عاصمة الفرنسيس حتى جاء كتابه إلى الجنرال دوجيه بمصر فتلاه على أرباب المجلس فكان مضمونه قيام بونابارته من الأسكندرية إلى باريز ليمهد لعمارته البحرية المسالك والعقبات التى أحدثتها سفن الإنجليز فى سبيلها وأنه لا يتغيب عن مصر أكثر من ثلاثة أشهر وأنه أقام على مصر الجنرال كلابير نائب الغيبة فلما قرىء هذا الخطاب أخذ العجب من أرباب المجلس مأخذه وكادوا لا يصدقونه لملازمة مراكب الإنجليز مياه الأسكندرية صيفاً وشتاء ومنعها جميع المواصلات بالأسكندرية فكرروا على الأمير دوجيه السؤال فأكد لهم سفر بونابارته فى يوم الجمعة حادى عشرى ربيع الأول من السنة وحضر الأمير كلابير من معسكره بدمياط إلى القاهرة ونزل فى مكان بونابرته ببيت الألفى بالأزبكية فذهب المشايخ والأعيان وأرباب الديوان لزيارته فلم يروا منه صدراً رحباً ولا وجهاً باشاً كما كانوا يرون من بونابارته وركب فى ثانى يوم فى موكب حافل للغاية وصعد إلى قلعة الجبل وأمامه طائفة كبيرة من القواصة بالعصى يأمرون الناس بالقيام إجلالاً له وخلفه عدة كبيرة من الفرسان والمشاة وطوائف الأجناد والوالى والأغا وغيرهما ولبث بالقلعة ساعة ثم رجع إلى مقعده وكان رجلاً حازماً واسع التأمل كبير الفكر عظيم الخبرة بفنون السياسة والحرب فلما استقر به المنصب كتب إلى أرباب الحل والعقد بباريز عاصمة الفرنسيس يقول ما ترجمته .

---

(١) كليبر .

(٢) كلفه نابليون بعد موقعة أبو قير أن يجمع بقايا السفن السليمة بعد المعركة وينظمها من جديد على أن يكون قومنداناً لها .

●عبد الرحمن الرافعى (تاريخ الحركة القوميه وتطور نظام الحكم فى مصر) ، جـ١ ، سنة ١٩٥٥ ، ص٢٣١ .

قد رحل بونابارته عن مصر إلى باريز ولم يخبر بخبره أحد ولم أكن لأعلم بذلك إلا بعد أن أتانى خطابه وقد علمت أنه أرسل بكتاب أيضاً إلى صدر الدولة العثمانية بعد علمه بوصول الصدر المشار إليه إلى دمشق الشام ولا يخفاكم أنه لم يكن لنا عدوّ سوى المماليك فقط أما الآن فقد أصبح أعداؤنا غير المماليك وهم كل من دولة الإنجليز والدولة العثمانية ودولة الروس وقد صارت جنودنا فى نصف العدد الذى احتلت به ديار مصر وهم مع ذلك متفرقون فى جوف البلاد من العريش والأسكندرية إلى جزيرة أسوان وليس لديهم من معدات الحرب ما يكفيهم لتعطيل معامل الأسلحة والبارود وكذلك ليس عندهم من الثياب ما يقيهم من أمراض البلاد ولا مال عندنا بقدر الكفاية إذ خسرت الخزينة زهاء اثنى عشر ألف ألف من الفرنكات هذا وإن كنا قد ضربنا المماليك فمزقنا جمعهم ولكن ما برح مراد بيك الكبير يقاتلنا فى الأقاليم القبلية فى عدة وافرة من الرجال وأخلاط الناس ولا سبيل إلى التغلب عليه إلا بعد أيام كثيرة وقد جاء صدر الدولة العثمانية من القسطنطينية إلى دمشق الشام من أجل الزحف علينا وقتالنا فلا نعلم ما سيكون من وراء ذلك أما حصوننا وقلاعنا فلا تزيد فى قوتنا شيأ ومنها حصن العريش فإنه لا يدفع مهاجماً وما الأسكندرية إلا شبه معسكر تحيطه زريبة فلذلك أرى أن أنجح الوسائل وأفلحها أن تفتح المخابرة مع الدولة العثمانية عسى نتفق على ما يكون فيه المصلحة فقد علمت اليوم أن عمارة عثمانية عظيمة رست أمام حصون دمياط . أ هـ

وجاء الخبر بانحدار مراد بيك الكبير إلى الفيوم وعبثه بالبلاد وتكليف أهاليها بالمغارم والكلف فأرسل لقتاله عسكرا فساروا والتقوا معه ووقعت بينهم وقائع عدة ثم ترددت بين مراد بيك وبين الأمير كلابير الرسل والمراسلات وتكلموا فى أمر الصلح فاتفقوا على شروط منها تقليد مراد بيك إمارة الصعيد من قبل دولة الفرنسيس فوقعت بينهما هدنة على ذلك وكادت تتم لمراد بيك

الإمارة وتفرغ الأمير كلابير إلى غير ذلك فحصن الصالحية والقرين[1] وبلبيس وأكثر فيها من الأسلحة والذخيرة ورتب الأربطة وهيأ الحصون وحصن الأبراج وبالغ فى ترتيبها فكانت الأخبار تزداد وروداً بتجمع العساكر السلطانية فى الديار الشامية وقرب حلولها بمصر لإخراج الفرنسيس منها وإجلائهم عنها وكان لما سافر بونابرته إلى باريز وترك الأمر فى مصر إلى الأمير كلابير طمعت الدولة العثمانية فى استخلاص البلد من أيدى الفرنسيس وزادها رغبة فى ذلك السير سدنى سمث أمير السفن الإنجليزية فرسم السلطان إلى يوسف باشا الصدر الأعظم يومئذ بالذهاب إلى الشام ليجمع منها الجند والعسكر ويسير بهم براً إلى مصر وسير جيشاً آخر على ظهر العمارة الإنجليزية ومعه كثير من ضباط الإنجليز وكبار الحرب فسارت العمارة بمن فيها حتى أتت دمياط ونزل من كان بها من العسكر فى قلعة متخربة شرقى البوغاز فخرج الفرنسيس لقتالهم فحاصروهم وضربوهم حتى أجلوهم عنها وقد مات منهم خلق كثير ولم ينالوا من الفرنسيس أما يوسف باشا فإنه لما نزل بالشام ومن معه من كبار السلطنة قيل أنهم عسفوا فى البلاد وضربوا على أهلها الضرائب الفادحة وجبوا الأموال كرهاً وعاثوا فى الأرض مفسدين فكانت شدة عظيمة على أهل الشام وما زالوا على هذا الحال حتى رحلوا عنها وجاؤا إلى غزة فى منتصف رجب من السنة ثم العريش وحاصروا من بها من الفرنسيس وقاتلوهم حتى ملكوا قلعتها فى التاسع عشر من رجب المذكور وغنموا جميع ما كان بها من الذخيرة وآلات الحرب ودخل قائد الجيوش السلطانية وجماعة كبيرة من عسكره وبعض الأمراء المصريين إلى القلعة بعد انسحاب الفرنسيس منها ورفعوا عليها أعلامهم وضربوا طبولهم وأبواقهم فرحاً بأخذها من أيدى الفرنسيس وكان الفرنسيس قد تركوا فيها جندياً

---

(١) قرية قديمة ، وردت فى المصادر العربية القديمة وهى إحدى قرى مركز أبو حماد ، محافظة الشرقية .

● عبد الرحمن الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) ، تحقيق أ . د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، سنة ١٩٩٨ ، حاشية٥ ، ص٢٤٦ .

عند مخازن البارود مختفياً فلما صاروا جميعاً داخل القلعة ألهب البارود وكان شيأ كثيراً للغاية فزلزلت الأرض فى الحال زلزالها وتطايرت أبنية القلعة بمن فيها كافة فمزقتهم عن آخرهم وتطايرت أشلاؤهم إلى عنان السماء ومات كثير من العساكر الذين كانوا خارجاً عنها بما سقط عليهم من النيران والأحجار المتطايرة ولم يبق إلا نفر قليل فكان حادثاً مريعاً جداً ومنظراً تقشعر منه الأبدان وقد تغطى وجه الأرض بالأشلاء والعظام والمشامش المتفتتة وجاءت الأخبار إلى الأمير كلابير[1] فخرج بعسكره من القاهرة وسار مسرعاً إلى الصالحية وضم إليه من بقى من عسكر قلعة العريش وكان قبل دخول العساكر السلطانية إلى قلعة العريش قد ترددت الرسل بين الفرنسيس والعثمانيين على يد أمير الدوارع[2] الإنجليزية بشأن تقرير الصلح على قاعدة صالحة للفريقين وجاءت مكاتبة من يوسف باشا إلى مقدم الفرنسيس باستدعاء رجلين ليتشاور معهما على أمر يكون فيه المصلحة للفريقين فوجهوا إليه رئيس الكتاب بوسليك[3] والأمير ديزه أمير جيوش لصعيد فسار بحراً وغابا أياماً افتتح فى خلالها العثمانيون قلعة غزة والعريش وجاؤا إلى الصالحية فى الثانى والعشرين من شعبان من السنة ومعهم رئيس كتاب الدولة والدفتردار ثم حضروا جميعاً إلى القاهرة لتقرير الصلح وقد جنح الفريقان إليه حقناً للدماء وأظهر الفرنسيس من المسايرة ما أؤتمن معه جانبهم وزال عن رجال الدولة الخوف من مكرهم فحصل الاتفاق على مصالحة تضمنت اثنين وعشرين شرطاً وهى معربة .

---

(١) الأمير كلابير : القائد الفرنسى كليبر .

(٢) أمير الدوارع الإنجليزية : قائد السفن المقاتلة فى الأسطول .

● محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ــ المرجع السابق ، ص٧٢٢ .

(٣) بوسليك : أحد الضباط الفرنسيين فى الحملة وكان يقوم بأعمال السكرتارية واسمه بالأفرنجية Poussielgue .

● مظهر التقديس : تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص٧٥ .

قد صار الاتفاق ما بين كل من الجنرال ديزه والجنرال بوسيلك مدير الحدود العام النائبين عن الجنرال كلابير قائد عموم جيوش الفرنسيس بمصر من جهة وما بين سامى المقام مصطفى رشيد أفندى الدفتردار ومصطفى راسيه أفندى رئيس الكتاب المفوضين بكمال التفويض من قبل حضرة الوزير يوسف باشا من جهة أخرى على ما هو آت .

حقناً للدماء واستبقاء للنوع الإنسانى من غوائل الحروب وتوالى الخطوب قد رغب ديوان الجمهورية الفرنساوية فى عقد هذا العهد بإخلاء الديار المصرية من جميع الجيوش الفرنساوية رجاء أن تذهب الوحشة الموجودة الآن ما بين المشيخة[1] الفرنساوية والدولة العثمانية وتتوطد به أيضًا دعائم السلام فى أنحاء المغرب ولذلك قد صار التوقيع ممن ذكروا على الشروط الآتية عهداً وميثاقاً كافلين بإخلاء الديار المذكورة من جميع جيوش المشيخة المشار إليها .

الشرط الأول : تنسحب العساكر والأجناد الفرنساوية بجميع أسلحتها ومهماتها وآلات حربها وذخيرتها إلى ثغور الأسكندرية ورشيد وأبى قير ليسيروا منها على ظهور السفن التى ترد من جانب المشيخة وإن لم توجد فمن طرف الدولة العثمانية بقدر الكفاية وقد تعين لذلك مدة شهر واحد وبعد مضى هذه الوعدة[2] التى تبتدىء من تاريخ التوقيع على هذه الشروط يحتل بقلعة الإسكندرية نائب من قبل الباب العالى ومعه خمسون شخصاً .

الثانى : تحصل المهادنة[3] مدّة ثلاثة أشهر لا يحصل فيها حرب بكامل الديار المصرية اعتباراً من تاريخ التوقيع على هذا العقد وإذا انقضت هذه المدة قبل أن ترد السفن من طرف الدولة العثمانية اللازمة لنقل جميع العساكر جاز تمديدها لأجل تتمكن معه الدولة المشار إليها من إعداد السفن اللازمة لذلك

(١) المشيخة الفرنساوية : القيادة الفرنسية .

(٢) الوعدة : الموعد المحدد .

(٣) المهادنة : يقصد الهدنة .

ووجب محافظة كل من الفريقين على ما بيده من المواقع والحصون والقلاع منعاً لما عساه أن يحدث من الفتن بأسباب دخول العساكر العثمانية أو من خروج الأهالى عن الطاعة .

الثالث : انسحاب الجيوش الفرنساوية وتسييرها يكون بأوامر وتعليمات كل من يعينه لذلك الباب العالى والأمير كلابير أمير الجيوش المشار إليها وإذا وقع خلاف بين الوكيلين المذكورين يكون فض هذا الخلاف والحكم فيه موكولاً لعهدة السير سدنى سمث أمير الدوارع الإنجليزية ويجب أن يتبع فى فضه الأصول المقررة فى القوانين البحرية المرعية بالدولة الإنجليزية .

الرابع : إخلاء كل من قطية والصالحية من جميع الجيوش الفرنساوية يكون فى بحر ثمانية أيام بالأقل وعشرة أيام بالأكثر من تاريخ التوقيع على هذا العهد أما المنصورة فمن بعد خمسة عشر يوماً وأما دمياط وبلبيس فمن بعد عشرين يوماً والسويس تخلى كذلك قبل إخلاء مصر والقاهرة بستة أيام ولا تخلى البلدان والمحال الواقعة فى الجهة الشرقية من النيل إلا فى اليوم العاشر من إخلاء مصر والقاهرة وكذلك مصر السفلى لا تخلى بأجمعها إلا بعد خمسة عشر يوماً من التاريخ المذكور أما الجهة الغربية وما يتبعها فإنها تبقى بيد الفرنسيس إلى أن يتم جلاء جميع العساكر من الصعيد ومصر والقاهرة ويجب أن تسلم كل جهة من جميع الجهات التى كانت مقاماً للجيوش الفرنساوية بالحالة التى هى عليها .

الخامس : يصير إخلاء مصر والقاهرة بعد مضى أربعين يوماً على الأقل وخمسة وأربعين على الأكثر اعتباراً من تاريخ التوقيع على هذا العهد إن أمكن ذلك .

السادس : يتعهد الباب العالى أن لا يحصل للعساكر والأجناد الفرنساوية لدى انسحابهم من الجهات الغربية أدنى إهانة ولا أن يمسوا بأقل ضرر بحيث

يخرجون بكامل أسلحتهم وأمتعتهم وذخيرتهم بدون أن يلحق بأحد منهم إهانة لا من أفراد الأهالى ولا من أفراد العساكر العثمانية .

السابع : قياماً بهذا الشرط ومنعاً لما ربما أن يحدث يجب حتماً تبعيد مواقع العساكر الإسلامية عن مواقع العساكر الفرنساوية بقدر الاستطاعة .

الثامن : اعتباراً من تاريخ التوقيع على هذا العهد يطلق سراح جميع المسجونين من تبعة الدولة العثمانية على اختلاف أجناسهم فى جميع أنحاء القطر ما عدا من هم ببلاد الفرنسيس وكذلك يخلى سبيل جميع التبعة الفرنساوية المسجونين بكامل المدن والاساكل[1] والبنادر العثمانية ويعفى عن جميع من دخل فى خدمة مراسلات وقناصل المشيخة الفرنساوية .

التاسع : إعادة أملاك وأموال كل من رعايا الباب العالى ورعايا المشيخة الفرنساوية يناط برجال تنتخبهم حكومة الدولتين لذلك بالاستانة بحيث يحصل الشروع فى إجراء ذلك عقب إخلاء مصر والقاهرة من العساكر الفرنساوية .

العاشر : يعفى عمن كان له علاقة أيا كانت مع الجنود الفرنساوية من أهالى مصر على اختلاف مذاهبهم .

الحادى عشر : يعطى حتماً للجنود الفرنساوية تذاكر المرور اللازمة إما من قبل الدولة العثمانية أو من قبل الدولتين المتحدتين معها وهما دولة الروس والدولة الإنجليزية وكذلك لجميع السفن التى تحمل أولئك الجنود إلى أوطانهم ببلاد الفرنسيس .

الثانى عشر : يتعهد الباب العالى والدولتان المتحدتان معه بأن لا يحصل للجنود الفرنساوية ما يكدر صفو راحتهم وكذلك يتعهد الجنرال كلابير أمير

(١) الأساكل : جمع أسكلة أى مرفأ السفن .
● المجمع اللغوى : المعجم الوجيز ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص٣١٦ .

الجيوش الفرنساوية بأن لا يحصل من قبل عساكره ما لا يرضاه الباب العالى لا للسفن الحاملة لهم ولا للاساكل والثغور الخاصة بالباب العالى أو بالدولتين المتعاهدتين معه كما أنه لا يجوز للسفن المذكورة أن تعطف إلى أى أسكلة غير الأساكل الفرنساوية إلا عند الضرورة .

الثالث عشر : تنفيذاً لهذا العهد وملاحظة لإخلاء الأقطار المصرية من جميع العساكر والأجناد الفرنساوية فى بحر المدة التى وقع الاتفاق عليها قد اتفق الباب العالى والدولتان المتحدتان معه على أنه قد قدم إلى مصر فى خلال المدة المقررة للجلاء عنها سفن فرنساوية على غير علم من سفن الدولتين المتعاهدتين مع الباب العالى وجب قيامها على الفور بعد تزويدها بالماء والزاد ولزم رجوعها إلى الموانى الفرنساوية بلا مهل بناء على تذاكر المرور التى تعطى إليها من جانب الدولتين المتعاهدتين مع الباب العالى وإذا تبين أن إحدى تلك السفن تحتاج إلى ترميم أو تصليح فى بعض آلاتها وجب مكثها حتى يتم تصليحها ثم تقوم إلى الموانى الفرنساوية بمجرد موافقة الرياح لسيرها .

الرابع عشر : يتعهد الجنرال كلابير أمير الجيوش الفرنساوية أن يبلغ ما وقع الاتفاق عليه إلى أرباب الحل والعقد بفرانسا[1] بحيث تعطى لمن يتعين لتوصيل هذه الأجناد تذكرة المرور المطلقة تسهيلاً لوصول الخبر فى أمد قريب .

الخامس عشر : حيث يلزم للجنود الفرنساوية الحصول على المؤن يومياً بمدة الثلاثة أشهر المعينة لجلائها عن البلاد وكذلك بمدة الثلاثة التى تبتدىء من يوم نزولهم بالمراكب إلى يوم وصولهم فقد تعهد الباب العالى بأن يقدم لهم جميع ما يلزم من قمح ولحم وأرز وشعير وتبن بمقتضى القوائم التى تتقدم من أمراء العساكر المكلفين بذلك وما يكون قد أخذ من ذلك بعد التوقيع على عهد الجلاء يستبعد من مجموع تلك القوائم .

---

(١) فرانسا : فرنسا .

السادس عشر : لا يجوز لأمراء الجيوش الفرنساوية بعد التوقيع على عهدة الجلاء أن يضربوا على البلاد ضرائب أو يفرضوا عليها فروضاً أيما كانت أو يحدثوا إحداثات بل يكون للباب العالى دون غيره الحق فى جميع الضرائب والفرض المقررة اعتباراً من تاريخ التوقيع على العهد وكل ما تركته الجنود الفرنساوية بعد الجلاء من جمال أو هجن أو مدافع أو ذخيرة أو غير ذلك وكذلك الغلال التى تبقى بالاشوان من أصل الأموال المفروضة لغاية تاريخ التوقيع على عهد الجلاء فهذه كلها يصير تقديرها بمعرفة معينين من قبل الباب العالى على يد أمير البحر الإنجليزى ومن يعينه الجنرال كلابير من قبله ويتعين ثمنها بحيث لا ينقص عن ثلاثة آلاف كيس وهو ما رؤى كفايته لنفقة الجند إلى أن تصل إلى أوطانها وفى حالة عدم بلوغ أثمان تلك الأشياء إلى هذا القدر يجب على الباب العالى دفع العجز من طرفه بصفة قرضة وعلى حكومة الفرنسيس وفاء هذه القرضة اعتماداً على سندات الاستلام التى تكون قد أعطيت من الأمير كلابير أمير الجيوش إلى الباب العالى .

السابع عشر : يدفع مبلغ الثلاثة آلاف كيس المذكور على الوجه الآتى بعد وهو خمسمائة كيس تدفع بعد مضى خمسة عشر يوماً اعتباراً من تاريخ التوقيع على عقد الاتفاق بذلك وخمسمائة كيس أخرى تدفع بعد انقضاء ثلاثين يوماً وبتمام الأربعين يوماً ثلثمائة كيس أخرى وخمسمائة كيس عند تمام تسعين يوماً وعند تمام ستين يوماً ثلثمائة كيس ويدفع أيضًا عند تمام سبعين يوماً ثلثمائة كيس وعند تمام ثمانين يوماً ثلثمائة كيس أخرى وخمسمائة كيس عند تمام تسعين يوماً ويكون اعتبار مبلغ كل كيس من هذه الأكياس خمسمائة قرش عثمانى وعلى الباب العالى بعد التوقيع على نسختى هذا العقد أن يوجه من قبله إلى مصر المحروسة وكافة المدن والبنادر التى تحتلها الآن الجيوش الفرنساوية مأمورين مخصوصين لأجل تسهيل أسباب الجلاء فى أمد مناسب بحيث إذا رؤى عدم كفاية مبلغ الثلاثة آلاف كيس لنقل الجند على الوجه المرغوب وجب على الباب العالى القيام بصرف ما يرى لزوم صرفه أيضًا .

الثامن عشر : جميع الأموال والضرائب التى تكون رجال الفرنسيس قد تحصلت عليها من البلاد قبل العلم بالتوقيع على عهد الجلاء تقدر وتخصم من مبلغ الثلاثة آلاف كيس المتقدمة الذكر .

التاسع عشر : تسيهلا[1] لأسباب الجلاء فى الأجل المضروب لا بأس من نقل الجند بالسفن الفرنساوية الراسية الآن بأساكل النيل من والى الإسكندرية ورشيد ودمياط .

العشرون : حفظاً لسلامة الممالك الغربية ومنعاً لنقل الوباء بالطاعون إليها بواسطة المرضى من الجنود الفرنساوية لا ينقل أحد ممن يكون مصاباً منهم بهذا المرض أو بغيره من الأمراض الأخرى التى لا يصح معها السفر بالبحار بل يبقون جميعاً فى بيوت المرضى المعدة لهم تحت أمان الوزير الأعظم ومعالجة أطباء الفرنسيس فإذا شفوا من أمراضهم عوملوا فى الحل والترحال بما عوملت به بقية الجنود من قبل كما جاء فى أحكام الشرطين الحادى عشر والثانى عشر من هذا الاتفاق وعلى أمير الجيوش الفرنساوية أنه عند ركوبهم المراكب للعود إلى أوطانهم أن يشدد على ضباطهم غاية التشديد بأن لا يسمحوا لهم بالنزول فى أى أسكلة من الاساكل التى هى فى طريقهم إلا ما تجيز لهم الأطباء النزول فيها لقضاء مدة الحجر الصحى .

الحادى والعشرون : كل خلاف يحدث بعد عقد هذا الاتفاق ولم ينص عنه شىء بهذا الاتفاق يصير فضه بالطرق الحبية بين المأمورين الذين يعينهم الوزير الأعظم والجنرال كلابير أمير الجيوش لهذا الغرض على وجه السرعة قياماً بالجلاء فى الأجل المضروب .

الثانى والعشرون : لا يعتبر هذا العهد نافذ المفعول إلا بعد مضى ثمانية أيام من تاريخ التوقيع عليه من الفريقين بحيث بعد التوقيع عليه يجب مراعاته والعمل به .

---

(١) تسيهلا صحتها تسهيلا .

ورجع كلابير أمير الجيوش الفرنساوية بعد ذلك من الصالحية إلى العادلية ومعه رجل من رجال الدولة العثمانية اسمه محمد أغا فبعث بمحمد أغا المذكور إلى القاهرة وأرسل إلى المحتسب يأمره بأن يتلقاه ويكرم مثواه فلما كان بعد العشاء دخل محمد أغا إلى القاهرة فى موكب فحصل فى الناس ضجة عظيمة وتزاحموا لمشاهدته وارتفعت أصواتهم وعلا ضجيجهم وركبوا على مصاطب الدكاكين والسقائف . قال صاحب[1] عجائب الآثار وانطلقت النساء بالزغاريت من الطاقات واختلفت آراء الناس فى ذلك ولم يعلموا ما هو فدخل من باب النصر وشق القاهرة ولم يزل سائراً حتى وصل إلى بيت حسن أغا بسويقة اللالا فأنزل هناك فلما استقر به الجلوس ازدحم الناس والأعيان للسلام عليه ولمشاهدته بالمشاعل والفوانيس قال فلما كان صبح تلك الليلة عمل ديواناً وجمع العلماء والوجاقلية وأعيان الناس وكبار النصارى من الأقباط والشوام فلما تكاملوا أبرز لهم فرماناً من الوزير فقرىء عليهم بالمجلس فدل مضمونه على أنه أغات الجمارك أى المكوس بمصر وبولاق ومصر القديمة وفيه التحكير على جميع الواردات من أصناف الأقوات فيشتريها بالثمن الذى يقدره هو بمعرفة المحتسب ويودعه فى المخازن قال وأبرز فرماناً آخر قرىء بالمجلس مضمونه أن الوزير أقام مصطفى باشا الذى كان أسيراً بأبى قير وكيلاً عنه وقائمقامه بمصر إلى حين حضوره وأن السيد أحمد المحروقى كبير التجار ملزوم ومقيد بتحصيل الثلاثة آلاف كيس المعينة لترحيل الفرنساوية وانفض المجلس على ذلك وأخذ السيد أحمد المحروقى فى تحصيل ذلك القدر من الناس وفرضوه على التجار وأهل الأسواق والحرف وشرعوا فى تحكير الأقوات فغلت أسعارها وضاقت مؤن الناس قال ودهى الناس من أول أحكامهم بهاتين الداهيتين وكان أول قادم فيهم أمير المكوسات ومحكر الأقوات وأول مطلوبهم مصادرة الناس وأخذ المال منهم وتغريمهم قال واجتهد السيد أحمد المحروقى فى توزيع ذلك وجمعه فى أيام قليلة فكان كل

(١) الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ٣ ، ص١٤٨ .

من توجه عليه مقدار من ذلك اجتهد فى تحصيله وإخراجه عن طيب نفس وانشراح وبادر بالدفع من غير تأخير لعلمه أن ذلك لترحيل الفرنساوية ويقول سنة مباركة ويوم سعيد بذهاب الكلاب الكفرة قال كل ذلك بمشاهدة الفرنسيس ومسمعهم وهم يحقدون ذلك عليهم . أ هـ .

وجاء مصطفى أغا من الجيزة وسكن ببيت عبد الرحمن كتخدا بحارة[1] عابدين وأرسل الوزير الفرمانات إلى البلاد وعين المعينين والمباشرين لطلب الأموال والغلال والكلف من الأقاليم وأرسل إلى البنادر وجعل فى كل بندر أميراً ووكيلاً لجمع الغلال والمطلوبات من الذخيرة ووضعها بالحواصل . وجعل العامّة وبسطاء العقول من أهالى القاهرة ومصر ينظرون إلى الفرنسيس كافة بعين السخط والسخرية وتطاولوا عليهم بالسب والتحقير وصار فقهاء المكاتب وعلى الخصوص العميان منهم يجمعون الأطفال ويطوفون بهم فرقاً وهم يجهرون للنصارى بالسباب وفحش القول وهذر الكلام ولم يملكوا أنفسهم صبراً حتى يتم الجلاء وينقضى الأجل المضروب فنقم الفرنسيس عليهم ذلك وأبغضوهم جداً وصاروا ينظرون إلى جميع أهل البلاد بعين القلى[2]ثم أخذوا فى أهبة الرحيل وشرعوا فى بيع أمتعتهم وما فضل من سلاحهم ودوابهم وسلموا أكثر الثغور والقلاع كالصالحية وبلبيس ودمياط والسويس وتدرج العساكر العثمانية فى الدخول إلى القاهرة وصار فى كل يوم يدخل منهم جماعة بعد جماعة وجعلوا يشاركون الناس فى حرفهم وصنائعهم كالحمامية والقهوجية والخياطين والحلاقين وغيرهم فشق الأمر على أصحاب تلك الحرف والصنائع فاجتمعوا وذهبوا إلى مصطفى باشا النائب عن الصدر الأعظم وشكوا من فعال العساكر العثمانية فلم يلتفت لشكواهم ثم قدم

---

(١) حارة عابدين : تقع على يمين المار بشارع الكردى .

● مظهر التقديس ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص٤٠ .

(٢) وردت هكذا .

الوزير يوسف باشا إلى مدينة بلبيس ونزل بها ومعه الأمراء المصريون وأرسلوا إلى مراد بيك الكبير بالحضور إلى المعسكر العثمانى فاعتذر حيث كان يومئذ بالصعيد فلم يقبلوا عذره وشددوا عليه فى الحضور فسأل فى ذلك كبير الفرنسيس سراً فأذن له وكان سفيره فى ذلك عثمان بيك البرديسى فحضر مع إبراهيم بيك الكبير واجتمع بالوزير يوسف باشا فخلع عليهما وعاد مراد بيك فخيم بجهة العادلية وحضر حسن أغا نزل أمين أحد رجال الدولة ودخل القاهرة فأخلى الفرنسيس عند حضوره قلعة الجبل وبقية القلاع والحصون التى أحدثوها ونزلوا منها فلم يحتلها أحد من العساكر العثمانية وأعرضوا عن المحاذرة استخفافاً بالأمر ودخل الكثير من الأمراء والعساكر المصرية الذين كانوا فروا عند دخول الفرنسيس وأرسل إبراهيم بيك إلى السيد أحمد المحروقى يطلب بعض الثياب لمماليكه فأخرجت لهم الخيام والتراتيب وهيأت نساء الأمراء والجند احتياجاتهم ولازم الخدم والفراشون الغدوّ والرواح إلى مضارب ساداتهم وهم راكبون البغال والحمير الفارهة وفى حجورهم تعابى الثياب والبقج المزركشة بالذهب والفضة وكذلك الخدم الذين يحملون الخوانات[1] والأسمطة وهم يتغنون برفع أصواتهم ويتجاوبون بكلام وسخريات ولعن للنصارى من أهل البلاد والفرنسيس بمرأى منهم ومسمع . ولما استقر المقام بالوزير يوسف باشا فى مدينة بلبيس وذلك فى أخريات رمضان من السنة بعث بنصوح باشا والأمراء المصريين إلى القاهرة فوصلوا إلى الخانكاه ثم إلى المطرية وقدم درويش باشا الذى كان والى الصعيد على عهد حسن باشا أمير البحر ونزل بالشيخ قمر أياماً ثم سار إلى الصعيد ومعه طائفة من الجند وكذلك سارت طائفة أخرى إلى السويس وأخرى إلى المنصورة ودمياط وانبثوا فى البلاد شرقاً وغرباً ودخلوا القاهرة جماعات صغيرة وجعلوا يطوفون بالشوارع وانبثت عساكرهم فى الأزقة والحارات

(١) الخوانات : ما يشبه المناضد .

يعبثون فيها ويشوشون على النساء والصبيان فلما كان فى اليوم السابع من شوال من السنة أى سنة أربع عشرة[1] ومائتين حدث أن تشاجر بعضهم مع بعض الجنود الفرنساوية فأدّت هذه المشاجرة إلى الملاكمة والقبض بالأطواق ثم إلى الضرب واشتد تألب العساكر السلطانية وأفحشوا فى الضرب فقتل بينهم أحد الفرنسيس وفاض الخبر بذلك فى القاهرة فوقعت فى الناس زعجة وأغلقوا الحوانيت وخاف العساكر السلطانية شر العاقبة فأسرعوا وتترسوا ناحية الجمالية وما والاها واجتمعوا جميعاً فى تلك الأنحاء خلف المتاريس التى أقاموها ووصل الخبر بما وقع إلى مقدم الجيوش الفرنساوية فجاءهم جماعة من الفرنسيس ووقع القتال بينهم بالبنادق واشتد فقتل من الفريقين وباتوا ليلتهم وهم على أهبة الحرب والقتال فأصبحوا وقد تداخل كبراؤهم فى الأمر وأزالوا المتاريس وانكف الفريقان عن القتال وشدد مصطفى باشا فى البحث على مثيرى هذه الفتنة فكانوا ستة فقبض عليهم وأمر بهم فقتلوا جهاراً وأرسل رؤسهم[2] إلى أمير الجيوش الفرنساوية فلم يطب خاطره وطلب سرعة خروج جميع من دخل القاهرة ومصر من العساكر العثمانية حتى ينقضى الأجل المفروض وإذا دخل منهم أحد إلى المدينة فبغير سلاحه فلم يسع مصطفى باشا إلا الإذعان وأمر فنادوا على جميع من كان فى مصر والقاهرة من الجنود العثمانية فخرجوا على الفور ووقف جماعة من العساكر الفرنساوية خارج باب النصر رباطا فكان إذا أراد أحد من العساكر أو الأعيان من العثمانيين الدخول إلى المدينة ترجل عن دابته عند قربه منهم ونزع عنه جميع سلاحه ثم يتركه عندهم ويدخل ومعه شخص أو شخصان موكلان به يمشيان أمامه حتى يقضى حاجته ويرجع فإذا وصل إلى العسكر المرابطين أعطوه سلاحه وظل الحال هكذا أياماً . وسافر فريق من الجند الفرنساوية إلى الأسكندرية بمتاعهم وأثقالهم وفيهم الأمير دورجيه النائب العام

---

(١) ١٢١٤هـ = ٣مارس١٨٠٠م .

(٢) رؤسهم= رؤوسهم .

والأمير ديزه سر عساكر الصعيد والأمير رئيس الكتاب ومدير الحدود ولبثوا بالأسكندرية أياماً قد تأهبوا فى خلالها إلى ركوب السفن إلى أوطانهم قيل فلما صاروا على ظهور السفن بدت لهم من سفن الإنجليز أشارات الوحشة وعلامات الانتقام فاحجموا عن السير وبعثوا إلى الأمير كلابير يعلمونه بالخبر فأرسل إلى الصدر الأعظم يعلمه بنوايا الانجليز نحو الجنود الفرنساوية ومخالفتهم لأحكام العهد فأجابه بجواب لم يرضه وأصبح زاحفاً إلى سطح الخانكاه وكان ذلك فى آخر المهلة المتفق عليها فى دخول الصدر الأعظم إلى القاهرة وجلاء الفرنسيس عنها فلما رأى الأمير كلابير ذلك طلب ثمانية أيام أخرى آجلة زيادة على أيام المهلة المقررة فأجيب إلى ذلك ووصل الأمراء المصريون وجيوش نصوح باشا وكثير من العساكر العثمانية إلى ناحية المطرية وعسكروا هناك وكان من الفرنسيس أن جعلوا الثمانية أيام التى طلبوها ظرفاً لجمع عساكرهم وطوائفهم من البلاد القبلية والبحرية ونصبوا معسكرهم على ساحل النيل متصلاً بأطراف المدينة ممتداً من مصر القديمة إلى شبرا وترددوا إلى نواحى القلاع التى كانوا أنشؤها[1] داخل البلد فلم يكن بها أحد من العساكر العثمانية فأخذوا فى رد آلات حربهم وذخيرتهم من بارود وقنابل ومدافع وغيره إلى تلك القلاع ليلاً ونهاراً والناس يتعجبون من ذلك ومصطفى باشا نائب الصدر الأعظم ومن معه يشاهدون ذلك وهم فى شاغل عنه قيل وكان السبب فى ذلك هو ما ظهر من سوء نوايا أمير العمارة الإنجليزية بسفن الفرنسيس الحاملة لعسكرهم وأن بعض أصدقاء الفرنسيس من جماعة الإنجليز أبلغوهم أن الصدر الأعظم اتفق مع أمير العمارة الإنجليزية على الإحاطة بسفن الفرنسيس إذا صارت على ظهر البحر فلما وقع ما سبقت الإشارة إليه تحقق الأمير كلابير صحة الخبر وأرسل إلى يوسف باشا الوزير فلم يجبه بجواب شاف بل أسرع فى الرحيل والقدوم إلى مصر كما تقدم القول .

---

(١) انشؤها صحتها انشأوها .

وكان الفرنسيس عند ما تراسلوا وترددوا على معسكر يوسف باشا عرفوا عدد جنوده وأحوالهم وما هم عليه من القوة والضعف وتحققوا ضعفهم عن المقاومة وقد ردوا أدوات حربهم وجميع آلاتهم إلى القلاع وحصنوا الجهات وأبقوا جماعة وقيدوا بتلك القلاع والحصون عدة من عسكرهم واستوثقوا من ذلك جيداً ثم خرج من بقى وهم السواد الأعظم إلى ظاهر القاهرة عند قبة النصر وانتشروا فى تلك النواحى ولم يبق فى المدينة منهم إلا من كان بداخل القلاع ونفر ببيت الألفى بالأزبكية وبعض بيوت أخرى من الجهة المذكورة ولبثوا إلى العشرين من شوال من السنة ثم أرسل كلابير فى طلب مصطفى باشا وحسن أغا نزل أمين فلما تمثلا بين يديه أمر فقبض عليهما وأرسلوهما إلى الجيزة وسجنوهما بها فلما كان ثالث عشرى الشهر المذكور ركب الأمير كلابير قبل طلوع الفجر وسار بعسكره ومدافعه وقد قسم العسكر إلى قسمين قسم سار إلى معسكر الوزير يوسف باشا وقسم سار إلى من هم بالمطرية من الأمراء المصريين والجند الذين معهم فلما صاروا على مقربة منهم رموهم بالبنادق وتابعوا الرمى بقنابل المدافع وأحدقوا بهم واشتدوا فى الرمى شدة بالغة فولوا الفرار منهزمين وتركوا خيامهم وجميع آلات حربهم وركب نصوح باشا ومن معه من الأمراء المصريين وطلبوا جهة القاهرة فتركهم كلابير ولم يلتفت لصدهم عنها وسار خلف الفارين إلى الخانكاه وهو يعمل السيف فى أقفيتهم وقد نهبوا جميع ما فى معسكرهم وأتلفوا المدافع وأخذوا جميع ما وجدوه من متاع وغيره ولحقوا بمعسكر الصدر الأعظم فأرسل إليه كلابير يأمره بالرحيل فى مدة لا تتجاوز أربعاً وعشرين ساعة فلم يسعه المخالفة وسار فسار خلفه كلابير بجيوشه وكان أكثر عساكر الصدر الأعظم متفرقة فى هذا اليوم فى أنحاء القرى والبلدان لجمع المال ومفردات الفرض التشديد على الرعية والتضييق عليهم فسمع أهالى القاهرة ومصر أصوات المدافع والبنادق فهاجوا وماجوا وتراكضوا إلى أطراف البلد فصادفوا فى طريقهم بعض رعايا الفرنسيس فقتلوهم وذهبت جماعة منهم إلى بركة الأزبكية فنهبوا

ما وجدوه فيها حيث كان معسكر الفرنسيس وجعلوا يكثرون من الجلبة والصياح وهم لا يعرفون السبب الحامل لهم على ذلك سوى ما سمعوه من أصوات المدافع والبنادق وخرج السيد عمر نقيب الأشراف والسيد أحمد المحروقى قال صاحب[١] عجائب الآثار وانضم إليهما أتراك خان الخليلى والمغاربة الذين بمصر وكذلك حسين أغا شنن أخو أيوب بيك الصغير وتبعهم كثير من عامة الناس وتجمعوا على التلال خارج باب النصر وبأيدى الكثير منهم النبابيت والعصى والقليل منهم السلاح وكذلك تحزب كثير من طوائف العامة والأوباش وجعلوا يطوفون بالأزقة وأطراف البلد ولهم صياح وضجيج وتجاوب بكلمات يقفونها من اختراعاتهم وخرافاتهم وقاموا على ساق وخرج الكثير منهم إلى خارج البلد على تلك الصورة فلما ارتفع النهار حضر بعض الأجناد المصريين ودخلوا مصر وفيهم المجاريح وطفق الناس يسألونهم فلم يخبرونهم بشىء لجهلهم أيضاً حقيقة الحال قال ثم لم يزل الحال كذلك إلى أن دخل وقت العصر فوصل جمع عظيم من العامة ممن كان خارج البلدة ولهم صياح وجلبة على الشرح المتقدم ذكره وخلفهم إبراهيم بيك الكبير ثم أخرى وخلفهم سليم أغا ثم أخرى وخلفهم عثمان كتخدا الدولة ثم نصوح باشا ومعه عدة وافرة من عساكرهم وصحبتهم السيد عمر النقيب والسيد أحمد المحروقى وحسن بيك الجداوى وعثمان بيك المرادى وعثمان بيك الأشقر وعثمان بيك الشرقاوى وعثمان أغا الخازندار وإبراهيم كتخدا مراد بيك المعروف بالسنارى ومعهم مماليكهم وأتباعهم فدخلوا من باب النصر وباب الفتوح ومروا على الجمالية حتى وصلوا إلى وكالة ذى الفقار[٢] فقال نصوح باشا عند ذلك للعامة اقتلوا النصارى وجاهدوا فيهم فعند

---

(١) الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ٣ ، ص١٥٣ .

(٢) وكالة ذى الفقار : من الوكالات العثمانية الشهيرة بالقرب من الغورية وكانت من دورين الأول يضم عدداً من الحواصل ومسجداً وبانكة أمام الحواصل ويضم الدور الثانى أروقة تطل على الفناء بشبابيك مباشرة ومكانها بخط الجمالية .

● رفعت موسى محمد : الوكالات والبيوت الإسلامية فى مصر العثمانية ، القاهرة ، د . ت ، ص٦٢ .

ما سمعوا منه ذلك القول صاحوا وهاجوا ورفعوا أصواتهم ومروا مسرعين يقتلون من يصادفونه من نصارى القبط والشوام وغيرهم فذهبت طائفة إلى حارة النصارى وبيوتهم التى بناحية بين الصورين وباب الشعرية وجهة الموسكى(١) فصاروا يكبسون الدور ويقتلون من يصادفونه من الرجال والنساء والصبيان وينهبون ويأسرون حتى اتصل ذلك بالمسلمين المجاورين فتخوف النصارى واحترسوا وجمع كل منهم ما قدر عليه من العساكر الفرنساوية والروم وقد كانوا قبل ذلك محترسين وعندهم الأسلحة والبارود والمقاتلون لظنهم وقوع هذا الأمر فوقع الحرب بين الفريقين وصارت النصارى تقاتل وترمى بالبنادق والآخرون يرمون من أسفل ويكبسون الدور ويتسورون عليها وبات نصوح باشا وكتخدا الدولة وإبراهيم بيك وبعض من صناجق مصر والكشاف والأتباع وطوائف من العسكر بخط الجمالية بوكالة ذى الفقار فلما أصبح الصباح أرسلوا إلى المطرية وأحضروا منها ثلاثة مدافع فوجدوها مسدودة الفالية فعالجوها حتى فتحوها وقام ناصف باشا وشمر عن ساعديه وشد وسطه ومشى وصحبته الأمراء المصرية على أقدامهم وجروا أمامهم الثلاثة مدافع وسحبوها إلى الأزبكية وضربوا بها على بيت الألفى وكان به بعض المرابطين من عساكر الفرنساوية فضربوهم أيضاً بالمدافع والبنادق واستمرت الحرب بين الفريقين إلى آخر النهار ثم انكفت وباتوا ينادون بالسهر . أ . هـ .

وفى هذا اليوم وضع أهل القاهرة ومصر والعساكر والمتاريس بأطراف المدينة كله وبجهة الأزبكية وشرعوا فى بناء وترميم بعض جهات سور المدينة وبالغوا فى تحصينها جهد الاستطاعة وبات الناس فى تلك الليلة خلف المتاريس فلما أظلم الليل عمد الفرنسيس إلى إطلاق مدافعهم على المدينة وراسلوا إطلاق القنابل من القلاع وتابعوا الرمى على خط الجمالية لاجتماع الأمراء والجند به

(١) الموسكى : شارع أوله من آخر السكة الجديدة من عند قنطرة الموسكى وآخره العتبة الخضراء .

● مظهر التقديس للجبرتى : ت . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص٤٠ .

وشدّدوا فامتلأ الجو بدخان البارود وتهدم الكثير من الوكائل والبيوت وكثر الصراخ من كل صوب وحدب وخرج الناس على وجوههم هائمين وعجز الأمراء عن الدفاع وإسكات مدافع الفرنسيس ثم أجمع رأى الكبراء والرؤساء منهم على الخروج من المدينة فى تلك الليلة لعجزهم عن المقاومة وعدم وجود آلات الحرب وغير ذلك من وسائل الدفاع وفاض الخبر بذلك بين الناس فركب بعضهم بعضاً وازدحمت تلك النواحى بالحمر والبغال والخيول والجمال المحملة بالأثقال وباتوا على تلك الصور المحزنة ووصلت الأخبار بخروج الناس إلى أهل خان الخليلى وبعض مغاربة الفحامين والغورية فجاؤا إلى الجمالية وشنعوا على من يريد الخروج وعضدهم طائفة الانكشارية وعمدوا إلى خيول الأمراء فحبسوها ببيت القاضى والوكائل وأغلقوا باب النصر وبات فى تلك الليلة أكثر الناس على مصاطب الحوانيت وبعض الأعيان فى بيوت أصحابهم بخط الجمالية وفى الأزقة والحارات وكلهم على أهبة الخروج إلى ظاهر المدينة وأصبح يوم السبت فتهيأ كبار الجند والجند كافة والكثير من سكان القاهرة ومصر ممن لاقدرة له على الحرب وساروا إلى الأزبكية فأقام بعضهم فى البيوت الخالية التى بها وأقام جماعة أخرى خلف المتاريس واستحضروا عدة مدافع مما كان مدفوناً فى بيوت الأمراء . قال صاحب[1] عجائب الآثار واستحضروا من حوانيت العطارين من المثقلات التى يزنون بها البضائع من حديد وأحجار ويرمون بها على العدو بدل القنابل وجعلوا يرمون بها على بيت الأمير كلابير بالأزبكية ولبث عثمان كتخدا بوكالة ذى الفقار فكان كل من قبض على نصرانى أو يهودى أو فرنسوى أخذه وذهب به إلى الجمالية عند عثمان بيك المذكور ويأخذ عليه البخشيش[2] فيحبس البعض حتى يتحرّى عن أمره ويقتل البعض ظلما وربما تقتل العامة من

(١) الجبرتى : عجائب الآثار ، المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ص١٥٥ ، ١٥٦ .

(٢) البخشيش ، والبقشيش وهو الإكرامية التى تعطى لفاعل الشيئ أو مقدم الخدمة زيادة على الثمن أو الأجر .

تقتله وتأتى برأسه لتأخذ البخشيش وكذلك كل من قطع رأساً من رؤس الفرنسيس يذهب بها أما إلى نصوح باشا بالأزبكية وأما إلى عثمان بيك بالجمالية وبعد أيام أغلقوا باب القرافة وباب البرقية وبقية الأبواب التى بأطراف البلد وزاد الناس فى عمل المتاريس وفى الاحتراس والتحذر وجلس عثمان بيك الأشقر عند متاريس باب[1] اللوق وناحية المدابغ وعثمان بيك طبل عند متاريس المحجر ومحمد بيك المبدول عند الشيخ ريحان ومحمد كاشف أيوب وأصحاب أيوب بيك الكبير وأيوب بيك الصغير عند الناصرية ومصطفى بيك الكبير بقناطر السباع وسليمان كاشف الحمزاوى عند سوق السلاح وأولاد القرافة والعامة وزعر الحسينية والعطوف عند باب النصر مع طائفة من الانكشارية وباب الحديد وباب القرافة وطائفة خان الخليلى والجمالية عند باب البرقية المعروف الآن بالغريب ولم يبق أحد من أهل البلد إلا وانضم إلى من يقرب إليه من طوائف العسكر بحيث صار جميع أهل مصر والعساكر كلها واقفة بأطراف البلد عند الأبواب والمتاريس والأسوار وأقام بعض العساكر العثمانية ومعهم جماعة من الأهالى بالأسلحة عند الجمالية حتى إذا جاء صارخ من جهة من الجهات أمدوه بفريق منهم ولم ينم أحد فى بيته إلا الضعيف وكان ناصف باشا وإبراهيم بيك الكبير ومن معهما من الانكشارية والارنؤد والدلاة وغيرهم مرابطين جهة الأزبكية وناحية باب[2] الهواء والرحبة الواسعة عند جامع[3] أزبك والعتبة الزرقاء وأنشأ

---

(١) باب اللوق : كان باباً كبيراً عليه طوارق حربية مدهونة على العادة فى أبواب القاهرة وأبواب القلعة وأبواب بيوت الأمراء ، فلما أنشأ القاضى صلاح الدين بن المغربى قيساريته التى بباب اللوق وجعلها لبيع غزل الكتان هدم هذا الباب وجعله فى الركن القبلى من جدار القيسارية .
● (الجبرتى ، جـ٣ ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص ص٣٤ ، ٣٥) .

(٢) باب الهوا : باب كان يطل على بركة الأزبكية .
● مظهر التقديس ، المرجع السابق ، ص٥٢ .

(٣) جامع ازبك والعتبة الزرقاء : جامع ازبك أنشأه الأمير ازبك وظل قائماً حتى وقت الحملة الفرنسية ، والعتبة الزرقاء حارة تقع بالقرب من ميدان العتبة الآن وتتصل بشارع الموسكى وشارع الحسين .
● (الجبرتى : تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، ص١٥٧) .

عثمان بيك كتخدا معملاً للبارود ببيت قائد أغا بخط الخرنفش[١] وأحضر الحدادين والنجارين والسباكين لسبك المدافع والقنابل وإصلاح المدافع التى وجدت فى بيوت الأمراء وعمل العجلات وما يلزم للقتال واهتم لذلك اهتماماً عظيماً وأرسلوا فاستحضروا بقية المدافع التى كانت بمعسكر المطرية وقد عطلتها عساكر الفرنسيس فكانوا كلما أدخلوا مدفعاً أدخلوه بجمع عظيم من الأوباش والحرافيش والأطفال ولهم صياح ونباح وتجاوب بكليمات من مثل قولهم الله ينصر السلطان ويهلك فرط الرمان وغير ذلك أ . هـ .

واشتدت عزيمة الأمراء المصريين وبدا منهم غاية الهمة والإقدام وثابروا على القتال من خلف المتاريس وظهر رجل مغربى قيل أنه الذى كان يقاتل الفرنسيس بالبحيرة واجتمع إليه طائفة من المغاربة ممن كان قدم مع الجيلانى الذى سبق الكلام عنه ففعل المغربى المذكور مالا خير فيه من النهب والقتل والسبى وكان يتجسس على البيوت التى بها الفرنسيس والنصارى فيكبسها ومعه جمع من العوام وأسافل الناس والعسكر فيقتلون من يجدونه منهم وينهبون الدار ويسجنون النساء ويسلبون ما عليهن من الحلى والثياب وكانوا يقطعون رؤس الأطفال وبعض البنات طمعاً فيما عليهن من الحلى وتتبع الناس عورات بعضهم وما دعتهم إليه النفس الأمارة بالسوء واتهم الشيخ خليل[٢] البكرى بأنه يسالم

---

(١) الخرنفش : يقع ما بين حارة برجوان والكافورى ، وكان موضعه أيام الفاطميين ميداناً بجوار القصر الغربى .

● مظهر التقديس : المرجع السابق ، ص١٧٣ .

(٢) الشيخ خليل البكرى : نقيب الأشراف وخليفة السجادة البكرية أثناء وجود الفرنسيين وداره بالقرب من جامع عبد الحق السنباطى ، وينتهى نسبه إلى أبى بكر الصديق .

وكان شيخ السجادة البكرية يجمع أحياناً ـ فضلاً عن الخلافة البكرية ـ نقابة الأشراف ومشيخة الطرق الصوفية والأخرجة والتكايا وأوقاف وندور المساجد الكبيرة لسيدنا الحسين ، وحصل نزاع على مشيخة نقابة الأشراف بينه بين السيد عمر مكرم ، فلما قدم الفرنسيون ١٧٩٨ وخرج عمر مكرم مع من خرجوا إلى الشام تداخل خليل البكرى فى الفرنسيين وأفهمهم أن المشيخة اغتصبت منهم فقلدوه إياها فى ١٧ أغسطس ١٧٩٨ ، كما عظم شأنه بتعيينه عضواً فى الديوان الذى شكله نابليون من العلماء فضلاً عن الوظائف الأخرى التى ذكرناها فازدحم بيته بأصحاب الدعاوى والشكاوى ، ولجأ لخدمته مماليك الأمراء المتغيبين احتماء به .=

الفرنسيس ويرسل إليهم الأطعمة وغير ذلك فهجم عليه طائفة من العسكر مع بعض الأوباش من العامة ونهبوا داره وأخذوه مع أولاده ونسائه وأحضروه إلى الجمالية وهو ماش على أقدامه حاسر الرأس فكان العامة يخاطبونه بفحش القول ويكثرون من سبه ولعنه فلما مثلوه بين يدى عثمان كتخدا هاله أمره وطيب خاطره وسيره بنسائه إلى دار بعض الأعيان وطلبت العساكر النفقة فبادر السيد أحمد المحروقى وبقية التجار وأصحاب المظاهر من الناس بالنفقة على الجند والأمراء والمقاتلين من مأكل ومشرب وكذلك فعل جميع أهل القاهرة ومصر . أما الفرنسيس فإنهم تحصنوا بالقلاع المحيطة بالمدينة وبيت الألفى وما والاه من البيوت الخاصة بهم كل ذلك ولا يعلم أحد حقيقة الحال ولا ما جرى بالفرنسيس الذين ساروا مع كلابير خلف عسكر الصدر الأعظم يطاردونهم من بلد إلى آخر واختلفت فى شأنهم الأقوال وكان الصدر الأعظم قد ترك ببلبيس فريقاً من عسكره أو هم تخلفوا عنه بعد أن مزقت شملهم العساكر الفرنساوية فسارت إليهم طائفة من الفرنسيس وحاصرتهم وشددت عليهم وضيقت فاستأمنوا فأخرجوهم بغير سلاح وصرفوهم حيث شاؤا فذهبوا أشتاتاً بالأرياف يتكففون الناس ويأوون إلى المساجد الخربة فمات أكثرهم من العرى والجوع ولحق بعض

---

= وكان يحتفل فى داره بالأزبكية بليلة المولد النبوى ، فيدعو كبار القواد الفرنسيين للعشاء ، ويخلع عليه صارى عسكر فى هذه المناسبة خلعة ، ويرسل الفرنسيون إلى داره فرقة من الموسيقيين ويطلقون الصواريخ فى الهواء .

ولما قامت ثورة القاهرة الثانية فى مارس/ أبريل ١٨٠٠ اتهمه الشعب بموالاة الفرنسيين وهجم بعض العسكر الأتراك والمماليك وعامة الشعب على داره بالأزبكية فنهبوها ، وسحبوه مع أولاده وحريمه إلى الجمالية ، سائراً على قدميه عارى الرأس مهاناً ، فلما وصلوا إلى عثمان كتخدا تأثر لحاله ، وسلمه إلى أحمد محمود محرم التاجر وأحد أعضاء الديوان الثانى فآواه فى منزله هو وأسرته حتى انتهت الثورة .

ولما فرض كليبر بعد الثورة غرامات على أهل القاهرة أعفاه منها وعوضه عما فقده ، ولما تخربت داره بالأزبكية انتقل إلى بيت البارودى بباب الخلق ، ثم إلى بيت عبد الرحمن كتخدا برحبة عابدين .

وبعد خروج الفرنسيين ١٨٠١ سحبت منه نقابة الأشراف وتولاها عمر مكرم كما عزل من السجادة البكرية عام ١٨٠٢ وتعين بدله السيد أبو السعود البكرى .

وتوفى السيد خليل البكرى فى فقر وفاقة ودين فى أول فبراير ١٨٠٩ .

● (محمد كمال السيد محمد : أسماء ومسميات : مرجع سابق ص ص ٢٩٦-٣٠٠) .

الأمراء المصريين بالصدر العظم عند الصالحية فعابوا عليه فعله وقبحوه وبالغوا في سوء تدبيره وخاطبوه ببذئ الكلام وفحش القول فاعتذر وقال إنه لم يكن عليه أهبة القتال لتركه الأسلحة والكرع بقلعة العريش اعتماداً على ما تقرر بينه وبين مقدم الجيوش الفرنساوية من الصلح وأنه لم يكن ليعتقد يقظة الفرنسيس إلى حد كشف ما دبره عليهم من أمير السفن الإنجليزية عند ركوبهم السفن فطلب منه عثمان بيك أن يأمر بجمع الجنود الهائمة على وجهها كالإبل وهو يسير بهم لقتال العدوّ فأجابه إلى ذلك وخاطب العسكر وبذل لهم الرغائب فامتنعوا ولم يتمثل منهم إلا المطيع وهم لا يبلغون الألف وعادوا على إثرهم وجمعوا إليهم المتشردين منهم ورجعوا يريدون قتال الفرنسيس فنزلوا بوهدة على مقربة من القرين حيث كان الفرنسيس في قلة يستكشفون مواقع العدو فقاموا عليهم بالنبابيت والحجارة فأصابوا ترجمان الأمير كلابير وسقط على الأرض وتسامع المسلمون فركبوا لنجدتهم واستصرخ الفرنسيس عسكرهم فلحقوا بهم ووقع القتال بين الفريقين حتى حال بينهم الليل والفرنسيس يطاولونهم ثم انكف الفريقان وانحاز كل فريق إلى ناحية فلما دخل الليل واشتد الظلام أحاط الفرنسيس بعسكر المسلمين فأصبح المسلمون وقد رأوا إحاطة العسكر بهم من كل جانب فركب الفرسان وتبعهم المشاة وقاتلوا حتى اخترقوا صفوف العدو ونجا من نجا وهم قليلون وقتل خلق كثير ورجعوا إلى الصالحية على إثرهم فلما رأى الصدر الأعظم ماحل بهؤلاء أيضاً وقد كان يعلل الأمل بفوزهم رحل إلى الشام فيمن بقي أما مراد بيك الكبير فإنه لما رأى هجوم الفرنسيس على من كانوا بالمطرية مع نصوح باشا وكان هو على مقربة من المقطم ركب من ساعته هو ومن معه ومروا بسفح الجبل وساروا إلى دير الطين وعسكروا فيها لينظروا ما سيحل بعساكر السلطان وأقام مطمئناً على نفسه واعتزل الفريقين وحافظ على عهده وولائه للفرنسيس واشتد الخوف والفزع بنصوح باشا ومن معه من الأمراء المصريين لما علموا بما أصاب الصدر الأعظم وجنوده وخارت منهم العزائم

وذهب الصبر والجلد ولكنهم خافوا أيضاً عاقبة صرف من اجتمع عليه من العامة والحرافيش وأهل العطوف وأخلاط العسكر فكانوا يذيعون بينهم أخبارا ملفقة لا أصل لها ويمنون الناس بقرب حضور الصدر الأعظم بجيوشه المظفرة وتابعوا المناداة بالتركى والعربى بالتحريض والاجتهاد والحرص على الصبر والقتال وملاقاة العدو . وبينما الناس على هذا الحال وتعلق الآمال بقرب عودة الصدر الأعظم وجيوشه إذ حضر فريق من الفرنسيس نجدة لإخوانهم الذين بالحصون والقلاع التى بداخل البلد ووقفت طائفة منهم خارج باب النصر وباب الحسينية[1] ونهبوا زاوية الدمرداش[2] وما حولها كقبة الغورى والمنيل وعسكروا على بعض التلول ورجع فى هذه الأثناء طائفة قليلة من عسكر الدولة وهم الذين كانوا بالقرى والأرياف يقبضون الكلف[3] والفرض بأمر الصدر الأعظم فلما صاروا عند أبواب المدينة دفعتهم طوائف الفرنسيس فدافعوا عن أنفسهم حتى تمكنوا من دخول المدينة ففرح الناس بقدومهم وتقوّت نفوسهم فكانوا يقولون للناس إنهم حاضرون مددا وأنه سيأتى على أثرهم عشرة آلاف مقاتل من جيوش الصدر الأعظم لقطع شأفة العدو . وقام ببولاق رجل اسمه الحاج مصطفى

---

(١) باب الحسينية وزاوية الدمرداش ـ قبة الغورى .

● باب الحسينية ويفتح على شارع الحسينية .

(٢) زاوية الدمرداش نسبة إلى الشيخ أبو عبد الله محمد الدمرداش ولد بمدينة تبريز بإيران فى ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م ودرس فى تبريز مبادىء التصوف على طريقة محى الدين بن العربى ، جاء إلى مصر فى عصر السلطان قايتباى وارتفع قدره لديه وظل يترقى حتى وصل إلى أمير مائة ، وكان مهيب الجانب قوى الشخصية (سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، جـ٥ ، ص ص ٦٧-٧١) .

أما قبة الغورى ففى شارع الغورية بين الأشرفية والفحامين مع مجموعة الغورى المكونة من جامع ومدرسة وخانقاه والقبة وسبيلاً ومكتباً .

● عجائب الآثار ، جـ٣ ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن (دكتور) ، ص٢٣١ .

(٣) الكلف والفرض : وهى ضرائب إضافية أو برانية ، كانت تفرضها الإدارة أو العسكر أو البكوات المماليك على القرى والبلدان دون موعد محدد ، وأحياناً كانت تتكرر .

● (عجائب الآثار ، جـ٣ ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن (دكتور) ، ص٢١ .

البشتيلى[1] وجمع إليه طوائف السوقة وحرافيش السبتية فكانوا عدة وافرة وساروا نحو معسكر الفرنسيس الذى كان بساحل بولاق وهجموا على من كان به من المرابطين فقتلوا منهم من أدركوه ونهبوا جميع ما فيه من خيام ومتاع وغيره ورجعوا إلى المدينة وهم يترامحون وفتحوا مخازن الغلال والودائع التى لجيوش بونابرته وأخذوا منها ما قدروا على حمله وتترسوا حول بولاق واستطالوا على من كان بها من القبط والشوام فأوقعوا فيهم القتل والنهب وفعلوا مالا خير فيه فكان البلاء عاماً والخطب شديداً جداً .

ولما استوثق الأمير كلابير من هزيمة الوزير يوسف باشا وعجزه عن الرجوع وهروبه إلى الديار الشامية وضع بالصالحية رباطاً من الفرنسيس وكذلك بالقرين وبلبيس وسار إلى القاهرة وقد بلغه خبر دخول نصوح باشا إليها وما جرى على يديه من قتل ونهب وتخريب وتعييب وغير ذلك فوصلها بعد ثمانية أيام من ظهور الفتنة ودخل إلى داره بالأزبكية من غير ممانع إذ لم يقف فى طريقه أحد من الجند ولا من العامة وأمر فأحاط جنده بالقاهرة وبولاق من الخارج وشددوا فى الحصار فصار لا يدخل إليها أحد ولا يخرج منها أحد ومنعوا عنهما الوارد من الأطعمة ثم جعلوا يطلقون عليهما المدافع ويراسلون القنابل من أعلى التلال والقلاع ليلاً ونهاراً واشتدوا فى ذلك شدة بالغة وقد عدمت الأقوات وعز وجود الخبز وصار العساكر السلطانية الذين بالقاهرة يخطفون ما يجدونه بأيدى الناس من المأكل وغلا سعر الماء المأخوذ من الآبار والأسبلة حتى بلغ سعر القربة نيفاً وستين نصفاً إذ تعذر الوصول إلى النيل . قال صاحب[2] عجائب الآثار وتكفل التجار ومساتير الناس والأعيان بكلف العساكر المقيمين بالمتاريس المجاورة لهم

(١) الحاج مصطفى البشتيلى : كان من كبار التجار فى القاهرة وكانت له وكالة لتجارة الزيت .
● عجائب الآثار ، جـ٣ ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن (دكتور) ص١٣١ .
(٢) الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ٣ ، ص١٦١ .

فألزموا الشيخ السادات بكلف الذين عند قناطر السباع وأما أكابر القبط مثل جرجس الجوهرى وفلتاؤس[١] وملطى فإنهم طلبوا الأمان من المتكلمين من المسلمين لكونهم انحصروا فى دورهم وهم فى وسطهم وخافوا من نهب دورهم إذا خرجوا فارين فأرسلوا إليهم الأمان فحضروا وقابلوا الباشا والكتخدا والأمراء وأعانوهم بالمال واللوازم وأما[٢] يعقوب فإنه كرنك فى داره بالدرب الواسع جهة

(١) المعلم فلتاؤس : أحد وجهاء الأقباط فى القرن ١٨ ، ١٩ (المعلمين) وكان من أصدقاء المعلم يعقوب ، وضمن الأربعة الذين أسهموا فى إقراض الجنرال منو مبلغ المليون ونصف من الفرنكات كى يقوم بالإصلاحات الإدارية المطلوبة توطيداً للوجود الفرنسى آنذاك فى مصر ، وهو الذى كان ضمن مودعى يعقوب عندما خرج مع الحملة الفرنسية فى انسحابها إلى فرنسا وسلمه صك الدين بمبلغ ٣٠٠,٠٠٠ فرنك لصرفها له من حكومة الإدارة فى فرنسا .

● لجنة التاريخ القبطى : الجنرال يعقوب واستقلال مصر ، ص ص٣٠ ، ٤٠ .

(٢) المعلم يعقوب : ولد فى ملوى من أعمال مديرية أسيوط (فى ذلك الوقت) سنة ١٧٤٥م من أبوين قبطيين هما يوحنا ومريم غزال ، تعلم القراءة والكتابة والحساب فى بلدته ، وتزوج امرأته الأولى ، ولما أتم يعقوب عقده الثانى الحقه والده كاتباً عند أحد أقربائه المشتغلين بجباية الأموال لدى المماليك ، ثم التحق بخدمة سليمان بك أغا الإنكشارية ، وكان غنياً ، وكانت مهمته جباية الضرائب والجمارك وإيراد الأراضى وتغيير العملات مما أكسبه مهارات كثيرة ، كما أحرز صفات عسكرية لاحتكاكه بالمماليك الذين عرفوا بالفروسية ، فأجاد ركوب الخيل والضرب بالسيف .

كانت مؤهلات يعقوب وكفاءته المالية والإدارية سبب ثروته وغناه فامتلك الخدم والمستخدمين فأضيف إلى اسمه (المعلم) وهو لقب كان يدل على الشرف والجاه خصوصاً .

ولما ماتت زوجته الأولى (مختارة الطويل) وكانت ابنة عمه التاجر الثرى ، تزوج بثانية وكانت فتاة سورية من حلب تدعى مريم نعمة الله البابونجى .

أتاح وجود الحملة الفرنسية فى مصر فرصة ليعقوب ليظهر مواهبه ، فقد عينه نابليون مرافقاً لحملة ديزيه على الصعيد لتعقب المماليك ، فجهز للحملة ما احتاجته من مؤن وذخائر ، ورتب لها الشئون المالية والإدارية ، كما عمل مرشداً لها فى مسالك الصعيد .

إلا أنه كان كثير الاحتجاج على الفرنسيين عندما استعملوا القسوة فى جباية الأموال من المصريين .

استمر يعقوب مع الفرنسيين أيام كليبر بعد رجوع نابليون إلى فرنسا واتخذ مكتبه فى بيت البارودى وأخذ اختصاصات وزير المالية .

ولما هدأت ثورة القاهرة الثانية وفرض كليبر على الأهالى غرامات فادحة تدخل المعلم يعقوب والتمس الرأفة معهم عند كليبر .=

الرويعى واستعد استعداداً كبيراً بالسلاح والعسكر المحاربين وتحصن بقلعته التى

---

= ولما رأى يعقوب أن مصر محرومة من جيش وطنى طلب من الفرنسيين تأليف فرقة من شباب الصعيد الأقباط، فسمحوا له بذلك، فجمع نحو ألفى شاب ودربهم على الأمور العسكرية على يد الضباط الفرنسيين، ثم ضم إليهم عدداً آخر ولقبوا بالفيلق القبطى، وكانوا يرتدون زياً مشابهاً لزى الجنود الفرنسيين، وقلده كليبر قيادة هذه الفرقة ومنحه رتبة أغا ثم رقى على عهد مينو إلى رتبة جنرال ومنحه رسمياً لقب القائد العام للفيالق القبطية بالجيش الفرنسى»، وقد أنشأ للفرنسيين فى حملة الصعيد نظاماً بريدياً دقيقاً على الهجن ارتبطت بفضله فصائل الجيش الفرنسى المتناثرة على طول نهر النيل، واتخذ من أسيوط مركزاً له هو والقادة الأقباط لوقوعها فى منتصف البلاد المصرية ولأن أهالى أسيوط كانوا يعرفونه جيداً إذ كان وكيلاً عاماً على إقليم أسيوط لسليمان بك أحد أمراء على بيك الكبير، وكان المعلم يعقوب الساعد الأيمن للقائد ديزيه فى حملته على الصعيد حيث قام بتدبير المال وتموين الجيش وكان يدل الفرنسيين على أماكن المراكز الحربية للماليك ومن تبعهم، ولما انتصر يعقوب فى موقعة «عين القوصية» قلده القائد ديزيه فى حفل أقامه لهذا النصر سيفاً كتب على نصله اسم الواقعة.

ولما ثارت القاهرة ثورتها الثانية (٢٠ مارس- ٢١ أبريل عام١٨٠٠) فى أيام كليبر كان كبار الأقباط كالمعلم جرجس الجوهرى والمعلم فلتاوس والمعلم ملطى يمدون الثوار بالأموال والذخائر بينما كان المعلم يعقوب وأتباعه يصلون الثوار ناراً حامية، ويقول الجبرتى أن المعلم يعقوب كرنك أى عسكر ورابط فى داره بالقرب من الدرب الواسع جهة الرويعى واستعد استعداداً كبيراً بالعسكر والسلاح، وتحصن بقلعته التى كان شيدها بعد الواقعة الأولى (أى الثورة الأولى) فى عهد بونابرت.

ولما أسرف كليبر فى استخدام العنف بعد قضائه على الثورة فرض على الأهالى غرامة حربية كبيرة وترك ليعقوب تحصيلها، وهنا تدخل البطريرك القبطى الذى لم يكن يقره على فعاله هذه وأسدى له كثيراً من النصح ولكن لم يرعو، إلا أنه عاد وهدأ الأمور مع المصريين فى التخفيف عنهم بعض الشيء.

وكان يعقوب غليظاً فى تعامله حتى مع رجال الكنيسة فكان يدخل الكنيسة راكباً جواده رافعاً سلاحه، تقرباً من الفرنسيين الكاثوليك، ولما لقى ديزيه مصرعه فى موقعة مارنجو فى يوم اغتيال كليبر فى القاهرة (١٤ يوليو١٨٠٠) اتجهت الفكرة إلى إقامة تمثال له فى باريس وكتب يعقوب خطاباً مؤثراً أملاه عليه وجدانه مبدياً حزنه العميق على قتل «عزيزه» ديزيه، كما تبرع بثلث تكلفة التمثال. وبالنسبة للأقباط فقد جمع معظمهم فى حى واحد بالأزبكية فيما بين القلعة التى أنشأها بجوار الجامع الأحمر من جانب وقنطرة الدكة من جانب آخر، وهدم الدور التى كانت فى شارع القبيلة بالقرب من الدرب الواسع والرويعى، وجعل منها حصناً آخر، ويقول الجبرتى «أنه سورها بسور عظيم له أبراج عظيمة تطل على بركة الأزبكية».

وأيام منو زوده هو وفلتأوس وجرجس الجوهرى وأنطون أبو طاقية بمبلغ مليون ونصف فرنك بإيصالات أخذوها عليه.

ولما تقرر جلاء الفرنسيين عن مصر صمم على الرحيل معهم، وحاول أن يصطحب معه عدداً كبيراً من شباب الأقباط الذين كانوا تحت قيادته فرفضوا، وخرج معه بعض أقاربه مثل زوجته السورية مريم نعمة الله وابنته وأخوه حنين وابنا أخته، حيث استقلوا السفينة (Pallas بالاس) ولكنه مات والسفينة فى عرض البحر، واستجاب ادموندز ربان السفينة لرجاء أهله فلم يلقه فى البحر كما هو متبع بل احتفظ بجثته فى برميل ملىء بالنبيذ حفاظاً لها حتى وصلت السفينة مرسيليا ودفن هناك.=

كان شيدها بعد الواقعة الأولى فكان معظم حرب حسن بيك الجداوى معه هذا والمناداة فى كل يوم بالعربية والتركية على الناس بالجهاد والمحافظة على المتاريس قال واتهم مصطفى باشا مستحفظان بموالاة الفرنساوية وأن فى بيته جماعة من الفرنسيس فهجم العساكر على داره بدرب الحجر فوجدوا أنفاراً قليلة من الفرنسيس فقاتلوا ودافعوا عن أنفسهم وقتل منهم البعض وهرب البعض على حمير حتى خلصوا إلى الناصرية وأما الأغا فإنهم قبضوا عليه وأحضروه بين يدى عثمان كتخدا ثم تسلمه الانكشارية وخنقوه ليلاً بالوكالة التى عند باب النصر ورموا جيفته على مزبلة خارج البلد واستقر عوضه چاهين كاشف الساكن بالخرنفش فاجتهد وشدد على الناس وكرر المناداة ومنعهم من دخول الدور وكل من وجده داخل داره مقته وضربه فكان الناس يبيتون بالأزقة والأسواق حتى الأمراء والأعيان وهلكت البهائم من الجوع لعدم وجود العلف من التبن والفول والشعير والادريس[١] بحيث صار ينادى على الحمار أو البغل الذى قيمته ثلاثون ريالاً وأكثر بمائة نصف فضة أو ريال واحد أو أقل ولا يوجد من يشتريه وفى كل يوم يتضاعف الحال ويعظم الهول . أ هـ .

وزحف المسلمون على رصيف الخشاب[٢] وترامى الفريقان بالمدافع والنيران حتى احترق ما بينهم من الدور وكان اسمعيل كاشف الألفى قد تحصن ببيت أحمد أغا شويكار فى نفر من العسكر وقد كان الفرنسيس قبل الجلاء عنه عملوا

=ويقول الباحثون أن المعلم يعقوب قد سافر إلى فرنسا لتحقيق مشروع وطنى هو استقلال مصر ، وبذلك يكون أول مصرى يفكر فى هذا كما يقول محمد شفيق غربال ، وهذا يظهر فى المذكرات والأحاديث التى احتفظ بها الضابط لاسكارس الذى صاحبه فى السفينة .

● (عبد العزيز الشناوى (دكتور) : الدولة العثمانية ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ص٩٣٩-٩٤١ وتلخيص كتاب لجنة التاريخ القبطى بعنوان : الجنرال يعقوب واستقلال مصر ، ١٩٣٥) .

(١) الادريس : هو البرسيم الجاف وهو طعام للحيوانات .

(٢) رصيف الخشاب : شارع قريب من بركة الأزبكية .

● مظهر التقديس للجبرتى ، ت . د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص٤١ .

به لغماً بالبارود المدفون فلما استقروا به أشعل الفرنسيس اللغم فارتفع ما فوقه من الأبنية والناس إلى عنان السماء واحترقوا جميعاً ومات بينهم الألفى وانهدم ما كان حوله من البناء والدور والوكائل والمبانى العظيمة والقصور المطلة على بركة الأبكية واحترقت جميع البيوت إلى رصيف الخشاب والخطة المعروفة بالساكت بأجمعها إلى الرحبة المقابلة لبيت الألفى مقر الأمير كلابير وكذلك جميع خطة الفوالة وخطة الرويعى[1] بالسباطين العظيمين وما فى ضمن ذلك من البيوت إلى حد حارة النصارى فصارت كلها تلالاً وخرائب كأنها لم تكن فضعفت عند ذلك عزيمة نصوح باشا والأمراء المصريين وكادوا يفشلون وأرسلوا إلى مراد بيك الكبير يسألونه الإسراع فى نجدتهم بمن معه وألحوا عليه فأرسل يعتذر ويقول أنه محافظ على الجهة التى هو فيها فأرسلوا إليه ليكشف لهم خبر الصدر الأعظم وما جرى عليه فأرسل يقول لهم اعلموا أن الفرنسيس إذا ظفروا بأحد من المسلمين فلا يقتلونه ولا يضربونه فإذا أحسنتم فافعلوا أنتم كذلك وخابروهم فى الصلح فهو خير لكم وأبقى وانجلوا عن البلاد سالمين فحنق حسن بيك الجداوى وعثمان بيك الأشقر وغيرهما من المسلمين عند سماعهم هذا الكلام وسفهوا رأيه وقبحوا قوله ورموه بالموالاة للفرنسيس فأشار إبراهيم بيك الكبير بذهاب البرديسى إليه ومعه عثمان بيك الأشقر ليبينا له خلطه وشططه فذهبا ورجع عثمان بيك وقد تبدلت أحواله وتغيرت أفكاره وذهبت عنه تلك الحدة التى كانت تزعجه وجنح لرأى مراد بيك فداخلهم من ذلك الفتور وكاد يتولاهم الملل وقد اشتد الخطب وعظم البلاء وعم الكرب وتوالى سقوط القنابل على الدور والمساكن من القلاع وكثر صياح النساء فى البيوت وبكاء الصغار من

(١) الرويعى : شارع يبتدئ من أول شارع البكرية وينتهى بشارع وش البركة وينسب إلى أحمد الرويعى من كبار التجار فى القاهرة .

● (الجبرتى : مظهر التقديس ، المرجع السابق ، ص٤٠) .

الخوف والهلع والجوع ومات الكثير من النساء والأطفال والشيوخ والحيوانات والطيور وغير ذلك تحت ردم الدور والمساكن التى سقطت وكان مقام[1] الرجال بالأزقة والأسواق ليلاً ونهاراً ومقام النساء والصبيان بأسف الحواصل والعقودات تحت طباق الأبنية إلى غير ذلك وكان المشايخ والسيد أحمد المحروقى والسيد عمر نقيب الأشراف يمرون فى كل وقت ويأمرون الناس بالقتال ويحضونهم على الجهاد وبقى الحال على هذا الوصف عشرة أيام كوامل وترددت الرسل من أصحاب مراد بيك الكبير بين الفرنسيس والأمراء المصريين بشأن الصلح وجلاء جميع العساكر السلطانية عن البلاد فلم يتفقوا على أمر ما فلما كان اليوم الثانى عشر أمر كلابير فأقاموا ببركة الأزبكية فسطاطا[2] لطيفا ورفعوا عليه علما وانكفوا عن الرمى فى تلك الليلة وأرسل كلابير يطلب المشايخ ليتكلم معهم فيما فيه المصلحة فأمرهم نصوح باشا بالذهاب فسار إليه جماعة منهم فلما استقر بهم المقام مع الأمير كلابير عاتبهم على ما وقع ثم أمن جميع الرعية وعفا عما سلف بشرط خروج نصوح باشا وجلاء جميع العساكر السلطانية وارتحالهم إلى حيث الصدر الأعظم وعلى الفرنسيس النفقة عليهم بقدر الكفاية وأما الجنود المصرية الذين أتوا معهم فمن شاء منهم الجلاء فله مالهم ومن شاء البقاء بقى معززاً وأن الجرحى والمرضى من العساكر العثمانية ينزعون عنهم أسلحتهم ويعالجون فمن تم برؤه منهم وشاء الإقامة فعزز أو الرحيل فله ما كان لأصحابه من الكلفة حتى يصل إلى وطنه فجنح المشايخ إلى هذا الصلح وتقررت القاعدة بينهم على ذلك ورجعوا فلما كان الغد شاع أمر الموادعة واستفاض أمر الصلح وعلم الانكشارية بخبره فقاموا على ساق وقدم وقالوا لا يكون هذا أبداً وخرجوا وخرج العامة معهم وسبوا المشايخ وقبضوا على اثنين منهم وأوسعوهما ضرباً ورموا

---

(١) مقام الرجال : أماكن وجودهم .

(٢) الفسطاط : نوع من الخيام .

عمائمهما . قال صاحب[١] عجائب الآثار وصاروا يقولون هؤلاء المشايخ ارتدوا وعملوا فرنسيس ومرادهم خذلان المسلمين وأنهم أخذوا دراهم من الفرنسيس وتكلم السفلة والغوغاء من أمثال هذا الفضول وشدد فى ذلك الرجل المغربى الملتف عليه أخلاط العالم ونادى من عند نفسه الصلح منقوض وعليكم بالجهاد ومن تأخر عنه ضرب عنقه قال وكان السادات ببيت الصاوى فتحير واحتال بأن يخرج وأمامه شخص ينادى بقوله الزموا المتاريس ليقى بذلك نفسه من العامة وكان قصد المغربى المذكور دوام الفتنة ليتوصل بها إلى ما يريده من النهب والسلب والتصور بصورة الإمارة بإجتماع الأوغاد عليه وتكفل الناس له بالمأكل والمشرب هو ومن انضم إليه واشتطاطه فى المأكل مع فقد الناس لأدنى ما يؤكل حتى أنه كان إذا نزل جهة من جهات المدينة لإظهار أنه يريد المعونة أو الحرس فيقدمون له بالطعام فيقول لا آكل إلا الفراخ ويظهر أنه صائم فيكف أهل تلك الجهة أنواع المشقات والتكلفات بتعنته فى هذه الشدة بطلب أفحل[٢] المأكولات وما هو مفقود قال ثم هو مع ذلك لا يغنى شيأ بل إذا دهم العدو تلك الجهة التى هو فيها فارقها وانتقل لغيرها وهكذا كان ديدنه وسبحه . أ هـ .

ولما وقع من الانكشارية والعامة هذا التظاهر ومانعوا فى إمضاء الصلح لم ترد العلماء على الأمير كلابير جواباً وأطلقوا مدافعهم على معسكر كلابير وأكثروا من إطلاق البنادق إعلاناً بأنهم ما زالوا على قدم الدفاع فأرسل كلابير يطلب الجواب فأجابه الباشا والكتخدا إن العسكر يرفضون كل صلح وهم يقولون لا نرجع عن حرب الفرنسيس حتى نظفر بهم أو نموت عن اخرنا فأرسل عند ذلك كلابير مكاتبة يقول فيها قد عجبنا من قولكم أن العساكر لم ترض بالصلح فكأن الأمر بيدهم وكيف يكون الأمير أميرًا على جيش ولا ينفذ أمره فيهم ثم

(١) الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ٣ ، ص ص١٦٥ ، ١٦٦ .
(٢) أفحل المأكولات : أطيب المأكولات .

أرسل كلابير رسولاً إلى أهل بولاق أيضاً يطلبهم للصلح وترك الحرب ويحذرهم العاقبة فلم يذعنوا فكرر عليهم الطلب فكانوا لا يزدادون إلا عناداً فأرسل كلابير أحد فرسانه فطاف ينادى بالأمان فقام عليه العامة وأنزلوه عن فرسه وقتلوه وظن الناس بالقاهرة ومصر وبولاق أن الفرنسيس إنما يطلبون الصلح لعجزهم وعدم قدرتهم على استمرار القتال فلما علم كلابير بما فعلوه برسوله غضب وأمر فأطلقت عساكره المدافع على المدينة ووالوا الرمى بالقنابل من جميع الحصون والقلاع وراسلوا نيران البنادق واستمروا على هذا الحال الشديد إلى يوم الخميس ثانى عشرى شوّال من السنة فلما كان ضحوة هذا اليوم غامت السماء وأرعدت وأبرقت ثم أمطرت مدراراً وطالت وأظلمت الدنيا واشتد المطر وانفتحت أبواب السماء فانهمل السيل إنهما لا عظيماً لم يسبق له مثال وكثرت الأوحال وتعطلت الطرق بالقاهرة ومصر وبولاق فاشتغل الناس والعساكر بنزح المياه من بعض الطرق وحمل الأوحال تجفيفاً لها فانتهز الفرنسيس هذه الفرصة المناسبة وهجموا على القاهرة وبولاق من كل ناحية وكبسوا من ناحية باب الحديد وكوم أبى[1] الريش وجهة بركة الرطل وقنطرة الحاجب وجهة الحسينية والرميلة وكانوا يرمون القنابل من قلعة جامع[2] الظاهر وقلعة قنطرة الليمون ويزحفون وأمامهم المدافع وخلفهم المشاة بالبنادق يتابعون رميها وطائفة أخرى بأيديهم فتائل مغمسة بالنفوط والزيت والقطران وكعكات مدبرة تلتهب عند نزول الماء عليها فكانوا

---

(١) كوم أبى الريش : أو كوم الريش وهى بالقرب من فم الخليج وتوجد هناك عدة قناطر .
● مظهر التقديس : المرجع السابق ، ص١٨٤ .

(٢) جامع الظاهر وقلعة قنطرة الليمون : تقع قنطرة الليمون على الخليج المصرى يتوصل منها إلى شاطئ الخليج الغربى .
أما جامع الظاهر بيبرس فأنشأه بيبرس البندقدارى العلائى خارج القاهرة بالحسينية ، وكان موضعه ميداناً يعرف بميدان قراقوش ، وكان متنزه الملك ، فرسم الجامع فى قطعة منه ، وأتى بخشب المحراب والمقصوره ورخامها من قلعة يافا بعد تسلمها من الفرنج ، وكملت عمارته فى سنة ١٦٧هـ/ ١٠ سبتمبر ١٢٦٨ .
● مظهر التقديس : المرجع السابق ص٨٤ ، تاريخ الجبرتى ، جـ٣ ، ص٥٦ .

يلقونها ملتهبة بالسقائف وأبواب الحوانيت وشبابيك الدور ويزحفون على هذه الصورة والمسلمون يقاتلون قتال الأبطال وانتقل الأغا وأغلب العامة إلى تلك الجهات وزلزلوا فى ذلك اليوم زلزالاً شديداً وهاج العامة وأكثر النساء من الصياح والولولة وتركن البيوت وخرجن حاسرات عن وجوههن فكانت النيران تأخذ كل من صادفته ثم هجموا هجمة رجل واحد على مدينة بولاق من ناحيتى النيل وبوابة أبى العلا فقاتل أهل بولاق وبذلوا الجهد حتى أحاطت بهم الفرنسيس إحاطة السوار بالمعصم وأخذوهم من كل جانب وأعملوا فيهم السيف والتحريق فقتلوا فى هذا اليوم ما لا يكاد يدخل تحت الحصر وملكوا بولاق عنوة وفعلوا بأهلها ما تشيب من هوله النواصى وصارت القتلى مطروحة تدوسها سنابك الخيل وأقدام الناس فى الأزقة والطرقات واحترق أكثر المدينة من الدور والقصور المطلة على النيل وخرج الناس على وجوههم هائمين إلى الصعيد ثم أحاط الفرنسيس بالبلد ومنعوا من يخرج منها واستولوا على الخانات والوكائل والحواصل والودائع والبضائع وملكوا الدور وما فيها من متاع وأموال ونهبوا جميع ما عثروا عليه وصنعوا بكبارها وتجارها مالا خير فيه وكان ذلك اليوم يوم الجمعة ثالث عشرى شوال واختفى البشتيلى زعيم عصابة بولاق ففتشوا عليه وقبضوا عليه وعلى وكيله وجميع أنصاره وكبار العصابة كافة وسجنوهم وضيقوا عليهم عدة أيام ثم أطلقوهم ما عدا البشتيلى وكبار عصابته وكان البشتيلى هذا قد بعث فى أيام الفتنة بخطاب إلى عثمان كتخدا يقول فيه إن الكلب دعانا للصلح يريد كلابير فأبينا منه وأرسل الخطاب مع رجل ليوصله إلى الكتخدا فوقع فى يد الأمير كلابير قيل فحركه ذلك إلى فعل ما فعله ببولاق ثم سلم البشتيلى إلى أهل عصابته ووكلهم بقتله جزاء ما فعل مما كان سبباً لما حل بهم فأركبوه حماراً وطافوا به جميع أنحاء بولاق ثم قتلوه بضرب النبابيت وألزم كلابير أهل بولاق بغرامة قدرها مائتا ألف ريال فأدوها وهم صاغرون .

أما أهالى القاهرة ومن فيها من العساكر العثمانية والأمراء المصريين فإنهم جعلوا يقاتلون ويدافعون جيوش الفرنسيس إلى السادس والعشرين من شوال حتى ضاق خناقهم وكادوا يهلكون من الجوع فضلاً عن نيران العدو فهجم الفرنسيس على المدينة فى ذلك اليوم من ناحية باب الحديد وناحية كوم أبى الريش وقنطرة الحاجب وغيرها ودخلوا البلد وهم يحرقون بالفتائل والنيران الموقدة ويجلون العساكر السلطانية عن المتاريس واحداً فواحداً إلى أن وصلوا إلى ناحية قنطرة الخروبى[١] وناحية باب الحديد إلى قرب الشعرية وزحفوا على المتاريس التى بها فوقعت الهزيمة على من كانوا بها من الأمراء المصريين والجند فولوا الأدبار وتبعهم العامة بالصياح والولولة وملك الفرنسيس كوم أبى الريش وصعدوا إلى أعلاه وصوبوا أفواه المدافع ناحية المسلمين والمسلمون من أسفل الكوم فعملت فيهم نيران المدافع مالا يمكن وصفه وقتلت ما لا يكاد وصفه وقتلت ما لايكاد يدخل تحت الحصر وكان البرديسى ومصطفى كاشف الأشقر أصحاب مراد بيك يسعون بين نصوح باشا والأمير كلابير فى المهادنة والكف عن القتال ويكثرون من التراداد بين الفريقين فلما شاهد نصوح باشا ما حل بعسكره من الفشل والموات جنح إلى جميع ما يطلبه الأمير كلابير وألح فى طلب كف القتال وتكررت القاعدة بين الفريقين على أن الفرنسيس يمهلون نصوح باشا وجميع من معه من العثمانيين والأمراء المصريين ثلاثة أيام حتى يتأهبوا للجلاء عن البلاد وجعلوا الخليج[٢] بالقاهرة حدّا بين مقام الفريقين فى خلال أيام الهدنة وتركوا الحرب وأخمدوا النيران وأخذ العساكر السلطانية والمصرية والأمراء من الفريقين فى التأهب والاستعداد للجلاء وزوّدهم الأمير كلابير بما لزم من مال وميرة ودواب للحمل وكتبوا بعقد الصلح دستوراً من شروطه أن الفرنسيس يكونون

---

(١) قنطرة الخروبى : قنطرة كانت قائمة على الخليج المصرى .
● عجائب الآثار : المرجع السابق ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ٣ ، ص١٦٩ .
(٢) الخليج : الترعة التى كانت تخرج من النيل عند حصن بابليون بمصر القديمة وتتجه شرقاً ثم شمالاً ، وقد ردمت الآن وأصبحت شارع بورسعيد .

مع الكتخدا حتى يصل بمن معه إلى الصالحية وأن يرافقهم ثلثمائة من جند كلابير ثم يعودوا ومعهم الرهائن وأن من شاء الخروج من أهل مصر فلا حرج عليه ماعدا عثمان بيك الأشقر فإنه متى رجعت الرهائن يذهب هو والبرديسى ويلحقان بمراد بيك فى الأقليم القبلى . وأمر كلابير بالرهائن من الفرنسيس فذهبوا إلى وكالة ذى الفقار وأجلسوهم بجامع الجمالى[1] بالجمالية مع نصوح باشا فلما رآهم العامة هاجوا وماجوا وأرادوا البطش بهم وهموا بقتل عثمان كتخدا فأغلق دونهم الباب ومنع نصوح باشا من دنوّ العامة من المسجد وركب المغربى الذى تقدم الكلام عنه وسار إلى الحسينية وهو ينادى بالجهاد وقتل الكفار فحضر إلى عثمان كتخدا من أهل الحسينية من سأله فى ذلك فنهاهم وحذرهم وأمرهم بمنع ذلك المغربى وركب كذلك المحروقى وأمامه بعض العامة ينادون بأن لا صلح ولا اتفاق ولازموا المتاريس ومر على هذه الصورة بسوق[2] الخشاب فقام عليه نزله أمين وأوقفه عن التطواف ومنعه من المناداة وفتح فى الحال باب خان[3] ذى الفقار فخرج منه طائفة من الجند وبأيديهم العصى فمزقوا شمل العامة وفرقوا جمعهم وضربوهم بالعصى فانكمشوا وسكن الحال وكان نصوح باشا والأمراء المصريون لما دخلوا القاهرة وضربوا على أهل البلاد المغارم وزادوا فى المكوس والمظالم وشددوا فى تحصيلها حتى من المشايخ وأرباب الطرق طالبوا أيضاً الشيخ أبا الأنوار السادات بمبلغ من المال وجاءه السيد أحمد المحروقى بخطابٍ من كتخدا الدولة بشأن ذلك فاعتذر الشيخ وطلب المعافاة فلم يقبل المحروقى وأبى إلا أخذ المقرر فشق الأمر على الشيخ وأحزنه جداً . قال

---

(١) جامع الجمالى بالجمالية : أنشأه جمال الدين الاستادار سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م بشارع الجمالية ويعرف بالجامع المعلق .

● مظهر التقديس المرجع السابق ، ص١٨٤ .

(٢) سوق الخشاب : هو سوق الخشب وكان يبيع أنواع الخشب وأدوات النجارة المختلفة بالجمالية .

● مظهر التقديس : المرجع السابق ، ص١٨٥ .

(٣) خان ذى الفقار : كانت فى الجمالية وكانت لها شهرة كبيرة فى التجارة .

● مظهر التقديس ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص٩٥ .

صاحب عجائب(1)الآثار فكتب له الشيخ تذكرة وصرتها حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير وما هو من الظالمين ببعيد .

وظننت أنك عدتى أسطو بها ويدى إذا اشتد الزمان وساعدى
فرميت منك بغير ما أملته والمرء يشرق بالزلال البارد

أما بعد فقد نقضت عهدى . وتركت مودة آل بيت جدى . وأطعت الظلمة السفلة وامتثلت أمر المارقين الثقلة ، فأعنتهم على البغى والجور . وساعدت فى تنجيز مرامهم الفاسد على الفور . من الزامك الكبير والصغير . والغنى والفقير . إطعام عسكركم الذى أوقع بالمؤمنين الذل والمضرات . وبالغ فى النهب والفساد غاية الغايات . فكان جهادكم فى أماكن الموبقات والملاهى حتى نزل بالمسلمين أعظم المصائب والدواهى . فاستحكم الدمار والخراب . ومنعت الأقوات وانقطعت الأسباب . فبذلك كان عسكركم مخذولاً . وبهم عم الحريق كل بيت كان بالخير مشمولا . كيف لا وأكابركم أضمرت السوء للمرتزقة فى تضييق معاشهم وأخذ مرتباتهم . وإتلاف ما بأيديهم من أرزاق وتعلقاتهم . وقد أخفتم أهل البلد بعد أمنها وأشعلتم نار الفتنة بعد طفئها ثم فررتم فرار الفيران من السنور(2)وتركتم الضعفاء متوقعين أشنع الأمور . فواغوثاه واغوثاه أغثنا يا غياث المستغيثين واحكم بعدلك يا أرحم الراحمين . أ هـ

فلما وقع ما وقع لنصوح باشا وقومه من الأمير كلابير فرح الشيخ بخذلتهم وفرح معه أيضاً جماعة من المشايخ لخلاصهم من ظلم الجنود العثمانية وأمرائهم وخرجوا جميعاً وخرج معهم إبراهيم بيك الكبير وأمراؤه ومماليكه والألفى وأصحابه ومعه السيد عمر مكرم النقيب والسيد أحمد المحروقى وكثيرون من أهل مصر

---

(1) الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ٣ ، ص ص١٧٠ ، ١٧١ .
(2) السنور : الهر أو القط والأنثى سنورة .
● المصباح المنير ، ط٦ ، القاهرة١٩٢٥ ، ص٣٩٦ .

والقاهرة وساروا إلى الصالحية وسار معهم حسن بيك الجداوى وأصحابه ودخل الفرنسيس إلى المدينة واستولوا على ما كان أعده العثمانيون من المدافع والقنابل والبارود وآلات الحرب وركب المشايخ والأعيان عصر ذلك اليوم إلى مقر الأمير كلابير فلما استقر بهم المقام أبرز لهم ورقة مكتوباً فيها ما نصه . النصرة لله الذى أمر من آتاه النصر باستعمال الشفقة مع الناس وبناء على ذلك فإن أمير الجيوش الفرنساوية لا يبخل بالعفو عن جميع الأهالى ولو أنهم شاركوا العثمانيين فيما ارتكبوه من جرائم القتل وإراقة الدماء فعليهم إذن أن يشتغلوا بأمر معاشهم . ثم التفت إلى المشايخ وقال لترجمانه قل لهم أن يأتوا إلينا فى غد عند قبة النصر فقاموا من عنده مطمئنين وطافوا بالأسواق وبين أيديهم أرباب المناداة ينادون بالأمان العام وباتوا وأصبحوا فركبوا جميعاً وذهبوا إلى خارج باب النصر وخرج أرباب المناصب وكبراء القبط والشوام فلما تكامل حضورهم رتبوا موكباً وساروا ودخلوا من باب النصر وأمامهم القواصة[1] يأمرون الناس بالقيام ثم عدد عظيم من الفرسان ثم المشاة وأمامهم الطبول والأبواق ثم الأعيان والمشايخ والعلماء والأمراء والوجاقلية وأتباعهم ثم الأمير كلابير وخلفه الأمير عثمان بيك البرديسى وعثمان بيك الأشقر وخلفهم طوائف الفرسان وبعد انقضاء الموكب زينت البلد ثلاثة أيام ثم أدب[2] الجنرال كلابير ودعا جميع المشايخ والعلماء والأمراء فلما فرغوا من الطعام خلع على الشيخ البكرى خلعة عظيمة وقلد محمد أغا الطنانى أغاة مستحفظان ثم انصرفوا ونادى الأغا بالأمان فى تلك الليلة وأصبحوا وقد دعا مراد بيك الكبير الأمير كلابير وبطانته ومن معه من المقاتلين إلى وليمة أعدها لهم بجزيرة الذهب فذهبوا إليه فبالغ مراد بيك فى إكرام الأمير كلابير وقدم له تقادم وهدايا نفيسة وكذلك لكل واحد من أركان حرب كلابير وقدم إليه أربعة آلاف رأس من الضأن وعجول البقر وفحول الجاموس وكان قد بعث

(١) القواسة أو القواصة : رجال الشرطة آنذاك .

(٢) أدب : قدم المآدب أى الموائد .

بها درويش باشا الذى كان بالأقاليم القبلية إعانة إلى نصوح باشا ومن معه من الأمراء المصريين فسر الجنرال كلابير سروراً عظيماً فى ذلك اليوم وانشرح صدره وقلد مراد بيك إمارة الصعيد من جرجا إلى إسنا ثم عاد راجعاً إلى داره بالأزبكية .

ولما كان فى صبح يوم الجمعة ثامن الحجة من السنة أى سنة أربع عشرة ومائتين[1] وألف حضر المشايخ والعلماء فى زيهم وزينتهم إلى بيت الأمير كلابير باستدعاء من أجل ترتيب الأمور وتقسيم الوظائف والمناصب العالية فذهب كل وهو يؤمل بلوغه ما يتمنى فلما دخلوا أجلسوهم فى مكان برهة طويلة ولم يحضر إليهم أحد وأهملوا ثم طلبوا إلى مكان آخر فدخلوا وجلسوا وأهملوا حصة ثانية أطول من الأولى ثم خرج بعد ذلك الأمير كلابير فى أصحابه ومعه ترجمانه فجلس وأصحابه حوله وكلم ترجمانه ثم بعد أن فرغ التفت الترجمان إلى المشايخ والعلماء وقال يقول الجنرال إنما قد استحضرتم اليوم إلى هنا من أجل أن تدفعوا إلى خزينة الجيش الفرنسوى عشرة آلاف ألف ألف فرنك عبارة عن ألف ألف فرانسة منها خمسمائة ألف وخمسة وثلاثون ألف فرانسة على الشيخ السادات خاصة وخمسون ألفاً على الشيخ محمد بن الجوهرى وخمسون ألفاً على أخيه الشيخ فتوح وخمسون ألفاً على الشيخ مصطفى الصاوى والشيخ العنانى ومائتان وخمسون ألفاً نقتطعها من ذلك نظير نهب دور الفارين مع العساكر العثمانية مثل المحروقى والسيد عمر مكرم وحسين أغا شنن وما بقى من المبلغ توزعونه على التجار والأهالى كل بلد وما يناسب حاله ويبقى منكم هنا خمسة عشر رجلاً رهينة فاختاروا من يبقى . ثم قام كلابير من فوره ودخل مع أصحابه إلى داخل وأغلق بينه وبينهم الباب فاستلم فريق من الحرّاس الأبواب ووقفوا دونها بالبنادق يمنعون من يخرج من الجالسين فبهت الجماعة وانتقعت[2] وجوههم ونظر بعضهم إلى بعض وهم فى دهشة وحيرة ولم يعاف من هذه الغرامة سوى الشيخ المهدى والشيخ البكرى واشتد بالمشايخ الأمر ولم يزالوا على ذلك

---

(١) ٣ مايو ١٨٠٠م .

(٢) انتفعت صحتها امتقعت .

إلى قرب العصر فأفرجوا عمن دخل معهم من خاملى الذكر وأخذ أرباب الديوان فى توزيع المطلوب وتدبيره وترتيبه فى قوائم حتى وزعوه على الملتزمين وأرباب الحرف الدنيئة وجميع صنوف التجار وقضاة المحاكم وقد وضعوا الشيخ الصاوى والشيخ فتوح بن الجوهرى فى السجن وهرب الشيخ العنانى وكانت داره احترقت فضافوا غرامته على الشيخ السادات ووكلوا بالتحصيل المعلم يعقوب والقائمقام مع الخزنه دار لقبض المتحصل وتدبير الأمور والرهونات وركب كلابير مع أصحابه وذهب إلى الجيزة ونزل الشيخ السادات يريد الذهاب إلى داره فسار معه عشرة من الفرنسيس وجلسوا على بابه إلى نصف الليل فحضر إليه عشرة آخرون فأنزلوه من بيته وصعدوا به إلى قلعة الجبل وسجنوه فى مكان فهاله هذا الأمر وأزعجه جداً فأرسل إلى عثمان بيك البرديسى مستغيثاً به فركب إلى الأمير كلابير وكلمه فى أمره فقال كلابير أما القتل فلا نقتله لشفاعتك وأما المال فلابد منه إن طوعاً وإن كرها ثم أنزلوه من قلعة الجبل وسجنوه فى بيت القائمقام يومين ثم أصعدوه ثانياً إلى القلعة وشددوا عليه وضيقوا فلما اشتد به الخطب طلب أن ينزلوه إلى بيته ليسعى فى سداد المفروض فأنزل فباع متاعه وأثاث داره وما عنده من المال دفعة فلم يبلغ سوى أحد وعشرين ألف فرانسه لا غير ففتشوا جميع بيته ونبشوا أرضه فلم يعثروا فيه على شىء وكان قد نقل نساءه وولده إلى مكان آخر وضيقوا على بقية المشايخ فى تحصيل المفروض فهرب البعض فنهبوا داره واسترحم البعض فخففوا عنه وأضافوا ما خففوه على الغرامة العامة وانبعث الأعوان يطالبون الناس ويقبضون على من لم يدفع ما عليه فاشتد بالناس هذا البلاء وعم الخوف والذل الحقير والعظيم وذهب الدرهم والدينار وعز وجدانهما[1] فصاروا يأخذون المصوغات والأمتعة بأبخس الأثمان حتى نفدت أيضاً فأخذوا الدواب وخرج الناس من المدينة وأجلوا عنها إلى القرى والأرياف فراراً فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار .

---

(١) وجدانهما : يقصد وجودهما

## (مطلـب)

## (مقتل الجنرال كلابير قائد الجيوش الفرنساوية وما جرى بعد قتله)

لما خرج نصوح باشا من مصر بعد عقد الصلح مع الأمير كلابير وانجلى عن البلاد بمن كان معه من العساكر السلطانية والأمراء والصناجق المصريين ولحقوا جميعاً بيوسف باشا صدر الدولة كبر هذا الأمر عليهم واستعظموه فجعلوا ينظرون فى أمر الخلاص من شر الأمير كلابير ويتدبرون فى أمر قتله فأرسل أغاة الانكشارية إلى حلب يطلب رجلاً قادراً مقداماً يجسر على قتل كلابير ومناه بالعطايا الجزيلة والمناصب السامية والتحف الجلية فحضر إليهم رجل اسمه سليمان[1] الحلبى لم يبلغ من العمر سوى أربع وعشرين سنة فقربه الأغا ومناه بالعطايا إن هو قتل كلابير فأقسم أن يقتله وأخذ لذلك خنجراً وسار إلى القاهرة ونزل بالجامع الأزهر برواق[2] الشوام عند جماعة من مجاورى الشوام له بهم سابق

---

(١) كان طالب علم من حلب ، وكان عمره آنذاك ٢٤ سنة وكان أبوه تاجراً فى حلب اسمه الحاج محمد أمين ، وقد غادر سليمان بلدته قاصداً بيت المقدس ، ثم حضر إلى القاهرة خصيصاً لقتل كليبر بعد أن قضى بها ٣١ يوماً .

وقد اعترف فى التحقيقات بأنه كان محرضاً من العثمانيين إذ التقى فى القدس بضابط منهم هو أحمد أغا كان رئيس الانكشارية فى حلب ثم عزل من وظيفته وجاء إلى القدس ليسعى إلى مقابلة الصدر الأعظم ويلتمس إعادته لمنصبه ، وقد التقى به سليمان وشكا إليه ظلم إبراهيم باشا والى حلب لوالده فوعده أحمد أغا بشفاعته لدى إبراهيم باشا مقابل اغتياله لكليبر ففعل سليمان هذا .

فأرسله أحمد أغا إلى حاكم غزة يس أغا وأوصاه بأن يعطيه احتياجه من المال ليسافر إلى مصر ، سافر سليمان إلى الخليل ، منها إلى غزة وقابل يس أغا فعفا عن والده وأعطاه المال وسافر إلى القاهرة التى كان يعرفها منذ أن كان طالباً فى الأزهر ونزل بدار معلم تركى اسمه مصطفى أفندى البروسلى (نسبة إلى بروسة فى الأناضول) وكان شيخ يبلغ الثمانين من عمره ، ثم تركه وأقام عدة أيام فى الأزهر حيث أسر بما سيعمله لبعض الرفاق الذين حاولوا إقناعه بالعدول عن ذلك ولكنه أصر وذهب مساء ١٣ يونيه إلى الجيزة حيث كان كليبر واستفهم من الخدم عن خط سيره ، ثم وقع الحادث حسب ما هو وارد هنا .

● عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية ، جـ٢ ، ط١٩٥٨ ، ص ص١٨٢ ، ١٨٣ .

(٢) رواق الشوام : أحد أروقة الأزهر ويقع على يمين الداخل من باب الشوام ، ويسكنه طلاب الأزهر من بلاد الشام ، وأنشىء هذا الرواق فى عهد السلطان قايتباى .

● (على مبارك : المرجع السابق ، جـ٤ ، ص٢٢) .

المعرفة ولبث ثلاثين يوماً متتبعاً خطوات كلابير أينما سار ثم كاشف ثلاثة من المجاورين بما عزم عليه من قتل كلابير أحدهم اسمه السيد محمد المغربى والثانى اسمه السيد أحمد الوالى والثالث الشيخ عبد اللّه المغربى وكاشف آخر غيرهم أيضاً اسمه السيد عبد القادر الغزى قيل فمنعوه من ذلك ونهوه فلم ينته فلما كان سادس المحرم افتتاح سنة خمس[1] عشرة ومائتين وألف عبر الحلبى النيل إلى الجيزة واجتمع بنفر من بحارة زورق كلابير فسألهم عن كلابير وعن محل وجوده وإقامته وغير ذلك وأراهم أنه رجل غريب يريد الاجتماع به لأمر يهم كلابير فأعلموه بأن عادته أن يتجول فى بستان داره فى كل يوم حصة مقررة فتركهم ورجع إلى مقره بالأزهر وبات ليلته تلك وأصبح يوم سابع المحرم قاصداً الفتك بكلابير وأعلم السيد محمد الغزى ومن معه بأنه سيقتله فى ذلك اليوم وتأبط خنجره وخرج من الجامع وسار إلى بيت كلابير فعلم بخروجه إلى الروضة فسار نحوها فصادفه عائداً إلى داره بالأزبكية فتبعه حتى وصل إلى الدار فدخل كلابير ولبث الحلبى يراقب الفرص حتى علم بنزول كلابير إلى بستانه على عادته فى كل يوم فتمكن من الدخول إلى البستان من غير أنه يشعر به أحد من الحراس فوجد كلابير يتمشى ومعه المسيو بروتين كبير مهندسى الجيش فسار الحلبى نحوهما فوقف كلابير وأشار إليه بيده أن ارجع فلم يرجع فقال له بالعربية مافيش وكررها فلم يرجع وأوهم أن به حاجة عند الجنرال فلما اقترب منه مدّ يده اليسار كأنه يريد تقبيل يده فمد إليه الجنرال يده فقبض عليها وضربه بخنجره أربع ضربات متوالية فمزق بطنه وظهرت أمعاؤه وسقط إلى الأرض صارخاً فصاح كبير المهندسين على الحرس فأسرع الحلبى نحوه وعاجله بضربة فضربه كبير المهندسين عدة ضربات بعصا كانت فى يده فهرب الحلبى واختفى فى مكان خرب بقرب سقاية[2] هناك فسمع الحراس الصياح فدخلوا مسرعين فوجدوا الأمير

---

(١) ٦ محرم ١٢١٥= ٣٠ مايو ١٨٠٠ .

(٢) سقاية يقصد ساقية .

كلابير مطروحاً وبه بعض الرمق وكبير المهندسين ملقى بجانبه ولم يجدوا للقاتل أثراً فاضطربوا وهاجوا وماجوا ونفخوا فى البوق فاجتمع كثير منهم بين فرسان وركبان وذهب فريق إلى القلاع وصوبوا أفواه المدافع نحو المدينة يريدون تدميرها وهلاك جميع من فيها وبحث الفرنسيس عن القاتل فوجدوه منزوياً فى ناحية من البستان المجاور لبيت كلابير وقيل بل إن جارية سوداء كانت تنظر إلى ما وقع من شباك بمنزل سيدها المطل على بستان بيت كلابير وقد رأت القاتل عندما اختفى فى ذلك المكان فصاحت على الجند الذين كانوا يفتشون عليه ودلتهم على مكانه فقبضوا عليه وأمسكوا معه خنجراً ملوثاً بالدم ووجدوا بجانب جثة كلابير قطعة قماش مصبوغة باللون الأخضر هى من لباس القاتل قيل ولو لم تدل تلك السوداء على مكان القاتل لتهدمت المدينة بأسرها وقتل جميع من فيها بحد السيف ولما قبضوا عليه سألوه فى الحال عن اسمه وعمره وصنعته وبلده ومحل إقامته فاتضح أنه حلبى واسمه سليمان ومهنته كاتب وقد جاء إلى مصر يريد الاستخدام بطرف أحد التجار وهو يأوى بالجامع الأزهر وأنكر قتل الأمير كلابير ودخوله إلى البستان فشددوا عليه وضربوه فاعترف بارتكابه جناية القتل وبأن الذى ساقه إلى ذلك أغاة الانكشارية حيث أطمعه فى العطايا الجزيلة والمناصب العالية إن هو فعل ذلك فاستحضروا كبار المشايخ وأخبروهم بخبر هذا الحادث وعوقوهم عندهم إلى نصف الليل وألزموهم بإحضار الأربعة مشايخ الذين يعلمون بعزم القاتل على فعل القتل فأحضروا ثلاثة وغاب عنهم رابعهم ونقلوا جثة الأمير كلابير فكان بها أربعة جروح أهمها فى الجنب الأيمن وكانت جثة المسيو بروتاين كبير المهندسين مطعونة ست طعنات أهمها بين ضلوع الجنب الأيسر ثم عقدوا مجلساً لمحاكمة القاتل بعد تحقيق وتدقيق أضربنا عن إيرادهما صفحاً فحكم عليه بقطع يده اليمنى ثم رفعه على خزوق بالتل المعروف بتل العقارب ويبقى كذلك حتى تأكل الطيور لحمه وأن ينفذ عليه هذا الحكم بعد دفن جثة كلابير بحيث يراه جميع من يمشى فى جنازة

كلابير وحكم كذلك بقتل السيد عبد القادر الغزى وأخذ جميع ما يمتلكه لخزينة الجيش ورفع رأسه على بيته كى يرى للناظرين وبجانبه ورقة الحكم وحكموا على محمد الغزى وعبد الله الغزى وأحمد الوالى بقطع رؤسهم ورفعها على خشب وحرق جثثهم بالنار على تل العقارب بمرأى من سليمان الحلبى . ولما فرغوا من تحقيق مقتل الجنرال كلابير والحكم على قاتله وشركائه أخذوا يشتغلون بأمر دفن كلابير وكان ذلك بعد موته بثلاثة أيام وأقاموا بدله الجنرال چاك منو ونادوا ليلة الأربعاء خامس عشرى المحرم بتنظيف الطرق والشوارع وأصبحوا فاجتمع عسكرهم وأكابرهم وخرجوا بجنازة كلابير ركباناً ومشاة وقد وضعوا جثته فى تابوت من رصاص ووضعوا التابوت على عربة يجرها أربعة أفراس وعلى التابوت قبعة الأمير وسيفه والخنجر الذى قتل به وهو ملوث بدمه ورفعوا على العربة أربعة أعلام والموسيقى تصدح بأصوات الحزن والبنادق منكسة إلى أسفل فلما خرج النعش من بيته أطلقوا له عدة مدافع وبنادق وساروا من بيت الأزبكية على باب الخرق إلى درب الجماميز من جهة النصرية فلما وصلوا إلى تل العقارب حيث القلعة التى انشؤها[1] هناك أطلقوا عدة مدافع وكانوا قد أحضروا سليمان الحلبى وشركاءه فى الجناية وأوقفوهم عند القلعة تحرسهم الجند ليشاهدوا مشهد قتيلهم ثم ساروا بالجثة إلى أن وصلوا باب قصر العينى فحملوا التابوت ووضعوه على ربوة صغيرة داخل تقفيصة كانوا أعدوها لذلك وعليها كساء أبيض ووقف عند بابها نفر من الجند بالبنادق ملازمين ليلاً ونهاراً ثم عاد الجمع فأوقف عند قلعة تل العقارب ونفذ الحكم على سليمان الحلبى وأصحابه على الوجه المتقدم فكان النظر[2] مريعاً فظيعاً للغاية وعندما دنا الجلاد من سليمان ليقد يده اضطرب للغاية وجعل يلتفت يمنة ويسرة كأنه يطلب النجاة فلما رفعوه على الخشبة صاح واستغاث وجعل يكرر كلمات لا

(١) انشؤها صحتها انشأوها .
(٢) النظر صحتها المنظر .

معنى لها ثم انصرف الناس وبقى جماعة من الجند حول الخازوق ولما كان ثانى يوم سار القائمقام والأغا إلى الجامع الأزهر وفتشوا جهاته وأروقته وزواياه بحضرة المشايخ ثم خرجا بمن معهما من الجند ثم عاد الجنرال ومعه القائمقام والأغا بعد أيام وطافوا به ودققوا فى تفتيشه وأمر الجنرال فنبشوا أرضه لاستخراج ما هو مدفون فيها من الأسلحة والودائع فأخذ المجاورون عند ذلك فى نقل أمتعتهم منه وكتبهم وإخلاء الأروقة وأحصى الأغا المجاورين وكتب أسماءهم ورسم بأن لا يبيت عندهم غريب ولا يؤوا[1] إليهم أحدا مطلقاً وأخرجوا منه المجاورين من طوائف الترك فتقدم الشيخ الشرقاوى ومن معه إلى الجنرال چاك فى قفل أبواب الجامع منعاً للريبة ودفعاً للظنون فأذن بذلك فقفلت ثم جمعوا أرباب الوجاقات وألزموهم بجمع ما عندهم من الأسلحة فجمعوها فكانت شيأ كثيراً جداً وجعلوا من هذا الحين يؤاخذون العامة بأقل سبب ويضيقون ويهددون ويبالغون فى النكاية تشفياً وانتقاماً فأخذ بعض الناس يهاجرون إلى القرى والأرياف ومالوا إلى الجلاء عن المدينة تخلصاً مما يخشون فأمر عند ذلك الجنرال منو فطاف الأغا ينادى بعدم جلاء الناس ورجوع جميع من سافروا بعد خمسة عشر يوماً وإلا نهبت بيوتهم من غير معاودة فرجعوا على أعقابهم صاغرين فضربوا عليهم غرامة أخرى قدرها أربعة آلاف ألف (لعلها فرنكات) فقرروا منها على العقار والدور مائتى ألف فرانسة على الملتزمين مائة وستين ألفا وعلى التجار مائتى ألف وعلى أرباب الحرف المستورين ستين ألفاً وقسموا المدينة إلى ثمانية أخطاط وجعلوا على كل خطة منها خمسة وعشرين ألف ريال ووكلوا مشايخ الحارات بقبض ذلك مع الأمير الساكن فى تلك الخطة فضاق خناق الناس واشتد بهم الكرب وعجزوا عن السداد فتابعوا نهب الدور بأدنى شبهة واحتجب الجنرال منو عن الناس وامتنع عن الاجتماع بالمسلمين وكذلك عظماء القواد واستوحشوا وزادوا فى تحصين القلاع وجددوا منها عدة كثيرة وبنوا بها المخازن

(١) يؤوا صحتها يأووا .

والمساكن وصهاريج الماء فى جميع أنحاء القطر حتى فى الصعيد وهدموا كثيراً من أخطاط الحسينية وخارج باب النصر وباب الفتوح من الحارات والدور وغيرها وزادوا فى التنكيل بالأهالى وفى تذليلهم[1] جزاء ما فعلوه .

وبينما هم على هذا الحال من التحذر والتحجب إذ قدم على أبى قير والإسكندرية عمارة عظيمة من السفن الإنجليزية وجعلت تغدو وتروح أياماً وكان بها أيضاً جماعة من العساكر العثمانية فلما علم الفرنسيس بخبرها خرج فريق منهم يريد البحيرة والناس لاتعلم ما هناك واستحضر الوالى والمحتسب مشايخ الحارات والأخطاط وشدداً فى التنبيه عليهم بمراقبة السوقة وملاحظة أحوال العامة والتأكيد عليهم بالخلود إلى السكينة وعدم التظاهر بمظاهر الدين الموجبة لتوغير الصدور وظهور كامن الضغائن وبالغا فى النصيحة للغاية وأعلماهم بأنهم هم المؤاخذون بذنوب العامة المسؤلون عنها . وبينما كانت العمارة الإنجليزية تغدو وتروح فى عرض البحر بين أبى قير والأسكندرية وتمنع الوارد عنهما كانت العساكر العثمانية تنحدر من الشام قاصدة ديار مصر ومعهم يوسف باشا صدر الدولة ومازلوا يجدون السير حتى نزلوا على العريش وعسكروا بها أياماً فسار للقائهم طائفة من الفرنسيس ومعهم آلات الحرب الكثيرة ونزلوا بالصالحية وأقاموا بها أياماً وخرج كذلك الجنرال منو فى نفر من أركان حربه وطائفة من الجند إلى البحيرة فلم يستقر بها حتى جاءه الخبر بنزول طائفة عظيمة من عسكر سفن الحرب الإنجليزية إلى أرض أبى قير وقد كان لا يظن ذلك فسار بمن معه من الجنود من البحيرة إلى انبابه وساروا منها إلى مدينة الأسكندرية مسرعين ولحقت بهم طائفة أخرى ممن هم بالقاهرة ومصر وبرج الخفاء وصارت الحرب أدنى من قاب قوسين وتحقق زحف بعض مقدمات الجيوش السلطانية إلى مقربة من العريش ووردت الأخبار بذلك إلى الجنرال فوريه نائب الغيبة فجمع إليه

(١) تذليلهم : إذلالهم .

المشايخ وأرباب الديوان وأعلمهم بخبر وصول السفن الإنجليزية إلى أبى قير والإسكندرية وزحف يوسف باشا الصدر الأعظم بعساكره إلى العريش ووجوب أخذ بعض المشايخ رهينة ما دامت الحرب قائمة بينهم وبين العدو فلم يروا بدا من قبول ذلك بالطاعة ووقع الاختيار على أخذ الشيخ الشرقاوى والشيخ المهدى والشيخ الصاوى والشيخ الفيومى فأصعدوهم إلى قلعة الجبل فى الساعة الرابعة من الليل وأنزلوهم بجامع[1] سارية ونقلوا إليهم أيضاً الشيخ السادات وأمروا من بقى من أرباب الديوان وهم أربعة مشايخ بأن يلازموا شيخ البلد ويداوموا على حض الرعية بالخلود إلى السكون وملازمة الطاعة واستحضروا كثيراً من الأعيان وأصحاب المناصب القديمة على عهد المماليك وأصعدوهم إلى قلعة الجبل رهائن وأكثروا من نقل الذخيرة والأمتعة والصناديق والفرش والأسلحة إلى قلعة الجبل ليلاً ونهاراً . وكان الجنرال منو لما تولى الرياسة لم يحسن التدبير ولم يفلح فى سياسته لعدم خبرته بالتدابير العسكرية وتجرده عن الهيبة الشخصية فأبغضه كبار الفرنسيس وقواد الجنود ومقتوه وكان منو قد أسلم ودعا نفسه عبد الله منو وتزوج إحدى بنات المسلمين وولدت له ولداً فسماه سليمان وسكن بخطة سيدنا الحسين وجعل يخالط العامة والسوقة بتلك الخطة ليستميلهم إلى محبته وكان ديوان القاهرة إلى ذلك الحين مؤلفاً من المسلمين والنصارى كما رتبه بونابرته وكلابير من بعده فأخرج منهم النصارى وسلم الأحكام لمن بقى من المسلمين ومال إلى جانبهم وبالغ فى استرضائهم وأخذ جباية الأموال من يد الأقباط وسلمها إلى المسلمين وقد كانت بيد القبط من عهد عمرو بن العاص إلى ذلك الحين ثم خلط وخبط وقلب نظام الهيئة الحاكمة وأفسد منها ما أصلحه الأمير كلابير وعمل غير ذلك أيضاً قال بعض أصحاب التاريخ وقد كان إسلام منو هذا خدعة من مكايد الفرنسيس وتغريرهم بالمسلمين . قلت وقد أطلعت على صورة

(١) جامع سارية : يقع بقلعة الجبل وبالقرب منه توجد زاوية الشيخ محمد الكعكى ، وبه منارة ومطهرة وله أوقاف داره ، وينسب إلى سيدى سارية من الصحابة كما هو شائع على الألسنة .

● (عجائب الآثار : المرجع السابق ، جـ١ ، ص٤٢٨ .

عقد زواج منو المذكورة بمجلة الموسوعات منقولة بالنور الشمسى من سجل محكمة رشيد الشرعية فآثرت نقله هنا تتميماً للفائدة التاريخية وهى .

بمحضر[١] كل من مولانا العلامة السيد أحمد الخضرى المفتى الشافعى ومولانا الشيخ محمد صديق النائب والمفتى الحنبلى ومولانا السيد محمد غرا النائب والمفتى المالكى والسيد أحمد بدوى نقيب الأشراف حالا والأمير محمد بدوى چوربجى سردار مستحفظان وأحمد أبو جاويش مستحفظان والحاج أحمد جاويش العسال والحاج محمود اللومى المغربى وإبراهيم الجمال الرزاز والحاج محمد ميتو وعبد اللّه بربيره والحاج بدوى الشناوى واوذن اسمعيل السلانكلى وعلى جاويش كتخدا البيك دام كمالهم .

بعد أن أقر واعترف مينو باشا صارى عسكر القطر المصرى حالا بصريح لفظه وفصيح نطقه بكلمتى الشهادتين وهما . أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول اللّه عارفاً معتقداً معناهما ومصدقاً لمضمونهما تاركاً لدين النصرانية والأديان الرديئة على الترتيب والولاء وإعادة التشهد واستيفاء الشروط المعتبرة فيهما شرعاً طائعاً مختاراً من غير إكراه ولا إجبار بمقتضى ذلك صار له ما للمسلمين وعليه ما عليهم وظهر منه الرغبة والحب للمسلمين والميل إليهم وسمى نفسه عبد اللّه باشا وأشهد على نفسه الجماعة المذكورين بجميع ذلك اشهاداً شرعياً ثم بعد ذلك رغب عبد اللّه باشا المذكور فى تزوجه بامرأة مسلمة فخطبها خطبة شرعية وأجيب لذلك بعد ابرازه لفتيا[٢] شرعية لفظ سؤالها .

ما قولكم دام فضلكم فى رجل أحب الإسلام وأهله ورغب فيهما تاركاً لدين النصرانية ناطقاً بكلمتى الشهادتين مصدقاً على الوجه الأكمل ثم أراد أن يتزوج امرأة مسلمة على كتاب اللّه العظيم وسنة نبيه الكريم فهل يجوز له حينئذ

---

(١) يقصد بحضور .

(٢) فتيا : فتوى .

التزوج بها والعقد عليها بشروطه الشرعية أفيدوا الجواب . وبأدناه . الحمد للّه حيث كان الحال ما شرح فى السؤال فيجوز للرجل المسلم المذكور خطبة المرأة المسلمة والعقد عليها بشروطه الشرعية واللّه أعلم .

كتبه الفقير أحمد الخضرى الشافعى لطف اللّه به .

وبأدناه . الحمد للّه حيث أقر الرجل المذكور بالشهادتين بشروطهما الشرعية فيجوز له أن يعقد على المرأة المسلمة عقداً شرعياً مستوفياً لشرائطه الشرعية واللّه أعلم .

كتبه الفقير محمد صديق الحنبلى عفى عنه .

وبأدناه . الحمد لله حيث رغب الرجل المذكور فى الإسلام ونطق بكلمتى التوحيد جاز له أن يتزوج المرأة المسلمة وأن يعقد عليها العقد الشرعى بشروطه الشرعية واللّه أعلم .

كتبه الفقير محمد غرا المالكى غفر له اللّه وعفا عنه .

فبمحضر كل من ذكروا أعلاه تزوج عبد اللّه باشا المذكور بمخطوبته زبيدة المرأة بنت محمد البواب التى كانت زوجاً لسليم أغا نعمة اللّه وطلقها وانقضت عدتها منه شرعاً على كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم وصداق جملته ألفا ريال اثنان معاملة ومائة دينار ذهبا محبوباً فالحال لها من ذلك المائة دينار المذكورة أقبضها لوكيلها الحاج حسين ابن السيد محمد الموقت فقبض منه ذلك عدداً بالمجلس بمعاينة من ذكر أعلاه وعليه الخروج من عهده ذلك لها شرعاً والباقى الألفا ريال الاثنان يحلان لها عليه بموت أو فراق زوجها له ذلك . وعقد نكاحها عليه وكيلها الحاج حسين الموقت المرقوم بإذنها له فى ذلك بشهادة كل من أخيها لأمها السيد على الحمامى ابن حسن البواب والسيد أحمد وشقيقه السيد إبراهيم المكلف كل منهما ابنى السيد سليمان النقرزان تزوجا شرعياً قبله للزوج المرقوم وكيله الحاج أحمد شهاب حسبما وكله صريحاً

بالمجلس بشهادة شهوده المذكورين وعلى عبد اللّه باشا الزوج المذكور القيام لزوجته المذكورة فى كل سنة تمضى من تاريخه أدناه بعمل كسوة أقمشة شتاء وصيفاً لائقين بحالهما وثبت ذلك لدى مولانا أفندى بعد أن ثبت لديه معرفة زبيدة المذكورة ثبوتاً شرعياً وحكم بموجبه حكماً شرعياً فى الخامس والعشرين من رمضان سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف انتهى بنصه .

وبعد أن تم عقد الزوجية بين الجنرال منو المذكور وزبيدة بنت محمد البواب على الوجه المتقدم حصل التعاقد بينهما أيضًا على شروط وعهود يعيشان على مقتضاها معاً وقد تسجلت بالطريقة الشرعية بسجل محكمة رشيد بعد تسجيل عقد الزوجية ونصه .

بحضرة كل من مولانا الشيخ أحمد الخضرى المفتى الشافعى ومولانا الشيخ محمد صديق النائب والمفتى الحنبلى ومولانا السيد محمد غرا النائب والمفتى المالكى والسيد أحمد بدوى نقيب الأشراف والأمير محمد بدوى چوربجى سردار مستحفظان وأحمد أبو جاويش مستحفظان والحاج أحمد جاويش العسال والحاج محمد اللومى المغربى وإبراهيم الجمال الرزاز والحاج محمد ميتو وعبد اللّه بربيره والحاج محمد الشناوى وأوزن إسمعيل السلانكلى وعلى جاويش كتخدا البيك ولوى چوسف ويكتور جوليان صارى عسكر حاكم ولاية الثغر ولوى چوست دروى رئيس طائفة عسكرية وكتخدا صارى عسكر الآتى ذكره فيه وجان فرنسواه لوى لويكه مهندس وميقاتى الجيش الفرنساوى ولويزى وانولى باش حكيم القورنتينه دام كمالهم . صار التوافق والتراضى بين الحاج حسين ابن السيد محمد الميقاتى الوكيل الشرعى عن زبيدة المرأة بنت السيد محمد البواب الثابت معرفته وتوكيله عنها فيما يذكر فيه بشهادة كل من أخيها لأمها السيد على الحمامى ابن حسن البواب والسيد أحمد وشقيقه السيد إبراهيم ابنى السيد سليمان النقرزان الثبوت الشرعى وبين الحاج أحمد شهاب الحاضر معه بالمجلس القائم فى ذلك بوكالته الشرعية عن عبد اللّه باشا منو صارى عسكر القطر

المصرى حالا الثابتة صريحاً بالمجلس وبتصديقه على ذلك التصديق الشرعى وهو زوج زبيدة الموكلة بموجب كتاب الزوجية المسطر بمحكمة الثغر المؤرخ بخامس عشرى شهر تاريخه أدناه على شروط تكون وتوجد بين عبد اللّه باشا منو وبين زوجته زبيدة بإقرار الوكيلين المذكورين .

الشرط الأول : أن زبيدة الزوجة أقامت وأذنت زوجها المذكور وكيلاً عنها فى سائر ما تمتلكه يدها الآن وفيما يوجد لها من المال يتصرف لها فى ذلك بحسن نظره السديد .

الثانى : أن عبد اللّه باشا منو الزوج المذكور أقر بأن كامل ما هو تحت يدها من متاع ومصاغ وحلى فهو ملك لها بمفردها .

الثالث : عبد اللّه باشا منو الزوج المرقوم أعطى لوكيله الحاج أحمد شهاب المذكور مائة محبوب كل واحد منها بمائة وثمانين نصفاً فضة فى نظير صداق زوجته المذكورة وأن الحاج أحمد شهاب سلم جميع ذلك ليد وكيلها الحاج حسين المذكور فسلم له ذلك عدداً بالمجلس وذلك على حسب عادة عقودات المسلمين .

الرابع : أن الزوج المذكور شرط على نفسه أنه إن حصل بينه وبين زوجته فراق يدفع لها ألفى ريال اثنين معاملة فى نظير فراقه لها وكل ما كان تحت يدها وقت ذلك يكون جميعه ملكاً لها حسب عادة دفع مؤخر صداق المسلمين .

الخامس : أن زبيدة الزوجة المذكورة إن كانت تطلب طلاقها من زوجها المذكور بحسب شرع المسلمين لم يكن لها من الألفين ريال المذكورة ولا نصف فضه ما عدا ما تحت يدها من مصاغ وغيره فهو لها .

السادس : زبيدة لم تزل وارثة فى كل ما كانت ترثه شرعاً .

السابع : أن زبيدة أقرت بنفسها أنه إذا مات زوجها المذكور وهى فى عصمته تأخذ من ماله الألفين ريال المذكورة وليس لها موارثة ولا طلب فى تركته وذلك فى نظير إرثها الشرعى حسب رضاها بذلك .

الثامن : أنه إن مات الزوج المذكور وخلف أولاداً من زوجته المذكورة وهم قصر يقام عليهم رجلان ناظران ووصيان واحد فرنساوى والثانى ابن عرب يتصرفان فى أموالهم بحسب المصلحة فى طريقة الفرنساوية وطريقة المسلمين .

التاسع : إن الزوجة المذكورة إن ماتت وخلفت أولاداً من زوجها المذكور فى حياته يكون أبوهم هو الوكيل الشرعى على أولاده وعلى مالهم .

العاشر : الناظر الوصى الفرنساوى المذكور فى الشرط الثامن يقام من طرف حكام الفرنساوية الموجودين فى بر مصر وقت ذاك والناظر الوصى الثانى يقام بحسب عادة المسلمين وإن حصل تداع بسبب اختلاف تقام الدعوى على يد الحاكم الشرعى إن كان ببر مصر أو ببر الفرنساوية .

الحادى عشر : عبد الله باشا منو وزوجته إن ماتا جميعاً وخلفا أولاداً تكون أولادهما تحت حماية جمهور الفرنساوية والزوجين المذكورين يقصد أفضل الحكام الخمسة التى ببلاد فرنسا يكونوا نظراء على أولادهما وأن الزوج والزوجة أقرا واعترفا برضاهما على هذه الشروط المذكورة على يد وكيلهما الإقرار والاعتراف الشرعيين الصادرين منهما بالمجلس بحضرة من ذكر أعلاه وأنهما التزما بهذه الشروط يفعلانها وقت الاحتياج إليها من غير إكراه ولا إجبار إلتزاما مرضياً وثبت ذلك لدى مولانا أفندى ثبوتاً شرعياً وحكم بموجبه فى سابع عشرى رمضان سنة[1] ثلاث عشرة ومائتين وألف . انتهى بنصه .

وبقيت زبيدة فى عصمة الجنرال منو ولم تفارق رشيد مسقط رأسها وسكنها حتى أخذت رشيد من الفرنسيس وانجلوا عنها فسارت منها بالبحر فى المحرم افتتاح سنة ست[2]عشرة ومائتين وألف مع أخيها السيد على الرشيدى أحد أعضاء الديون[3]بثغر رشيد إلى الرحمانية ولبثت أمامها أياماً حتى نزل على

(١) ١٧ رمضان ١٢١٣هـ = ٢٢ فبراير سنة ١٧٩٩ .
(٢) افتتاح سنه ١٢١٦هـ = ١٨٠١م .
(٣) الديون صحتها الديوان .

الرحمانية القادمون من العساكر السلطانية والعساكر الإنجليزية واحتلوا قلعتها فسار السيد علىّ باخته زبيدة إلى مصر ونزل بها ببيت الألفى بالأزبكية أياماً قلائل ثم صعد بها إلى قلعة الجبل فأقامت بها وورد كتاب الجنرال منو على أعضاء الديوان بالقاهرة يوصيهم خيراً بها وبولده منهاسليمان مراد . قال القائمقام توماس ولسن الإنجليزى فى كتابه المسمى البعثة الإنجليزية بمصر ما تعريبه . ولما كان سابع عشر يونيه سنة إحدى وثمانمائة وألف ميلادية سلم الفرنسيس قلعة القاهرة بعد أن وقعوا على شروط الجلاء عن ديار مصر وخرج من بقى منهم وخرجت امرأة الجنرال منو تريد اللحاق بزوجها فعارض جماعة الترك فى ذلك وشددوا فى منعها وبالغوا فى التشديد فقام فى وجههم القائد بيار وقال لابد من ذهابها وأنا الكفيل بها والضامن لراحتها فخرجت مع من خرجوا . أ هـ وكان تزوج الفرنسيس على اختلاف درجاتهم بالمسلمات قد فشا وعم سائر المدن والقرى وكان حكام الأخطاط من الفرنسيس يلبسون نساءهم من المسلمات الأزياء الفرنجية ويمشون معهن فى الأخطاط للنظر فى أمور الرعية والأحكام فكن يأمرن وينهين كأنهن الحكام وكانت تمشى المرأة منهن بنفسها أو معها بعض أترابها وأضيافها على مثل زيها وأمامها القواسة والخدم وبأيديهم العصى يفرجون لهن الناس كما يفعلون عند مرور كبار الحكام بالطرق والشوارع وكن كثيراً ما يأمرن أيضاً وينهين فى الأحكام وكادت هذه المحنة تعم سائر البلاد لولا جلاء الفرنسيس عنها بقدوم العساكر السلطانية والعساكر الإنجليزية . وبينما كان الفرنسيس يعدون المعدات ويسيرون العساكر إلى أبى قير والأسكندرية ودمنهور والرحمانية وغيرها لمنع تقدم الإنجليز ظهر الطاعون بالقاهرة ومصر واشتد شدة عظيمة فكثر الموات وتزايد يوماً عن يوم وصار ينتقل من بلد إلى آخر حتى بلغ الصعيد الأعلى وفتك بأهله فتكاً عظيماً ومات به مراد بيك الكبير رابع الحجة سنة خمس عشرة ومائتين وألف وجاء الخبر بذلك إلى القاهرة فأقام الفرنسيس بدله عثمان بيك الجوخدار المعروف بالطنبرجى وأقروه على إمرة الصعيد الأعلى

ومات كثير ممن كان بقلعة الجبل من الأمراء والأعيان الرهائن وكان مع اشتداد الطاعون وكثرة الموات لم ينكف الفرنسيس عن تعبئة الجنود وإرسال المعدات وبذل الجهد فى منع جيوش الإنجليز من التمكن من الأسكندرية وكان السير رلف أمبر كرومبى أمير العمارة الإنجليزية قد تمكن من إنزال جنوده خارج الإسكندرية وعملوا بعض المتاريس فكانت غاية فى المنعة والتحصين والتقت العساكر الفرنساوية بالعساكر الإنجليزية وانتشبت الحرب بين الفريقين واقتتلا قتالاً عنيفاً اليوم بطوله فلم يظهر أحد منهما على الآخر ومع ضعف رأى الجنرال منو وقلة تدبيره وجهله بفنون الحرب وترتيب الصفوف فقد كانت خسائر الفرنسيس فى ذلك اليوم خمسمائة رجل وخسائر الإنجليز مائة وألفاً ورجع الفرنسيس إلى الإسكندرية وأرسل الجنرال منو إلى بونابرته يطلب المدد وكان قد وصل حسين باشا بجيوشه فأنزلهم بأبى قير فضعفت نفوس الفرنسيس وكادت تفتر عزائمهم ولكنهم تابعوا إرسال النجدات إلى الإسكندرية وأبى قير وصار يخرج فى كل يوم طائفة من كبارهم وقوادهم إلى الإسكندرية وخرج معهم المعلم جرجس الجوهرى وآخرون من عظماء القبط وكأنهم رهينة وزادوا فى تحصين مصر والقاهرة وعملوا خندقاً عظيماً بباب البرقية وأصبحوا بين عدوين ألدّين وخصمين عنيدين جنود الأعداء المتحالفين والطاعون الذابح لرجالهم بغير سكين ولكنهم ثابروا على القتال بقلوب مائتة وعادوا لقتال الإنجليز والإنجليز من خلف المتاريس وأشار ضباط الفرنسيس على الجنرال منو بمهاجمة الإنجليز من ناحية حصنهم الأيمن إذ كان هو أقوى حصونهم وأمنعها فتردد فى الأمر ولم يقدم عليه إلا فى ليل ذلك اليوم فلم يفلح ورجع بغير طائل فلما أصبحوا أعادوا الكرة على المتاريس وهجموا عليها ميمنة وميسرة وقيل بل هجموا عليها فجر اليوم الثانى وكانوا يودون أخذ الإنجليز على حين غفلة ولكن الإنجليز كانوا على أهبة واستعداد فانتشبت الحرب بين الفريقين وتتابعت أصوات المدافع وتراسل الرمى بالقنابل وزلزلوا وزاد الجو ظلاماً على ظلامه ثم تقهقر الفرنسيس مجانبة فأدرك السير رلف أمبر كرومبى أمير السفن الإنجليزية قصدهم من ذلك وخاف العاقبة

فعزز ميمنة معسكره فعاد القتال بين الفريقين واشتد وحمى الوطيس وزلزلت الأرض من أصوات المدافع وتساقط القنابل وجرح السير أمبر كرومبى بجراحة عظيمة ألقته على الأرض وما زالت الحرب على ساقها إلى ثانى يوم قبيل الظهر علا صوت بوق الفرنسيس بالكف عن القتال فعاد الفرنسيس إلى معسكرهم وقد قتل منهم فى هذه الواقعة زهاء الألفين وأقام الإنجليز وراء المتاريس وقد مات منهم زهاء المائتين وأربعين وجرح نحو ألف ومائتين وخمسين ومات السير رلف أمبر كرومبى بجراحته بعد أيام قليلة فأقاموا الجنرال هتشنسون أميراً على سفن العمارة الإنجليزية وتقدّم حسين باشا قبطان بمن معه من الجيوش السلطانية فأخذ منهم الجنرال هتشنسون أربعة آلاف مقاتل وضم إليهم فرقتين من الجنود الإنجليزية وثمانية من المدافع وسيرهم مع الكولونيل سبنسر لأخذ مدينة رشيد وكان برشيد حامية قليلة من الفرنسيس فأرسل الجنرال منو يستطلع عدد هؤلاء الجنود فأعلم بأنها أقل عدداً مما هى فاستخف منو بها ولم ينجد حامية رشيد فسار إليها الكولونيل سبنسر ودخلها بغير قتال ثم حول مدافعه على حصن هناك يسمى حصن جوليان وفيه نفر من الفرنسيس فضيق الإنجليز عليهم وشددوا حتى استسلموا فأمنوهم وأخرجوهم من الحصن ولما جاءت الأخبار بذلك إلى من كان بالرحمانية من الفرنسيس أرسلوا يطلبون المدد من الجنرال بيار قائد حامية القاهرة فاعتذر فكاتبوا فى ذلك منو فأمدهم بنفر قليل وملك الإنجليز والعثمانيون مدينة رشيد ودمياط والمنصورة وما جاورها من القرى والبلدان فقويت عندئذ عزائمهم وتابعوا القتال ووالوا الزحف ومنعوا من وصول مراكب الفرنسيس إلى الشطوط المصرية وأطلقوا مياه البحر الملح على الأراضى المجاورة للأسكندرية فأغرقتها وصارت لجة عظيمة إلى يومنا هذا ومانعاً من خروج عساكر الفرنسيس من الأسكندرية فلم يبق لهم من سبيل إلا من ناحية العجمى إلى البرية وقد وقف لهم فيه الإنجليز ثم رجعوا إلى الرحمانية تملكوها وأجلوا من كان بقلاعها من الفرنسيس وأخذوها وأخذوا جميع الحصون القريبة منها بجهة العطف وغيرها وذلك فى الخامس والعشرين من الحجة سنة ست عشرة .

وبينما كان الإنجليز يقاتلون عساكر الجنرال منو وغيرهم من بقية العساكر الفرنساوية كان يوسف باشا الصدر الأعظم ينتقل بجيوشه على طريق الفرنسيس من قرية إلى أخرى ومن بلد إلى آخر وهو لا يدفع إلا بالأمر الخفيف حتى احتل الشرقية وتربص بها أياماً لجمع الكلف والمغارم فأبق الناس وحضر الكثير منهم فارّين إلى القاهرة وأخبروا بوصولهم فخرج الجنرال بيار لقتالهم وخرج معه القائمقام فقاتلهم العثمانيون فلم يثبت الفرنسيس أمامهم لقلتهم وكثرة عدد العثمانيين فقد كانوا ثلاثين ألفا وعساكر بيار لا تتجاوز الخمسة آلاف ورجع الفرنسيس مسرعين إلى القاهرة وكتموا الأمر عن الناس ومنعت العساكر السلطانية دخول المأكولات إلى المدينة فعزت الأقوات واجتهد الفرنسيس فى عمل الخنادق والمتاريس خارج المدينة وجهة القرافة وألقوا الأحجار العظيمة والمراكب الكبيرة فى مجرى النيل لتعطيل سفن العدو وكانت أوائل متاريسهم من باب الحديد ممتدة إلى قنطرة الليمون إلى قصر افرنج أحمد إلى السبتية إلى مجرى النيل ووصلت طلائع الجيوش الإنجليزية والعثمانية إلى بلدة نادر عند رأس ترعة الفرعونية[1] على الجانب الغربى من النيل ووصلت طلائع جيوش حسين قبطان باشا من الجانب الشرقى إلى بنها العسل وطحلا بساحل النيل ونزل يوسف باشا صدر الدولة ناحية دجوه[2] وما زال حتى وصل إلى شلقان ووصل العساكر الإنجليزية أيضاً إلى الوراريق[3] وزحفوا حتى جاؤا ناحية انبابه وعسكروا بها وسار العساكر العثمانية على الجانب الشرقى من النيل ومراكب الذخيرة والمؤنة بين الفريقين حتى وصلوا إلى منية السيرج[4] . ولما كان يوم

(١) ترعة الفرعونية : ترعة تمر بمحافظة المنوفية .

(٢) دجوة : قرية قديمة وهى الآن إحدى قرى مركز طوخ محافظة القليوبية .

(٣) الوراريق : وهى الآن وراق الحضر ووراق العرب مركز امبابة ــ الجيزة .

(٤) منية السيرج : قرية صغيره كانت تقع شمالى القاهرة وهى الآن ضمن حى شبرا مصر وكانت تعرف بمنية الأمراء الذين سكنوها كما كانت فيها معاصر للسمسم لاستخراج السيرج .

الأحد الثانى من صفر من السنة أى سنة ست عشرة أطلق الإنجليز المخيمون بأراضى انبابه مدافعهم تباعاً كأنهم يدعون الفرنسيس إلى النزال فردت عليهم مدافع الفرنسيس من جميع القلاع والحصون وخرج فى ثانى يوم بعض الفرسان من الفرنسيس وقاتلوا فريقى الإنجليز والعثمانيين وقد شغلوا ساحلى النيل شرقاً وغرباً وبينهما فى النيل الذخيرة والمؤنة وظلت الفرسان تناوشهم القتال اليوم بطوله ثم انفصلوا بعد حصة من الليل ورجع كل إلى مأمنه واستمروا على هذا الحال إلى اليوم السادس من صفر فزحفت العساكر العثمانية حتى قربوا من قبة النصر وكان فى مقدمتهم إبراهيم بيك الكبير فنزل بزاوية الشيخ دمرداش وأشرف بعض الجنود العثمانية على الجزارين الذين كانوا يومئذ بالمذبح من حائط المذبح وكان به ثلاثة من العساكر الفرنساوية فوقع بينهم مضاربة أصيب فيها أحد الثلاثة الفرنسيس فى ساقه ومات جزار يهودى فلما أحس من بقلعة الظاهر من الفرنسيس بذلك أطلقوا المدافع على معسكر العثمانيين وكذلك فعل من بقلعة نجم الدين والتل فأضروا بمقدمات العثمانيين ضرراً عظيماً وقتلت نيران المدافع منهم خلقاً كثيراً وظل إطلاق المدافع متراسلاً إلى ما بعد عصر ذلك اليوم ثم انكف الفريقان وأصبحوا فاقتتلوا بالبنادق والمدافع اليوم كله ولم يتعد أحد الفريقين موقفه وأغلق الفرنسيس فى ذلك اليوم باب النصر وباب العدوى[1] وشددوا فى التجسس وأكثر العسس من التطواف ليلاً والأغا والوالى نهاراً فكان الناس من الخوف سكارى وما هم بسكارى وزحف الإنكليز أيضاً من انبابه إلى أن وصلوا ناحية الجيزة ومعهم كثير من الأمراء المصريين وانتشروا فى الجهات القبلية من الجيزة ومنعوا المعادى من العبور إلى البر الشرقى وانكف الفريقان عن

---

(١) باب العدوى : هو باب الشعرية الكبير ، وعرف بباب العدوى لوقوعه تجاه جامع العدوى .
● مظهر التقديس : المرجع السابق ، ص٨٤ .

القتال أياماً تناجوا فيها على عقد شروط الصلح على قاعدة حافظة لحقوق الفريقين وكان الساعون فى ذلك حسين باشا القبطان وهتشنسون مقدم الجيوش الإنجليزية وأفرجوا عمن كان أسيراً من العثمانيين بقلعة الجبل وأرسلوهم إلى معسكر يوسف باشا وأفرجوا عن المشايخ وغيرهم الذين كانوا رهائن بالقلعة وأخذوا فى نقل أمتعتهم وبيع خيولهم وأنزلوا عدة مدافع من قلعة الجبل وقلعة البرقية وسار عثمان بيك البرديسى إلى الصعيد ومعه مرسوم من صدر الدولة خطاباً لأهالى الصعيد بالأمان ووجوب ملازمة السكون والخلود إلى الطاعة ونزل يوسف باشا إلى شبرا ومعه فريق من العساكر السلطانية فسار تجاههم من انبابه فريق من الإنجليز ونصبوا هناك جسراً وعبر الفريقان لزيارة بعضهما وتقررت قاعدة الصلح فى ثلاث عشرة مادة حاصل ما فيها سرعة الجلاء عن مصر والقاهرة وجميع القلاع والحصون التى بهما فى مدة أقلها خمسون يوماً وقيام عساكر الفرنسيس براً بجميع متاعهم وأثقالهم وكراعهم إلى رشيد وعلى مقدم الإنجليز النفقة من مؤنة ودواب للحمل ومراكب للنقل وسفن لحمل العساكر بالبحر الأبيض وعلوفة الخيول ودواب الحمل التى تؤخذ من القاهرة بحيث لا تدخل تلك السفن من الموانى إلا ما كان منها للفرنسيس وإذا أراد أحد المصريين على اختلاف مذاهبهم الخروج مع الجيوش الفرنساوية فلا مانع يمنعه من المحافظة على ماله وعياله ولا جناح على من خدم الفرنسيس أو أشار على أحد بخدمتهم وأن المرضى والجرحى منهم يبقون بمصر تحت العلاج بمعرفة أطباء الفرنسيس المعينين لذلك مع الاعتناء بأمرهم والقيام بجميع احتياجاتهم وأن يبعث بكبيرين من كبراء الإنجليز والعثمانيين إلى مدينة طولون لعرض عقد الصلح وعلى كل من الفرنسيس والعثمانيين تسليم من عنده من الأسرى وإبقاء رهائن من أكابر الفريقين حتى يتم الجلاء .

ودخل بعض أكابر الإنجليز إلى القاهرة ومعهم بعض أكابر الفرنسيس لمشاهدة ما فيها من الآثار والأبنية وكذلك دخل بعض أكابر العثمانيين فزاروا تربة الإمام الشافعى والمشهد الحسينى والشيخ عبد الوهاب الشعرانى فكان كبراء الفرنسيس ينتظرونهم على الأبواب مع التخشع والأدب وأصبحوا وقد انسحب من الفرنسيس السواد الأعظم ونودى فى الأسواق بأن ستطلق المدافع من غد من جميع القلاع والحصون إجلالاً لخروج جثة الأمير كلابير من أرض مصر فأطلقت فى ثانى يوم من جميع الأبراج والحصون تباعاً وحملوا نعشه من قصر العينى وساروا به فى كبكبة وأبهة عظيمة جداً وأخلوا قلعة الجبل فى ليلة الجمعة الحادى والعشرين من صفر من السنة أى سنة ست[1] عشرة وكذلك بقية القلاع والحصون وأجلوا عنها تماماً وذهبوا إلى الجيزة والروضة وقصر العينى ولم يبق منهم أحد بالمدينة وبولاق ومصر القديمة والأزبكية وتكاثر دخول العساكر السلطانية إلى القاهرة . قال صاحب عجائب[2] الآثار ففرح الناس كعادتهم بالقادمين وظنوا فيهم الخير وصاروا يستقبلونهم بالسلام ويباركون لقدومهم والنساء يلقلقن[3] بألسنتهن من الطيقان وفى الأسواق وقام للناس جلبة وصياح وتجمع الصغار والأطفال كعادتهم ورفعوا أصواتهم بقولهم نصر اللّه السلطان ونحو ذلك وهؤلاء الداخلون دخلوا من نقب الغريب المنقوب فى السور وتسلقوا أيضاً من ناحية العطوف والقرافة وأما باب النصر والعدوى فهما على حالهما مغلقان لم يأذنوا بفتحهما خوفاً من تزاحم العسكر ودخولهم المدينة دفعة واحدة فيقع منهم القتل والضرر بالناس وباب الفتوح مسدود بالبناء فلما أضحى النهار حضر فى قول وفتح باب النصر والعدوى وأجلس بهما جماعة من الانكشارية فدخل كثير من العساكر مشاة وركباناً أجناساً مختلفة ودخلت بلوكات الانكشارية وطافوا

---

(١) ٢١ صفر ١٢١٦هـ = ٣ يوليه ١٨٠١ .

(٢) الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ٣ ، ص٢٩٩- ٣٠٠ .

(٣) يلقلقن بألسنتهن = يزغردن .

بالأسواق ووضعوا نشاناتهم[١]ورنكهم على القهاوى والحوانيت والحمامات فامتعض أهل الأسواق من ذلك وكثر الخبز واللحم والسمن والشيرج[٢] بالأسواق وتواجدت البضائع وانحطت الأسعار وكثرت الفاكهة مثل العنب والخوخ والبطيخ وتعاطى بيع غالبها الأتراك والأرنؤد فكانوا يتلقون من يجلبها من الفلاحين بالبر والبحر ويشترونها منهم بالأسعار الرخيصة ويبيعونها على أهل المدينة وبولاق بأغلى الأثمان ووصلت مراكب من جهة بحرى وفيها البضائع الرومية واليميش[٣] من البندق واللوز والجوز والزبيب والتين والزيتون الرومى قال فلما كان قبل صلاة الجمعة وإذا بجاويشية وأغوات وعساكر وتلا ذلك حضرة يوسف باشا الصدر فشق من وسط المدينة وتوجه إلى المسجد الحسينى فصلى فيه الجمعة وزار المشهد الحسينى ودعا حضرة الشيخ السادات إلى داره المجاورة للمشهد فأجابه فدخل معه وجلس هنيهة ثم ذهب إلى الجامع الأزهر فتفرج عليه وطاف بمقصورته وأروقته وجلس ساعة لطيفة وأنعم على الكناسين والخدمة بدراهم وكذلك خدمة المشهد الحسينى ثم ركب راجعاً إلى وطاقه بناحية الحلى بشاطئ النيل وعملوا فى ذلك الوقت شنكا[٤] وضربوا مدافع كثيرة من العرضى والقلعة ودخل قلقات الانكشارية وجلسوا برؤس العطف والحارات وكل طائفة عندها بيرق ونادوا

---

(١) النيشان والرنك : الشعار الذى يتخذه السلطان أو الوالى له والرنك Heraldry وهو الشعار أو العلامة المميزة التى تظهر على الأختام أو الدروع أو على ملابس الأمراء والنبلاء والجند أو على الأعلام ، وقد استخدمها السلاجقة والأيوبيون والمماليك والعثمانيون للدلالة على وظائف أرباب السيف ، وكانت على شكل كأس أو سيف أو نسر أو هلال . . أو زهرة الزنبق .

● (عجائب الآثار ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ١ ، ص١٧٩ ، د . حسن عثمان : منهج البحث التاريخى ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص٢٨) .

(٢) يقصد زيت السيرج وهو عصير حبوب السمسم .

(٣) اليميش : الياميش .

(٤) الشنك : نوبة ضرب طلقات المدافع ، وهى كلمة تركية أصلها شن= بهيج ، وشنلك بمعنى البهجة والطرب ، وكلمة شنك العربية هى كلمة شنلك التركية قلبت اللام نونا ، والشن ، والشنك هو الاحتفال الذى تطلق فيه المدافع والنيران الملونة .

● (أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ص١٣٧) .

بالأمان والبيع والشراء وطلب أولئك القلقات من أهل الأخطاط المآكل والمشارب والقهوات وألزموهم بذلك وانحاز الفرنساوية إلى قصر العينى والروضة والجيزة إلى حد قلعة الناصرية وفم الخليج وعليها بنديراتهم ووقف حرسهم عند حدهم يمنعون من يأوى إلى جهتهم من العثمانية فلا يمر العثمانى إلا إلى الجهة الموصلة إلى بولاق وأما إذا كان من أهل البلد فيمر حيث أراد وفى مدة إقامة المشار إليه بساحل[1] الحلى ببولاق خرب عساكره ما قرب منهم من الأبنية والسواقى والمتريز الذى صنعه الفرنساوية من حد باب الحديد إلى البحر وأخذوا ما بذلك من الأفلاق[2] الكثيرة المتهندمة والأخشاب المنجرة المرصوصة فوق المتريز وتحته فى الخندق فخربوا ذلك جميعه فى هذه المدة القليلة وذلك لأجل وقود النار والمطابخ . أ هـ .

وتتابع دخول العساكر العثمانية إلى المدينة وانتشروا فى أنحاء مصر والقاهرة واحتل بعضهم القلاع والحصون والطوابى التى كان بها جنود الفرنسيس ورفعوا عليها أعلامهم ما خلا الحصون والقلاع التى انحازت إليها طوائف الفرنسيس وهى من قصر العينى إلى جهة النصرية كما تقدم القول وعاث فريق الانكشارية فى المدينة يزاحمون أرباب الحرف والصنائع فى أرزاقهم ووضعوا أسلحتهم على أبواب الحوانيت كافة إشعارا لأصحابها من الحلاقين والخياطين والقهوجية بأنهم شركاؤهم فى كسبهم اليومى فامتعض السوقة وأصحاب الحوانيت وشكوا من ذلك فدخل أغاة الانكشارية ومر من وسط المدينة وخلفه بعض الصناجق المصريين وأمر بأسلحة الانكشارية فرفعوها على أبواب الحوانيت كافة إلا القهاوى فشكا أصحابها فلم يلتفت إليهم ودخل أيضاً فى

---

(١) ساحل الحلى ببولاق : الحلى كان قصراً قائماً فى رملة بولاق إلى نهاية القرن الثامن وكان معداً لاستقبال باشوات مصر .

● (عجائب الآثار للجبرتى ، جـ١ ، ص١٠٤) .

(٢) الأفلاق : هى أنصاف ساق النخيل بعدما تشق طولياً ، وهى جمع مفردها فلق .

ذلك اليوم كثيرٌ من الجند والعسكر المصرى ومعهم محمد باشا المعروف بأبى مرق وهو المترشح للولاية على مصر من جانب السلطنة وسكن ببيت الهياتم بالقرب من مشهد[1] الحنفى . واتفق فى يوم دخوله أن أحد العساكر السلطانية من الأرنؤد كان بالجمالية فمر به عرقسوسى فشرب منه قدحاً ولم يعطه ثمنه فكلم العرقسوسى فى ذلك مقدم قلق الانكشارية المرابطين بالجمالية فأحضر ذلك الجندى وأمره بدفع ثمن ما شربه فامتنع فنهره وأراد ضربه فأخرج الجندى غدارته وأطلقها على مقدم القلق فقتله وهرب إلى حارة الجوانية[2] ودخل إلى إحدى الدور وامتنع فيها وصار يطلق غدارته على كل من يقصده فقتل خمسة من الجند واتفق أن مر اثنان من الأرنؤد بتلك الخطة فقام عليهما نفر من الانكشارية وقتلوهما انتقاماً ولما أعياهم أمر ذلك القاتل وتعذر عليهم ضبطه أحرقوا عليه الدار التى امتنع فيها فخرج هارباً من النار فقبضوا عليه وقتلوه شر قتلة واشتد الخوف بأهل تلك الخطة فترك أكثرهم دورهم بما فيها وخرجوا على وجوههم ولم تكد تسكن الخواطر بسكون هذا الحادث حتى وقع آخر على مقربة من الخطة المذكورة فاشتد خوف الناس وتبدل فرحهم بخروج الفرنسيس حزناً وأسفاً .

وخرج طوائف الفرنسيس فى يوم الأربعاء رابع ربيع الأول من السنة أى سنة ست عشرة ومائتين وألف[3] هجرية وأخلوا قصر العينى والروضة والجيزة وانحدروا إلى الشمال من الوراريق وارتحل معهم أمير السفن العثمانية وعدد من الإنجليز وجماعة كثيرة من الأرنؤد وعثمان بيك الأشقر ومراد بيك الصغير وأحمد بيك

(١) مشهد الحنفى : بعطفة الحنفى المتفرعة من شارع الخليفة .
● (مظهر التقديس : المرجع السابق ، ص٢٠٤) .
(٢) حارة الجوانية : تقع على يسار المار من حارة الشيخ الجمل بشارع وكالة الصابون ، ويسلك منها إلى عطفة الدير ، وهى من الحارات القديمة التى اختطها جوهر لعساكره .
● مظهر التقديس : المرجع السابق ، ص٦١ .
(٣) ٤ ربيع أول ١٢١٦هـ = ١٥ يوليه ١٨٠١م .

الكيلارجى وأحمد بيك حسن من الأمراء المصريين يريدون الأسكندرية لعرض الصلح أيضاً على الجنرال منو قائد الجيوش الفرنساوية فلما وصلوا إلى الأسكندرية كلموه فى أمر الصلح وعرضوا عليه شروطه التى وقع الاتفاق عليها فلم يقبل بها وأبى إلا القتال فقاتلوه وحاصروا الإسكندرية وشددوا فى حصارها فكان العربان يدخلون إلى الفرنسيس بالمؤن وغيرها من طريق مجهول واشتد القتال بين الفريقين وتراسل رمى القنابل وكان الإنجليز والعثمانيون يهجمون فى كل يوم فلم ينالوا من الفرنسيس وطال الحرب وسئمت أنفس المقاتلين فخاف الإنجليز والعثمانيون سوء العاقبة فصمموا على الهجوم وهجموا على متاريس الفرنسيس هجمة رجل واحد فقتل العدد العديد من جيوش حسين باشا أمير السفن العثمانية وكذلك قتل من الإنجليز جماعة كثيرة وانجلت الواقعة عن جلاء الفرنسيس عن بعض متاريس ناحية العجمى فملكها الإنجليز وعساكر المسلمين وقتل من الفرنسيس عدد ليس بقليل وكذلك من الأمراء والصناجق المصريين ومازالوا على هذا الحال والحرب قائمة والقتال لا ينفك حتى جاءت إلى الجنرال منو رسل بونابرته بالاذعان إلى الصلح والجلاء عن الإسكندرية فأجلوا عنها بشروط غاية فى الفخر وعزة النفس ونزلوا على ظهور السفن التى أتى لهم بها أمير الدوارع الإنجليزية وساروا إلى أوطانهم فى العشرة الأواخر من جمادى الأولى من السنة أى سنة ست عشرة ومائتين وألف هجرية فكانت مدة لبث الجنرال منو بمدينة الأسكندرية فى الحصار والقتال بعد خروج الفرنسيس جميعاً ونزولهم بأبى قير وقيامهم إلى أوطانهم شهرين وبضعة أيام ولم يعتبر جماعة الكتاب هذه المدة فى مدة تصرفهم فى البلاد بل عدتها أيام حصر وقتال ليس إلا وقالوا إن مدة إقامتهم وتسلطهم لغاية جلائهم وخروجهم من القلاع هى ثلاث سنوات واحد عشر يوماً حيث نزلوا على انبابه والجيزة وغلبوا طوائف المماليك فى يوم السبت تاسع صفر سنة ثلاث عشرة[1] ومائتين وألف هجرية

(١) ٩ صفر ١٢١٣هـ = ٢٣ يوليو ١٧٩٨م .

وكان انتقالهم وخروجهم من القلاع وجلاؤهم عن المدينة وانخلاعهم عن التصرف والحكم ليلة الجمعة الحادى والعشرين من صفر سنة ست عشرة ومائتين وألف هجرية[1] فسبحان من بيده الملك يؤتيه من يشاء من عباده .

(١) ٢١ صفر ١٢١٦هـ = ٣ يوليه ١٨٠١م .

## (فصـــــل)

## (فى بقية مدة سلطنة السلطان[١] سليم وما فيها من الحوادث والأخبار)

لما تم جلاء الفرنسيس عن القاهرة ومصر دخل الوزير يوسف باشا إلى القاهرة يوم الخميس خامس ربيع الأول فى موكب حافل للغاية وكان دخوله من باب النصر ومر من وسط المدينة وأمامه الجند المختلف من أرنؤد وانكشارية وشامية والأمراء المصريين والمغاربة والقليونجية وطاهر باشا أمير العسكر الأرنؤد وإبراهيم باشا والى حلب ومحمد باشا أبو مرق والى مصر والكتبة ورئيس الكتاب وكتخدا الدولة وغيرهم من الخدم والحشم والأتباع وقاضى القضاة والنواب والعلماء المصريين ومشايخ التكايا والدراويش وأمامه الملازمون بالبراقع والجاويشية والسعاة والجوخدارية[٢] وخلفه اثنان على يمينه ويساره ينثرون دراهم الفضة على رؤس الناس بالطريق ثم النوبة التركية وبعض المدافع وعربات الذخيرة وكانت الحصون والقلاع جميعها تطلق المدافع تباعاً وما زال حتى نزل ببيت رشوان بيك بحارة عابدين . فلما استقر به المقام جعل يتصرف فى الأمور ورسم بأن لا تدفع الأموال والعشور للملتزمين إلا بمرسوم منه واهتم بترتيب ديوان الأعشار والمكوس وبالغ فى ذلك فانقبض الناس وأخذتهم الطيرة من فعاله ولم يلبث حتى طلب قرضة من التجار قدرها مائة كيس وعشرة أكياس فاعتذروا فلم يقبل فاجتمع أصاغرهم عند بيته وصاحوا واستغاثوا ونادوا ارحمنا يرحمك الله

---

(١) ابن السلطان مصطفى الثالث ، وقد ولد فى سنة ١١٧٥هـ/١٧٦٢م ، وتولى السلطنة عام ١٧٨٩ ، وقد خلع من السلطنة إثر تمرد وثورة من الجند فى يونيه ١٨٠٧ ، وكانت مدة حكمه ١٨ سنة ، وتوفى فى ٤ جمادى الأولى عام ٢٨/١٢٢٣ يونيه ١٨٠٨ وخلفه السلطان مصطفى الرابع .

● محمد فريد : المرجع السابق ، ص ص ، ٣٦٣ ، ٢٩٣ .

(٢) الجوخدارية : تعنى صاحب الجوخ ، والقيم عليه وصناعته أو لابسه وهو موظف غير عسكرى يناط به النظر فى شئون ملابس السلطان فى العصر العثمانى ، كما كان يطلق على الحاجب الذى يفتح الستارة ويغلقها على باب الوزير أو الأمير ، وأطلق على السعاة الذين يؤدون أعمالاً رسمية خارج مبانى الدواوين الرسمية .

● الجبرتى جـ ١ : المرجع السابق ، ص٦٩ .

فرسم برفعها عنهم وتكليف أهل الميسرة منهم بها فدفعوها وهم صاغرون وشدد في تحصيل العشور فبلغ ما تحصل منه في بضعة أيام ستة عشر ألف كيس ولم يكن بأسرع من أن عمد العسكر على اختلاف أجناسهم إلى العسف والجور والاختلاط بالسوقة . قال صاحب[1] عجائب الآثار وكثر اشتغال طائفة العسكر بالبيع والشراء في أصناف المأكولات وتسلطوا على الناس بطلب الكلف ورتبوا على السوقة وأرباب الحوانيت دراهم يأخذونها منهم في كل يوم ويأخذون من المخابز الخبز بغير ثمن وكذلك يشربون القهوة من القهاوي ويحتكرون ما يريدون من الأصناف ويبيعونها بأغلى الأثمان ولا يسري عليهم حكم المحتسب وكذلك تسلطوا على الناس بالإيذاء لأدنى سبب وتعرضوا للسكان في منازلهم فيأتي منهم أناس ويدخلون الدار ويأمرون أهلها بالخروج منها ليسكنوها فإن لاطفهم الساكن وأعطاهم دراهم ذهبوا عنه وتركوه وإن عاند سبوه وضربوه ولو عظيماً وإن شكا إلى كبيرهم قوبل بالتبكيت ويقال له ألا تفسحون لإخوانكم المجاهدين الذين حاربوا عنكم وأنقذوكم من الكفار الذين كانوا يسومونكم سوء العذاب ويأخذون أموالكم ويفجرون بنسائكم وينهبون بيوتكم وهم ضيوفكم أياماً قليلة قال فما يسع المسكين إلا أن يكلفهم بما قدر عليه وإن أسعفته العناية وانصرفوا عنه بأي وجه فيأتي إليه خلافهم وإن سكنوا دارا أخربوها قال وأما القلقات[2] والانكشارية الذين تقيدوا بحارات النصارى فإنهم كلفوهم أضعاف ما كلفوا به المسلمين فكانوا يطلبون منهم بعد كلف المأكل واللوازم مصروف الجيب وأجرة الحمام وغير ذلك وتسلط عليهم المسلمون بالدعاوي والشكاى[3] على أيدي أولئك القلقات فكانوا يتخلصون منهم بما لزمهم بأدنى شبهة ولا يعطون المدعي إلا القليل من ذلك والمدعي يكتفي بما حصل له من التشفي

---

(١) عجائب الآثار ، جـ٣ ، ص ص٣٠٢ ، ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٢) القلقات مفردها قُلق وهي كلمة تركية معناها العبد ، ولما كان عبيد الباب هم حراسه فقد صارت القلق بمعنى دار الحراسة والقلق هم الحراس .

● (الجبرتي : مظهر التقديس ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، مرجع سابق ، ص٤٠ .

(٣) الشكاوى .

والظفر بعدوّه قال وإذا تداعى شخص على شخص أو امرأة على زوجها ذهب معهم أتباع القلق إلى المحكمة إن كانت الدعوة[1] شرعية فإذا تمت الدعوة وأخذ القاضى محصوله يأخذ مثله أتباع القلق على قدر تحمل الدعوة قال وعاد يوسف باشا فأطلق للملتزمين التصرف فى سنة خمس عشرة ليقضوا مالهم وما عليهم من البواقى ومال الميرى والمضاف ويدفعوا جميع ذلك إلى الخزينة بأوراق مختومة من إبراهيم بيك وعثمان بيك والقصد من ذلك اطمئنانهم بالجباية والرجاء بالتصرف فى المستقبل ووعدهم بذلك سنة تاريخه بعد دفعهم الحلوان مع أن الفرنساوية لما استقر أمرهم بمصر ونظروا فى الأموال الميرية والخراج وجدوا ولاة الأمور يقبضون سنة معجلة ونظروا فى الدفاتر القديمة واطلعوا على العوائد السالفة ورأوا أن ذلك كان يقبض أثلاثاً مع المراعاة فى رى الأراضى وعدمه فاختاروا الأصلح فى أسباب العمار وقالوا ليس من الإنصاف المطالبة بالخراج قبل الزراعة بسنة وأهملوا وتركوا سنة خمس عشرة فلم يطالبوا الملتزمين بالأموال الأميرية ولا الفلاحين بالخراج فتنفس الفلاحون وترجعت أرواحهم مع عدم تكليفهم كثرة المغارم والكلف وحق طرق المعينين ونحو ذلك . انتهى .

وأخذ يوسف باشا الصدر الأعظم فى تدبير الأمور كما يشاء فقسم الوظائف العالية والرتب السامية على من كان يتوسم فيهم سمة الطاعة والإخلاص وخلع محمد باشا أبو مرق عامل الدولة على مصر وولى مكانه محمد خسرو باشا[2]

---

(١) صحتها الدعوى .

(٢) تقلد محمد خسرو باشا ولاية مصر ، وهو أول وال عثمانى عين بعد جلاء الفرنسيين وكان قبل توليته كتخدا (وكيل) حسين قبطان باشا ومن خاصة أصدقائه ، وهو الذى سعى له فى تقليده ولاية مصر .
وكان خسرو باشا من مماليك قبطان باشا قبل أن يكون وكيله ، وقد وقع خلاف بين حسين باشا والصدر الأعظم على هذا التعيين لأن الصدر الأعظم كان يرغب فى إسناد ولاية مصر إلى محمد على أبى مرق أحد رؤساء الجيش العثمانى الذى جاء صحبه الصدر الأعظم ، ودخل معه إلى القاهرة على أن يكون والياً لمصر ، لكن نفوذ حسين باشا قبطان تغلب على رغبة الصدر الأعظم إذ كان حسين باشا مقرباً إلى السلطان سليم وله عنده حرمة إذ كان قد تربى معه ، وكان له أيضاً مكانة ممتازة نالها من كونه مجدد الأسطول التركى ومنشىء معظم سفنه فى ذلك الوقت ، فاستطاع بنفوذه لدى السلطان أن يستصدر فرماناً بإسناد ولاية مصر لخسرو باشا .
● الرافعى : تاريخ الحركة الوطنية ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ط ١٩٥٨ ، ص٢٨٧ .

وهو كتخدا حسين باشا أمير السفن الذى كان حضر لقتال مراد بيك وإبراهيم بيك الكبير قبل قدوم الفرنسيس لمصر فكانت ولاية أبى مرق المذكور قصيرة جداً ولم يكن له فيها من الحكم سوى الاسم فقط وجعل يعمل الحيلة على الفتك بجميع الأمراء المصريين وقطع شأفتهم من مصر وعمل ديواناً وجمع إليه جميع أولئك الأمراء والصناجق والأعيان على اختلافهم وأوهم أنه إنما يريد المفاوضة معهم فى شئون البلاد ومصالح الرعية فلما تكاملوا أمر فقبضوا فى الحال على إبراهيم بيك الكبير وبقية الأمراء والصناجق وأصعدوهم إلى قلعة الجبل ووضعوهم بسجن هناك فانزعج من حضر بالديوان وتفرقوا وهم لا يصدقون بالنجاة وسير خلف محمد بيك[1] الألفى بالصعيد طائفة من الجند ليقتلوه وكان قد عاث وعبث بالصعيد وأهلك الحرث والنسل وصادر الأغنياء والفقراء حتى المشايخ والعلماء وأخذ ما فى بيت المال والأوقاف وكل من وصلت إليه يده وسير جماعة آخرين للقبض على سليم أبى دياب وكان مقيماً بالمنيل فلما علم بالخبر طلب الفرار وترك متاعه وأثقاله ووصل إليه الجند فلم يجدوه فنهبوا القرية وأخذوا جميع ما كان له فيها وتبعوه فلحقوا به ناحية طرا فقاتلهم وقاتلوه ومات خلق كثير من الفريقين ثم هرب فى نفر قليل جداً إلى الصعيد من طريق الجبل وأقام طوائف الأرنؤد بالأخطاط وخارج المدينة يقبضون على من يصادفونه من المماليك والأجناد ونودى فى ذلك اليوم على الرعية بالأمان وملازمة السكون وأحاط العسكر بالأمراء المعتقلين واختفى من بقى منهم فنادوا

---

(١) كان الصدر الأعظم يتظاهر بالود للمماليك ، فاغتر هؤلاء بظاهره بينما كان يعمل على ضربهم ببعضهم تمهيداً للقضاء عليهم جميعاً ، فعين محمد بك الألفى أميراً للصعيد وكان هذا المنصب مطمع كثير من البكوات المماليك فحنقوا عليه لانفراده بهذه الإمارة واعتزم الصدر الأعظم وحسين باشا القبطان أن يأخذ رؤساءهم غيلة ، فاتفقا على أن يكون كل منهما فريقاً من زعماء المماليك للاجتماع به ، الأول فى القاهرة والثانى فى الأسكندرية بحجة تكريمهم وتقليدهم سلطة الحكم فى البلاد فإذا ما اجتمعوا فتك الجند بهم أو غللوهم فى الحبوس وأرسلوهم إلى الأستانة لتقرر الحكومة التركية مصيرهم .

● الرافعى : تاريخ الحركة الوطنية ، جـ٢ ، مرجع سابق ، ط١٩٥٨ ، ص٢٨٨ .

بالتوعد لمن أخفاهم أو آواهم وكان لم يزل بالجيزة فريق من العساكر[1] الإنجليزية مخيم بها فذهب إليهم سليم بيك أبو دياب واستغاث بمقدمهم هتشنسون فأغاثه وأمنه وكلم يوسف باشا فى أمره . وبينما كان يوسف باشا يعمل على إبادة من بقى من المماليك والصناجق الذين بمصر والقاهرة وغيرهما من البلدان كان حسين باشا أمير السفن يدبر الحيلة أيضاً للقبض على من كان عنده بأبى قير من أولئك القوم فأحسوا بذلك وأوجسوا منه خيفة فكانوا لا يذهبون إليه إلا إذا دعاهم إلا وهم حاملون أسلحتهم ومعهم العدد الكثير من المماليك والأتباع تخفرهم فكان يبش عند لقائهم ويظهر لهم الرفق والملاطفة ويستميلهم بزخرف القول إلى أن دعاهم يوماً على ظهر سفينته لمأدبة أعدها لهم فذهبوا إليه بسلاحهم ومماليكهم على عادتهم فقابلهم بالترحاب وبالغ فى تعظيمهم فلما تكامل عددهم جاء إليه أحد أتباعه وأخبره بورود ساع من مصر ومعه مكاتيب من الصدر الأعظم فقام ليرى ذلك فما هو إلا أن حضر إلى المجلس أحد مقدمى عسكر السفينة وأعلمهم بأنه قد ورد مرسوم سلطانى فى تلك الساعة باستدعائهم إلى دار السلطنة ثم أمرهم بنزع سلاحهم عنهم فقام فى الحال محمد بيك المنفوخ وسل سيفه وضربه فقتله فما وسع بقية الأمراء إلا أنهم فعلوا كذلك فقام عليهم من بالسفينة من العسكر واشتبك القتال بين الفريقين فقتل أكثر الأمراء المصريين وقبضوا على من بقى منهم وأنزلوهم إلى بعض السفن إلا من فروا مجروحين وهم فى أسوأ حال وذهبوا إلى معسكر الإنجليز ملتجئين وكانوا لما أحسوا بعزم حسين باشا على اغتيالهم شكوا ذلك إلى مقدم الجيوش الإنجليزية ورغبوا إليه أن يذب عنهم ويقوم لنصرتهم فأمنهم ووعدهم وطيب

---

(١) ظلت القوات الإنجليزية معسكرة فى مصر والجيزة إلى أن أرسلت الحكومة الإنجليزية إليها تأمرها بالعودة إلى الهند ، فانسحب الجيش الإنجليزى من معسكره فى شهر مايو سنة ١٨٠٢ وسلم الجيزة إلى خسرو باشا ، ومضى الإنجليز إلى السويس حيث أقلعت بهم السفن إلى الهند فى أوائل يونية ، ولم يبق من جيش الاحتلال الإنجليزى فى مصر سوى القوات المرابطة فى الأسكندرية .

● الرافعى ، جـ٢ ، المرجع نفسه ، ص٢٩٤ .

خواطرهم فلما ذهب إليه من نجا منهم من القتل وأخبروه بما فعل حسين باشا غضب جداً وانحاز بعسكره إلى مدينة الأسكندرية وطردوا من كانوا بها من العثمانيين وأغلقوا أبواب الأبراج وأحاط منهم طائفة كبيرة بالبنادق والمدافع بحسن باشا براً وبحراً وطلب الإنجليز بروزه بعسكره لحربهم فلم يرض وقال لم يكن قط بيننا ما يدعو إلى ذلك فحضر إليه قائد الإنجليز وتكلم معه طويلاً وصمم على أخذ من بقى من الأمراء المعتقلين فأطلقهم فأخذهم قائد الإنجليز وأخذ جثث الأموات منهم ونقل مرضاهم إلى الأسكندرية وبات وأصبح فأخرج الأموات فى مشهد حافل وسارت أمامهم طوائف الإنجليز فى أبهة عظيمة وأرسل إلى قائد جيوش الجيزة يعلمه بما وقع ويطلب منه إلزام يوسف باشا بتسليم من عنده من الأمراء المعتقلين فطالب القائد يوسف باشا بمن عنده من الأمراء وألح فى الطلب فطاول وراوغ واستعمل الخداع واستدعاه إليه وخلع عليه خلعة سمور عظيمةوشللنج[1] من الجوهر يوضع على مقدمة الرأس ثم حمل المعتقلين كافة على تحرير كتاب إلى القائد المذكور يقولون فيه أنهم أتباع السلطان وتحت طاعته إن شاء أبقاهم فى إمارتهم وإن شاء قلدهم المناصب العالية فى ولايات مملكته السلطانية وإن شاء طلبهم يذهبون إليه ولا دخل للإنجليز فيما جرى عليهم من خير أو شر فأرسل القائد إلى يوسف باشا يقول لا عبرة بهذا الخطاب فإن القوم مسجونون محجور عليهم فى جميع تصرفاتهم لا يعملون إلا ما شاء الوزير وأعوانه فأرسلوهم إلينا لنخاطبهم ونعلم ما فى خواطرهم فلما كانت ليلة الإثنين تاسع رجب أحضر الصدر إبراهيم بيك ولاطفه وسايره وكلمه مع بقية الأمراء المعتقلين وأعلمه بأن سيرسله مع من هم معه إلى قائد الجيوش الإنجليزية بالجيزة فيقضوا يومهم هناك ويخبروا القائد بأنهم فى راحة وأنهم طائعون لسلطانهم وخاضعون لكلمته وأن الخطاب الذى بعثوا به هو عن طيب

(١) شللنج : الشلنج هى حلية للرأس مرصعة بالأحجار الكريمة ونوع من الشراريب أو الريش ، يكافأ بها المحاربون ، ويعلق فى أغطية رؤوسهم .

● أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ص١٣٧ .

خاطر منهم ولا إكراه لهم على تحريره فأظهر إبراهيم بيك عدم الرغبة فى الذهاب وبالغ فى التمنع وقال كيف نتوجه إليهم وهم أعداء لنا ولديننا وكيف نذهب إليهم على هذه الصورة فألح عليه الوزير وحالفه وحالف بقية الأمراء على سرعة العودة ومناهم بالأمانى الطويلة فلما كان صبح يوم الإثنين نزلوا جميعهم من قلعة الجبل وعبروا النيل إلى الجيزة فتبعهم مماليكهم وأتباعهم وأخصاؤهم وأقاموا بالجيزة ولم يعودوا إلى الوزير فلبث الوزير ينتظرهم خمسة أيام وأرسل إليهم يدعوهم إلى الرجوع حسب عهدهم فامتنعوا وجاهر إبراهيم بيك بالعداوة ورمى الوزير بسوء النية وخبث الطوية فلما لم يرجعوا أمر الوزير فانعقد الديوان ببيت الشيخ السادات واجتمع فيه جميع المشايخ والوجهاء وأصحاب المناصب العالية وتكلموا فيما جرى من إبراهيم بيك ومخالفته للعهد وإصراره على عدم الرجوع وكتبوا له خطاباً بذلك وضمنوه النصيحة ووجوب الطاعة فأجاب هو ومن معه بأنهم مطيعون وأنهم لم يجنحوا للبقاء عند الإنجليز إلا خوفاً مما يحل بهم كما حل بإخوانهم بالأسكندرية وهم الآن فى حمى أحب الدول للخليفة الأعظم وأقربهم لمودته ثم لبثوا بالجيزة أياماً وخرجوا بعد ذلك إلى جزيرة الذهب ونصبوا بها خيامهم أياماً أيضاً وأخذوا ما قدروا عليه من سلاح وكراع وركبوا ليلاً وترفعوا إلى الصعيد من جانب النيل الغربى وتخلف عنهم بعضهم فلما علم الصدر بخبر مسيرهم إلى الصعيد اغتم غماً شديداً وأمر فنودى بالأمان على من بقى منهم أو تخلف عنهم إن هم أتوا إلى باب الوزير فلم يذهب إليه إلا بعض المماليك والأتباع الذين لا كسب لهم ولا عيش وانقطع خبرهم عن الناس فصرفهم ، ولما كان يوم السبت ثالث شوال سنة ست عشرة ومائتين[1] وألف خرجت خيام الصدر الأعظم وأمتعته إلى قبة النصر وقد جاءه الأمر بالرجوع إلى دار السلطنة بمن معه من العساكر والأجناد ونادوا بخروج جميع العساكر وجلائهم عن مصر والقاهرة وبقية المدن والقرى والأرياف فى مدة ثلاثة أيام آخرها يوم الإثنين

(١) ٣ شوال ١٢١٦هـ = ٦ فبراير ١٨٠٢م .

فأخذوا فى الجلاء بأحمالهم وأثقالهم ودوابهم وفى يوم الإثنين[١] خامس شوّال المذكور خرج يوسف باشا إلى قبة النصر وتتابع خروج الأثقال والعساكر وطوائف الجند فجعلوا عند خروجهم يعربدون ويخطفون أشياء الباعة فى الأسواق وكتب الوزير فى يوم خروجه أوراقاً تتضمن كف الناس عن الشر والخلود إلى السكينة ورفع قصصهم إلى باب محمد باشا عامل السلطان على البلاد وأن يحافظوا على زيهم وقوانينهم القديمة ويلازموا على الصلوات بالجماعة فى المساجد ويوقدون القناديل ليلاً على البيوت والمساجد والوكائل والخانات التى بالشوارع ولا يمر أحد من الجند والعسكر بعد الغروب وكذلك الأهالى إلا من كان معه فانوس أو سراج ويبيعون ويشترون بلا قيد ولا تقييد وأن لا يخفى أحد عنده عسكراً من العثمانيين وأن لا يبقى منهم بعد جلاء الوزير أحد بمصر والقاهرة ومن وجد منهم متخلفاً بغير مرسوم فى يده عوقب بأشد العقاب وأن تبطل جميع القهاوى المحدثة ولا يبقى منها إلا ما كان قديم العهد ولا يبيت أحد من العساكر فى قهوة ولا يبيعون المسكرات وغير ذلك من الأوامر والنواهى ثم ركب الصدر من قبة النصر فى يوم السبت عاشر شوال وقد سلم مقاليد الأمور إلى محمد باشا الوالى وسار إلى الخانكاه وسار معه جميع العساكر فوصلوا إلى بلبيس وأقاموا بها أياماً قلائل ثم ساروا منها إلى طريق الشام .

واستقر بمحمد باشا منصب الولاية فجعل يتصرف فى الأمور وبالغ فى التدبير وضيق وشدد وأرهب وأخذ بالشبهات وأكثر من العيون والأرصاد فتزاحم على بابه أهل السعاية وتقرب إليه أهل الوشاية فأكثر فى القتل والصلب والتحريق وزاد فى المغارم والمكوس وأحدث الإحداثات والبدع فخافه الناس جداً وانكمش من كان يظنه فى بادىء الأمر شيأ هينا وقد تتبع الأعيان وأصحاب المظاهر بالمدن والبلدان فأفنى منهم خلقاً وطلب الأمراء والمماليك بمصر والقاهرة فاختفوا وتفرقوا فى الجهات وسير طائفة كبيرة من العسكر خلف إبراهيم بيك

(١) ٥ شوال ١٢١٦هـ = ٨ فبراير ١٨٠٢م .

الكبير ومن معه للقبض عليهم وأكثر من التخفى والتجسس والتطواف بغير زيه لكشف العورات وأقام على الأسكندرية حاكماً اسمه خورشيد بيك وقيده بأخذ قلاعها وحصونها من جماعة الإنجليز النازلين بها فسار إليهم وكلم مقدم الإنجليز فى ذلك فجعل يماطل ويكثر من التسويف والتعليل أياماً كثيرة حتى جاءهم الأمر من كبير السياسة الإنجليزية بلندن عاصمة بلادهم بالجلاء عن مصر فعبر مقدمهم وبعض قوادهم من انبابه إلى مصر القديمة فتهيأ الباشا لملاقاتهم واصطف الجند عند بيته ووصل الإنجليز إلى الأزبكية فقابلهم الباشا وأحسن لقاءهم وخلع عليهم وقدم لهم خيلاً وهدايا نفيسة وأطلقوا عند ذلك مدافع كثيرة فلما كان يوم الإثنين ثامن المحرم[١] افتتاح سنة سبع عشرة أخلى الإنجليز القلاع التى بالأسكندرية والحصون وعبر محمد باشا النيل إلى انبابه ومعه طاهر باشا مقدم الجند الارنؤود ونحو الخمسين من أتباعه فقابله مقدّم الجيوش الإنجليزية بأحسن استقبال وقدم له بعض التقادم[٢] والهدايا ثم أخذ الإنجليز فى الجلاء فعبر فريق منهم إلى القاهرة وخيم بجزيرة بدران أياماً ثم ساروا منها إلى مدينة السويس وسار فريق آخر إلى القصير على السفن العظيمة وخلت الجيزة منهم فى يوم الإثنين ثانى عشرى المحرم من السنة فتسلمها منهم نائب أمير السفن العثمانية ونزل بالقصر وأنزلوا بها بعض العساكر والأجناد المصرية وبقى بالأسكندرية طائفة من الإنجليز بغير أجل محدود .

وجاءت الأخبار بلقاء الجنود السلطانية الذين سيرهم محمد باشا إلى الصعيد الأعلى بعساكر إبراهيم بيك الكبير فوقع بين الفريقين قتال شديد للغاية أياماً ثم انجلى عن هزيمة العساكر السلطانية فقتل منهم جماعة كثيرة وتقوى المصريون بهذه النصرة العظيمة واشتدت ظهورهم وكان مقدم المصريين فى هذه الوقعة الألفى وقد لحق بهم جماعة من الفرنسيس ممن تخلفوا بمصر واجتمع

---

(١) ٨ محرم ١٢١٧هـ = ١١ مايو ١٨٠٢م .

(٢) الهدايا أو التقدمات .

إليهم أيضاً عدة كبيرة من العساكر العثمانية طمعاً فى بذلهم فاشتد الخطب على العثمانيين وأرسلوا يطلبون المدد فاهتم بذلك محمد باشا ورسم بخروج طاهر باشا بعسكره فبرز إلى البساتين وعبر النيل وعسكر بالجانب الغربى من النيل وتبعته العساكر والأجناد بالذخيرة وآلات الحرب وكثرت عربدة الأمراء المصريين بالصعيد واجتمع إليهم العدد العديد من الهوارة وغوغاء الحرف والعربان وزحفوا حتى وصلوا إلى غربى أسيوط وخافهم العساكر العثمانية وداخلهم الرعب منهم وتحصن كل فريق فى مقره ولم تفعل خمرة النصر بإبراهيم بيك والألفى وأصحابهما ما تفعله بجهلاء المحاربين ولم تقعدهما عن استعمال الحيلة فى طلب الصلح فكتبوا إلى محمد باشا خطاباً يشكون فيه مما أصابهم ويتوجعون مما لحقهم من الضيق وأنهم فى طاعة الله وطاعة السلطان ولم يكونوا ليتوقعوا هذا التبعيد والتشريد والقتل وما هم فيه من سوء المعاملة وقد خاطروا بأرواحهم فى خدمة الدولة وقاتلوا مع العثمانيين وأبلوا مع الفرنسيس بلاء حسناً وما هم إلا أنهم يرغبون فى إحدى خصال ثلاث إما أن يعطى لهم بلاد يقيمون بها بعيدين عن كل مظنة وريبة وإما أن ترسل إليهم نساؤهم ويبعث إليهم بعض السفن ليركبوها من القصير إلى جدة فيقيمون بها أو يقيمون بالحجاز وإما أن تعين لهم نقطة يتربصون بها قدر[1] خمسة أشهر حتى يرفعوا أمرهم إلى دار السلطنة ويأتيهم الجواب فلما جاء هذا الخطاب إلى محمد باشا جمع العلماء والمشايخ وبعض

---

(١) بدأ خسرو حركاته الحربية بتجريد حملة على المماليك فى الصعيد للقضاء عليهم فأرسل إليهم جزءاً من جيشه بقيادة حسن باشا وكان المماليك قد انتشروا فى الفيوم وبنى سويف والمنيا ، فلما علموا بزحف الجيش العثمانى على الصعيد أرسلوا إلى خسرو باشا يطلبون إليه وقف القتال لمدة خمسة أشهر ريثما يعرضون الأمر على الباب العالى وليؤكدوا له إخلاصهم فرفض خسرو وطالبهم بالحضور إلى مصر وإظهار خضوعهم له كما فعل زميلهم عثمان بك حسن من قبل ، وقد أعطاهم الأمان مستثنياً إبراهيم بك وعثمان بك البرديسى ومحمد بك الألفى وسليم بك أبا دياب .

وأحس المماليك بأن فى هذا إذلالاً لهم فتسوا أحقادهم واتحدوا ضد الأتراك والتقوا بهم فى هو وانتصروا عليهم .

- الرافعى : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٩٦ .

الوجهاء وتشاوروا فى الأمر فاتحدت كلمتهم على أن يكتبوا بتأمين جميع الأمراء والصناجق الذين بالصعيد ويأذنوا لهم بالرجوع إلى القاهرة ولهم ما لإخوانهم وأقرانهم وعليهم ما عليهم ما عدا إبراهيم بيك والألفى والبرديسى وأبى دياب فإنهم يبقون تحت الحجر حتى يخابروا فى شأنهم الباب العالى ويأتى الجواب وأرسلوا بذلك إلى إبراهيم بيك والألفى فلم يقبلوا بانفصال أصحابهم عنهم وترفعوا إلى الصعيد الأعلى وانتظروا ما سيكون . ولبث طاهر باشا مخيماً بعسكره فى الجانب الغربى من النيل لا يبدى حراكاً وطال ليثه وثقل عليه مكثه وداخل جنده الملل وكاد يتولاهم الفشل ومحمد باشا فى شاغل عنهم بمصادرة الناس وأخذ أموال أهل الميسرة وتتبع أصحاب المظاهر بأضعف الشبهات فكان الرجل منهم لا يمضى عليه بياض يومه إلا وهو فى حساب ما سيكون فى سواد ليله ولا فرق بين القبطى والمسلم إذ كانوا عنده كلهم فريسة واحدة وأمر فقبضوا على ثلاثة من عظماء القبط وهم المعلم أنطون أبو طقية والمعلم إبراهيم زيدان والمعلم عبد اللّه بركات معلم الديوان فقتلهم وأرسل الدفتردار فختم على دورهم وأملاكهم ونقلوا ما فيها إلى بيت الدفتردار ليباع فى المزاد فكان شيأ عظيماً للغاية من أوانى الذهب والفضة والأقمشة الهندية النفيسة وغير ذلك مما يجل عن الوصف غير الجوارى والعبيد قيل واستمر سوق المزاد فى ذلك عدة أيام ولما طال الحال على طاهر باشا وجنوده رجع إلى القاهرة وسرح بعض الجند واختفى الخبر القائل بتسيير طاهر باشا وجنوده لقتال إبراهيم بيك ومن معه . وبينما كان محمد باشا يسوم أهل مصر والقاهرة الخسف ويذيقهم مر العذاب كان نائبه على الأسكندرية يكثر من الإحداثات والمظالم والمكوس والمغارم ويضرب على أهلها الضرائب الفادحة وكانت عساكره تفسد فى الأرض وتهلك الحرث والنسل وتتعرض للناس على ما قيل فى إعراضهم فعظم الخلل واستفحل أمره وشكى الناس حالهم لمقدم الإنجليز النازلين بالأسكندرية واستغاثوا به فكلم خورشيد بيك فى أمرهم وقبح ما يفعله الجند بالرعية وحذره سوء العاقبة وطاوله أياماً

فاتفق أن جماعة من أولئك العسكر هموا بالقبض على امرأة فاستغاثت بنفر من الإنجليز فى طريقها فمنعوها منهم فتضاربوا وانتصر كل فريق لصاحبه واشتد القتال بينهم فقتل اثنان من الإنجليز وهرب العثمانيون فنزل فى الحال مقدم الجيوش الإنجليزية وجمع عساكره وزحف بهم إلى القلعة وأرسل إلى خورشيد بيك بأن أخرج من القلعة إلى خارج البلد للقتال فامتنع من ذلك فأمره بترك القلعة والتخلى عنها فلاطفه وماطله فأنزله قهراً وأسكنه فى داره فى البلد ومنع العساكر السلطانية من حمل السلاح وشدد فى مراقبتهم والحجر عليهم وتتبعهم أينما ساروا فسكنت خواطر الرعية واطمأنت قلوبهم بعد الخوف ومالوا إلى محبة الإنجليز وتمنوا لو أنهم يملكون البلاد وأظهروا للعثمانيين عين المقت والقلى وزالت هيبة خورشيد أو كادت .

وكان محمد باشا منذولى الولاية على مصر مولعاً بجمع عسكر وترتيبهم على نظام عسكر الفرنسيس فجمع خلقاً كثيراً ممن جاء إلى مصر من الأكراد[1] يريد الخروج مع الحج وألبسهم ألبسة الجوخ الأحمر الضيقة القصيرة وأزناطا قصيرة من الجوخ الأزرق وطراطير من صوف أحمر على أشكال ملابس الفرنسيس وقيد بتنظيمهم وتعليمهم نفراً من كبار الفرنسيس الذين تخلفوا عن الجلاء وكذلك ألبس عدة وافرة من العبيد السود الذين اغتصبهم من ساداتهم وجمع جميع المماليك الذين للأمراء بمصر والقاهرة وبعض البلدان وألبسهم الملابس الفاخرة وأركبهم جياد الخيل وقيد بهم من الفرنسيس من يعلمهم الفروسية واستعمال السلاح وسماهم بالنظام الجديد واهتم بأمرهم اهتماماً زائداً وشرع فى

---

(١) الأكراد : جاءوا إلى كردستان من آسيا عبر فارس ، وحافظوا على أسلوب حياتهم ، وعلى لغتهم التى هى احدى اللغات الاندو أوربية ، واشتهروا بالخدمة العسكرية شأنهم فى ذلك شأن أهل الجبال ، وهم فى غالبيتهم سنيون ، ولذلك لجأوا إلى السلطان العثمانى عندما وقعوا تحت السيف الشيعى الصفوى فى أوائل القرن السادس عشر ، وعندما ضم السلطان كردستان اعترف بما كان فيه من أمارات وعصبيات حاكمة كالإمارة الصورانية والبابية والبهدينانية والبوثانية .

● (عبد العزيز سليمان نوار (دكتور) : تاريخ العراق الحديث ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص٩٩) .

إنشاء عمارة عظيمة على مقربة من مقره لسكنى أولئك العسكرسماها قشلاق النظام واهتم بهذا القشلاق اهتماماً عظيماً فكان يجلس بنفسه لملاحظة البنائين والنجارين وأصحاب الصنائع وقد ضرب خيمة لجلوسه فى كل يوم من الصباح إلى غروب الشمس . قال صاحب[1] عجائب الآثار وضرب الباشا خيمة عند بيته بقرب الهدم يجلس فيها حصة كل يوم لمباشرة العمل وربما باشره بنفسه ونقل بعض الأنقاض فلما عاينه الأغاوات والجوخدارية بادروا إلى الشيل ونقل التراب بالغلقان[2] فلما أشيع ذلك حضر طاهر باشا وأعيان العساكر فنقلوا أيضاً وطلبوا المساعدة وحضر طائفة من ناحية الرميلة وعرب اليسار ومعهم طبول وزمور فسأل عن ذلك فقال له المحتسب إن هؤلاء من طوائفى حضروا للمساعدة فشكرهم على ذلك وأمرهم بالذهاب فبقى منهم طائفة وأخذوا فى شيل التراب بالإغلاق ساعة والطبول تضرب لهم فانسر الباشا من ذلك وحسن القرناء للباشا المساعدة وأن الناس تحب ذلك فرتبوا ذلك وأحضروا قوائم أرباب الحرف التى كتبت أيام فرض الفرنسيس ونبهوا عليهم بالحضور قال فأول ما بدؤا بالنصارى الأقباط فحضروا ويقدمهم رؤساؤهم جرجس الجوهرى وواصف وفلتأوس ومعهم طبول وزمور وأحضر لهم أيضاً مهتار باشا النوبة[3] التركية وأنواع الآلات والمغنين حتى البرامكة بالرباب فاشتغلوا نحو ثلاث ساعات وفى ثانى يوم حضر منهم أيضاً

(١) عجائب الآثار ، جـ٣ ، ص٣٥٦/٣٥٨ .

(٢) الغلقان : القفاف الصغيرة .

(٣) نوبات تركية وطبول شامية ونفافير كشوفية ودبادب حربية .

النوبة هى مقطوعة موسيقية تعزف فى المناسبات ، كما كانت تطلق على المارشات فى الموسيقى العسكرية ، وقد ظهرت هذه منذ وجود الحملة الفرنسية كانت تعزف فى الاحتفالات الكبرى أو قيام العسكر بحمله أو تدريب .

وكانت هذه النوبات وبخاصة التركية منها تعزف فى مناسبات إسلامية وقومية كمواكب شهر رمضان وطواف المحل وقوافل الحج أو عندما تذهب السلطات المدنية أو العسكرية فى القاهرة لاستقبال الباشا (الوالى) التركى ، وكانت الفرق العسكرية الموسيقية تستخدم آلات صاخبة مثل المزمار أو النفير والصنوج والدفوف والطبول بدون استخدام الالات الوتريه أو الناى ، وكانت هذه الالات تحدث صخباً يصم الآذان .

ومن أنواع هذه الآلات : الطبول مختلفة الأشكال والأحجام والأصوات كالبندير وتكون من إطار خشبى بعرض ٤٠ سم ويلصق عليه جلد ماعز مشدود وبه أربعة ثقوب يعلق منها .=

كذلك طائفة قُال ولما انقضت طوائف الأقباط حضر النصارى الشوام والأروام ثم طلبوا أرباب الحرف من المسلمين فكان يجتمع الطائفتان والثلاثة ويحضرون معهم عدة من الفعلة يستأجرونهم ويحضرون إلى العمل ويتقدمهم الطبول والزمور والمجرية وذلك خلاف ما رتبه مهتار باشا فيصير بذك ضجة عظيمة مختلفة من نوبات تركية وطبول شامية[1] ونقاقير كشوفية ودبادب حربية وآلات موسيقية وطبلات بلدية وربابات[2] برمكية قال كل ذلك فى الشمس والغبار والعفار وزادوا

---

=وكانت هناك الطبول من سبعة أنواع .

١- طبل النقارية (جمعها نقارير) وتتكون من طبلتين كبيرتين مصنوعتين من النحاس ومن حجمين كبيرين مختلفين ، وتحملان على ظهر جمل أو بغل بحيث تكون الطبلة الكبيرة على يمين العازف والصغرى على يساره ، ويبلغ قطر الكبرى ٦٥سم وعمقها ٥٣,٢ سم بينما قطر الصغرى ٤٣,٣سم وعمقها ٣٢,٨سم ويدق عليهما بالتبادل بعصوين (قضابة) أو بمطرقة ذات رأسين من الخشب (بيزر) ، ويدق على الطبلة الصغرى بسرعة بينما على الكبرى ببطء .

٢- النقرزان : مشتق من النقر أو الضرب ، أما زان فهى من الكلمة الفارسية (زون) بمعنى عزف ، وهما طبلتان يضعهما العازف على ظهر حمار ويضعهما على يمينه وشماله ويضرب عليهما بعصوين بسرعة مختلفة حسب النغمة .

(١) الطبل الشامى : وهى طبلة ذات قطر يبلغ ٤٨,٧سم وعمق تجويفها ١٠,٨سم وتعلق بشكل رأسى فوق بطن العازف بواسطة حبل أوسير من الجلد يلف حول كتفه وعنقه ويضرب عليها بعصوين صغيرتين . وهى أنواع :

١- طبل الجاويج (الشاويش) أو الدبابات الحربية ، وهى آلة قطرها ٢١,٧سم وعمق تجويفها ١٦,٢سم ويستخدمها الشاويش (وهو رجل عسكرى عند مشاركته فى موكب سلطات المدينة العسكرية خلال المناسبات والاحتفالات الرسمية الكبيرة ، ويكون ممتطياً ظهر حصان ويمسك هذه الطبلة بيده اليسرى عن طريق مقبض فى سطحها المحدب ويضرب عليها بيده اليمنى بعصا صغيرة .

٢- الطبل المجرى (دف الغرب) : وهى طبلة صغيرة قطرها ١٦,٢ وعمقها ١٣,٥ ولها عنق أو مقبض تمسك منها ويضرب عليها بقطعة جلد .

٣- طبلة المسحر (الباز) وهى طبلة صغيرة يستخدمها المسحراتى أيام رمضان أثناء السحور .

٤- الطبل التركى وهى أكبر الطبول حجماً ويضرب عليها من جانبها الأيمن بعصا خشبية لها رأس مكسوة بالجلد بينما يضرب على جانبها الأيسر بحزمة سيور من جلد الثور وتحمل على ظهر حمار وخلفها العازف .

٥- الطبل البلدى : وهى أصغر من السابق وتعلق أمام الضارب أفقياً وتضرب مثل السابق .

● (سمير يحيى الجمال (دكتور) : تاريخ الموسيقى المصرية ، أصولها وتطورها ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ص ١٨٧- ٢٤٢) .

(٢) رباب البرامكة : تتكون من جسم رنان مسطح رباعى الشكل على هيئة شبه معين بحيث تكون قمته موازية لقاعدته وضلعاه متساويان تقريباً ، وهى نوعان : نوع مزود بوتر واحد وتسمى رباب الشاعر أى التى يستخدمها الشاعر أو الراوى أثناء الإنشاد ، والنوع الآخر مزود بوترين وتسمى رباب المغنى .

● (سمير يحيى الجمال (دكتور) : المرجع نفسه ، ص ص ٢١٥/٢١٦) .

فى الطنبور نغمة وهى أنهم بعد أن يفرغوا من الشغل ويأذنوا لهم فى الذهاب يلزمونهم بدراهم يقبضها مهتار باشا برسم البقشيش إلى أولئك الطبالين والزمارين فيعطيهم النزر اليسير ويأخذ لنفسه الباقى وذلك بحسب رسمه واختياره فيأتى على الطائفة المائة قرش والخمسون قرشاً ونحو ذلك فيركب فى ثانى يوم يذهب إلى خطتهم ويلزمهم بإحضار الذى قرره عليهم فيجمعونه من بعضهم ويدفعونه قال وإذا حضرت طائفة ولم تقدم بين يديها هدية أو جعالة طولوا عليهم المدة وأتعبوهم ونهروهم واستحثوهم فى الشغل ولو كانوا من ذوى الحرف المعتبرة كما وقع لتجار الغورية والحريرية وإذا قدموا بين أيديهم شيأ خففوا عليهم وأكرموهم ومنعوا أعيانهم وشيوخهم من الشغل وأجلسوهم بخيمة مهتار باشا وأحضر لهم الآلات والمغانى فضربت بين أيديهم كما وقع ذلك لليهود قال واستمر العمل بقية الشهر الماضى إلى وقتنا هذا فاجتمع على الناس عشرة أشياء من الرذالة وهى السخرة والعونة وأجرة الفعلة والذل ومهنة العمل وتقطيع الثياب ودفع الدراهم وشماتة الأعداء من النصارى وتعطيل معاشهم وعاشرها أجرة الحمام . انتهى .

واستفحل أمر الأمراء المصريين بالصعيد الأعلى وكبرت عصابتهم وظهرت كلمتهم واجتمعت إليهم طوائف كثيرة من الهوارة وأهالى الحوف[1] الشرقى والغربى وقبائل العربان وقد تحصنوا عند الهو[2] بسفح الجبل ولبثوا على هذا الحال أياماً فبرز رجل من العثمانيين موصوف بالشجاعة والأقدام اسمه أجدر وأخذ معه ألفاً من العساكر الموصوفة وسار إليهم يريد اغتيالهم فسبق العين إلى الأمراء وأخبرهم بخبر الأجدر فلما توسط الأجدر وأصحابه سطح الجبل نظروا وإذا بالمصريين قد أقبلوا فى ثلاث فرق وأحاطوا بهم فأطلق العثمانيون بنادقهم طلقة

(١) الحوف الشرقى والغربى : الحوف ومعناها الجانب ، وقد أطلقها العرب على بعض البلاد المصرية خصوصاً فى الصعيد فى البلاد التى يقطنها العرب كالهوارة فى قنا .
● (محمد رمزى : المرجع السابق ، القسم الأول ، البلاد المندرسة ، ص٢٣٥) .

(٢) الهو : مدينة هو من المدن المصرية القديمة ، وهى إحدى مدن نجع حمادى ، محافظة قنا .
● محمد رمزى : المرجع السابق ، ق٢ ، جـ٤ ، ص١٩٩ .

واحدة ونظروا وإذا بهم فى وسطهم وتحت سيوف المصريين ففتكوا فيهم ولم ينج منهم إلا القليل وأخذ الأجدر أسيراً فلما أحضروا الأجدر بين يدى الألفى قال له ولأى شيء سميت بالأجدر فقال هو اسم للأفعى العظيمة وقد صرت الآن تحت ظل حماك فافعل ما أنت أهله قال بلى ولكنى أرى اسمك وقد زاد إلى حد يوجب خلع اسنانك ثم أمر به فخلعوا أسنانه جميعاً ثم قتلوه وزحف المصريون من الهو إلى بنى[1]علىّ ونزلوا عليها فنهبوا غلالها ومواشيها وقبضوا أموالها وكذلك الحوارشة[2]وما جاور ذلك من البلاد فاضطرب الباشا وخشى العاقبة وأخذ فى إعداد المدد من الرجال والذخيرة وآلات الحرب وسيرها إلى الصعيد مع أحد الأمراء (وهو محمد على سرجشمه[3]) أحد مقدمى العساكر السلطانية وأرسل إلى إبراهيم بيك الكبير مكاتبة بالأمان والعود إلى القاهرة والمقام بها لهم ما لإخوانهم وعليهم ما عليهم فلما وصل رسول الباشا بالمكاتبة أحسنوا لقاءه وفض الألفى المكاتبة وقرأها ثم التفت إلى الرسول فقال أما قولكم نذهب إلى دار الخلافة ونقابل السلطان كى ينعم علينا فهذا لا وجه له ولا نرضاه أبداً فإنه على تقدير أن فى نيته الإحسان فلم لا يحسن ونحن هنا فى بلاده وإحسانه لا يتقيد بحضورنا لديه أمّا طلب إخواننا إلى مصر فهم وشأنهم إن شاؤا أقاموا معنا على الرحب والسعة وإن شاؤا رجعوا إلى القاهرة وهم فى حل منا وأما قولكم إنكم تعطوننا أقطاعاً نعيش منه باسنا فهذا الإقطاع لا يكفينا فإن شاء أعطانا من أسيوط إلى الصعيد الأعلى وعلينا أن نقوم بخراجها وإلا فالأرض للّه ونحن خلق اللّه نذهب حيث شئنا ونأكل من رزق اللّه ما يكفينا ومن أتى إلينا حاربناه حتى يكون من أمرنا وأمركم ما يكون فلما رجع الرسول بالجواب اغتم الباشا غماً شديداً وركب من ساعته وأسرع فى تجهيز الجند وتسييرهم فعبروا النيل من الآثار

---

(١) بنى على : إحدى القرى بجوار الهو .

(٢) الحوارشة : إحدى القرى بجوار الهو .

(٣) سرجشمة : قائد فرقة تبلغ ٤٠٠٠ مقاتل .

● محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، المرجع السابق ، ص٣٩٠ .

إلى الجانب الغربى فى عدة عظيمة وذخيرة وافرة وكان بعد انحدار رسول الباشا من معسكر المصريين أمر الألفى فكسروا قنطرة اللاهون[1] وخيموا على مقربة منها وشرعوا فى قبض الأموال من بلاد الفيوم ومنع الوارد منها إلى مصر فخاف أهل الفيوم ورحل الكثير منها إلى القاهرة فكانوا ينامون بالأزقة والحارات رجالاً ونساء وأطفالاً ولا يجدون ما يقتاتون به فانزعج الباشا من هذا الحال واستعظمه وكان كلما سأل أحداً من الأمراء المصريين القيام مع الجند المسافرين اعتذر وطلب العفو أو أظهر عدم الطاعة وخرج بعضهم خفية ولحق بالمصريين فلما تحقق الباشا ذلك زاد به القلق ورسم لطوائف العسكر أن يقيم منهم فيها بالقلاع التى على التلال ففعلوا ورفعوا عليها الأعلام العثمانية وأوقفوا الحراس على أبواب المدينة يمنعون من يخرج منها من الغز والكشاف أو من له علاقة مع المحاربين فكان من خرج من بولاق أو غيرها لا يخرج إلا بمرسوم من كتخدا الباشا وأمر الباشا بنهب بيوت المحاربين التى بالقاهرة ومصر فنهبوا ما فيها من فرش ومتاع وغيره وحملوه إلى بيته وتمكن إبراهيم بيك والألفى ومن معهما من جميع بلاد الفيوم فكانوا إذا دخلوا بلدة منها ورأوا من أهلها مقاومة أو عصياناً ركبوا عليها وقتلوا من فيها بحد السيف وأحرقوا دورها وسبوا نساءها فخضعت لهم جميع البلدان والقرى وأدوا لهم المغارم والفرض وأباحوا لهم أخذ الغلال والماشية وهم صاغرون . وكان بمدينة الفيوم طائفة من الجنود السلطانية فلما رأوا من كثرة المصريين وفعالهم بأهل البلد تترسوا فى مواقعهم وأقاموا ينتظرون المدد وزحفت طلائع المصريين إلى الجيزة وأخذوا منها الأموال والمغارم ووصلوا إلى وردان وسار منهم جماعة إلى ناحية الشرقية والمنصورة ومروا بحاكم الشرقية فلم يمنعهم وقد كانوا عدة قليلة فعلم الباشا بذلك وحقد عليه واستقدمه فحضر فأمر به فقتلوه ونهبوا داره وسبوا نساءه وعبر كتخدا الباشا النيل إلى إنبابه وعبر معه طوائف

---

(١) اللاهون : من القرى القديمة اسمها المصرى Lehone والقبطى Lahous وهى تابعة لمحافظة الفيوم .

● محمد رمزى : المرجع السابق ، ق٢ ، جـ٣ ، ص٩٧ .

كثيرة من الجند ونصبوا خيامهم وجاء الخبر بوصول إبراهيم بيك ومن معه إلى الجسر الأسود فأقاموا به أياماً ثم ترفعوا إلى المنصورية[١] وبشتيل فخرج طاهر باشا وعبر النيل أيضاً وعسكر بجنوده على مقربة من الوراريق ثم ساروا طائفة بعد طائفة وكان الأمراء المصريون قد نزلوا على مقربة من دمنهور فلاقتهم العساكر السلطانية وناوشتهم القتال وهم فى قلة والعثمانيون فى كثرة زائد وكان مع جماعة المصريين بعض كبار جند الإنجليز جاؤا إليهم من الأسكندرية فلم يتأخر المصريون عن القتال وهجموا على فرسان العثمانيين هجمة الأسود وكان الإنجليز ينظرون إليهم نظرة المتعجب فهزموهم وولوا الأدبار وتركوا المشاة خلفهم فكر المصريون على المشاة أيضاً فألقوا أسلحتهم وطلبوا الأمان فساقوهم وأخذوا ما معهم من أسلحة ومدافع وذخيرة وغير ذلك وقد تمزق شكل من بقى من العساكر السلطانية وتفرقوا أشتاتاً وجاء الخبر بذلك إلى محمد باشا فانزعج وقد كانت وردت عليه أوامر دار السلطنة بسرعة إخراج إبراهيم بيك وأصحابه من الديار المصرية وإلا لحق به العطب فعمد إلى تجييش جيش آخر وبالغ فى إتقانه وتنظيمه وعبر به النيل إلى انبابه وانتقل[٢] طاهر باشا من انبابه بعساكره إلى الجيزة وتترس بها ووصلت المجاريح والمرضى من العثمانيين وأكثر الباشا من تحذير أعيان ومشايخ البلاد من مسالمة الأمراء المصريين أو التقرب إليهم وترفع فريق من الأمراء المذكورين راجعاً إلى الصعيد وذهب جماعة منهم أيضاً إلى دار السلطنة فى إحدى سفن الإنجليز لطلب عفو السلطان ونزل محمد بيك الألفى

(١) المنصورية وبشتيل : بشتيل اسمها القبطى Bischteh إحدى قرى مركز امبابة محافظة الجيزة وكذلك المنصورية المجاورة لها .

● رمزى ، محمد ، ق٢ ، جـ٣ ، ص٥٩ .

(٢) كان محمد خسرو يعتمد فى تأييد سلطته على الجيش التركى المؤلف من نحو سبعة عشر ألف مقاتل موزعين بين العاصمة والبنادر المهمة ومعظمهم من الألبان (الارنؤود) ومن رؤسائهم طاهر باشا وحسن باشا ومحمد على باشا ، على أن هذه السلطة لم تكن ثابتة لأنه جيش غير نظامى وجنوده يميلون إلى الفوضى والتمرد .

● الرافعى : المرجع نفسه ، جـ٢ ، ص٢٩٥ .

مع طوائف الإنجليز الذين كانوا بالأسكندرية يريد لندن عاصمة بلادهم إذ جاءهم الأمر بالجلاء تماماً عن الأسكندرية فرحلوا عنها فى يوم السبت حادى عشر ذى القعدة من السنة أى سنة سبع[١] عشرة ومائتين وألف هجرية ورجعت جميع العساكر السلطانية الذين كانوا بالبحيرة إلى القاهرة ومصر وانتشروا فيها يطوفون فى الشوارع والحارات وطالبوا الباشا بجماكيهم المتأخرة وقد كان قطع عنهم رواتبهم وعلوفاتهم لفراغ الخزينة وبغضه لهم لجبنهم وهزيمتهم فى الحروب فصار كبارهم يطالبون الباشا والدفتردار وهما يماطلان ويطاولان فاجتمع العساكر حول بيت الدفتردار وصاحوا عليه وتهددوه وشاع قيامهم لنهب أمتعة الناس فنقل أهل الغورية وغيرهم بضائعهم من الحوانيت وقفلوها أياماً كثيرة وخافهم الناس وامتنعوا من الخروج إلى الأسواق بعد الغروب فكانوا إذا انفردوا بأحد عروه من ثيابه فإن مانعهم قتلوه وأكثروا من خطف النساء والغلمان . قال صاحب[٢] عجائب الآثار ومر أربعة أشخاص من العساكر وأخذوا غلاماً لرجل حلاق بخط بين السورين عند القنطرة الجديدة فعارضهم الأوسطى الحلاق فى أخذ الغلام فضربوا الحلاق فقتلوه ثم ذهبوا بالغلام إلى دارهم بالخطة فقامت فى الناس ضجة وكرشة وحضر أغاة التبديل فطلبهم فكرنكوا بالدار وضربوا عليه البنادق من الطيقان فقتلوا من أتباعه ثمانية أنفار ولم يزالوا على ذلك إلى ثانى يوم فركب الباشا فى التبديل ومر من هناك وأمر بالقبض عليهم فنقبوا عليهم من خلف الدار وقبضوا عليهم بعد ما قتلوا وجرحوا آخرين فقتلوهم شنقاً ووجدوا بالدار مكاناً خراباً أخرجوا منه زيادة عن ستين امرأة مقتولة وبينهن من وجدوها وطفلها مذبوحاً معها فى حضنها . أ هـ .

---

(١) ١١ ذى القعدة ١٢١٧ = ٥ مارس ١٨٠٣ .

(٢) الجزء الثالث ، ص ، ص٣٧٣ ، ٣٧٤ .

واختل النظام من توالى هجمات الأمراء المصريين على البلاد وعبث الجنود السلطانية فيها وتجاوزهم الحدود فى القتل والنهب والتخريب والتعييب والفحش وغير ذلك فتطاولت أيدى العربان أيضاً إلى السلب ووقف كثير منهم فى طرق المارة يسلبون ما معهم ويقتلون من يمانعهم حتى زال الأمن وعم الخوف وانقطعت الطرق حتى فى نواحى المدينة وطريق بولاق القاهرة وغيرها وعجز محمد باشا وظهر ضعفه ثم جهز طائفة من الوجاقلية وسيرهم لقتال العربان فاقتتل الفريقان قتالاً عنيفاً انجلى عن هزيمة الوجاقلية وتمزيق شملهم ثم ترفع العربان بعد هذه النصرة إلى البحيرة وعاد من بقى من الوجاقلية وخيموا بجهة العادلية وجاء من كانوا بالبحيرة من الأمراء المصريين إلى منية ابن خصيب وأرسلوا إلى حاكمها بأن يعبر النيل هو ومن معه من العساكر العثمانية إلى الجانب الشرقى لينزلوا بالمنية أياماً يقضون فيها أشغالهم ثم يرحلون عنها فأبى عليهم ذلك وأمر فحصنوا البلد وزادوا فى عمل المتاريس وأكثروا من المدافع وبينما هم على همتهم من التمنع والتحصين إذ أحاط بهم المصريون وقاتلوهم قتالاً عنيفاً أربعة أيام ليلاً ونهاراً حتى غلبوهم ودخلوا البلد عنوة وأعملوا فيها السيف وأحرقوا وخربوا وقتلوا خلقاً كثيراً جداً من أهلها وجميع من كان بها من العثمانيين وتركوا النار تعمل فيها حتى صارت رماداً وأخذوا ما فيها من الأموال والمتاع والماشية وغير ذلك وأتوا بحاكمها إلى إبراهيم بيك الكبير وقد كان من مماليك إبراهيم بيك وانفصل عنه ودخل فى خدمة الباشا فلما مثل بين يدى أستاذه وبخه وبناء على أمره ضربوه بالنبابيت ثم كبلوه فى الحديد وألقوه فى صومعة ورحل إبراهيم بيك وأصحابه عن منية ابن خصيب إلى الصعيد الأعلى وجاءت الأخبار إلى محمد باشا بما جرى فزاد به القلق وضاقت الدنيا فى وجهه وأرسل إلى محمد على سرچشمه يستحثه على قتال المصريين قبل أن يلحقوا بمدينة أسيوط فيفعلوا بها ما فعلوه بمنية ابن خصيب فاعتذر بخروج الجند عن طاعته بأسباب تأخير صرف جماكيهم وتهديدهم إياه بالقتل فألح عليه محمد باشا فبالغ فى

الاعتذار وقد كان على عهد مع إبراهيم بيك وأصحابه . فلما كان يوم الجمعة سابع المحرم افتتاح سنة ثمان عشرة ثار الجنود جميعاً وحضروا إلى بيت الدفتردار فاجتمع جماعة منهم بحوش الدار وقفلوا أبواب القيطون(١) وأخرجوا من كان به من العسكر التابعين للدفتردار وصعدت طائفة منهم فوقفوا بفسحة المكان الذى كان به الدفتردار ودخل عليه منهم أربعة فكلموه فى أمر صرف جماكيهم ورد جميع مرتباتهم فلاطفهم وقال أنه لم يجتمع عنده من المال سوى ستين ألف قرش فإما أن يأخذوها وإما أن يصبروا أياماً حتى يكمل لهم المطلوب فقالوا لابد من الصرف فكتب فى الحال إلى محمد باشا يطلب منه قرضة فأبى عليه ذلك وأرسل يقول لا أريد هؤلاء الأوباش الهمج فى بلاد قد توليت حكمها فلابد من خروجهم وارتحالهم عنها وإلا أعملت فيهم السيف وأفنيتهم عن آخرهم فأعاد إليه الرسول يقول أغثنى فإن الدار ملئت بالعساكر أعلى وأسفل فلما أخبره الرسول بذلك غضب وأمر بالمدافع فأخذوا يطلقونها من قلعة الجبل على بيت الدفتردار وراسلوا الرمى بالقنابل فتساقطت على الدار تساقط المطر واشتعلت الدار بما فيها وتهدم أكثرها والعساكر لا ينفكون عنها واختفى الدفتردار تلك الليلة تحت درج البيت إلى الصباح ونهب العساكر ما فى الخزينة من الأموال وما فى الدار من فرش وبسط ومتاع ومر الوالى بالأسواق والشوارع ينادى فى الناس برفع متاعهم والمحافظة على أنفسهم والتحذر فخاف الناس وأغلقوا الحوانيت والدروب وزاد تطيرهم وتخيلوا هجوم العساكر ونهب المدينة وجميع الدور ونادى المنادى معاشر الناس وأولاد البلد كل من عنده سلاح فليتقلده ويحمله واجتمعوا على شيخ مشايخ الحارات ليذهب بكم إلى بيت الباشا وجاء الطلب بذلك أيضاً إلى تجار الغورية وتجار خان الخليلى وأهل طولون وشددوا فى الطلب وحذروا من التخلف فسار بعض الناس فقيدوهم بخفارة بيت الباشا وبيت ابن المحروقى

---

(١) القيطون : تعنى البيت أو المكان الذى كانوا يستقبلون بعضهم بعضاً فيه .

● عجائب الآثار ، جـ٢ ، ت . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص١٧ .

المجاور له فباتوا ليلتهم تلك وحضر الوالى عشاء تلك الليلة وطاف على الناس يحضهم على القيام لنصرة الباشا على الخوارج من الجند والعسكر فاجتمع بعض الأوباش والغوغاء بالعصى والمساوق وتحزبوا أحزاباً وعملوا متاريس عند رأس[1]الوراقين وجهة العقادين والمشهد الحسينى فلما دخل الليل بطل رمى القنابل من قلعة الجبل وأصبحوا وقد شرعوا فى الرمى فأطلق العسكر كذلك مدافعهم ووالوا الرمى على القلعة وتترسوا بجامع[2] أزبك وبيت الدفتردار وبيت محمد على سرچشمة وكوم الشيخ سلامة[3] وداخل الناس خوف عظيم من هذه الحادثة وبقى الحال على هذا الوصف ثلاثة أيام فلما كان يوم السبت رتب الباشا عساكره على طريقة الفرنسيس وخرجوا مشاة وركبانا ومروا حوالى البركة وانقسموا فرقتين فرقة أتت على رصيف الخشاب قاتلوا الارنؤد قتالاً شديداً فانهزم الارنؤد من تلك الجهة وانحصروا جهة جامع أزبك فاشتبكوا فى القتال مع الفرقة الثانية وتحققوا الهزيمة والخذلان وكادوا يسقطون فى أيديهم فلما وصلت عساكر الباشا إلى بيت الدفتردار والمحروقى وبيت نساء الباشا اشتغلوا بالنهب وإخراج النساء وتركوا القتال وتقاسموا المنهوبات ففترت همة الفرقة الثانية من عساكر الباشا وانضموا فى الحال إلى النهابين من إخوانهم فتقوّت بذلك عزائم الارنؤء وكروا على من بقى من عسكر الباشا فهزموهم وأخذوا مراكزهم وأخلوهم عنها وظهر طاهر باشا وركب إلى الرميلة وتقدّم إلى باب العزب فوجده مغلقاً

---

(١) رأس الوراقين والعقادين : رأس بمعنى قمة أو بداية الشارع وشارع الوراقين متصل بشارع البندقانيين بالقرب من شارع الحمزاوى ، وفى تقابل أوله يوجد شارع العقادين .

● (الجبرتى : مظهر التقديس ، ت . د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، مرجع سابق ، ص٦٩) .

(٢) جامع ازبك : انشأه أزبك الأتابكى ، وجعل له منارة عظيمة ، ثم أنشأ حوله البناء والربوع والحمامات والقياسر ، ولكنه هدم وما جاوره من مبان عندما تم تنظيم شارع محمد على بالقاهرة .

● (عجائب الآثار ، جـ٢ ، المرجع السابق : ص٣٧٣) .

(٣) كوم الشيخ سلامة : شارع يقع بشارع العلوة من جهة اليمين وطوله ١٢٠ متراً وبه جامع الشيخ سلامة برأس شارع الموسكى .

● مظهر التقديس : المرجع السابق ، ص٦٠ .

فعالج الطاقات الصغار التى فى حائط باب العزب القريبة من الأرض المعدودة لرمى المدافع من أسفل ففتح بعضها ودخل منها بعض عسكره فتلاقوا مع الارنؤء المحافظين داخل الباب فتحالفوا واتفقوا على أن يكونوا على قلب رجل واحد ثم صعدوا إلى القلعة فاتفقوا مع من بها من الارنؤد ودخلوا على الخزندار[1] وطلبوا منه مفاتيح القلعة فمانعهم فشددوا عليه وهموا بقتله فسلمهم المفاتيح ففتحوا الأبواب لطاهر باشا واعتقلوا الخزندار وأنزلوا من القلعة بعض المدافع والذخيرة إلى الأزبكية وتسلم القلعة طائفة منهم وتقيدت بخدمة المدافع فلم يشعر محمد باشا الوالى إلا والقنابل تتساقط على بيته من قلعة الجبل فهاله الأمر وأزعجه جداً وعلم بما جرى فسقط فى يده ونزل طاهر باشا من قلعة الجبل ومر من وسط المدينة وهو يقول بنفسه مع المنادى أمان واطمئنان افتحوا دكاكينكم وبيعوا واشتروا وما عليكم بأس وطاف يزور الأضرحة والمشايخ ورفع الناس المتاريس من الطرق وانكفوا عن التعرض للجند وأكثر الوالى من التطواف والنداء بالأمان والبيع والشراء فاطمأن الناس واستمر الحرب بين الفريقين يوم السبت واشتد ليلة الأحد طول الليل فما أصبح النهار حتى زحف الارنؤد على جامع عثمان كتخدا وحارة النصارى وصعدوا التلال التى بناحية بولاق القاهرة وملكوا بولاق وهجموا على مناخ الجمال فقتلوا من به من العسكر وسارت طائفة منهم إلى قصر العينى وقبضوا على من به من عبيد الباشا ونهبوا بيت السيد المحروقى وأخرجوا منه النساء حاسرات وكذلك نهبوا بيت الباشا الملاصق له ونهبوا بيت المعلم جرجس الجوهرى وأخذوا ما فيه من النفائس والأمتعة الثمينة وأشعلوا النار ببيت الباشا فالتهمت الأخشاب والأسقف وسرت إلى جميع

---

(١) خازندار : هو الشخص المسئول عن خزانة السلطان أو الأمير ، أى الذى يمسك شئون السلطان أو الأمير من الناحية المالية ، وكان يعمل وفقاً لأوامر الروزمانجى ، وكان كل بك مملوكى يعين خازنداراً أو أكثر ، وكان له نفس الواجبات داخل بيت سيده والتى كان يمارسها الخازندار الرئيسى فى الإدارة الإقليمية .

● محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى ، دمشق ، ١٩٩٠ ، ص٦٨ .

● مخطوطة الدرة المصانة ، تحقيق كريسيليوس وعبد الوهاب بكر (دكتور) ، مرجع سابق ، ص٦٢ .

المساكن فركب الباشا فى مماليكه وخدمه ومعهم النساء والذرارى وخرج إلى جزيرة[١] بدران وكان خروجه قبيل أذان العصر من يوم الأحد تاسع المحرم افتتاح سنة ثمان عشرة فخرج خلفه جماعة من الارنؤء يريدون القبض عليه فكر عليهم وهزمهم مرتين أو ثلاثا .

مطلب
طرد محمد باشا من الولاية وتولية طاهر باشا

وسكنت الفتنة بخروج محمد باشا وجلائه عن القاهرة إلى العادلية وطاف الوالى والمحتسب وأغاة الانكشارية ينادون بالأمان وفتح الدكاكين والعود إلى البيع والشراء فكانت مدة ولاية محمد باشا المذكور على مصر سنة وثلاثة أشهر وأحدا وعشرين يوما . وكان سيئ التدبير لا يحسن التصرف سفاكاً للدماء جافى الطبع قليل التروى يضع الأمور فى غير موضعها فيحسن على من لا يستحق الإحسان ويبخل على من فى حاجة إلى القوت وكان فخوراً مختالاً سهل الانقياد لقرناء السوء كثير المظالم ولم يزل فى طريقه إلى أن نزل بقرب قليوب[٢] فى غروب يومه فاستراح وأسرى ليلاً إلى دجوة وأنزل الذرارى والمتاع فى بعض السفن إلى بنها العسل وقد تخلف عنه أكثر قومه واجتمع الأغا والوجاقلية ببيت القاضى وتشاوروا فى إقامة طاهر باشا نائباً عن الدولة حتى تأتيه الولاية أو يأتى وال آخر جديد فاتفقوا على ذلك وذهبوا إلى بيت طاهر باشا وألبسوه خلعة النيابة وحرروا محضراً بما وقع ورفعوه إلى دار السلطنة فلما استقر به المنصب وتصرف فى الأمور قبض على الكثير من الأمراء والأعيان وصادرهم ثم اعتقلهم وكاتب إبراهيم بيك الكبير وأصحابه وسألهم الاقتراب من مصر حتى يدبر لهم الأمر فى رجوعهم وسير طائفة من الجند لقتال محمد باشا الوالى المخلوع فساروا خلفه

---

(١) جزيرة بدران : المنطقة شرق النيل وغرب شبرا وينصفها الآن شارع جزيرة بدران بشبرا نسبة إلى الشيخ بدران بشارع ترعة جزيرة بدران بقسم روض الفرج .

● هيئة الاستعلامات : تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص٩٧٣ .

(٢) قليوب : قرية من القرى القديمة كانت قاعدة للقليوبية حتى عام ١٨٥٠ حيث نقلت منها المصالح والديوان إلى بنها فأصبحت قاعدة قسم قليوب ثم قاعدة مركز قليوب من عام ١٨٧١ محافظة القليوبية .

● مظهر التقديس : المرجع السابق ص٩٦ .

وهو ينتقل من ناحية إلى أخرى حتى نزل بالمنصورة فجبى خراجها وضرب على أهلها المغارم وقبض على من كان بها من أصحاب الجباية وأخذ الأموال منهم وكذلك فعل ببلاد الغربية ثم سار إلى دمياط وقد تخلف عنه جميع أعوانه فلم يبق معه إلا بعض الأتباع والنساء والذرارى وبسط طاهر باشا يده على جميع الأمور وضيق على أصحاب الميسرة من الوجاقلية والقبط وضرب على القبط غرامة قدرها خمسمائة كيس وخص بهذه الغرامة جماعة الكتاب ثم اعتقل جماعة منهم وكذلك فعل باليهود وقتل من أعاظم القبط والشوام خلقاً ونهب دوراً كثيرة وبالغ فى استرضاء الارنؤء والتزلف إليهم فصرف لهم جماكيهم وأطلق علوفاتهم ورد عليهم الأرزاق اليومية وقرب إليه كبارهم وأصحاب الكلمة فيهم وكان بقلعة الظاهر بيبرس طائفة من الانكشارية جاؤا بأسلحتهم وآلات حربهم من دار السلطنة يريدون الأقطار الحجازية لقتال الوهابيين[1] ومن معهم من الخوارج من أهل مكة والمدينة ونزلوا بالقلعة المذكورة على عهد محمد باشا المخلوع حتى تتم معداتهم فيرحلون عن طريق القلزم والقصير فحدثت الفتنة وظهر أمر طاهر باشا وأصحابه وانقطعت عنهم العلوفات وقلت المؤن وضاق عليهم الحال وكان معهم أحمد باشا والى المدينة فكلموه فى ذلك فطاولهم فذهب جماعة منهم إلى طاهر باشا وطالبوه بالجماكى والعلوفات فأبى عليهم ذلك

---

(١) الوهابيون : نسبة إلى محمد عبد الوهاب : ولد فى العيينة عام ١٦٩٦ إحدى بلاد نجد فى بلاد العرب ، وذاع صيته فى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى ، وكان أبوه متفقهاً فى علوم الإسلام ، فلقنه ما استطاع من علمه طبقاً لمذهب ابن حنبل ، وقصد الابن محمد معظم بلاد الشرق ، التى اشتهرت بأوساطها العلمية وخاصة البصرة للدرس والتحصيل على أيدى علمائها ، وزار مكة والمدينة فى أثناء طوافه ، ثم عاد إلى نجد حيث أزمع الإقامة ، حيث اشتهر بين الناس بشدة صلاحه وتقواه .

وقد لاحظ ابن عبد الوهاب أن الدين الإسلامى قد دخلته بعض البدع التى لا تنتمى إليه فى شيئ ، فأراد أن يرجع بالدين إلى فطرته وبساطته الأولى ، وتتلخص آراؤه فى توحيد الله ، والرجوع إلى القرآن والسنة للآخذ بتعاليمها وأحكامها ، مع رفض جميع تفاسير القرآن التى لم تأت عن طريق السنة .

ومما دعا إليه ابن عبد الوهاب عدم التوسل إلى الله بالأنبياء والأولياء وعدم النياحة على الموتى ، والامتناع عن إقامة الأضرحة لهم ، وبناء القباب فوقها ، كما أنه حرم على الرجال التزين بالذهب ولبس الحرير ، ودعا إلى تحريم شرب الدخان باعتباره إسراف المال .

● (محمد عبد الرحيم مصطفى : تاريخ مصر الحديث ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص١٣٩) .

فراجعوه فلم يلتفت إليهم فأضمروا له السوء . فلما كان يوم الأربعاء رابع صفر من السنة ركب جماعة منهم بعددهم وأسلحتهم وخلفهم بعض كبرائهم وذهبوا إلى طاهر باشا وسألوه صرف الجماكى فأعرض عنهم وقال ليس لكم عندى منها شيء إلا ما كان من يوم قبضى على زمام البلاد فقالوا حاشا أن يكون كذلك فقال اذهبوا إلى محمد باشا وطالبوه بما كان فى أيامه فألحوا عليه فنهرهم وصاح بقومه ليخرجونهم فابتدره أحد الانكشارية بضربة بسيفه أطاح رأسه فسقط من شباك المكان إلى صحن الدار وجردوا جميعهم سيوفهم وأقبلوا على أتباعه وخدمه ومن كانوا فى البيت من الارنؤد فقتلوا منهم خلقاً كثيرين واشتعلت النار بالبارود الذى كان بمخادع أتباعه ومماليكه فوقع الحريق والنهب فى الدور المجاورة وخرج الانكشارية وبأيديهم السيوف مسلولة ومعهم ما نهبوه من المتاع وغيره فانزعج الناس وأغلقوا الدكاكين وأبواب الدور وهم لا يعلمون بالخبر ثم طاف الأغا والوالى بعد ساعة وناديا بالأمان واجتماع جميع الانكشارية عند أحمد باشا والى المدينة المنورة لقتال الارنؤد وإخراجهم من البلاد فلما سمع الارنؤد بالمناداة تحزبوا واجتمعت طوائفهم عند الأزبكية فكان الانكشارية إذا ظفروا بأحد من الارنؤد أخذوا ما معه من سلاح وقماش وربما قتلوه وكذلك كانت تفعل الارنؤد بالانكشارية وقد نهب الانكشارية جميع ما وجدوه فى بيت طاهر باشا من فرش وبسط وملبوس وغير ذلك وبقيت جثته ملقاة لا يجسر أحد من أتباعه على الاقتراب منها وحملها وزالت دولته فكانت أيامه ستة وعشرين يوماً . قال صاحب عجائب[1] الآثار وكان أسمر اللون نحيف البدن أسود اللحية قليل الكلام فيه هوس وانسلاب يميل للمسلوبين والمجاذيب وأصحاب الشعوذة وقد عمل له خلوة بالشيخونية[2] يبيت فيها كثيراً ويصعد على سطحها مع شيخه

---

(١) الجبرتى ، جـ٣ ، ص٣٩١ .

(٢) الخانقاه الشيخونية نسبة إلى الأمير شيخو وكانت احدى الشيخونيتين (جامع وخانقاه الأمير شيخو) وهما يقعان فى ما بين الصليبة والرميلة ، وهما حالياً فى مكانهما على الجانب الأيمن من الشارع الذى بجوار قسم الخليفة بالقلعة .

● الجبرتى ، جـ١ ، ص٦٩ ، تحقيق د . عبد الرحيم عبد الرحمن .

ويذكر معه أ هـ . ثم جمع أحمد باشا المشايخ والعلماء والوجهاء فى داره وكلمهم فيما وقع من طاهر باشا وأصحابه وانتداب جماعة منهم فساروا إلى محمد على سرچشمه يسألونه الطاعة والخلود إلى السكينة كى لا يعرض نفسه ومن معه للبوار فقال لست أعرف لأحمد باشا سلطة على البلاد وما هو إلا ضيف ثم يرتحل ولم أكن لأولى طاهر باشا وأجلسه على منصة الملك إلا لأنه مبعوث من الدولة للمحافظة على الديار المصرية والجواب عندى أن أحمد باشا يرتحل عنا على الفور بعسكره وجنوده وله علينا المعاونة والمدد من مؤنة[1] ودواب للحمل وسفن للسفر فأخبر المشايخ أحمد باشا بمقالة محمد على فأضمر له السوء وبدأ من هذا الحين يظهر محمد على وتعلو كلمته والانكشارية يقتلون وينهبون كل ما قدروا عليه من دور الناس والأمراء وتتبع الارنؤد وفتك بهم وعملوا بعض المتاريس ونادوا على الناس بالسهر والتحفظ وفتح الحوانيت ليلاً والإكثار من الأنوار وبات الناس على تخوفهم فلما أصبح يوم الخميس أرسل أحمد باشا يستدعى المشايخ والعلماء فذهبوا إليه فكلمهم فى جمع سائر الناس وخروجهم على طوائف الارنؤد فأجابوه إلى ذلك وأرادوا الانصراف فمنعهم وقال حتى تأمروا العامة فقالوا هذا لا يكون إلا ونحن بالجامع الأزهر ومازالوا به حتى خرجوا ولم يفعلوا شيأ مما أمر به فجمع إليه جميع الأمراء العثمانين وتشاوروا فى أمر الظفر بمحمد[2] على أيضاً ومن بقى معه من الأرنؤد وكان محمد على قد استقر بمن

---

(١) صحتها مؤونة .

(٢) محمد على : ولد فى قولة من ثغور مقدونيا عام ١٧٦٩ من أبوين فقيرين وكان أبوه إبراهيم أغا شيخ الحراس لطرق بلدته ، ولم يشأ القدر أن يحفظ له من أولاده السبعة عشر خلا محمد على ، ومع ذلك فقد قست الظروف على الولد ، فمات أبواه وهو صغير ، ولم يتجاوز الرابعة عشرة فتعهده عمه طوسون بالرعاية والتربية ولكن لم يلبث أن مات هذا العم تاركاً ابن أخيه تحت رحمة القدر ، فساق له قلباً رحيماً فى شخص «الشوربجى» حاكم البلد ، فتولى تربيته وإعداده للحياة .

وقد زوجه حاكم قولة من قريبة له وكان لها ثروة عظيمة ، وهى أم أولاده إبراهيم وطوسون وإسماعيل ، وظل حيناً يستغل ثروة زوجته فى التجارة وخصوصاً تجارة الدخان ، وكانت التجارة الرائجة فى بلاده آنذاك ، وقد ساقته الظروف للتعرف بتاجر فرنسى من مرسيليا ، كان مقيماً فى قوله هو المسيو «ليون» وقويت العلاقة بينهما وأخلص الفرنسى له فى التوجيه والنصح حتى تربت لديه ملكة التجارة وروح الاقتصاد .=

معه بقلعة الجبل وأحكموا أمورهم وكاتب محمد على الأمراء المصريين وكانوا على مقربة من الجيزة وانبابه فحضر إلى القاهرة بعض أتباعهم وطائفة قليلة من عسكرهم وشاع خبر وصولهم إلى الجيزة فعبر إليهم مماليكهم وبعض الكشاف من أصحابهم ثم قدم منهم جماعة فنزلوا بباب النصر وآخرون بباب الفتوح وأرسل إبراهيم بيك الكبير خطاباً إلى أحمد باشا يقول فيه . حيث قد علمنا بموت طاهر باشا وأنت اليوم بين ظهرانينا فضم إليك من بقى من طوائف الارنؤد وإياك أن تقرب إليك أحداً من الانكشارية . فلما كان صباح ثانى يوم ذهب جماعة من الانكشارية إلى الرميلة يريدون قتال عسكر محمد على فأطلق عليهم أصحاب محمد على المدافع وتابعوا الرمى فولى الانكشارية الادبار ورجعوا مسرعين إلى بيت أحد باشا فحول أصحاب القلعة رمى القنابل على البيت رمياً متراسلاً فخاف الانكشارية وانحلت عزائمهم وتفرقوا عن أحمد باشا وجاء الخبر بما جرى إلى إبراهيم بيك فتقوّت عزيمته وأرسل إلى أحمد باشا يطلب منه قاتلى طاهر باشا ويلزمه الخروج من القاهرة فى برهة لا تتجاوز الساعة الحادية عشرة من النهار ولا يقيم بها إلى الليل فلم يجد بداً من الامتثال وطلب دواب للحمل فلم يجد فركب فى عصر اليوم وسار وتفرق عنه من كان معه من أعيان العثمانيين وذهبوا إلى محمد علىّ والتجئوا إليه فأحسن لقاءهم وأنزلهم منزلاً رحباً

---

=ولم تلبث الظروف أن ساقت إليه الفرص لإظهار عبقريته فى ميدان آخر وهو ميدان الحرب ، تلك هى الظروف التى نتجت عن الحملة الفرنسية على مصر ، فقد انخرط محمد على فى سلك الجيش العثمانى الذى حضر إلى مصر ، واشتبك مع نابليون فى معركة أبى قير البرية التى تمزقت فيها القوات التركية شر ممزق ، فعاد محمد على إلى بلاده ، ولكنه مالبث أن صحب القوة العثمانية البحرية التى غزت مصر من الشمال تحت قيادة حسين القبطان باشا ، فوصل إلى مصر للمرة الثانية فى أوائل عام ١٨٠١ .

وقد اشترك محمد على فى الوقائع الحربية التى انتهت بجلاء الفرنسيين عن مصر ، وأظهر شجاعة فائقة وخاصة عند مهاجمة الرحمانية ، وكان قد عهد إليه بمهاجمة القلعة واحتلالها ، فساعده الحظ ونجح فى هذا ، وأخذ يرتقى إلى مراتب الضباط .

● (محمد عبد الرحيم مصطفى : تاريخ مصر الحديث ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ص ١٠٩-١١١) .

وخرج أحمد باشا وأتباعه مشاة بين يديه ومعه نفر قليل من الانكشارية فوجد عند باب الفتوح من زحام عسكر الأمراء المصريين والعربان والهوارة ما أخافه فدخل بمن معه إلى قلعة الظاهر بيبرس[1] وأغلقوا أبوابها فتبعه جماعة من الارنؤد ودخل داره جماعة فنهبوا ما فيها من متاع وأثاث وأحاط بقلعة الظاهر آخرون ليلتهم تلك وأصبحوا فضيقوا على أحمد باشا ومن معه وجعلوا يرمون على المحاصرين من السور وهم كذلك يرمون عليهم من أسفل وجمعوا شيأ كثيراً من التراب وعملوا منها أكمة وصعدوا عليها وصاروا يرمون عليهم من الخارج بالبنادق بقية النهار وطول الليل فلما أصبحوا أنزلوا مدفعاً من قلعة الجبل وجعلوا يطلقونه على قلعة الظاهر فأخربت قنابله وهدمت بعض جدران القلعة فطلب الانكشارية الأمان فأمنوهم ففتحوا الأبواب وخرج أحمد باشا ومعه اثنان من الانكشارية وهما قاتلا طاهر باشا فأخذوهم وعبروا بهم إلى الجيزة ولبث من بقى من الانكشارية داخل القلعة وحولهم الجند والعسكر ثم سجنوا أحمد باشا بقصر العينى وأبقوا قاتلى طاهر باشا بقصر الجيزة فتم بسجن أحمد باشا زوال دولته فكانت ولايته بعد موت أحمد باشا طاهر يوماً وليلة لاغير .

واشتدت عزائم طوائف الارنؤد بهذا الظفر فكثر فسادهم فى الأرض وقتلوا من الترك وأصحاب خان الخليلى خلقاً كثيراً وتتبعوا الناس وأخذوا بالشبهات وظهر نجم محمد على والتجأ إليه الأمراء والأعيان فراراً من إيذاء طوائف الارنؤد وأتوا يوماً بقاتلى طاهر باشا من قصر العينى إلى الناصرية وضربوا أعناقهما فى وسط النهار وحملوا الرأسين إلى زوجة طاهر باشا بالشيخونية ثم إلى أخيه بقلعة الجبل وأخرجوا طوائف الانكشارية الذين كانوا بقلعة الظاهر وأخذوا جميع ما كان معهم من سلاح وكراع وبعثوا بهم إلى الصالحية مع نفر من الارنؤد والعربان فمات أكثرهم جوعاً وتمزق من بقى وتشردوا فى الجهات . ولما كان يوم الأحد

---

(١) قلعة الظاهر بالقرب من الحسينية .

● (مظهر التقديس : المرجع السابق ، ص٢٧٤) .

خامس عشرى صفر سنة ثمان[1] عشرة نزل ابن أخى طاهر باشا من قلعة الجبل ونزل من كان معه من كبار الارنؤد وأعيانهم وعسكرهم ومتاعهم وما جمعوه من المنهوبات وكان شيأً كثيراً جداً وسلموا القلعة إلى إبراهيم بيك الكبير وأصحابه ولم يبق بها من الارنؤد إلا طائفة قليلة ومعها أحد كبارهم المدعو حسين قبطان وأخرجوا أحمد باشا والى المدينة من معقله بقصر العينى وسيروه إلى الديار الرومية فى نفر من الانكشارية فلما استقر بإبراهيم بيك المقام قسم الوظائف والمناصب العالية بين قومه وذويه بإشارة محمد على ورتب الأمور على ما أراد محمد على فأحكم ترتيبها فمال الأمراء المصريون إلى محمد على وأحبه العساكر وعمل بمشورته العمال فى جميع البلاد وتقرب إليه الأعيان وتزلف إليه أرباب المناصب وتقرب منه المشايخ والعلماء . وجاء الخبر إلى إبراهيم بيك الكبير بنزول محمد باشا الوالى المعزول على مدينة دمياط وتغلبه على ما حولها من البلاد والقرى وأعطاء الوظائف إلى مماليكه وانضمام الكثير من الانكشارية الذين خرجوا من مصر والقاهرة إلى لمومه مع الغوغاء وحرافيش البلاد والعربان فسير لقتاله البرديسى فى طائفة عظيمة من العساكر فوجده ممتنعاً وقد عمل المتاريس والخنادق حول المدينة وضرب على الأهالى المغارم والفرض وبث المعينين لجمع الأموال من البلاد ونقل الغلال فهجم عليه البرديسى بخيله ورجله واقتتل الفريقان قتالاً عنيفاً فانهزم البرديسى وأصحابه عند القنطرة البيضاء من ضواحى دمياط وأجلوهم عن مواقفهم ثم عاد البرديسى وقد رتب عسكره وهجم على عساكر محمد باشا فانهزموا وانتصر البرديسى نصرة عظيمة وانخذلت عساكر محمد باشا وخامر بعضهم مع البرديسى وأشاروا عليه بالزحف على دمياط فزحف وراسل بعض كبار عسكر الباشا فأطمعوه فى الاستيلاء على المدينة بغير عناء فدبر عسكره وهجم على المدينة وقاتلها حتى دخلها عنوة وفتك فى عسكر الباشا بالقتل وتتبعوا خواصه وأتباعه فقتلوهم عن آخرهم وقتلوا

(١) ١٥ صفر ١٢١٨هـ = ٦ يونيه ١٨٠٣ .

من خرج معه من أصحاب الوظائف ونهبوا المدينة وأسروا النساء والأطفال وافتضوا الأبكار واستأسروا من شاؤا وفعلوا من القسوة ما تشيب لهوله الولدان ونهبوا الخانات والبيوت والوكائل وجميع أمتعة التجار التى كانت بها والتجأ محمد باشا إلى بلدة القرية فأحاطوا به من كل جانب فطلب الأمان فأمنوه فنزل من القرية وحضر إلى البرديسى فقام عليه بعض الجند وخطفوا عمامته وهو فى الطريق وكادوا يفتكون به فلما رآه البرديسى ترجل عن جواده وتلقاه بالاعزاز والإكرام وألبسه عمامة وأنزله فى خيمة بجانب خيمته وسير الأخبار بما حصل إلى إبراهيم بيك ففرح بذلك وفرح أصحابه فلما كان يوم الاثنين تاسع عشرى ربيع الأول أحضروا محمد باشا إلى القاهرة ومعه المحافظون من الارنؤد والعساكر المصرية وليس معه من أتباعه سوى ستة مماليك فقط وقد تفرق باقيهم عنه فنزل بساحل بولاق وكان إبراهيم بيك قد حضر فى ذلك اليوم إلى بولاق فلم يقابل محمد باشا وتشاغل عنه ثم حضر إلى الباشا أحد الكشاف وأركبه وسار به إلى بيت إبراهيم بيك بحارة عابدين فلم يقابله فى ذلك اليوم أيضاً فأخذوه إلى بيت البرديسى فبات ليلته وأصبح فركب إبراهيم بيك إلى قصر العينى وطلب محمد باشا فسار إليه وقابله وقد حضر الألفى وبقية الأمراء المصريين ثم ركب ورجع إلى بيت البرديسى وبقى محجوراً عليه أياماً . فلما كان يوم السبت خامس عشرى ربيع الأول طلب محمد باشا من سليم كاشف المحرمجى المتولى حراسته أن يأذن له بالخروج إلى الناصرية للرياضة فأرسل سليم كاشف إلى إبراهيم بيك يسأله فى ذلك فأذن له فأركبه سليم كاشف بمماليكه وعدة أخرى من مماليك المحرمجى فلما خرج إلى خارج النصرية أطلق جواده وتبعه مماليكه من خلفه فظن مماليك المحرمجى أنهم يتسابقون فلما غابوا عن أبصارهم ساقوا خلفهم وما زالوا كذلك وقد استل محمد باشا سيفه إلى أن وصلوا إلى الأزبكية فقصد بيت أحمد بيك الارنؤدى فلما اقترب منه أطلق أحد الجند غدارته على جواده فسقط الجواد وسقط محمد باشا أمام الباب ودخل مسرعاً

على أحمد بيك ومن كان معه فلما رآه أحمد بيك على هذا الحال وبخه وقبض عليه وفتشوه فوجدوا معه من المال ما قدره ألف وخمسمائة دينار وكذلك أخذ ما كان من مماليكه وقد كانوا أعدوا هذا المال ليكون لهم عوناً على الهرب وجاء الخبر إلى سليم كاشف المتولى حراسته فركب على مثل ذلك بباقى أتباعه واتصل الخبر بإبراهيم بيك فأمر جميع الكشاف بالرجوع وأصعد طائفة منهم قلعة الجبل وتحفظ على أطراف المدينة وجاء سليم كاشف بمحمد باشا إلى إبراهيم بيك بقصر العينى ومعهما أحمد بيك فخلع إبراهيم بيك على أحمد بيك فروة سمور وقدم له حصاناً مسرجاً ووكل بمحمد باشا من يخفره فى معقله .

مطلب
منع تصرف إبراهيم بيك وولاية على باشا الطرابلسى

وجاءت الأخبار بولاية على باشا الطرابلسى ووصوله إلى مدينة الأسكندرية فاستقر بها ولم يقدم إلى القاهرة وأرسل إلى إبراهيم بيك ومن معه يقبح ما فعلوه من رجوعهم إلى القاهرة وتصرفهم فى الأمور بغير إذن السلطان لاسيما خروج الأرنؤد وقتل طاهر باشا بخروج الانكشارية وإخراج أحمد باشا وغير ذلك من الحوادث التى كانوا هم علة وقوعها فأرسلوا إليه يعتذرون ويظهرون الطاعة والولاء للسلطان وأن حضورهم لم يكن إلا عن رضا الأهالى واستدعاء المشايخ والعلماء وتخوف إبراهيم بيك وأصحابه من على باشا المذكور وتحذروا وأقاموا ينتظرون ما سيكون من حضوره إلى القاهرة . وكان البرديسى فى غضون ذلك قد سار بعسكره من دمياط بعد أسر محمد باشا إلى رشيد لقتال الحاج على باشا قبطان ومن معه من العساكر العثمانية وكان الارنؤد لما قاموا وخرجوا على محمد باشا جاء على باشا قبطان المذكور فى نفر من العثمانيين ونزلوا على رشيد من البحر وتحصنوا بها حتى صاروا فى منعة زائدة وجعل على باشا مقره ببرج مغيزل يراقب الفرص ليزحف على القاهرة ويفتك بمن بها من أصحاب إبراهيم وطوائف الارنؤد فوصل إليه البرديسى بعسكره وقاتله قتالاً شديداً نيفاً وعشرين يوماً وما زال حتى انتصر عليه وفتح البرج عنوة وقبض على على باشا وعدة كبيرة من

عسكره وأخرجوهم إلى جهة الشرقية ليسيروا منها إلى الشام ووردت الأخبار بذلك إلى القاهرة فلما علم على باشا الطرابلسى وهو بالأسكندرية ما فعله البرديسى برشيد وكيف أخذ على باشا قبطان أسيرا خاف أن يعرج البرديسى وأصحابه إلى الأسكندرية فيفعلوا بها ما فعلوه برشيد فأمر بسد أبى قير فكسروه فجرى الماء الملح إلى الأراضى التى كانت جفت عنها منذ عهد قريب فى ذلك الحين وأغرقت القرى وأفسدت المسالك على الأسكندرية واشتد الحال على أهلها وضاق بهم الكسب فرحلوا عنها إلى جزائر المحيط كجريت[1] وقبرس ورودس وغيرها ولم يبق فيها إلا الفقراء والعجائز . قلت[2] وكان هذا السد من أهم العمائر وأحكمها وأكبرها شهرة ولذلك كانت تتفقده الدول على مر الأيام وتتعهده بالعمارة وأحكام الوضع وتخشى من تهدمه فلما اختلت الأحوال وكثر توالى القلاقل والاحن واستولت الفوضى على البلاد وأهملت أسباب العمارات كافة انهار من هذا السد بعض بنيانه فسال منه الماء الملح على المزارع والقرى الواقعة بين رشيد والأسكندرية فلم يتدارك أو لو الحل والعقد أمره لاستفحال الخلل فاستمر على ذلك إلى دخول الجيوش الفرنساوية مصر فلما جاءت خلفهم سفن الانجليز أراد أميرها تعويق الفرنسيس عن الوصول إلى القاهرة بعد نزولهم بأبى قير فأطلق قنابل مدافعه على السد المذكور فكسر بعض بنيانه واتسع خرقه فانهمر الماء على الأراضى حتى كاد يصل إلى دمنهور واختلط بخليج الأشرفية فغطى جميع وجه تلك الأراضى وأخرب القرى والبلاد وأتلف المزارع وانقطعت الطرق حول مدينة الأسكندرية وامتنع دخول ماء النيل إلى أهلها فلم يصل إليهم إلا ما يصلهم من جهة البحر فى السفن والنقائر أو ما خزنوه من مياه الأمطار بالصهاريج وبعض العيون المستعذبة ثم جاء رجل من مهندسى دار السلطنة اسمه صالح أفندى ومعه بعض السفن تحمل الأخشاب العظيمة والآلات

---

(١) جزيرة كريت ويقصد بالمحيط البحر الأبيض المتوسط نظراً لاتساعه .

(٢) هذا هامش فيه شرح المؤلف وكان يشير فيه بقوله «قلت» .

الضخمة برسم بناء السد المذكور فاستمر العمل فى ذلك عاما ونصف عام حتى قارب التمام ففرح الناس بذلك واستبشر أهل القرى والنواحى فما هو إلا وقد وقعت هذه الحوادث واحتل على باشا قبطان ثغر رشيد وسار البرديسى لقتاله وخاف على باشا الطرابلسى من حضور البرديسى وفعله بالأسكندرية ما فعله برشيد فأمر فكسروا السد فانغمر وجه تلك الأراضى بالماء الملح فنزح أهل الأسكندرية وتبدل عمرها خراباً .

ووصل الحاج على باشا إلى القاهرة أسيراً فأكرموا نزله ورتبوا له المرتبات من مأكول ومشروب وأرسل البرديسى يطلب المدد فأمدوه فسار من رشيد إلى دمنهور بعد ما رتب أمورها وحصن قلاعها وأبراجها ونهب ما فى بيوت الراحلين عنها واستقر بدمنهور أياماً يدبر الهجوم على الأسكندرية وكيفية الوصول إليها وطالت أيام مكثه فداخل جنوده الملل واعترى أمورهم الفتور والكسل فطالبوا البرديسى بجماكيهم وعلوفاتهم ولم يكن عنده منها شىء فخشى العاقبة ورجع إلى القاهرة وقد مات منهم خلق كثير بأسباب الجوع والحرب ودخل الجيزة فى السادس من جمادى الثانية فخرج الأمراء والأعيان لملاقاته فلما أصبح يوم السبت سابعه عبر (محمد على) سرچشمة النيل إلى الجيزة وعبر معه طوائف الارنؤد إلى مصر وكذلك البرديسى فخرج عليهم الفقراء وبأيديهم المقاطف والغلقان وصاحوا بمحمد على والبرديسى واستغاثوا وبكوا من الجوع فلاطفهم البرديسى وأصبح وقد بعث بمحمد على وخازنداره إلى بولاق ومصر القديمة وأخرجوا جميع ما فيها من الغلال إلى السواحل فاجتمع العالم الكثير من الرجال والنساء فامتاروا بحسب الحاجة واطمأن الناس واشترى الخبازون وفتحوا المخابز وكثر الخير وشبع الفقراء فمالت قلوب الرعية إلى البرديسى وأحبوه . وأخذ البرديسى فى بناء الحصون والقلاع بجهة الناصرية وعند داره المعروفة بدار حسن كاشف شركس وأنشأ البوابات الكبيرة بجهة قنطرة السباع والمزار المعروف

بكعب[١] الأحبار فداخل الناس من ذلك الشكوك وخالجتهم الظنون فعمدوا إلى تعمير الدور التى خربتها الحوادث المتراكمة والخطوب المتتابعة وضيقوا الشوارع عما كانت عليه من السعة والرحب وقد كانت إلى ذلك الحين غاية فى السعة والانتظام وتناسب البناء وحسن وضعه كما هى الآن بأكبر شوارع القاهرة ومصر وأحدثوا فيها الدروب الكثيرة والدعامات البارزة والسباطات[٢] وغير ذلك مما أذهب رونقها وجعل أغلبها ظلاماً حتى فى رابعة النهار وزاد الحال وقلد أهل الأخطاط فعال بعضهم واهتموا لذلك اهتماماً عظيماً ونقل البرديسى جميع المدافع التى كانت بالأزبكية ببيت الباشا إلى تلك الحصون والأبراج وعززها بالذخيرة الكثيرة والمهمات وآلات الحرب كل هذا وعلى باشا الطرابلسى العامل على مصر من قبل دار السلطنة لا يتحرك من الأسكندرية ولا يأتى إلى القاهرة وكانت كتبه لا تنقطع عن إبراهيم بيك والبرديسى مشحونة بالوعيد والتهديد إن لم يتركوا القاهرة ويرحلوا عنها إلى الصعيد الأعلى حتى تأتى رسل دار السلطنة ويأمر السلطان بما يراه فلم يسمعا له كلمة ولا تبعا له إشارة وجعلوا يتصرفون فى البلاد تصرف المالك المطلق . فلما كان يوم الأربعاء أول شعبان سنة ثمان عشرة[٣] قدم إلى مصر كاتب ديوان على باشا الطرابلسى ومعه مرسوم السلطان بالعفو عن جميع الأمراء المصريين إجابة لطلب صدر الدولة وعلى باشا الطرابلسى وأن يقيموا بمصر والقاهرة ولكل أمير منهم فايظ[٤] خمسة عشر كيساً

---

(١) مزار كعب الأحبار : كعب بن مانع بن ذى هجن الحميرى ، أبو اسحاق تابعى كان فى الجاهلية من كبار علماء اليهود فى اليمن وأسلم فى زمن أبى بكر وقدم المدينة فى زمن عمر ، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة ، وخرج إلى الشام وسكن فى حمص وتوفى بها عن مائة وأربع سنين .

● خير الدين الزركلى : الأعلام ، جـ٥ ، ص٢٢٨ .

(٢) السباطات : السقائف ، المعجم الوسيط ، جـ١ ، ص٤٢٩ .

(٣) أول شعباان ١٢١٨هـ = ١٦ نوفمبر ١٨٠٣ .

(٤) الفايظ : كان الالتزام يعرض فى المزاد ، وكان على المزايد الفائز أن يدفع مبلغاً من المال يساوى ستة إلى ثمانية أمثال الربح السنوى المحدد للالتزام ، فكان يسمى فايظ (مخطوطة الدرة المصانة ، تحقيق كريسليوس وعبد الوهاب بكر ، ص٤٩) .

وحلوان[١] المحلول ثمان سنوات وأن الأوسية[٢] والمضاف[٣] والبراني[٤] يضم إلى جانب الخزينة وأن لا يكون التصرف في جميع الأمور والأحكام إلا لعلى باشا والروزنامجى وأما الجمارك والمقاطعات فالكلمة فيها للدفتردار الذى يعين لذلك من قبل الدولة فلما قرئ هذا المرسوم بحضرة المشايخ والعلماء والوجهاء أظهروا البشر والسرور وأطلق لذلك عدة مدافع وكتبوا إلى على باشا يشكرونه ويطلبون منه الحضور إلى القاهرة ليتولى أمور البلاد ويدبر أمر خروج الحاج قبل فواته فسار على باشا من الأسكندرية براً إلى القاهرة وعبر الألفى بعسكره وكذلك بعض الأمراء المصريين النيل إلى انبابه وساروا منها إلى مقربة من شلقان ونزلوا بها فلما كان الباشا على مقربة منها أيضًا نزل ببعض المزارع هو ومن معه من طوائف الانكشارية وكانوا عدة كثيرة ممن خرج هارباً من مصر والقاهرة وكان يتبعه بالبحر نحو ستين سفينة تحمل أثقاله ومتاعه وأتباعه وبعض العسكر فخرج إليه الألفى بعسكره ومحمد على سرچشمه وأحمد بيك وأتباعه ونصبوا خيامهم وأنزلوا أثقالهم على مقربة من معسكر الباشا فتكدر الباشا من ذلك وأرسل إلى الألفى يقول كيف تقدمون على أن تعسكروا بجندكم قبالة عسكرى وأنتم أتباع

---

(١) حلوان المحلول : كانت بعض الوظائف عندما تخلو بوفاة شاغلها يعلن عنها مثل الأمامة والخطابة وغيرها فتحصل الأوقاف رسوماً ممن سيشغلها وكانت هذه الرسوم تعرف بالمحلول وتورد لخزانة الدولة .

● عجائب الآثار للجبرتى ، ت . عبد الرحيم عبد الرحمن ، جـ١ ، ص٧٢ .

(٢) الاوسية : مساحة من أرض القرية التى يقوم الملتزم بجمع الضرائب من فلاحيها معفاة من الضرائب ، ويقوم الفلاحون من الناحية بزراعتها سخرة لمنفعة الملتزم إذا أراد زراعتها أو كان له أن يؤجرها للفلاحين ويحصل على الإيجار لنفسه .

●(للتوسع فى هذا يرجع إلى عبد الرحيم عبد الرحمن (دكتور) : الريف المصرى : مرجع سابق من ص٩٦) .

(٣) المضاف : ضريبة زيادة عما هو مربوط على العقار ، وكانت نوعان : مؤقت لظروف خاصة وتتوقف ، وثابت وهو ما يضاف للميرى ويصبح جزءاً من المال المربوط .

(٤) البرانى : وهو المال الذى يقدر دون سند والتى أصبحت القرى ملزمة بتقديمه للإدارة من سمن وعسل وأغنام . . . الخ من منتجات القرية ، وكان العثمانيون يلزمون الفلاحين بتقديمه (المرجع نفسه ص ص ١٢٧ ، ١٣٠) حسب أهواء الملتزمين .

السلطان وأنا نائبه على هذه البلاد فأجابه الألفى هذه منزلتنا ومحط عسكرنا ولم نفعل إلا ما وجب فاشتد غيظ الباشا وتقهقر بعسكره إلى الوراء فانتقل محمد على وأحمد بيك بعسكرهما إلى ناحية النيل وعسكروا هناك وأظهر الألفى سوء النية والجفاء للباشا حتى قتلوا بعض أتباعه بمشهد منه مما كاد يقتله غما قال بعض كتاب الأخبار وكان الحامل على ذلك أنه لما طال مكث على باشا بمدينة الأسكندرية وقد أعيته الحيل فى رد جماح الأمراء المصريين وإكراههم على الجلاء عن مصر إلى الصعيد الأعلى ورأى أن لابد من المسير إلى القاهرة والالتقاء بهم ووقوع ما لا تحمد عواقبه كاتب محمد على سرچشمه وكبار الارنؤد وغيرهم من قبائل العرب ومشايخ البلاد يستميلهم ويعدهم ويمنيهم إن قاموا بذلك ويحذرهم من الانضمام إلى أولئك الأمراء فنقل الارنؤد ذلك إلى إبراهيم بيك والبرديسى وأطلعوهما على رسائل الباشا واتفقوا على أن يردوا عليه من كبار الارنؤد بالطاعة والرضوخ لأمره والقيام لنصرته إذا حضر إلى القاهرة حتى إذا خرج الأمراء للسلام عليه يكبسون عليهم هم وعسكره فيستأصلونهم والموعد بشلقان وقد سهلوا له الأمر وهونوا عليه الصعب فراجت عليه حيلتهم وسار من الأسكندرية فى عدة وافرة من العسكر وحضر إلى الرحمانية وأعاد مخابرتهم واستوثق منهم فحضوه على سرعة الحضور إلى شلقان فسار إليها فرحاً فلما صار على مقربة منها أمر فرتبوا المراكب التى كانت تسير معه بالنيل ووضعوا عليها المدافع وعملوا المتاريس وحصنوا موقعهم فخرج إليه الألفى كما تقدم بمن معه ونزل بخيامه أمام خيام الباشا وأرسل إليه بأن يتقهقر بعسكره إلى الوراء حتى تستقر القاعدة بينهما على أمر من الأمور فلم يجد الباشا بداً من ذلك وطلب الارنؤد والعربان الذين عاهدهم فلم يجد منهم أحداً فأكبر هذا الأمر وتأخر إلى زفيتة ونزل بها وبينما هو على هذا الحال من الحركة والانتقال إذا انحدر حسين بيك الفرنجى أحد الأمراء المصريين بعسكره فى بعض السفن بالنيل حتى صاروا خلف سفن الباشا وأحاطوا بهم وأطلقوا عليهم القنابل والبنادق وساقوهم

إلى القاهرة واستأسروهم[١] ثم ذهبوا بهم إلى الجيزة وقد أعملوا السيف فيمن كان بها من الجند وقبضوا على مقدمهم المدعو مصطفى باشا وأخذوه أسيراً وأحاطوا بمعسكر على باشا بناحية زفيته ومنعوا عنهم الواصل وكانوا إذا خرج أحد من عسكره يريد الذهاب إلى جهة قبضوا عليه وقتلوه فاشتد حزن الباشا واضطرابه وأرسل إلى الألفى من يكلمه فى ذلك فأرسل إليه الألفى يقول لم نكن لنعلم بخبر هذه الجيوش المخيمة حولك وبسبب اجتماعها إلا من أحب الناس إليك وأطوعهم لكلمتك فلما رأينا من كثرة قومك وأسلحتك ومهماتك وآلات حربك قابلنا عملك بمثله وما عهدنا بالولاة إذا حضروا إلينا إلا أن يكون حضورهم فى قلة من الأتباع لا أن يأتوا فى جيش جرار وقد قيل لك ذلك لما صرت على نية المسير إلينا فإن شئت مسالمتنا فاصرف عنك هذه الأقوام وأتنا فى بطانتك لا غير على الرحب والسعة فقال لم يكن من أمر هذه الجيوش سوى الخروج إلى الأقطار الحجازية مدداً لشريف مكة وعوناً له على قتال الوهابيين فإذا وصلنا بهم إلى قلعة الجبل واستراحوا جهزناهم بما يلزم وسيرنا بهم إلى الشريف فقيل له لم يبق فى القلعة من الأبنية بعد تخريب الفرنسيس لها ما هو أهل لسكناك ولذلك فقد أعددنا قصر العينى مقراً لك ولأتباعك وحاشيتك واصرف عنك العسكر فيسيرون إلى بركة الحاج ويلبثون هناك حتى تتم احتياجاتهم ويسيرون إلى الأقطار الحجازية . وترددت الرسل بينه وبين الألفى أياماً ثم حضر من قبل الباشا عابدى بيك مقدم الانكشارية واجتمع بالألفى وكلمه فاستماله الألفى لجانبهم ومناه بالأمانى الطويلة وعاهده على الخذلان بالباشا والانضمام إليهم بمن معه من الجند وتحالفا على ذلك وتعاقدا فانصرف عابدى بيك ودبر أمره مع أصحابه أرسل يقول للباشا قد طال القال والقيل بيننا ولم نهتد إلى أمر من الأمور فإما أن تأتى إلينا فى بطانتك وحاشيتك على الرحب والسعة وإما أن تبرز لقتالنا وضربوا للجواب موعداً فلما لم يأت الجواب زحف الألفى بعسكره وزحف بقية

---

(١) استأسروهم : أسروهم .

الأمراء بعساكرهم على معسكر الباشا وأحدقوا به من كل جانب فطلب الباشا عسكره ونادى فيهم بالخروج فلم يتحركوا وتثاقلوا فلما تحقق خذلانهم له ركب فى خاصته وذهب إلى الألفى وترك خيامه وأثقاله فعند ذلك استقبله جميع الأمراء بالإعزاز وأنزلوه فى خيمة أعدوها له على مقربة من خيمة البرديسى وحضر إليه جميع أرباب الديوان ونقلوا جميع متاعه وأثقاله إلى قصر العينى وسيروا من كان معه من الجنود إلى شرقية بلبيس ليسيروا منها إلى الصالحية ثم انتقل جميع الأمراء المصريين مع الباشا إلى منية السيرج وباتوا بها ليلتهم فلما كان منتصف الليل والناس جميعاً نيام خرج من خيام الباشا إلى منية السيرج وباتوا بها ليلتهم فلما كان منتصف الليل والناس جميعاً نيام خرج من خيام الباشا فارس على فرس يعدو بسرعة فصهلت عند خروجه الخيل واضطرب من فى المعسكر فركب جماعة من العسكر وتراكضوا خلفه فلم يلحقوه فسألوا الباشا عنه فأنكر معرفته وقال لعله لص فتخوفوا منه وأخذتهم الطيرة فأجلسوا حول مضربه فى تلك الليلة عدة من المماليك بالأسلحة وأصبحوا وقد قبضوا على رجل على ظهر هجين من ناحية البساتين زعموا أنهم وجدوا معه كتاباً من الباشا خطاباً إلى عثمان بيك حسن المقيم بجرجا يستقدمه إلى القاهرة ليكون عونا على الأمراء المصريين ويمنيه بالأمانى الواسعة ويعده بتولية إدارة البلاد فلما كان يوم الأربعاء ثانى عشر شوال من السنة أى سنة ثمان عشرة دخل بخيمة الباشا على رضوان أغا كتخدا البرديسى ومعه آخرون وجلسوا عنده فسألهم عن سبب حضورهم فقالوا أتينا لنسألك فيما إذا كنا على صلح تام مع الأمير اليوم أم لا قال بلى فقال كتخدا البرديسى هلا كتبت إلى أحد قبل ذلك كتابة قال لا فقال لعلك كتبت إلى الصعيد شيء قبل الآن قال لم يكن ذلك أبداً فأخرج له عند ذلك مكتوباً وناوله إياه فلما رآه قال نعم هذا مما كتبناه بالأسكندرية قبل الصلح فقالوا إنا وجدناه بالأمس مع رسولك وتاريخه يدل على تحريره فتلجلج فقاموا وقالوا له قم فقال إلى أين قالوا إلى غزة حيث لا أمان لنا معك بعد ذلك

ولم يمهلوه لكلام يقوله أو لعذر يبديه وقدموا له فرساً وأركبوه عليه فرأى حوله عدة من الأمراء على أهبة الذهاب معه فاضطرب جداً وقال إن صحبنى هؤلاء فليكونوا على بعد منى فى الحل والترحال فأجابوه إلى ذلك وركب أتباعه على دواب الحمل وساروا وهم فى أسوأ حال وقد حجز البرديسى جميع أثقاله ومتاعه وذخيرته وأصبح يوم الخميس ثالث عشره فدخل الأمراء والجند والعسكر من الارنؤد ومحمد على سرچشمه وجميع كبارهم وخلفهم الطبول والزمور أما الألفى فإنه ركب على زفيته[1] فضرب أهلها وأحرق البلد وعرج على أجهور[2] فضربها كذلك وشرد من فيها وذهب إلى نزلة عرب بلى بالجيزة فطرقهم فجأة وقتل منهم أناساً ونهب مواشيهم وخرب منازلهم وفعل كذلك بعدة بلاد أخرى لتحالفهم مع علىّ باشا على قتال المصريين وتأهبهم لنصرته وسار المعينون مع علىّ باشا فلم يصلوا على مقربة من القرين حتى مات حتف أنفه على ما قيل وقيل بل خنقوه . قال بعض الكتاب وكان علىّ باشا المذكور سيئ الخلق طاغية عنيداً جباراً فخوراً معجباً بنفسه كثير المظالم مستبدّا برأيه فعل بأهل الأسكندرية من الجور والظلم والمصادرة مالا يكاد يدخل تحت الحصر وكان يقول لعسكره إنى إن فتحت مصر ووطئت قدمى أرضها أبحتها لكم ثلاثاً تفعلون بها ما تحبون . وعاد الألفى الصغير من قتاله لعرب الجيزة ومعه كثير من الغنائم ونزل بقصره الذى أنشأه بالجيزة وتفرقت عنه عساكره ولم يبق معه إلا القليل مع أمير المدافع ثم جاء الخبر من حاكم مدينة رشيد الألفى الكبير الذى كان قد سافر إلى لندن

---

(١) زفيته : وردت باسم زفيتة شلقان لمجاورتها لبلدة شلقان وهى إحدى قرى مركز قليوب محافظة القليوبية .

● محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق٢ ، جـ١ ، ص ص٥٤ ، ٥٥ .

(٢) أجهور وتعرف بأجهور الورد لكثرة ما كان يزرع بها من أشجاره وهى مركز قليوب ، محافظة القليوبية .

● محمد رمزى : المرجع السابق ، ق٢ ، جـ١ ، ص٧٥ .

عاصمة الإنجليز كما سبقت الإشارة إلى ذلك فلما علم إبراهيم بيك والبرديسى بخبر وصوله خافا منه وأيقنا بخيبة الأمل لما له من الشهرة ونفوذ الكلمة فأضمرا له السوء ودبرا أمورهما وكتماها وكتب البرديسى إلى مملوكه يحيى بيك حاكم رشيد يأمره بقتل الألفى بكل ما وصلت إليه حيلته وعبر هو النيل وعبر كذلك عدة من الأمراء إلى الجيزة وباتوا ليلتهم تلك بخيامهم وأظهروا أنهم يتأهبون للسفر فى آخر الليل مع الألفى الصغير للقاء الألفى الكبير وعبر أيضاً حسين بيك الوشاش الألفى ونصب خيامه على مقربة من النيل فلما كان خامس ساعة من تلك الليلة أرسلوا إلى حسين بيك يطلبونه فحضر مع مماليكه وكانوا قد رتبوا جماعة منهم تأتى بخيل ومصابيح ومشاعل من طريق القصر الذى يسكنه الألفى الصغير فقالوا له أين خيلك فأنا على أهبة الإسراء ليلاً فى هذا الوقت إلى لقاء أخينا الألفى وها هو أخوك الألفى الصغير قد ركب وهو مقبل إلينا فنظر فرأى المشاعل والخيل فلم يشك فى صحة ذلك ولم يخطر بباله غدرهم له فأمر مماليكه أن يذهبوا ويأتوا بالخيل وبقى هو وحده ينتظر فرسه فخرج عليه نفر من الخباء وقتلوه بينهم وأرسلوا إلى البرديسى بالخبر وكان محمد علىّ سرچشمه وأحمد بيك وبقية كبار الارنؤد قد عبروا إلى الشاطئ الثانى من النيل وترفعوا ليلاً وكمنوا ينتظرون الإشارة فلما علموا بالخبر زحفوا على قصر الألفى الصغير وأحاطوا به وقد ضموا إليهم مقدم أصحاب مدافع الألفى وأمير عسكره فعطل المدافع وأخذ محمد علىّ سرچشمه يدبر أمر إحاطة القصر بطوائف الارنؤط إلى آخر الليل فجاء إلى الألفى من أيقظه من نومه وأعلمه بخبر قتل حسين بيك واحاطتهم بالقصر فتأهب للقتال وطلب أمير مدافعه فلم يجده وأعلموه بما فعل بالمدافع فركب فرسه وخرج وخرجت معه أتباعه ببعض المتاع والأموال فركب محمد علىّ سرچشمه وأحمد بيك ونفر من الارنؤط خلفه فلم يدركوه وقد اشتغل بقية العسكر بنهب القصر وأخذ جميع ما فيه من أثاث ومتاع وهجموا على بيت

كاتبه المعلم غالى[1] ونهبوه وكذلك نهبوا جميع دور أتباعه ومماليكه وأخذوا ما كان عند كاتبه المذكور من الأموال ثم نهبوا جميع دور الجيزة وفعلوا بها ما فعلوه بدمياط من سبى النساء وفض الأبكار وأصبح الناس فى القاهرة وهم لا يعرفون

---

(١) المعلم غالى : كان من أعيان الأقباط ، وعمل وكيلاً لأعمال محمد بك الألفى ، وكان يشتهر بالذكاء وقوة الإرادة ويعرف من أين تؤكل الكتف ، وفى أيام محمد على عينه فى الشئون المالية ، وفى هذا المنصب أحيط بالدسائس والفتن من المسلمين والأقباط على السواء إلا أنه ساعد محمد على فى الرقى بالبلاد عن طريق تدبير المال اللازم خصوصاً عندما قام الجنود الألبانيون بثورتهم من أجل الحصول على رواتبهم المتأخرة ، وهنا كان يزاحم المعلم جرجس الجوهرى فى المكانة والحظوة عند الباشا ، وكما يقول الجبرتى أن الفرق بين الاثنين «أنه إذا طلب الباشا طلباً واسعاً منه (أى من جرجس الجوهرى) يقول له هذا لايتيسر تحصيله ، فيأتى المعلم غالى فيسهل له الأمور ويفتح له أبواب التحصيل ، فضاق خناق المعلم جرجس وخاف على نفسه فهرب إلى قبلى ، ثم حضر بأمان وانحط قدره ولازمته الأمراض حتى مات ، وخلا الجو للمعلم غالى وتعين بالتقدم ووافق الباشا فى أغراضه الكلية والجزئية» .

ولما احتاج محمد على إلى بنادق لجيشه ، ووجد أن ثمنها فى أوربا يوازى نصف ثمنها لو صنعت فى مصر ، جمع حاشيته ليشاورهم فى الأمر فاتفقوا على شرائها من أوربا إلا المعلم غالى الذى رأى أن تصنع فى مصر لينتفع أبناء البلاد من الصناع من ثمنها فوافقه محمد على .

وقد قام المعلم غالى بمسح عموم الأراضى فى مصر وقسمها إلى حيضان وزمامات وربط عليها الضرائب المناسبة فنمت الإيرادات . كما قسم القطر إلى أقاليم ولكل إقليم عاصمة يستقر فيها الحاكم . إلا أنه فى آخر أيامه حسده الحاسدون ، فنجد أن محمد على كان فى طريقه إلى الإسكندرية .

وطلب من المعلم غالى صرف ٦٠٠٠ كيس كانت باقية عليه ، فاعتذر بعدم قدرته على دفعها ، وأنه ساع فى تحصيلها إلا أن الباشا لم يقبل العذر وأرسل إلى كتخدا مصر بالقبض عليه وعلى أخيه فرنسيس وأمينه المعلم سمعان وسجنهم فى القلعة حتى يدفعوا المبلغ ، وخاف المعلم جرجس الطويل وحنا أخوه سوء العاقبة وكانا يكرهان غالى فأخذا يحطان عليه ووسوسا للباشا أنه إذا حوسب يظهر عليه ثلاثون الف كيس ، وتعهد بأنه إذا فوض لهما عمل حسابه ولم يظهر عليه هذا المقدار يكونان ملزمين بإدائه للخزينة فاشتد غضب الباشا عليه وعزله من رئاسة الكتبة وولى اخر مكانه ، وضيق عليه فى الحبس وأهانه ، وكرر الضرب على أمينه حتى أشرف على الهلاك ، واستمر حبس غالى وأفرج عن أخيه ليأتى بالمال المطلوب وبعد جهد جهيد لم يفلح فى الإتيان بأكثر من عشرة آلاف كيس ، وتشفع الكثيرون له لدى الوالى وتدخل الطبيب الخاص بمحمد على واستطاع أن يجعله يتنازل إلى ١٢ ألف كيس وأرجع غالى إلى منصبه ورقاه إلا أن إبراهيم باشا ابن محمد على قتله فى مدينة زفتى عام ١٨٢٢ .

● يعقوب نخلة روفيلة : تاريخ الأمة القبطية ، القاهرة ٢٠٠٣ ، ص ص ٢٨٥-٢٩٧ .

●الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جرجس فيلوتاوس عوض : فذلكة فى تاريخ الأمة القبطية فى القرن التاسع عشر» .

شيأ مما وقع إلا ما علموه من صياح نساء ووارى حسين بيك فى داره . أما الألفى الكبير فإنه لما وصل إلى رشيد قابله حاكمها بغاية الأبهة والاحتفال ولم يكن معه إلا خاصة مماليكه وجوخداره تتمة ستة عشر ولم يقم برشيد سوى ليلة ضيفاً عند أحد التجار وأنزل أمتعته فى سفن أربعة صغيرة وانتقل فى آخر الليل إلى دار قنصل الإنجليز وأصبح فأهدى إليه القنصل حراقة لطيفة فنزل بها وسار إلى مصر فعانده الريح وكان لما جاء الخبر بوصوله إلى مدينة رشيد سير الألفى الصغير لحضوره ذهابية[1] فانحدرت من بولاق إلى رشيد فلاقوه عند بلدة نادر بعد نصف الليل فلما أصبح نزل بالذهابية وسار إلى منوف[2] العلا فأقام بها يوماً ثم سار والريح تعاكسه إلى وقت الظهيرة فلاقاه عدة من الارنؤط المرسلين لقتاله فى أربع من السفن الصغيرة فى مضيق الترعة فسلم عليهم فردوا عليه السلام فسألهم بعض أتباعه إلى أين ذاهبون قالوا نريد الألفى وقد تناجى الملاحون فعرف ملاحوا مركب الألفى ما جرى بمصر فأخبروا الألفى بالخبر فكذبه وقال هذا شيء لا يكون أبداً وقد تغرّبت وركبت الأخطار وقضيت سنة بين ظهرانى الإنجليز أعمل على تعزيز جانبهم وإعلاء كلمتهم رغماً عن مكايد رجال السلطنة ويعاملوننى بهذا القبيح[3] فلعلها حادثة وقعت بينهم وبين طوائف العسكر ولم تمض إلا ساعة أو نحوها حتى قيل له أن طائفة من الارنؤط أدركوا الحراقة خلف ونهبوا ما بها من أثقال ومتاع فكاد يسقط فى يده وتحقق الغدر وأنه مأخوذ لا محالة فنزل بإحدى السفن الصغيرة ونزل معه مماليكه كافة وأخذوا بالمجاذيف وهو يستحثهم حتى خرجوا من تلك الترعة إلى ظهر النيل ولم يسر إلا

---

(١) سفينة جميلة الصنع مهيأة بمفروشات وكراسى مريحة وستائر تصلح للرحلات . كان يمتلكها كبار القوم كشكل من الترف .

(٢) منوف العلى (العلا) : من القرى القديمة ، اسمها القبطى Banaufris واسمها الرومى Onouphis أو Onouphis Kato وورت فى المصادر العربية باسم كورة منوف العليا ، وفى تاريخ ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م باسم منوف العلا ، وقد عرفت بالعليا لوقوعها بالقرب من رأس الدلتا ، وهى الآن قاعدة مركز منوف محافظة المنوفية .

● (الجبرتى ، جـ٣ ، ص٤٣٩) .

(٣) لعلها القبح .

قليلاً حتى لاقته طائفة أخرى فى سفينتين ومعهم أحد أتباع البرديسى فلم ينظروا سفينة الألفى أو نظروها ولم يعرفوه فجعل يجد فى السير حتى وصل إلى شبرى[١] الشهابية فنظر وإذا بساع مقبل من مصر فطلبه وسأله فأعلمه أنه مرسل إلى بيت سليمان كاشف البواب ليخبر بما جرى فعند ذلك تحقق الخبر ونزل إلى البر وأمر بالسفينة فأغرقوها وسار فى مماليكه على أقدامهم ولم يزالوا يجدون السير حتى وصلوا إلى ناحية قرانفيل[٢] ودخل إلى نجع عرب الحويطات[٣] والتجأ إلى امرأة منهم فأجارته ولبت دعوته وأركبته فرساً وسيرت معه اثنين على الهجن إلى ناحية الجبل فساروا إلى الخانكاه ليلاً ومماليكه خلفهم مشاة فلاقتهم طائفة من العربان فأحاطوا بهم فاشتغل المماليك بقتالهم فتركهم الألفى وسار مع أصحاب الهجن ومضى وقد سمع الجند القريبون منهم وفيهم البرديسى أصوات البنادق فأسرعوا إليهم وسألهم عن أستاذهم فقالوا قد كان معنا ثم تركنا وسار إلى الجبل فأمر البرديسى جميع من كان معه من الجنود بأن يتفرقوا ويضبطوا جميع المسالك والطرقات ومن أدركه منهم يقتله فى الحال فذهبوا خلفه وتفرقوا فى كل صوب وناحية فلم يعثر به أحد ولحق به جماعة العربان الذين قاتلوا مماليكه وأرادوا القبض عليه فنثر عليهم ما كان معه من الذهب والجواهر وألقى عنه فروته السمور فاشتغلوا عنه فتركهم وسار وغاب أمره فجعلوا يبحثون عليه وانتشرت طوائفهم فى الجهات شرقاً وغرباً وتتبعوا أقاربه وأتباعه ففر من فر وقبض على من قبض عليه وأدرك جماعة الارنؤد سفينته التى كانت تحمل متاعه وأثقاله وكان شيأ يجل عن الوصف من أموال وطرائف الإنجليز وجوخ وأسلحة

---

(١) شبرى الشهابية : وهى الآن تسمى شبرا شهاب ، مركز القناطر الخيرية .

(٢) قرنفيل: قرية قديمة مركز قليوب محافظة القليوبية .

(٣) عرب الحويطات : وصلوا إلى مصر بصورة تدريجية فى أوائل القرن ١٢هـ الثامن عشر الميلادى من حويطات الساحل السعودى بشمال غرب الجزيرة ، وتوطن أغلبهم فى القليوبية وحول القاهرة ووسط وغرب سيناء وأشهر فصائلهم فى سيناء : الذيابين والدبور والعبيات والموسة والقرعان والجرافين .
● (الجبرتى ، جـ٣ ، ص٩٤) .

وجواهر أهداها له ملك الإنجليز وأكابر دولته ومبلغاً من المال لمشترى غلال لذمة ملك الإنجليز ثم أغرقوا تلك السفن فى النيل . أما الألفى الصغير فإنه سار من فوره إلى الصعيد وفرّد على البلاد الفرد والكلف وطالبهم بها وشدد فى الطلب فكان كل من عصاه أو توانى فى الدفع نهبه وأحرق داره وشرد عياله فكتب إبراهيم بيك والبرديسى لكافة الأمراء والحكام بالأقاليم بالاهتمام فى القبض عليه وفى البحث والتفتيش على الألفى الكبير فأخذوا الناس بالشبهات وكثر الوشاة على أبوابهم فقتلوا بسبب الهاربين خلقاً كثيراً وأخرجوا جماعة كثيرة على ظهور الخيل والهجن يتتبعون أثر الألفى الكبير وكلهم من أصحاب البرديسى وخواصه الذين عليهم معتمده وأصبح البرديسى ولم يبق حوله من أصحابه إلا النزر اليسير .

# (مطلب)

## (فتنة الارنؤط وظهور كلمة محمد على سرچشمة)

ولم تكن تلك الحوادث المتراكمة والاحن المتوالية لتشغل جماعة الارنؤد عن طلب جماكيهم المتأخرة وعلوفاتهم الموقوفة ولم يحل عندهم محلها ما نهبوه من متاع وأموال وغيره فى خلال تلك الحوادث فضلاً عما كانوا يخطفونه فى كل يوم من المارة وأبناء السبيل فاجتمعوا يوماً وذهبوا إلى كبارهم فى طلب الجماكى فوجهوا بهم إلى الأمراء المصريين وطالبوهم ففرضوا لهم مائتى ألف ريال على أقباط مصر منها خمسون ألفاً على المعلم غالى كاتب الألفى وثلاثون ألفاً على تركة المعلم بقطر[1] المحاسب كاتب البرديسى والمائة والعشرون موزعة عليهم فلم يكتفوا بذلك وتحزبوا فرقاً وطافوا فى الشوارع والطرقات يخطفون ما بأيدى الناس ويغتصبون النساء بلا تحاش ولا خوف وقصدوا الصعود إلى قلعة الجبل ليملكوها لكى يدمروا المدينة فلم يتمكنوا من ذلك واشتدت حركتهم وكثر تطوافهم فقتلوا ونهبوا وفعلوا ما لا خير فيه يوماً وليلة وأصبحوا فركب محمد علىّ سرچشمة ونادى بالأمان وجمع إليه كبار العسكر وأعلمهم بأن الأمراء مهتمون بصرف الجماكى بواسطة تقرير فردة على الأهالى فأسكنوا هياج العسكر وقام المحروقى بجمع هذه الفردة وشرعوا فى الإحصاء وفرضوها على العقار والأملاك أجرة سنة يقوم بدفع نصفها المستأجر والنصف الثانى يدفعه صاحب الملك وطاف لذلك الكتاب والمهندسون ومع كل طائفة منهم نفر من الجند فنزل بالناس ما لايوصف من الغم مع ما هم فيه من القحط والغلاء فضجوا واستغاثوا

---

(١) المعلم بقطر هو الياس بقطر وكان من أتباع المعلم يعقوب واستظل بالفرنسيين أيام وجود الحملة الفرنسية على مصر ، وخرج معهم ومع المعلم يعقوب إلى فرنسا١٨٠١ ، ولد بأسيوط عام ١٧٨٤ عينه نابليون مترجماً لجيشه ، وبعد سفره إلى فرنسا نال مركزاً علمياً كبيراً هناك ، ومن آثاره أنه كان يجيد الفرنسية بطلاقة فعلم أولاد الأقباط هذه اللغة كما أنه وضع قاموساً فرنسياً عربياً ، وهو جد إلياس صاحب قاموس إلياس العصرى .

● (منسى يوحنا : كتاب تاريخ الكنيسة القبطية ، ص٥٤٨) .

وذهب جماعة من أصحاب الجباية إلى باب الشعرية ودخلوا درب مصطفى فخرج إليهم الفقراء وصاحوا فى وجوههم وسبوا ورجموا بالأحجار وخرج النساء جماعات يصرخن ويولولن وبأيديهن دفوف وطبول يضربن عليها ويندبن ويتغنين ويقلن كلاماً على الأمراء مرتبا ويجاهرن بقولهن «ايش تأخذ من تفليسى يا برديسى» وصبغن أيديهن بالنيلة فاقتدى بهن غيرهن وخرج الرجال ومعهم الطبول والبيارق وأغلقوا الأسواق والوكائل وحضر الجمع الكثير إلى الجامع الأزهر فركب المشايخ معهم إلى حيث الأمراء وكلموهم فى الأمر ثم رجعوا وأمامهم المناداة بإبطال تلك الفردة فسكن الحال وخمدت نار هذه الفتنة . قال صاحب عجائب[1] الآثار وكانت هذه الفعلة من جملة الدسائس الشيطانية فإن محمد علىّ لما حرش العساكر على محمد باشا خسرو وأزال دولته وأوقع به ما أوقع بمعونة طاهر باشا والارنؤوط ثم بالأتراك عليه حتى أوقع به أيضاً وظهر أمر أحمد باشا وعرف أنه إن تم له الأمر وقويت شوكة الأتراك لا يبقون عليه فعاجله وأزاله بمعونة الأمراء المصريين واستقر معهم حتى أوقع باشتراكهم قتل الدفتردار والكتخدا ثم محاربة محمد باشا بدمياط حتى أخذوه أسيراً ثم التحيل على علىّ باشا الطرابلسى حتى أوقعه فى فخهم وأنزلوه وقتلوه ونهبوه كل ذلك وهو يظهر المصافاة والمصادقة للمصريين وخصوصاً للبرديسى فإنه تآخى معه وجرح كل منهما نفسه ولحس من دم[2] الآخر قال واغترّ به البرديسى وراجت سوقه عليه وصدّقه وتعضد به واصطفاه دون خشداشيته وتحصن بعساكره وأقامهم حوله فى الأبراج وفعل بمعونتهم ما فعله بالألفى وأتباعه وشردهم وقص جناحه بيده وشرد البواقى وفرقهم فى النواحى فى طلبهم فعند ذلك استقلوهم فى أعينهم وزالت هيبتهم من قلوبهم وعملوا خيانتهم وسفهوا رأيهم واستضعفوا جانبهم وشمخوا عليهم وفتحوا باب الشر بطلب العلوفة مع الاحجام خوفاً من قيام أهل

---

(١) عجائب الآثار ، جـ٣ ، ص ص٤٤٤ ، ٤٤٥ .

(٢) لحس دم الأخر : أسلوب بدائى للعهد بين زعيمين حتى لا يعودا للصراع مرة أخرى .

البلد معهم ولعلمهم بميلهم الباطنى إليهم اضطروهم إلى عمل هذه الفردة ونسب فعلها إلى البرديسى فثارت العامة وحصل ما حصل وعند ذلك تبرأ محمد علىّ من ذلك وساعدوهم فى دفعهم عنهم فمالت قلوبهم إليهم ونسوا قبائحهم وابتهلوا إلى اللّه فى إزالة الأمراء وكرهوهم وجهروا بالدعاء عليهم وتحقق العسكر منهم ذلك قال وانحرف الأمراء على الرعية باطناً بل أظهر البرديسى الغيظ والانحراف من أهل مصر وخرج من بيته مغضباً إلى جهة مصر القديمة وهو يلعن أهل مصر ويقول لابد من تقريرها عليهم ثلاث سنوات وأفعل بهم وأفعل حيث لم يمتثلوا لأوامرنا . أ هـ .

ورأى البرديسى من خروج أهل البلد والتهاب نار الفتنة ما أذهله وأخافه ومن عبث الارنؤوط وتطاول أيديهم إلى النهب والسلب وخطف النساء والصبيان والمطالبة بالجماكى المتأخرة وعدم الوقوف عند حد مع الاستخفاف بأمره ما أذهب صبره وضاق معه صدره فاجتمع بالأمراء واشتوروا[1] ثم أخذوا يدبرون على العسكر فأرسلوا إلى أصحابهم المتفرقين فى الجهات القبلية والبحرية يطلبونهم للحضور فأرسلوا إلى حسين بيك الوالى ورستم بيك من الشرقية وإسماعيل بيك ومحمد بيك المنفوخ ليأتيا من شرق أطفيح[2] وقد كانوا جميعاً يرصدون الألفى وينتظرونه واستقدموا حاكم الصعيد بمن حوله من الكشاف والأمراء وحاكم رشيد وحاكم دمياط وأصعدوا محمد الباشا المسجون الذى سبق الكلام عنه إلى قلعة الجبل فأحس جماعة الارنؤوط بما وراء ذلك فبادروا واجتمعوا بالأزبكية فى يوم الأحد ثامن عشرينه ثم ذهب جمع منهم إلى إبراهيم بيك واحتاطوا ببيته بالداودية وكذلك ببيت البرديسى بالناصرية وتفرقوا حول بيوت باقى الأمراء والكشاف وغيرهم وكان ذلك وقت العصر فلما علم البرديسى بإحاطة الارنؤوط

---

(١) اشتوروا : تشاوروا .

(٢) أطفيح قرية قديمة تابعة لمركز الصف محافظة الجيزة .

● (محمد رمزى : مرجع سابق ، ق٢ ، جـ٣ ، ص ص٢٥ ، ٢٦) .

لداره رتب أموره وأخذ معه أمواله وركب فى خاصته على الهجن وذهب إلى ناحية مصر القديمة وكان الارنؤوط قد نقبوا نقباً من حائط الجنينة التى خلف داره ودخلوا منه إلى الدار فوجدوا البرديسى قد خرج بمن معه من المماليك وبعض الجند والأتباع فقاتلوا من وجدوه ونهبوا ما فى الدار من فرش ومتاع وخرجوا فعاثوا وأفسدوا وقتلوا وسبوا وتطاولت أيديهم أيضاً إلى بيوت الناس على اختلاف طبقاتهم واشتدت الفتنة وكثر صياح النساء وبكاء الأطفال فتحصن الناس فى البيوت ورموا بالأحجار من الشبابيك إلى أن خيم ظلام الليل . فلما كانت الساعة السابعة من الليل أرسل محمد علىّ سرچشمه طائفة من الارنؤوط إلى قاضى القضاة ومعهم مرسوم السلطان بولاية أحمد خورشيد باشا حاكم الأسكندرية على ديار مصر ورسم للقاضى أن يجمع المشايخ والعلماء فى الصباح ليتلى عليهم ذلك المرسوم فاستغرب القاضى ذلك وامتنع من جمع العلماء والمشايخ نظراً لاشتداد الفتنة وتطواف جماعة الارنؤط بالشوارع والطرقات وقتلهم لكل من وقع فى أيديهم وأصبحوا وقد اشتدت الحركة وكثر الرمى بالبنادق على بيوت الأمراء فهرب الكثير منهم وخرجوا على وجوههم وعلم إبراهيم بيك الكبير بخروج البرديسى فى مماليكه وأتباعه فخرج هو كذلك فيمن بقى من مماليكه وأتباعه ولم يزل سائراً حتى خرج إلى الرميلة وقد هدم فى طريقه أربعة متاريس وأصيب بعض مماليكه وخيله وأتباعه وأصيب كذلك كتخداه فمات عند باب العزب . وكان بعض الأمراء المصريين قد تعوّقوا بقلعة الجبل فتحصنوا بها ووجهوا أفواه المدافع نحو مواقع وبيوت الارنؤط وتابعوا الرمى بالقنابل عليها وعلى ناحية الأزبكية وظلوا على هذا الحال إلى الضحوة الكبرى فجاءهم الخبر بفرار إبراهيم بيك والبرديسى ومن أمكنة الفرار من بقية الأمراء فركنوا هم كذلك إلى الفرار وهموا بأخذ محمد باشا وعلىّ قبطان باشا وإبراهيم باشا الذين كانوا فى حبوس القلعة السابق الكلام عليهم فلم تمكنهم العساكر

المغاربة من ذلك فلما نزلوا من باب الجبل قام المغاربة[1] ونهبوا ما فى دار الضرب وعاثوا فى القلعة فأخذوا ما فى المخازن السلطانية وغيرها ثم صعد محمد علىّ سرچشمه إليها فى نفر من الارنؤوط وتسلمها من غير ممانع ولبث بها برهة ثم نزل منها وقد أنزل معه محمد خسرو باشا الذى كان معتقلاً وأمامهم المناداة بالأمان والاطمئنان وشاع خبر خروج محمد باشا خسرو من معقله ورجوعه إلى مسند الولاية على مصر فخرج الأعيان والمشايخ للقائه وذهبوا إلى بيت محمد علىّ سرچشمه ليهنئوه فقابلهم ولاطفهم فكانت مدة حبسه ثمانية أشهر كاملة حيث جاء إلى مصر بعد أسره فى دمياط فى آخر ربيع الأول وكان خروجه على يدى محمد علىّ سرچشمه فى اخر يوم من ذى القعدة وظن محمد خسرو باشا أن قد أقبلت عليه السعادة بعد إدبارها فجعل يتصرف فى الأمور ويعمل على تسكين خواطر الارنؤوط ويشير على محمد علىّ بعمل ما يشاء عمله وهو فرح مسرور . فلما كانت ليلة الأربعاء ثانى المحرم افتتاح[2] سنة تسع عشرة لم يشعر محمد خسرو باشا إلا وقد دخل عليه جماعة من الارنؤوط وقبضوا عليه وقبض جماعة أخرى على إبراهيم باشا ونزلوا بها إلى بولاق القاهرة وأنزلوهما فى إحدى السفن وأحاطوهما بالسيوف والبنادق فانزعج خسرو باشا وقال إلى أين ياقوم وقد صرت فى ذمة محمد على وأمانه فقالوا إلى حيث يشاء اللّه فسقط فى يده وكانت ولايته فى هذه المرة أشبه بولاية أحمد باشا الذى تولى بعد موت طاهر باشا يوماً ونصف يوم . قال بعض الكتاب وكان السبب فى تبعيد خسرو باشا على هذه الصورة بغض أخوة طاهر باشا إليه وحقدهم عليه فخشى محمد على عاقبة بقائه وأسرع فى تبعيده عن الديار المصرية فسكنت بتبعيده الفتنة وعادت الأمور إلى سابق مجراها وصعد عابدى بيك أخو طاهر

مطلب
إخراج محمد خسرو باشا من معقله وتوليته الإمارة على مصر بمعونة محمد على سرچشمة

مطلب
تبعيد محمد خسرو باشا وولاية أحمد خورشيد باشا

---

(١) المغاربة : ويقصد بهم المغاربة الذين انضموا إلى القوات المحاربة .
● مظهر التقديس ، ت . عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص٢١ .
(٢) محرم ١٢١٩ = ١٤ أبريل ١٨٠٤ .

باشا إلى قلعة الجبل واستقر بها فى جمع كثير من الارنؤوط ووردت الأخبار بمقدم أحمد خورشيد باشا وولايته على مصر فتأهب محمد على للقائه وبالغ فى ذلك حتى وصل إلى القاهرة ودخل فى الموكب المعتاد ونزل بالدار التى أعدّت له بالداودية فلم يقم بها سوى يومين وانتقل منها إلى دار محمد على بالأزبكية ولم يكد يستقرّ به المنصب حتى شاع الخبر بظهور الألفى الكبير وقد كان مختفياً بشرقية بلبيس برأس الوادى عند شخص من العربان اسمه عشيبة فلم يزل عنده حتى زالت دولة البرديسى وتلاشت كلمته وتفرق أصحابه وانجلت الطرق[١] من العيون والأرصاد التى كانت تتبع الألفى فركب فى عدّة من الهجانة ومروا من خلف الجبل وسار إلى شرق أطفيح ونزل عند قبيلة المعازه[٢] فلما علم محمد علىّ بخبره خافه وتطير منه وسير خلفه طائفة من الارنؤوط وعلم جميع الأمراء الهاربين بظهور الألفى فلجاؤا إليه واجتمعوا عليه عند الجيزة واجتمع إليهم العدد الكثير من عربان الهنادى والمماليك وقاتلوا من خرج إليهم من الارنؤوط فهزموهم شر هزيمة وكاد يستفحل أمرهم فركب عليهم محمد علىّ فى جماعة كثيرة وقاتلهم وأجلاهم عن الجيزة وقتل من العربان خلقاً وشرد من بقى منهم وقد قتل وجرح كذلك من عسكر محمد علىّ فترفع الأمراء إلى الصعيد وعاد محمد علىّ ظافراً فلم تكن إلا أيام حتى عادوا إلى الجيزة وعاثوا فيها وأهلكوا الحرث والنسل وانتشروا بها انتشار الجراد ونزلوا على انبابة وضربوا أهلها ونهبوا ما عندهم فخرجوا هائمين على وجوههم وعبروا النيل إلى مصر والقاهرة فأخذ محمد علىّ فى جمع عساكره وعبروا النيل إلى انبابه وعسكروا على مقربة منها وعملوا خندقاً ومتاريس فزحف عليهم الأمراء والعربان وهجموا على المتاريس هجمات متتابعة ووقعت بين الفريقين مقتلة عظيمة أبلى فيها الفريقان نحو نصف النهار

---

(١) انجلت الطرق من العيون والأرصاد : أى خلت ممن كانوا يتتبعونه .

(٢) قبيلة المعازة : وهى بعض فصائل من العقيلات أكثرهم فى الشرقية والإسماعيلية وعددهم ليس بالكثير وأشهرهم الخمايسة .

● (عجائب الآثار ، جـ٣ ، ت . عبد الرحيم عبد الرحمن (دكتور) ، ص٤٤٣) .

ثم انجلت الحرب بينهم وترفع الأمراء والعربان ولم يبلغوا من العساكر وقد قتل من الأمراء عدة كثيرة ولم تكن إلا أيام قليلة حتى عادوا ووصل فريق منهم إلى قبة النصر والعادلية من خلف الجبل وجعلوا يغدون ويروحون خلف باب النصر من خارج وباب الفتوح والشيخ قمر والدمرداش[1] ونهبوا الوايلى وجميع ما جاوره ودخلوا الدور وأخذوا ما فيها فخرج أهل تلك الجهات على وجوههم ودخلوا إلى القاهرة فرسم الباشا إلى محمد علىّ بالخروج فى عسكره فخرجوا من باب النصر وعملوا المتاريس عند الباب المذكور فتفرق العربان والأمراء فى إقليم الشرقية والقليوبية وسار منهم طائفة إلى بلبيس فحاصروا بها كاشف الشرقية يومين ثم دخلوها عنوة وقتلوا ونهبوا وقبضوا على الكاشف واثنين من كبار العسكر ثم حاصروا كاشف القليوبية وأخذوا أحماله ومتاعه وتركوه بعد قتال فهرب بمن بقى معه إلى القاهرة وطلبوا مشايخ البلاد وألزموهم بالكلف وفرّدوا على القرى الفرد الشاقة وقيدوا بطلبها جماعة العربان فكان كل من استعظم الأمر أو عصى حاربوا قريته ونهبوها وسبوا نساءها وقتلوا أهلها وأحرقوا أجرانها فاشتدّ الكرب وعظم الخطب وسار محمد علىّ بعسكره خلفهم فوقعت بينه وبينهم وقائع وحروب مات فيها خلق من الفريقين ونزل من بقلعة الجبل من الارنؤط للقتال فصعد إليها أحمد خورشيد باشا الوالى وسكن فيها بخدمه وأتباعه وأخذ يتصرف فى الأمور ويقرر الكلف والأموال على البلاد فضرب على أهل مصر والقاهرة خمسة آلاف كيس نقرة منها على أعيان القبط وعظمائهم ألف وخمسمائة وجملة أخرى على الملتزمين وثمانمائة كيس على بقية نساء الأمراء المصريين الأحياء منهم والأموات فضج الناس وطلبوا التخفيف فلم ينالوه وطاف المعينون على بيوت

---

(١) الشيخ الدمرداش : هو الشيخ أبو عبد الله محمد الدمرداش ، ولد بمدينة تبريز بإيران عام ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م ، درس فى تبريز مبادئ التصوف على طريقة محيى الدين بن العربى ، وجاء إلى مصر فى عهد السلطان الأشرف قايتباى ، وارتفع قدره لديه ، وظل يترقى حتى وصل إلى أمير مائة ، وكان مهيب الجانب ، قوى الشخصية ، أسوة حسنة لأصحابه ومريديه .

● (الدرة المصانة ، تحقيق د ، عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص٢٧) .

نساء الأمراء يجمعون المقرر فكان إذا تأخرت إحداهن أو طلبت المهلة أياماً لازموا بابها وطالبوها بما يأكلون وبما يشربون وما يفرشون لجلوسهم ونومهم فلا يسعها إلا السعى والخلاص على أى حال كان ومع ما جمعه أحمد باشا من هذه الأموال الطائلة والمغارم الفادحة فإنه لم يلتفت لشكوى طوائف الارنؤط من تأخير صرف جماكيهم ولم يعطهم منها شيأ فذهب فريق منهم إلى محمد علىّ وأحمد بيك وكبارهم وشكوا إليهم فكلم محمد علىّ أحمد باشا فى أمرهم فلم يصغ لقوله وطال الحال عليهم وهم لا ينكفون عن الشكوى فلما كان أحد الأيام جاء منهم جماعة إلى القاهرة يطالبون بما لهم وتربص آخرون بنواحى بهتيم[1] وبلقس ومسطرد بعد أن أخرجوا أهلها منها ونهبوا ما فيها من ماشية وغلال وغيرها وتترسوا فيها ونصبوا خيامهم على أسطحة دورها وعملوا بعض المتاريس خارجها ونصبوا عليها ما كان معهم من المدافع وكان إذا مر أحد رموا عليه بالبنادق فلم يجسر أحد من العسكر على الدنو منهم وسعت بينهم وبين أحمد باشا رسل الصلح فوعدهم بصرف جميع ما تأخر لهم فقالوا لا تنفك عما نحن فيه حتى تأتونا بالمال هنا فأصبحوا وقد أرسل الباشا أوراقاً إلى أرباب الحرف والصنائع سمّوها تشابيه بطلب غرامة قدرها خمسمائة كيس وطاف المكلفون بجمعها فى الأخطاط فضج الناس وتحزبوا وصاحوا فى وجوه أصحاب الجباية واجتمع الجمع الكثير منهم وساروا إلى الجامع الأزهر فتبعتهم الغوغاء والصبيان وهم فى ضجة عظيمة وأمامهم الطبول وشكوا أمرهم للمشايخ وقالوا قد بلغت الروح التراقى فلاطفهم المشايخ فلم ينكفوا عماهم عليه وصعد جماعة على منارات المساجد وصاروا يصرخون ويسبون وينادون بالويل والثبور على الباشا وأعوانه . قال صاحب عجائب[2] الآثار وتحلقوا بمقصورة الجامع يدعون

---

(١) بهتيم وبلقس ومسطرد .
وهى كلها قرى قديمة بين القاهرة وقليوب وهى تتبع الآن محافظة القليوبية .

(٢) عجائب الآثار ، جـ٣ ، ص ص٤٦٦ ، ٤٦٧ .

ويضرعون ويضجون «بيالطيف» وأغلقوا جميع الأسواق والحوانيت ووصل الخبر إلى الباشا وسمع صياحهم وضجيجهم من قلعة الجبل فأرسل يقول إلى السيد عمر النقيب(١) قد رفعنا الفردة عن الفقراء فبلّغهم ذلك فأرسل يقول أن الجميع فقراء أو ما كفى ما هم فيه من القحط والغلاء والوباء وعدم الأمن على الأعراض والأرواح حتى تطالبوهم بجوامك عسكركم فأمر الباشا الأغا فنزل ومعه عدّة من العسكر وجلس بالغورية وهو يأمر الناس بفتح الحوانيت ويتوعد من يتخلف فلم يتلفتوا لقوله وكان كلما شدّد معهم فى القول صاحوا فى وجهه وضجوا وابتهلوا إلى اللّه وما زالوا على هذا الحال حتى جاء رسول من عند الباشا ومعه مرسوم بإبطال تلك الفردة وكف المعينين عن طلبها فسكنت عند ذلك الفتنة وتفرقت تلك الأحزاب وأصبحوا وقد فتحوا الحوانيت فعاد طوائُف الأرنؤط إلى المطالبة بجماكيهم وأكثروا من العبث فى المدينة وقطع من كان منهم مخيماً ببلقس الطرق على المارة ومنعوا السفن فسيّر الباشا جماعة من العساكر المصرية لقتالهم فلم يبلغوا منهم مأرباً وانحاز المصريون إلى ناحية شلقان بمن معهم من الجرحى والموتى فكانوا كثيرين جداً وأخرج فى هذه الوقعة عابدى بيك أخى طاهر باشا . أ هـ .

وبينما كانت طوائف الأرنؤط تطالب بالمتأخر من جماكيها وعلوفاتها كان الأمراء المصريون ومن معهم يحاولون الدنو من مصر والقاهرة ويقبضون على من يصادفونه من الجند والرعية ويسلبون المارة ووصلت بعض طلائعهم من عربان ومماليك إلى خارج باب النصر وظاهر الحسينية وناحية الزاوية(٢) الحمراء وجزيرة بدران جهة الحلى وعاثوا فى تلك النواحى وحالوا بين من خرج من عسكر الباشا لقتال الأرنؤط وبين معسكرهم وظفروا بهم ونالوا منهم وأخذوا جميع ما كان معهم

---

(١) عمر النقيب : عمر مكرم نقيب الأشراف .

(٢) الزاوية الحمراء : قرية قديمة جددها الملك الأشرف قايتباى وأنشأ بها زاوية دهنت حوائطها باللون الأحمر من الخارج ، فعرفت بالزاوية الحمراء وهى الآن إحدى أحياء القاهرة .

● محمد رمزى : المرجع السابق ، ق٢ ، جـ١ ، ص١١ .

من مؤنة وسلاح وذخيرة وجاء الخبر بذلك إلى الباشا فنزل من قلعة الجبل ومعه الجمع الكثير من الجند وسار إلى بولاق ثم إلى الزاوية الحمراء وأمر بأبواب المدينة فأغلقت وقاتل من وجده منهم فلم يظفر فرجع على غير طائل وقد ترفع المصريون إلى مشتهر[(١)] وبنها العسل ومعهم المنهوبات من متاع وماشية وغير ذلك وخرج خلفهم محمد علىّ سرچشمه وحسن بيك حتى وصلوا إلى قليوب فلم يظفروا بهم ورجعوا على أعقابهم إلى القاهرة وأرسل فى هذا الحين الألفى الكبير إلى الباشا يطلب منه الأجازة[(٢)] بحضوره إلى مصر وأنه على ما يعهده فيه من الإخلاص والولاء فأبى عليه ذلك وأرسل إليه يقول إن كنت على ما عهدناه فيك من الولاء فالزم مقرّك بجرجا التى قد أقطعناها إليك ولا تقدم إلى القاهرة فى هذا الحين حتى نستقدمك عند الحاجة فلم يذعن الألفى لقوله وزحف هو وعثمان بيك حسن ومن معهما من المماليك والأتباع وبعض الجند والكشاف فوصل الألفى إلى بنى سويف ووصل عثمان بيك قبالته بالجانب الشرقى من النيل وأرسل الألفى عند وصوله خطاباً إلى المشايخ يقول قد حافظنا على ولائنا واستمسكنا بعروة الإخلاص الوثقى ولازمنا ما أقطعناه إياه الباشا من البلاد ولم نتعدّها إلى الآن أما وقد مس نساءنا الضر وأصبحت ذرارينا عرضة للتشريد بما ضرب عليهم من المغارم والكلف فلم نر بدّا من الانحدار إلى القاهرة رغماً عن كل ممانع حتى يقضى اللّه أمراً كان مفعولاً فلما وصل الخطاب إلى المشايخ خافوا من كتمانه وأطلعوا الباشا عليه وسألوه الإجازة للألفى فأباها عليه وقال قد كان نساؤهم بين ظهرانينا كما كانوا بين ظهرانى الفرنسيس وقد صادروهن وهم أعداء الدين واليوم هن معنا فى قرار مكين لا خوف عليهن ولا تضييق فإن عاد الألفى ومن معه إلى مقرهم سعينا فى إصلاح شأنهم وأرجعناهم إلى عيالهم وإلا

---

(١) مشتهر وبنها العسل : بنها بلدة قديمة اسمها المصرى Penneha والقبطى Banaha وعرفت ببنها العسل وهى عاصمة محافظة القليوبية . ومشتهر احدى قرى القليوبية أيضاً .
● محمد رمزى ، ق٢ ، جـ١ ، ص ص٢٠-٢١ .
(٢) الإجازة : التصريح .

شردناهم وعملنا على قطع شأفتهم فانصرف المشايخ وأمر الباشا محمد علىّ سرجشمة فخرج بعسكره إلى ناحية الإمام الليث وحفروا هناك خندقاً وعملوا متاريس وبالغوا فى إحكامها وترتيبها وأكثروا من إخراج الأسلحه وآلات الحرب وكان العدوّ أمامهم وقد سدّ على مصر والقاهرة من الجانبين القبلى والبحرى فكان أصحاب إبراهيم بيك والبرديسى وطوائف الارنؤط يعيثون فى البلاد من شلقان إلى جوف الشرقية والغربية والمنوفية وجماعة الألفى يعيثون فيها من الصعيد الأعلى إلى الجيزة وما جاورها فعمت الفوضى وارتفع الأمن وخيفت المسالك وكثر القتل والنهب فى الليل والنهار وانضم الجمع الكثير من طوائف الارنؤط إلى الأمراء المصريين فتقوّت بهم عزائمهم وتطاولت أيديهم إلى كل فساد وشر ووصل أيضاً الألفى الصغير بطوائفه إلى انبابه وأراد الزحف على المدينة فأطلق عساكر محمد علىّ عليهم المدافع من بولاق القاهرة ومراكب البحر ومنعتهم من الدنو من المدينة واشتدّت الأزمة واستحكمت على من بمصر والقاهرة حلقاتها وكثر تطير الباشا وأخذه للناس بالشبهات فأكثر من الحبس والقتل بأضعف الأسباب حتى كادت تزول هيبته وتضعف كلمته وانتقل محمد علىّ بعسكره إلى بلدة طنط[1] جهة براشيم التين وخلفه ببولاق حسن بيك وعسكره فوقع بين محمد علىّ والأمراء المصريين مقتلة عظيمة انجلت عن هزيمة المصريين فترفعوا بعد الهزيمة عن براشيم التين فتبعهم بعساكره فترفعوا فعسكر تجاه البراشيم ولبث أياماً ثم انحدر منها إلى القرافة بمصر ونزل على مقام عقبة بن عامر[2] الجهنى وقاتل من كان بتلك الجهة من أصحاب الألفى

(١) طنط ، براشيم التين : من القرى القديمة فى القليوبية وتعرف الأولى الآن بطنط الجزيرة تبع بنها أما الأخرى فاسمها الأصلى برشوب وتعرف الآن ببرشوم حيث تجود فيها زراعة التين وهى مركز طوخ قليوبية .

● محمد رمزى : المرجع السابق ، ق٢ ، ص ص٥٤ ، ٥٠ .

(٢) مقام عقبة بن عامر : هو عقبة بن عامر بن عبس بن مالك الجهنى ، كان من الصحابة ، وشهد واقعة صفين مع معاوية كما حضر فتح مصر أيام عمرو بن العاص وولى مصر سنة ٤٤هـ/٦٦٤م وعزل عنها سنة ٤٧هـ/٦٦٧م ومات فى مصر ، وكان فقيهاً وشاعراً .

● خير الدين الزركلى : الأعلام ، جـ٥ ، ص٣٧ .

الكبير والصغير وأجلاهم عنها فساروا إلى طرا وتحصنوا بها وكانوا قد أخذوا برجها وتمكنوا مما حوله فكاتبهم محمد عليّ وطلب صلحهم وخدعهم وأظهر لهم عجزه عن قتالهم فاغتروا وأبوا إلا القتال فأتى محمد عليّ ليلاً إلى الباشا وأخذ منه قدراً من المال ورجع إلى أصحابه فأنفق عليهم فتقوّت عزيمتهم فلما كانت الساعة الخامسة من تلك الليلة ركب محمد عليّ فى نحو أربعة آلاف ما بين فارس وراجل ساروا حتى اقتربوا من حرس العدوّ فى آخر السادسة فترجلوا وقسموا أنفسهم إلى ثلاث طوائف طائفة سارت نحو الدير وطائفة سارت نحو المتاريس والثالثة نحو الخيل وقد كان صالح بيك الألفى الصغير ومن معه فى سنة من النوم فلم يشعروا إلا وقد صدموهم صدمة شديدة فاستيقظ القوم وبادروا إلى الهرب والنجاة فأخذ أصحاب محمد عليّ الدير وملكوا الأبراج وكان بها العساكر العثمانية وقد أشرفوا على الاستئمان والتسليم وغنموا ما وجدوه من أسلحة وخيل وهجن ومتاع وكان شيأ كثيراً وعاد محمد عليّ عند بزوغ الفجر بعساكره ومعه خمس رؤس وصعد إلى قلعة الجبل بالرؤس فخلع عليه الباشا فروة سمور وعلقوا تلك الرؤس على سبيل الرميلة فلم تكن إلا أيام حتى عاد الألفى يشن الغارة على طرا وأبراجها وكذلك عاد إبراهيم بيك والبرديسى وعسكرهما يشنون الغارة على قليوب وبنها ضواحى القاهرة جميعها . فلما كان يوم الأحد عاشر ربيع الثانى خرج محمد عليّ بعسكره وكذلك خرج عابدى بيك وحسن بيك إلى شبرا وقاتلوا حسين بيك المعروف بالافرنجى قتالاً عنيفاً وثابروا على رمى القنابل إلى ضحوة النهار ثم التحم الفريقان واشتدّ الجلاد[1] بينهما إلى ما بعد نصف النهار وصبر الفريقان وقتل بينهما خلق كثير من الارنؤط وطوائف المماليك وأكابر العسكر ثم انحاز كل إلى معسكره وبعد هجعة من الليل اجتمع العسكر من طوائف الانكشارية والارنؤط وغيرهم وزحفوا على متاريس حسين بيك الإفرنجى وكبسوها وكان بها حسين بيك وعلى بيك أيوب وعدد كثير من

(١) الجلاد : القتال .

الجند والمماليك ولم يمهلوهم حتى زحفوا على بقية المتاريس فملكوا منها متاريس شلقان وبسوس[١] وانهزم المصريون وارتحلوا إلى الخانكاه وأبى زعبل ثم عادوا فجمعوا من تشرد منهم وساروا من خلف المقطم إلى الصعيد .

وبعد أيام من وقوع هذه الحوادث سافر أخو طاهر باشا إلى الديار الرومية وشاع الخبر بارتحال محمد عليّ سرچشمه كذلك فتطير الناس من ذلك وأعقب هذه الإشاعة عبث العسكر بالأهالي وتطوافهم في الأسواق يخطفون ما يشاؤن من السوقة وأصحاب الحوانيت فضلاً عن النساء وغيرهم فلما كان ثاني يوم مرّ محمد عليّ وخلفه عدة كبيرة من العسكر وهو ماش على أقدامه وأمامه المناداة بالأمان وعود الأمور إلى سابق مجراها فلم تطمئن قلوب الرعية بل زادوا في التحذر وكذلك تحذر طوائف الانكشارية لتعدى جماعة الارنؤط عليهم وقتل بعضهم البعض في الطرق والشوارع وفي وسط الأسواق جهاراً ثم برز محمد عليّ بعد أيام بعسكره إلى ناحية البساتين ولبث بها أياماً والمناداة في كل يوم في جميع العسكر بالخروج والاستعداد لقتال الأمراء المصريين . فلما كان يوم السبت رابع عشر شعبان سار محمد عليّ بعسكره إلى الصعيد وسار آخرون أيضاً إلى الأقاليم البحرية فالتقى محمد عليّ بالألفي الكبير ولمومه عند منية ابن خصيب فوقع بينهما القتال وانتشبت الحرب وطالت أيامها في البر والبحر وطلب محمد عليّ المدد من الباشا فأمدّه وسير إليه كثيراً من الأسلحة ومعدّات القتال والمؤنة وانتشرت عساكر الأمراء المصريين حتى وصلت إلى زاوية[٢] المصلوب وحاصروا من كانوا في بوش[٣] والفشن[٤]وبنى سويف وكذلك من بالفيوم

---

(١) بسوس : هي باسوس من القرى القديمة واسمها الأصلي بيسوس وهي الآن مركز قليوب محافظة القليوبية .
● محمد رمزي : المرجع السابق ، ق٢ ، جـ١ ، ص٥٥ .

(٢) زاوية المصلوب : إحدى قرى مركز الواسطى ـ محافظة بنى سويف .

(٣) بوش : إحدى مراكز محافظة بنى سويف .

(٤) الفشن : من القرى القديمة وفي عام ١٨٤٤م كانت قاعدة لمديرية الأقاليم الوسطى ثم ألغيت هذه المديرية في ١٩ مارس ١٨٥١ ، وهي الآن مدينة وقاعدة لمركز الفشن بنى سويف .
● محمد رمزي : المرجع السابق ، ق٢ ، جـ٣ ، ص ص١٨٨-١٨٩ .

ووصلت مقدّماتهم إلى ناحية الجيزة وطلبوا من أهالى تلك البلاد الكلف وضربوا عليهم المغارم كعادتهم وجبوها وأخذوا ما وجدوه فيها من غلال وغيره فعبر كتخدا الباشا النيل إلى الجيزة وحصن حدودها وعمل فيها المتاريس والخنادق ورتب بها الجند المرابطين وبعد قتال عنيف بين الألفى ومحمد علىّ أياماً كثيرة ارتحل الألفى عن منية ابن خصيب وترفع فدخلها محمد علىّ بعسكره فلم يجد فيها شيأ لا من الذخيرة ولا من المؤنة فاستقرّ بها حتى يأتيه أمر الباشا وطال القتال وقوتلت مصر والقاهرة من جميع الجهات واشتدّ الكرب وعم الهول والخطب فشكا الباشا أمره إلى الباب العالى وطلب منه المدد فأمدّه بطائفة من الدلاة فدخلت إلى القاهرة من العادلية فى سابع عشرى ذى الحجة ختام سنة تسع عشرة[1] ومائتين وألف وهم فى عدة وافرة ومعهم مقدم اسمه ابن كور عبد الله فأنزلوهم ناحية الفسطاط والآثار وناحية البساتين واهتم الباشا بأمرهم فرتب لهم الجماكى الكثيرة والعلوفات الزائدة وبالغ فى تنظيم أمورهم وأكثر لهم من الأسلحة والكراع وجعل ينظر لكل طائفة من الارنؤط والانكشارية وغيرهم دونهم فى الأهمية والاهتمام فلما علم محمد علىّ وحسن باشا وهما فى منية ابن خصيب بخبر حضور أولئك الدلاة إلى القاهرة واهتمام الباشا بأمرهم وركونه إليهم دون بقية الجند وتقرب كبيرهم منه ووثوقه به تطيرا من ذلك وأدركا ما خفى من نوايا الباشا وخشيا العاقبة فانسحبا بعسكرهما من منية ابن خصيب ورجعا إلى القاهرة فأغضب الباشا رجوعهما وجمع إليه المشايخ والوجاقلية وأرباب الديوان وكلمهم فى أمر رجوع محمد علىّ وحسن باشا بغير إذن وتركهما القتال وقال أنهما لم يرجعا إلا لأمر ينويان فعله فإما أن يرجعا لقتال الأعداء وإما أن يرحلا إلى بلادهما قال وقد أتانى كتاب بخط السلطان يفوض إلىّ فيه أن أولى من أشاء وأعزل من أشاء وأعطى وأمنع من أشاء فالمصلحة فى أن تبقوا عندى مع كبار الوجاقلية حتى نرى ما يكون من وراء ذلك ثم رسم بخروج العسكر الدلاة

(١) ١٧ ذى الحجة ١٢١٩هـ = ١٩ مارس سنة ١٨٠٥م .

المذكورين فخرجوا إلى طرا والجيزة ومعهم بعض الانكشارية والارنؤط ومعهم المدافع وآلات الحرب والذخيرة والمؤنة فلم يكن بأسرع من أن نزل محمد عليّ وحسن باشا بعسكرهما إلى طرا فلم يجسر الدلاة على ردّهم ولبثوا بطرا ثم صاروا يدخلون المدينة خفية حتى تكامل دخولهم ودخل كذلك محمد عليّ وحسن باشا ونزلا فى بيوتهما فازعج دخولهما الباشا وأغضبه جداً ومنع المشايخ والوجاقلية من الذهاب إلى محمد على فقامت من هذا الحين الوحشة بين الباشا ومحمد على وظهرت على كل منهما دلائل الانقباض وتحذر كل من صاحبه فأخذ محمد على فى التدبير على أحمد باشا وخلعه من الولاية وكذلك بدأت الوحشة بين جماعة الارنؤط والدلاة والانكشارية فكانوا على طرفى نقيض وكانت لا تمر ساعة من النهار إلا ويقع التشاحن بين أفرادهم فى الحوارى والطرقات وزاد بهم الحال إلى حد القتل وتعدّى فعلهم هذا إلى المارة وأبناء السبيل وازدحمت طرق مصر والقاهرة بأخلاطهم وعاث الدلاة بمصر القديمة فأخرجوا أهلها من دورهم وسكنوها بما فيها من أثاث ومتاع فخرج أهل مصر رجالاً ونساء وجاؤا إلى الأزهر وصاحوا على المشايخ واستغاثوا فكلم المشايخ الباشا فى ذلك فرسم بخروج الدلاة على الفور وكتب مرسوماً بذلك فلم يسمعوا قوله ولا أعاروه جانب الاعتبار فخوطب الباشا ثانياً فلم يأت شيأ فاجتمع العدد العديد من الصبيان الصغار وطافوا يصيحون فى الأسواق ويأمرون الناس بغلق الحوانيت ويستصرخونهم فقام الناس على ساق وقدم ووصل الخبر بقيامهم إلى الباشا فأرسل كتخداه إلى الجامع الأزهر فلم يجد به أحداً من المشايخ فسار إلى بيت الشيخ الشرقاوى فرأى من تزاحم العامة وتطوافهم بالشوارع والطرقات ما أزعجه فرجع فرجمه الصبيان بالأحجار وسبوه ولعنوه وبقيت الحال كذلك إلى يوم الجمعة عاشر صفر .

## (مطلب)

## (ولاية محمد على[1] على جدة وتوجيه رتبة الباشوية إليه وما جرى بسبب ذلك من الحوادث والمحن)

واتفق أن قدم فى هذا الحين قاصد من دار السلطنة ومعه تقليد لمحمد علىّ بولاية جدة فاستدعى إلى قلعة الجبل ليتسلم التقليد فأبى وتأخر فترددت الرسل بينه وبين الباشا ومحمد على يشدد فى الامتناع وكأنه كان يخشى صعوده إلى قلعة الجبل أو هو يكره الولاية على جدّة ولا يرضاها وبعد أخذ وردّ وقع الاتفاق على أن ينزل أحمد باشا من القلعة إلى بيت سعيد أغا ويخلع على محمد علىّ خلعة التقليد هناك فكان نزوله فى ذلك اليوم الذى قام فيه العامة فلما مر بين صفوف الغوغاء وزحام العامة صاحوا فى وجهه وقالوا «ما يحل لك يا باشا» فهاله أمرهم وأسرع بالدخول إلى بيت سعيد أغا وحضر محمد علىّ وحسن باشا وعابدى بيك فقرىء عليهم فرمان التقليد وقد خوطب فيه «بمحمد علىّ باشا» ثم قام أحمد باشا وخلع عليه خلعة التقليد وهى فروة وقاووق[2]

---

(١) ما فتىء خورشيد باشا يبذل جهده لإقصاء محمد على عن مصر ، وكان من قبل يسعى حثيثاً لدى الباب العالى فى هذا ، وقد نجح فى مسعاه ، إذ ورد فرمان سلطانى بتقليد محمد على ولاية جدة ، وكان الغرض من هذا التعيين إبعاد محمد على عن مصر بأية وسيلة ولو بترقيته ، فابتهج خورشيد باشا لورود هذا الفرمان ظناً أنه سيخلص من خصمه محمد على ، وأرسل إلى محمد على يستدعيه إلى القلعة ليسلمه الفرمان ويخلع عليه خلعة الولاية الجديدة ، لكن محمد على أدرك ما فى هذا التعيين من دسيسة وخشى الغدر به إن هو ذهب إلى القلعة ، وأرسل إليه ينبئه أنه مستعد لتلقى أمر التعيين فى أى منزل يختاره الوالى ، فغضب خورشيد باشا من هذا الجواب ، وكاد الأمر يستفحل لولا تدخل الشيوخ ، فاتفقوا على أن يكون الاجتماع فى منزل سعيد أغا وكيل دار السعادة وصديق محمد على فوافق خورشيد مرغماً ، وذهب فى الميعاد (٣مايو١٨٠٥) إلى دار سعيد أغا بالأزبكية ، وأمر بتلاوة الفرمان القاضى بتعيين محمد على والياً لجدة ، وكان ذلك بحضور علماء المدينة وكبرائها ، وبعد انتهاء الاجتماع خرج محمد على إلى داره فرحا ، وعاد الوالى إلى القلعة بعد أن كاد الجنود المطالبون برواتبهم المتأخرة يفتكون به ، ولم ينل خورشيد باشا من وراء هذه الدسيسة سوى الفشل ، فإن محمد على قد زادت مرتبته بتقلده الولاية دون أن يبتعد عن الميدان أو يذهب إلى جده .

● عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ، جـ٢ ، القاهرة سنة ١٩٥٨ ، ص٣٣٣ .

(٢) القاووق نوع من العمائم وقاووق كلمة تركية معناها القلنسوة وبائعها هو القاوقجى (سياحتنامه) ص٢٩٤ .

فلبسهما وركب يريد الانصراف فثار عليه العساكر وطالبوه بالجماكى والعلوفة فأحالهما على أحمد باشا وسار إلى داره بالأزبكية وخلفه بعض خواصه وجماعة من أتباعه فكان ينثر قطع الذهب ودراهم الفضة بطول الطريق ووقف العسكر لأحمد باشا ومنعوه من الركوب فلاطفهم حسن باشا ومناهم ولم يتمكن أحمد باشا من الصعود إلى قلعة الجبل إلا بعد منتصف الليل وظلت الحوانيت والأسواق مقفلة والصبيان لا ينكفون عن الصياح فى الشوارع والطرقات والاستغاثة والنداء «بيالطيف» فلما كان يوم الأحد ثانى عشرة ركب المشايخ إلى بيت القاضى واجتمع به جماعة من المتعممين والعامة والصبيان وجعلوا يصرخون ويصيحون «شرع الله بيننا وبين هذا الباشا الظالم» قال بعض كتاب الأخبار مع أنه لم يكن كأسلافه كثير الظلم والجور والعسف ولا سفاكاً للدماء ومع ذلك فقد كثر الصياح وعلا الضجيج فكان منهم من يقول يا لطيف ومنهم من يقول يارب يا متجلى أهلك طائفة العثمانلى ومنهم من يقول حسبنا الله ونعم الوكيل وغير ذلك وطلبوا من القاضى أن يرسم بإحضار أصحاب الحل والعقد من بطانة أحمد باشا لمجلس الشرع فاستحضروا وجلسوا بالمجلس الشرعى[1] ووقع

---

(١) كان الاتفاق أن يجلو الدلاة عن القاهرة فى موعد أقصاه ١١ مايو ١٨٠٥ إلا أنهم لم يرحلوا كلهم وبقى منهم فى القاهرة حوالى ١٥٠٠ جندياً مطالبين برواتبهم ، مما هيج خواطر الشعب ، وتشاور الزعماء وفى صباح يوم ١٢ مايو سنة ١٨٠٥ (١٢صفر ١٢٢٠) اتفق هؤلاء الزعماء على الذهاب إلى المحكمة الكبرى (بيت القاضى) لاختصام الوالى ، وإصدار قراراتهم فى مجلس الشرع ، فأقبلت الجموع إلى المكان وبلغ عددهم حوالى٤٠,٠٠٠ نسمة صائحين ضد الوالى «يا متجلى اهلك العثمللى» .

وطلب زعماء الشعب من القاضى أن يرسل باستدعاء وكلاء الوالى ليحضروا مجلس الشرع ، فحضروا ، وعرض الزعماء ظلامة الشعب فى نقاط هى : الا تفرض من اليوم ضريبة على المدينة إلا إذا أقرها العلماء وكبار الأعيان ، وأن تجلوا الجنود عن القاهرة ، وتنتقل حامية المدينة إلى الجيزة ، ألا يسمح بدخول أى جندى إلى المدينة حاملاً سلاحه ، أن تعاد المواصلات فى الحال بين القاهرة والوجه القبلى .

وقام الوكلاء بإبلاغها إلى خورشيد باشا ، وكان عمر مكرم على رأس زعماء الشعب فأراد الوالى أن يلقى القبض عليه ويعتقله بالقلعة ليشل الحركة القائمة فى القاهرة ، فلما وصلته رسالة القاضى أراد خورشيد أن يستدعيه ويستدعى محمد على والعلماء إلى القلعة للتشاور فى الأمر ، إلا أن عمر مكرم شك فى نواياه وخشى غدره فرفض الذهاب إلى القلعة ، وتشاوروا مع محمد على على النحو الوارد هنا .

● عبد الرحمن الرافعى : المرجع نفسه ، جـ٢ ، ص ص٣٣٤ ، ٣٣٥ .

الجدال فاتفقوا على تحرير ورقة بجميع طلبات الرعية ففعلوا ذلك وذكروا فيها تعدى طوائف العسكر والإيذاء منهم للناس وإخراجهم من مساكنهم والمظالم والفرد وقبض الخراج معجلاً وحق طرق المباشرين ومصادرة الناس بالدعاوى الكاذبة وغير ذلك وأخذوا هذه الورقة معهم ووعدوا القاضى بالجواب فى غد فأرسل الباشا فى تلك الليلة إلى القاضى والمشايخ يستقدمهم إليه بقلعة الجبل فاشتوروا فى أمر ذهابهم فعلم محمد علىّ باشا بذلك وخاف أن يكون بذهابهم إلى الباشا خمود نار الفتنة وتفريق تلك الجموع . قال أصحاب الأخبار وهذا لا يوافق مصلحته . فأرسل إلى القاضى والمشايخ من يعلمهم بأن الباشا يريد الفتك بهم إن صعدوا إلى قلعة الجبل فخافوا ولم يصعدوا إليه فى تلك الليلة فلما كان يوم الإثنين اجتمعوا ببيت القاضى وكذلك اجتمع العدد العديد من الغوغاء والعامة فمنعوهم من الدخول وأقفلوا الأبواب وحضر بعض الأمراء فركبوا جميعاً وساروا إلى محمد على باشا بمقرّه وخلفهم العامة والصبيان فى صياح وضجيج فدخلوا عليه وقد كان على علم بما هم فاعلوه وقالوا له إنا لا نريد أن يكون أحمد باشا والياً علينا وقد اجتمعنا اليوم لخلعه فإن أطاع نجا وإن خالف عاملناه بما كسبت يداه . فقال ومن تريدون . قالوا قد اخترناك بدلاً منه بشروط . قيل فامتنع فألحوا عليه وأكثروا من الإلحاح فرضى فأحضروا فروة سمور وقفطاناً وكان السيد عمر النقيب قد أعدّهما فألبسه إياهما هو والشيخ الشرقاوى وذلك عند عصر يوم الأربعاء سادس صفر[1] سنة عشرين ومائتين وألف هجرية ثم طاف المنادون ينادون بذلك تلك الليلة فى جميع أزقة وحارات وشوارع القاهرة ومصر وأصبحوا وقد سيروا إلى أحمد باشا يخبرونه بذلك ويطلبون منه أن ينزل من قلعة الجبل فلم يهمه الأمر ولم يكترث به وركب المشايخ فى الصباح ومعهم الجم الغفير من العامة وبأيديهم القرابين والعصى والمساوق وساروا إلى بركة الأزبكية

---

(١) ٦ صفر ١٢٢٠هـ = ٦ مايو ١٨٠٥م .
ويذكر الجبرتى جـ٣ ، ص٥٢١ أن الاجتماع فى بيت القاضى كان فى يوم الإثنين ١٣ صفر ١٢٢٠هـ/ ١٣ مايو ١٨٠٥ .

حيث بيت محمد على باشا وضجوا وصاحوا بالويل على أحمد باشا وزادوا فى سبه ولعنه السيد عمر النقيب يحرِّض الناس ويشجعهم على ما هم عليه من الجلبة فتحصن الباشا بقلعة الجبل وشحنها بالذخيرة والمؤنة والأسلحة الكثيرة وانضم إليه عمر بيك الارنؤدى وصالح أغا قوش بعساكرهما وأقاموا معه بقلعة الجبل فأرسل محمد على باشا إلى عمر بيك وصالح أغا جماعة يذكرون لهما ما اجتمع عليه رأى الجمهور من عزل أحمد باشا وخلع طاعته من أعناقهم ويحذرهما من فعل شئ ينجم عنه خروج الرعية وفعل ما لا خير فيه فأرسلا يقولان أرونا سنداً شرعياً نرتكن عليه فى التخلى عنه فاجتمع المشايخ وجميع العلماء فى يوم الخميس سادس عشر صفر ببيت القاضى ونظموا سؤالاً وكتب عليه المفتون بالعزل وأرسلوه إليهما فلم يقبلاه واستمرا على الخلاف فلم يلبثا طويلاً حتى انحل عن الباشا طوائف الانكشارية وزاد هياج الرعية وأكثروا من التطواف ليلاً ونهاراً وهم ينادون بتنزيل أحمد باشا من قلعة الجبل واستفحلت الفتنة وتطاير شررها إلى القرى والأرياف فجاء الجمع الكثير من أهلها ودخلوا إلى القاهرة واختلطوا بالعامة وقيل استقدمهم الشيخ الشرقاوى والسيد عمر النقيب لتعميم الفتنة وتعظيم أمرها ولازموا التطواف مع العامة والصياح والجلبة .

وقدم فى هذه الأثناء محمد بيك الألفى ومن معه من الأمراء والعسكر والعربان وانتشروا جهة الجيزة واستقر الألفى بالمنصورية على مقربة من الأهرام وانتشرت أتباعه جهة الجسر الأسود وأرسل مكاتبة إلى السيد عمر النقيب والشيخ الشرقاوى ومحمد على باشا يطلب أن يقرروا له جهة يتخذها مقراً له هو وأتباعه فكتبوا له أن يختار من البلاد ما يشاء ويتأنى حتى تسكن الفتنة القائمة بمصر وشدّدوا على أحمد باشا الطلب فلم يلتفت إلى قولهم فجعل السيد عمر يحض العامة على الاجتماع والتطواف وركب هو والمشايخ إلى بيت محمد على باشا ومعهم أرباب الأشاير ومشايخ الطرق والعامة والملتزمون وبأيديهم الأسلحة والعصى والمساوق والنبابيت ولازموا التطواف ليلاً فى الشوارع والحارات أحزاباً وطوائف ومعهم المشاعل وهم فى ضجيج هائل ثم رسم محمد على باشا

بمحاصرة قلعة الجبل وفرق عساكره في جهات الرميلة والحطابة والطرق النافذة مثل باب القرافة والحصرية وطريق الصليبة وجلست طائفة منهم بالمحمودية والسلطان حسن وأنشئوا المتاريس فى تلك الجهات ومنعوا من يصعد أو ينزل من قلعة الجبل فأغلق عند ذلك أهل القلعة الأبواب ووقفوا على الأسوار يسب بعضهم بعضا ويترامون بالبنادق وصعد جماعة من عسكر محمد على باشا على منارة جامع السلطان حسن وصاروا يرمون منها إلى القلعة رمياً متتابعاً وما زالوا على هذا الحال إلى ثانى عشرى صفر فركب السيد عمر النقيب والمشايخ ومعهم الجمع الكثير وساروا إلى الأزبكية ودخل المشايخ بيت محمد على باشا ووقف الجمع أمام البيت فلحق بهم العامة والعصب وطوائف الجند والملتزمين وعصب خارج المدينة وأهل الحسينية والعطوف والقرافة والرميلة والحطابة والصليبة ومعهم الطبول والبيارق فوقفوا ساعة ثم رجعوا إلى الجامع الأزهر ثم عادوا إلى الأزبكية وهم فى صياح وضجيج والسيد عمر النقيب والشيخ الشرقاوى يحضانهم على الهياج والصياح ثم خرج المشايخ من بيت محمد على باشا وذهبوا إلى بيت حسن باشا أخى طاهر باشا ثم رجعوا واستمر الحال على هذا الوصف إلى ليلة الجمعة . فلما كان بعد الغروب بقليل نزل جماعة من العسكر الذين بالقلعة من ناحية الرميلة وهجموا على المتاريس فصدّهم أصحابها وتابعوا عليهم الرمى بالقنابل والبنادق وهكذا إلى ما بعد العشاء الأخيرة وخرج الأهالى بما معهم من الأسلحة والعصى فقاتلوا مع أصحاب المتاريس حتى أجلوا أصحاب القلعة عن المتاريس فلما كان يوم الجمعة رابع عشرى صفر المذكور صعد عابدى بيك إلى قلعة الجبل وغاب ساعة ثم فتحت أبوابها ونزل منها عمر بيك وأمروا بالمتاريس فرفعت وتفرق من كان بها من المقاتلين وشاع خبر نزول أحمد باشا ولبثوا ثلاثاً[1] وهو لا ينزل وقد كانت خدعة منهم إذ كانوا قد أشرفوا على الاستئمان لفراغ ما عندهم من الذخيرة ونفاد ما كان معهم من الزاد ففعلوا

(١) لبثوا ثلاثاً : أى ظلوا ثلاث ليالى .

ما فعلوه بوساطة عابدى بيك حتى تمكنوا من نقل المؤن والذخيرة فى بحر هذه الهدنة وأنزلوا عابدى بيك أو هو نزل بنفسه وعادوا إلى الخلاف وامتنعوا من ترك القلعة وأغلقوا الأبواب فزاد بالناس القلق والغم وعادوا إلى التطواف وقيل بل أعادهم السيد عمر النقيب إلى ما كانوا عليه من الهرج والصياح والاستغاثة واستقدم السيد عمر الجمع الكثير من قبائل عربان الشرق والغرب وأخذ محمد على باشا فى حصار القلعة من بعد عشاء ليلة الثلاثاء وكثر الاهتمام فى صبحها بذلك وجمعوا الفعلة وأصعدوا جماعة من الجند والعربان وغيرهم إلى المقطم وأصعدوا بعض المدافع ورتبوا لهم عدة جمال لنقل الاحتياجات والخبز وروايا[1] الماء وظنوا الظفر بأحمد باشا ومن معه وبينما هم على هذا الحال من الاهتمام فى أمر الحصار والتضييق على أصحاب القلعة إذا تحرك العسكر وطالبوا محمد على باشا بالعلوفة والجماكى المتأخرة فطاولهم حتى ينزل أحمد باشا من القلعة فأبوا إلا أخذ مالهم فمناهم فتركوا المتاريس التى كانوا بها حوالى القلعة وتفرقوا فذهب جماعة من العامة وأهل العطوف فتترسوا فى مواضعهم ورسم السيد عمر النقيب فانحاز أهالى كل خطة إلى خطتهم وعملوا المتاريس على رؤس الحارات والشوارع ولازموا التطواف نهاراً والقيام باخطاطهم ليلاً فتقوى أصحاب قلعة الجبل وتراسلوا الرمى بالقنابل على المتاريس ففعلت بالمدينة والخطة القريبة منها فعلاً ردياً جدّا ونزح أهلها إلى الأطراف فراراً . وكما كان جوف مصر والقاهرة يلتهب بنار الفتنة ويزداد فى كل يوم ضراماً كانت البلاد فى ضيق ما عليه من مزيد بسبب فعال الألفى الكبير ومن معه من لموم العربان فقد أفحشوا فى القتل والنهب والتخريب بما لم يسمع له مثيل ولا وقع له نظير فنزح الناس عن البلاد وهرعوا إلى مصر والقاهرة وهم فى أسوأ حال فامتلأت بهم الأزقة فكانوا لا يجدون ما يأكلون ولا ما يشربون ومات منهم العدد العديد جوعاً وعرياً تحت أقدام الثائرين من العسكر والأهالى وكان المنظر فظيعاً والخطب عميماً وخاف

---

(١) روايا الماء : اوانى الماء (القِرَبْ) .

محمد على باشا من سوء العاقبة فأرسل إلى كبار عسكر الدلاة المعسكرين بقليوب يستقدمهم فحضروا إليه فكلمهم فى أمر الانضمام إليه فوافقوه فخلع عليهم الخلع السنية وأنفق عليهم وسيّرهم لقتال الألفى فارتحلوا إلى قليوب خلف الألفى فصاروا كلما نزلوا ببلدة طلبوا من أهلها الكلف والمغارم وساموهم الخسف وعملوا معهم ما لم تعمله لموم الألفى فكانوا أشدّ هولاً وأقوى نكالاً وتقاعسوا فلم يلحقوا بالألفى .

واشتدّ الخطب على من بمصر والقاهرة وطالت أيام الفتنة وتمنع الباشا وأصحابه بقلعة الجبل وأبوا التسليم وأهل البلد فى هياج وصياح وجلبة وكان بجهة الفسطاط عن مقدمى عسكر الارنؤد مقدّم اسمه على باشا السلحدار قد خرج بعسكره من محالفة محمد على باشا بأسباب الجماكى والعلوفة فعمل على باشا المذكور على الوصول بأحمد باشا الوالى بقلعة الجبل وما زال حتى تمكن من نقب سور القلعة من ناحية عرب اليسار وسعت بينه بين أحمد باشا الرسل وصار يمدّ أحمد باشا وأصحابه بالذخيرة والمؤنة من الميرة والأغنام وقرب الماء وكل ما يحتاجون إليه ولبث على هذا الحال أياماً ثم دبر هو وأحمد باشا على الهجوم على المتاريس ليلاً من ناحية الصليبة وأن أصحاب القلعة يوالون فى وقت الهجوم إطلاق القنابل على المتاريس من ناحية الأزبكية وجامع الأزهر وجوف المدينة وقد تم الأمر بينهما على ذلك فأصبحوا وقد أرسلوا إلى السيد عمر النقيب يخادعونه ويطلبون السعى فى إطفاء نار الفتنة وعمل ما فيه من المصلحة للأهالى والجند قيل وأرادوا بذلك تثبيط همم أصحاب المتاريس وإشغالهم بأمر الصلح عن الدفاع فسبق من أعلمهم بسرهم وما عقدوا النية عليه فأرسل السيد عمر إلى أصحاب المتاريس من الأهالى والجند وكذلك أصحاب الأربطة وحثهم واستنهض هممهم وحذرهم فاستعدّوا وراقبوا فرأوا الجمال التى تحمل الذخيرة الواصلة من على باشا إلى القلعة ومعها بعض الخدم والأتباع

ونفر من الجند فخرج عليهم حجاج[1] الخضرى زعيم عصابة الرميلة بمن معه من سكان الرميلة فقاتلوهم وظفروا بهم وأخذوا منهم تلك الجمال وقتلوا اثنين وقبضوا على ثلاثة وحضروا بهم إلى بيت السيد عمر النقيب فبعث بهم إلى محمد على باشا فأمر بهم فقطعوا رقابهم فلما علم من بقلعة الجبل ما حل بأصحابهم رموا فى الحال بالقنابل على المدينة وبيت محمد على باشا وبيت حسن باشا وناحية الأزهر ووالوا الرمى ولم يزالوا على هذا الحال من أول النهار إلى ما بعد الظهر ثم عادوا ورموا من العشاء إلى سادس ساعة من الليل فلم يجبهم أحد من أصحاب المتاريس ولا المرابطين بالمقطم وأصبحوا يوم الأحد وهم يتابعون الرمى طول النهار وكذلك ليلة الإثنين ويوم الإثنين إلى يوم الخميس بطل الرمى ثم عادوا إليه فى يوم السبت وقد تهدم العدد العديد من الدور والرباع بخط الأزهر وعلى مقربة من الأزبكية فنزح أهل خطة الأزهر إلى بولاق القاهرة والحسينية فراراً من النيران المتراسلة على دورهم . واتفق أن حضر من الأسكندرية فى هذه الأثناء طائفة من عسكر الإنجليز ونزلوا ضيوفاً عند قنصل دولتهم فكانوا يجتمعون كثيراً بمحمد على باشا ولبثوا على هذا الحال أياماً ثم طافوا يوما مع عسكر محمد على باشا بالمدينة والفسطاط وحول الأسوار وقلعة الجبل وكان بناحية قلعة الفرنسيس التى بقنطرة الليمون مدفع كبير فرسم محمد على

(١) حجاج الخضرى هو شيخ طائفة الخضرية فى ذلك العصر ، وإليه تنسب البوابة المعروفة ببوابة حجاج ، وتسمى أيضاً بوابة الخلاء قبلى مسجد السيدة عائشة بشارع باب القرافة ، وقد ذكره الجبرتى غير مرة فقال عنه «أنه الشهير بنواحى الرميلة ، وكان مشهوراً بالإقدام والشجاعة طويل القامة عظيم الهمة ، وكان شيخاً على طائفة الخضرية ، صاحب صولة وكلمة ومكارم أخلاق ، وهو الذى بنى البوابة بآخر الرميلة عند عرصة الغلة أيام الثورة وشنق مظلوماً» .

وقال عنه أنه خرج من القاهرة عقب رحيل خورشيد باشا خوفاً على نفسه من اعتداء العسكر الارناؤود وذهب إلى بلدة المناوات ثم عاد وأرسل إلى السيد عمر مكرم «فكتب له أمانا من الباشا محمد على فحضر بذلك الأمان وقابل الباشا وخلع عليه ونادوا له بأن يظل على ما هو عليه فى حرفته وصناعته ووجاهته بين أقرانه فصار يمشى فى المدينة وصحبته عسكرى ملازم له» ، ولكنه عاد واختفى عندما أحس بالغدر من حوله بعد أن استولى على الجمال وحمولتها . . . . (على النحو الوارد هنا) .

● عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية ، جـ٢ ، مرجع سابق ، ص ص٣٤٥ ، ٣٤٦ .

باشا بنقله فنقلوه إلى باب الوزير حيث مجرى السيل وقيدوا به جماعة من أولئك الإنجليز فرموا به على برج القلعة وكذلك رمى المرابطون بالجبل وتتابع الرمى وتراسلت القنابل فخربت وأحرقت وأبادت وأهلكت وفعلت بالناس والمبانى مالا يمكن وصفه واشتدّ الكرب بالناس وعم الويل والبلاء الرفيع والوضيع فنزح الناس إلى القرى والكفور وأكثر المشايخ والعلماء والوجهاء من الاجتماع بمحمد على باشا والعامة وقوف بأبواب المشايخ يضجون من قفل الأسواق وامتناع باعة الخبز من فتح دكاكينهم والمشايخ يلاطفونهم والسيد عمر النقيب لا ينكف عن تحريضهم خوفاً من سكون الفتنة وإخماد نارها قبل بلوغ محمد على باشا ما يتمناه من الولاية على الديار المصرية وكان لما اجتمع المشايخ والعلماء والوجهاء ونادوا بولاية محمد على باشا وألبسوه القاووق والقفطان كتبوا بذلك محضراً وأرسلوه إلى الباب العالى وتقدموا إلى السلطان فى تولية محمد على باشا على ولاية مصر وألحوا فى الطلب وبالغوا فى الشكوى من فساد الأمور وما تقاسيه الرعية بأسباب مظالم الولاة وتصرفهم بالعسف والفجور وقبحوا مسالك أحمد باشا الوالى وطلبوا خلعه .

فلما كان يوم الإثنين رابع ربيع الآخر سنة[1] عشرين ومائتين وألف هجرية قدم رسول من دار السلطنة بفرمان الولاية إلى محمد على باشا وشاع خبر وصوله إلى بولاق فهرع المشايخ والعلماء وأصحاب الوظائف للقائه وتسابق العامة وكثرت الغوغاء فى الشوارع والطرقات وبأيديهم السيوف والمساوق والعصى وهم فى ضجيج هائل وصياح متتابع فركب رسول السلطان وركب خلفه المشايخ وأرباب الوظائف وساروا فسار العامة أمامهم وهم يضربون الطبول والزمور ويضجون بكلمانهم التى تعوّدوا على الضجيج بها ومازالوا حتى أتوا الأزبكية فنزل رسول السلطان ببيت محمد على باشا وأقام برهة لطيفة ثم أمر فانتظم المجلس وحضر المشايخ والعلماء كافة والوجهاء وأرباب المناصب العالية والوجاقلية وكثر الجمع

(١) ربيع آخر ١٢٢٠هـ = ٣ يوليو ١٨٠٥م .

فقرئ الفرمان فكان يتضمن الأمر بخلع أحمد باشا من منصب الولاية وتوجيهه إلى محمد على باشا اعتباراً من اليوم العشرين من ربيع الأول سنة عشرين[1] ومائتين وألف هجرية إجابة لطلب المشايخ والعلماء والأعيان وأن أحمد باشا الوالى ينجلى عاجلاً عن القاهرة إلى مدينة الأسكندرية ويبقى بها حتى يأتيه أمر السلطان فما أتم القارئ كلامه حتى ضج الناس بالدعاء للسلطان وعلت أصواتهم واشتدّت بينهم الجلبة ولبثوا على هذا الحال ساعة ثم انصرفوا وباتوا وأصبحوا ورمى القنابل من قلعة الجبل متتابع وكذلك من الأبراج والمعاقل والمتاريس ثم بطل الرمى بعد ظهر اليوم وبقى المحاصرون لا ينفكون عن حصارها ومنع الواصل إليها وأرسلوا إلى أحمد باشا صورة ماورد من السلطان من أمر خلعه وتولية محمد على باشا وطلبوا منه أن ينزل من قلعة الجبل ويرحل إلى الأسكندرية فامتنع وطلب الاجتماع برسول السلطان فلم يرض الرسول وأبى الاجتماع به فاجتمع المشايخ والعلماء والوجهاء وذهبوا إلى محمد على باشا وقالوا له ما بالك لا تدع عن الرعية حمل السلاح وقد توليت الأمر فاعمل بتدبيرك على إخراج أحمد باشا من القلعة واقبض على زمام الأمور فنحن من اليوم رعيتك وقد تركنا لك الحل والعقد فتصرّف . وأصبحوا وقد فتحوا أبواب الأزهر بعد غلقها أياماً وطاف الوالى ومعه جماعة من المتعممين ينادون بالأمان وإلقاء السلاح وعودة العامة إلى أشغالهم وملازمة أصحاب الحوانيت حوانيتهم فخاف الناس من ذلك وتطيروا وظنوا فتك العسكر بهم إن هم ألقوا عنهم السلاح فامتنعوا وتترسوا فى الأزقة والحارات ورجموا بعض أصحاب الوالى بالأحجار وصاحوا فى وجوههم فشدد الوالى فى المناداة ورجوع الناس إلى أشغالهم نهاراً ومراقبة الحوادث ليلاً وجاءت الأخبار فى هذه الأثناء بقدوم الأمراء المطرودين من الأقاليم القبلية إلى جهة طرا والبساتين وأنهم على أهبة القتال فركب محمد على باشا فى نفر من الجند ومعه حسن باشا وأخوه عابدى بيك وساروا إلى

---

(١) ٢٠ ربيع أول ١٢٢٠هـ = ١٨ يونيه ١٨٠٥ .

جهة البساتين والتقوا بالأمراء المصريين وقاتلوهم فتقهقر الأمراء وترفعوا ثانياً إلى الصعيد فوقف محمد على باشا بمن معه من الجند أمامهم أياماً ثم عاد إلى القاهرة كل هذا وأحمد باشا المعزول متترس بقلعة الجبل لا ينزل منها ولا يعترف بولاية محمد على باشا وكلما سألوه فى أن ينزل زاد فى التحذر وتقوّى فى التترس فلما كان اليوم خامس عشرى ربيع الثانى من السنة أى سنة عشرين[1] حضر رسول من دار السلطنة ومعه مرسوم إلى أحمد باشا بترك قلعة الجبل واالجلاء إلى مدينة الأسكندرية حتى يرد عليه أمر السلطان فأرسلوا إلى أحمد باشا ذلك المرسوم فأبى النزول وقال حتى يأتى إلىّ رسول أميرالمؤمنين ويشافهنى فى الأمر فصعد إليه الرسول ومازال الحل هكذا أياماً والناس فى خوف من انتشاب الحرب إلى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الأولى نزل أحمد باشا من باب الجبل إلى بيت مصطفى أغا الوكيل ونزل من ان معه من الجند ثم خرج إلى جهة باب النصر ومر من خارجه إلى جهة الخروبى وذهب إلى بولاق وأقام بمنزل السيد عمر النقيب وتسلم أصحاب محمد على باشا قلعة الجبل وأقام أحمد باشا ببولاق أياماً ثم رحل عنها إلى الأسكندرية بأتباعه ومتاعه وعياله فكانت مدة تصرفه سنة ونحوا من ثلاثة أشهر .

(١) ظلت الحرب بين الشعب والوالى سجالاً إلى أن جاء إلى القاهرة من الآستانة فى ١١ ربيع الثانى ١٢٢٠هـ/٩يولية ١٨٠٥م ـ وليس كما ورد هنا ١٥ ربيع ثان رسول يحمل فرماناً يتضمن تثبيت محمد على والى جدة سابقاً والياً على مصر «حيث رضى بذلك العلماء والرعية» .

● عبد الرحمن الرافعى ، المرجع نفسه ، جـ٢ ، ص٣٤٨ .

إلى هنا تم الجزء الثالث من تاريخنا الكافى ويليه إن شاء الله تعالى

الجزء الرابع وأوّله ترجمة حال محمد على باشا ثم أخبار ولايته

وأخبار من تولاها بعده من ذريته إلى وفاة

ساكن الجنان المرحوم

محمد توفيق باشا

الأول

م

## (استلفات)

قد وقع خطأ فى نقل ترجمة حال ومدّة ولاية بعض بطاركة المتأصلين فى هذا الجزء من أيام يوحنا سادس تسعيهم إلى أيام مرقس السادس بعد المائة لتكرار أسمائهم وتشابهها وخطأ ترتيب الأوراق التى نقلنا عنها فرأينا أن ننبه إلى ذلك ونعيد هنا ترتيب أسماء وأيام هذا العددمنهم على الوجه الأصح اعتباراً من سلطنة السلطان سليمان الثانى تاركين ما جاء منها على ترتيبه الأول أى من سلطنة السلطان سليمان المشار إليه إلى سلطنة السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى بدون مساس فإنه لم يؤثر بشيء على ترتيب أيام وحوادث وأخبار الملوك والولاة والحكام الذين تجمعهم صحائف هذا الجزء ولا على ترتيب حوادث وأيام ما سبقه من الأجزاء ولله المنة والحمد . وعلى كل حال فهو خطأ أرجو أولى الفضل والأدب أن يسبلوا عليه ذيل المغفرة ويتنازلوا بقبول ما أبديه من المعذرة فقد كانت عودتى إلى خدمة وطنى العزيز وتوالى أسفارى وعدم استقرارى خصوصاً فى الوقت الذى تناولت فيه أيدى الطباعين ملازم هذا الجزء حائلاً دون استعادة تلاوة بعض ملازمه التى قد اعتورها هذا السهو فكانت عثرة فى أسلوب ترتيب أسماء هؤلاء الناس الذى وفقناه على قاعدة ما مر بيانه إلى أيام يوحنا هذا سادس تسعيهم والعصمة لله وحده .

| | |
|---|---|
| (١)<br>سلطنة السلطان<br>سليمان خان<br>الثانى | ومات فى أيام السلطان سليمان خان الثانى غبريال بطرك المتأصلين بعد أن أقام ثلاثاً وأربعين سنة وقد عمر فى أيامه دير أنبا انطانيوس ودير انبا بولا بالجبل الشرقى من النيل بإقليم بنى سويف والبهنسا واشتد عليه الولاة والعمال فانكمش حيناً وكان راهباً من دير السريان واسمه روفائيل فأقيم بعده يوحنا وهو سادس تسعيهم(٢) ووقع فى أيامه من الحوادث ما سيذكر فى محله . |
| (٣)<br>سلطنة السلطان<br>مصطفى الثانى<br>ابن محمد الرابع | ومات فى أيام السلطان مصطفى الثانى ابن محمد الرابع يوحنا بطرك المتأصلين بعد أن أقام خمس عشرة سنة وكانت أيامه كلها شدائد ألزمه العمال وأصحاب جباية الأموال بجمع الجزية من الأقباط فجمعها كارهاً حزيناً واشتدوا عليه بسببها فكانت محنة كبرى قاسى الناس فى أثنائها من الجور والعسف أشكالاً وبموته قام بعده غبريال وهو سابع تسعيهم واسمه شنوده من بلدة بسين وكان راهباً بدير أنبا بشوى ووقع من الحوادث فى أيامه ما سيذكر فى محله . |

(١) تولى سليمان خان الثانى وهو ابن السلطان إبراهيم الأول من ١٦٨٧ إلى ١٦٩١م بينما البطريرك غبريال المشار إليه هنا وهو رقم ٩٥ فى سلسلة البطاركة الأقباط والذى ظل فى الكرسى البطريركى مدة ٤٣ سنة بدأت سنة ١٥٢٦م ومات سنة ١٥٧٠م فيكون بذلك فى عهد السلطانين سليمان القانونى ابن سليم الذى تولى من ١٥٢٠ إلى ١٥٦٦ ثم سليم الثانى ١٥٦٦-١٥٧٤ وليس فى أيام سليمان خان الثانى ، ويوحناالذى أقيم بعده وهو سادس وتسعين رأس الكرسى البطريركى من ١٥٧٤م إلى ١٥٨٩م حيث أن الفترة بين الإثنين لم يكن فيها بطريرك .

ويكون البطريرك المتأصل الذى تولى البطريركية فى عهد سليمان الثانى هو يوحنا ١٦ (١٠٣) الذى تولى ما بين ١٦٧٦-١٧١٨م أى حوالى ٤٢ سنة .

- لجنة التاريخ القبطى : تاريخ الأمة القبطية ، مرجع سابق ، ص ص٩٤ ، ٩٥ ، منسى يوحنا : مرجع سابق ، ص ص٥٢٨ ، ٥٢٩ .
- محمد فريد : المرجع السابق ، ص٧٧٨ ، جدول السلاطين العثمانيين .

(٢) هكذا فى النص .

(٣) تولى السلطان مصطفى الثانى ابن محمد الرابع من سنة ١٦٩٥ إلى ١٧٠٣م وكان البطريرك فى ذلك الحين هو يوحنا ١٦ البطريرك رقم ١٠٣ فى سلسلة البطاركة وهو من دير القديس انطونيوس وتولى الرئاسة من عام ١٦٧٦ إلى ١٧١٨ (٤٢ سنة وثلاثة أشهر) =

| | |
|---|---|
| (١)<br>سلطنة السلطان أحمد بن السلطان محمد | ومات فى سلطنة السلطان أحمد بن السلطان محمد غبريال بطرك المتأصلين بعد أن قام إحدى عشرة سنة وكانت أيامه كلها هدؤاً وسكينة ولم يقع فيها من الحوادث شئ يذكر فأقيم بعده مرقس ثامن تسعيهم وأصله من بلدة البياضية وكان عالماً ورعاً تقياً محباً للخير صبوراً على المكاره اشتد العمال فى أيامه على القبط شدّة عظيمة فكان يكثر من التطواف بين الناس ويحضهم على الصبر والسكون حتى يقضى اللّه أمراً كان مفعولا ومات بعد أن قام إحدى عشرة سنة فأقيم بعده يوحنا تاسع تسعيهم وأصله من بلدة ملوى بصعيد مصر وكان من الحوادث فى أيامه ما سيذكر فى محله . |
| (٢)<br>سلطنة السلطان محمود خان الأول | ومات فى سلطنة السلطان محمود خان الأول يوحنا بطرك المتأصلين بعد أن أقام عشر سنوات لم يقع فيها من الحوادث شئ يذكر فأقيم بعده متاوس المتمم للمائة وأصله |

=وجاء بعده بالطبع البطريرك ١٠٤ وليس ٩٧ كما هو وارد هنا وهو بطرس السادس من ١٧١٨م-١٧٢٦م أيام السلطان أحمد الثالث بن محمد الرابع (١٧٠٣-١٧٣٠) أما البطريرك غبريال ٩٧ فقد تولى الكرسى من سنة ١٥٩٠ إلى سنة ١٦٠١ أيام مراد الثالث ابن سليم الثانى (١٥٧٤-١٥٩٥) ومحمد الثالث ابن مراد (١٥٩٥-١٦٠٣) وليسا فى أيام مصطفى الثانى .

● المراجع نفسها .

(١) تولى السلطان أحمد الثالث بن محمد الرابع من ١٧٠٣ إلى ١٧٣٠ وكان أيامه البطريرك يوحنا ١٦ وهو رقم ١٠٣ فى عدد البطاركة وهذا هو الصحيح بينما البطريرك غبريال ٩٧ ثم مرقس ٩٨ فكانا فى عهد مراد الثالث بن سليم الثانى (١٥٧٤-١٥٩٥) حيث اعتلا غبريال الكرسى من سنة ١٥٩٠ إلى ١٦٠١ أى توفى فى عهد محمد الثالث بن مراد . ثم بطرس ١٠٤ من ١٧١٨-١٧٢٦ ثم يوحنا ١٠٥ من ١٧٢٧-١٧٤٥ .

أما مرقس ٩٨ فى جدول البطاركة فقد تولى الكرسى من ١٦٠٢ إلى ١٦١٣ أى فى عهد محمد الثالث (١٥٩٥-١٦٠٣) وأحمد الأول بن محمد الثالث (١٦٠٣-١٦١٧) .

● المراجع نفسها .

(٢) أيام السلطان محمود خان الأول (١٧٣٠-١٧٥٤) توفى يوحنا بطريرك المتأصلين المعروف باسم يوحنا ١٧ وهو رقم ١٠٥ وليس ٩٩ كما ذكر المؤلف وقد تولى الكرسى البطريركى من سنة ١٧٢٧ إلى سنة ١٧٤٥ أى أكثر من ١٨ سنة وليس عشر سنوات كما ذكر المؤلف .=

| | |
|---|---|
| | من بلدة طوخ فلبث خمس سنوات أو ستاً لم يقع فيها شىء يذكر ومات فأقيم بعده مرقس الحادى بعد المائة وأصله من بلدة مهجورة بالأقاليم الوسطى من صعيد مصر ووقع فى أيامه من الحوادث ما سيذكر فى محله . |
| (١) سلطنة السلطان عثمان الثالث ابن السلطان أحمد خان | ومات فى سلطنة السلطان عثمان الثالث ابن السلطان أحمد خان مرقس بطرك المتأصلين بعد أن أقام عشر سنوات وكان حازماً شديد البأس صبوراً على المكاره قوىّ الحجة لم يقع فى أيامه شىء يذكر فأقيم بعده متاوس وهو الثانى بعد المائة وأصله من بلدة مير واسمه جرجس وكان راهباً بدير البراموس وكان من الحوادث فى أيامه ما سيذكر فى محله . |
| (٢) سلطنة السلطان مصطفى الثالث ابن السلطان أحمد | ومات فى سلطنة السلطان مصطفى الثالث ابن السلطان أحمد متاوس بطرك المتأصلين بعد أن أقام أربع عشرة سنة وفى أيامه نقل دار البطريركية من حارة زويلة إلى حارة الروم بالقاهرة وسكن بها وكان تقياً ورعاً عالماً فأقيم بعده يوحنا الثالث بعد المائة واسمه إبراهيم من رهبان دير انطونيوس وكان من الحوادث فى أيامه ما سيذكر فى محله . |

=وقد تولى الكرسى بعده مرقس السابع رقم ١٠٦ وليس متاؤس رقم ١٠٠ وكان ذلك فى عهد السلطان محمود وكانت بطريركيته من سنة ١٧٤٥-١٧٦٩ أى عاش أيضاً فى عهد السلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧-١٧٧٤) .

● المراجع نفسها .

(١) السلطان عثمان الثالث (١٧٥٤-١٧٥٧) فى عهده مرقس السابع البطريرك ١٠٦ (١٧٤٥-١٧٦٩) بينما مرقص السادس(١٠١) تولى ما بين ١٦٤٦-١٦٥٦ .
أما متاؤس المذكور هنا إنما هو متاؤس الرابع رقم ١٠٢ فى ترتيب البطاركة فقد اعتلى الكرسى من ١٦٦١ إلى ١٦٧٥م أى فى عهد السلطان محمد الرابع (١٦٤٨-١٦٨٧) .

(٢) السلطان مصطفى الثالث تولى فى عام ١٧٥٧م إلى عام ١٧٧٤م وبهذا كان فى أيامه كل من البطريرك مرقس السابع (١٠٦) الذى تولى البطريركية من عام ١٧٤٥م إلى عام ١٧٦٩ ثم تلاه البطريرك يوحنا ١٨(١٠٧) الذى تولى البطريركية من عام ١٧٧٠ إلى عام ١٧٩٦ أى أن هذا البطريرك ظل حتى عهد عبد الحميد الأول (١٧٧٤-١٧٨٩) والسلطان سليم الثالث ابن مصطفى الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧) .=

| | |
|---|---|
| (١)<br>سلطنة السلطان عبد الحميد ابن السلطان أحمد | ومات فى سلطنة السلطان عبد الحميد ابن السلطان أحمد يوحنا بطرك المتأصلين بعد أن أقام اثنتين وأربعين سنة وكان عالماً فاضلاً تقياً ورعاً أعاد فى أيامه عمارة دير انبا بولا ورمم مبانى بعض الديارات الأخرى وكانت أكثر أيامه شدائد وخطوباً متراكمة بعضها فوق بعض كادت بسببها تتعطل شعائر الدين لولا لطف اللّه فأقيم بعد موته بطرس الرابع بعد المائة واسمه مرجان من رهبان دير انبا بولا فأقام سبع سنين ومات ولم يقع فى أيامه من الحوادث شىء يذكر فأقيم بعده يوحنا الخامس بعد المائة واسمه عبد السيد من رهبان دير انبا بولا ووقع فى أيامه من الحوادث ما سيذكر فى محله . |

= أما متاؤس الرابع المشار إليه هنا فهو رقم ١٠٢ فى عدد البطاركة وقد أقام فعلاً ١٤ سنةوكان فى عهد السلطان محمد الرابع (١٦٤٨-١٦٨٧) حيث تولى البطريركية ما بين عامى ١٦٦١ ، ١٦٧٥ كما أن مقر البطريركية المشار إلى نقله من حارة زويلة إلى حارة الروم فقد تم فى عهد خلفه يوحنا ١٦ (١٠٣) فكان هو آخر بطريرك تواجد فى حارة زويلة .

أما البطريرك يوحنا ١٦ الذى تلاه ففعلاً كان اسمه إبراهيم بن المغربى وكان من طوخ دلكه منوفيه وترهب فى دير الأنبا أنطونيوس وتولى البطريركية سنة ١٦٧٦-١٧١٨ أى قضى حوالى ٤٢ سنة بطريركاً .

(١) بالنسبة للسلطان عبد الحميد بن السلطان أحمد فقد تولى السلطنة ما بين عامى ١٧٧٤ ، ١٧٨٩ وكان البطريرك المتأصل فى فترة سلطنته هو يوحنا ١٨ (١٠٧) الذى تولى البطريركية ما بين عامى ١٧٧٠ ، ١٧٩٦م وليس يوحنا الذى قضى ٤٢ سنة والذى اتضح أنه يوحنا ١٦ (١٠٣) السابق الإشارة إليه أيام السلطان مصطفى الثالث ابن السلطان أحمد .

وقد جاء بعد البطريرك يوحنا ١٨ (١٠٧) البطريرك مرقس الثامن (١٠٨) الذى تولى من ١٧٩٧-١٨١٠ أى وصل إلى عهد السلطان محمود الثانى بن عبد الحميد الأول الذى تولى السلطنة ما بين ١٨٠٨-١٨٣٩م) .

أما بطرس الرابع بعد المائة المشار إليه هنا فهو بطرس السادس واسمه فعلاً مرجان ومن رهبان دير الأنبا بولا فعلاً وهذا كان فى سلطنة أحمد الثالث بن محمد الرابع (١٧٠٣-١٧٣٠) حيث ظل هذا البطريرك ما بين عامى ١٧١٨ ، ١٧٢٦ .

وفعلاً تولى بعده يوحنا ١٧ (١٠٥) من ١٧٢٧ إلى عام ١٧٤٥م .

| | |
|---|---|
| (١)<br>سلطنة السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى | ومات فى سلطنة السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى يوحنا بطرك المتأصلين بعد أن أقام ثمان عشرة سنة واشتد فى أيامه على بك بلاط على المسيحيين شدّة بالغة وضيق عليهم جداً وصادر الكثير منهم ثم ضرب عليهم غرامة قدرها مائة ألف ريال فانبثت أعوانه لجمعها وقد عاثوا وأفسدوا وفعلوا مالا خير فيه وبيعت بسبب هذه الغرامة الجواهر والأحجار الكريمة بأبخس الأثمان وبموته أقيم بعده مرقس السادس بعد المائة واسمه سمعان من دير انبا بولا وأصله من بلدة قلوصنه وكان من الحوادث فى أيامه ما سيذكر فى محله . |

إلى هنا قد تم تصويب ما قد وجد ساقطاً سهواً
من أسماء وأخبار أيام أولئك البطاركة فى هذا
الجزء والله سبحانه الهادى
إلى الصواب

---

(١) السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى فقد تولى ما بين عامى ١٧٨٩ ، ١٨٠٧ .
وقد تولى البطريركية فى عهده يوحنا ١٨ (١٠٧) ومرقس الثامن (١٠٨) وليس الترتيب كما ورد هنا وهو ١٠٥ ، ١٠٦ لأن ١٠٥ هو يوحنا ١٧ ، ١٠٦ هو مرقس السابع السابق الإشارة إليهما .
● اعتمدنا هنا - فى هذه التصحيحات - على مرجعين هما عمدة تاريخ البطاركة الأقباط .
أ - منسى يوحنا (القس) كتاب تاريخ الكنيسة القبطية ١٩٧٩ .
ب - لجنة التاريخ القبطى ، تاريخ الأمة القبطية - الحلقة الرابعة - كتاب تاريخ وجداول بطاركة الأسكندرية القبط ، ١٩٤٣ .

# بيــــان
# ببداية ونهاية ولاية السلاطين
# العثمانيين أثناء فترة الكتاب
# بالسنوات الميلادية

١- عثمان بن ارطغرل ١٢٩٩- ١٣٢٦

٢- اورخان بن عثمان ١٣٢٦-١٣٦٠

٣- مراد خداوندكار ابن اورخان ١٣٦٠-١٣٨٩

٤- بايزيد الأول ييلدرم ابن مراد ١٣٨٩-١٤٠٣ قتل أخاه الأصغر يوم توليه العرش لكى لا يفسد عليه أمره .

وهنا حدثت فترة ملوك طوائف ثم جاء :

٥- محمد الأول جلبى ابن بايزيد ١٤٠٣-١٤٢١ قتل إخوته الأربعة حرباً .

٦- مراد الثانى ابن محمد ١٤٢١- ١٤٥١ قتل عمه مصطفى وأخاه مصطفى .

٧- محمد الثانى الفاتح ابن مراد ١٤٥١-١٤٨١ قتل أخاه الرضيع .

٨- بايزيد الثانى ابن محمد الثانى ١٤٨١-١٥١٢ تنازل عن الملك لابنه سليم .

٩- ياوز سليم بن بايزيد ١٥١٢-١٥٢٠ قتل خمسة من أولاد إخواته كما قتل أخاه كركود ، وأخوه أحمد قتل وهو يحاربه .

١٠- سليمان القانونى الأول ابن سليم ١٥٢٠-١٥٦٦ قتل بعض أولاده وبعض أحفاده بدسيسة زوجته .

١١- سليم الثانى ابن سليمان ١٥٦٦-١٥٧٤

١٢- مراد الثالث ابن سليم الثانى ١٥٧٤-١٥٩٥ قتل إخوته الخمسة .

١٣- محمد الثالث ابن مراد ١٥٩٥-١٦٠٣ كان له ١٩ أخاً خنقهم قبل دفن أبيه ودفنهم معه تجاه آيا صوفيا .

١٤- أحمد الأول ابن محمد الثالث ١٦٠٣-١٦١٧ حجر على أخيه ولم يقتله .

١٥- مصطفى الأول أخو أحمد الأول ١٦١٧-١٦١٨ .

١٦- عثمان الثانى ابن أحمد الأول ١٦١٨-١٦٢٢ قتل أخاه محمداً ، خلع ثم قتل

مصطفى الأول (ثانية) ١٦٢٢-١٦٢٣ وخلع ثانية .

١٧- مراد الرابع ابن السلطان أحمد الأول ١٦٢٣-١٦٤٠

١٨- إبراهيم الأول ابن السلطان أحمد الأول ١٦٤٠-١٦٤٨ خلع ثم خنق

١٩- محمد الرابع ابن إبراهيم الأول ١٦٤٨-١٦٨٧ وخلع .

٢٠- سليمان الثانى ابن إبراهيم الأول ١٦٨٧-١٦٩١

٢١- أحمد الثانى ابن إبراهيم الأول ١٦٩١-١٦٩٥

٢٢- مصطفى الثانى ابن محمد الرابع ١٦٩٥-١٧٠٣

٢٣- أحمد الثالث ابن محمد الرابع ١٧٠٣-١٧٣٠

٢٤- محمود الأول ابن مصطفى الثانى ١٧٣٠-١٧٥٤

٢٥- عثمان الثالث (لم يذكر اسم أبيه) ١٧٥٤-١٧٥٧

٢٦- مصطفى الثالث ابن أحمد الثالث ١٧٥٧-١٧٧٤

٢٧- عبد الحميد الأول ابن أحمد الثالث ١٧٧٤-١٧٨٩

٢٨- سليم الثالث ابن مصطفى الثالث ١٧٨٩-١٨٠٧ وخلع

٢٩- مصطفى الرابع ابن عبد الحميد الأول ١٨٠٧-١٨٠٨ خلع وقتل .

عن كتاب : تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد .

ص- ص ٧٧٧ - ٧٧٨

«المحقق»

# مراجع التحقيق

# مصادر التحقيق

## أ ـ مصادر أصلية :

- ابن الأثير

الكامل فى التاريخ

القاهرة ط . ١٣٠٣هـ

- ابن زنبل : الشيخ أحمد الرمال

واقعة السلطان الغورى مع سليم العثمانى

تحقيق عبد المنعم عامر (دكتور)

القاهرة ١٩٩٧

- ابن خلكان

وفيات الأعيان

القاهرة ط ١٩٧٨

- أحمد بن محمد الحموى (العلامة الفقهيه)

فضائل سلاطين بنى عثمان

تحقيق محسن محمد حسن سليم (دكتور)

دار الكتاب الجامعى القاهرة ١٩٩٣

- أحمد الدمرداش (الأمير)

الدرة المصانة فى أخبار الكنانة

أ- تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور)

دار الكتاب الجامعى القاهرة ١٩٨٩ .

ب- تحقيق دانيال كريسيليوس وعبد الوهاب بكر (دكتور) دار الزهراء للنشر القاهرة ١٩٩٢ .

- أحمد شلبى عبد الغنى

أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات

تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور)

دار الكتاب الجامعى القاهرة ١٩٧٨

- أوليا چلبى : سياحتنامة مصر

ترجمة محمد على عونى ، تحقيق د . عبد الوهاب عزام ، د . أحمد السعيد سليمان تقديم د . أحمد فؤاد متولى ، القاهرة . دار الكتب ٢٠٠٣ .

- الجبرتى ، عبد الرحمن بن حسن .

١- عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ٤ أجزاء ، دار الكتب المصرية .

تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن (دكتور) القاهرة ١٩٩٨ .

٢- مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس .

تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور) .

القاهرة ١٩٩٨

- الكتاب المقدس

- المقريزى ، تقى الدين

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار

القاهرة ، ط ١٢٧٠ هـ

- محمد بن عمر التونسى

تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان

الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٦٥ .

- مصطفى بن الحاج إبراهيم

تاريخ وقايع مصر المحروسة

تحقيق صلاح أحمد هريدى (دكتور)

دار الكتب المصرية ، القاهرة ٢٠٠٢

## ب- الكتب :

- أحمد أحمد الحتة (دكتور) :

تاريخ الزراعة المصرية فى عهد محمد على باشا

دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٠

- أحمد حافظ عوض :

فتح مصر الحديثة ، أو نابليون فى مصر

القاهرة ١٩٢٥

- أحمد السعيد سليمان (دكتور)

تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل

القاهرة ١٩٧٨

- إيمان محمد عبد المنعم (دكتورة) :

العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر .

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٧

- بول كولز :

العثمانيون فى أوربا

ترجمة عبد الرحمن الشيخ (دكتور)

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الألف كتاب الثانية ، ١٩٩٣ .

- توفيق الطويل (دكتور) :

- التصوف فى مصر فى العصر العثمانى

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٨

- جاك كرايس چونيور

كتابة التاريخ فى مصر فى القرن التاسع عشر

ترجمة عبد الوهاب بكر (دكتور) ، القاهرة ١٩٩٣

- جمال الدين سرور (دكتور) :

النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق

دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٦٤

- چون لوريمر

تاريخ الكنيسة

ترجمة عزرا مرجان

دار الثقافة ، القاهرة ١٩٩٠

- حسام محمد عبد المعطى

العلاقات المصرية الحجازية فى القرن الثامن عشر

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٩

- حسن عثمان (دكتور)

منهج البحث التاريخى

دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٥

- دانيال كريسيليوس

جذور مصر الحديثة

ترجمة عبد الوهاب بكر (دكتور)

مكتبة نهضة الشرق القاهرة ١٩٨٥

- رفعت موسى محمد (دكتور) :

الوكالات والبيوت الإسلامية فى مصر العثمانية

الهيئة المصرية العامة للكتاب د . ت .

- ساطع الحصرى

البلاد العربية والدولة العثمانية

القاهرة ١٩٦٠

- سعاد ماهر (دكتورة) :

مساجد مصر وأولياؤها الصالحون

القاهرة ١٩٧٦

- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)

١- أوربا العصور الوسطى مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦١

٢- العصر المماليكى فى مصر والشام القاهرة ١٩٦٥

٣- المجتمع المصرى فى عصر المماليك القاهرة ١٩٦٢

- سمير يحيى الجمال (دكتور) :

تاريخ الموسيقى المصرية ، أصولها وتطورها

الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٩

- سيد مصطفى سالم (دكتور)

الفتح العثمانى الأول لليمن

معهد الدراسات العربية القاهرة ١٩٧٤

- صموئيل تاوضروس السريانى (القس)

أديرة مصر العامرة

القاهرة ١٩٦٨

- عبد الرحمن الرافعى

تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر

مكتبة النهضة المصرية ، طبعتا ١٩٥٥ ، ١٩٥٨

- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور)

١- الريف المصرى فى القرن الثامن عشر

القاهرة ١٩٨٦

٢- فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى

القاهرة ١٩٩٠

- عبد السميع سالم الهراوى

لغة الإدارة العامة فى مصر فى القرن ١٩

القاهرة ١٩٦٥

- عبد العزيز سليمان نوار (دكتور)

تاريخ العراق الحديث

دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٨

- عبد العزيز محمد الشناوى (دكتور)

١- الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها

الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٨

٢- عمر مكرم ، بطل المقاومة الشعبية

القاهرة ١٩٦٧ (أعلام العرب)

- عبد العظيم رمضان (دكتور)

تاريخ أوربا والعالم فى العصر الحديث

الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥

- عبد اللطيف أحمد على (دكتور)

مصادر التاريخ الرومانى

دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٤

- عبد المسيح المسعودى (القمص)

تحفة السائلين فى ذكر أديرة الرهبان المصريين

مطبعة الشمس ، القاهرة ١٩٢٤

- عبد الوهاب بكر (دكتور)

الدولة العثمانية ومصر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر

القاهرة ١٩٨٢

- عراقى يوسف محمد (دكتور)

الوجود العثمانى فى مصر فى القرنين السادس عشر والسابع عشر دراسة وثائقية ج١ .

القاهرة ١٩٩٦

- عفاف سيد صبرة (دكتورة)

التاريخ السياسى للدولة الخوارزمية

دار الكتاب الجامعى القاهرة ١٩٨٧

- على مبارك

الخطط التوفيقية

القاهرة ١٣٠٥هـ

- فريد شافعى (دكتور) :

العمارة العربية فى مصر الإسلامية

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٤

- قاسم عبده قاسم (دكتور) :

عصر سلاطين المماليك

دار الشروق ، القاهرة ١٩٩٤

- لجنة التاريخ القبطى :

١- الجنرال يعقوب واستقلال مصر

مطبعة التوفيق ، القاهرة ١٩٣٥

٢- جدول وتاريخ البطاركة

مطبعة التوفيق القاهرة ١٩٤٣

- ليلى عبد اللطيف (دكتورة)

١- الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى

دار الكتاب الجامعى ، القاهرة ١٩٧٨

٢- الصعيد فى عهد شيخ العرب همام

دار الكتاب الجامعى ، القاهرة ١٩٨٧

٣- مصر على مفترق الطرق - خاير بك المملوكى

دار الكتاب الجامعى ، القاهرة ١٩٨٧

٤ - المجتمع المصرى فى العصر العثمانى ١٩٨٧

- مجدى عبد الرشيد بحر (دكتور) :

القرية المصرية فى عهد سلاطين المماليك

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٩

- محاسن محمد الوقاد (دكتورة)

الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٩

- محمد أنيس (دكتور) :

الدولة العثمانية والشرق العربى

القاهرة د . ت .

- محمد عبد الرحيم مصطفى

تاريخ مصر الحديث

المطابع الأميرية ، القاهرة ١٩٤٩

- محمد عبد العزيز مرزوق (دكتور) :

الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٧

- محمد عبد الله عنان

مؤرخو مصر الإسلامية ، ومصادر التاريخ المصرى

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٩

- محمد فريد

تاريخ الدولة العلية العثمانية

تحقيق دكتور حسان حقى ، بيروت ١٩٨١

- محمد قاسم ، حسين حسنى

تاريخ القرن التاسع عشر

المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٩٥٠

- محمد كمال السيد محمد

أسماء ومسميات من مصر والقاهرة

القاهرة ١٩٨٦

- منسى يوحنا (القس)

كتاب تاريخ الكنيسة القبطية

دار العالم العربى ، القاهرة ١٩٧٩

- ميخائيل شاروبيم

الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ، الجزء الخامس

القاهرة ٢٠٠١ ، ٢٠٠٤

- ميكل وينتر

المجتمع المصرى تحت الحكم العثمانى

ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠١

- نجيب توفيق

أم المماليك

دار العرب للبستانى ، القاهرة ١٩٨٩

- هيئة الاستعلامات

تاريخ وآثار مصر الإسلامية

القاهرة ١٩٧٧

- يبيانوف فيدوسوف

تاريخ الاتحاد السوفيتى

دار التقدم ، موسكو د . ت .

- يعقوب نخلة روفيلة

تاريخ الأمة القبطية

دار العالم العربى ، القاهرة ٢٠٠١

- يونان لبيب رزق (دكتور)

رقيب على أحداث مصر ، القاهرة ١٩٩٢

## جـ - قواميس ومعاجم :

أ - دونالد نيكول

معجم التراجم البيزنطية

ترجمة وتعليق د . حسن حبشى

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٣

- مجمع اللغة العربية

المعجم الوجيز

وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ١٩٩٢

- محمد أحمد دهمان

معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى

دمشق ١٩٩٠

- محمد رمزى

القاموس الجغرافى للبلاد المصرية

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٣

- المقّرى ، أحمد بن محمد

المصباح المنير

ط٦ المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٩٢٥

**د- دوائر معارف وأطالس :**

- الأطلس العربى

وزارة التربية والتعليم ، ١٩٧٧

- خير الدين الزركلى

الأعلام

دار العلم للملايين بيروت ط٢ ، ١٩٧٩

- دائرة معارف الشعب

القاهرة ١٩٦٦

- الموسوعة العربية الميسرة

إشراف محمد شفيق غربال

القاهرة ١٩٦٥

-الموسوعة المصرية ، تاريخ وآثار مصر الإسلامية

إشراف هيئة الاستعلامات ، د . ت

**هـ - المجلات العلمية :**

عبد القادر طليمات (دكتور)

ذكر ما وقع بين عساكر المحروسة

المجلة التاريخية ، العدد ١٤ السنة ١٩٦٧

- نسيم مقار (دكتور)

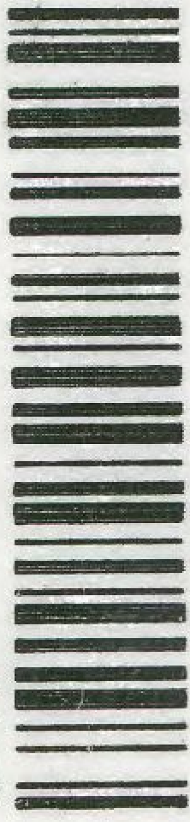
أضواء على تاريخ الهوارة فى صعيد مصر

المجلة التاريخية ، العدد ٢٦

- رسالة مار مينا (١٤)

جمعية مار مينا بالأسكندرية ، ١٩٩٣

# الفهـرس


Bibliotheca Alexandrina
0644291
